

الشُّكَا

بِعَرَبِيَّةٍ جَدِيدَةٍ الْمُصْطَفَى

القاضي عياض

أبوالفضل عياض بن موسى بن عياض الأصبهاني

٤٧٣ هـ - ٥٤٤ هـ

مُتَّبِعٌ

علي محمد البجاوي

الناشر

دار الكتب والعربي

الشفافا کا سن تا لیفہ ۳۸۸

حدیث بنیدین ابی ہریرہ ۲۰۰



وقد سماه الله تعالى في القرآن ... نوراً وسراجاً منيراً الخ ص ٢١

وسماه نوراً؛ فقال: قد جاءكم من الله نور الخ ص ٢٢٦

إذ قرئتها كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بالفى عام الخ ص ١٠٩

وأنت لمتاً ولدت اشرفت الـ أرض وضاءت بنورك الأفق ص ٢١٩

شرب دمه صلى الله عليه وسلم يوم أحد ودم حجامته ص ٨٩

اللهم بحق محمد أغفر لي خطيئتي ص ٢٢٧ لولا ما خلقتك ص ٢٢٨

رأت أُمِّي حين حملت بي أنه خرج منها نوراً أضاء له قصور بصري ص ٢٢٦

عبدى أحمد المختار ص ٣٣ إحياء الموتى من الاطلاع على الغيب ص ٨١

إذا تكلم ربي كالنور يخرج من ثناياه ص ٨٤ قال أهل العلم بطهارة الحديث ص ٨٨

إذا أراد أن يتخوَّط انشقت الأرض فابتلعت غائطه وبوله ص ٨٨

إن الأرض يبلع ما يخرج من الأنبياء فلا يرى منه شيء ص ٨٨

لمرأة شربت بوله صلى الله عليه وسلم ص ٩٠ قد ولدتنا ص ٩٠

يُصور موسى النملة على الصفا في الليلة الظلماء ص ٩٤

قد أتى خزائن الأرض ومفاتيح البلاد ص ١٢٢ ص ٢٢٠ ص ١٢٣

حضرت علي كوكبه كى دعوت ص ٤١٨ ص ٢٤

بشارت مغفرت ص ٦٧ و ٦٨ و ١٨٦ العجزى فقري ص ١٨٨ ص ٣٤٧

ص ٤٢١

ص ٤٢٦

ص ٤٤٠

ص ٤٤٣

ص ٤٤٤

ص ٤٤٥

ص ٤٤٦

ص ٤٤٧

الشفا

بتعريف جُحَاقون المصطفى

للقاضي عياض

أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي

٤٧٦ هـ - ٥٤٤ هـ

تحقيق

علي محمد البجاوي

الجزء الأول

الناشر

دار الكتاب العربي

ص ٥٧٦٩ - ١١ بيروت

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتاب العربي
١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

دار الكتاب العربي

الرملة البيضاء - ملكارت سنتر - الطابق الرابع تلفون: ٨٠٥٤٧٨/٨٠٠٨١١/٨٠٠٨٣٢

تلکسر: ٤٠١٣٩ L.E. كتاب برقيا: الكتاب ص.ب: ٥٧٦٩ - ١١ بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

كتاب « الشفا » للقاضي عياض من خير الكتب التي عرفت بحقوق المصطفى ؛ فقد أحاط الكتابُ بصفات الرسول عليه السلام ، وما يجب له من حقوق ؛ ونظرة إلى تقديم المؤلف للكتاب ، وبيان أبوابه وفصوله ^(١) ، وسرده لكثير من الحوادث والأخبار ، تنبئُ بإحاطة المؤلف بكل الجوانب التي تتصل بصفات الرسول ، وتجلي لنا سيرة رسولنا النبي الكريم .

وقد اعتمد المؤلف في ذلك كله على الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، يؤيد بها رأيه .

واستدل بأراء المفسرين والمحدثين والفقهاء فيما جاء به .

وأراه قد سار في هذا الكتاب سيرة علمية نادرة ؛ إذ عقد لكل موضوع بابا ، ثم فصل الموضوع في فصول .

وابتدأ كل فصل بإيراد الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وما ورد عن الصحابة والتابعين ، شأن العلماء الأبرار ، والباحثين الأفاضل ؛ ونسب كل حديث إلى راويه ، وكل قول إلى قائله ؛ فجاء كتابه مثلاً أعلى في التنسيق والإحاطة والتوثيق .

ولهذا عدّه كثير من أفاضل العلماء وجهابذة المؤرخين والمحققين من خير الكتب في موضوعه ؛ فقد قال عنه المقرئ في أزهار الرياض ^(٢) :

« بما كمل تأليفه رضوان الله عليه كتاب « الشفا » الذي بلغ فيه الغاية القصوى ، وسار صيته شرقاً وغرباً ؛ ولقد لهجت به الخاصة والعامة ، عجماً وعرباً ، ونال به مؤلفه وغيره من الرحمن قرباً .

(١) من صفحة ٨ - ١٢ من هذه المطبوعة للكتاب .
(٢) أزهار الرياض صفحة ٤٨٢ من مخطوطة الكتاب .

ثم قال :

وفضائل هذا الكتاب لا تستوفى. ولا يمتري مَنْ سمع كلامه العذب السهل المنور في وصف النبي صلى الله عليه وسلم ، أو وصف إعجاز القرآن - أن تلك نفحة ربانية ، ومنحة صمدانية ، خص الله بها هذا الإمام ، وحلّاه بدرها النظيم ؛ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

وقال ابن جابر^(١) رحمه الله تعالى :

وقيدت من خط الشيخ الصالح الزاهد أبو الحسين عبيد الله أحمد بن عبد المجيد الأزدي الرندي^(٢) على كتاب « الشفا » ، وكان نسخه بيده ، ما مثاله :

وقد فزت - والحمد لله - بنسخه وكماه . . . فنسأل الله تعالى أن يجزي مؤلفه خيرا ، ويعظم له بما ألفه . . . فقد جرى رضى الله عنه في ميدان أشرف العلوم جرى السابق ، ونظم في جيد الزمان سالك المعارف ودرر الحقائق ، وسقى بكتاب « الشفا » قلب كل مؤمن صادق ، كما كبت به قلب كل عدو منافق ؛ فإذا طالع المؤمن استنارت في باطنه حقائق أنواره ، وإذا جال في روض معارفه ، تنفست له نفحات نسيمه ، وتبسمت له مباسم أزهاره ؛ فهو كما قال القائل ؛ تعظيما لعمله الكريم ، وتشريفا لحמיד آثاره :

كتاب الشفاء شفاء القلوب قد اثقلت شمس برهانه
إذا طالع المؤمن مضمونه رسا في الهدى أصل إيمانه
وجال بروض التقى ناشقا روائح أزهار أفنانه
قال^(٣) :

ووجدت بخط الشيخ الحافظ الإمام أبي عبد الله محمد بن سعد القلساني رحمه الله ما نصّه : وتواليف الفاضل أبي الفضل رحمه الله دالة على ماله عند الله من الكرامة

(١) أزهار الرياض ٤٨٥ من مخطوطة الكتاب . (٢) توفى ببغاية في نحو التسعين وستمائة .

(٣) أزهار الرياض ٤٨٦ من مخطوطة الكتاب .

والعناية ؛ فمن تأمل انتفاع المسلمين به شرقا وغربا ، علم أن ذلك من أسرار القرب والولاية ، وكتابه « الشفا » هو وسط القلادة ، وبرنامج السعادة ؛ وفيه يقول بعض الفضلاء :

أنس الوحيد وديمة الأنداء ونسيم عرف الروضة الغناء^(١)
وذكره في كتاب « مطمح الأنفس » فقال^(٢) :

هذا وإن كتاب « الشفا » بتعريف حقوق المصطفى كتاب قدره جليل ، وهو على جلالة مصنفه أدل دليل ؛ فإنه أجل أعيان الأندلس ؛ جاء بها على قدر ، وسبق لنيل المعاني وابتدر ، فاستيقظ لها والناس نيام ... وقد وفي بيان ما يجب من آياته ، ونشر على كاهل الدهر ألوية الثناء بين يدي صفاته ، مما يحق له أن يكتب بالنور في صحائف وجنات الحور ، وينقش بقلم العقل معانيه ، ويخط على ألواح الأذهان لأطفال الأرواح مبانيه ، صحف أنزعت بشهد حلا ، في كل ذوق لذلك كان شفا ؛ ولعمري لقد نثر الدر فيه من فيه ، وبلغت أمانيه ما كانت تنويه من التنويه ، حديث لو أن الميت نودي باسمه لأصبح حيا بعد ماضيه القبر ...
وقال القارى^(٣) :

« كتاب « الشفاء » في شمائل صاحب الاصطفاء أجمع ما صنّف في بابيه مجلا في الاستيفاء . »

وقال في أزهار الرياض^(٤) :

وقد اعتنى الأئمة بشرح هذا الكتاب والتعليق عليه ؛ فمن شرحه الإمام الرئيس الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق التلمساني (٧١٠ - ٧٨١ هـ) ، شرحا واسعا .
ومن علق عليه عدة تعاليق الشيخ الإمام محمد ابن الشيخ الرباني الولي الصالح^(٥) .

(١) وأنشد بعد ذلك في أزهار الرياض شعرا كثيرا في مدح هذا الكتاب لطائفة من الأدباء والعلماء (٤٨٦ - ٤٩٠) . (٢) شرح الحفاجي : ١ - ٢ (٣) شرح القارى : ١ - ٢

(٤) أزهار الرياض : ٤٩٠ ، من المخطوطة . والأعلام للزركلى .

(٥) سترى بعد بياننا عن شروحه ، وتعليقاته .

وكما اعتنى الناس بذلك اعتنوا أيضا بتصحيحه وضبطه وإتقانه .

* * *

هذا، ومن عني بشرح هذا الكتاب أيضا :

١ - الشهاب الخفاجي ، وقد شرحه شرحا مطولا ، أسماه : نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض ، وقد طبع في أربعة مجلدات . وسأعرفك بهذا الشرح وبمؤلفه بعد .

٢ - الأيلا على القاري ، وقد شرحه شرحا متوسط الطول ، وقد طبع في جزأين كبيرين ، وسأحدثك عنه وعن مؤلفه بعد .

٣ - الشيخ حسن العدوي الجزاوي ، وقد شرحه شرحا مختصرا ، وأسماه المدد الفياض .

وهذا الشرح بمكتبة الأزهر برقم ٥٥٦ خصوصية ، وهو مطبوع على الحجر سنة ١٢٨٦ هـ . في جزأين : الأول في ٣٥٠ صفحة ، والثاني في ٣١٨ صفحة ؛ قال مصححه : هذا شرح المدد الفياض بنور الشفاء للقاضي عياض لولانا الفاضل الأوحى الفريد ، والبحر البسيط الوافر المديد ، خادم السنة ، وضياء الدجنة ، الكوثر الراوي ، أستاذنا الهمام الشيخ حسن العدوي الجزاوي ، حفظه الله ونفع به .
وفي مقدمته :

الحمد لله الذي أبرز من نور جماله نورا اقتبست منه حقائق الكائنات ، وشفى به صدور قوم بفتح عين بصائرهم ؛ فصاروا هداة رحمة للمخلوقات ، والصلاة والسلام على مفتاح رحمة الموجودات وبعد . فيقول أسير الشهوات ، وكثير الهفوات ، حسن العدوي الجزاوي . . . الحمد لله من التقصير والمساوي : إنه لما تواع قايي بحب طبع بعض كتب قطب الواصلين . . . وأخدمه على هامشه من معجمه ، ضابطا لبيان ما أجمع عليه الشراح من النسخ الصحيحة ، حيث إن أغلب نسخه على كثرتها فيها بعض تحريف ، وغير مضبوطة فجمعت ما تيسر من مواد من شروح

وحواش؛ ليكون ذلك أبلغ في تصحيح نسخة، وأنبه على ما اختلف فيه بعض الشراح من النسخ، وأعزوه لصاحبه؛ وبذلت الوُسْع على تفتيش أصح المتون منه... أسأل الله الرحمن الرحيم أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يطهر قلمي من العوائق والأغيار، يجاه سيد الأخيار، وعليه الصلاة والسلام.

ومما وقفت عليه من شروح هذا الكتاب وتعليقاته (١) :

٤ - كتاب اسمه « مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا » - تأليف العلامة تقي الدين أحمد بن محمد بن حسن الشمني التيمي الداري الحنفي، وهو مخطوط بدار الكتب، ومنه نسخ فيها تحت أرقام: ٣٧٥، ٤٢٨، ٧٣٦، ١٤٥٠.

٥ - كتاب « المقتفى في حل ألفاظ الشفا »، تأليف العلامة برهان الدين إبراهيم ابن محمد بن خليل الحلبي سبط ابن المعجمي، وهو مخطوط بدار الكتب برقم ٢٦٩

* * *

ولما كان القاضي عياض قد اعتمد في مؤلفه « الشفا » على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فقد عني به السيوطي، وخرج أحاديثه في كتابه « مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا ».

وقد طبع هذا الكتاب في مجلد طبع حجر بالقاهرة سنة ١٢٧٦هـ، وبها مشه بعض حواش؛ ومنه نحو عشرين نسخة بمكتبة الأزهر؛ وقد جاء في مقدمته :

الحمد لله الذي إذا وعد وفى، إذا أوعد عفا، والصلاة والسلام على محمد الذي هدى وشفى، من كان في الضلالة على شفا وعلى آله وأصحابه أولى الفضل والوفا. هذا كتاب نفيس أتمته، وتأليف شريف وضعته، خرجت فيه أحاديث « الشفا » للقاضي عياض تخریجاً محرراً، سالكا فيه طريقاً موجزاً مختصراً، ولم أستمد فيه من شيء من الكتب المؤلفة عليه؛ بل اعتمدت فيه على حفظي ونظري، وراجعت

(١) فهارس دار الكتب المصرية.

الأصول المعتمدة والجوامع ، وسميته « مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا » ، وعلى
الله الاعتماد ، وإليه الاستناد ؛ وبه الاكتفاء .

وأشير هنا إلى طريقته في التخريج ؛ وأقدم لذلك بعض الأمثلة :
في خطبة الكتاب :

حديث أبي هريرة : من سئل عن علم فكتمه . . . الحديث أسنده المصنف
من طريق أبي دواد ، وأخرجه أيضا الترمذي وحسنه ، وابن حبان ؛ والحاكم
وصححه ، وابن ماجه بسند صحيح ، من طريق محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة .
وفي صفحة ٧ :

حديث جابر رضى الله عنه : أردفتي النبي صلى الله عليه وسلم : فالتفتت خاتم
النبوة بعمى ، فكان يتمّ على مسكا . . . ابن عساكر في تاريخه .
حديث : إنه كان إذا أراد أن يتغوّط انشقت الأرض . . . الجيهتى ،
عن عائشة رضى الله عنها ، وقال : موضوع .
فهو كما ترى يذكر مرجع كل حديث ، ولكن ينتصه تحديد الباب ، أو الصفحة
من الكتاب ؛ وما كنا ننتظر ذلك منه ومن عصره .
ولهذا أكلت هذا التخريج بذكر الصفحة في المراجع التي أشار إليها
ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، معتمدا في ذلك على كتب السنة ، وعلى المعجم المفهرس
لألفاظ الحديث .

مؤلف الكتاب

هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو^(١) بن موسى بن عياض بن محمد
ابن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي .
وهو من أهل سبته ، وأصله من مدينة بسطة^(٢) .

(١) وعند ابن الأبار : عمرو - يدك عمرو بن عمرو : (أثمار الرياض : ٣ - ١٧) .

(٢) ووفيات الأعيان : ٢ - ١١٧ .

وكتب القاضي عياض^(١) بخطه؛ فذكر أنه ولد في منتصف شعبان من سنة ست وسبعين وأربعمائة .

وتوفي^(٢) رحمه الله بمراكش مغربا عن وطنه وسط سنة أربع وأربعين وخمسمائة .
وقدم الأندلس طالبا للعلم ، فأخذ بقرطبة عن جلة علمائها ، وأخذ بالمشرق
عن القاضي الصدفي ، وعن غيره ، وعنى بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم ، وجمع من الحديث
كثيرا ، وله عناية كبيرة به واهتمام بجمعه وتقييده

وقد استقضى ببلده - يعني مدينة سبقة - مدة طويلة حدث سيرته فيها ، ثم نقل
منها إلى قضاء غرناطة فلم تطل مدته بها .
وقال - هو - عن نسب أجداده^(٣) :

استقر أجدادنا في القديم بجهة بسطة من بلاد الأندلس ، ثم انتقلوا إلى مدينة
فاس ، وكان لهم استقرار بالقيروان ، فلا أدري أكان قبيل استقرارهم بالأندلس
أم بعده .

قال :

وكان عمرون والد جد أبي رحمة الله على جميعهم ، رجلا خيرا صالحا ، من أهل
القرآن ، انتقل من مدينة فاس إلى مدينة سبقة بعد دخول بني عبيد المغرب .
وقال ابنه القاضي أبو عبد الله بن عياض رحمه الله^(٤) :

نشأ أبي على عفة وصيانة ، مرضى الحال ، محمود الأقوال والأفعال ، موصوفا
بالنبيل والفهم والجدق ، طالبا للعلم ، حريصا مجتهدا فيه ، معظما من الأشيخ
من أهل العلم ، كثير المجالسة لهم ، والاختلاف إليهم ، إلى أن برع أهل زمانه ،
وساد جملة أقرانه ؛ فكان من حفاظ كتاب الله تعالى ، مع القراءة الحسنة ، والحظ

(١) أزهار الرياض ٥١٥ من مخطوطة الكتاب .

(٢) وأزهار الرياض : ٣ - ١٧ ، وفيات الأعيان : ٢ - ١١٨ ، الصلة : ١ - ٤٥٤

(٣) سيأتي حديث موسع عن شيوخه .

(٤) الصلة ١ - ٤٥٣ ، أزهار الرياض : ١ - ٢٨ من المطبوعة .

(٥) أزهار الرياض : ٣ - ٢٧ من المطبوعة .

الوافر من تفسيره وجميع علومه ؛ وكان من أئمة الحديث في وقته ، أصوليا متكلما ،
فقيها حافظا للغة والأخبار والتواريخ ، حُلُو الدعابة ، صبوراً حليماً ، حسن العشرة ،
جواداً سمحاً ، دَهِوباً على العمل ، صَليبياً في الحق . . .

وفي أزهار الرياض يعتمل بقول ابن عاصم في وصف عياض^(١) :

قد كان - رحمه الله - علم الكمال ، ورجل الحقيقة ، وقاراً لا يخف راسيه ،
ولا يعرى كاسيه ، وسكوناً لا يُطرق جانبه ، ولا يُرهب غالبه ؛ وحليماً لا تزل
حصاته ، ولا تهمل وصاته ، وانقباضاً لا يُتعمد رشمه ، ولا يتجاوز حكمه ؛ ونزاهة
لا ترخص قيمتها ، ولا تلين عزمها . . . ؛ وذهناً لا يخبو نوره ، ولا ينبو مطوره ؛
وفهما لا يخفى فلقه ؛ وحفظاً لا يُسبر غوره ، ولا يذبل نوره . . . وطلباً لا تتجد
فنونه ، ولا تغمين عيونته ؛ بل لا تحصر معارفه ، ولا تقصر مصارفه . . .

وقال الملاحى^(٢) :

كان القاضي عياض رحمه الله بَحْرَ عِلْمٍ ، وهضبة دين وحلم ، أحكم قراءة كتاب
الله بالسبع ، وبلغ من معرفته الطول والعرض ، وبرز في علم الحديث ، وجمل راية
الرأى ، ورأس في الأصول ، وحفظ أسماء الرجال ، وثقب في علم النحو ، وقيد اللغة ،
وأشرف على مذاهب الفقهاء وأنحاء العلماء ، وأعراض الأدباء^(٣) . . .

وقال المقرئ في أزهار الرياض^(٤) :

وكان القاضي أبو النضل كثير الاعتناء بالتحسين والتحصيل ؛ قال ابن خاتمة :
كان لا يبلغ شأوه ، ولا يبلغ مداه في العناية بصناعة الحديث ، وتقييم الآثار ،
وخدمة العلم مع حسن التفنن فيه ، والتصرف الكامل في فهم معانيه ؛ إلى اضطلاع
بالأداة ، وتحقيقه بالنظم والنثر ، ومهارته في الفقه ، ومشاركته في اللغة والعربية ؛

(١) أزهار الرياض : ٣-٦ من المطبوعة . (٢) أزهار الرياض : ٣-٧ من المطبوعة .

(٣) وارجع إلى ما قدمناه صفحة ٥ من كلام الحفاجي عنه ، وعن مطمح الأئس .

(٤) أزهار الرياض ٨ : ٥ من المخطوطة .

وبالجملة فقد كان جمال العصر ، ومفخر الأفق ، وينبوع المعرفة ، ومعدن الإفادة ؛ وإذا عدت رجالات المغرب فضلا عن الأندلس حسبناه منهم
وقال :

وكان - رحمه الله - معظما للسنة ، عالما عاملا ، خاشعا قانتا ، قويا للعق ، لا يخاف في الله لومة لائم ، وكان معتمدا بضبط الألفاظ النبوية على اختلاف طرقها ، وكتابه « المشارق » أركى شاهد على ذلك . وكان حاضر الجواب ، حادّ الذهن ، متوقّد الذكاء ، جامعا للفنون ، أخذ منها بالحظ الأوفر ، وكان بارع الخط المغربي ، حسن العبارة ، لطيف الإشارة ؛ وتأليفه شهادة بذلك .
وله في الفقه المالكي اليد الطولى ، وعليه المعول في حل ألفاظ المدونة ، وضبط مشكلاتها ، وتحرير رواياتها ، وتسمية رواياتها .
قال (١) :

وكان القاضي عياض حسن الإلقاء للمسائل ، كثير التحرير للنقول ، وقد انتفع به من العلماء من لا يحصى .
قال (٢) :

ولما ورد القاضي عياض غرناطة خرج الناس للقاءه ، وبرزوا تبريزا مارأيت
لأمير مؤمر مثله
وقال (٣) :

وكان القاضي أبو الفضل عياض - رحمه الله - كثير الإنصاف متواضعا ؛ ومما يدل على إنصافه وتواضعه :

كان قاضيا بغرناطة ، وفي مجلسه جماعة من الطلبة والأعيان يسمعون تأليفه المسمى بالشفا ؛ فلما وصل القاريء إلى هذه الكلمات : « ومن قسم به أقط » - قرأه ثلاثيا ، وكذلك كان في الأم التي كان يقرأ فيها .

(١) أزهار الرياض : ٣ - ١٩ من الطبوعة . (٢) أزهار الرياض : ٣ - ١١ من الطبوعة .
(٣) أزهار الرياض : ٣ - ١٣ من الطبوعة .

فقال له أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد الأزدي : هذا لا يجوز في هذا
 الموضع . فقال : ما تقول ؟ قال : إنما هو أقسط ؛ لأن المراد في هذا الموضع « عدل » ؛
 فالفعل منه رباعي ، كما قال الله تعالى ^(١) : « وأقسطوا إن الله يحب المقسطين » .
 وأما قسط فإنما هو جار ؛ كما قال تعالى ^(٢) : « وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطابا » .
 فتمجيب وقال لمن حضر : إن هذا الكتاب قرأه على من العالم ما لا يحصى كثرة ،
 ولا أقف على منتهى أعدادهم ، وما تنبّه أحد لهذه اللفظة . . .
 وقال ابن خلكان ^(٣) :

وللقاضي عياض شعر حسن ؛ فمنه ما رواه عنه ولده أبو عبد الله محمد قاضي دانية،
 قال : أنشدني لنفسه في خامات زرع بينها شقائق النعمان هبت عليها ريح :
 انظر إلى الزرع وخاماته ^(٤) تحكي وقد ماست أمام الرياح
 كتيبة خضراء مهزومة شقائق النعمان فيها جراح
 قال : وأنشد أيضا لأبيه :

الله يعلم أني منذ لم أركم كطائر خانه ريش الجناحين
 فلو قدرت ركبت البحر نحوكم لأن ^(٥) بعدكم عنى جنى حيني
 وله في لزوم ما لا يلزم :
 إذا ما نشرت بساط انبساط فعمه - فديتك - فاطو المزاحا
 فإن المزاح على ما حكاه أولو العلم قبلي عن العلم زاحا

شيوخه

من هؤلاء الشيوخ ^(٦) :

١ - القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن رشد
 الفقيه ، ذكره ابن بشكوال .

(١) سورة الحجرات ، آية ٩
 (٢) سورة الجن آية ١٥
 (٣) وفيات الأعيان : ٢ - ١٢٦
 (٤) الحامة : القصة الرطبة من الزرع .
 (٥) في المطرب (١ - ٨٨) : فإن . (٦) أزهار الرياض ٣-٨ ، ٥٩ ، ١٥٦ من المطبوعة .

٢ - والشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي الشهير
بابن الحاج قاضي الجماعة بقرطبة .

٣ - وأبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي المعافري
الإشبيلي ، وكان من أهل التفتن في العلوم متقدما في المعارف كلها .

٤ - وأبو عبد الله بن أحمد بن التغلبي ؛ وهو محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز
ابن أحمد التغلبي .

٥ - وأبو بكر بن عطية الفقيه الحافظ .

٦ - والشيخ الإمام النحوي الأديب اللغوي أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد
البطليوسي ، نزيل بلنسية .

٧ - والشيخ أبو علي الجياني ، وهو حسين بن محمد بن أحمد الفسائي الجياني ،
رئيس المحدثين بقرطبة ، وليس هو منها ، وإنما نزلها أبوه في الفتنة ، وأصله من الزهراء .

٨ - والقاضي الشهير أبو علي الصدفي ؛ وهو حسين بن محمد بن فيثرة بن حَبُون
ابن سكرة .

٩ - والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن علي بن سعيد بن عبد الله
ابن شيرين الجذامي ، من أهل مُرْجِيْق - حصن من حصون شلب .
قال في أزهار الرياض (١) :

وإذا تتبعنا أشياخ القاضي بالتعريف لم يسع ذلك هذا الموضوع ، فهم نحو المائة .

وعن أجاز القاضي عياضا ولم يلقه (٢) :

١ - أبو بكر بن محمد بن الوليد الطرشوشي .

٢ - وأبو بكر المازري : محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري (نسبة إلى
مازر : بلدة بجزيرة صقلية) :

(١) أزهار الرياض ٣-١٥٧ من الطبوعة . (٢) أزهار الرياض : ٥٠٤ من المخطوطة .

٣ - وإمام المحدثين أبو الطاهر السلفي : أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم
الأصبهاني .

وغيرهم .

كتبه

من مؤلفات القاضي عياض (١) :

١ - كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى - وقد عرفناك به ، وسنحدثك عن
نسخه بعد ، وهو الذي تقدمه لك الآن .

٢ - كتاب المستنبطة « في شرح كلمات مشككة ، وألفاظ مغلطة مما وقع في
كتاب « المدونة » ، لم يؤلف مثله .

وقد غلب على تسميته ببلاد إفريقية وغيرها : « التنبهات » .

٣ - القنية في أسماء شيوخه .

٤ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، وهو غريب

لم يسبق إليه .

٥ - الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع - سفر .

٦ - إكمال المعلم في شرح مسلم - تسعة وعشرون جزءا .

٧ - الإعلام بقواعد الإسلام .

٨ - بغية الرائد لما تضمن حديث أم زرع من الفوائد .

٩ - المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان - في سفرين .

وغيرها كثير ، وبعضها تركها في البيضة ، أو لم يكملها ؛ ومنها :

نظم البرهان على صحة جزم الأذان . الفنون الستة في أخبار سبته . غنية

الكتائب وبغية الطالب في الصدور والترسيل . تاريخ المرابطين . الجامع للتاريخ .

أجوبة القرطبيين .

(١) أزهار الرياض : ٥٠٤ من المخطوطة .

نسخ الكتاب

حين صحّ عزمي على إخراج هذا الكتاب القيمّ محققاً ، بحثت عن نسخه الخطية ، فوجدت فيضا من النسخ لم أجده لكتاب ؛ ففي مكتبة الأزهر نحو ٤٩ نسخة خطية ، وفي دار الكتب ٤٢ نسخة ؛ صحيح أن بعضها مكرر في المكتبتين ، ولكنني لم أر مثل هذا العدد من المخطوطات لكتاب .

وكان لابد من الاختيار من هذا الفيض المادّ من النسخ ؛ ووقع اختياري - بعد البحث والموازنة - على نسختين ، رأيت أنهما أفضل النسخ المخطوطة لهذا الكتاب ، ورمزت إلى الأولى بالحرف (أ) ، وللثانية بالحرف (ب) ، وهما بمكتبة الأزهر ، وأحدثك عنهما في إيجاز :

١ - النسخة (أ) رقمها ٧٥٦ حديث ، وعدد أوراقها ٢٨٦ ورقة ، في ١٧ سطرا ، وخطها نسخي جميل ، وأول صفحة منها مذهبة ، وعنوان الكتاب فيها : كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم . تأليف الشيخ الإمام ، العالم المحدث ، الزاهد العلامة القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رحمه الله .

وقبل هذه الصفحة صفحة كتب عليها : وقف هذا الكتاب - وهو متن الشفا - عبد البر ابن المرحوم العلامة الشيخ أحمد منة الله على أهل العلم بالأزهر ، وجعل مقره بالكتبخانة الأزهرية في رجب سنة ١٣١٦ هـ . كاتبه الفقير عبد البر أحمد منة الله المالكي الأزهرى عفا الله عنه .

وفي صفحة ٢٥ من هذه النسخة كتبت هذه العبارة :

بلغ مالكم يوسف بن شاهين سبط أحمد بن علي بن حجر قراءة على الشيخ شمس الدين الرشيدى ، والجماعة سماعا في الأول والقراءة في النسخة الموقوفة . . . في ذى الحجة سنة ٨٤٠ هـ .

وفي آخر هذه النسخة :

تم كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم، على يد أضعف خلق الله تعالى وأحوجهم إلى لطفه الخفي أحمد بن علي بن محمد الحنفي ، عفا الله عنه ، وعن والديه ، وعن قرأه أو نظر فيه أو سمعه ، ودعاه بالعمو والمغفرة ، وجميع المسلمين ، وذلك في يوم الاثنين الثالث عشر من شهر شوال المبارك من شهر سنة اثنتين وستين وسبعائة ، أحسن الله تقضيها . الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

وبجانب الصفحة :

الحمد لله ، أنها قراءة في شهر رمضان عام خمسة وخمسين . . . أبو الوفا محمد ابن خليل بن إبراهيم الحنفي ، عفا الله عنه ، داعيا لملكه بطول البقاء .
ثم :

إجازة : الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله .

أما بعد فقد سمع جميع كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم تأليف القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رحمه الله تعالى ، على شيخنا الإمام المسند المكثّر فقير رحمة ربه ، شمس الدين أبو عبد الله محمد الإمام جمال الدين عبد الله ابن الشيخ شمس الدين محمد العلامة برهان الدين إبراهيم بن . . . الرشيدى . . . قبل موته قيل له : أخبرك العلامة تقي الدين أبو الفتح محمد بن أحمد ابن حاتم ، وعلاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن السبيع وأجازه للأخيرين بقراءة كاتبه يوسف بن شاهين السكركي سبط أحمد بن علي ابن حجر في مجالس عدتها تسعة عشر مجلسا آخرهم ! يوم الخميس ثامن عشر من شهر صفر عام خمسين وثمانائة .

قال ذلك ، وكتب يوسف الشافعي حامدا ومصليا ، ومسلما ومحسبلا ومحوقلا .

وبعده :

الحمد لله على الدوام والصلاة على ... الأنام والسلام . القراءة والسماع والإجازة كل صحيح ، نفع الله تعالى به ونفع بهم . . . وكتبه محمد بن عبد الله بن محمد . . . وصلى الله تعالى على السيد الكامل سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وهذه النسخة مضبوطة ضبطاً متقناً ، وعليها تعليقات هامة ، وهي صحيحة كاملة ، وعلى هامشها ما يدل على قراءتها ومراجعتها ؛ فهي نسخة أصيلة موثقة ، خالية مما يشوبها أو ينقص من قيمتها .

٢ - النسخة (ب) في ٢٣٧ ورقة ، بقلم معتاد قديم بخط أبي بكر أحمد الجعفري سنة ٧٨٥ هـ ، ومسطرتها ١٩ سطرا ، ورقمها في المكتبة الأزهرية ٢٠١ حديث .
وفي الصفحة الأولى منها : هذا كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم تصنيف القاضي الإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي .

وهذه النسخة مضبوطة ضبطاً كاملاً ، وفي هوامشها بعض تعليقات ، وبعض تفسير للكلمات ، وتدوين لاختلاف النسخ ، وتعليق .
وفي صفحة ٦٢ من هذه النسخة :

الحمد لله . بلغ الشيخ العالم الصالح خالد بن عبد الله اليماني نفع الله به ، قراءة على علي الفقير ، من أول هذا الكتاب إلى هنا . وأجزته أن يروي عن جميع هذا الكتاب ، وما يجوز لي ، وعلى روايته كشرطه عند أهله . وكتبه محمد بن أبي اللطف :
وكثيراً ما تقرأ على هوامش الصفحات مثل هذه العبارات :

بلغت مقابلة . بلغت مقابلة رابعة . بلغ قراءة والجماعة سماعاً في المجلس .

مما يدل على قراءة هذه النسخة ومقابلتها وأصالتها .

وجاء في آخر هذه النسخة :

بلغ مقابلة وتصحيحا على نسخ عديدة معتمدة بحسب الطاقة والإمكان ، والله
الحمد ...

وذلك بتاريخ مستهل جمادى الآخرة المبارك سنة تسعين وسبعائة من الهجرة
النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وذلك بالمسجد المعروف ... داخل
حلب المحروسة .

وبعد :

الحمد لله . قرأت جميع الشفا بحق المصطفى ، تأليف الإمام الحافظ أبي الفضل
عياض بن موسى اليحصبي القاضى ، على سيدنا ومفيدنا الإمام الحافظ رحمة المحدثين ،
بركة المسلمين ، مفيد الطالبين : محيي الدين أبي زكريا يحيى ابن الشيخ جمال الدين
يوسف بن شرف الدين بن يعقوب بن أحمد ابن الشيخ ... الرحبي الشافعى ، بحق
سماعه من الشيخ الإمام نجم الدين يوسف بن زين الدين محمد بن أبي الفتوح القرشى ،
عرف بالدلاصى ، بسماعه من الشيخ الزاهد تقي الدين أبي الحسن يحيى ابن الشيخ
الإمام أبي العباس أحمد بن محمد بن حسن اللواتى عرف بأبن ... بإجازته من الشيخ
الإمام الحافظ أبي الحسين يحيى بن محمد بن علي الأنصارى الشهير بابن الصائغ بإجازته
منه ؛ فذكره عن نفسه وعن شيوخه ، وذلك فى أربعة مجالس آخرها نهار السبت
مستهل صفر بمنزل ... داخل دمشق المحروسة .

وأجاز لى ما يجوز له روايته .

قال ذلك وكتبه أبو بكر بن أحمد بن عمر الجعفرى العجلوى ، ثم الحلبي من
شهور سنة إحدى وتسعين وسبعائة .

وبعد :

صحيح ذلك . وكتب : يحيى بن يوسف الرحبي الشافعى .

وفي أعلى هذه الصفحة الأخيرة :

بلغ مقابلة على عدة نسخ معتمدة أيضا حسب الطاقة . والله الحمد والمنة، وذلك في الثاني والعشرين من رمضان المعظم بالزاوية البسطامية بظاهر حلب المحروسة في سنة . . . وسبع . . .

* * *

ومن هذا البيان نستطيع أن نلم بما حملني على اختيار هاتين النسختين دون غيرها من النسخ الكثيرة للكتاب ؛ فكل منهما قد قوبلت على عدة نسخ ، وعلى كل واحدة منهما إجازة أو إجازات ، وما يدل على قراءتها ومراجعتها على نسخ كثيرة .

عملي في الكتاب

١ - راجعت الكتاب على المخطوطتين السابقتين ، وأثبت الخلاف بينهما - إن كان - في هوامش الكتاب .

٢ - ترجمت لبعض الأعلام ، التي رأيت أن القارئ قد يفيد من ترجمتها .

٣ - خرّجت الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والشعر .

٤ - وضعت للكتاب فهرس فنية متنوعة ، تساعد على الإفادة منه ، والرجوع

إلى مسائله .

٥ - علقت على الكتاب تعليقات تساعد القارئ على الفهم ، وتعاونته في الكشف

عن المعاني الدقيقة ، والإشارات التي وردت فيه .

وقد استعنت في هذه التعليقات بروافد ثلاثة ، كانت خير مدد لي فيما قصدت

إليه من تسهيل لفهم الكتاب وشرح لراميه :

(١) وأول هذه الروافد شرح الشهاب الخفاجي للكتاب ، وهو الذي أسماه :

نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض .

والشهاب الخفاجي (٩٧٧ - ١٠٦٩ هـ) هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر

الخفاجى المصرى ، ولد سنة سبع وسبعين وتسعمائة، لأب كان من خيرة علماء عصره،
هو محمد بن عمر الخفاجى .

وقد نشأ الشهاب فى كنف أبيه يعلمه ويؤدبه ، وعليه تخرج فى كثير من الفنون،
ثم انطلق إلى رحاب أوسع، فدرس النحو، وعلوم العربية على خاله أبى بكر بن إسماعيل
ابن شهاب الدين الشنوائى المتوفى سنة تسع عشرة بعد الألف ، ثم درس المنطق ،
وبقية علوم العربية ، وكتب المذهبين : الحنفى والشافعى .

وقرأ « الشفا » بتمامه على جمال الدين إبراهيم العلقمى المصرى، وأجاز به وبغيره
وله من المؤلفات : أمالى الشهاب الخفاجى . شرح الفرائض . حديقة السمير .
خبايا الزوايا فيما فى الرجال من البقايا . ديوان الأدب . ريحانة الألبا . شرح درة
الفواص . شفاء الفليل . نسيم الرياض فى شرح شفاء القاضى عياض . وهو كتابنا
الذى نقدمه لك .

وقال فى مقدمة شرحه (١) :

هذا ، وإن كتاب « الشفا » بتمريف حقوق المصطفى كتاب قدره جليل ، وهو
على جلالة مصنفه أدل دليل . . . فلما كنت قديما وحديثا يحثنى حادى الشوق نحوه
حديثا . . . وكان يصدنى عنه ما فى الباع من القصر ، وزمان لا يعرف فيه ورد من
صدر .

فلما رأيت له شروحا ربما تنشرح لها الصدور وإن لم تخل قصورها المشيدة من
قصور ، وفى بعضها أغاليط وتطويل ممل وتخليط ، إلا أن تتليد الناس لى صريح
ندائها ، والبحث قد أمّن على دعائها ؛ فسوّدت بعض الأمالى رجاء لأن يبيض بها
صحف أعمالى . . . ثم عرض لى بفتة ما عرض ، مما أضرّ بجوهر القوى من العرض ،
فقصدت شفاء الروح والبدن بإسناد الجسم الصحيح لحديثه الصحيح الحسن ، رجاء
الظفر بسعادة الدارين . . . وسميته نسيم الرياض فى شرح شفاء القاضى عياض .

(١) نسيم الرياض : ١-٢

ثم ذكر سنده في هذا الكتاب إلى القاضي عياض .

وقد طبع هذا الكتاب في أربعة مجلدات سنة ١٢٦٧ هـ ، سنة ١٣١٢ في استامبول ، وطبع في القاهرة بالمطبعة الأميرية في أربعة مجلدات أيضا سنة ١٣٢٥ هـ . وكان هذا الشرح نَبعا استقيتُ منه كثيرا من التعليقات ، مثبتا في كل ما نقلته عنه مرجعي هذا .

وهو شرح مستفيض لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وقف عندها ، وأفاض في بيانها .

وهو يترجم لكثير من الرجال ، ويشير إلى اختلاف النسخ ، ويخرج الأحاديث ، معتمدا على « مناهل الصفا » للسيوطي ، وسأعرفك به قريبا .

(ب) وثاني هذه الرواقد : شرح الملا علي القاري على هذا الكتاب (١٠١٤ هـ .

١٦٠٦ م) .

وهو علي بن محمد^(١) سلطان الهروي المعروف بالقاري ؛ وهو فقيه حنفي من صدور العلم في عصره . ولد بهراة . وسكن مكة ، وتوفي بها .

قيل : كان يكتب في كل عام مصحفا ، وعليه طرر من القراءات والتفسير فيبيعه فيسكفيه قوته من العام إلى العام .

وصنف كتباً كثيرة منها تفسير للقرآن في ثلاثة مجلدات ، والأثمار الجنية في أسماء الحنفية . وبداية السالك . وشرح مشكلات الموطأ ، وشرح الشائل ، وشرح الشفا ، وهو الذي تقدمه لك .

وهذا الشرح طبع في الأستانة سنة ١٣١٦ هـ في مجلدين كبيرين ، كما طبع في بولاق سنة ١٢٥٧ هـ وقال في مقدمته^(٢) :

أما بعد فيقول أفقر العباد إلى كرم ربه البساري علي بن سلطان محمد القاري :

(١) وورد اسمه على كثير من كتبه : علي بن سلطان .

(٢) شرح القاري : ١ - ٢

لما رأيت كتاب الشفاء في شمائل صاحب الاصطفاء ، أجمع ما صنف في بابيه مجملا في الاستيفاء ، لعدم إمكان الوصول إلى انتهاء الاستقصاء ، قصدتُ أن أخدمه بشرح يشرح بعض ما يتعلق به من تحقيق الإعراب والبناء ؛ رجاء أن أسلك في سلك مسالك العلماء يوم الجزاء ؛ فأقول ، وبالله التوفيق .

وهذا الشرح في نحو ١٥٠٠ صفحة من القطع الكبير ، وهو يفسر العبارات ، ويترجم للأعلام ، ويشير إلى اختلاف النسخ ، ويضبط - بالحروف - ما يحتاج إلى ضبط ؛ ولكن لا يهتم كثيرا بتخريج الأحاديث .
وعبارته واضحة مشرقة ، فيه هداية للقارىء وملجأ للباحث .

(ج) أما الثالث والأخير فهو كتاب « مناهل الصفا » للسيوطى ، وهو مطبوع طبع حجر سنة ١٢٧٦ هـ .

والسيوطى عبد الرحمن بن أبى بكر ، غنى عن التعريف ، فهو عالم ، فقيه ، مفسر ، مؤرخ ، لغوى ، له مؤلفات قيمة في فروع العلم . ولد بالقاهرة سنة ٨٤٩ هـ وتوفى بها سنة ٩١١ هـ .

* * *

ومن هذه الروافد الثلاثة وغيرها من كتب اللغة ، والأدب ، والتاريخ ، والحديث ، والتفسير^(١) ، قيدت تعليقاتى على الكتاب ؛ فكان في حلته الجديدة جامعا لزبدة ما في هذه الشروح ؛ مما يساعد على الإفادة من الكتاب .

* * *

وهأنذا أقدمه إلى القراء ، محققا تحقيقا فنيا أول مرة ، مع تعليقاته التى تشرح ألفاظه ، وتفسر عباراته ، وتوضح مراميه ، وتخرج آياته وأحاديثه وتكمل رواياته ، وتفصل إشارات ، مختما بفهارس فنية متنوعة تساعد على الرجوع إلى مسائله .

(١) ترى ذلك في الفهرس الخاص بمراجع الضبط والتعقيق والشرح في آخر الكتاب .

والله أسأل أن يجنبني الزلل ، ويوفقني إلى الصواب ، وينفع به بقدر ما قصدت
من خير ، وما أردت من نفع .

على محمد البجاوى

مصر الجديدة { غرة المحرم سنة ١٣٩٨ هـ
ديسمبر سنة ١٩٧٧ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

اللهم صل على محمد وآله وسلم .

قال الفقيه القاضي الإمام الحافظ أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (٢) رضى الله عنه: الحمد لله المتفرد (٣) باسمه الأسمى (٤)، المختص بالملك الأعز الأسمى (٥)، الذى ليس دونه منتهى، ولا وراءه مرعى (٦)، الظاهر لا تخيلاً ووثماً (٧)،

(١) فى ب : زيادة : وبه نستعين .

(٢) هو مؤلف الكتاب . وفوق كلمة « اليحصبي » فى ا : « معا » ، وضبطت بالحركات الثلاث . وقال القارى : اليحصبي بثلاث الصاد ، والفتح أخف ، وهو نسبة إلى يحصب بن مالك : قبيلة من حمير باليمن . وقال : لاشك أن هذا الإدخال من المقال صدر من بعض أرباب الكمال من تلاميذ المصنف ، أو من بعده .

(٣) فى ب : المنفرد . وهما بمعنى التوحيد الممتاز عن المشاركة .

(٤) الأسمى : الأعلى ؛ من السمو ؛ وهو العلو ، والارتقارح ؛ أى الممتاز عن المشاركة فى اسمه الأعلى .

(٥) الأعز : من العز والمنعة . والعز : حالة مانعة للإنسان عن أن يهان أو يقهر ويغلب . والأسمى : من حميته ، إذا صنته ؛ أى هو فى غاية المنعة ، ونهاية الحماية بحيث لا يقربه أحد أولاً وآخرًا .

(٦) أى ليس بعد الله لطالب مطلب ؛ لأن العقول وقفت ثمة ، فليس وراء الله ، ولا وراء معرفته ، والإيمان به - غاية تقصد . وأصل المرعى : الغرض الذى يرمى إليه ، وإليه ينتهى سهم الرامى ، وبه يحوز السبق ، كما أنه إلى الله تنتهى العقول ، وتقف ؛ فليس وراء معرفته والإيمان به مامتس ولا غاية يرمى إليها .

(٧) يعنى أن ظهوره تعالى - والظاهر الذى علم بالبصيرة ، أو الغالب - محقق مكشوف للعقول ، ويقين صادق عند من له بصيرة لقيام الأدلة القاطعة والبراهين البينة الدالة على وجوده ووحدانيته ، لا بحسب التخيل والوهم والظن . وفى ب : ولا وهما .

الباطن تَقَدُّسًا لَا عُدْمًا^(١) ، وَسِيعَ كُلِّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا^(٢) ، وَأَسْبَغَ
عَلَى أَوْلِيَائِهِ نِعْمًا عُمًّا^(٣) ، وَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، أَنْفُسَهُمْ عُرْبًا وَعُجْمًا^(٤) ،
وَأَزْكَاهُمْ تَحْتَدًّا وَمَنْمَى^(٥) ، وَأَرْجَحَهُمْ عَقْلًا وَحِامًا^(٦) ، وَأَوْفَرَهُمْ عِلْمًا وَفَهْمًا^(٧) ،
وَأَقْوَاهُمْ يَتِيمًا وَعَزَمًا ، وَأَشَدَّهُمْ بِهِمْ رَأْفَةً وَرُحْمَى^(٨) ، وَزَكَّاهُ رُوحًا وَجَسْمًا^(٩) ،

(١) الباطن : الذى لا يدرك بالأبصار إدراك إحاطة ؛ والمراد أنه ظاهر بكثرة الأدلة وقوتها
وبنعوت ذاته وأفعاله التى لا تخفى . باطن خفى عن إدراك كنه ذاته وحقيقة صفاته . والتقديس :
الطهارة والتزهد . أى لتزهد عن أن يحيط أحد بكنهه ، هذا إن أريد بالباطن الخفى عن
البصر فى الدنيا . والعدم : الفقد .

(٢) وسع كل شىء رحمة وعلما : أى أحاط بكل شىء برحمته وعلمه ؛ فإن كل شىء لا يستغنى
عن رحمته إيجابا وإمدادا ، وعلمه شامل للجزئيات والكلديات .
(٣) وأسبغ : أتم وأكمل . والأولياء : جمع ولى . عما : جمع عميمة ، أى عامة ،
شاملة تامة .

(٤) أنفسهم - بضم الفاء : جمع نفس . والمراد أنه من جنس البشر ؛ وإنما امتاز عنهم
بالرسالة والخصائص المودعة التى أهله الله تعالى بها لأن يكون أهلا لأمانته . وأنفسهم - بفتح
الفاء : من النفاسة ، ونفس - بضم الفاء : صار مرغوبا فيه ؛ فهو نفيس عظيم فى النفوس يحرص
عليه . وقيل الأنفس الأعلى والأشرف ، والأفضل .

(٥) أزكاهم : أكثرهم وأظهرهم . والمحمد : الأصل . منمى : نسبا أو نموا وزيادة ،
وارتقاء . والمراد أنه صلى الله عليه وسلم أشرف العرب والمعجم ، وأعظمهم نسبا ، وحسبه ونسبه
الذى انتهى إليه أزكى وأشرف من جميع الأنساب .

(٦) أرجحهم : رجحان العقل : زيادته . والحلم : قوة توجب الصبر على الأذى ، وضبط
النفس عن هيجان الغضب .

(٧) وأوفرهم : أكثرهم وأتمهم .

(٨) فى ا ، ب : ورجمى - مقصور . والرحم ، والرحمى : الرحمة ، والعطف ، والشفقة
وهو تميم بعد تخصيص .

(٩) زكاه : التزكية : التطهير ، والزيادة ؛ أى خلقه الله زائدا على من سواه ، منزها عن
دنس البشرية ، وجعله فى أكمل تقويم وأحسن صورة .

وحاشاهُ عَيْباً وَوَصْماً^(١) ؛ وآتاهُ حِكْمَةً وَحُكْمًا^(٢) ، وفتح به أعينا عُمياً ، وقلوبا غُلْفًا^(٣) ، وآذانا صُماً ؛ فأمن به وعزَّره^(٤) ، ونصره مَنْ جعل اللهُ له في مَنِّمِ السَّعَادَةِ قِسْمًا^(٥) ، وكذَّب به وصدَّفَ عن آياته مَنْ كتب اللهُ عليه الشَّقَاءَ حَتْمًا^(٦) ، وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى^(٧) . صلى اللهُ عليه وسلم صلاةً تَنَمُّو وتَنَمَّى^(٨) ، وعلى آله وسلم تسليماً [كثيراً]^(٩) .

أما بَعْدُ أَشْرَقَ اللهُ قَلْبِي وَقَلْبِكَ بِأَنْوَارِ الْيَتِيمِ ، وَلَطَفَ لِي وَلَكَ بِمَا لَطَفَ لِأَوْلِيَاءِهِ الْمَتَّعِينَ ، الَّذِينَ شَرَّفَهُمُ اللهُ بِنُزُلِ قُدْسِهِ^(١٠) ، وَأَوْحَشَهُمْ مِنَ الْخَلِيقَةِ بِأَنْسِهِ^(١١) ،

- (١) حاشاه : جنبه ، ونزعه ، وبرأه . والوصم : كل عيب ، وعار .
 (٢) آتاه : أعطاه . والحكمة : العدل ، والنبوة ، والسلام الحق . وحكما : قضاء وفصلا للأموال على الحق .
 (٣) غلفا : جمع أغلف ؛ أى مغطى . ومعناه أن قلوبهم كانت محجوبة عن الهداية ، فأزال النبي صلى الله عليه وسلم حجابها ، وكشف غطاءها حتى اهتدت .
 (٤) عزَّره : وقره ، وعظمه ، وأعاناه .
 (٥) مَنِّم : بمعنى النعم والغنيمة ، وهى ما يفتنم من كل شيء . قسما : حظا ونصيبا .
 (٦) صدَّفَ عن آياته : أعرض عن تدبير علامات نبوته .
 (٧) في هذه : في الدنيا . قال القارى : والمعنى : من كان في الدنيا لا يبصر طريق هدايته لا يرى في العقبى سبيل عنايته .
 (٨) تنمو : تزيد : وتنمى : ترفع . وفى ب . وتنمى - بالبناء للمجهول ، من الإنماء ؛ أى ويزيدها الله ، أو يزيد ثوابها أبدا ، والمعنى تزيد فى نفسها أو يزداد فيها .
 (٩) من ب . قال القارى (٨) : وهو مغل بالسيجج المرعى فى الفواصل .
 (١٠) النزى - بضم تين ، ويسكن الثانى فيها (وهما بالسكون فى ا ، ب) : الفضل والكرامة . والقدس : من أسماء الله تعالى ، بمعنى المنزه عما لا يليق به . والمنزل والنزل : ما يهيا للضيف من الكرامة ، والمبارك . وقدس الله : الجنة ؛ أى شرفهم بإكرامه لهم فى جنته ؛ أى بإسكانه إياهم فيها ؛ وخصهم بتشريفه ، وعلو منازلهم ، وتطهيره لهم عن النقائص .
 (١١) أوحشهم : جعلهم فى وحشة ونفرة عما لا يلائم . والخليقة : الخلق . والأنس : ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة . يعنى أن أنسهم بالله واستغراقهم فى مشاهدته تبعدهم عن سواه .

وخصّهم من معرفته ومشاهدة [٢] عجائب ملكوته وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم
حبرة ، وولّه عقولهم ^(١) في عظّمته ^(٢) حيرة ؛ فجعلوا همهم به واحداً ^(٣) ، ولم يروا
في الدارين غيره [مشاهدا] ^(٤) ؛ فهم بمشاهدة جماله وجلاله ^(٥) يتنعمون ، وبين
آثار قدرته وعجائب عظّمته يترددون ، وبالانتطاع إليه أو التوكل عليه يتعزّزون ^(٦) ،
لهجين ^(٧) بصادق قوله ^(٨) : ﴿ قُلِ اللَّهُ ، ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ ^(٩) .

فإنك ^(١٠) كرّرت على السؤال في مجموع ^(١١) يتضمّن التعريف بقدر المصطفى عليه
[الصلاة] ^(١٢) والسلام ، وما يجب له من توقير ^(١٣) وإكرام ، وما حكم من لم يوفّ

(١) حبرة : مسرة . والوله : الحزن أو ذهاب العقل ؛ أي جماعها والهة متحيرة بتدبرها
وتفكرها في عظّمته . (٢) في ب : من عظّمته .

(٣) الهم : العزيمة ، والإرادة ، والقصد ، وكل مطلوب يهتك ويعنيك . والمراد أنهم
لما شاهدوا باهر قدرته تحيرت عقولهم في كبرياء عظّمته ، وعلموا أن ماسواه كالأشياء ، فوجهوا
جميع وجوه الإرادة والعزيمة إليه ، وجعلوا قبلتهم واحدة ؛ فلا مراد لهم سواه ، لاشتغالهم
به عما عداه .

(٤) ليس في ١ . قال القاري : لعل بعض أرباب النسخ استنكر لفظ « مشاهدا » فأسقطه
مع أنه لا يتم بدونه التسجيع .

(٥) في ب : كماله . والجلال : العظمة ؛ يعني أنهم يشاهدون جمال ربهم ، وأنوار ذاته
بعيون البصائر في الآخرة ، فيكونون بذلك في أعينهم .

(٦) يتعزّزون : التعزز : تفعل من العز ، ضد الذل ، ويكون بمعنى القوة .
قال القاري : وفيه إشارة لطيفة إلى أنهم إلى غيره لا يتذلّلون ، لأنهم بما آتاهم الله تعالى

يرضون ويتنعمون . (٧) لهجين : ملازمين مداومين ، مولعين ، متمسكين .

(٨) سورة الأنعام ، آية ٩١

(٩) يعني أن هؤلاء المخاصين لله المختصين به الذين شنلوا ظاهرهم وباطنهم بحبته ، وردهم
دائماً ذكر الله والإعراض هما سواه ، متمثلين بهذه الآية .

(١٠) فإنك جواب « أما » في : « أما بعد » التي سبقت .

(١١) مجموع : كتاب يجمع فيه صنّف من الشبائل النبوية ، ومؤلف اجتمع فيه نوع من

الفضائل المصطفوية . (١٢) ليس في ب . (١٣) توقير : تعظيم ، واحترام .

واجب^(١) عظيم ذلك القدر ، أو قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر^(٢) ؛ وأن أجمع لك ما لأسلافنا وأئمتنا في ذلك من مقال ، وأبينه^(٣) بتزيب صور وأمثال .

فاعلم - أكرمك الله - أنك حملتني من ذلك أمراً^(٤) إمرأ^(٤) ، وأرهقتني فيما ندبتني إليه عسراً^(٥) ، وأرقتني بما كلفتني مرئى^(٦) صعباً ، ملأ قلبي رعباً^(٦) ؛ فإن الكلام في ذلك يستدعي تقرير أصولٍ وتحرير فصول ، والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق^(٧) ، مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم ويضاف إليه ، أو يمتنع أو يجوز عليه ، ومعرفة النبي والرسول ، والرّسالة والنبوة ، والمحبة والخلة^(٨) ، وخصائص هذه الدرجة العلية ، وما هنا مهامه فيح تحار فيها القطأ ، وتقصربها الخطأ^(٩) ؛

(١) في ب : يوف - بتخفيف الفاء . ويوف : يتم ويكمل .

(٢) قلامة ظفر : تقصيراً قليلاً بتقدير قلامة الظفر . والظفر للإنسان معروف . والقلامة : ما قطع منه . وقلامة الظفر كناية عن القلة والحقارة .

(٣) بتزيب صور : بتصوير صور وأمثال ، وتقرير محامل يزول به الإشكال ، إيضاحاً للمعنى ، وإيضاحاً إلى الذهن في المبني .

(٤) إمرأ : عظيماً ، أو عجبياً ، أو شاقاً ؛ أي كلفتني أمراً عظيماً ؛ أو عجبياً طاب به مني ؛ لأنني لست بأهل له ؛ وفيه تواضع وهضم لنفسه .

(٥) الإرهاق : تكليف ما لا يطاق . ندبتني إليه : طلبته مني ودعوتني إليه . عسراً : أمراً عسيراً . (٦) رعباً : خوفاً وفزعاً .

(٧) في ب : والكشف عن دقائق غوامض من علم الحقائق .

(٨) الخلة : الصداقة (القاموس) .

(٩) مهامه : جمع مهمه ؛ وهو القفر والمفازة البعيدة . فيح : جمع أفيح أو فيحاء ، وهي الأرض الواسعة . والقطأ : جمع قطاة ، طائر ؛ وتوصف بسرعة الطيران والاهتداء في الظلمات والتبكير . ويضرب بها المثل فيقال : أهدى من القطأ . والمعنى أن هذه المهامه معسرتها وكونها لا يعلمها سالكها ، أو لكونها وعرة ذات شوك وصخور تمنع الماشي فيها من مد الخطأ . والمراد صعوبة ما كلف به . وفي أ : وتقصر - بالبناء للمجهول .

وَمَجَاهِلٌ تَضِلُّ فِيهَا الْأَحْلَامُ^(١) إِنْ لَمْ تَهْتَدِ بِعِلْمٍ وَعِلْمٌ وَنَظَرٌ سَدِيدٌ؛ وَمَدَاحِضٌ تَزَلُّ^(٢) بِهَا الْأَقْدَامُ^(٣) إِنْ لَمْ تَعْتَمِدْ عَلَى تَوْفِيقٍ مِنَ اللَّهِ وَتَأْيِيدٍ .

لكنني لما رجوتُه لي ولك في هذا السوءِ الـ والجوابِ من نَوَالٍ وثوابٍ^(٣) ،
بتعريف قدره الجسيم ، وخلقته العظيم ، وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق ،
وما يدانُ اللهُ تعالى^(٤) به من حقه الذي هو أرفعُ الحقوقِ ، ليستيقن^(٥) الذين
أوتوا الكتاب ، ويزدادَ الذين آمنوا إيماناً ، ولما أخذ اللهُ تعالى على^(٦) الذين أوتوا
الكتاب ليبيِّنَنَّه للناس ولا يكتُمونه ؛ ولما حدثنا به أبو^(٧) الوليد هشام بن أحمد
النفية بقراءتي عليه ؛ قال : حدثنا الحسين بن محمد ، حدثنا أبو عمر النمرى^(٨)
حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن^(٩) ، حدثنا أبو بكر محمد^(١٠) بن بكر ، حدثنا سليمان

(١) تضل بها الأحلام : تضل : لاهتدى . والأحلام : العقول .

(٢) مداحض : مزلق . تزل : تزلق .

(٣) النوال : العطاء . والثواب : الجزاء . (٤) يدان الله : يعبد ويطاع .

(٥) استيقن : علم علماً محققاً لاشبهة فيه . أى يتيقن أهل الكتاب حقيقة رسالته ، ويزداد

إيمان المؤمنين من أمته بتحقيق ماله صلى الله عليه وسلم من الحماد . والمراد بأهل الكتاب :

اليهود والنصارى . والكتاب : التوراة والإنجيل . وغيرهما من الكتب السماوية .

(٦) كانت مكتوبة في ا : ولما أخذ اللهُ تعالى ميثاق الذين ... وكتب أمامها في الهامش :

على الذين ، وعليها علامة الصحة .

(٧) هو الإمام القرطبي الزاهد المحدث المعروف بابن العواد ، أحد شيوخ المصنف ، وتوفي

بقرطبة سنة تسع وخمسة . وفي شرح القارى : وهو هشام بن أحمد بن هشام ، يعرف بابن

بقوة ؛ وهو إمام حافظ ، وشيخ من شيوخه الذين اعتمد على النقل عنهم في هذا الكتاب وغيره .

(٨) هو ابن عبد البر صاحب الاستيعاب وغيره من الكتب الجليلة . وهو يوسف بن عبد الله

ابن محمد بن عبد البر بن عامر النمرى القرطبي الأندلسي . توفي سنة ٤٦٣ هـ .

(٩) من شيوخ ابن عبد البر . وفي ب : أخبرنا - بدل حدثنا . واسمه : عبد الله بن محمد

ابن عبد المؤمن . وله ترجمة في الميزان (٢ - ٤٩٨) .

(١٠) هو ابن داسة ، من مشايخ الحديث المشهورين . وهو أحد رواة سنن أبي داود عنه .

ابن الأشعث^(۱) ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد^(۲) ، حدثنا علي بن الحكم ،
 عن عطاء^(۳) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 مَنْ سَأَلَ عَنِ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ^(۴) أَجَلَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(۵) .
 فَبَادَرَتْ إِلَى نُكْتٍ مُسْفِرَةٍ عَنْ وَجْهِ الْغَرَضِ ، مُؤَدِّيَا مِنْ ذَلِكَ الْحَقِّ
 الْمَفْتَرَضِ^(۶) ، اخْتَلَسْتُهَا عَلَى اسْتَعْجَالِ^(۷) ، لَمَّا الْمَرَّةُ بِصَدَدِهِ مِنْ شُغْلِ الْبَدَنِ وَالْبَالِ ،
 بِمَا^(۸) طُورَقَهُ مِنْ مَقَالِيدِ الْمِحْنَةِ الَّتِي ابْتَلَى بِهَا ، فَكَادَتْ تَشْغَلُ عَنْ كُلِّ فَرَضٍ وَنَقْلِ ،
 وَتَرُدُّ بَعْدَ حُسْنِ التَّقْوِيمِ إِلَى أَسْفَلِ سُفْلِ^(۹) ؛ وَلَوْ أَرَادَ اللهُ بِالْإِنْسَانِ خَيْرًا لَجَعَلَ شُغْلَهُ
 وَهَمَّهُ كَهَمًا فِيمَا يُحْمَدُ غَدًا أَوْ يُذَمُّ مَحَلَّهُ^(۱۰) ؛ فَلَيْسَ شَيْءٌ سِوَى حَضْرَةِ النَّعِيمِ^(۱۱) ، أَوْ عَذَابِ

(۱) في ب : ابن أشعث . وهو صاحب سنن أبي داود . مات سنة ۲۷۵ هـ .

(۲) هو حماد بن سلمة بن دينار ، أحد الأعلام ، توفي سنة ۱۶۷ هـ . وله ترجمة في

الميزان : (۱ - ۵۹۰) . (۳) هو عطاء بن أبي رباح ، أو ابن يسار .

(۴) في ب : وكتمه . وفي الترمذي : ثم كتمه .

(۵) المراد بالعلم التواعد على كتمه ما يلزم تعليمه ويتعين ؛ كتعليم حديث عهد بإسلام

ما يتعلق بالصلاة ، ومستفت في الحلال والحرام . والحديث في سنن الترمذي : ۵ - ۲۹ . وسنن

أبي داود : ۲ - ۸۲

(۶) نكت : جمع نكته ، وهي المعنى الدقيق النادر ، والكلام القليل الحسن . مسفرة :

مضيئة وكاشفة . وفي ب : مسفرة ، وأمامها في الهامش : سافرة ، وعليها علامة الصحة .

والمفترض : اللازم .

(۷) الاختلاس : اختطاف الشيء بسرعة .

(۸) في ب : مما ، والمراد ما كلفه ولزمه من الأمور الشاغلة ، ومنه تقليد الأعمال الساطانية ،

من الأمور الدنيوية .

(۹) أي تعدل بي عن الطريق المستقيم المستبين إلى أسفل سافلين .

(۱۰) شغله : ما يشغل به نفسه من أفعاله وأقواله . وهمه : ما يهتم به ويعتني به . محله :

مكانه . والحاء تفتح وتسكّر فيها .

(۱۱) النعيم : الجنة . وحضرته ، حضوره .

الجحيم، وكان عليه نحوَيْصته، واستنقأزٍ مُهْجته^(١) وعملٍ صالحٍ يستزیده، وعلمٍ نافعٍ يُفیده أو يستفیده.

جَبَر اللهُ صَدْعَ قُلُوبِنَا^(٢)، وَغَفَرَ عَظِيمَ ذُنُوبِنَا، وَجَعَلَ جَمِيعَ [٣] اسْتِعْدَادِنَا لِمَعَادِنَا، وَتَوَفَّرَ دَوَاعِينَا فِيمَا يُنْجِينَا وَيَقَرُّ بِنَا إِلَيْهِ زُلْفَى^(٣)، وَيُحْظِنَا بِمَنَّةٍ [وَكْرَمَةٍ]^(٤) وَرَحْمَتِهِ.

ولما نوبتُ تَقَرُّبِهِ^(٥)، وَدَرَجَتُ تَبْوِيْبِهِ^(٦)، وَمَهَّدتُ تَأْصِيلَهُ^(٧)، وَخَلَّصتُ^(٨) تَفْصِيلَهُ، وَانْتَحَيْتُ حَضْرَهُ وَتَحْصِيلَهُ، تَرْجَمُهُ^(٩) بـ «الشِّفَا بِتَعْرِيفِ حَقُوقِ الْمُصْطَفَى»؛ وَحَصَرْتُ الْكَلَامَ فِيهِ فِي أَقْسَامٍ أَرْبَعَةٍ :

التَّسْمِ الْأَوَّلِ - فِي تَعْظِيمِ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى لِقَدْرِ هَذَا النَّبِيِّ قَوْلًا وَفِعْلًا، وَتَوَجُّهِ الْكَلَامِ فِيهِ فِي أَرْبَعَةِ أَبْوَابٍ :

الباب الأول : فِي ثَنَائِهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَإِظْهَارِهِ عَظِيمَ قَدْرِهِ^(١٠) لَدَيْهِ ؛ وَفِيهِ عَشْرَةٌ فُصُولٌ .

(١) خويصته : نفسه . والمهجة : الروح .

(٢) الجبر : إصلاح ما انكسر . والصدع : الشق .

(٣) زلفى : قربا ، أو تقريبا ، كاملا . (٤) من ب .

(٥) تحت « نوبت تقريبه » في ب : أى للأفهام .

(٦) تحت كلمة : « درجت تبويبه » أدنيت . والمراد أنه جعل تبويبه مرتبا ومدرجا ، درجة درجة في التأليف .

(٧) ومهدت تأصيله : التأصيل : ذكر القواعد والأصول . يعنى أنه ذكر فيه قواعد وأدلة تنبئ عليها مشاكل أبوابه . وتحت كلمة « تأصيله » ؛ أى ذكرت أصوله .

(٨) في ب : وخلصت .

(٩) المراد سميته .

(١٠) الثناء : الوصف بالجميل . وقدر الشيء : مقداره وشرف رتبته .

الباب الثاني: في تكميه تعالى له المحاسن خلقتا وخلقا، وقرآنه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا^(۱)؛ وفيه سبعة وعشرون فصلا.

الباب الثالث: فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها [۴] بعظيم قدره عند ربه ومنزلته، وما خصه به في الدارين من كرامته^(۲)؛ وفيه اثنا عشر فصلا^(۳).

الباب الرابع: فيما أظهره الله تعالى على يديه من الآيات والمعجزات^(۴)، وشرّفه به من الخصائص والكرامات؛ وفيه ثلاثون فصلا^(۵).

القسم الثاني - فيما يجب على الأنام^(۶) من حقوقه عليه السلام، ويترتب القول فيه في أربعة أبواب:

الباب الأول: في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته؛ وفيه خمسة^(۷) فصول.

الباب الثاني: في لزوم محبته ومناصحته^(۸)؛ وفيه ستة فصول^(۹).

الباب الثالث: في تعظيم أمره ولزوم توقيره وبره؛ وفيه سبعة^(۱۰) فصول.

(۱) قرآنه: جمعه. نسقا: المراد أنه جمعها على وجه متناسب يأخذ بعضه بحجز بعض.

(۲) من كرامته: أي مما فيه تكريم وتبجيل له.

(۳) في هذا الباب خمسة عشر فصلا، كما سيأتي. وقال انقاري: (۱- ۲۲) هكذا في كل النسخ التي عليها الرواية والتصحيح والمقابلة، والذي في هذا الباب من الفصول خمسة عشر، ولمه أراد بالاثني عشر فصولا مهمة وزيادة الثلاثة مكملة ومتممة.

(۴) الآيات: جمع آية، وهي العلامة الدالة على نبوته؛ والآية والمعجزة يشتركان في الدلالة على صدقه، غير أن المعجزة تخص بالتحدي.

(۵) هي تسعة وعشرون فصلا، كما يأتي.

(۶) الأنام: الخلق، أو الإنس والجن.

(۷) هي أربعة، كما سيأتي.

(۸) المناصحة: إرادة الخير للغير، وإرشاده له.

(۹) هي خمسة كما سيأتي. (۱۰) هي ستة كما سيأتي.

الباب الرابع: في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته ؛ وفيه عشرة فصول (١) .

القسم الثالث - فيما يستحيل (٢) في حقه ، وما يجوزُ عليه شرعا ، وما يمتنعُ ويصحُّ من الأمور البشريَّة أن يضاف (٣) إليه .

وهذا القسم - أكرمك الله - هو سِرُّ الكِتَاب ، ولُبَابُ ثَمَرَةِ (٤) هذه الأبواب ، وما قبله له كالتواعد والتمهيدات والدلائل على ما نُورِدُه فيه من النَّكَاتِ البَيِّنَات ، وهو الحاكم على ما بعده ، والمُنْجِزُ مِنْ غَرَضِ هذا التَّأْلِيفِ وَعَدَه ، وعند التَّقْصِي لِوَعْدَتِهِ ، والتَّقْصِي عن عهدته (٥) ، يَشْرِقُ صَدْرُ العَدُوِّ اللَّعِينِ (٦) ، وَيُشْرِقُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بِالْيَقِينِ ، وتَمَلُّأُ أَنْوَارُهُ جَوَانِحُ (٧) صَدْرِهِ وَيَقْدُرُ العَاقِلُ النَّبِيَّ حَقَّ قَدْرِهِ (٨) . ويتحرَّرُ الكَلَامُ فِيهِ فِي بَابَيْنِ [٥] :

الباب الأول : فيما يختصُّ بالأُمُورِ الدِّينِيَّةِ ، وَيَتَشَبَّهُ بِه القَوْلُ فِي العَصْمَةِ (٩) ؛ وفيه ستة عشر فصلاً .

-
- (١) هي تسعة كما سيأتي . (٢) يستحيل : يمتنع امتناعاً قوياً حتى يلحق بالحال عقلاً .
(٣) يضاف إليه : ينسب إليه . (٤) لباب كل شيء : خالصة .
(٥) التقصي : الاستقصاء ؛ وهو بلوغ أقصى الشيء وغايته . وقال الشهاب : أو هي التقضي - بالضاد المعجمة ، من تقضي الأمر : إذا تم . والتقضي : الخروج والتخلص .
(٦) يشرق : أصل معناه وقوف الشراب ونحوه في الحلق ، والمراد يتألم ويفتاض . والمراد بالعدو اللعين : إبليس ، أو جنس العدو .
(٧) جوانح صدره : الجوانح : جمع جانحة ، وهي الضلوع التي تلي الصدر تحت الترائب .
(٨) يقدره : يعرف مقداره ، ويتصور عظيم مقامه .
(٩) ويتشبهت : يتعلق . والعصمة : منع الله عبده عن جميع ما لا يرضاه من الذنوب بمجرد حفظ الله له ، أو بخلق الله له صفة نفسانية تمنعه من ارتكابها . والعصمة أيضاً تكون بمعنى صونه عن أذية أعدائه بحيث لا يقدرُون عليها .

الباب الثاني : في أحواله الدنيوية، وما يجوز طرؤه عليه من الأعراض البشرية^(۱)؛
وفيه تسعة فصول^(۲).

القسم الرابع - في تصرف وجوه الأحكام على من تنقصه أو سببه^(۳) صلى الله
عليه وسلم، وينقسم الكلام فيه في باين :

الباب الأول : في بيان ما هو في حقه سب ونقص ؛ من تعريض ، أو نص ؛
وفيه^(۴) عشرة فصول .

الباب الثاني : في حكم شأنه ومؤذيه ومُتنقصه وعقوبته^(۵) ، وذكر استنابته،
والصلاة عليه ، ووراثته ؛ وفيه عشرة فصول .

وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة [٥] ، ووُصِّفَ للباين الذين قبله
في حكم من سب الله تعالى ورُسله وملائكته وكتبه ؛ وآل النبي صلى الله عليه وسلم
وصحبه .

واختصر الكلام فيه في خمسة^(۶) فصول، وبتمامها ينتجز^(۷) الكتاب ، وتم
الأقسام والأبواب ، وتلوح في غرة الإيمان أمة منيرة^(۸) ، وفي تاج التراجم درة

(۱) طرؤه : عروضه وحدوثه . الأعراض : جمع عرض ؛ وهو ما يعرض له من الأمور
البشرية .

(۲) هي ثمانية ، لاسمة ، كما سيأتي .

(۳) تنقصه : نسب النقص إليه . والسب : الشتم . (۴) هي تسعة كما سيأتي .

(۵) الشانيء : المبغض . وتنقصه : أتى بما فيه نقص لكمال قدره من قول أو فعل .

(۶) سيأتي أنها عشرة . (۷) ينتجز : يتم ويكمل .

(۸) يلوح : يظهر . والغرة في الأصل : بياض في جبهة الفرس ، واللجنة : من لمع الشيء ؛

أضاء . والمراد أنه إذا تم ما في كتابه وانتقش في صحائف الأذهان ازداد نور الإيمان ؛ لأن
الإيمان بالله ورسوله عليهم الصلاة والسلام إذا قرن بتعظيم هذا النبي الكريم ومحبته والعلم بما
تؤدي إليه مخالفته من النكال أوصل صاحبه لأعلى عليين .

خطيرة، تزيح كل لبس^(۱)، وتوضح كل تخمين وحدث^(۲)، وتشفي صدور قوم مؤمنين، وتصدع بالحق^(۳)، وتعرض عن الجاهلين؛ وبالله تعالى لا إله سواه - أستعين .

القسم الأول

في تعظيم العليّ الأعلى لقدّر هذا^(۴) النبيّ
قولا وفعلا

قال [الفتية]^(۵) القاضي الإمام أبو الفضل رضي الله عنه :
لا خفاء على من مارس شيئا من العلم^(۶)، أو خص بأدنى لمحة من فهم^(۷)،
بتعظيم الله تعالى قدّر نبينا عليه [الصلاة و]^(۸) السلام، وخصوصه^(۹) إياه بنضائل

(۱) تزيح : تزيل . واللبس : الخاط ، والاشتباه .

(۲) للتخمين والحدس : التخمين : قول من غير تحقيق . والحدس : قول صادر عن ظن ووهم .

(۳) تصدع بالحق : تبهر بما يدل على الحق .

(۴) في ب : لقدّر النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا . والمثبت في ا .
قال الحفاجي : في هذا الفصل ثناء الله ومدحه لنبيه صلى الله عليه وسلم لئلا يكونه أنفس الناس ذاتا وحسبا ونسبا ، وكونه خيرا ورحمة عامة في حياته ومماته ، وكونه نورا محضا للعالم ، وكونه ذا صدر واسع منشرح ، ورفعة قدره واسمه بمقارنته لاسم ربه وذكره ، وأنه الصراط المستقيم .
(۵) من ب . وقال في نسيم الرياض : ما وقع في النسخ من مثل هذا وما شابهه ، من قوله :
الإمام - من تلامذته النساخ ؛ لأنه لا يمدح نفسه . وقال القاري : فيه إشعار بأنه من كلام غيره .

(۶) مارس : عالج ، ولازم ، وزاول .

(۷) لمحة من فهم : شيء قليل من الفهم . (۸) من ب .

(۹) وخصوصه إياه : وتخصيصه .

ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام^(۱)، وتنويه^(۲) من عظيم^(۳) قدره بما تكلُّ عنه
الألسنة والأقلام :

فمنها ما صرَّح به تعالى في كتابه، ونبه به على جليل نصابه^(۴)، وأثنى عليه
من أخلاقه وآدابه، وحضَّ العباد على التزامه^(۵)، وتقدير إيجابه؛ فكان جلَّ جلاله
هو الذي تفضَّل وأولى^(۶)، ثم طهر وزكَّى، ثم مدح بذلك وأثنى، ثم أثاب عليه
الجزاء الأوفى^(۷)، فله الفضلُ بدءاً [۶] وعوداً^(۸)، والحمد أولى وأخرى^(۹).
ومنها ما أبرزه^(۱۰) للعيان من خلقه على أتم وجوه الكمال والجلال، وتخصيصه
بالمحاسن الجميلة، والأخلاق الحميدة، والمذاهب الكريمة^(۱۱)، والفضائل العديدة؛ وتأيدته

(۱) لزمام : لضابط يريد ضبطها ، ويقصد ربطها ، ويجتهد في إحصائها .

(۲) ينويه : نوهت باسمه ؛ إذا رفعت ذكره وأشعته تعظيمه .

(۳) في ب : بعظيم قدره .

(۴) النصاب والمنصب : العلو والرفعة والشرف ؛ أي إن الله جل وعلا بذكره له صلى الله

عليه وسلم في كتابه المنزل نبه على جليل قدره ورفعته وشرفه .

(۵) الحض : الحث والطلب الشديد السريع .

(۶) أولى : أعطى . أو أنعم عليه بما علم المولى بأنه الأولى .

(۷) الأوفى : التام الكامل .

(۸) بدءاً وعوداً ؛ البدء : الابتداء . والعود : الرجوع ؛ أي أولاً وآخراً .

(۹) أولى وأخرى : أي هو مستحق للحمد في أول الأمر وآخره . أو في الدنيا والآخرة .

(۱۰) ما أبرزه : ما أظهره ظهوراً تاماً . والعيان - بكسر العين : المعاينة . وفي ب : كتب

تحتها بكسر العين .

(۱۱) المذاهب : جمع مذهب ، وهو الطريق ، ويطلق على ما اختير من الأفعال وغيرها،

كما يقال مذهب الفقهاء . والمراد مسالكه صلى الله عليه وسلم في أحواله مع أمته أو في نفسه .

بالمعجزات الباهرة^(١) ، والبراهين الواضحة ، والكرامات البيّنة^(٢) التي شاهدناها من عاصره ، وراها من أدركه ، وعامها علم يقين من جاء بعده ، حتى انتهى علم حقيقة ذلك إلينا ، وقاضت أنواره علينا ، صلى الله عليه وسلم كثيرا .

حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الحسين بن محمد الحافظ ، رحمه الله ، قراءة مني عليه^(٣) ؛ قال : أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار ، وأبو الفضل أحمد بن خيرون ؛ قال : حدثنا أبو يعلى البغدادي ؛ قال : حدثنا أبو علي السنجبي ؛ قال : حدثنا محمد ابن أحمد بن محبوب ، قال : حدثنا أبو عيسى بن سورة الحافظ^(٤) ؛ قال : حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا ميمون ، عن قتادة ، عن أنس - أن^(٥) النبي صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق^(٦) ليلة أُسرى به مُلجماً مُسرجاً^(٧) ، فاستصعب عليه^(٨) ؛ فقال له جبريل : أيا محمد تفعل هذا ؟ فما ركبك أحدٌ أكرم على الله منه . قال : فارتفض عرقاً^(٩) .

(١) الباهرة : العجيبة ، أو الظاهرة ظهوراً لا يمكن ستره ، أو الفاتحة الغالبة القاهرة .

(٢) الكرامات : جمع كرامة ، وهي أمر أكرم الله به من اصطفاه من عباده المتقين بدون تحذ ودعوى نبوة ؛ فيكون للنبي وللولي ، وأعم من المعجزة لاشتراط مقارنة النبوة والتحدى فيها . والبيّنة : الظاهرة .

(٣) هو شيخ المصنف قرأ عليه بالأندلس . وهو المعروف بابن سكرة ، استشهد بغير الأندلس سنة أربع عشرة وخمسة ، وكان من أهل الحديث .

(٤) هو الترمذي ، صاحب الجامع الصحيح .

(٥) في نسيم الرياض : وهذا حديث حسن مسند في الترمذي وغيره (سنن الترمذي : ٥ - ١٠٠٣) .

(٦) البراق : دابة فوق الحمار ودون البغل ، سمي به لشدة سرعته .

(٧) ملجماً مسرجاً : مهياً للركوب بسرجه ولجامه . وفي ب ضبطت الجيم والراء بالكسرة .

(٨) فاستصعب عليه ؛ صعب ، أي إنه صلى الله عليه وسلم لما أراد ركوبه لم يقر حتى يركبه ،

أي امتنع وأبى أن يركب بسهولة .

(٩) فارتفض عرقاً : سال وتصبب عرقه .

البَابُ الْأَوَّلُ

في ثناء الله تعالى عليه وإظهاره عظيم قدره لديه
اعلم أن في كتاب الله العزيز آيات كثيرة مفصحة^(١) يجميل ذكر المصطفى ،
وعدّ محاسنه ، وتعظيم أمره ، وتنويه قدره^(٢) ، اعتمدنا منها على ما ظهر معناه ، وبان
فجّواه ، وجمعنا ذلك في عشرة فصول :

الفِصْلُ الْأَوَّلُ

فما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن ؛ كقوله تعالى^(٣) : ﴿ لَقَدْ
جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ .
قال السمرقندي^(٤) [٦] : وقرأ بعضهم : من أنفسكم - بفتح الفاء . وقراءة
الجمهور بالضم .

قال^(٥) القاضي الإمام أبو الفضل - [وفقه الله]^(٦) : أعلم الله تعالى المؤمنين ،
أو العرب ، أو أهل مكة ، أو جميع الناس ، على اختلاف المفسرين : من الواجّه بهذا

(١) مفصحة : دالة كاشفة ، مبينة .

(٢) وتنويه قدره : أي رفعة شأنه بإشاعته على وجه التعميم والتكريم .

(٣) سورة التوبة ، آية ١٢٨ . رسول من أنفسكم : من جنسكم البشري ، ومن قبيلكم
العربي . عزيز عليه ما عنتم : شديد شاق عليه عنتم وتعبكم ووقوعكم في العذاب . حريص
عليكم أن تؤمنوا .

(٤) السمرقندي : نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه المحدث المفسر .
وسياتي في مواضع من كتاب الشفاء حيث يروى عنه القاضي بواسطة واحدة .

(٥) هو المؤلف . وانظرها مشرق رقم ٢ صفحة ٢ .

(٦) ليس في ب .

الخطاب^(١) أنه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفونه^(٢)، ويتحققون مكانه^(٣)، ويعلمون صدقه وأمانته؛ فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم، لكونه منهم، وأنه لم تكن في العرب قبيلة^(٤) إلا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة أو قرابة^(٥)، [وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى^(٥): ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾] ^(٦)؛ وكونه من أشرفهم، وأرفعهم، وأفضلهم، على قراءة الفتح^(٧)؛ وهذه نهاية المدح؛ ثم وصفه بعد بأوصاف حميدة، وأثنى عليه بمحامد^(٨) كثيرة؛ من حرصه على هدايتهم ورشدهم وإسلامهم^(٩)، وشدة ما يعنئهم^(١٠) ويضر بهم في دنياهم وأخراهم، وعزته ورأفته ورحمته بمؤمنهم.

قال بعضهم: أعطاه اسمين من أسمائه: رؤوف، رحيم.
ومثله في الآية الأخرى: قوله تعالى^(١١): ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

(١) الخطاب في الآية السابقة: لقد جاءكم . . .

(٢) يعرفونه: أي يعرفون ذاته وصفاته وأحواله، وذكره في الكتب القديمة.

(٣) مكانه: قدره ورتبته ومنزله.

(٤) ولادة أو قرابة: يعني أن كل قبيلة من العرب فيها للنبي صلى الله عليه وسلم أب أو جد

أو أم. أو قرابة له. أو المراد بالولادة: القرابة القرابية، وبالقرابة: القرابة البعيدة.

(٥) سورة الشورى، آية ٢٣.

(٦) ما بين القوسين في هامش أ، وكتب فيها بعد العبارة: من الأم العتيقة، وليس من

الرواية. وليس ما بين القوسين في ب مما يدل على زيادتها. (٧) في كلمة: أنفسهم - بفتح الفاء.

(٨) حميدة: محمودة. والمحامد: جمع محمداً، وهي المحمودة أيضاً.

(٩) رشدهم: إرشادهم. وإسلامهم: أي انقيادهم واستسلامهم.

(١٠) ما يعنئهم: ما يشق عليهم. وفي ب: ما يعنتهم - بضم الياء وسكون العين.

(١١) سورة آل عمران، آية ١٦٤.

وفي الآية الأخرى^(١) : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ .
وقوله تعالى^(٢) : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ .

وروى عن علي بن أبي طالب ، عنه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى^(٣) :
من أنفسكم^(٤) - قال : نسباً وصهراً وحسباً^(٥) ؛ ليس في آبائي من لدن آدم سفاح ،
كأننا^(٦) نكاح .

[قال ابن الكلبي^(٧) : كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم ، فما وجدت
فيهن سفاحاً ولا شيئاً مما كان عليه الجاهلية .

(١) سورة الجمعة ، آية ٢ . قال القاري : في الأميين ؛ أي العرب الذي غالبهم ماقرأ ولا كتب .

(٢) سورة البقرة ، آية ١٥١ (٣) سورة آل عمران ، آية ١٦٤

(٤) في نسيم الرياض : قال ابن المنير : من أنفسهم : من جنسهم يعرفون حاله ، وأنه
ماقرأ ولا درس ، وقد جاءه العلم فقص سير الأولين والآخرين على ما هم عليه حرفاً بحرف ؛ فيعلم
المائل أنه أمر خارق من عند الخالق ، كل ذلك إبلاغ في ظهور حجته ووضوح معجزته .

(٥) النسب : القرابة مطلقاً ، أو من جهة الآباء . والصهر : واحد الأصهار : أهل بيت
المرأة . وقيل : كل أصهار : من كان من قبل الزوج ، ومن كان من قبل المرأة . والحسب : ما يعد
من المآثر ، والشرف .

(٦) أي ليس في آبائي من حيث أبوتهم ، ولا في أمهاتي سفاح ؛ والسفاح : الزنا والفجور .
والنكاح هنا عقد النكاح والزواج . وفوق كلمة سفاح في ب : أي الزنا .

فقد صانه الله وأسلافه عما يشين ، وطهر أرحامهم عن دنس السفاح ، فلم يزل الرسول ينقل
من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطيبة مصفي مهندياً .

(٧) ابن الكلبي : هو محمد بن السائب ، المفسر النسابة الأخباري (ميزان الاعتدال :

وعن ابن عباس رضی اللہ عنہ - فی قوله تعالى (۱) : ﴿ وَتَقَابُكُ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ - قال (۲) : مِنْ نَبِيٍّ إِلَى نَبِيٍّ ، حَتَّى أُخْرِجَكَ نَبِيًّا [۳] .

وقال جعفر بن محمد : عَلِمَ اللَّهُ عَجْزَ خَلْقِهِ عَنِ طَاعَتِهِ ، فَعَرَّفَهُمْ ذَلِكَ ؛ لِكَيْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ لَا يَنَالُونَ الصَّفْوَةَ (۴) مِنْ خِدْمَتِهِ ؛ فَأَقَامَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ مَخْلُوقًا مِنْ جِنْسِهِمْ فِي الصُّورَةِ ، وَأَلْبَسَهُ مِنْ نَعْتِهِ (۵) [۷] الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ ، وَأَخْرَجَهُ إِلَى الْخَلْقِ سَفِيرًا (۶) صَادِقًا ، وَجَعَلَ طَاعَتَهُ طَاعَتَهُ ، وَمُوَافَقَتَهُ (۷) مُوَافَقَتَهُ ؛ فَقَالَ تَعَالَى (۸) : ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ . وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى (۹) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .

قال أبو بكر بن طاهر : زَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِزِينَةِ الرَّحْمَةِ ؛ فَكَانَ كَوْنُهُ (۱۰) رَحْمَةً ، وَجَمِيعُ شِمَائِلِهِ وَصِفَاتِهِ رَحْمَةً عَلَى الْخَلْقِ ؛ فَمَنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ رَحْمَتِهِ فَهُوَ النَّاجِي فِي الدَّارَيْنِ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ ، وَالْوَاصِلُ فِيهِمَا إِلَى كُلِّ مَحْبُوبٍ ؛

(۱) سورة الشعراء ، آية ۲۱۹

(۲) قال السيوطي : هذا الحديث أخرجه ابن سعد ، والبخاري ، وأبو نعيم في الدلائل بسند صحيح عن ابن عباس ، رضي الله عنها (۱ - ۶۷) . وفي تفسير ابن كثير (۳ - ۳۵۲) : وروى البخاري ، وابن أبي حاتم من طريقين عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية يعني تقبله من صلب نبي إلى صلب نبي حتى أخرجه نبيا .

(۳) ما بين القوسين في هامش ۱ ، وكتب بعده : من الام ، وليست من الرواية . وليس في ب ، ولا في هامشه .

(۴) الصفو : الصافي الخالص . وخدمته : عبادته وطاعته .

(۵) نعته : صفته .

(۶) سفيرا : السفير : الرسول .

(۷) بين السطور في ب : بنزع الخافض ، وقال القاري (۱ - ۳۵) : هو تشبيه بليغ مفيد للمبالغة ؛ وهو أن طاعته عين طاعته . وكذلك قوله : وموافقته موافقته .

(۸) سورة النساء ، آية ۸۰

(۹) سورة الأنبياء ، آية ۱۰۷ (۱۰) كان كونه : كان وجوده .

أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ (۱) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ؛ فَكَانَتْ حَيَاتُهُ رَحْمَةً ، وَمَمَاتُهُ رَحْمَةً ؛ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (۲) : حَيَاتِي خَيْرٌ لَّكُمْ وَمَوْتِي خَيْرٌ لَّكُمْ . وَكَأَنَّ (۳) قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (۴) : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً بِأُمَّةٍ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا ؛ فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا (۵) . (وَقَالَ السَّمَرِقَنْدِيُّ : رَحْمَةٌ لِّلْعَالَمِينَ : بِعَنَى لِّلْجِنِّ وَالْإِنْسِ . وَقِيلَ : لِجَمِيعِ الْخَلْقِ ؛ لِلْمُؤْمِنِ رَحْمَةٌ بِالْهُدَايَةِ ، وَرَحْمَةٌ لِّلْمُنَافِقِ (۶) بِالْأَمَانِ مِنَ الْقَتْلِ ، وَرَحْمَةٌ لِّلْكَافِرِ بِتَأْخِيرِ الْعَذَابِ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : هُوَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ ؛ إِذْ عُوِفُوا مِمَّا أَصَابَ غَيْرَهُمْ مِنَ الْأُمَّةِ الْمَكْذُوبَةِ (۷) .

وَحُكِيَ (۸) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِجَبْرِئِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : هَلْ أَصَابَكَ مِنْ

(۱) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، آيَةٌ ۲۰۷

(۲) هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ ، وَرَوَاهُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ فِي مَسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ . (نَسِيمُ الرِّيَاضِ) . وَفِي شَرْحِ الْقَارِي : رَوَاهُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ فِي مَسْنَدِهِ ، وَالْبَزَارُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ . وَرَحْمَتُهُ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِ لِأَنَّهُ هَدَاهُمْ لِسَبِيلِ الْخَيْرِ ، وَرَحْمَتُهُ لَهُمْ فِي مَمَاتِهِ لِتَقْدِيمِهِ فَرَطًا لَهُمْ .

(۳) فِي ب : كَأَنَّ - مِنْ غَيْرِ وَאו .

(۴) هَذَا الْحَدِيثُ صَحِيحٌ مُتَنَاوِسُنَدًا ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ۱۷۹۲) وَفِيهِ : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً أُمَّةً ، وَبَقِيَ الْحَدِيثُ كَمَا فِي مُسْلِمٍ : وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ هَلَاكَةَ أُمَّةٍ عَذَّبَهَا وَنَبِيَّهَا حَتَّى فَاهَاكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ ، فَأَقْرَبَ اللَّهُ عَيْنَهُ بِهَلَاكَتِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ .

(۵) فَرَطًا وَسَلَفًا : أَيُّ مُتَقَدِّمًا وَسَابِقًا .

(۶) الْمُنَافِقُ : مَنْ يَخْفَى الْكُفْرَ وَيُظْهِرُ الْإِيمَانَ .

(۷) أَيُّ الْمَكْذُوبَةِ لِّلْأَنْبِيَاءِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَاقَبَ مَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ بِالْإِسْتِثْصَالِ وَالْحَسْفِ وَالْمَسْخِ ، وَمَا نَزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ .

قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : وَقَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ هَذَا مَسْنَدٌ إِلَيْهِ فِي الطَّبْرَانِيِّ ، وَدَلَائِلُ الْبَيْهَقِيِّ ، وَفِي تَفْسِيرِ ابْنِ جَرِيرٍ ، وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ . وَكَذَلِكَ قَالَ الْقَارِي فِي شَرْحِهِ (۱ - ۳۷) .

(۸) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : لَمْ يَوْجَدْ هَذَا فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ .

هذه الرحمة شيء؟ قال : نعم ؛ كنت أخشى العاقبة^(١) فأمنتُ لِثَنَاءِ^(٢) الله عز وجل
على بقوله^(٣) : ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ^(٤) . مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ .
وروى عن جعفر بن محمد الصادق - في قوله تعالى^(٥) : ﴿ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ
الْيَمِينِ ﴾ : أى بك^(٦) ؛ إنما وقعت سلامتهم من أجل كرامة محمد صلى الله عليه
وسلم .

وقال الله تعالى^(٧) : ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نَوْرِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا
مِصْبَاحٌ . الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ
زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، نُورٌ عَلَى نُورٍ ،
يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

قال كعب^(٨) ، وابن جبير : المراد بالنور الثاني هنا محمد عليه السلام [٧] .
وقوله تعالى : مِثْلُ نُورِهِ ؛ أى نور محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال سهل بن عبد الله^(٩) : المعنى : الله هادى أهل السموات والأرض ؛ ثم قال :

(١) أخشى العاقبة : أى سوء العاقبة .

(٢) إذ ثناء العظيم يقتضى رضاه وقبوله ، وهو لا يرضى ويقبل إلا من كان مرحوما مقربا ،
فلما علم ذلك من القرآن الذى هو رحمة نازلة بمحمد صلى الله عليه وسلم اطمان خاطره وأمن
سوء الخاتمة .

(٣) سورة التكويد ، آية ٢٠ ، ٢١ .

(٤) مكين : متمكن ذى قدر ومنزلة ، أو صاحب مكانة .

(٥) سورة الواقعة ، آية ٩١ .

(٦) أى بك : أى بسبب وجودك ، أو بسبب كرمك وجودك .

(٧) سورة النور ، آية ٣٥ .

(٨) فى ب : قال كعب الأخبار . . .

(٩) هو التستري ، وقد توفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين .

مَثَلُ نَوْرِ مُحَمَّدٍ إِذْ كَانَ مُسْتَوْدَعًا فِي الْأَصْلَابِ^(١) كَمِشْكَاتِهِ^(٢) صَفْتَهَا كَذَا ؛ وَأَرَادَ بِالصَّبَاحِ قَلْبَهُ ، وَبِالزَّجَاجَةِ صَدْرَهُ ؛ أَي كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ^(٣) لَمَّا فِيهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْحِكْمَةِ ، تَوَقَّدَ^(٤) مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ؛ أَي مِنْ نَوْرِ إِبْرَاهِيمَ . وَضُرِبَ^(٥) الْمَثَلُ بِالشَّجَرَةِ الْمُبَارَكَةِ .

وَقَوْلُهُ : يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ ؛ أَي تَكَادُ نَبْوَةٌ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبِينُ لِلنَّاسِ قَبْلَ كَلَامِهِ^(٦) كَهَذَا الزَّيْتِ .

وَقِيلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ غَيْرُ هَذَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَدْ سَمَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ نَوْرًا وَسِرَاجًا مُنِيرًا ؛ فَقَالَ تَعَالَى^(٧) : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ :

وَقَالَ تَعَالَى^(٨) : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ .

وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى^(٩) : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ . وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ . الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ . وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ . فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ . وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ .

(١) الْأَصْلَابُ : جَمْعُ صَلْبٍ : الظَّهْرُ ؛ وَالْمُرَادُ أَصْلَابُ الْآبَاءِ .

(٢) الْمَشْكَاتُ : كَوْةٌ غَيْرُنَا فِذَّةٌ ؛ أَي صِفَةُ نَوْرِ مُحَمَّدٍ كَصِفَةِ نَوْرِ مَشْكَاتِهِ

(٣) كَأَنَّهُ : كَأَنَّ صَدْرَهُ . وَالدَّرِيُّ ؛ الْكَوْكَبُ الْمَضِيءُ .

(٤) فِي ب : تَوَقَّدَ - بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ .

(٥) وَضُرِبَ الْمَثَلُ : أَي شَبِهَ ظَهْرُ نَبْوَةِ مُحَمَّدٍ الْمُتَّصِلَةَ بِأَنْبِيَاءِ إِبْرَاهِيمَ ، بِصَبَاحِ أَضَاءِ بَرِيَّتِ

مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ . « وَضُرِبَ » - فِي أ : بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ . وَفِي ب : بِالْبِنَاءِ لِلْمَعْلُومِ .

(٦) قَبْلَ كَلَامِهِ ؛ قَبْلَ دَعْوَاهِ النَّبُوَّةِ وَتَحْدِيثِهِ .

(٨) سُورَةُ الْأَحْزَابِ ، آيَةُ ٤٥ ، ٤٦

(٧) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ، آيَةُ ١٥

(٩) سُورَةُ الشَّرْحِ .

شرح: وسّع . والمراد بالصدْر هنا: القلب . قال ابن عباس: شرحه بالإسلام^(١) .
وقال سهل : بنور الرسالة .
وقال الحسن^(٢) : مَلَأَهُ حُكْمًا^(٣) وَعِلْمًا .
وقيل : معناه ألم نَظَهَرَ قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس^(٤) . ووضعنا عنك وزرك
الذي أنقض ظهرك :

قيل : ماسلف من ذَنْبِكَ - يعنى قبل النبوة .

وقيل : أراد ثَقَل أيام الجاهلية^(٥) .

وقيل : أراد ما أثقل ظهره من الرسالة^(٦) حتى بَأَغَمَهَا . حكاها الماوردي

والسلي^(٧) .

(١) في ب : شرحه بنور الإسلام .

(٢) هو الحسن البصرى . مات بالبصرة سنة عشر ومائة .

(٣) حكا - بضم الحاء وسكون الكاف : الحكمة . أو حكا - بكسر الحاء وفتح الكاف :

جمع حكمة . والحكمة : العلم بالحقائق النافعة والشرعية .

(٤) الوسواس : الشيطان ، أو الوسوسة . وقال القارى (٢ - ٤٣) : أى لا يشوش

عليك الموسوسون من الإنس والشياطين .

(٥) ثقل أيام الجاهلية : الثقل ضد الخفة . وثقلها : عدم رضاه بما كانوا عليه من الشرك

وعبادة الأصنام والمحاربة والمقاتلة ، وغير ذلك مما استقبجه النبي بسلامة فطرته .

(٦) من أعبأها ، أى لما قاساه من المشقة في تلقيه الوحي ؛ من هيبة الملك ، وحفظ ما يلقى

إليه ، وتكذيب قومه ، وغيرهم ، لما عرض نفسه على القبائل ، وشدة أذيتهم له عليه السلام

ولأصحابه ، ووضع ذلك عنه بما فيه من قوة الصبر ، وتسهيل الله ذلك عليه .

(٧) الماوردي : هو أبو الحسن علي بن محبوب ، صنف في الفقه والتفسير والأصول .

توفي سنة خمسين وأربعمائة .

والسلي : هو أبو عبد الرحمن السلي النيسابورى ، واسمه محمد بن الحسين بن موسى ،

النيسابورى ، شيخ الصوفية ، وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم . مولده سنة ثلاثين وثلاثمائة ،

وتوفي في شعبان سنة اثنتى عشرة وأربعمائة . (ميزان الاعتدال : ٣ - ٥٢٤ ، وشرح القارى : ١ - ٤٤)

وقيل : عَصَمْنَاكَ ، ولولا ذلك لَأَثَقَلْتَ الذنوبُ ظَهْرَكَ^(١) ؛ حكاها السمرقندي .
ورفعنا لك ذِكْرَكَ : قال يحيى بن آدم^(٢) : بالنبوة . وقيل : إذا ذُكِرَتْ ذُكِرَتْ
معى قول^(٣) : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . وقيل : فى الأذان [٨] .

قال القاضى أبو الفضل^(٤) : هذا تقرير^(٥) من الله جلَّ اسمه لنبيه صلى الله عليه
وسلم على عظيم نعمه لديه ، وشريف منزلته عنده ، وكرامته عليه ؛ بأن شرح قلبه
للإيمان والهداية ، ووسعه لوعى^(٦) العلم ، وسخّل الحكمة ، ورفع عنه ثقل أمور
الجاهلية عليه ، وبغضه لسيرها^(٧) ، وما كانت عليه بظهور^(٨) دينه على الدين كله ،
وحطّ عنه عهدة أعباء^(٩) الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل إليهم ، وتنويره بعظيم
مكانه ، وجليل رتبته ، ورفع ذِكْرَهُ ، وقرّانه مع اسمه [اسمه]^(١٠) .

(١) قال القارى : وهذا معنى بديع .

(٢) هو يحيى بن آدم بن سليمان الأموى ، مولاهم بالكوفة ، أحد الأعلام ، أخرج له أصحاب
الكتب الستة ، توفى سنة ثلاث ومائتين .

(٣) قال القارى (١ - ٤٤) : الأظهر أن يقال : فى قوله : لا إله . . .

(٤) هو المؤلف .

(٥) التقرير : تثبيت وتمهيد . والإشارة لما وقع فى سورة ألم شرح . وهو بيان لحاصها .

(٦) الوعى : الحفظ .

(٧) لسيرها : السير : جمع سيرة ، والمراد بالسيرة : الحالة والطريقة ، والضمير للجاهلية .

وكلمة « بغضه » جاءت بصيغة المصدر فى ا ، والضبط المثبت فى ب .

(٨) ظهور دينه : الظهور بمعنى الغلبة .

(٩) الأعباء : الأحمال والأثقال ، والمعنى هنا أن الله حمّله أحمال الرسالة ، وألزمه بإجراء

أحكامها وتبايغها ؛ فكان فى أول الأمر فى حرج ومشقة من خوف التقصير ، فلما يسر الله له

ذلك انشرح صدره ، واستراح من ثقلها ، وبرئت ذمته من عهدتها لما بلغ الأمة ، وأدى

الرسالة ؛ فامتّن الله عليه بما يتضمن الشناء العظيم من أنه أقدره على التحمل والصبر (الشهاب) .

(١٠) أى كان ذِكْرَكَ عين ذِكْرِي ، لعدم انفكاكه عنه غالباً . « واسمه » الثانية ليست فى ب .

قال قتادة : رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وروى أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أتاني جبريل عليه السلام ، فقال : إن ربّي وربك يقول : تدري كيف رفعت ذكرك؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : إذا ذكرت ذكرت معي .

قال ابن عطاء^(١) : جعلت تمام الإيمان بذكرى معك .

وقال أيضاً : جعلتك ذكراً من ذكرى ، فمن ذكرك ذكركي .

وقال جعفر بن محمد الصادق : لا يذكر أحد بالرسالة إلا ذكرني بالربوبية^(٢) . وأشار بعضهم في ذلك إلى الشفاعة .

ومن ذكره معه تعالى أن قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه ؛ فقال تعالى^(٣) : ﴿ اطيعوا الله واطيعوا الرسول ﴾ . و﴿ آمنوا ﴾^(٤) بالله ورسوله ؛ فجمع بينهما بواو العطف المشتركة .

ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه عليه السلام .

حدثنا الشيخ أبو علي الحسين بن محمد الجبائي^(٥) الحافظ فيما أجازنيه [٨] ،

(١) ابن عطاء : هو أبو المباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء ، الزاهد البغدادي ، أحد مشايخ الصوفية بالعراق ، مات سنة تسع وتسعين وثلاثمائة (القاري : ١ - ٤٦)
(٢) معنى كلام جعفر أنه لا يعترف أحد برسالتك إلا بعد أن يعترف بوحدانية الله وربوبيته ، لأنه يجب معرفة الله عقلاً قبل ذلك .

(٣) سورة آل عمران ، آية ٣٣ وغيرها .

(٤) سورة النساء ، آية ١٣٦ ، وغيرها .

(٥) الجبائي : نسبة إلى بلدة بالأندلس ، مات سنة ثمان وتسعين وأربعمائة (القاري : ١ - ٤٦) .

وقال : « الحافظ » في اصطلاح المحدثين : من أحاط علمه بمائة ألف حديث .

وقرأته على الثقة عنه ؛ قال ^(١) : حدثنا أبو عمر النعمري ^(٢) ؛ قال : حدثنا أبو محمد ابن عبد المؤمن ، حدثنا أبو بكر بن داسة ؛ حدثنا أبو داود السجزي ، حدثنا أبو الوليد الطيالسي ^(٣) ، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن عبد الله بن يسار ، عن حذيفة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال ^(٤) : لا يقولن أحدكم ماشاء الله وشاء فلان ، ولكن ماشاء الله ثم شاء فلان ^(٥) .

قال الخطابي ^(٦) : أرشدكم صلى الله عليه وسلم إلى الأدب في تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه ، واختارها بضم التي هي للنسق والتراخي ، بخلاف الواو التي هي للاشتراك .

ومثله ^(٧) الحديث الآخر ^(٨) : إن خطيباً ^(٩) خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما ^(١٠) .

(١) في ب : فقال .

(٢) هو ابن عبد البر ، صاحب الاستيعاب وغيره .

(٣) مات سنة سبع وعشرين ومائتين .

(٤) في نسيم الرياض : هذا الحديث روى من طرق كثيرة ، وهو حديث صحيح .

(ابن ماجه : ٦٨٤) .

(٥) في نسيم الرياض : هذا النهي تنزيهي لرعاية الأدب بترك العطف بالواو الموهمة للتساوي ،

بخلاف ثم الدالة على البعد رتبة وزمانا .

(٦) الخطابي : هو أبو سليمان البستي ، كان إماماً كبيراً تفقه على القفال وغيره . توفي سنة

ثمان وثمانين وثلاثمائة (القارى : ١-٤٧) .

(٧) ومثله : أى مثله في التنزيه عما يؤهم .

(٨) وهو حديث صحيح في صحيح مسلم ، وسنن أبي داود مسنداً . (صحيح مسلم : ٥٩٤)

(٩) هذا الخطيب هو عدى بن حاتم ، أو ثابت بن قيس .

(١٠) رشد : الرشيد : الصلاح ، وهو خلاف الضلال . وأمام هذه العبارة في ب : « فقد

غوى » ، وعابها علامة الصحة . وغوى : ضل عن طريق الهدى .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : بِئْسَ خَطِيبُ الْقَوْمِ أَنْتَ ! قُمْ . أَوْ قَالَ :
اذهب . قال أبو سليمان (١) : كَرِهَ مِنْهُ الْجَمْعَ بَيْنَ الْأَسْمَيْنِ بِحَرْفِ الْكِنَايَةِ (٢) لَمَّا فِيهِ
مِنَ التَّسْوِيَةِ .

وذهب غيره إلى أنه إنما كره له الوقوف على « يَعْصِمَا » .

وقول أبي سليمان (١) أَصَحُّ ؛ لَمَّا رُوِيَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ : وَمَنْ يَعْصِمَا
فَقَدْ غَوَى ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْوُقُوفَ عَلَى يَعْصِمَا (٣) .

وقد اختلف المفسرون وأصحاب المعاني في قوله تعالى (٤) : ﴿ إِنْ أَنْتَ إِلَّا اللَّهُ وَمَلَائِكَتَهُ
يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ ؛ هل « يُصَلُّونَ » (٥) راجعة على الله تعالى والملائكة أم لا ؟
فأجازة بعضهم ، ومنعه آخرون ، لعل التشريك (٦) ، وخصوا الضمير بالملائكة ؛
وَقَدَّرُوا الْآيَةَ : إِنْ أَنْتَ اللَّهُ يَصَلِّي ، وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ (٧) .

(١) هو الخطابي السابق .

(٢) أي كره أن يعبر عنهما بضمير واحد هو ضمير التثنية ، إذ قال : ومن يعصهما .

(٣) في نسيم الرياض : قال النووي : الصواب أن سبب النهي أن الخطبة شأنها الإيضاح
واجتناب الرمز ؛ ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً لتفهم ، لا كراهة
الجمع بين الاسمين بالكناية ؛ لأنه ورد في مواضع ، منها قوله صلى الله عليه وسلم : أن يكون الله
ورسوله أحب إليه مما سواهما .

(٤) سورة الأحزاب ، آية ٥٦ .

(٥) هل يصلون : أي الضمير ، وهو الواو . . .

(٦) لعل التشريك ؛ أي للزوم التشريك بين الله والملائكة والتسوية بينهما في عبارة واحدة
في ضمير الواو .

(٧) أي من ذهب إلى أن العلة التشريك ، ولم يجوزها مطلقاً - خص الضمير بالملائكة ، وقدر
في الأول ضميراً . وفي ب : والملائكة - بدل : وملائكته .

وقد زوى عن عمر رضى الله عنه أنه قال (١) : **مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ جَعَلَ طَاعَتَكَ طَاعَتَهُ ؛ فَمَا لَ تَعَالَى (٢) : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ .**

وقد قال [٩] تعالى (٣) : **﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ .**

زوى أنه لما نزلت هذه الآية قالوا (٤) : **إِنَّ مُحَمَّدًا يَرِيدُ أَنْ نَتَّخِذَهُ حَنَانًا (٥) كَمَا اتَّخَذَتِ النَّصَارَى عِيسَى ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (٦) : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ ؛ فَتَرَنَّ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِهِ رَغْمًا لَهُمْ (٧) .**

وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في أم (٨) الكتاب (٩) : **﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ؛ فَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخِيَارُ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ ؛ حَكَاهُ (١٠)**

(١) في نسيم الرياض : هذا الحديث قال المخرجون : إنهم لم يجدوه في شيء من كتب الحديث ، وإن ورد ما هو بمعناه في صحيح البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه : من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ، ومن عصى أميرى فقد عصانى . (سنن النسائى : ٧ - ١٣٨) ، (صحيح مسلم ١٤٦٦) .

(٢) سورة النساء ، آية ٨٠ (٣) سورة آل عمران ، آية ٣١ ، ٣٢

(٤) الذين قالوا : هم بعض الكفار ، والمناقون .

(٥) حنانا : رحمة وعظفا ، والرزق والبركة . والمراد أن محمدا يريد أن يجعلنا ممن نتبرك به ، ونخضع له خضوعا يؤدي لعبادته كما عبدت النصرى عيسى بن مريم . وفي هامش ا : الحنان : الرحمة والعطف والبركة ، ومر ورقة بن نوفل بيلال ، وهو يعذب فقال : والله لئن قتتموه لأتخذنه حنانا ؛ أى لآتمسحن به . (٦) سورة آل عمران ، آية ٣٢

(٧) رغما لهم : الرغم : النفيظ ، والتذليل ، والقهر ، والإكراه ؛ أى إرادة ذلك بهم وتحصيله .

(٨) أم الكتاب : الفاتحة . (٩) سورة الفاتحة ، آية : ٦ ، ٧

(١٠) هذا الأثر رواه الحاكم في المستدرک عن ابن عباس ، وصححه (الشهاب الحفاجى :

عنهما أبو الحسن الماوردي، وحكى مكّي عنهما [نحوه] ^(١)؛ وقال: هو رسول الله
الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما .
وحكى أبو الليث السمرقندي مثله، عن أبي العالية، في قوله تعالى ^(٢): ﴿صِرَاطَ
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾؛ قال: فبلغ ذلك الحسن؛ فقال: صدقَ اللهُ ونصَحَ .
وحكى الماوردي ذلك في تفسير ^(٣): ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، عن
عبد الرحمن بن زيد .

وحكى أبو عبد الرحمن السلمي، عن بعضهم، في تفسير قوله تعالى ^(٣): ﴿فَقَدْ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا ^(٤)، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ - أنه محمد صلى الله عليه
وسلم . وقيل: الإسلام . وقيل: شهادة التوحيد ^(٥) .

وقال سهل في قوله تعالى ^(٦): ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ - قال:
نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم .
وقال تعالى ^(٧): ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ . لِمَ مَا يَشَاءُونَ
عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ .
أكثرُ المفسرين على أن الذي جاء بالصّدق هو محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) ليس في ب .

(٢) سورة الفاتحة، آية ٧

(٣) سورة البقرة، آية ٢٥٦

(٤) استمسك: تمسك . والعروة في الأصل: النبات الثابت في الأرض . ويقال لما يعقد في الجبل
ليدخل فيه اليد للتمسك . ومنه عروة القميص والكوز، واستعمل هنا لما يستعصم به ويلتجأ
إليه . والوثقى: المحكمة . والمراد أن من صدق وآمن به سلم من كل سوء في الدنيا والآخرة .
(٥) شهادة التوحيد: قول لا إله إلا الله .

(٦) سورة إبراهيم، آية ٣٤، وسورة النحل، آية ١٨

(٧) سورة الزمر، آية ٣٣، ٣٤

وقال بعضهم : وهو الذي صدق به .

وقرى : صدق^(١) - بالتخفيف .

وقال غيرهم : الذي صدق^(٢) به المؤمنون [٩] . وقيل أبو بكر . وقيل عليّ .

وقيل غير هذا من الأقوال .

وعن مجاهد - في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ - قال : بمحمد

صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

الفصل الثاني

في وصفه تعالى له بالشهادة^(٤) وما يتعلق بها من الثناء والكرامة^(٥)

قال الله تعالى^(٦) : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَدَاعِيًا

إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾^(٧) : جمع الله تعالى في هذه الآية ضربا^(٨) من رُتَب

(١) فوق كلمة « صدق » في ا : « خف » .

(٢) بالتخفيف أيضا في ب . (٣) سورة الرعد ، آية ٢٨

(٤) أي بأنه صلى الله عليه وسلم شاهد على أمته بالتبليغ إليهم ، وعلى سائر الأمم بتبليغ أنبيائهم لهم .

(٥) الكرامة : الإكرام له ؛ يعني أن المقصود في الأول ثناء الله ومدحه لنبية صلى الله عليه وسلم بكونه أنفوس الناس ذاتا وحسبا ونسبا ، وكونه خيرا ورحمة عامة في حياته ومماته ، وكونه نورا محضا منورا للعالم ، وكونه ذا صدر واسع منشرح ؛ ورفعة قدره واسمه بمقارنته لاسم ربه وذكره وأنه الصراط المستقيم . قال الخفاجي : وسيدكر في هذا الفصل أن الله جعله شاهدا على أمته وسائر الأمم وأنبيائهم ؛ وما ذكر فيه من الثناء والإكرام مذكور بالتبعية للشهادة استطرادا لمناسبتة له . وبهذا تبين منافية ما عقده الفصلان (الشهاب الخفاجي :

١ - ١٨٣) . (٦) سورة الأحزاب ، آية ٤٥ ، ٤٦

(٧) ذكر المؤلف هذه الآية قبل ذلك صفحة ٢٦ لتأييد كونه نورا ، ثم ذكرها هنا

لكونه شاهدا على التبليغ . (٨) ضربا : أنواعا .

الأثرية^(۱)، وجملة أوصاف من المدحة^(۲)؛ فجعله شاهداً على أمته لنفسه بإبلاغهم الرسالة؛ وهي^(۳) من خصائصه صلى الله عليه وسلم؛ ومبشراً لأهل طاعته؛ ونذيراً لأهل معصيته، وداعياً إلى توحيدهِ وعبادته؛ وسيراً جاً منيراً يُتقدى به للحق.

حدثنا الشيخ أبو محمد^(۴) بن عتاب رحمه الله، حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد، حدثنا أبو الحسن القاسمي، حدثنا أبو زيد المرزوي، حدثنا أبو عبد الله محمد ابن يوسف، حدثنا البخاري، حدثنا محمد بن سنان، حدثنا فليح، حدثنا هلال، عن عطاء بن يسار؛ قال^(۵) : كَتَبْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، قُلْتُ : أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : أَجَلٌ^(۶) ، وَاللَّهِ ، إِنَّهُ لَمُوصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي التَّرْجَمَانِ^(۷) : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾^(۸) ، وَحِرْزاً لِلْأُمِّيِّينَ^(۹) ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي ، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكَّلَ ،

(۱) الرتب : جمع رتبة ، وهي المرتبة والمنزلة . والأثرية - بضم الهمزة وسكون الشاء : المكرمة . وفتح الهمزة والشاء : الانفراد بالشيء . والمراد أن في الآية أموراً مخصوصة انفرد بها النبي صلى الله عليه وسلم . ويرجع الشهاب المعنى الأول . ويرجع النووي المعنى الثاني . وقد جاء الضبط الأول في ۱ ، والضبط الثاني في ب . (۲) المدحة : الثناء ، والذكر الحسن . (۳) وهي : أي شهادته عليهم لنفسه بدون بينة .

(۴) قال الشهاب (۱ - ۱۸۶) : هو عبد الرحمن بن عتاب شيخ المصنف ، سمع منه في رحلته للأندلس . وهو من علماء الحديث . توفي سنة عشرين وخمسمائة (والقارى : ۱ - ۵۳) . (۵) هذا الحديث تفرد به البخاري (البخاري : ۳ - ۸۳) . وقريب من معناه حديث في الترمذي : ۴ - ۳۶۹ ، وفي هامش ۱ : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص . والمثبت على كل كلمة فيه علامة صح في ۱ .

(۶) أجل : نعم . (۷) قال القارى (۱ - ۵۵) : وهذا مذکور في القرآن ، ولعل معناه مذکور في التوراة . (۸) الحرز : أصل معناه : الحفظ ، ثم أطلق على السكان الذي يحفظ به ، فيقال : حرز حرز . والمراد بالأميين العرب : لغلبة الأمية فيهم ، أو لأنهم لا كتاب لهم .

ليس بفظ ولا غليظ ولا صخب في الأسواق^(۱) ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر^(۲) ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء^(۳) ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله^(۴) ، ويفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غافيا^(۵) .

وذكر مثله عن عبد الله بن سلام [۱۰] وكعب الأحمار ؛ وفي بعض طرقه ، عن ابن إسحاق^(۶) : ولا صخب في الأسواق ، ولا متزّين بالفحش^(۷) ، ولا قوال للخنا^(۸) ؛ أسدده لكل جميل^(۹) ، وأهب له كل خلق كريم^(۱۰) ، وأجعل

(۱) الفظ : الرجل الشديد الغليظ القلب ؛ أى ليست له قسوة قلب ، ولا تشديد على الناس ؛ لأن ماله سمحاء . وليس بغليظ : ليس بعنيف ، والمراد أنه ليس بسوء الخلق . والصخب : من الصخب ، وهو ارتفاع الصوت وشدة . والمراد نفي الصخب عنه مطلقا ؛ لأنه إذا انتفى في المحل المعتاد فيه انتفى في غيره بالطريق الأولى . والصخب بالسین فى ا ، والبخارى ، وبالصاد فى ب ، وهما بمعنى واحد .

(۲) لا يسىء لمن أساء إليه ، ويدفع بالتي هي أحسن ؛ وذلك لأن خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن ، وقد قال الله تعالى : وجزاء سيئة سيئة مثاها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله .

(۳) يقبضه : يتوفاه . الملة : الدين . العوجاء : غير المستقيمة . والمراد بالملة هنا ملة إبراهيم عليه السلام التي عوجتها العرب بتغييرها ؛ لأنهم ذرية إسماعيل بن إبراهيم ، وكانوا يزعمون أنهم على ملته الحنيفية .

(۴) اقتصر على هذا من الدين القيم ؛ لأن العوج الواقع فيها يؤدي إلى الشرك وعبادة الأصنام .

(۵) قلوبا غافيا : لا تعى ماجئت به .

(۶) فى ب : عن إسحاق ، ونراه تحريفا .

(۷) الفحش : القبح ، وكل شيء جاوز الحد فهو فاحش . والمراد كل قبيح قولا كان أو فعلا ؛ أى لا يتابس بأمر قبيح ، أو يتجمل ويباهى به .

(۸) الخنا : قبيح الكلام ؛ أى لا يصدر عنه شيء من ذلك .

(۹) أسدده : أوقفه للسداد ، وهو الصواب من القول والعمل .

(۱۰) أهب له : أعطيه .

السكينة لباسه، والبرّ شعاره^(۱)، والتقوى ضميره^(۲)، والحكمة معقوله^(۳)، والصدق والوفاء طبيعته^(۴)، والعمور والمعروف خلقه، والعدل سيرته، والحق شريعته، والهدى إمامه^(۵)، والإسلام ملته، وأحمد اسمه، أهدى به بعد الضلالة، وأعلم به بعد الجهالة، وأرفع به بعد الخمالة^(۶)، وأسمى به بعد النكرة^(۷)، وأكثر به بعد القلة، وأغنى به بعد العيلة^(۸)، وأجمع به بعد الفرقة، وأولف به بين قلوب مختلفة، وأهواء متشتتة، وأمم متفرقة، وأجعل أمة خير أمة أخرجت للناس^(۹).

وفي حديث آخر: أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة^(۱۰):

- (۱) السكينة : الوقار والطمأنينة . والشمار : اللباس الذي يلي الجسد .
- (۲) التقوى : ما بقى من العذاب في الآخرة . والضمير : ما يضر في القلب وينوى في خاطره بحيث لا ينساه .
- (۳) الحكمة : كل كلام جامع لما يرشد إلى الحق . معقوله : المراد أن الحكمة بعقله وإدراكه . أو المراد ما بعقله كله حكم ومواعظ وعلوم ؛ لأنه لا ينطق عن الهوى .
- (۴) أي لا ينطق بغير ما وافق الواقع ، وإذا عاقد أحدا ؛ أو وعد وعدا لا يخلفه ؛ وهذا أمر طبيعي له جعله الله فيه .
- (۵) إمامه : قد تكون بكسر الهمزة ؛ أي قدوته ؛ أو بفتح الهمزة ، ويكون المعنى أن الهدى إمامه وقدامه ، فهو ملاحظ له دائماً .
- (۶) الخامل : الساقط الذي لا نباهة له . والخمالة : الخمول ؛ أي بعد أن لم يكن لهم ذكر وقدر وشأن في الظاهر وإن كانوا في علم الله خير أمة .
- (۷) النكرة : خلاف المعرفة ، ويطلق بمعنى المجهول . والمراد : إني أرسله في زمان جهالة، وضلالة، وفترة ، فيؤمن به أول مساكين الناس وضعفاؤهم وهي على عادة الرسل عليهم السلام ؛ فيصيرون به بعد خمولهم وكونهم مجهولين أعز الناس وأكرمهم .
- (۸) العيلة : الفقر .
- (۹) أخرجت : أوجدت وخلقت وأخرجت من العدم .
- (۱۰) رواه الطبراني، وأبو نعيم في الدلائل عن ابن مسعود (الدلائل : ۱ - ۸۲) . والدارمي عن كعب موقوفا ، ورواه بإسناد ضعيف . (الشهاب : ۱ - ۲۰۳ ، والقارى : ۱ - ۵۹) .

عَبْدِي أَحْمَدُ الْمُخْتَارُ ، مَوْلَاهُ بِمَكَّةَ ، وَمُهَاجِرُهُ ^(۱) بِالْمَدِينَةِ ، أَوْ قَالَ : طَيْبَةَ ^(۲) ،
أُمَّتُهُ الْحَمَادُونَ ^(۳) اللَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

وَقَالَ تَعَالَى ^(۴) : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا
عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ
وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا
بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . قُلْ يَا أَيُّهَا
النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
يُحْيِي وَيُمِيتُ ، فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ .

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى ^(۵) : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ
لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

قَالَ السَّهْرَقَنْدِيُّ : ذَكَرَهُمُ اللَّهُ مِنْتَهُ ^(۶) أَنَّهُ جَعَلَ رَسُولَهُ رَحِيمًا بِالْمُؤْمِنِينَ ، رَدِوْفًا

(۱) مهاجره : محل هجرته التي هاجر إليها .

(۲) طيبة : اسم من أسماء المدينة .

(۳) الحمادون : الكثيرو الحمد .

(۴) سورة الأعراف ، آية ۱۵۷ ، ۱۵۸ .

(۵) سورة آل عمران ، آية ۱۵۹ ، وذكر المؤلف هذه الآية لتعلقها بما تقدم في التوراة ؛

من قوله : ليس بفظ ولا غليظ .

(۶) منته : إمامه وامتتانه عليهم . وفي هامش : ۱ : كتبت ذكرهم ، وعليها علامة الصحة .

وفي ۱ : منته . والمثبت في ب .

لَيْنَ الْجَانِبِ ، ولو كان فَظًا خَشِينًا فِي الْقَوْلِ لَتَفَرَّقُوا مِنْ حَوْلِهِ ، وَلَكِنْ (۱) جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَمْحًا سَهْلًا ، طَلَقًا بَرًّا لَطِيفًا (۲) .

هَكَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ .

وَقَالَ تَعَالَى (۳) : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَاسِمِيُّ : أَبَانَ اللَّهُ تَعَالَى فَضْلَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفَضْلَ أُمَّتِهِ بِهَذِهِ الْآيَةِ ، وَفِي قَوْلِهِ فِي الْآيَةِ [۱۰] الْآخِرَى (۴) : ﴿ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (۵) : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : وَسَطًا : أَيُّ عَدْلًا خِيَارًا .

وَمَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ : وَكَمَا هَدَيْنَاكُمْ فَكَذَلِكَ خَصَّصْنَاكُمْ وَفَضَّلْنَاكُمْ بِأَنْ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً خِيَارًا عَدُولًا ؛ لِتَشْهَدُوا لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى أُمَّمِهِمْ ، وَيَشْهَدَ لَكُمْ الرَّسُولُ بِالصِّدْقِ .

(۱) فِي ب : لَكِنْ .

(۲) سَمْحًا : سَهْلًا جَوَادًا كَرِيمًا . طَلَقًا : غَيْرَ عَبُوسٍ ، فِيهِ بَشَاشَةٌ وَسُرُورٌ . وَالْبَارُ : مَنْ

فِيهِ خَيْرٌ وَشَفِيقَةٌ وَرَفَقٌ وَإِحْسَانٌ وَرَحْمَةٌ . وَاللَّطِيفُ : الشَّفِيقُ .

(۳) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، آيَةٌ ۱۴۳

(۴) سُورَةُ الْحَجِّ ، آيَةٌ ۷۸

(۵) سُورَةُ النِّسَاءِ ، آيَةٌ ۴۱ .

(۶) الْأُمَّةُ : الْجَمَاعَةُ . وَالشَّهِيدُ : هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي يَشْهَدُ عَلَى مَا عَمِلُوهُ . وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ

شَهِيدًا : أَيُّ جِئْنَا بِكَ يَا مُحَمَّدُ عَلَى هَؤُلَاءِ الشُّهَدَاءِ شَهِيدًا عَلَى صِدْقِهِمْ ؛ أَوْ عَلَى الْأُمَمِ ، أَوْ عَلَى التَّبْلِيغِ .

وقيل : إن الله جلَّ جلاله إذا سأل الأنبياء : هل بلغتُم^(١) . فيقولون : نعم .
فتقول أممهم : ما جاءنا من بشيرٍ ولا نذيرٍ ؛ فتشهد أمةُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم للأنبيا ؛
ويُرَكَّبُ عليهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم^(٢) .
وقيل : معنى الآية : إنكم حُجَّةٌ على كلِّ من خالفكم ، والرسولُ حُجَّةٌ عليكم^(٣) .
حكاه السمرقندي .

وقال الله تعالى^(٤) ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ .
قال قتادة ، والحسن ، وزيد بن أسلم : « قدم صدق » : هو محمدٌ صلى الله عليه
وسلم ، يشنع لهم^(٥) .

وعن الحسن أيضا : هي مصيبتهم بنبيهم^(٦) .
وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه : هي شفاعَةُ نبيهم محمدٍ صلى الله عليه
وسلم ؛ هو^(٧) شفيعُ صدقٍ عند ربهم .

(١) هل بلغتُم : سؤال الله ليظهر حال الأمم وفضل هذه الأمة ، وإلا فالله سبحانه وتعالى
يعلم السر وأخفى .

(٢) هذا حديث مرفوع أخرجه البخارى من حديث أبي سعيد الخدري . (صحيح البخارى :
٩ - ١٣٢) .

(٣) أى إجماعهم حجة ، وشهادتهم مقبولة معتبرة ، والنبي صلى الله عليه وسلم حجة على الجميع .
(٤) سورة يونس ، آية ٢

(٥) قدم صدق : تقدم ورتبة رفيعة عند الله . ويراد بقدم الصدق : تركيته المقرونة
بتصديقه ، وفيه مناسبة تامة لما نحن فيه . وفي تفسير القرطبي (٨ - ٣٠٦) - عن الحسن
وقتادة : هو محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنه شفيع مطاع يتقدمهم ، كما قال : أنا فرطكم (أى
متقدمكم) على الحوض . وارجع إلى القرطبي ففيه أقوال أخرى كثيرة فى معنى « قدم صدق » -
إن أردت .

(٦) أى وفاته صلى الله عليه وسلم قبيلهم . وهذا المعنى منقول فى القرطبي (٨ - ٣٠٦)
عن الحسن .

(٧) فى ب : وهو .

وقال سهل بن عبد الله التستري : هي سابقة رحمة أودعها الله في محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال محمد بن علي الترمذي^(١) : هو^(٢) إمام الصادقين والصدّيقين ، الشفيع المطاع ، والسائل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم ، حكاه عنه السلمي .

الفصل الثالث

فما ورد من خطابه إياه مَورِدَ المِلاطفةِ والمِبرةِ^(٣)

من ذلك قوله تعالى^(٤) : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ ، لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ﴾ .

قال أبو محمد مكي : قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة : أصلحك الله ، وأعزك الله .

وقال عون^(٥) بن عبد الله : أخبره بالعمفو قبل أن يُخبره بالذنب^(٦) .

وحكى السمرقندي عن بعضهم أن معناه : عافاك الله ياسليم القلب : لم أذنت لهم ؟

قال : ولو بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ، لم أذنت لهم لخيف عليه أن

يَنشَقَّ قلبه من هيبة هذا الكلام^(٧) ، لكن الله تعالى برحمته أخبره بالعمفو حتى

(١) هو الحكيم الترمذي ، وهو غير صاحب السنن .

(٢) في ب : هي - أي القدم . وفي تفسير القرطبي (٨ - ٣٠٦) : وقال الترمذي الحكيم :

قدمه صلى الله عليه وسلم في المقام الجمود .

(٣) أي خطاب الله تعالى لنبيه الكريم . والملاطفة : المعاملة باطف وشفقة . والمبرة :

بمعنى البر ، وهو الإحسان والخير .

(٤) سورة التوبة ، آية ٣٤

(٥) هو عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الكوفي الزاهد الفقيه ، توفي في حدود

سنة ستين ومائة .

(٦) الذنب هنا : خلاف الأولى والأليق ؛ لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين .

(٧) لأنه حينئذ يشعر بأنه وقع في الآثام .

سكن قلبه ، ثم قال له : لم أذنت لهم بالتخلف ^(١) حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب .

وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب ^(٢) .

ومن إكرامه إياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب ^(٣) . قال نبطويه ^(٤) : ذهب ناس إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الآية ، وحاشاه ^(٥) من ذلك ، بل كان مخيرا ^(٦) فلما أذن لهم أعله الله تعالى أنه لو لم يأذن لهم لعدوا لنفاقهم ، وأنه لا حرج عليه في الإذن [لهم] ^(٧) .

قال القاضي ^(٨) أبو الفضل : يجب على المسلم المجاهد نفسه ^(٩) ، الراض بزمام الشريعة خلقه ^(١٠) أن يتأدب بأدب القرآن في قوله ونعله ، ومعاطاته ^(١١) ومخاوراته ،

(١) كان هذا التخاف عن غزوة تبوك . (٢) اللب : العقل .

(٣) نياط القلب : نياط : عرق غليظ يعلق به القلب من الوتين . وقيل : هو الوتين نفسه ؛ فإذا انقطع مات صاحبه ؛ فلذا كنى به عن الموت .

(٤) نبطويه : هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي النحوي ، توفي سنة ثلاث وثلاثمائة ببغداد ودفن بباب الكوفة .

(٥) وحاشاه من ذلك : أي والنبي صلى الله عليه وسلم منزّه عن أن يفعل ما يستحق العتاب عليه . قال في نسيم الرياض : لاعتاب في هذه الآية ، بل فيها إعزاز له وإكرام بالدعاء له ، وتصويب لفعله .

(٦) بل كان مخيرا : بين الإذن وعدمه ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَأذن لمن شئت منهم ﴾ . وفي ب : مخيرا - بكسر الباء .

(٧) ليس في ب . (٨) هو المؤلف ، كما سبق .

(٩) المجاهد نفسه : بتهديب الأخلاق ، والصبر ، وكسر شهوتها ؛ فإنه الجهاد الأكبر . وفي ب : بنفسه .

(١٠) راض : من رضت الدابة أروضها ؛ إذا ذلتها لتتقاد لما تريد وتأمين شكيمتها . والزماد : ما يقودها كاللجام . (١١) معاطاته : المراد بالمعاطاة هنا الأفعال الواقعة منه .

فهو عنصرُ المعارف الحقيقية، وروضةُ الآداب الدينية والدُّنيوية (١)، وليتأمل هذه الملاحظة (٢) العجيبة في السؤال من ربِّ الأرباب، المنعم على الكل، المستغني عن الجميع، ويستثّر ما فيها من الفوائد (٣)، وكيف ابتداءً بالإكرام قبل العتب، وأنس (٤) بالعمو قبل ذكرِ الذنب إن كان ثمَّ ذنب.

وقال تعالى (٥): ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتُمْ تَرُكُّنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (٦).

قال بعضُ المتكلمين: عاتب اللهُ تعالى الأنبياء عليهم السلام بعد [١١] الزلاّت (٧)، وعاتب نبينا عليه السلام قبل وقوعه، ليكونَ بذلك أشدَّ انتباهاً ومحافظةً لشرائطِ المحبّة، وهذه غايةُ العناية.

ثم انظر كيف بدأ بثنائهِ (٨) وسلامتِهِ قبل ذكرِ ما عتبه (٩) عليه! وخيف أن

(١) فهو: الضمير للنبي، أول القرآن. والعنصر: الأصل. والروضة: أرض ذات مياه وأشجار وأزهار طيبة.

(٢) وليتأمل: وليتدبر؛ أي المسلم.

(٣) يستثّر: يبرز ويحرك، أي يظهره لنفسه ولغيره. وفي ب: يتبين ويستشير. وقال القاري: يستشير: من ثار للشيء إذا ارتفع وانتشر، والمراد يظهر وينتشر ويبحث ويستخرج ما فيها: أي الملاحظة والآداب القرآنية.

(٤) في ب: وأنس.

(٥) سورة الإسراء، آية ٧٤.

(٦) أي لولا أن ثبتناك على الحق والصواب والسداد قاربت الميل إلى مرادهم ميلاً قليلاً؛ ففي هذه الآية تصريح بأن الله عصمه عن الميل إلى خلاف الصواب، فضلاً عن الوقوع فيه. وفيه دليل ظاهر على ما قدمه من أنه لا ذنب له رأساً.

(٧) الزلاّت: جمع زلّة، من الزلل، وأصله دحوض القدم، ثم عبر به عن الوقوع فيما لا يرضى من غير قصد؛ ولذا فسر بالخطأ؛ فإن الزلّة ما صدر من سالك الطريق من غير قصد المخالفة.

(٨) أي لم يقل: لقد كدت تتركهم شيئاً قليلاً لولا أن ثبتناك، فبدأ بثنائه على الموافقة،

(٩) في ب: ما عاتبه عليه.

يَرَكْنَ إِلَيْهِ ، فَمَنْ أَتَىٰ عَتَبَهُ بِرَأْسِهِ ، وَفِي طَيِّبَاتِ تَخْوِيفِهِ تَأْمِينُهُ وَكَرَامَتُهُ .
ومثله قوله تعالى ^(١) : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ، فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ ^(٢) .

قال علي رضي الله عنه ^(٣) : قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم : إنا
لأنكذب بك ولكن نكذب ما ^(٤) جئت به ، فأنزل الله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ .

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم ^(٥) لما كذب به قومه حزين ، فجاءه جبريل عليه
السلام فقال : ما يحزنك ^(٦) ؟ قال : كذبني قومي ! فقال : إنهم يعلمون أنك صادق ،
فأنزل الله تعالى الآية .

ففي هذه الآية منزع ^(٧) لطيف المأخذ ، من تسليته ^(٨) تعالى له عليه السلام ،
وإلطافه به في القول ، بأن قرّر ^(٩) عنده أنه صادق عندهم ، وأنهم غير مكذبين له ،
مُعْتَرِفُونَ بِصِدْقِهِ قَوْلًا وَاعْتِقَادًا ، وقد كانوا يُسْمُونَهُ - قبل النبوة - الأمين ،

(١) سورة الأنعام ، آية ٣٣ (٢) يجحدون : ينكرون .

(٣) في تفسير القرطبي (٦ - ٤١٦) : قال أبو ميسرة : إن رسول الله مر بأبي جهل وأصحابه
فقالوا : يا محمد ، والله ما نكذبك ، وإنك عندنا لصادق ، ولكن نكذب ما جئت به ، فنزلت
هذه الآية .
(٤) في ب : بما .

(٥) قال السيوطي في تخريجه هذا الحديث : لم أجده . وقال القاري : حديث جبريل
هذا أورده بصيغة روى ، ولم أعرف من رواه .

(٦) في ب . ما يحزنك - بفتح الياء .

(٧) منزع لطيف : المراد به شيء يرجع إليه . لطيف المأخذ : حسن دقيق أخذه واستنباطه
منها .

(٨) التسلية : تطيب القلب بما يذهب حزنه ويفرج كربه .

(٩) قرّر : بين وأثبت .

خَدَفَعْ بِهَذَا التَّقْرِيرِ ارْتِمَاضَ نَفْسِهِ بِسِمَةِ الْكُذْبِ ^(١) ، ثُمَّ جَعَلَ الذَّمَّ لَهُمْ بِتَسْمِيَّتِهِمْ جَاحِدِينَ ظَالِمِينَ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ .

فحاشاه من الوصم ^(٢) ، وطوقهم ^(٣) بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم ، إذ الجحد إنما يكون ممن علم الشيء ثم أنكره ، كقوله تعالى ^(٤) : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ .

ثم عزاه وآنسه ^(٥) بما ذكره عمّن قبله ، ووعدده النصر بقوله تعالى ^(٦) : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوَدُّوا حَتَّى آتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيٍّ الْأُرْسَلِينَ ﴾ ^(٧) .

فمن قرأ ^(٨) « لَا يُكذِّبُونَكَ » بالتخفيف ، فعناه : لَا يَجِدُونَكَ كَاذِبًا . وَقَالَ ^(٩) الْفَرَّاءُ ، وَالْكَسَائِيُّ : لَا يَقُولُونَ إِنَّكَ كَاذِبٌ .

وَقِيلَ : لَا يَحْتَجِّجُونَ عَلَى كَذِبِكَ ، وَلَا يُثَبِّتُونَهُ .

وَمَنْ قَرَأَ بِالتَّشْدِيدِ ^(١٠) فَعَنَاهُ : لَا يَنْسُبُونَكَ إِلَى الْكُذْبِ . وَقِيلَ : لَا يَمْتَقِدُونَ كَذِبَكَ .

(١) الارتماض : أصل الارتماض من الرضاء ، وهي شدة الحرارة ، شبه بها ما اشتد عليه وأقلقه من ألم قلبه . والسمة : العلامة .

(٢) حاشاه من الوصم : أي نزه الله النبي وبرأه من الوصم ؛ وهو النقص والميب . والمراد به الكذب المذكور في الآية .

(٣) وطوقهم : وألزمهم . (٤) سورة النمل ، آية ١٤

(٥) التعزية : تسلية المصاب بما يخفف حزنه . وآنسه : أذهب وحشته وفاقه بمالقيه منهم .

(٦) سورة الأنعام ، آية ٣٤

(٧) لكلمات الله : أي مواعيده بنصر أنبيائه وأوليائه بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا ﴾ .

(٨) وهو نافع ، والكسائي . (٩) في ب : قال . (١٠) وهم الباقون .

ومما ذُكر من خصائصه ^(١) وبرِّ الله تعالى به أن الله تعالى خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم ، فقال تعالى : يا آدم ، يا نوح ، [يا موسى] ^(٢) ، يا داود ، يا عيسى ، يا زكريا ، يا يحيى . ولم يخاطب هو إلا : يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ، يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ، يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُ ، يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ .

الفصل الرابع

في قسمه تعالى بعظيم قدره

قال الله تعالى ^(٣) : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ ﴾ ^(٤) يَعْمَهُونَ ﴿ ٥ ﴾ .

اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله جلَّ جلاله بملدَّة حياة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأصله ضمُّ العين ، من العُمُر ، ولكنها فُتحت لكثرة ^(٥) الاستعمال . ومعناه : وبثأرك يا محمد . وقيل : وعيشك . وقيل : وحياتك .

وهذه نهاية التعظيم ، وغاية البرِّ والتشريف . قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما خلق الله تعالى ، وما ذرأ ^(٦) ، وما برأ نفساً - أكرم عليه من محمد ^(٧) صلى الله عليه وسلم ، وما سمعتُ الله تعالى أقسم بحياة أحدٍ غيره ^(٨) . وقال أبو الجوزاء ^(٩) : ما أقسم الله تعالى بحياة أحدٍ غير محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه أكرم ^(١٠) البرية عنده .

- (١) خصائص : جمع خصيصة . وهي ما خص به دون غيره تميزاً له وتفضيلاً له على غيره .
- (٢) ليس في ١ . (٣) سورة الحجر ، آية ٧٣
- (٤) مكرتهم : غفلاتهم . يعمهُون : يتحيرون ويترددون .
- (٥) في ب : بكثرة . (٦) ذرأ : خلق . وبرأ : خلق .
- (٧) في ب : غير محمد صلى الله عليه وسلم .
- (٨) قول ابن عباس هذا رواه البيهقي في دلائله ، وأبو نعيم ، وأبو يعلى .
- (٩) أبو الجوزاء : أوس بن عبد الله الرابعي البصري ، بروى عن عائشة وغيرها ، وعنه قتادة وعدة ، وهو ثقة ، كما قال الحاكم . وتوفي سنة ثلاث وثمانين . وفي ب : أبو الخبر .
- (١٠) البرية : الخليفة .

وقال تعالى (١) : ﴿يَسْ . وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ . . .﴾ الآيات .

اختلف المفسرون في معنى «يس» على أقوال ؛ فحكى أبو محمد مكي [أنه] (٢)
رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لي عند ربِّي عشرةُ أسماء ، ذكر منها : طه
ويَس - اسمان له (٣) .

وحكى أبو عبد الرحمن السلمي ، عن جعفر الصادق - أنه أراد : يا سيِّدُ ، مخاطبةً
لنبيه صلى الله [١٢] عليه وسلم .

وعن ابن عباس : يس - يا إنسان (٤) ، أراد محمداً صلى الله عليه وسلم ، وقال :
هو قَسَمٌ ، وهو من أسماء الله تعالى (٥) .

وقال الزجاج (٦) : قيل معناه : يا محمد . وقيل : يا رجل . وقيل : يا إنسان .
وعن ابن الحنفية : يس : يا محمد .

وعن كعب : يس : قَسَمٌ أقسم الله تعالى به قبل أن يخلق السماء والأرض بألفي
عام : يا محمدُ إنك لمن المرسلين . ثم قال : والقُرْآنَ الْحَكِيمَ - إنك لمن المرسلين .

(٢) ليس في ١ .

(١) سورة يس ، آية ١ ، ٢ .

(٣) اسمان له : أي هما اسمان له صلى الله عليه وسلم . وقال القاري (١ - ٧٤) :
ومع هذا ليس الحديث المذكور بصحيح ، وقد ضعفه القاضي أبو بكر بن العربي . وقال الشهاب .
(١ - ٢٤٠) : في سنده مقال .

(٤) رواه ابن أبي حاتم . وعن مناتل إنها لغة جبشية ، يسمون الإنسان « يس » . وعن
ابن عباس إنها لغة طيء .

(٥) قال السيوطي : أخرجه ابن جرير .

(٦) الزجاج : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد مبيخ العربية ، الإمام في الأدب . توفي سنة
ست أو إحدى عشرة وثلاثمائة (الشهاب : ١ - ٢٤٣) . وقال القاري (١ - ٧٥) : توفي
سنة عشر وثلاثمائة ببغداد .

فإن قرّر أنه بين أسمائه صلى الله عليه وسلم ، وضح فيه ^(١) . أنه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ^(٢) . ويؤكّد فيه القسم عطف القسم الآخر عليه ، وإن كان بمعنى النداء فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق رسالته ، والشهادة بهدايته : أقسم الله تعالى باسمه ^(٣) وكتابه إنه آمن المرسلين بوحيه إلى عباده ، وعلى صراط مستقيم من إيمانه ، أى طريق لا اعوجاج فيه ، ولا عدول عن الحق .

قال النقاش ^(٤) : لم يقسم الله تعالى لأحد من أنبيائه بالرسالة فى كتاب إلا له ، وفيه من تعظيمه وتمجيدِه - على تأويل من قال : إنه ياسيد - ما فيه ؛ وقد قال عليه السلام : أنا سيّدُ ولدِ آدمَ ، [ولا فخر] ^(٥) .

وقال تعالى ^(٦) : لا أقسم بهذا البلد ، وأنت حلٌّ بهذا البلد . قيل : لا أقسمُ به إذا لم تكن فيه بعد خروجك منه ، حكاه مكّي ^(٧) . وقيل : « لا » زائدة ؛ أى أقسم به وأنت به يا محمد حلال ^(٨) . أو حلٌّ لك ما فعلت فيه على التفسيرين .

(١) أنه : الضمير لـ « يس » . (٢) ما تقدم : أى من القسم بقوله : لعمر ك .

(٣) باسمه : وهو يس : العلم الدال على ذاته .

(٤) النقاش : أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلى البغدادي المفسر المقرئ توفى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة .

(٥) ما بين القوسين ليس فى ب . والفخر : ادعاء العظمة والكرف والإعلان بذكره ؛ أى لا أقول ذلك تبجحاً ولا افتخاراً بل تحديثاً بنعم الله وشكره . والحديث فى مسلم (١٧٨٢) ، وابن ماجه (١٤٤٠) . (٦) سورة البلد ، آية ١ ، ٢ .

(٧) أى « لا » نافية ، والبلد : مكة . وفى شرح القارى (١ - ٧٧) : هذا القى حكاه مكّي لا يستقيم تنزيله على الآية ، لأنه عكس مقتضاها ، ألا ترى أن الواو من قوله تعالى : وأنت حل . واو الحال ، وإذا كانت كذلك فيكون معنى الآية : لا أقسم بهذا البلد إذا كنت فيه ، وهو ضد ما قال مكّي .

(٨) حلال : مقم .

والمرادُ بالبلد عند هؤلاء مَكَّة .

وقال الواسطيُّ : أى نَحَلِّفُ لك بهذا البلدِ الذى شَرَّفْتَهُ بِمَكَانِكَ فِيهِ حَيًّا ،
وَبِرَكَتِكَ مَيِّتًا - يَعْنِي الْمَدِينَةَ .

والأولُ أَصَحُّ ؛ لِأَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةً ، وَمَا بَعْدَهُ يُصَحِّحُهُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْتَ
حَلِّفٌ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ .

وَنَحْوُهُ قَوْلُ ابْنِ عَطَاءٍ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى (١) : ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ قَالَ :
أَمَّنْهَا اللَّهُ تَعَالَى بِمُقَامِهِ فِيهَا وَكَوْنِهِ بِهَا ، فَإِنْ كَوَّنَهُ (٢) أَمَانَ حَيْثُ كَانَ .

ثُمَّ قَالَ (٣) : « وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ » : وَمَنْ قَالَ : أَرَادَ آدَمَ فَهُوَ عَامٌّ (٤) ؛ وَمَنْ
قَالَ : هُوَ إِبْرَاهِيمَ وَمَا وَلَدَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - إِشَارَةٌ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَتَضَمَّنُ
السُّورَةُ الْقَسَمَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوَاضِعٍ (٥) .

وَقَالَ تَعَالَى (٦) : ﴿ أَلَمْ - ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ :

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : هَذِهِ الْحُرُوفُ أَقْسَامٌ (٧) أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا . وَعَنْهُ وَعَنْ غَيْرِهِ
فِيهَا غَيْرُ ذَلِكَ .

وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيُّ (٨) : الْأَلْفُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى . وَاللَّامُ جَبْرِيلُ .
وَالْمِيمُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) سورة التين ، آية ٣

(٢) فإن كونه ، أى وجوده . أمان : موجب للأمانة . حيث كان : حيث وجد بذاته الشريفة .

(٣) سورة البلد ، آية ٣

(٤) فالقسم على هذا بنوع الإنسان ، لأنه أشرف مخلوقاته .

(٥) أجددهما في البلد الذى هو محله ، والثانى فى قوله : ومولود - على هذا التفسير .

(٦) سورة البقرة ، آية ١ ، ٢

(٧) الأقسام : جمع قسم ، بمعنى المقسم به .

(٨) رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم .

وحكى هذا القول السمرقنديُّ ، ولم ينسبه إلى سهل ، وجعل معناه : الله أنزل جبريل على محمد بهذا القرآن لا ريب فيه .

وعلى الوجه الأول ^(١) يحتمل القسم أن هذا الكتاب حق لا ريب فيه ، ثم فيه من فضيلة قرآن اسمه باسمه نحو ما تقدم .

وقال ابن عطاء - في قوله تعالى ^(٢) : ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ - أقسم بقوة قلب ^(٣) حبيبه [محمد] ^(٤) صلى الله عليه وسلم حيث حمل ^(٥) الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه أعلو حاله ^(٦) .

وقيل : هو اسم للقرآن . وقيل : هو ^(٧) اسم لله تعالى ^(٨) . وقيل : جبل محيط بالأرض . وقيل غير هذا .

وقال جعفر بن محمد - في تفسير ^(٩) : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ : إنه محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال ^(١٠) : النجم قلب محمد صلى الله عليه وسلم : انشرح من الأنوار .

(١) الوجه الأول الذي رواه عن ابن عباس ، وهو القسم بالحروف .

(٢) سورة ق ، آية ١

(٣) فالقاف بمعنى القوة على طريق الاكتفاء كما في قوله : قات لها قني قالت قاف .

(٤) ليس في ب .

(٥) حمل : تحمل ، وأطاق خطاب الله ليلة الإسراء ومشاهدة الماكوت ومهابة .

(٦) أي إن له صلى الله عليه وسلم حالا في ثبات جنانه ورفعته شأنه ، لما أودع في قلبه من

اليقين .

(٧) هو : أي ق .

(٨) على نحو ما مر من إطلاق حرف من الاسم على مسماه ، فهو على هذا بمعنى قيوم ، أو

قدير ، ونحوه .

(٩) سورة النجم ، آية ١

(١٠) وقال : أي جعفر ، فله فيه تفسيران ، أو عنه فيه روايتان .

وقال : انقطع^(١) عن غير الله .

وقال ابن عطاء - في قوله تعالى^(٢) : ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ - الفجر : محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن منه تفجر الإيمان^(٣) .

الفصل الخامس

في قسمه تعالى [١٣] جدّه ، له ، ليحقق مكانته عنده^(٤)

قال جلّ اسمه : ﴿ وَالضُّحَى . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى .
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ، أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا
فَأَوَى . وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ، فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَر .
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَر . وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّث ﴾ .

اختلف في سبب نزول هذه السورة^(٥) ؛ ف قيل : كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به ، فتكلمت امرأة^(٦) في ذلك بكلام . وقيل : بل تكلم

(١) هذا تفسير آخر لقوله : هوى . وهذا المعنى الأخير أظهر ، لأنه من هوى النجم .
إذا سقط من بين النجوم ، وهو إذا انقطع إلى ربه فارق الناس .

(٢) سورة الفجر ، آية ١

(٣) قال في نعيم الرياض : من فسر الفجر بمحمد صلى الله عليه وسلم يفسر الليالي العشر بعشر رمضان . ثم قال : والذي عليه المحققون من المفسرين أنه على حقيقته ، أو هو بتقدير مضاف : أي وصلاة الفجر . والليالي العشر : عشر ذي الحجة .

(٤) تعالى جدّه : عظّمته . له : متعلق بالقسم . والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم .

(٥) سبب النزول : أمر حادث في زمن النبوة ينزل القرآن في حقه ، ويجوز تعدده .

(٦) روى أن هذه المرأة هي أم جميل بنت حرب ، امرأة أبي لهب .

به المشركون عند فَتْرَةِ^(١) الوحي ، فنزلت السورة .
 قال الناضي الإمام أبو الفضل : تَضَمَّنَتْ هذه السورة من كرامة الله تعالى له ،
 وتَنَوُّبِهِ^(٢) به وتعظيمه إياه ستة وجوه :
 الأول : القَسَمُ له عما أخبره به من حاله بقوله تعالى : « والضحي . والليل إذا سجي »^(٣) ،
 أي وربُّ الضحي ، وهذا من أعظم درجات المَبْرَةِ^(٤) .
 الثاني - بَيَانُ مكانته عنده وحُظُوته لَدَيْهِ بقوله تعالى^(٥) : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ
 وَمَا قَلَى ﴾ ؛ أي ما تركك وما أَبْغَضَكَ . وقيل : ما أَهْمَكَ بعد أن اصْطَفَاكَ^(٦) .
 الثالث - قوله تعالى^(٧) : ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ ؛ قال ابن إسحاق :
 أي مالك في مَرَجِكَ عند الله أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا .
 وقال سهل : أي ما ذخرتُ لك من الشفاعة والمقام المحمود^(٨) خَيْرٌ لَكَ
 مما أعطيتك في الدنيا .

الرابع - قوله تعالى^(٩) : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ .

- (١) أصل الفترة : مدة قابلة بين الشيتين ، والسكون . والمراد انقطاع الوحي عنه مدة .
 وكان الوحي قد تأخر عن النبي صلى الله عليه وسلم بضعة عشر يوماً . وقيل : كانت المدة سنتين
 ونصفاً . والأول أصح . فقالت قريش ، إن محمداً ودعه ربه وقلاه .
 (٢) كرامة الله : إكرامه ، أي توقيره . وتنويه به ، أي رفعة قدره ، وإشاعة فضله .
 (٣) الضحى : جمع ضحوة - كقريية : وهي أول النهار . سجي : دخل وأظلم . أو سكن .
 (٤) المبرة : بمعنى البر ، وهو الإحسان ، وكل أمر مرضى .
 (٥) سورة الضحي ، آية ٣ .
 (٦) اصطفاك : اختارك وقربك .
 (٧) سورة الضحي ، آية ٤ .
 (٨) المقام المحمود : مقام الشفاعة العظمى الذي يحمده فيه الأولون والآخرون .
 (٩) سورة الضحي ، آية ٥ .

وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة ، وأنواع السعادة ، وشتات الإنعام في الدارين . والزيادة^(١) .

قال ابن إسحاق : يُرْضِيهِ بِالْفَلَاحِ^(٢) في الدنيا ، والثواب في الآخرة :
وقيل : يُعْطِيهِ الْخَوْضَ وَالشَّفَاعَةَ .

وروى عن بعض آل النبي^(٣) صلى الله عليه وسلم أنه قال : ليس آية في القرآن أَرْجَى مِنْهَا^(٤) ، وَلَا يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَدْخَلَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِهِ النَّارَ .

الخامس - ما عدده تعالى عليه من نعمه ، وقرره من آياته^(٥) قبله في بقية السورة ؛ من هدايته إلى ما هداه له ، أو هداية الناس به على اختلاف التفاسير ، ولا مال له ؛ فأغناه بما آتاه ، أو بما جعله في قلبه من القناعة والغنى ، ويطمأئنه فجدب عليه عمه وآواه^(٦) إليه .

(١) شتات الإنعام : متفرقاته ، والزيادة على ذلك بما خصه به . أو الزيادة على النعم المعروفة ببلقائه ورضوانه .

(٢) في أ : بالفالج - بضم الفاء ، وسكون اللام . وفي هامش ب : الفلج : النصر . والفالج : الفوز والظفر بالأعداء ، فالمراد أنه يفوز في الدنيا وينصره الله ويحميه .

(٣) هو علي رضي الله عنه . أو الحسن بن محمد بن الحنفية ، أو غيرها : قال في النسيم :
وطرقه متعددة فهي تعضده ، وهو في تفسير القرطبي : ٢٠ - ٩٦ ، وانظر أيضا صحيح مسلم : ٢١٣٦ .

(٤) منها : أي من قوله تعالى : ولسوف يعطيك ربك فترضى . وارجع إلى القاري (١-٨٦) ،
ففيه حديث طويل عن أرجى آية في القرآن - إن أردت .

(٥) آياته : نعمه .

(٦) جدب : المراد العطف والشفقة . وعمه : هو عمه أبو طالب . وآواه : ضم إليه لتربيته وحمايته . وفي هامش ب : جدب عليه - بالجيم وضم الدال ؛ أي رق عليه . ولم أقف عليه .

وقيل : آواه إلى الله^(١) . وقيل : يتما : لا مثقال لك ، فأواك إليه .
 وقيل : المعنى : ألم يجدر بك فهدى بك ضالاً ، وأغنى بك عائلاً ، وآوى بك
 يتما^(٢) - ذكره بهذه المنن^(٣) ، وأنه على المعلوم من التفسير لم يمهله في حال صغره وعيئلته^(٤)
 ويئمه وقبل معرفته به ، ولا ودعه ولا قلاه^(٥) ، فكيف بعد اختصاصه واصطفائه !
 السادس : أمره بإظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه بنشره وإشادته^(٦) ذكره
 بقوله تعالى : « وأما بنعمة ربك فحدث » ؛ فإن من شكر النعمة الحديث بها ؛
 وهذا خاص له ، عام لأُمَّته .

وقال تعالى^(٧) : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ . وَمَا يَنْطِقُ
 عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ . عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ .
 وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ . فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ
 مَا أَوْحَىٰ . مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ . أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ .
 عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ . عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ . إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ . مَا زَاغَ
 الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ . لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ .

(١) أي قيل في تفسير هذه الآية : إن معناها آواه الله ، أي ضمه إلى نفسه ، ولم يحوجه
 لحماية أحد وإيوائه .

(٢) في نسيم الرياض : حكاة بـ « قيل » إشارة إلى ضعفه ، لأن هذا القول لا يساعده
 إعراب ، ولا يصحبه صواب ، فالأولى تركه .

(٣) المنن : جمع منة ، وهي الإحسان .

(٤) لم يمهله : لم يتركه . والعيلة : الاحتياج والفقر .

(٥) ماودعه ولا قلاه : ما تركه ولا أبغضه ، وقد تقدم .

(٦) بنشره : بإذاعته ، وإظهاره للناس . وأصل معنى الإشادة : رفع الصوت ، والمراد :
 إعلام الثقاتين .

(٧) سورة النجم ، آية ١ ، وما بعدها .

اختلف المفسرون في قوله تعالى : « والنجم » بأقوالٍ معروفة ، منها النجم على ظاهره ، ومنها القرآن^(۱) .

وعن جعفر بن محمد أنه محمدٌ عليه السلام ؛ وقال : هو قلبُ محمد^(۲) .
وقد قيل في قوله تعالى^(۳) : ﴿ والسماء والطارق . وما أدراك ما الطارق .
النجم الثاقب ﴾^(۴) - إن النجم هنا أيضا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ حكاه السامري .
تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العِدِّ ما يقف دونه العِدُّ^(۵) ، وأقسم جلَّ
اسمه على هداية المصطفى ، وتنزيهه عن الهوى^(۶) ، وصدِّقه فيما تلا ، وأنه وحيُّ بوحي
أوصاه إليه - عن الله - جبريل ، وهو الشديدُ القوي .
ثم أخبر تعالى عن فضيلته بقصة الإسراء^(۷) ، وانتهاه إلى سِدْرَةِ^(۸) المنتهى ،

(۱) لأنه نزل نجوما متفرقة بحسب المصالح .

(۲) قال الخفاجي : إطلاق النجم على قاب النبي لإشراقه بالأنوار الإلهية ، وهو منبعها
ومنبع الهداية ، وفيه خفاء . وقال القاري (۱ - ۹۰) : ولعل المراد بهواه على هذا : ميله إلى
ربه وغيبته عن غيره ، واستغراقه في حبه . وقد تقدم هذا القول لجعفر بن محمد .

(۳) سورة الطارق ، آية : ۱ - ۳

(۴) الطارق : أصل معناه : الذي يأتي ليلا ، لأنه يطرق الباب اللئق ليلا . أو يطرق
الأرض برجله ، ثم غلب على النجم لظهوره ليلا . والثاقب : المضيء ؛ وكأنه يشق الظلام بضوئه
فينفذ فيه .

(۵) العد - بكسر العين : الكثير . العد - بفتح العين : الإحصاء . وفي هامش ب : العد -
بكسر العين : الذي يقف دونه الحصر ، والماء الكثير الذي له مادة لا تنقطع ، والله أعلم .
والعد - بفتح العين : العدد .

(۶) هذا ما دل عليه قوله تعالى : ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى .

(۷) قال الشهاب (۱ - ۲۷۲) الإسراء : إسراؤه من مكة لبيت المقدس . والمعراج :
عروجه إلى الملائكة الأعلى ، وإن كان كل منها يطلق على الآخر . وابتداء القصة من قوله :
« فاستوى . . . » إلى قوله : « لقد رأى من آيات ربه الكبرى . . . » في المعراج . وقال
القاري : بقصة الإسراء ، أي بقصة المعراج المبتدأ بعد الإسراء إلى المسجد الأقصى ، كما أشار
إليه بقوله : وانتهاه إلى سدرَةِ المنتهى . (۸) سدرَةُ المنتهى : شجرة .

وتصديق بصره فيما رأى^(١)، وأنه رأى من آيات ربِّه الكبرى [١٤] . وقد نبّه على مثل هذا في أول سورة الإسراء .

ولما كان ما كاشفه به عليه السلام من ذلك الجبروت^(٢)، وشاهدته من عجائب الملكوت لا تُحيطُ به العبارات، ولا تستقلُّ بحمل سماع أدناه^(٣) العقول - رمز عنه تعالى بالإيماء والكناية الدالة على التعظيم^(٤)؛ فقال تعالى^(٥) : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ .

وهذا النوع من الكلام يُسميه أهلُ النقد والبلاغة بالوحي والإشارة، وهو عندهم أبلغُ أبوابِ الإيجاز .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ - انحسرت الأفهامُ عن تفصيل ما أوحى، وتاهت^(٦) الأحلامُ في تعيين تلك الآيات الكبرى .

قال القاضي أبو الفضل^(٧) : اشتملت هذه الآياتُ على إعلام الله تعالى بتركية^(٨) جملته عليه السلام، وعصمتها من الآفات في هذا المسرى^(٩)، فزكى فؤاده ولسانه

(١) أى تصديق الله له في رؤيته في قوله تعالى : « ما زاغ البصر . . . » ؛ أى ما رآه واعتقده بسبب رؤيته حق مطابق للواقع .

(٢) كاشفه : عاينه . أى عاين الجبروت واطلع عاينه . والجبروت : بمعنى المظنة والجلالة .

(٣) لا تستقل : لا تنفرد ولا تقوى . وأدنى : أقل .

(٤) رمز : أشار . والكناية : ما يراد به لازم معناه الحقيقي مع جواز إرادته . والكناية :

ما يقابل الصريح ، وهو المراد هنا . (٥) سورة النجم ، آية ١٠ .

(٦) انحسرت : أعيت وكادت . وتاهت : ضلت وتحيرت . والأحلام : العقول .

(٧) هو المصنف .

(٨) التزكية : تطهيره عن النقائص البشرية . والمراد بتزكية جملته : تطهير ذاته ، وتنمية

صفاته .

(٩) وعصمتها : حفظها . والآفات : جمع آفة ، ما يعرض من الفساد . والمسرى : مكان

السرى .

وَجَوَارِحَهُ : [فزكى]^(۱) قلبه بقوله : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ . ولسانه بقوله : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ . وبصره بقوله : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾^(۲) .

وقال تعالى^(۳) : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ . الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ﴾^(۴) . واللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ . والصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ^(۵) : إنه لقول رسول كريم . ذى قُوَّةٍ عند ذى العرشِ مَكِينٍ^(۶) . مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ . وما صاحبكم بمجنون . ولقد رآه بالأفق المبين . وما هو على الغيب بضنين . وما هو بقول شيطانٍ رجيمٍ^(۷) .

« لا أقسم » : أى أقسم . « إنه لقول^(۷) رسول كريم » ؛ أى كريم عند مرسله . « ذى قُوَّةٍ » على تبليغ ما حمّله من الوحي ، « مكين » : أى متمكّن المنزلة من ربه ، رفيع المحلّ عنده ؛ « مُطَاعٍ ثَمَّ » : أى فى السماء . « أمين » على الوحي . قال على بن عيسى^(۸) وغيره : الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فجميع الأوصاف بعد على هذا له .

(۱) من ب .

(۲) أى ما مال بصره يمينا ولا شمالا ، ولا تجاوز حده فى نظره لما هو أمامه . وفى هذا بيان لثبات جنانه ، أو كمال أدبه ، وهو فى رؤيته لربه فى معراجيه .

(۳) سورة التكوير : الآيات من ۱۵ - ۲۵

(۴) الخنوس الجوار الكنس : الكواكب التى تخنس بالنهار : أى تزجع . (مفردات القرآن) . والكنس : التى تغيب فى منازبها .

(۵) عسس : أقبل وأدبر ، وذلك فى مبدأ الليل ومنتهاه . فالعسمة : رقة الظلام ، وذلك فى طرفى النهار ، وسيأتى ذلك .

(۶) ذى قُوَّةٍ : هو جبريل - وقيل : هو النبي .

(۷) إنه ، أى القرآن .

(۸) هو على بن عيسى الرماني النحوى ، وهو من أصحاب ابن دريد ، وصاحب كتاب النسك فى إعجاز القرآن ، إمام مشهور فى سائر العلوم ، توفى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة (القارى : ۱ - ۹۴) .

وقال غيره^(۱) : هو جبريل ، فترجع الأوصافُ إليه .
 ولقد رآه - يعني محمداً - قيل : رأى ربه . وقيل : رأى جبريل في صورته .
 « وما هو على الغيب بظنين » ، أي : بمتهم . ومن قرأها بالضاد فعناه : ما هو
 بينخيل بالدعاء به ، والتذكير بحِكْمِهِ^(۲) وبعلمه ، وهذه لحمد عليه السلام باتفاق .
 وقال تعالى^(۳) : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُورُونَ . مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ .
 وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ . وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ . فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمْ
 الْمَقْتُولُونَ . إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ . فَلَا تُطِعِ
 الْمَكذِبِينَ . وَذُؤا لَوْ تَذَهِنُ فَيُدْهِنُونَ . وَلَا تُطِعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ . هَمَّازٍ مَشَاءٍ
 بِنِيمٍ . مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَيْمٍ . عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ . أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ .
 إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ . سَنَسِيهُ عَلَىٰ الْخُرُطُومِ ﴾ .
 أقسم الله تعالى بما أقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى بما غمصته^(۴) ،
 الكفرةُ به ، وتكذيبهم له ، وأنسه^(۵) ، وبسط أمله^(۶) بقوله - محسنا خطابه :
 « ما أنت بنعمة ربك بمجنون » .

وهذه نهايةُ المبررة في المخاطبة ، وأعلى درجاتِ الآداب في المحاوراة ؛ ثم أعلمه
 بما له عنده من نعيمٍ دائم ، وثوابٍ غير منقطع ، لا يأخذه عد^(۷) ، ولا يُمتنُّ به عليه ؛
 فقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾^(۸) .

- (۱) وهم الأكثرون من العلماء ، وهو قول جمهور المفسرين .
- (۲) الدعاء : بمعنى الدعوة . والتذكير : التنبية أو الوعظ .
- (۳) سورة القلم ، الآيات من : ۱ - ۱۶ .
- (۴) غمصته : عابته وحقرتة .
- (۵) هذا الضبط في أ ، ب . والمراد أنه جملة ذَا أَنَسٍ بقربه ، ومستأنسا بحبه .
- (۶) وبسط أمله : الأمل : الرجاء ؛ وبسطه : توسيعه .
- (۷) لا يأخذه عد : أي لا يحصى ولا يعد .
- (۸) غير ممنون : غير منقطع ، أو غير ممنون عليك به من غيرك ، لأنه موهبة إلهية .

ثم أثنى عليه بما منحه من هباته ، وهداهُ إليه ، وأكَّـد ذلك تَمْيِماً للتمجيد^(١) ،
بحرفِ التأكيد^(٢) ؛ فقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ أَعْلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ . قيل : القرآن . وقيل :
الإسلام . وقيل : الطَّبَعُ الكَرِيم . وقيل : ليس لك همة^(٣) إلا الله .
قال الواسطي : أثنى عليه بِحُسْنِ قَبُولِهِ لِمَا أَسَدَاهُ^(٤) إليه من نِعَمِهِ ، وَفَضْلِهِ
بِذَلِكَ عَلَى غَيْرِهِ ؛ لِأَنَّهُ جَبَّاهُ^(٥) عَلَى ذَلِكَ أَنْخَلَقَ ؛ فَسُبْحَانَ اللَّطِيفِ الْكَرِيمِ ، الْمُحْسِنِ
الْجَوَادِ ، الْحَمِيدِ الَّذِي يَسِّرُ لِلْخَيْرِ^(٦) وَهَدَى إِلَيْهِ ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَى فَاعِلِهِ ؛ وَجَازَاهُ عَلَيْهِ
سُبْحَانَهُ ، مَا أَعْمَرَ نَوَالَهُ^(٧) ، وَأَوْسَعَ إِفْضَالَهُ^(٨) ؛ ثُمَّ سَلَّاهُ عَنْ قَوْلِهِمْ بَعْدَ هَذَا بِمَا وَعَدَهُ
بِهِ مِنْ عُقَابِهِمْ^(٩) ، وَتَوَعَّدَهُمْ بِقَوْلِهِ : ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَبْصَارِكُمُ الْمَفْتُونِ . إِنَّ رَبَّنَا
هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ .
ثم عطف^(١٠) بعد مَدْحِهِ عَلَى ذَمِّ عَدُوِّهِ^(١١) ، وَذِكْرِ سُوءِ خُلُقِهِ ، وَعَدِّ مَعَايِبِهِ ،
مَتَوَلِّياً ذَلِكَ بِفَضْلِهِ ، وَمُنْتَصِراً لِنَبِيِّهِ ؛ فَذَكَرَ بَعْضَ عَشْرَةِ خِصَالَةٍ مِنْ خِصَالِ الذَّمِّ فِيهِ

- (١) التمجيد : التعظيم .
(٢) حرفا التأكيد هما : إن ، واللام .
(٣) ليس لك همة : الهمة : العزم والمقصد . وفي أ : همه - بالهاء .
(٤) أسداه : أسدى : أعطى .
(٥) جبَّاه : خلقه مطبوعاً .
(٦) يشير إلى قوله تعالى : « أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » . وتيسير الخير : تسهيله
بتهيئة أسبابه ، كما قال تعالى : ﴿ فَسَنيسره لليسرى ﴾ .
(٧) ما أعمر نواله : ما أكثر عطاءه .
(٨) وأوسع إفضاله : الإفضال : الإِنْعَام .
(٩) في ب : عقابهم . وفي هامشه : خ : في عقابهم ، يشير إلى ما في نسخة أخرى .
وعقابهم : سوء عاقبتهم .
(١٠) عطف : التفت وعاد .
(١١) قيل : هو الأخنس بن شريق . وقيل : الوليد بن المغيرة ، أو أبو جهل : أو المراد
به جنس العدو .

بقوله (۱): ﴿فَلَا تُطِيعُ الْكَاذِبِينَ . وَذُؤَالُو تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (۲) . وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (۳) . هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ (۴) . مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (۵) . عَتَلٌ (۶) بعد ذلك زَنِيمٍ . أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ . إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (۷) . ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره (۸) بقوله : ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (۹)﴾ ؛ فكانت نُصْرَةُ اللَّهِ [۱۵] له أتمَّ من نصرته لنفسه ، وردَّه تعالى على عدوه أبلغ من ردِّه ، وأثبت في ديوان مجده (۱۰) .

(۱) سورة القلم ، آية ۸ - ۱۵

(۲) ودوا لو تدهن فيدهنون : أى لو تدين فتدع نهبهم عن الشرك فيميلون إليك في بعض ما تدعوهم إليه .

(۳) حلاف : كثير الحلاف حقا وباطلا . مهين : ذو مهانة وحقارة .

(۴) هاز : عياب في أعراض الناس . مشاء بنميم : يقال للحديث على وجه السعاية للفساد .

(۵) مناع للخير : كثير المنع منه . أثيم : كثير الإثم .

(۶) عتل : جاف غليظ . زنيم : دعى ، كالوليد بن المغيرة ، ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة سنة من مولده .

(۷) أساطير : جمع أسطورة ، أو إسطار ، والمراد : الأباطيل المنسوبة إلى المتقدمين .

(۸) البوار : الهلاك والدمار .

(۹) سنسمه على الخرطوم : الوسم : العلامة والكى . والخرطوم : الأنف هنا . والمراد :

التشهير بالقبائح في الدنيا أو في الآخرة ، أو فيهما .

(۱۰) وأثبت في ديوان مجده : أى أعظم وأقوى ثباتا وأبقى في صحف الدهر من أن

يثبته هو لنفسه .

الفصل السادس

فما ورد من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والإكرام^(۱)

قال تعالى^(۲) : ﴿ طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ .

قيل : طه : اسم من أسمائه^(۳) عليه السلام . وقيل : هو اسم الله ، وقيل : معناه يارجل . وقيل : يا إنسان . وقيل : هي حروف متطعة إمعان .

وقال الواسطي^(۴) : أراد يا طاهر ، يا هادي^(۵) . وقيل : هو أمر من الوطء .

والهاء كناية عن الأرض ؛ أي اعتمد على الأرض بقدميك ، ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة ، وهو قوله تعالى : « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » .

نزلت الآية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلمه من السهر والتعب

وقيام الليل .

أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن^(۵) ، وغير واحد ، عن القاضي

أبي الوليد الباجي إجازة ، ومن أصله نقلت ؛ قال : حدثنا أبو ذر الحافظ ، حدثنا

أبو محمد الحموي^(۶) ، حدثنا إبراهيم بن خزيمة^(۷) الشاشي ، حدثنا عبد بن حميد ،

حدثنا هاشم بن القاسم ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ؛ قال : كان النبي

صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى ؛ فأنزل الله تعالى : طه -

(۱) يعني ما جاء في القرآن من الآيات الدالة على إكرام الله له والشفقة به ، والرحمة له .

(۲) سورة طه : ۱ ، ۲

(۳) من أسمائه : أي من أسماء النبي .

(۴) فالطاء في « طه » من طاهر ، والهاء فيها من هادي وفي أ : يا هادي . والمثبت في ب .

(۵) أحد العلماء الصالحين ، من رجال الأندلس . مات سنة ثلاث وخمسة مائة بإشبيلية .

(۶) هذا الضبط في الخفاجي والقاري مؤكداً بالعبارة .

(۷) عليها علامة الصحة بهامش أ ، وفي هامش ب : بالزاي .

يعنى طأ الأرض يا محمد ، « ما أنزلنا عليك القرآن لنشقى . إلا تذكرة لمن يخشى .
تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى » .

ولا خفاء بما فى هذا كله من الإكرام وحسن المعاملة .
وإن جعلنا « طه » من أسمائه عليه السلام كما قيل ، أو جعلت قسما لحق الفصل
بما قبله (١) .

ومثل هذا من نمط (٢) الشفقة والمبرة قوله تعالى (٣) : ﴿ فاعلمك باخيع نفسك
على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً ﴾ ؛ أى قاتل نفسك لذلك غضبا أو غيظا ،
أو جزعا .

ومثله قوله تعالى أيضا (٤) : ﴿ لعلك باخيع نفسك ألا يَكُونُوا مؤمنين ﴾ ؛
ثم قال (٥) : ﴿ إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلمت أعناقهم لها خاضعين ﴾ (٦) .

ومن هذا الباب قوله تعالى (٧) : ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين .
إننا كفيناك المستهزئين . الذين يجعون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون . ولقد تعلم
أنك بضيق صدرك بما يقولون ﴾ .

وقوله (٨) : ﴿ ولقد استهزئ برسلى من قبلك فحاق (٩) بالذين سخروا منهم
ما كانوا به يستهزئون ﴾ .

(١) أى التحقت هذه الآية المذكورة فى هذا الفصل بالفصل الذى قبله ، لإتيانه بما أقسم به تعالى ،
تحقيقا لمكاته عنده ، وبما أفاده من نهاية المبرة فى مخاطبته ، وأعلى درجات الأدب فى محاورته .

(٢) النمط : الطريق ، وهو هنا النوع . (٣) سورة الكهف ، آية ٦

(٤) سورة الشعراء ، آية ٣ (٥) سورة الشعراء ، آية ٤

(٦) الخضوع : التذلل والانتقاد . (٧) سورة الحجر ، الآيات : من ٩٤ - ٩٧

(٨) سورة الأنعام آية ١٠ ، وسورة الأنبياء ، آية ٤١ . قال فى نسيم الرياض : ويحتمل

أن تكون آية الوعد (٣٢) وتمايها : ﴿ فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب ﴾ ،

أى أمهلتهم برهة من الزمان فى دعة وأمن ، ثم أخذتهم فكيف كان عقابي إياهم ؟

(٩) حاق : أحاط بهم حيث أهلكوا .

قال مكيّ : سألته بما ذكر ، وهو أنّ عليه ما يلقى من المشركين ، وأعلمه أنّ
 من تَمَادَى^(١) على ذلك يحلُّ به ما حلَّ بمن قبله .
 ومثلاً هذه التسلية قوله تعالى^(٢) : ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ
 قَبْلِكَ ﴾ .

ومن هذا قوله تعالى^(٣) : ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا
 قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ .

عزّاه الله تعالى بما أخبر به عن الأمم السالفة^(٤) ومثاليها لأنبيائهم قبله ،
 ومخنتهم بهم ؛ وسأله بذلك من محنته^(٥) بمثاله من كفّار مكة ، وأنه ليس أوّل
 من لقي ذلك ، ثم طيب نفسه ، وأبان عذره بقوله تعالى^(٦) : « فتولّ عنهم » ؛ أي
 أعرض عنهم ؛ « فما أنت بمأوم » ؛ أي في أداء ما بلغت وإبلاغ ما حملت .
 ومثله قوله تعالى^(٧) : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ ؛ أي اصبر على أذاهم
 فإنك بحيث نراك ونحفظك^(٨) .

سأله الله تعالى بهذا في آي كثيرة من هذا المعنى .

(١) تَمَادَى : تطاول ، وأصر ، واستمر .

(٢) سورة فاطر ، آية ٤

(٣) سورة الداريات ، آية ٥٢

(٤) السالفة : المتقدمة .

(٥) المحنة : الاختبار والابتلاء .

(٦) سورة الداريات ، آية ٥٤

(٧) سورة الطور ، آية ٤٨

(٨) أي دم على الصبر في تنفيذ ما حكم الله تعالى به ، ولا تحزن ، ولا تحف من الأعداء ؛

فإنك محفوظ محروس ، لا يصلون إليك .

الفصل السابع

فما أخبر الله تعالى^(١) به في كتابه العزيز من عظيم قدره
وشريف منزلته على الأنبياء وحظوة رتبته

قوله تعالى^(٢): ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ^(٣) لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ،
ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ: أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ
عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي^(٤)؟ قَالُوا: بَلَىٰ، أَقْرَرْنَا. قَالَ: فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.
قال أبو الحسن القاسمي: استخص^(٥) الله تعالى [١٦] محمدا صلى الله عليه وسلم
بفضل لم يؤت غيره، أبانه به^(٦)، وهو ما ذكره في هذه الآية؛ قال المفسرون:
أخذ الله الميثاق بالوحي^(٧)، فلم يبعث نبيا إلا ذكر له محمدا ونعته^(٨)، وأخذ عليه
ميثاقه إن أدركه ليؤمنن به.

وقيل: أن يبدينه لقومه، ويأخذ ميثاقهم أن يبدينوه لمن بعدهم.

وقوله: «ثم جاءكم»: الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله

عليه وسلم.

(١) في ب: فيما أخبر به تعالى . . .

(٢) سورة آل عمران، آية ٨١

(٣) وإذا أخذ الله ميثاق النبيين: يحتمل أن يراد: أخذ الله الميثاق على النبيين، أو أخذ
الله على الأمم الميثاق الذي شرع النبيون تعظيمه، فأضيف إليهم. أو هو بتقدير مضاف؛ أي
ميثاق أمم النبيين.

(٤) إصري: عهدي وميثاقى. (٥) استخص: خص، واختص.

(٦) أبانه به: أي أظهر ذلك الفضل له. أو فضله وميزه به عن غيره.

(٧) بالوحي: أي إلى الأنبياء.

(٨) ونعته: النعت: الصفة. وهذا رواه ابن جرير، وابن كثير، بإسناد صحيح.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لم يبعث الله نبينا من آدمَ فَعَنَ بَعْدَهُ إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ فِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لِئَن يُعِثَّ وَهُوَ حَيٌّ لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلِيَنْصُرَنَّهُ ، وَيَأْخُذَ الْعَهْدَ بِذَلِكَ عَلَى قَوْمِهِ .

ونحوه عن السُّدِّيِّ وَقَتَادَةَ فِي آيٍ ^(١) تَضَمَّنَتْ فَضْلَهُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ وَاحِدٍ .

قال الله تعالى ^(٢) : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ^(٣) وَمِنْكَ وَمَنْ نُوحَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ^(٤) ۝ ﴾ .

وقال تعالى ^(٥) : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ، وَإِسْحَاقَ ، وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ، وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ، وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا . وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا . رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا . لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝ ﴾ .

رَوَى عَنْ عُمَرَ ^(٦) بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي كَلَامِ زَكِّيَّ ^(٧) بِهِ

(١) فِي آيٍ : جَمْعُ آيَةٍ . أَي هَذَا الْمَذْكُورُ مَرُورِي فِي جَمَلَةِ آيَاتٍ . وَهَذِهِ الرَّوَايَةُ عَنْهُمَا

أَثْبَتَهَا ابْنُ جَرِيرٍ . (٢) سُورَةُ الْأَحْزَابِ ، آيَةٌ ٧

(٣) قِيلَ : أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ ، وَتَصَدِيقِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ، وَقِيلَ : بَانَ يَعْتَنُوا بِنَبِيِّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَعْلَمُونَ مُحَمَّدًا بِأَنَّهُ لَأَنْبِيٌّ بَعْدَهُ ، فَفِيهَا تَفْضِيلٌ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٤) مِيثَاقًا غَلِيظًا : عَظِيمًا شَانَهُ . (٥) سُورَةُ النِّسَاءِ آيَةٌ : ١٦٣ - ١٦٦

(٦) قَالَ السِّيُوطِيُّ : لَمْ أَجِدْهُ فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الْأَثَرِ . وَقَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : لَكِنِ صَاحِبُ اقْتِبَاسِ الْأَنْوَارِ وَابْنُ الْحَاجِّ فِي مَدْخَلِهِ ، ذَكَرَاهُ فِي ضَمَنِ حَدِيثٍ طَوِيلٍ ، وَكَفَى بِذَلِكَ سِنْدًا لِمَثَلِهِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْأَحْكَامِ . وَهَذَا الْكَلَامُ مِمَّا قِيلَ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ قَالَهُ عُمَرُ بَعْدَ تَحْقِيقِهِ - مِنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَوْتَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . (٧) فِي ب : بَكِي : أَي رِثَاهُ بَعْدَ مَوْتِهِ .

النبي صلى الله عليه وسلم، فقال^(١) بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك آخِرَ الأنبياء ، وذَكَرَكَ في أولهم ، فقال : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ .

بأبي أنت^(٢) وأمي يا رسول الله ! لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودُّون أن يكونوا أطاعوك وهم بين^(٣) أطباقها يعدُّون يقولون^(٤) : ﴿ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ .

قال قتادة : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كنتُ أوَّلَ الأنبياء في الخلق ، وآخرهم في البعث ، فلذلك وقع ذِكْرُهُ مقدما هنا قبل نوح وغيره .

قال السمرقندي : في هذا تفضيلُ نبينا صلى الله عليه وسلم ، لتخصيصه بالذِّكْر قبلهم ، وهو آخرهم .

المعنى : أخذ الله تعالى عليهم الميثاق ، إذ أخرجهم من ظَهْرِ آدَمَ كَالذَّرِّ^(٥) .

(١) أول هذا الكلام : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه ، فلما كثرت الناس اتخذت منبراً لتسميهم ، فحزن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن . فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم . بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته ، فقال الله تعالى : من يطع الرسول فقد أطاع الله . . .

(٢) بأبي أنت وأمي : هذا مما تقوله العرب لمن تريد تكريمه وإظهار محبته ، أي لو نزل بك أمر يقبل فيه الفداء بأحد من البشر بذلت في فدائك أبوي فضلا عن المال وغيره .

(٣) أطباقها : طبقات النار .

(٤) سورة الأحزاب ، آية ٦٦

(٥) الدر : جمع ذرة ، وهي الخلة الصغيرة البيضاء أو الحمراء ، أو جزء من مائة وأربعة

وعشرين جزءاً من شعيرة ، وقيل : جزء من ألف وسبعة وعشرين جزءاً منها . وقيل : أصغر شيء لا يهله إلا الله .

وقال تعالى (١) : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا ﴾ .
قال أهلُ التفسير : أراد بقوله : ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ - محمداً صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه بُعِثَ إلى الأحمر (٢) والأسود ، وأُحِلَّتْ لَهُ الْغَنَائِمُ (٣) ، وظهرت على يديه المعجزات ، وليس أحدٌ من الأنبياء أُعطيَ فضيلةً أو كرامةً إلا وقد أُعطيَ محمدٌ صلى الله عليه وسلم مثلاً (٤) .

قال بعضهم : ومن فضله أن الله تعالى خاطب الأنبياء بأسمائهم ، وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ ، و﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾ .
وحكى السمرقندي عن الكلبي - في قوله تعالى (٥) : ﴿ وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾ - أن الهاء عائدة على محمد ؛ أي إن من شيعة (٦) محمد لإبراهيم ؛ أي على دينه ومنهاجه (٧) . وأجازته النراء ، وحكاه عنه مكي (٨) . وقيل : المراد نوح عليه السلام (٩) .

(١) سورة البقرة ، آية ٢٥٣

(٢) الأحمر والأسود : أي جميع الناس . أو العرب والعجم . أو العرب وغيرهم .

(٣) الغنائم : جمع غنيمة ، وهي ما يؤخذ من مال الكفار قهراً ، ولم تكن الغنيمة تحل للأمة السالفة كما تحل لهذه الأمة .

(٤) مثلها ، أي ما هو من جنسها ونوعها ، وما هو مشابه لها بحسب الظاهر وإن كان أعظم منها في الحقيقة .

(٥) سورة الصافات ، آية ٨٣ (٦) الشيعة : الأتباع ، والمعروف في كلام العرب إطلاقه على المتأخر زماناً ، وقد يطلق على المتقدم ، كقول الكمي :
وما لي إلا آل أحمد شيعة وما لي إلا مذهب الحق مذهب

(٧) منهاجه : طريقه الواضح . (٨) أشار بهذا إلى أنه قول صحيح منقول عن
المفسرين ؛ لأن منهم من ضعفه وادعى أنه بعيد .

(٩) قال في نسيم الرياض : هو القول الصحيح . والمراد بكونه من شيعة أنه من نسله وطى منهاجه في الدين والتوحيد .

الفصل الثامن

في إغلامِ الله تعالى خلقه بصلواته^(١) عليه وولايته له ورفع العذاب بسببه
 قال الله تعالى^(٢) : ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنتَ فيهم﴾ ؛ أي ما كنت بمكة ،
 فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ، وبقي فيها من بقي من المؤمنين نزل^(٣) :
 ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ .
 وهذا مثل قوله^(٤) : ﴿لو تزيلوا﴾^(٤) لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما﴾ .
 وقوله تعالى^(٥) : ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم
 فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء﴾ ؛ فلما هاجر المؤمنون
 نزلت^(٦) : ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله﴾ .
 وهذا من أبين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ، ودرأ^(٧) به العذاب عن
 أهل مكة بسبب كونه^(٨) ، ثم كون أصحابه بعده [١٧] بين أظهرهم^(٩) ، فلما خلت
 مكة منهم عذبهم [الله]^(١٠) بتسليط المؤمنين عليهم ، وغلبتهم إياهم ، وحكم فيهم
 سيوفهم ، وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم .

- (١) في ب : بصلواته .
 (٢) سورة الأنفال ، آية ٣٣
 (٣) سورة الفتح ، آية ٢٥
 (٤) تزيلوا : تفرقوا . (المفردات) .
 (٥) سورة الفتح ، آية ٢٥
 (٦) سورة الأنفال ، آية ٣٤
 (٧) درأ به : دفع به . وفي ب : درأته - بكسر الدال المهملة وسكون الراء وهمز وتاء ؛
 وفسره القارى (١ - ١١٣) فقال : أي ومن أبين ما يظهرها دفعه سبحانه العذاب .
 (٨) بسبب كونه : بسبب وجوده .
 (٩) بين أظهرهم ، أي يقيهم معهم .
 (١٠) ليس في ب .

وفي الآية أيضا (١) تأويل آخر :

حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه ، قال : حدثنا أبو الفضل ابن خيرون ، وأبو الحسين الصيرفي ، قالا : حدثنا أبو يعلى ابن زوج الحرّة ، حدثنا أبو علي السنجى ، حدثنا محمد بن محبوب المرّوزى ، حدثنا أبو عيسى (٢) الحافظ ، حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا ابن نمير (٣) ، عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر ، عن عباد بن يوسف ، عن أبي برّدة بن أبي موسى ، عن أبيه ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزل الله علىّ أمانين لأمتي (٤) : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ (٥) فإذا مضيتُ تركتُ فيهم الاستغفار (٦) . ونحو منه قوله تعالى (٧) : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين ﴾ . وقال عليه السلام (٨) : أنا أمان لأصحابي . قيل : من البدع . وقيل : من الاختلاف والفتن .

(١) الآية هي : وما كان الله ليعذبهم . . . وقد سبقت .

(٢) هو الإمام الترمذى ، صاحب السنن .

(٣) ضبطت « نمير » - ضبط قلم - بفتح النون وكسر الميم فى ا ، والضبط الثبت فى الحفاجى

والقارى .

(٤) سورة الأنفال ، آية ٣٣

(٥) أى أوحى الله بقرآن يدل على شيئين فيهما ما يدل على أن الله أمن أمتى من العذاب

بهما . والحديث فى سنن الترمذى : ٥ - ٢٧٠ ، وقال : هذا حديث غريب ، وإسماعيل بن

مهاجر يضعف فى الحديث .

(٦) فإذا مضيت : ارتحلت إلى الآخرة ؛ أى إذا مت بقى فيكم الأمان الآخر ، وهو

الاستغفار . والاستغفار : هو الدعاء بالغفرة . وقيل المراد به الصلاة . وقيل للإسلام .

(٧) سورة الأنبياء ، آية ١٠٧

(٨) قال القارى (١ - ١١٥) : أنا أمان لأصحابي ، وفى لفظ : أنا أمانة لأصحابي ،

وهو حديث صحيح رواه مسلم (مسلم : ١٩٦١) .

قال بعضهم : الرسولُ صلى الله عليه وسلم هو الأمانُ الأعظمُ ما عاشَ ، وما دامت سنتُهُ^(١) باقيةً فهو باقٍ ، فإذا أميتت سنتُهُ فانتظرِ البلاءَ والفتنَ^(٢) .
وقال الله تعالى^(٣) : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

أبان الله تعالى فضلَ نبيِّه صلى الله عليه وسلم بصلواته عليه ، ثم بصلاةِ ملائكتِهِ ، وأمرَ عباده بالصلاة والتسليم عليه .

[وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعضَ العلماء تأوَّل قوله عليه السلام : وجُعِلَت قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ عَلَيَّ هَذَا ؛ أَي فِي صَلَاةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيَّ وَمَلَائِكَتِهِ وَأَمْرِهِ الْأُمَّةَ بِذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ]^(٤) . والصلاةُ من الملائكةِ [استغفار]^(٥) ، ومنا له دعاء ، ومن الله عزَّ وجلَّ رحمة .

وقيل : يُصَلُّونَ : يُبَارَكُونَ^(٦) .

وقد فرَّقَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم - حينَ علمَ الصلاةَ عليه بين لفظِ الصلاةِ والبركةِ .

وسنذكر حكم الصلاة عليه .

وذكر بعضُ المتكلمين^(٧) في تفسير حروف « كهيعص » - أن الكافَ من

(١) سنته : طريقته التي شرعها .

(٢) أميتت : تركت ولم يعمل بها ، ولم يحرص الناس على تعلمها . والبلاء : المصائب ، كالتواعون ، والظلم . والفتن : محاربة الناس بعضهم بعضاً .

(٣) سورة الأحزاب ، آية ٥٦ (٤) ما بين القوسين كتب أمامه في هامش ١ : من الأم بخطه رضى الله عنه ، وليس من الرواية . (٥) ليس في ب .

(٦) يباركون : يعطيه الله البركة ، والملائكة يطلبونها له . والبركة : النمو والخير الكثير .

(٧) بعض المتكلمين : يريد المفسرين .

« كافي » (١) ، أى كفاية الله تعالى لنبيه ، قال تعالى (٢) : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ . والهاء هدايته له ، قال (٣) : ﴿ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ . والياء تأييده ، قال (٤) : ﴿ هُوَ الَّذِي أَبَدَكَ بِنَصْرِهِ ﴾ . والعين عصمته له ، قال (٥) : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ . والصاد : صلواته عليه ؛ قال (٦) : ﴿ إِنْ أَنْتَ إِلَّا اللَّهُ وَمَلَايِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ . وقال تعالى (٧) : ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا (٨) عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ (٩) وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (١٠) ﴾ ؛ مولاة أى وليه . وصالح المؤمنین : قيل : الأنبياء (١١) . وقيل (١٢) : الملائكة . وقيل (١٣) : أبو بكر ، وعمر . وقيل (١٤) : على . وقيل : المؤمنون على ظاهره (١٤) .

(١) أى الكاف حرف من « كاف » الذى هو اسم لله تعالى : السكافي .

(٢) سورة الزمر ، آية ٣٦ (٣) سورة الفتح ، آية ٢

(٤) سورة الأتفال ، آية ٦٢ (٥) سورة المائدة ، آية ٦٧

(٦) سورة الأحزاب ، آية ٥٦ ، وفى هذه الحروف أقوال آخر ؛ أحدها أنه من التشابه الذى لا يعلمه إلا الله . وقيل : إنها أسماء للصور (٧) سورة التحريم ، آية ٤

(٨) تظاهرا عليه : تعاوننا وتناصرنا . (٩) الولي ، والمولى : المعين والناصر .

(١٠) ظهير : نصير ومعين . قال فى نسيم الرياض : وأفرد كلمة « ظهير » - لأنه جعل من ذكرها لاتفاقهم على ذلك - كالواحد ؛ أو لأن فعلا قد يقع للواحد وغيره .

(١١) هذا التفسير مروى عن قتادة .

(١٢) رواه القرطبي عن أبي زيد .

(١٣) رواه القرطبي والثعلبي عن عكرمة وابن جبير مرفوعا للنبي صلى الله عليه وسلم .

(١٤) واختاره الإمام الرازى .

قال فى نسيم الرياض : والآية دالة على ولاية الله له بنصره وتسخير القلوب له ، الذى هو من مقاصد هذا الفصل .

الفصل التاسع

فما تضمنته سورة «الفتح» من كراماته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى^(١) : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ^(٢) . لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا . وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا . هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ، وَهُوَ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا . لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ، وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا . وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا . وَهُوَ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا . إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا . إِنْ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ .

تضمنت هذه الآيات من فضله والثناء عليه وكرامته منزلة عند الله تعالى، ونعمته لديه - ما يقصر الوصف عن الانتهاء^(٣) إليه؛ فابتدأ جل جلاله - بإعلامه بما قضاه له من القضاء البين^(٤) بظهوره، وغلبته على عدوه، وعلو كلمته وشريعته، وأنه مغفور له، غير مؤاخذ بما كان وما يكون^(٥) .

(١) سورة الفتح، الآيات : ١ - ١٠

(٢) من فسر بفتح مكة اقتصر على المقصود، والمراد فتح مكة وما كان وسيلة له كقصة الحديدية . ومن فسر بالحديبية سماه فتحا لأنه وسيلة لما بعده من الفتوح فاندرج غيره فيه بطريق الإشارة . (٣) الانتهاء إليه : أي بلوغه والوصول إلى نهايته .

(٤) القضاء البين : أي المقضى الظاهر الذي لا يشكبه .

(٥) أي إعلامه بأنه مغفور له بقوله : ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر .

قال بعضهم : أراد غفران ما وقع وما لم يقع^(١) ، أى إنك مغفور لك .
وقال مكي : جعل الله المنّة سبباً للمغفرة ، وكل^(٢) من عنده ، لا إله غيره ،
[١٨] منّة بعد منّة ، وفضلاً بعد فضل .

ثم قال : « وُيْتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ » : قيل : بخضوع من تكبر عليك^(٣) .
وقيل : بفتح مكة والطائف . وقيل : يرفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويفرلك ؛
فأعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له ، وفتح^(٤) أمم البلاد عليه وأحبها
له^(٥) ، ورفع ذكره ، وهدايتيه الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ، وأنصره النصر
العزیز^(٦) ، ومنته على أمته المؤمنين بالسكينة والطمأنينة التي جعلها في قلوبهم ، وبشارتهم
بما لهم بعد^(٧) ، وفوزهم العظيم^(٨) ، والعفو عنهم ، والستر^(٩) لدينوبهم ، وهلاك عدوه^(١٠)
في الدنيا والآخرة ، وكنفهم وبعدهم من رحمة ، وسوء منقلبهم^(١١) .

- (١) أى بما يصح أن يعاتب عليه ، كما في قوله تعالى : « لعلك باخع نفسك على آثارهم » .
و « عبس وتولى أن جاء الأعمى » .
(٢) وكل : أى المنّة والمغفرة حاصل من عنده تعالى . والبراد بالمنة الامتنان أو النعمة
التي هي الفتح ، أو قضاؤه ، ولما كان الفتح ناشئاً عن جهده وسميه مع ما يترتب عليه من
الأمور العظيمة صار سبباً للمغفرة .
(٣) الخضوع : الانقياد . وفي ا : لك ، وعليها علامة الصحة .
(٤) في ب : بفتح . (٥) وهى مكة .
(٦) النصر العزيز : المعز لصاحبه ، أو العزيز : قليل النظير .
(٧) بعد : أى بعد ذلك ، أو بعد الحياة الدنيا من النعيم الخالد في الجنة .
(٨) الفوز : النجاة والظفر بالخير . وذلك في قوله تعالى : « وكان ذلك عند الله فوزاً
عظيماً » . (٩) في قوله تعالى : « ويكفر عنهم سيئاتهم » .
(١٠) بقوله تعالى : « ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن
السوء عليهم دائرة السوء » .
(١١) بقوله تعالى : « وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً » .

ثم قال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا. لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ .
فقدَّ محاسنه وخصائصه^(١)؛ من شهادته على أُمَّته لنفسه، بتبليغه الرسالة لهم .
وقيل: شاهدًا لهم بالتوحيد، ومُبَشِّرًا لأُمَّته بالثواب . وقيل: بالمغفرة .
ومُنذِرًا عدوه بالعذاب .

وقيل: مُحَدِّثًا من الضلالات لِيُؤْمِنَ بِاللَّهِ، ثم به صلى الله عليه وسلم مَنْ سبقت له من الله الحسنَى .

ويعزِّروه؛ أى يُجِلُّونه . وقيل: ينصرونه . وقيل: يبالفون فى تعظيمه .
ويوقِّروه؛ أى يعظموه .

وقرأه بعضهم: تُعزِّروه - بزاءين: من العزِّ، والأكثر والأظهر^(٢) أن هذا فى حقِّ محمد صلى الله عليه وسلم؛ ثم قال: «تُسَبِّحُوهُ»؛ فهذا راجعٌ إلى الله تعالى .
قال ابن عطاء: جُمِعَ للنبي صلى الله عليه وسلم فى هذه السورة نِعَمٌ مُخْتَلِفَةٌ؛ من الفتح المبين، وهو من أعلام^(٣) الإجابة . والمغفرة^(٤)، وهى من أعلام المحبَّة، وتمامُ النعمة، وهى من أعلام^(٥) الاختصاص . والهداية، وهى من أعلام الولاية^(٦)، فالمغفرةُ تبرئةٌ من العيوب، وتمامُ النعمةِ إبلاغُ الدرجةِ الكاملة، والهدايةُ وهى الدعوةُ إلى المشاهدة .

(١) خصائصه: فضائله .

(٢) يعنى أنهم اختلفوا فى هذه الضمائر: هل كلها لله، أو للرسول، أو بعضها لله وبعضها للرسول . واختار المؤلف أن يكون الضمير فى «يعزروه»، و «يوقروه» - للرسول .

(٣) أعلام: جمع علم؛ وهو الأمانة والدليل . الإجابة: أى إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم .

(٤) ضبط هذه الكلمة وما بعدها مما عطف عليها فى ا، ب .

(٥) أى دليل على أنه تعالى جعله من خواص أنبيائه لإتمامه عليه بما لم ينله غيره .

(٦) أى إن الله تعالى تولى أموره؛ إذ هداه إلى الطريق الموصل إلى قربه .

وقال جعفر بن محمد : من تمام نعمته عليه أن جعله حبيباً^(۱) ، وأقسم بحياته^(۲) ، ونسخ به شرائع غيره ، وعرج^(۳) به إلى المحل الأعلى ، وحفظه في العراج حتى مازاغ البصر وما طغى ، وبعثه إلى الأحمر والأسود^(۴) ، وأحل له ولأمته الغنائم ، وجعله شفيعاً^(۵) ، وسيداً^(۶) ، وقرن ذكره بذكره^(۷) ، ورضاه برضاه^(۸) ، وجعله أحد ركني التوحيد .

ثم قال^(۹) : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ - يعني بيعة الرضوان^(۱۰) ؛ أى إنما يبايعون الله ببيعتهم إياك .

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ : يريد عند البيعة . قيل : قوة الله^(۱۱) ، وقيل : ثوابه^(۱۲) . وقيل^(۱۳) : عقده ، وهذه استعارة ، وتجنيس^(۱۴) في الكلام ، وتأکید لعقد بيعتهم إياه . وعظم شأن المبايع صلى الله عليه وسلم .

(۱) أى اصطفاه . وخصه وأكرمه إكرام المحب لحبيبه حتى لقب بالحبيب ، كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم : أنا حبيب الله ولا خسر . (سنن الترمذى : ۵ - ۵۸۸) .

(۲) وأقسم بحياته فى قوله تعالى : «لعمرك» - على أحد الأقوال .

(۳) عرج : صعد . (۴) الأحمر والأسود : جميع الخلق .

(۵) قرن ذكره بذكره : فى التشهد والأذان ، وفى مواضع فى القرآن .

(۶) فى مثل قوله تعالى : «والله ورسوله أحق أن يرضوه» . (۷) سورة الفتح ، آية ۱۰ .

(۸) بيعة الرضوان كانت بالحديبية ، وسميت بيعة الرضوان لقوله تعالى : «لقد رضى الله

عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة» . والمبايعة كانت على ألا يفروا ؛ أو على الموت ؛ أو

على السمع والطاعة فى النشاط والكسل ، وعلى النفقة فى العسر واليسر ، والأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر (۹) أى قوة الله وقدرته فى نصر رسوله فوق قواهم .

(۱۰) أى ثواب الله لرسوله فوق ثوابهم فى مبايعتهم والوفاء بهم .

(۱۱) منته : أى نعمته عليهم ببيعتهم مما منحوه من العز فى الدنيا والثواب فى الآخرة فوق

منهم عليك ، بمبايعتهم وبذل أنفسهم وأموالهم .

(۱۲) يعنى أن الله تعالى أوجد هذه البيعة وتممها .

(۱۳) تجنيس فى الكلام : تفنن فى العبارات الإيمانية .

وقد يكون من^(١) هذا قوله تعالى^(٢) : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ،
 وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾^(٣) ؛ وإن كان الأول في باب المجاز^(٤) ،
 وهذا^(٥) في باب الحقيقة ، لأن القاتل والرامي بالحقيقة هو الله ، وهو خالقُ فعله ورميه ،
 وقُدْرته عليه ومسببه^(٦) ، ولأنه ليس في قدرة البشر توصيلُ تلك الرمية حيث
 وصلت ، حتى لم يبقَ منهم من لم تملأ عينيه^(٧) ، وكذلك قتلُ الملائكة لهم حقيقة^(٨) .
 وقد قيل في هذه الآية الأخرى إنها على المجاز العربي^(٩) ، ومقابلة اللفظ
 ومناسبته ؛ أي ما قتلتموهم ، وما رميتهم أنت إذ رميت وجوههم بالحصباء
 والتراب ، ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع^(١٠) ، أي إن [١٩] منمنعة الرمي كانت من
 فعل الله ؛ فهو القاتلُ والرامي بالمعنى وأنت بالاسم .

(١) من هذا ؛ أي من قبيل جعل فعل العبد عين فعل الله .

(٢) سورة الأنفال ، آية ١٧

(٣) أي لم تقتلوا قريشا إذ سلطكم الله عليهم ونصركم ، ولكن الله قتلهم ؛ إذ هو الخالق
 لهذا الفعل فيكم وإن كنتم مباشرين له .

وهذه الآية نزلت في بدر ، أو في حنين (الشهاب : ١ - ٣٥٤) .

(٤) الأول : يد الله فوق أيديهم .

(٥) وهذا : أي القتل والرمي .

(٦) ضبطت الباء في ب بشدة مفتوحة .

(٧) أي من لم تملأ الرمية عينيه من التراب .

(٨) وكذلك قتل الملائكة : أي هو مثل إسناد القتل إلى الأفراد البشرية ، فقدره
 الملائكة مثل القوى البشرية في الاحتياج إلى القوة الإلهية ، والمخلوقات بأسرها متساوية في
 رتبة العبودية .

(٩) المجاز العربي : يريد المجاز اللغوي في الاصطلاح العربي ، وهو استعمال اللفظ في

غير ما وضع له لملاقة بين المعنى المجازي والحقيقي . والملاقة هنا السببية (القارى : ١ - ١٢٩) .

(١٠) الجزع : الرعب والفرع .

الفصل العاشر

فما أظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده ،

وما خصه الله به من ذلك سوى ما انتظم^(١) فيما ذكرناه قبل

من ذلك ما قصه تعالى في قصة الإسراء في سورة : سبحان ، والنجم ؛ وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجائب .

ومن ذلك عِصْمَتُهُ من الناس بقوله تعالى^(٢) : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ .

وقوله تعالى^(٣) : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ .

وقوله^(٤) : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ . وما رفع الله به عنه في هذه القصة من أذاهم بعد تحزيبهم^(٥) له لملكه وخلوصهم نجياً في أمره^(٦) ، والأخذ على أبصارهم^(٧) عند خروجه عليهم ، وذهولهم

(١) أي غير ما دخل فيما قبله من الفصول . (٢) سورة المائدة ، آية ٦٧

(٣) سورة الأنفال ، آية ٣٠

(٤) سورة التوبة ، آية ٤٠ ، وقوله : إلا تنصروه ؛ أي إن لم تنصروه وتخرجوا معه إلى غزوة تبوك فسينصروه من نصره عند قلة أوليائه وكثرة أعدائه، إذ أخرجه الذين كفروا وليس معه إلا أبو بكر ، وهذا كان لما بايع الأنصار النبي بالعقبة ، وأمر أصحابه بالذهاب إلى المدينة ، وأسفقت قريش من ظهور النبي ، فاجتمعوا بدار الندوة للمشاورة في أمره . . . ثم هجرته إلى المدينة ونجائه من مكرم . (٥) تحزيبهم : تجمهم في مشاورتهم مع أحزابهم .

(٦) وخلوصهم ؛ أي بعد إخلاصهم في أذيته منفردين في دار الندوة للمشاورة في أمره

متناجين في ذلك .

(٧) أخذ الله على أبصارهم : منعها من رؤية النبي مع ترفيقهم له لما خرج من داره ماراً عليهم .

عن طلبه في الفار ، وما ظهر في ذلك من الآيات^(١) ، ونزول السكينة عليه ، وقصة سراقه بن^(٢) مالك حسب ما ذكره أهل الحديث والسير في قصة الفار ، وحديث الهجرة .

ومنه قوله تعالى^(٣) : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ . إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ .

أعلمه الله تعالى بما أعطاه . والكوثر حوضه . وقيل : نهر في الجنة^(٤) . وقيل : الخير الكثير . وقيل : الشفاعة . وقيل : المعجزات الكثيرة . وقيل : النبوة . وقيل : المعرفة . ثم أجاب عنه عدوه ، ورد عليه قوله^(٥) ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّا شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ ؛ أي عدوك ومبغضك . والأبتر : الحقير الذليل ، أو المفرد الوحيد ، أو الذي لا خير فيه . وقال تعالى^(٦) : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾^(٧) والقرآن العظيم .

قيل : السبع المثاني السور الطوال الأول . والقرآن العظيم : أم القرآن^(٨) . وقيل^(٩) : السبع المثاني : أم القرآن^(١٠) . والقرآن العظيم : سائره^(١١) . وقيل : السبع

- (١) من الآيات الدالة على نبوته كنسج المنكبوت وتمشيش الحمام وبيضه
- (٢) كان سراقه يتبع النبي بعد خروجه ، لينال مكافأة جعلتها قريش لمن يأتي به .
- (٣) سورة الكوثر . والأبتر : مقطوع الخير والبركة .
- (٤) في نسيم الرياض : وهو الصحيح .
- (٥) رد عليه قول عدوه : إنه منقطع العقب والذكر بوجه يتضمن شتمه وتنقيصه
- (٦) سورة الحجر : آية ٨٧
- (٧) المثاني : جمع مثني . وقال القاري : السبع المثاني : السور الطوال . وهو منقول عن ابن عباس ، وابن عمر ، وابن مسعود .
- (٨) أم القرآن : هي الفاتحة . وهذا التفسير مروى عن ابن عباس .
- (٩) في نسيم الرياض : وعليه أكثر الصحابة والتابعين ؛ وهو قول جمهور المفسرين .
- (١٠) في القاري (١ - ١٣٦) : وهو ما يقتضيه حديث البخاري : أم القرآن هي السبع المثاني (صحيح البخاري : ٦ - ١٠٢) .
- (١١) سائره : باقيه بعد الفاتحة .

المثاني : مافي القرآن ، من أمر ، ونهى ، وبُشْرَى ، وإِنْذَار ، وَضَرْبِ مَثَل ، وإِعْدَادِ نِعَمٍ ^(١) ، وَآتَيْنَاكَ نَبَأَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ^(٢) .

وقيل : سميت أمّ القرآن مثنى لأنها تُثْنَى في كل ركعة . وقيل : بل الله تعالى استثنىها لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وذخرها له دون الأنبياء ^(٣) .

وسُمِّيَ الْقُرْآنُ مَثَانِي ؛ لِأَنَّ الْقِصَصَ تُثْنَى فِيهِ ^(٤) .

وقيل : السبع المثاني : أكرمناك بِسَبْعِ كَرَامَاتٍ ^(٥) : الهدى ، والنبوة ، والرحمة ، والشفاعة ، والولاية ، والتعظيم ، والسكينة .

وقال ^(٦) : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

وقال ^(٧) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ ^(٨) .

وقال تعالى ^(٩) . ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، فَأَمِّنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ .

قال القاضي ^(١٠) : فهذه ^(١١) من خصائصه .

(١) وإعداد نعم : تعداد نعم كثيرة .

(٢) أي أعطيناك علم ما اشتمل عليه من قصص ومواعظ .

(٣) فالمثاني من الاستثناء المعروف ، واستثنائها : ميزها وخصها من بين الآيات . والمراد أنه اختارها ، أو حفظها ، ولم يبذلها لغيره من الرسل ، ولم يدخرها ويعطها غيره لتمييزه من بينهم .

(٤) ثنى : تكرر .

(٥) وهذا مروى عن الإمام جعفر الصادق .

(٦) سورة النحل ، آية ٤٤ (٧) سورة سبأ ، آية ٢٨ (٨) كافة : جميعا .

(٩) سورة الأعراف ، آية ١٥٨

(١٠) هو المؤلف .

(١١) فهذه : أي البعثة العامة لم يشارك فيها غيره من الرسل .

وقال تعالى (١) : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان (٢) قومه ليبين لهم ﴾ ؛
نخصهم بقومهم ، وبعث محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الخلق كافة ، كما قال عليه السلام :
بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ (٣) .

وقال تعالى (٤) : ﴿ النبيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ (٥) وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ .
قال أهلُ التفسير : أولى بالمؤمنين من أنفسهم : أى ما أنفذه فيهم من أمر فهو ماضٍ
عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده .

وقيل (٦) : اتباع أمره أولى من اتباع رأى النفس .

وأزواجه أمهاتهم ؛ أى هنَّ في (٧) الحرمة كالأمهات ؛ حرّم نكاحهنَّ عليهم
بعده ؛ تكريمه (٨) له وخصوصية ، ولأنهنَّ له أزواجٌ في الآخرة .

(١) سورة إبراهيم ، آية ٤

(٢) بلسان قومه : بلغة من بعث إليهم .

(٣) أى إلى العرب وغيرهم ، أو الإنس والجن - كما تقدم . والحديث في صحيح مسلم : ٣٧١

(٤) سورة الأحزاب ، آية ٦

(٥) يعنى أنه - صلى الله عليه وسلم - مقدم عند كل أحد على نفسه .

(٦) وهذا التفسير مروى عن ابن عباس ؛ فالأولى هنا بمعنى أولية اتباعه . وقيل : أولية

محبه . وقيل : معناه أرف وأعطف . قال في نسيم الرياض (١ - ٣٧٢) : والأحسن ما فى

الكشاف من أنه - صلى الله عليه وسلم - أولى بهم فى جميع أمور الدين والدنيا من غيره ؛

فإنه سبب حياتهم الأبدية . وفى البخارى أنه - صلى الله عليه وسلم - قال : ما من مؤمن

إلا وأنا أولى الناس به فى الدنيا والآخرة ؛ اقرءوا إن شئتم : النبي أولى بالمؤمنين . . .

فأيا مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ، فإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتنى وأنا مولاه

(صحيح البخارى : ٦ - ١٤٥) .

قال القرطبي : هذا تفسير الولاية .

(٧) فى ب : من .

(٨) هذا فى ب . وفى هامشه : مكرمة . وفى ا : كتب فوقها « معاً » ؛ أى هى تكريمة ،

ومكرمة .

وقد قرئ^(١) : وهو أب^٢ لهم . ولا يُقرأ^(١) به الآن [٢٠] لخالفته المصنف .
وقال الله تعالى^(٢) : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ^(٣) ، وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ . .
قيل : فضله العظيم بالنبوة^(٤) . وقيل : بما سبق له في الأزل^(٥) . وأشار الواسطي
إلى أنها إشارة إلى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى ، صلى الله عليهما^(٦) .

(١) فهي قراءة شاذة .

(٢) سورة النساء ، آية ١١٣

(٣) الكتاب : القرآن . والحكمة : الشريعة والسنة .

(٤) فضله العظيم : أي في هذه الآية بالنبوة ؛ فإنها أعظم النعم .

(٥) الأزل : القدم ، والوجود الذي لا أول له .

(٦) هذا في أ ، ب .

الباب الثاني

في تكميل الله تعالى له المحامنين خلقا وخلقا ، وقرآنه (١)
جميع الفضائل الدينية والديوية فيه نسقا (٢)

اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم - أن خصال الجلال والكمال (٣) في البشر نوعان : ضروري دنيوي (٤) اقتضته الجيلة (٥) وضرورة الحياة الدنيا ؛ ومكتسب ديني ؛ وهو ما يُحمد فاعله ، ويقرب إلى الله تعالى زُلْفَى .

ثم هي على فئتين (٦) أيضا : منها ما يتخلص لأحد الوصفين (٧) . ومنها ما يمازج ويتداخل .

فأما الضروري المحض (٨) فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب ، مثل ما كان في جيلته من كمال خاقته ، وجمال صورته ، وقوة عقله ، وصحة فهمه ، وفصاحة لسانه ، وقوة حوامته وأعضائه ، واعتدال حركاته ، وشرف نسبه (٩) ، وعزّة قومه ، وكرم (١٠) أرضه ؛ ويلحق به (١١) ما تدعوه ضرورة حياته إليه ، من غذائه ونومه ، وملبسه ومسكنه ، ومنكجه ، وماله وجاهه .

(١) قرآنه : جمعه . (٢) نسقا : أي جميع الفضائل فيه متناسبة منتظمة .

(٣) الجلال : العظمة . والكمال : التمام .

(٤) دنيوي : لا يتعلق به ثواب ؛ أو بما لا بد منه فيها .

(٥) اقتضته الجيلة : دعت إليه . والجيلة : ماجيله الله عليه وخلقه . وفي هامش ب :

جيلة - بالتشديد والتخفيف . (٦) ثم هي ؛ أي خصال الجلال والكمال على ضربين .

(٧) لأحد الوصفين : أي الضرورة والمكتسب المفهومين من التقسيم السابق .

(٨) المحض : الخالص . (٩) شرف نسبه : أي شرفه الحاصل له بسبب نسبه .

(١٠) وكرم أرضه : التي هي موطنه ومولده : مكة .

(١١) يلحق به ؛ أي بالضروري .

وقد تلحق هذه الخصال الآخرة^(١) بالأخرى إذا قصد بها التقوى ومعونة
البدن على سلوك طريقها^(٢)، وكانت على حدود^(٣) الضرورة وقوانين الشريعة^(٤).
وأما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العلية^(٥)، والآداب الشرعية : من
الدين والعلم^(٦)، والحلم، والصبر، والشكر، والعدل، والزهد، والتواضع، والعفو،
والعفة، والجود، والشجاعة، والحياء، والروءة، والصمت، والتؤدة^(٧)، والوقار
والرحمة، وحسن الأدب والمعاشرة^(٨)، وأخواتها، وهي التي جماعها^(٩) حسن
الخلق.

وقد يكون من هذه الأخلاق ما هو في الغريزة^(١٠) وأصل الجيلة لبعض الناس .
وبعضهم لا تكون فيه ، فيكتسبها ، ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها
في أصل الجيلة شعبة^(١١) كما سنبينه إن شاء الله .

(١) في ب : الأخيرة . (٢) سلوك طريقها ؛ أي طريق الآخرة .

(٣) معنى كونها على حدودها أن يأخذ منها بمقدار حاجته من غير زيادة وإسراف
ونقص وتفريط .

(٤) المعنى أن يكون ما يفعله من هذه الأمور على وفق الشريعة المطهرة ؛ فإنه إن لم يكن
كذلك لا تنفعه نية التقرب إلى الله تعالى ؛ وذلك كمن يأكل حراما ويلبس منصوبا ، ليعتد
به ، أو يتصدق بمال حرام . (٥) العلية : الشريفة المحمودة .

(٦) والعلم : أي العلم بماله وما عليه ، مما به نظام معاشه ومعاده .

(٧) والصمت : المراد ترك الكلام فيما لا ينبغي وترك الفضول . والتؤدة : التأني وترك
العجلة .

(٨) والمعاشرة : أي حسن المعاشرة والاختلاط مع الناس ، وترك التحجب وهجر
الإخوان بغير داع .

(٩) التي جماعها : التي يشملها ويجمعها .

(١٠) الغريزة : الطبيعة ، والجيلة . والمراد تكون في بعض الناس من غير تعلم من أحد .

(١١) شعبة : حصة . وأصل معناه الفرقة والقطعة .

وتسكون هذه الأخلاق دُنْيوية إذا لم يُرَدُّ بها وجهُ الله والدارُ الآخرة؛ ولكنها
كأما محاسنُ وفضائلُ باتفاق أصحابِ العقول السليمة، وإن اختلفوا في موجب^(١)
حُسْنِهَا وتفضيلها.

فصل

إذا^(٢) كانت خصالُ الكمال والجمال ما ذكرناه، ووجدنا الواحدَ منا يشرفُ
بواحدة منها أو باثنتين إن اتفقت^(٣) له - في كلِّ عصر، إما من نسبٍ أو جمال،
أو قوة، أو علم، أو حِلْم، أو شجاعة، أو سماحة، حتى يعظمَ قدره، ويُضربَ باسمه
الأمثال، ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوبِ أثرٌ^(٤) وعظمة، وهو منذ عصورِ
خَوَالِ رِمَمِ بَوَالِ^(٥)، فما ظنُّك بعظيمِ قدرٍ من اجتمعت فيه كلُّ هذه الخصال إلى
مَلا يأخذُه^(٦) عَدٌّ، ولا يعبرُ عنه مقال، ولا يُنال بكسبٍ ولا حيلة إلا بتخصيصِ
الكبير المتعال^(٧)، من فضيلة^(٨) النبوة والرسالة، والخلَّة^(٩) والمحبة، والاصطفاء^(١٠)

- (١) موجب : سبب . وقد ضبطت في ا بفتح الجيم . وفي ب بكسرهما . وقال الشهاب :
بكسر الجيم لا بفتحها ، وكذلك قال القارى .
(٢) هذا الفصل معقود لحصال محمودة مخصوصة به صلى الله عليه وسلم ، مقتبسة من
الكتاب والسنة . (٣) اتفقت له : حصلت له على وجه يشرف به بغير كسب .
(٤) أثره - بضم الهمزة وفتحها وكسرهما ، وصكون المثانة وفتحها ؛ والمأثرة والكرمة
من تلك الخصال التي وصف وانفرد واستأثر بها عن غيره .
(٥) رمم بوال : الرمم جمع رمة ، أو رميم ؛ وهي العظام وأجزاء البدن البالية . بوال :
جمع بالية . (٦) مالا يأخذُه عد : لا يحيط به . والمراد : لا يعد لكثرة .
(٧) أى ينال بأن يخص الله به من يشاء . (٨) هذا بيان لقوله : مالا يأخذُه عد .
(٩) الخلة : المخاللة والصدقة .

(١٠) إشارة إلى ما ورد في الحديث : إن الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم وإسماعيل ، واصطفى
من ولد إسماعيل بنى كنانة ، واصطفى من بنى كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم ،
واصطفانى من بنى هاشم . والحديث في صحيح مسلم : ١٧٨٢

والإسراء، والرؤية^(١)، والقرب والدفن، والوحي، والشفاعة والوسيلة، والفضيلة والدرجة الرفيعة، والمقام^(٢) المحمود، والبراق والمعراج، والبعث إلى الأحمر والأسود^(٣)، والصلاة بالأنبياء^(٤)، والشهادة بين الأنبياء والأمم، وسيادة ولد آدم [٢١]، ولواء الحمد، والبشارة، والندارة^(٥) والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم^(٦)، والأمانة والهداية ورحمة للعالمين. وإعطاء الرضا والسؤل^(٧)، والكوثر، وسماع القول^(٨)، وإتمام النعمة والعموم عما تقدم وتأخر، وشرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر وعزة النصر، ونزول السكينة، والتأييد بالملائكة، وإيتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم، وتزكية^(٩) الأمة والدعاء إلى الله، وصلاته الله تعالى والملائكة، والحكم بين الناس بما أراه الله، ووضع^(١٠) الإصر والأغلال عنهم، والقسم باسمه، وإجابة دعوته، وتكليم الجمادات والعجم^(١١)، وإحياء الموتى، وإسماع الصم، ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير القليل، وانشقاق القمر، ورد

- (١) الرؤية : رؤية ربه . أو رؤية آياته الكبرى . أو رؤيته جبريل في صورته الأصلية .
 (٢) والمقام المحمود : هو مقام يقوم فيه النبي للشفاعة العظمى ، فيحمده فيه الأولون والآخرون .
 (٣) أي عموم رسالته .
 (٤) إمامته لهم حين اجتمع بهم في المسجد الأقصى حين أسرى به .
 (٥) أي كونه بشيرا ونذيرا . (٦) ثم : هناك . (٧) السؤل : كل مسؤل .
 (٨) سماع القول : أي سماع الله لقوله صلى الله عليه وسلم وقبوله الوارد في حديث الشفاعة الطويل ، بقوله : قل يسمع لك . وسل تعط . وحديث الشفاعة سيأتي في بابها .
 (٩) إشارة إلى الآية الكريمة : يتلو عليهم آياته ويزكيهم
 (١٠) وضع الإصر : أي ثقل التكليف التي كانت في الأمم السابقة .
 (١١) تكليم الجمادات كما ورد في الحديث : إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على (صحيح مسلم : ١٧٨٢) : قيل : هو الحجر الأسود . وقيل غيره . والمعجم : المراد به الحيوان الذي ليس من شأنه النطق .

الشمس ، وقلب الأعيان^(١) ، والنصر بالرعب^(٢) ، والاطلاع على الغيب ، وظل الغمام^(٣) ، وتسبيح الحصا ، وإبراء الآلام^(٤) ، والعصمة من الناس ، إلى ما لا يحويه مُحْتَفِل^(٥) ، ولا يحيط بعلمه إلا ما نَحَهُ ذلك ومفضَّله^(٦) به ، لا إله غيره ، إلى ما أَعَدَّ له في الدار الآخرة من منازل الكرامة ، ودرجات القدس^(٧) ، ومراتب السعادة والحُسنى والزيادة التي تَقِفُ دونها العقول وبحار دون أدانيها الوهم^(٨) .

فصل^٤

إن قلت - أكرمك الله : لا خفاء على القطع بالجملة^(٩) أنه صلى الله عليه وسلم أعلى الناس قدراً ، وأعظمهم محلاً ، وأكملهم محاسن وفضلاً ، وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال مذهباً جميلاً شوقني إلى أن أقفَ عليها من أوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلاً . . . فاعلم - نورَ الله قلبي وقابك ، وضاعفَ في هذا النبي الكريم حبي وحبك - أنك إذا نظرتَ إلى خصال الكمال التي هي غير مُكْتَسِبة وفي جِبِلَّةِ الخِلْقَةِ

(١) الأعيان : جمع عين ، وهي ذات الشيء نفسه . (٢) الرعب : الخوف .

(٣) ظل الغمام : تظليلها له عليه السلام لئلا يؤذيه حر الشمس .

(٤) الآلام : جمع ألم ؛ وهو الوجع . والمراد ما يعم الأمراض والأوجاع .

(٥) يحويه : يشمله ويجمعه فيحتوى عليه . والمعنى أن من اهتم بجمع هذه الصفات وأمثالها لا يمكنه الإحاطة بها .

(٦) وهو الله تعالى .

(٧) القدس : أصل معناه الطهر . وقد ضبط في أ، ب بالسكون . وقال القارى (١-١٤٩) :

القدس - بضم وبضمتين ؛ أى المنزهة عن النقصان والزوال في الجنة .

(٨) الأدانى : جمع أدنى ، بمعنى أسفل ، أو أقرب ، أو أنزل ؛ أى لا يدرك العقل سافلها

فضلاً عن عاليها ، ولا يصل لما يقرب منها فضلاً عما يبعد عنها . وفي هامش ب : خ : الفهم .

(٩) على القطع : على سبيل القطع . والجملة بمعنى الإجمال ، ضد التفصيل . والمراد أن هذه

المجمل قطعى .

وجدته حائزا لجميعها ، مُحيطا بِشَتَاتٍ^(١) محاسنها دون خلافٍ بين نقمة الأخبار لذلك ؛ بل قد بلغ بعضها مَبْلَغَ القَطْعِ^(٢) .

أما الصورةُ وجمالُها ، وتناسبُ أعضائه في حُسْنِها ، فقد جاءت الآثارُ الصحيحةُ والمشهورةُ الكثيرةُ بذلك ، من حديثِ عليٍّ ، وأنسِ بن مالك ، وأبي هريرة ، والبراء بن عازب ، وعائشة أم المؤمنين ، وابن أبي هالة ، وأبي جحيفة ، وجابر ابن سمرّة ، وأمّ معبد ، وابن عباس ، ومُعَرِّضِ بن مَعْيِيبِ^(٣) ، وأبي الطفيل ، والعداء بن خالد ، وخرم^(٤) بن قانك ، وحكيم بن حزام ، وغيرهم ، من أنه صلى الله عليه وسلم كان أزهرَ اللون^(٥) ، أدعج^(٦) ، أنجل^(٧) ، أشكل^(٨) ، أهدب^(٩) الأشفار^(١٠) ، أبلج^(١١) ، أزج^(١٢) ، أفنى^(١٣) ، أفلج^(١٤) ، مدور الوجه ، واسع الجبين ،

(١) شتات محاسنها : المتفرق من محاسنها .

(٢) مبلغ القطع : الجزم ؛ وذلك لتواتره وكثرة روايته المؤدية إلى الجزم .

(٣) في ب : ومعرض . - وضبطه بكسر الميم وسكون العين وفتح الراء - وفي هامشه : خ : ومعرض - وضبطه كما أثبتنا . وفي ا : ومعرض - وضبطه بفتح الميم وسكون العين وفتح الراء ، وتحتها « من الام » . وفي الهامش : ومعرض - وضبطه كما أثبتناه وعليها صح . وقال القارى : وقال النسانى : معرض - بكسر الميم وفتح الراء ، وهو مخالف للأصول المصححة ، وللحواشى المصروفة . (٤) في ا ، ب : خريم ، وفي هامش ا ، ب : صح بالراء .

(٥) أزهر اللون : قيل نير . وقيل حسن . وقيل أبيض . أو أبيض مشرب بحمرة . وفي الصحيح : عن أنس ، لم يكن بالأبيض الأمهق ؛ أى الخالص البياض كلون الجير فإنه غير محمود . وفي الثمائل للترمذى : فسر الأزهر بالأبيض المنير المشرق . وفي نسيم الرياض (١ - ٤٠٧) : والحق أنه كان أبيض مشربا بحمرة ، وهو أحسن الألوان .

(٦) أدعج : الدعج : شدة سواد العين مع سمها . وقيل سواد السواد وبياض البياض .

أنجل أشكل : النجلة : سعة شق العين . حسنها . والشكلة : حمرة يسيرة في بياض العين .

(٧) أهدب الأشفار : الأهدب : الطويل الشعر النبات على الجفن . والأشفار : جمع شفر :

طرف الجفن . (٨) أبلج : البالج : نقاء ما بين الحاجبين من الشعر . أزج : مقوس الحاجب مع طول امتداد . والأقنى : طول أنفه ودقة أرنبته مع حذب في وسطه .

(٩) أفاج : الفاج : تباعد ما بين الثنايا ، أو ما بين الأسنان .

كَتَّ اللَّحِيَّةَ^(۱) تَمَلَأُ صَدْرَهُ ، سَوَاءَ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ^(۲) ، وَاسِعَ الصَّدْرِ ، عَظِيمَ
الْمَنَكِبِينَ^(۳) ، ضَخْمَ الْعِظَامِ ، عَيْلَ الْعَضْدَيْنِ وَالذَّرَاعَيْنِ وَالْأَسَافِلِ^(۴) ، رَحْبَ
الْكُفَّينِ وَالْقَدَمِينَ^(۵) ، سَائِلَ الْأَطْرَافِ^(۶) ، أَنْوَرَ الْمُتَجَرَّدِ^(۷) ، دَقِيقَ الْمَسْرُوبَةِ^(۸) ،
رَبْعَةَ الْقَدَمِ^(۹) ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِثِ ، وَلَا بِالْقَصِيرِ الْمَتَرَدِّدِ^(۱۰) ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَكُنْ
يَمَاشِيهِ أَحَدٌ يُنْسَبُ إِلَى الطَّوِيلِ إِلَّا طَالَهُ^(۱۱) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، رَجَلَ الشَّعْرِ^(۱۲) ،
إِذَا افْتَرَّ ضَاحِكًا^(۱۳) افْتَرَّ عَنْ مِثْلِ سِنَا الْبَرْقِ ، وَعَنْ مِثْلِ حَبِّ الْغَمَامِ^(۱۴) ،

(۱) كَتَّ اللَّحِيَّةَ : لِحْيَتَهُ كَثِيفَةً غَيْرَ خَفِيفَةٍ .

(۲) سَوَاءَ : مُسْتَوِيهِمَا . وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى اعْتِدَالِ خَلْقِهِمَا وَعَدَمِ خُرُوجِهَا أَوْ أَحَدِهَا
عَنِ الْعَدْتِدَالِ ؛ فَإِنَّ الْبَطْنَ إِذَا كَانَ بَارِزًا أَوْ مُضْمَرًا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصِّفَاتِ الْحَسَنَةِ ، وَكَذَلِكَ إِذَا
بَرَزَ الصَّدْرُ أَوْ تَطَامَنَ . (۳) الْمَنَكِبُ : مَجْمَعُ عَظْمِ الْعَضِدِ وَالْكَتْفِ . أَيِ إِنَّهُ ضَخْمُهُمَا .

(۴) عَيْلٌ : ضَخْمٌ قَوِيٌّ . وَالْمَضْدَيْنِ : مِثْنِي عَضْدٌ ، وَهُوَ مَا بَيْنَ الْمِرْفَقِ وَالْكَتْفِ . وَالْأَسَافِلُ :
مَجْمَعُ أَسْفَلٍ ؛ يَرِيدُ رِجْلَيْهِ ، أَوْ الْفَخْذَيْنِ وَالسَّاقَيْنِ . (۵) رَحْبٌ : وَاسِعٌ .

(۶) سَائِلَ الْأَطْرَافِ : أَيِ مَمْتَدَّهِمَا امْتِدَادًا مُعْتَدِلًا بِغَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ . وَالْمُرَادُ
بِالْأَطْرَافِ الْأَصَابِعُ .

(۷) أَنْوَرَ : نَيْرٌ . وَالْمُتَجَرَّدُ : الْجَسَدُ الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَتَجَرَّدَ مِنَ الثِّيَابِ .

(۸) دَقِيقَ الْمَسْرُوبَةِ : الْمُرَادُ لَيْسَ بِعَرِيضٍ وَلَا مَتَكَثِفٍ الشَّعْرُ . وَالْمَسْرُوبَةُ : شَعْرٌ مُسْتَطِيلٌ مِنَ
الصَّدْرِ لِلسَّرَةِ ؛ فَهُوَ خَطٌّ مِنَ الشَّعْرِ بَيْنَهُمَا .

(۹) رُبْعَةَ الْقَدَمِ : الْقَدَمُ بِعَنْى الْقَامَةِ . وَرُبْعَةٌ : مُعْتَدِلٌ ، أَيِ مَرْبُوعٌ الْقَامَةُ .

(۱۰) لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِثِ . الْبَائِثُ : الظَّاهِرُ ؛ أَيِ لَمْ يَكُنْ مَفْرُطَ الطَّوِيلِ . وَالْمَتَرَدِّدُ : الْمَتَنَاهِي
فِي الْقَصْرِ .

(۱۱) يُنْسَبُ إِلَى الطَّوِيلِ : يُوصَفُ بِهِ . طَالَهُ : غَلَبَهُ فِي الطَّوِيلِ وَزَادَ عَلَيْهِ .

(۱۲) رَجَلَ الشَّعْرِ : يُقَالُ شَعْرُ رَجُلٍ : فِيهِ ثَنَانٌ قَلِيلٌ . فَشَعْرُهُ بَيْنَ الْجَمْعِ وَالسَّبْوَطَةِ .

(۱۳) إِذَا افْتَرَّ ضَاحِكًا : كَشَفَ عَنْ أَسْنَانِهِ مَتَبَسُّمًا وَضَاحِكًا . وَالسِّنَا : اللَّعْمَانُ ؛ أَيِ إِذَا كَشَفَ

النَّبِيَّ عَنْ أَسْنَانِهِ فِي حَالِ ضَحْكِهِ ظَهَرَ فَمُهُ وَبَيَاضُ أَسْنَانِهِ كَالْعَمَانِ الْبَرْقِ .

(۱۴) عَنْ مِثْلِ حَبِّ الْغَمَامِ : حَبُّ الْغَمَامِ هُوَ الْبَرْدُ ؛ أَيِ مِثْلُهُ فِي بَيَاضِهِ وَنَقَائِهِ وَصَفَائِهِ .

إذا تكلم رُئي كالنور يخرج من ثناياه ، أحسن الناس عُنقا ، ليس بمطهم ولا مكلثم^(١) ، متماسك البدن ، ضرب اللحم^(٢) .

قال البراء [بن عازب]^(٣) : ما رأيت من ذى لمة^(٤) في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٥) .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢٢] ، كأن الشمس تجري في وجهه ، وإذا ضحك يتلألأ في الجدر^(٦) .

وقال جابر بن سُمرة - وقال له رجل : كان وجهه^(٧) - صلى الله عليه وسلم - مثل السيف^(٨) ؟ فقال : لا ، بل مثل الشمس والقمر . وكان مستديرا .

وقالت أم معبد^(٩) - في بعض ما وصفته به : أجل الناس من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب [صلى الله عليه وسلم تسليما كما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون]^(١٠) .

(١) المطهم : السمين الفاجش السمن ، والنحيف الجسم الدقيقه ، فهو من الأضداد .
والمكلثم : البادن كثير اللحم .

(٢) ضرب اللحم : أي قليل لحم البدن خفيفه لا إلى حد الهزال .

(٣) في هامش ب ، وعليها علامة صح .

(٤) اللمة - بكسر اللام وتشديد الميم : ما طال من شعر الرأس في أحد جانبيه .

(٥) في نسيم الرياض (٤١٧) : هذا الحديث رواه الترمذى وصححه . وهو في سنن

الترمذى (٥ - ٥٩٩) .

(٦) التلألؤ : اللمعان والإضاءة . جدر : جمع جدار ، والناس تستعمله بمعنى الأساس .

أي نور وجهه الشريف يشرق إشراقا يصل إلى الجدران للمقابلة له .

(٧) في ب : كان وجه رسول الله . (٨) وتشبيهه بالسيف هنا في البريق واللمعان .

(٩) هي عاتكة بنت خالد الصحابية التي كانت نازلة ببناء في طريق المدينة ، وقد نزل عليها

النبي في هجرته لما خرج من غار ثور ، وكان زوجها غائبا ، فلما أتاها أخبرته به ، فاستوصفها

إياه ، فنعتته له في كلام بليغ . (١٠) من ب .

وفي حديث ابن أبي هالة : يتلألاً^(١) وجهه تلاً لآ القمر ليلة البدر .
وقال علي رضي الله عنه في آخر وصفه له^(٢) : من رآه بديهة هابة^(٣) ، ومن
خالطه معرفة^(٤) أحبه ، يقول ناعته^(٥) : لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم .
والأحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة ، فلا نطوّل بسرّها .
وقد اختصرنا في وصفه نكت^(٦) ما جاء فيها ، وجملة مما فيه الكفاية
في القصد إلى المطلوب ، وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تكفّ عليه هناك إن
شاء الله .

فصل ٣

وأما نظافة جسمه ، وطيب ريح وعرقه ، ونزاهته^(٧) عن الأقدار وعورات^(٨)
الجسد - فكان قد خصّه الله في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ، ثم تمّمها بنظافة الشرع^(٩)

(١) يتلألاً : يضيء ويشرق .

(٢) في نسيم الرياض : رواه الترمذي والبيهقي عن محمد بن الحنفية في حديث مرسل ضعيف .
(الترمذي : ٥ - ٥٩٩) ، وبعده قال : قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ، ليس
إسناده بمتصل .

(٣) بديهة : فجأة . هابه : خافه ، وعظمه ، ووقره .

(٤) خالطه : صاحبه وعرفه .

(٥) ناعته : واصفه .

(٦) النكت : اللطائف والدقائق الخفية .

(٧) نزاهته : بعده ، وخلوه منها ، وتنزهه عنها .

(٨) عورات : جمع عورة ؛ وهي كل ما يوجب خلافاً فيه ، أو يُستر ويستحي منه ، كما
يشين وينقص .

(٩) أي تم ما فطر عليه من ذلك ، وما خصه به - مباشرة له من النظافة الدينية كالوضوء ؛
فاتصف بالنظافة الكاملة .

وخصّال الفطرة العشر^(۱)، وقال^(۲): «بني الدين على النظافة».

حدثنا سفيان بن العاصي وغير واحد، قالوا: حدثنا أحمد بن عمر. حدثنا أبو العباس الرازي، حدثنا أبو أحمد الجلودي^(۳)، حدثنا ابن سفيان، حدثنا مسلم، [قال]^(۴): حدثنا قتيبة، حدثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس، قال^(۵): ما شمت عنبراً قط، ولا مسكاً، ولا شيئاً أطيب من ريح^(۶) رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعن جابر بن سمرّة أنه^(۷) صلى الله عليه وسلم مسح خده؛ قال: فوجدت ليديه برداً وريحاً، كأنما أخرجها من جونة^(۸) عطار.

(۱) الفطرة: الطبيعة والجيلة التي خلق عليها، وكونها عشرًا، رواء مسلم في حديث مرفوع: عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، وتنف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء.
قال مصعب: نسيت العاشرة، إلا أن تكون المضمضة - قال القاضي: المنسى الحتان.
(صحيح مسلم: ۲۲۳).

والبراجم: عقد الأصابع من ظهر الكف. وغسل البراجم: إزالة وسخها. وانتقاص الماء: هو الاستنجاء.

(۲) وقال: أي النبي.

(۳) في هامش ۱، ب: الجلودي - بضم الجيم هو الصحيح.

(۴) من ب. (۵) صحيح مسلم: ۱۸۱۴ (۶) ريح: رائحة.

(۷) قال الخفاجي: هذا الحديث أخرجه مسلم. وأول الحديث: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم خرج وأنا معه، فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً، وأما أنا فمسح خدي، فوجدت ليديه برداً أو ريحاً.

واقصر المؤلف على بعض هذا الحديث لمناسبته للفصل.

والحديث في مسلم: ۱۸۱۴، قال في نسيم الرياض: وكان من عادة النبي مسح وجوه الأطفال تأنيساً لهم، وتطيباً لقلوب والديهم، وشفقة عليهم.

(۸) الجونة: شبه صندوق صنير مغطى بأدم يضع فيه المطار عطره.

قال غيره (١) : مسّها بطيب أو لم يمسّها (٢) ، يُصافِحُ المُصافِحَ فيظلُّ يومه يحدُّ ريحها ؛ ويضعُ يده على رأس الصبي فيُعرِّف من بين الصبيان بريحها (٣) .
ونام (٤) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في دار أنس فعرِّق ، فجاءت أمه بتارورة (٥) تجمعُ فيها عرقه ، فسألها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقالت : نجعاهُ في طيبنا ، وهو من أطيب الطيب .

وذكر البخاري في تاريخه الكبير ، عن جابر : لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمرُّ في طريقٍ فيتبعه أحدٌ إلا عرِّف أنه سلكه من طيبه (٦) .
وذكر إسحاق بن راهويه أن تلك (٧) كانت رائحته بلا طيب ، صلى الله عليه وسلم .

[وروى المزني (٨) ، عن جابر : أرذفتي (٩) النبي صلى الله عليه وسلم خلفه ، فالتقمت (١٠) خاتم النبوة بفعي ، فكانَ بيني وبينه (١١) على مسكاً (١٢) .

- (١) قال الحفاجي : هذا الحديث رواه البيهقي ، وأبو نعيم ، بسند فيه ضعف .
- (٢) في هذا إشارة إلى أن طيبه صلى الله عليه وسلم ذاتي .
- (٣) أي برائحته الطيبة طيباً خاقياً خصه الله به تكريماً له .
- (٤) هذا بعض من حديث رواه مسلم ، واقتصر المؤلف منه على ما يناسب المقام اختصاراً ، والحديث في صحيح مسلم : ١٨١٥ .
- (٥) القارورة : إناء من زجاج يوضع فيه الطيب ونحوه .
- (٦) أي من أجل طيب الطريق برائحته الطيبة المخصوصة به ، الباقية فيه .
- (٧) أي تلك الرائحة التي كانت تشم منه وتبقى في الطريق .
- (٨) في ب : المرى . وفي هامشه : هكذا وقع المرى . وانثبت في أ .
- (٩) أرذفتي : أركبني خلفه .
- (١٠) الالتقام : أخذ الشيء وجعله في فيه ، سواء ابتلعه أم لا .
- (١١) نم المسك : سطم .
- (١٢) في هامش ب : ما بين القوسين كتب أمامه : هذا المعلم من الأم ، وليس من الرواية .

وقد حكى بعض المعتننين^(۱) بأخباره وشماله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أراد أن يتغوط^(۲) انشقت الأرض فابتلعت غائطه وبوآه ، وفاحت لذلك رائحة طيبة . صلى الله عليه وسلم .

[وأسند محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : إنك تأتي الخلاء^(۳) فلا ترى منك شيئا من الأذى ! فقال : يا عائشة ، أو ما علمت أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء ، فلا يرى منه شيء]^(۴) .

وهذا الخبر وإن لم يكن مشهورا^(۵) فقد قال قوم من أهل العلم بطهارة الحدائين منه صلى الله عليه وسلم . وهو قول بعض أصحاب الشافعية ، [حكاه الإمام أبو نصر ابن الصبّاغ في شامله]^(۶) .

وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك أبو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية ، وتخرج ما لم يقع لهم منها على مذهبه من تفاريع الشافعية . وشاهد هذا^(۷) أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره ، ولا يبرئ طيب .

(۱) هو البيهقي - عن عائشة ، كما في نسيم الرياض الذي قال : إنه موضوع .

(۲) يتغوط : يأتي الغائط ، وهو المكان المنخفض ، على عاداتهم في البراز ؛ لأنه أستر .

(۳) الخلاء : المكان الخالي البعيد عن البيوت ، لأنهم كانوا قبل وضع المراحيض يأتونه

لقضاء الحاجة ، ثم عبر به بعد ذلك عن محل التغوط مطاقا ، ثم صار عرفا اسماللبناء المعد لذلك .

(۴) في هامش ۱ ، ب : ليس من الأصل .

(۵) قال ابن دحية : سنده ثابت ، وهو أقوى ما في الباب ، فلهذا نفى المصنف عنه

الشهرة دون الصحة .

(۶) في هامش ۱ ، ب : ليس من الرواية . والشامل : اسم كتاب له .

(۷) وشاهد هذا : أي دليل القول بالطهارة .

ومنه حديث^(١) على رضى الله عنه^(٢): غسّلتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فذهبتُ أنظرُ ما يكونُ من الميت فلم أجِدْ شيئاً؛ فقلت : طِبْتَ حياً وميتاً، [قال : وسطعت^(٣) منه ريحٌ طيِّبةٌ لم تجِدْ مثلاً قطَّ] ^(٤) .

ومثله^(٥) قال أبو بكر رضى الله عنه حين قبَّلَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بعد موته .
ومنه شُرْبُ مالك^(٦) بن سنان دمه يوم أُحُد ، ومَصُّه إياه [٢٣] ، وتسويغُه^(٧) صلى الله عليه وسلم ذلك له ، وقوله : لن تُصِيبه النار .

ومثله شُرْبُ عَبْدِ اللَّهِ بن الزبير دمَ حجّامته ؛ فقال له عليه السلام : وَيْلٌ لَكَ^(٨) من الناس ، وَيْلٌ لَهُم منك . ولم ينكره عليه^(٩) .

(١) ومنه: أى من الشاهد على أنه لم يكن منه - صلى الله عليه وسلم - شيء يكره ولا غير طيب .
(٢) قال الشهاب : رواه ابن ماجه ، وأبو داود ، فى مراسيله : (ابن ماجه : ٤٧١) .
(٣) سطعت : ظهرت وارتفعت . (٤) فى هامش ١ ، ب : من الأم ، وليست من الرواية .
(٥) ومثله : أى قول على : طبت حيا وميتا . (٦) فى ب : ملك .
(٧) وتسويغه : أى تجويزه له من غير إنكار . (٨) ويل : للتحسر والتألم .
(٩) هذا محط الدليل ؛ فإن عدم إنكاره صلى الله عليه وسلم دليل على جوازه وطهارته .
وفى نسيم الرياض : (١ - ٤٤٨) قال السنخاوى : سئل شيخنا العلامة ابن حجر عن حديث ابن الزبير ، ومالك بن سنان ، وقوله للأول : ويل لك ، وقوله لمالك : لا تمسك النار - ما الحكمة فى تنوع القول مع اتحاد السبب ؟

فأجاب بأن ابن الزبير شرب دم الحجامة وهو قدر كثير ، فعلم صلى الله عليه وسلم أنه يسرى فى جميع جسده فتكتسب جميع أعضائه منه قوى من قوى النبي ، فتورد به غاية قوة البدن والقلب ، وتكسبه نهاية الشهامة والشجاعة ، فلا ينقاد لمن هو دونه بعد ضعف العدل وقلة ناصره ، وتمكن الظلمة وكثرة أعوانهم ؛ فيحصل له ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم من تلك الحروب الهائلة التى تنتهك بها حرمة ؛ أى الناشئة من حرمة صلى الله عليه وسلم وحرمة البيت العتيق ، فقيل : ويل له لقتله وانتهاك حرمة ، وويل لهم لظلمهم وتعديهم عليه وتسفيهم .

وأما مالك فازدرد ما مصه من الجرح الذى فى وجه النبي ، وهو أقل من دم الحجامة ، وكأنه صلى الله عليه وسلم علم أنه يستشهد فى ذلك اليوم ، فلم يبق له من أحوال الدنيا ما يخبر به ، فأعلمه بالأهم بما يتلقاه من أنواع مسرات الجنان .

وقد رُوي نحو من هذا عنه في امرأة شربت بوله ؛ فقال لها : لن تشككي وجمع بطنك أبدا . ولم يأمر واحدا منهم ^(١) بفعل فم ، ولانتهاء عن عودة ^(٢) .
 وحديث هذه المرأة التي شربت بوله ^(٣) صحيح أزم الدار قطنى مسلما والبخارى إخراجة في الصحيح ، واسم هذى المرأة بركة . واختلفت في نسبتها .
 وقيل : هي أم أيمن ^(٤) : وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قالت : وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان ^(٥) بوضع تحت سريره يببول فيه من الليل ، فبال فيه ليلة ، ثم افتقده ^(٦) ، فلم يجد فيه شيئا . فسأل بركة عنه ؛ فقالت : قمت وأنا عطشانة فشربته وأنا لا أعلم .
 روى حديثها ابن جرير وغيره :

وكان صلى الله عليه وسلم قد واد تختونا مقطوع ^(٧) السرة .
 [ورؤى عن أمه آمنة أنها قالت : قد ولدته نظيفا ما به ^(٨) قدر ^(٩)] .

- (١) واحدا منهم : أى ممن شرب دمه ، ومن مصه ، ومن شرب بوله .
 (٢) ولو كان نجسا لأمر به ، ونهاه أن يعود لمثله .
 (٣) فى نسيم الرياض : هو فى أعلى درجات الصحة . والحديث فى سنن النسائى : ١ - ٣١
 (٤) مولاته وحاضنته ومرضعته .
 (٥) القدح : هو الإه الذى يشرب منه . عيدان : نخلة طويلة .
 وفى هامش ب : العبدان : شجر كبار ، تكون باليمن ، صغارها تسمى الرتم ، ومنه قول الشاعر :

إن الرياح إذا ما أعصفت قصفت عيدان نجد ولم يعبأ بالرتم

(٦) افتقده : طلبه وبحث عنه .

- (٧) فى نسيم الرياض (١ - ٤٥٢) : سند هذا الحديث ضعيف جدا ، والذى صححه المحدثون - كما فى التمهيد لابن عبد البر - أن جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه ، وجعل له مادة وسماء مجدا .
 (٨) ما به قدر ؛ أى ولدته نظيفا من الوسخ .

(٩) فى هامش ا ، ب : من الأم ، من غير الرواية .

وعن عائشة رضي الله عنها : ما رأيتُ فرَجَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قط .
وعن علي رضي الله عنه ^(١) : أوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يفسله ^(٢) غيري ؛
فإنه لا يرى أحدٌ عورتِي إلا طمست عيناه ^(٣) .

وفي حديث عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما - أنه صلى الله عليه وسلم
نام حتى سُمِعَ له غَطِيطٌ ^(٤) ، فقام فصلى ولم يتوضأ ^(٥) - قال عكرمة : لأنه صلى الله
عليه وسلم كان محفوظاً ^(٦) .

فصل

وأما وفورُ عقله ^(٧) ، وذكاءُ لُبِّه ^(٨) ، وقوةُ حواسه ، وفصاحةُ لسانه ، واعتدالُ
حركاته ، وحسنُ شمائله - فلا مِرْيَةَ ^(٩) أنه كان أعقلَ الناسِ وأذكاهم .
ومن تأملَ تديره أمرَ بواطنِ الخلقِ وظواهرهم ، وسياسةَ العامةِ والخاصةِ ^(١٠) ،
مع عجيبِ شمائله ، وبديعِ سيره ، فضلاً عما أفاضه ^(١١) من العلم ، وقرّره من الشرع دونَ

(١) قال الشهاب : هذا الحديث رواه البزار والبيهقي .

(٢) في ا : ضبطت السين مشددة وغير مشددة . وفوقها « معا » .

(٣) طمس العين : إزالة ضوءها .

(٤) الغطيط : صوت النائم إذا ارتفع نفسه .

(٥) في نسيم الرياض : والأحاديث الدالة على أن نومه - صلى الله عليه وسلم - لا ينقض ،

وأنه تنام عينه ، ولا ينام قلبه - كثيرة صحيحة .

(٦) حاصله أن النوم ليس ناقضاً بنفسه ؛ وإنما نقض ، لأنه مظنة الحدث ، والله تعالى

حفظه عن أن ينام قلبه .

(٧) وفور عقله : تمامه ، وزيادته على عقل غيره .

(٨) لبه : عقله .

(٩) لا مرية : لاشك ، ولا شبهة ، ولا جدال .

(١٠) سياسة العامة والخاصة : تدير أمورهم والتصرف فيها .

(١١) أفاضه : أذاعه .

تعلّم سبق ، ولاُممارسة^(١) تقدمت ، ولا إلمامًا بالغةٍ لاكتب منه ، لم يمتَر^(٢) في رُجُعان عقله ، وثُقُوب^(٣) فهمه لأول بدية^(٤) ؛ وهذا ما لا يحتاج إلى تقريره لتحقيقه^(٥) .

وقد قال وهب بن منبّه : قرأتُ في أحد وسبعين كتابا ، فوجدتُ في جميعها أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أرجحُ الناسِ عقلا ، وأفضلهم رأيا .

وفي رواية أخرى^(٦) : فوجدتُ في جميعها أنّ الله تعالى لم يُعْطِ جميعَ الناس من بدء الدنيا إلى انتضاؤها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم إلا كحبة رمل من [بين]^(٧) رمال الدنيا .

وقال مجاهد^(٨) : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه ، وبه فسّر قوله تعالى^(٩) : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ .

وفي الموطأ عنه عليه السلام^(١١) : إني لأراكم من وراء ظهري .

(١) الممارسة : معالجة الأمر ومزاولته ؛ أي لم يتعلم من غيره ، ولم يحاوله حتى يعلمه من نفسه باجتهاد في استخراجِه بعقله .

(٢) لم يمتَر : لم يشك .

(٣) ثقب فهمه : نفوذه وظهوره .

(٤) لأول بدية : لأول نظرة نظرها .

(٥) لتحقيقه : بالشاهدة في عصره ، والتواتر بعد ذلك ، بحيث لا يشك فيه مسلم وعاقل .

وفي ب : لتحقيقه ، وعليها علامة الصحة .

(٦) عن وهب أيضا .

(٧) من ب .

(٨) هذا الحديث رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة . ورواه مالك ، وأحمد ، وغيرهما .

وفي لفظه اختلاف . والمعنى متفق . والحديث في مسلم : ٣١٩ .

(٩) في ب ضبطت الميم بالفتحة والكسرة ، وعليها « معا » .

(١٠) سورة الشعراء ، آية ٢١٩ .

والعنى : ترى قلب بصرك في المصلين خلفك لترامهم وتعلم ما يفعلون . وسياق الحديث

للاستدلال به على قوة حواسه - صلى الله عليه وسلم ؛ فيناسب التفسير بأنه يرامهم بعينه حقيقة .

(١١) في الموطأ : ١ - ١٦٦ ، وصحيح مسلم : ٣١٩ .

ونحوه - عن أنس في الصحيحين^(۱)، وعن عائشة مثله؛ قالت: زيادةٌ زاده اللهُ إياها في حُجَّتِه^(۲).

وفي بعض الروايات^(۳): إني لأُنظُرُ من^(۴) ورأى كما أنظر إلى من بين يدي.

وفي أخرى^(۵): إني لأُبصِرُ من قفَاى كما أبصر من بين يدي.

وحكى بَقِيَّ بن مَخْلَدٍ، عن عائشة؛ [قالت] ^(۶): كان النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم يرى في الظُّلْمَةِ كما يرى في الضوء^(۷).

والأخبارُ كثيرةٌ صحيحةٌ في رؤيته صلى اللهُ عليه وسلم للملائكة والشياطين^(۸).

ورُفِعَ^(۹) النجاشيُّ له حتى صلى عليه^(۱۰)، وبيتُ [۲۴] المقدسِ حين وصفه لقریش، والكعبةُ حين بنى مسجده^(۱۱).

(۱) صحيح مسلم: ۳۲۰، وفيه: من بعد ظهري.

(۲) في حجته: المراد بحجته الدلائل الدالة على نبوته وصدقه. وقيل: في حجته على الكفار؛ لأن هذه معجزة من معجزاته خارقة للعادة.

(۳) في ب: ضبطت الميم بالفتحة والكسرة وكتب فوقها « معا ».

(۴) لمسلم، فيه - صفحة ۳۱۹: من ورأى ومن بعدى، و « من بعد ظهري » بدل « من قفای » صفحة ۳۲۰ (۶) ليس في ب.

(۷) في نسيم الرياض: رواه الثقات كابن مخلد؛ فلا وجه لإنكاره. وقد أخرجه البيهقي عن عائشة أيضا. ونقل ابن دحية في كتابه الآيات البينات - عن ابن بشكوال - أنه ضعفه لأن في سنده ضعيفا.

(۸) في نسيم الرياض: وهذا مالا شبهة فيه.

(۹) يعني أن الله تعالى رفع بيت النجاشي وجنازته - وهو ببلاد الحبشة - فرآه النبي من المدينة وصلى على جنازته.

(۱۰) قال السيوطي: إنه لم يجده في كتب الحديث.

(۱۱) أي رفعت له الكعبة وهو بالمدينة حين بنى مسجده بها. قال السيوطي: رفع الكعبة له حين بنى مسجده رواه الزبير بن بكار في أخبار المدينة، عن ابن شهاب ونافع بن جبير بن مطعم، مرصلا. وقال في نسيم الرياض: والمعروف أن جبريل عليه السلام أعلمه بحقيقة القبلة، وأراه سمتها؛ لا أنه رفع له الكعبة حتى رآها. وبهذا جاءت الآثار.

وقد حُكي عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يرى في الثريا أحدَ عشر نجمًا^(١) .
وهذه كلها محمولة على رؤية العين ، وهو قولُ أحمد بن حنبل وغيره .
وذهب بعضهم إلى ردها^(٢) إلى العلم ، والظواهرُ تخالفه^(٣) ، ولا إحالة^(٤)
في ذلك ، وهي^(٥) من خواص الأنبياء وخصائصهم ، كما أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد
العدل من كتابه ؛ حدثنا أبو الحسن المقرئ الفرغاني ، حدثنا أم القاسم بنت أبي بكر^(٦)
عن أبيها ، حدثنا الشريف أبو الحسن علي بن محمد الحسني ، حدثنا محمد بن محمد بن سعيد ،
حدثنا محمد بن أحمد بن سليمان ، حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق ، حدثنا همام^(٧) ، قال :
حدثنا الحسن ، عن قتادة ، عن يحيى بن وثاب ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله
عليه وسلم ؛ قال : لما تجلّى^(٨) الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا^(٩)
في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ^(١٠) : ولا يبعد على هذا أن يختص نبينا بما ذكرناه
من هذا الباب بعد الإسراء والحظوة^(١١) بما رأى من آيات ربه الكبرى .

(١) قال السيوطي : هذا لم يوجد في شيء من كتب الحديث .

(٢) إلى ردها : أي إلى تأويل الرؤية بالعلم وصرافها عن ظاهرها .

(٣) والظواهر تخالفه : أي ظاهر العبارة بخالفه ، ولا مقتضى لصرافها عن الظاهر .

(٤) ولا إحالة في ذلك : أي ليس في حملها على الرؤية البصرية أمر محال يقتضي العدول لأجله .

(٥) وهي : أي قوة البصر والحواس . (٦) هو أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي .

(٧) في ب : هاني ، وعليها علامة الصحة . وفي هامشه : كانت في الأصل همام كما كتبت .

وهو هاني بن يحيى . وقال الشهاب (١ - ٤٧٢) : ولفظ همام وقع في كثير من النسخ .

والصواب هاني كما أصلح .

(٨) التجلّى هنا : الظهور بلا كيف . (٩) الصفا : الحجر الصلد الأملس .

(١٠) في نسيم الرياض (١ - ٤٧٣) : تحقيقه أن الله تعالى لما قرب به حتى سمع كلامه حصل

له قوة روحانية ، واتصل به نور إلهي أثر في روحه الحيوانية ، وزاد في نورها الذي بانتشاره

في البدن يحصل الإدراك ؛ فأدرك بذلك إدراكًا خارقًا للعادة .

(١١) الحظوة : زيادة القرب مع المحبة .

وقد جاءت الأخبار^(١) بأنه صرَّع رُكَّانَةً أَشَدَّ أَهْلِ وَقْتِهِ، وَكَانَ دَعَاةً إِلَى الْإِسْلَامِ،
وَصَارَعَ أَبَا رُكَّانَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ شَدِيدًا، وَعَاوَدَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، كُلَّ ذَلِكَ يَصْرَعُهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال أبو هريرة: ما رأيتُ أحداً أسرعَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مشيه، كأنما الأرضُ تُطَوَّى له، إنا لنَجْهَدُ أنفسنا وهو غيرُ مُكْتَرِثٍ^(٢).
وفي صفته أن ضحكك كان تبسُّماً، إذا التفتَ التفتَ معاً^(٣)، وإذا مشى مشى تَقْلَعًا^(٤)
كأنما يَنْحَطُّ من صَبَبٍ^(٥).

فصل

وأما فصاحة اللسان، وبلاغة القول، فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك
بالمحلِّ الأفضل والموضع الذي لا يُجْهَل، سلاسةً طَبِيعَ، وبراعةً مَنْزِعَ^(٦)،

(١) هذا إثبات لتفوقه على غيره في قوته البدنية بعدما أثبت قوة إدراكه صلى الله عليه وسلم.
والخبر في سنن الترمذى: ٤ - ٢٧٤
(٢) مكثرت: الاكترت: المبالاة والاعتناء بالأمر؛ أي إننا نتعب أنفسنا في مساواة مشيه،
وهو - صلى الله عليه وسلم - مستريح لا يرى به مشقة. أو إننا نبذل وسعنا وطاقتنا، وهو غير
مبال بمشيه.

(٣) التفت معاً: أي يقبل جميعاً ويدبر جميعاً. ومعنى «معاً» بجميعة.
(٤) تَقْلَعًا: المراد أنه - صلى الله عليه وسلم - يرفع رجليه من الأرض رفعا قويا من غير
مقاربة للخطى؛ فإنه مشى النساء والمختالين.

(٥) ينحط من صبيب: ينحدر من موضع مرتفع. والحديث في سنن الترمذى: ٥ - ٥٩٨
(٦) السلاسة: السهولة؛ أي كانت سليقته صلى الله عليه وسلم في البلاغة تنقاد له بسهولة
من غير تكاف.

والبراعة: من برع الرجل؛ إذا فاق غيره، وكثيرا ما تستعمل بمعنى الفصاحة. والمنزِع - بفتح
الميم والزاي: المأخذ، وما يرجع إليه الرجل من رأيه وأمره. والمراد أصله ومقره، يعنى إنه صلى
الله عليه وسلم مع بلاغته الجبلية من قوم هم أفصح الناس.

وإيجاز مَقَطَع^(١) ، ونصاعة أَفْظ ، وجزالة قول^(٢) ، وصحة معانٍ ، وقلة تكلف ،
أوتى جوامع الكلم ، وخص ببدائع الحكم^(٣) ، وعلم السنة العرب^(٤) ، يخاطب
كل أمة منها بلسانها ، ويخاورها بلغتها ، ويباريها في منزع بلاغتها^(٥) ، حتى كان كثير
من أصحابه يسألونه في غير موطن^(٦) عن شرح كلامه وتفسير قوله .

ومن تأمل حديثه وصيره علم ذلك وتحفته ؛ وليس كلامه مع قريش والأنصار ،
وأهل الحجاز وتجدد كلامه مع ذى المشعار الهمداني^(٧) ، وطهفة النهدي^(٨) ،
وقطن بن حارثة العللي^(٩) ، والأشعث بن قيس^(١٠) ، ووائل بن حُجْر

(١) الإيجاز : التعبير عن معان كثيرة بلفظ قليل . مقطع : أى موجز في محل القطع والفصل
للأمور . أى ومقطعا موجزا ، من أوجز : أى بكلام قلت مبانيه وكثرت معانيه .

(٢) النصاعة : الخلوص والوضوح ؛ أى إن لفظه خالص من كل بشاعة ، وواضح لكل أحد
لخاطبته كل واحد على قدر عقله وبلغته . والجزالة : القوة والإتقان .

(٣) أوتى جوامع الكلم : آناه الله قوة ناطقة بحيث ينطق بالكلمات الجامعة للمعاني . وقيل
المراد القرآن والحديث .

وخص ببدائع الحكم : أى خص النبي بنطقه بكل حكمة بديمة لم يسبق إليها .

(٤) السنة العرب : لغاتهم . (٥) يباريها : يعارضها ويباريها .

(٦) في غير موطن : أى في مواطن كثيرة . وفي أعلى كلمة « أصحابه » علامة الصحة ،
وكتب أمامها في الهامش : الصحابة : وعليها صح .

(٧) ذو المشعار وفد على النبي مرجه من تبوك ، وكتب له النبي كتابا سيأتي بعد قليل .
وفي ١ : المشعار - بالعين المهملة والفتحة المعجمة وكتب فوقها « معا » .

(٨) طهفة النهدي : هو خطيب نهد ووافدها إلى النبي صلى الله عليه وسلم في سنة تسع لما
قدمت عليه وفود العرب .

(٩) هو صحابي قدم على النبي وافدا لقومه ، فكتب له كتابا . والكتاب في نسيم
الرياض : ١ - ٤٨٢

(١٠) الأشعث بن قيس وفد على رسول الله سنة عشر في ستين راكبا ، فأسلموا ورجعوا
إلى اليمن وله قصة مع أبي بكر في نسيم الرياض : ١ - ٤٨٣

الكِنْدِيُّ^(١) ، وغيرهم من أقبال^(٢) حَضْرَمَوْتِ وملوكِ اليمن .
وانظر كتابه إلى همدان^(٣) : إن لكم فِرَاعَهَا ووهَاطَهَا وعَزَازَهَا^(٤) ، تأكلون
عِلَاقَهَا^(٥) وترَعَوْنَ عَفَاءَهَا^(٦) ، لنا مِنْ دِفْئِهِمْ وِصْرَامِهِمْ ماسلَمُوا بالميثاق والأمانة^(٧) ،
ولهم من الصَّدَقَةِ الثُّلُبُ والثَّابُ والفَصِيلُ^(٨) ، والفَارِضُ والدَّاجِنُ^(٩) ،

(١) وائل بن حجر : من أقبال حضرموت ، وأبوه ملك من ملوكهم . وقد طى رسول
الله مسلما . وقد بشر الرسول أصحابه قبل قدومه بثلاثة أيام . وقد كتب له رسول الله كتابا -
وهو في ١ - ٤٨٤ من نسيم الرياض .

(٢) الأقبال : جمع قبيل ؛ وهو الملك من ملوك حمير واليمن .

(٣) كتبه النبي لما وفد عليه ذو المنعمار الهمداني ، وارجع إليه في الفائق : ٣ - ٩٤ ،
إن شئت .

(٤) فراعها : ما ارتفع من الأرض من مرتفعات البقاع أو أعالي الجبال - يعني أن النبي
أقطعهم ذلك . ووهاطها : ما سفل وانخفض من الأرض . وعزازها : ما اشتد وصلب من الأرض
مما لا ملك لأحد عليه .

(٥) علاقها : جمع عاف ، وهو ما تأكله الماشية .

(٦) عفائها : ما ليس لأحد فيه ملك ولا أثر .

(٧) الدفء : المراد الإبل والنعم . والصرام : جمع صرمة ؛ وهي القطعة من النخل ، ويجوز
أن يكون الثمر نفسه ، لأنه يصرم من النخل ؛ أي يجذ ويقطع . ماسلما : ما داموا يعطون
من الزكاة المفروضة .

(٨) المراد بالصدقة : الزكاة . والثاب : الجمل المسن الهرم الذي سقطت أسنانه . والثاب :
مثل الثاب إلا أنه مخصوص بالزوق الإناث . والفصيل : ولد الناقة الصغير الذي فصل عن
رضاع أمه .

(٩) الفارض والداجن . الفارض : البقرة المسنة . والداجن : الذي يربض حول المنازل
من شدة الهرم فلا يسرح لأمري ولا يصاح للعمل والحمل . والمعنى أن ما ذكر يترك لهم ولا
يؤخذ منهم .

والكَبْشُ الحَوَارِي (١) وعليهم فيها الصالغ والقارح (٢) .

وقوله لنَهْد (٣) : اللهم بَارِكْ لهم في مَحْضِهَا وَمَحْضِهَا وَمَذْقِهَا (٤) ، وَاَبَعْتُ رَاعِيَهَا في الدَّثْر (٥) ، وَاَفْجُرْ له التَّمْد (٦) ، وبارِكْ له في المال والولد ، مَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ كَانَ مُسْلِمًا ، وَمَنْ آتَى الزَّكَاةَ كَانَ مُحْسِنًا ، وَمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَانَ مُخْلِصًا (٧) ، لَكُمْ يَا بَنِي نَهْدٍ وَدَائِعُ الشُّرْكَ ، وَوَضَائِعُ الْمَلِكِ (٨) ، لَا تُلَطِّطُ في الزَّكَاةِ (٩) ،

(١) الكَبْشُ : الذِّكْرُ الكَبِيرُ مِنَ الغَنَمِ الَّذِي يَقُودُهَا غَالِبًا . وَالْحَوَارِي : الْمُرَادُ الْكَبِيرُ مِنَ الغَنَمِ ؛ وَهُوَ لَا يُؤْخَذُ فِي الصَّدَقَةِ لِكَوْنِهِ أَنْفُسَهَا ، وَلِأَنَّهُ يَمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِلضَّرَابِ ، وَفِي : الْحَوَارِي - بِضَمِّ الحَاءِ وَتَشْدِيدِ الوَاوِ . وَالْحَوَارِي : الْأَبْيَضُ .

(٢) الصَالِغُ : هُوَ مِنَ الْبَقَرِ وَالغَنَمِ : مَا كَمَلَ وَانْتَهَى سَنُهُ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ . وَالْقَارِحُ : الْفَرَسُ الَّذِي دَخَلَ فِي الْخَامِسَةِ .

(٣) هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى مَا قَالَهُ النَّبِيُّ لَطِيفَةُ النَّهْدِيِّ السَّابِقِ ذَكَرَهُ حِينَ وَفَدَ عَلَى النَّبِيِّ وَشَكَاهُ مَا أَصَابَ قَوْمَهُ مِنَ الْقَحْطِ .

(٤) الْمَحْضُ : الْحَالِصُ . وَالْمَحْضُ : أَصْلُهُ تَحْرِيكُ السَّقَاءِ الَّذِي فِيهِ اللَّبَنُ حَتَّى يَتَمَيَّزَ زَبْدُهُ فَيُؤْخَذُ مِنْهُ . وَالْمَذْقُ : أَصْلُ مَعْنَاهُ الْخَلْطُ وَالزَّجْجُ ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي اللَّبَنِ الْخَلُوطُ بِالمَاءِ . يَدْعُو لَهُمُ الرَّسُولُ بِأَنْ يَبَارِكَ اللَّهُ لَهُمْ فِي أَلْبَانِهِمْ بِأَقْسَامِهَا : مَا كَانَ خَالِصًا لَمْ يَتَمَيَّزْ زَبْدُهُ ، وَمَا مِزَّ مِنْهُ زَبْدُهُ ، وَمَا مَزَجَ بِالمَاءِ . وَذَلِكَ كَلِمَةٌ كُنْيَاةٌ عَنِ خَصْبِ أَرْضِهِمْ وَسَعْتِهَا ؛ فَإِنَّ الْأَلْبَانَ إِنَّمَا تَكْثُرُ بِنبَاتِ المَرْعَى ، وَهُوَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالمَطَرِ ؛ فَكَأَنَّهُ قَالَ : اللَّهُمَّ اسْقِ بِلَادَهُمْ ، وَاجْعَلْهَا مَخْضَبَةً مَلْبِنَةً .

(٥) أَبَعْتُ رَاعِيَهَا فِي الدَّثْرِ : أَبَعْتُ : أَرْسَلْتُ . وَالِدَثْرُ : الْإِبِلُ الْكَثِيرَةُ . وَقِيلَ : الدَّثْرُ : الْخَصْبُ وَكَثْرَةُ النِّبَاتِ .

(٦) وَاَفْجُرْ لَهُ التَّمْدُ : الْفَجْرُ : مِنَ تَفْجِيرِ المَاءِ ، وَهُوَ جَعْلُهُ جَارِيًا . وَالتَّمْدُ : المَاءُ القَلِيلُ . فَالْمُرَادُ كَثْرَ مَا قَلَّ مِنْ مَائِهِ .

(٧) كَانَ مُخْلِصًا : أَيَّ كَانَ مُخْلِصًا فِي إِيمَانِهِ .

(٨) وَدَائِعُ الشُّرْكَ : الْمُرَادُ بِهَا الْعَهُودُ وَالْمَوَائِقُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ جَاوَرَهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ فِي الْمَهَادِنَةِ . وَقِيلَ : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنْ مَا اسْتُودِعُوهُ مِنْ أَمْوَالِ الْكُفَّارِ حَلَالَ لَهُمْ . وَوَضَائِعُ الْمَلِكِ : الْوَضَائِعُ : جَمْعُ وَضِيعَةٍ - بِمَعْنَى مَوْضُوعَةٍ . وَالْمَلِكُ - بِكسْرِ الميمِ ؛ أَيَّ مَا كَانَ يُوَضَعُ عَلَى الْأَمْوَالِ مِنَ الزَّكَاةِ وَالصَّدَقَةِ ثَابِتٌ لَكُمْ كَسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ ؛ يَلْزِمُكُمْ مَا يَلْزِمُهُمْ مِنَ الْوِظَائِفِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ .

(٩) لَا تُلَطِّطُ فِي الزَّكَاةِ : لَا تَمْنَعُهَا .

ولا تُلجِد^(١) في الحياة ، ولا تتناقل عن الصلاة .
وكتب لهم : في الوظيفية الفريضة^(٢) : ولكم الفارض^(٣) والفريش^(٤) ،
وذو العنان الركب^(٥) ، والفلو^(٦) الضبيس [٢٥] ، لا يمنع سرحكم ، ولا يعضد
طلحكم ، ولا يحبس دركم^(٧) ما لم تضمروا الرماق ، وتأكلوا الرباق^(٨) ،
من أقره فله الوفاء بالعهد والذمة ، ومن ألى فعليه الربوة^(٩) .
ومن كتابه لوائيل بن حنجر^(٩) :

- (١) ولا تلجد : أُلجِد إلحادا : جار وعدل عن الحق .
(٢) لهم : لبني نهد . والوظيفة : المعين في كل يوم ، أو في زمان معين ، من الطعام وغيره من الرزق . ويطلق على العهد والشرط ، والمراد الأخير ؛ أي كتب لهم في العهد وما شرط عليهم في الزكاة لهم فيما يؤخذ منهم من الوظائف المرتبة عليهم . والفريضة : ما فرض عليهم .
(٣) الفريش : الحديث العهد بالنتاج . وقيل : ما لا يطبق حمل الأثقال من الإبل لصفره .
(٤) الركوب : الركوب الذلول . يعني : لا تؤخذ الزكاة من الفرس المعدل لركوب صاحبه ، وكذا الصغير .
(٥) الفلو : المهر الصغير من الخيل ، لا يؤخذ في الزكاة . والضبيس : المهر العسر الركوب الصعب ، وكأنه كنى به عن صفره .
(٦) سرحكم : السرح : الماشية التي تسرح بالفدأة للمرعى . والمراد أن مطلق الماشية لا تمنع عن مرعاها . يعضد : يقطع . والطلح : شجر عظام يقال له المضاه . دركم : الدر : اللبن ، والمراد به هنا الأنعام ذوات الدر لا تحبس عن المرعى في مكان تجتمع فيه لتحشر إلى المصدق . وفي ب : سرحكم - بالجيم .
(٧) تضمروا : تخفوا وتكتموا . الرماق : النفاق . والرباق : المراد المهود . والمعنى : إن هذا أمر مقرر عليكم منا ما لم تنقضوا العهد وترجعوا عن الإسلام ، فإذا كان كذلك فعليكم ما على غيركم من الكفرة ؛ فالمراد ما لم تضمروا النفاق ، ثم تظهروا نقض العهد . وفي ب : الإرماق . وفي الفائق : وروى : الرماق ، والمراد النفاق .
(٨) هذا في ا ، ب . أي يؤخذ منه زيادة على فريضة الزكاة عقوبة له .
(٩) ارجع إليه - إن شئت - في الفائق : ١ - ٤ .

إلى الأقبال العباہلة ، والأرواع المشایب (۱) .
 وفيه (۲) : فی التیعة شاة ، لا مقورة الألیاط ، ولا ضنآك (۳) ، وأنطوا الشبجة (۴) ،
 وفي السیوب الخمس (۵) . ومن زنی مِم (۶) بکر فاصعقوه مائة (۷) ، واستوفضوه
 عاماً (۸) ، ومن زنی مِم (۶) نیب فضر جوه بالأضامیم (۹) ، ولا توصیم فی الدین (۱۰) ،
 ولا غمة فی فرائض الله (۱۱) ، وكلُّ مسکر حرام . ووائل بن حجر یترفل
 علی الأقبال (۱۲) .

(۱) الأقبال : الملوك . العباہلة : المقرون علی ما کمهم ، فلم یزالوا عنه . والأرواع : السادة
 الزهر الألوان الحسان الوجوه . وقیل : هم الذین یروعون الناس ؛ أى یعجبونهم لمنظرهم
 وجمالهم وهیئاتهم . والمشایب : جمع مشبوب ، وهو الحسن الأزهر اللون .

(۲) وفيه : فی هذا الكتاب .

(۳) التیعة : الأربعون من الغنم ، وقیل : الخمس من الإبل . وقیل : هى أدنى ما تجب فیہ الصدقة
 من الغنم والإبل . مقورة الألیاط : مقورة : مسترخية الجلد من الهزال ؛ فلا تؤخذ فی الصدقة
 لردائها . والمقورة : السمينة أيضا ؛ وهذه لا تؤخذ أيضا لأنها أعلى ؛ والمأمور بأخذه الوسط .
 والألیاط : جمع لیط - بكسر اللام ؛ وهو قشر العود ، والمراد الجلد . ولا ضنآك : الضنآك :
 الكثیرة اللحم السمينة فلا تؤخذ لجودتها .

(۴) أنطوا : أعطوا - لنة لأهل البین ، أو لبني سعد . الشبجة : الوسط .

(۵) السیوب : جمع سيب ؛ وهو الرکاز ، وهو المال المدفون الجاهلی .

(۶) مِم : من . (۷) فاصعقوه : فاضربوه . (۸) واستوفضوه : انقوه .

(۹) فضر جوه بالأضامیم : أى ارجوه حتى یسبل دمه ویقتل . والأضامیم : الحجارة ،

واحدها إضامة ، أو أضوم .

(۱۰) ولا توصیم : التوصیم : من الوصم ؛ وهو العار والعیب ؛ أى لا کبر ، ولا عیب ،

ولا عار ، ولا کسل فی إقامة حدود الله ؛ فلا تحابوا فیها .

(۱۱) ولا غمة فی فرائض الله : أى لا تخفی ولا تستر فرائضه تعالى ؛ بل تظهر ویجهر بها .

(۱۲) یترفل علی الأقبال : أصل الترفل : تطویل الرداء والثوب ، وهو کنایة عن جملة رئیساً

علیهم محکماً فیهم وفى أخذ صدقاتهم ؛ أى جملة النبی والیا علی أمورهم وقبض صدقاتهم .

أينَ هذا من كتابه لأنس في الصدقة^(۱) المشهور . لَمَّا كَانَ كَلَامُهُ هُوَ لَاءَ عَلَى هَذَا
الْحَدِيثِ ، وَبَلَاغَتُهُمْ عَلَى هَذَا النَّمَطِ^(۲) ، وَأَكْثَرُ اسْتِمَالِهِمْ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ اسْتِعْمَالَهَا مَعَهُمْ ،
لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ، وَلِيَحَدِّثَ النَّاسَ بِمَا يَعْلَمُونَ .
وَكَقَوْلِهِ فِي حَدِيثِ عَطِيَّةِ السَّعْدِيِّ^(۳) : فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْطِيبَةُ^(۴) وَالْيَدَ السُّفْلَى
هِيَ الْمُنْطَاةُ .

قَالَ^(۵) : فَكَلَّمْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأُفْتِنَا .
وَكَقَوْلِهِ فِي حَدِيثِ الْعَامِرِيِّ^(۶) حِينَ سَأَلَهُ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : سَأَلْتُ
عَنْكَ . أَيْ سَأَلْتُ عَمَّ شَأْنٍ ، وَهِيَ لُغَةُ بَنِي عَامِرٍ .
وَأَمَّا كَلَامُهُ الْمَعْتَادُ ، وَفَصَاحَتُهُ الْعُلُومَةُ ، وَجَوَامِعُ كَلِمِهِ ، وَحِكْمُهُ الْمَأْثُورَةُ - فَقَدْ
أَلْفَ النَّاسُ فِيهَا الدَّوَاوِينَ وَجُمِعَتْ فِي أَلْفَاظِهَا وَمَعَانِيهَا الْكُتُبُ ، وَفِيهَا مَا لَا يُوَازِي^(۷)
فَصَاحَةً ، وَلَا يُبَارِي بِلَاغَةً^(۸) ؛ كَقَوْلِهِ : الْمَسَاوُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ^(۹) ، وَيَسْمَعَى
بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ^(۱۰) ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ^(۱۱) .

(۱) انظر هذا الكتاب في شرح الحفاجي : ۱ - ۵۰۲ إن شئت . (۲) النمط : الطريقة .
(۳) قدم على رسول الله في ناس من بني سعد ، وهو أصغرهم ، خلفوه في رحلتهم ، فأمرهم
الرسول أن يبعثوا إليه ، فاتاه ، فلما رآه قال : ما أغناك الله فلا تسأل الناس شيئا ، فإن اليد ...
وارجع إلى هذا القول في الفائق : ۳ - ۱۰۳ ، وقال : هذه لغة سعد .

(۴) المنطية : المعطية . والمنطاة : المعطاة .

(۵) قال : أي عطية السعدي .

(۶) هذا الحديث رواه أبو نعيم في الدلائل .

(۷) يوازي : لا يعارض فيؤتى بمثله .

(۸) لا يباري : لا يعارض فيؤتى بمثله .

(۹) تتكافأ دماؤهم : التكاؤ : التماثل ؛ أي هم متساوون في القصاص والدية ؛ فشريفهم
ومشروفهم ، وصغيرهم وكبيرهم ، وفقيرهم وغنيهم ، وأميرهم وسوقتهم سواء .

(۱۰) يسمي بذمتهم أدناهم : المراد بالذمة العهد والأمان ؛ وأدناهم : أقلهم مقدارا ؛ أي
إذا أمن أحد من المسلمين واحدا من الكفار كان ذلك جاريا على جميع المسلمين ، لا يجوز
نقضه لأحد منهم .

(۱۱) وهم يد على من سواهم : معناه أنهم مجتمعون على أعدائهم ، يعاون
بعضهم بعضا ؛ أي هم مستولون قاهرون لغيرهم .

وقوله : الناس كاسنان المشط^(۱) . والمرء مع من أحب^(۲) . ولا خير في صحيفة من لا يرى لك ما ترى له^(۳) . والناس معادن^(۴) . وما هلك امرؤ عرف قدره^(۵) . والمستشار مؤتمن ، وهو بالخيار ما لم يتكلم^(۶) . ورحم الله عبدا قال خيرا فقيم أو سكت فسليم .

وقوله : أسلم تسلم ، وأسلم يؤتيك الله أجرَك مرتين^(۷) . وإن أحبكم إلى

(۱) هذا مثل في تساويهم في الأحكام الشرعية . أو المراد تساويهم في الأنساب ، فإنهم كلهم أولاد آدم . والتيم من كلمة «المشط» ضبطت في ب بالكسرة والضمة ، وعليها « معا » .
(۲) وهو حديث صحيح رواه الشيخان عن أنس . والمرء مع من أحب ، والمراد أنه معه في الحشر ومنازل الآخرة ، فيرتقى من منزلته لمنزلتهم بسبب خلوص المحبة . والحديث في مسلم : ۲۰۳۴ ، وسنن الترمذى : ۴ - ۵۹۵

(۳) حديث رواه ابن عدى في الكامل بسند ضعيف ، كما قال السيوطى في تخريجه .
(۴) رواه الشيخان عن أبي هريرة . والمعادن : جمع معدن : منبت الذهب والفضة ونحوه ، ويطلق على مكان كل شيء فيه أصله ، وعلى كل أصل ، وعلى بيوت العرب . والحديث في مسلم : ۱۹۵۸ . ويعنى صلى الله عليه وسلم بذلك أن بنى آدم يختلفون باختلاف أصلهم ، فمن كان أصله شريفا أعقب مثله ، وسرى طيب عرقه لفرعه ؛ ومن كان دون ذلك كان عقبه مثله ، ومن كان خبيثا كان فرعه خبيثا .

(۵) قال السيوطى : قال السمعاني : إنه حديث روى مسندا عن علي . وفي سننه من لا يعرف حاله .

(۶) وهو بالخيار ما لم يتكلم : معناه أنه خير إن شاء أشار عليه بما شاوره فيه ، وإن شاء سكت ولم يتكلم . فإذا تكلم لزمه بيان رأيه ونصحه ، وذكر الصواب عنده . وهذا الحديث أخرجه أحمد عن ابن مسعود .

(۷) من حديث رواه الشيخان في كتابه الذى كتبه صلى الله عليه وسلم لهرقل ملك الروم . والكتاب في نسيم الرياض : ۱ - ۵۱۱ . وفي صحيح مسلم : ۱۳۹۴ ، والبخارى :

وأقربكم منى مجالس يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً^(۱) الذين يألون ويؤلفون^(۲) .

وقوله : لعله^(۳) كان يتكلم بما لا يعنيه ، ويبخل بما لا يُغنيه .

وقوله^(۴) : ذو الوجهين لا يكون عند الله وحيها .

وسهيه^(۵) عن قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال ، ومنع وهات ، وعقوق الأمهات^(۶) ، ووأد البنات^(۷) .

(۱) هذا الحديث رواه الترمذى عن ابن مسعود : سنن الترمذى : ۴-۳۷۵ ، والموطئون : الموطأ : من فيه لين ورفق وسهولة . والأكناف : جمع كنف ، وهو الجانب والناحية ؛ أى من يلين جانبه لغيره .

(۲) أى الذين يألونهم الناس ويؤلفونهم . (۳) هذا حديث صحيح روى من طرق . والضمير فى «لعله» راجع لرجل مذكور فى أول الحديث : إن رجلاً من الصحابة استشهد بأحد ، فقالت أمه : يا بنى ، ليهنك الشهادة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لها : ما يدريك لعله . . . ويعنيه : يهمله وينفمه .

(۴) هذا حديث رواه أبو داود عن عمار . وانظر سنن أبي داود : ۲- ۱۹۳ . والوجيه : الذى له قدر ومنزلة .

(۵) هذا حديث صحيح رواه الشيخان ، عن مغيرة بن سهم . والحديث فى مسلم : ۱۳۴۰ ، ۱۳۴۱ ، وقيل وقال : مصدران بمعنى القول ، أو فعلان أحدهما مبنى للمجهول والآخر غير مجهول . ومعناه : النهى عن كثرة الكلام لما يؤول إليه من الخطأ . وكثرة السؤال : أى سؤال الناس ما بأيديهم استعطاء . أو السؤال عن أخبار الناس وأحوالهم . ومنع : المراد منع بذل ما يجب أو يستحسن . وهات : أى طلب ما عند غيره وسؤاله . والضبط المثبت فى أ . وفى ب : قيل وقال - بفتح لامها .

(۶) العقوق : مخالفة الوالدين وإيذاؤهم ، وخص الأمهات مع أن عقوق الوالدين من الكبائر ؛ لأنهن أكثر حقاً ، وأشد شفقة على الولد . والضبط المثبت فى ب . وفى أ : ومنع وهات - بكسرة واحدة فيهما .

(۷) الوأد : دفن البنات فى حياتهن .

وقوله : اتق الله حَيْثَمَا كُنْتَ ، وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّجُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِمَخْلُقِ حَسَنٍ ^(۱) .

[وقوله] ^(۲) : وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا ^(۳) .

وقوله : أَحَبُّبُ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ يَغِيضُكَ يَوْمًا ^(۴) مَا .

وقوله : الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(۵) .

وقوله في بعض دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي ، وَتَجْمَعُ بِهَا أَمْرِي ، وَتُلِمُّ بِهَا شَعْمِي ^(۶) ، وَتُصَلِّحُ بِهَا غَائِبِي ، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي ^(۷) ، وَتَزَكِّي بِهَا عَمَلِي ، وَتُلَهِّمَنِي بِهَا رُشْدِي ^(۸) ، وَتَرُدُّ بِهَا الْفِتْنَةَ ^(۹) ، وَتَعْصِمَنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ .

(۱) خالق الناس : عاشرهم ، وخالطهم وعاملهم .

وهذا الحديث رواه أحمد ، والترمذي ، والحاكم عن أبي ذر (سنن الترمذي : ۴ - ۳۵۵) .

(۲) من ب .

(۳) هذا الحديث أخرجه السمعاني في ذيل تاريخ بغداد عن علي كرم الله وجهه عنه صلى الله عليه وسلم . وابن جرير في تفسيره ، عن مطرف بن عبد الله ، وكذا أخرجه البيهقي بلا سند ، وذكره الديلمي بلا سند عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(۴) الهون : من هان عليه الشيء : خف وسهل . أرشد النبي المتحابين إلى الاقتصاد في

الحبة وعدم المبالغة فيها ، وأن يكونوا في ذلك على قدر متوسط ، فإن خير الأمور الوسط .

وهذا الحديث أخرجه البخاري في الأدب . والترمذي عن أبي هريرة وقال الترمذي :

الأصح أنه موقوف على علي . (سنن الترمذي : ۴ - ۳۶۰) .

(۵) هذا الحديث أخرجه البخاري : ۳ - ۱۶۰ ، والترمذي : ۴ - ۳۷۷ .

(۶) الشعث : انتشار الأمر . أي تجمع ما تشعث وتفرق من أمرى .

(۷) غائبي : باطنى ، أو ماخفى من أمورى ، أو قلبى . شاهدى : ظاهرى . ومعنى ترفع :

أي تجمهاها عالية رفيعة بالأعمال الصالحة ، والصفات الحسنة .

(۸) الرشد : السداد والاستقامة .

(۹) ترد بها الفتى : ترد وتعيد وترجع الفتى إلى ما كانت عليه . والمراد عشيرته وأقرباؤه

وأهل جلدته ، فدعا الله أن يؤانفهم ويهديهم إلى الإسلام .

اللهم إني أسألك الفوزَ في القضاء ^(١) ، ونُزُلَ الشهداء ^(٢) ، وعيشَ السُّعداء ،
والنَّصرَ على الأعداء ^(٣) .

إلى ما رَوَتْهُ الكَافَّةُ عن الكَافَةِ من مَقاماتِهِ ^(٤) ، ومُحاضراتِهِ ، وخطبِهِ ،
وأدعيتِهِ ، ومُخاطباتِهِ وعهودِهِ ، بما لا خِلافَ أَنه نَزَلَ من ذلك مَرَّتَبَةً ^(٥) لا يُقاسُ
بِهَا غَيْرُهُ ، وحازَ فِيها سَبِقًا لا يُقدَّرُ قَدْرُهُ ^(٦) .

وقد جمعتُ من كَلماتِهِ التي لم يُسَبِّقْ إليها ، ولا قَدَرَ أَحَدٌ أن يُفْرِغَ في قَالبِهِ ^(٧)
[٢٦] عَلَيْهَا ؛ كَقولِهِ : حَمِي الوَطِيسِ ^(٨) . وماتَ حَتْفَ أَنفِهِ ^(٩) . ولا يُلدَغُ المؤمنُ
من جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ ^(١٠) . والسَّعيدُ مَنْ وُعِظَ بغيرِهِ . . . في أَخواتِها بما يُدْرِكُ الناظِرُ

(١) الفوز : النجاة : سأل الله النجاة من كل سوء ؛ أى مما قضيته وقدرته على من البلاء .
(٢) ونزل الشهداء : النزل : اسم لما يعد للضيف إذا نزل ، من القرى والكرامة . وضبطت
الزاي في السكون ، وفي ب : بالسكون والضم .

(٣) تمام هذا الدعاء في نسيم الرياض : ١ - ٥٢٢

(٤) المقامات : جمع مقامة : اسم لمكان القيام ، وتوسعوا فيه فاستعملوه لطلق المكان ،
وزادوا في التوسع حتى سموا به الكلام الصادر فيه « مقامة » . فالمراد به الكلام الصادر منه
في مجالسه ، وخطاب أمته في حال حكمه ، وحروبه .

(٥) في ب : مرقبة - بالقاف . وفي هامشه : كذا وقع بالقاف ؛ وصوابه بالتاء . وقال :
المرقبة : الوضع المشرف العالى . (٦) قدره : مقداره . أى سبق كثير لا يباحقه فيه أحد .
(٧) القالب : ما يصب فيه ما يذاب من الجواهر ليصاغ ، والمراد بالقالب هنا الألفاظ ، لأنها
قوالب المعاني . عليها : على هيئتها .

(٨) حمى : اتقد . الوطيس : القنور ، أو شيء يشبهه .

(٩) مات حتف أنفه : الحتف : الهلاك . والمعنى أنه مات من غير ضرب ولا قتل ولا
حرق ولا غرق ونحوه - على فراشه ، كأنه سقط على أنفه فمات . وهذا بعض حديث رواه
عبد الله بن عتيك .

(١٠) هذا حديث صحيح رواه أبو هريرة ، يعنى أن المؤمن الفطن لا ينخدع مرة بعد مرة

(سنن ابن ماجه : ١٣١٨) .

العَجَبُ فِي مُضْمِنِهَا^(١) ، وَيَذْهَبُ بِهِ الْفِكْرُ فِي أَدَانِي^(٢) حِكْمِهَا .
 وَقَدْ قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : مَا رَأَيْنَا الَّذِي هُوَ أَفْصَحُ^(٣) مِنْكَ . فَقَالَ : وَمَا يَمْنَعُنِي ؟
 وَإِنَّمَا أَنْزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِي ، لِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ .
 وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى^(٤) : بَيْدَ أُنَى^(٥) مِنْ قَرِيْشٍ ، وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ ؛ فَجُمِعَ لَهُ
 بِذَلِكَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قُوَّةُ عَارِضَةِ الْبَادِيَةِ وَجَزَالَتِهَا^(٦) ، وَنَصَاعَةُ الْفَاطِظِ
 الْحَاضِرَةِ وَرَوْنَقُ كَلَامِهَا ، إِلَى التَّأْيِيدِ الْإِلَهِيِّ^(٧) الَّذِي مَدَدَهُ الْوَحْيُ الَّذِي لَا يُحِيطُ
 بِعَلَمِهِ بِشَرِي^(٨) .
 وَقَالَتْ أُمُّ مَعْبِدٍ^(٩) فِي وَصْفِهَا لَهُ :

-
- (١) مضمونها : ما تضمنته من المعاني والتراكيب البديعة . وفي ١ : ضبطت اليم بشدة مكسورة .
 (٢) في أداني : في أقل ما تضمنته من الحكم .
 (٣) هذا الحديث رواه البيهقي في شعب الإيمان مسندا .
 (٤) قال السيوطي : هذا الحديث أورده أصحاب التريب ، ولا يعرف له إسناد .
 (٥) بيد : غير .
 (٦) العارضة : التجلد والقدرة على الكلام . والجزالة : يقال كلام جزل ؛ أي قوى شديد ؛ أي حلاوة كلام أهل البادية .
 (٧) النصاعة : الخلوص . والمراد خلوصها من التعقيد والغرابة والوحشية . والرونق : البهاء والحسن . وفي هامش أمامها : وفصاحة ألفاظ .
 فكلام أهل البادية قوى متين لعدم تصنعهم ، وكلام أهل الحاضرة رقيق لطيف ؛ فجمع كلامه صلى الله عليه وسلم بين هاتين الصفتين مضموماً ذلك إلى التأيد الإلهي .
 (٨) بشرى : أي إنسان ؛ منسوب إلى البشر ، وهم بنو آدم .
 (٩) أم معبد : كانت تنزل بين مكة وجبالها ، فنزل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه لما هاجرا فقدمت لهما القرى ، فلما جاء زوجها أخبرته بذلك ووصفته له . وحديث أم معبد في الفائق : ١ - ٧٦

حُلُوُّ المنطق ، فَصْلٌ لَا تَزُرُ وَلَا هَذَرٌ ^(١) ، كَمَا أَنَّ مِنْطَقَهُ خَرَازَاتٌ تُظْمِنُ ^(٢) . وَكَانَ جَهِيرَ الصَّوْتِ ، حَسَنَ النِّعْمَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣) .

فصل

وَأَمَّا شَرَفُ نَسَبِهِ وَكِرَامُ بَلَدِهِ وَمَنْشَأُهُ فَمِمَّا لَا يَحْتَاجُ إِلَى إِقَامَةِ دَلِيلٍ عَلَيْهِ ، وَلَا بَيَانِ مُشْكَلٍ وَلَا خَفِيِّ مِنْهُ ؛ فَإِنَّهُ نَحْبَةٌ بَنِي هَاشِمٍ ، وَسُلَالَةٌ قُرَيْشٍ وَصَمِيمِيٍّ ^(٤) ، وَأَشْرَفُ الْعَرَبِ ^(٥) ، وَأَعَزَّهُمْ نَفَرًا مِنْ قَبْلِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ ^(٦) ، وَمِنْ أَهْلِ مَكَّةَ مِنْ أَكْرَمِ بِلَادِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى عِبَادِهِ .

حَدَّثَنَا قَاضِي الْقَضَاةِ حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّدَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ سُلَيْمَانُ بْنُ خَلْفٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو ذَرٍّ عَبْدُ بْنُ أَحْمَدَ ، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ السَّرْحَسِيُّ ، وَابْنُ إِسْحَاقَ ، وَأَبُو الْهَيْثَمِ : [قَالُوا] ^(٨) : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ ، [قَالَ] ^(٨) : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، [قَالَ] ^(٨) : حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ؛ [قَالَ] ^(٨) : حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ عَمْرٍو ، عَنْ سَعِيدِ الْمَقْبُرِيِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - أَنَّ رَسُولَ

(١) فصل: أى فاصل بين الحق والباطل . نزر : قليل لا يفهم . والهذر : الهذيان ، وضبطت الدال في ا ، ب بالفتح .

والهذر - بالسكون : مقابل للنذر ، أى ولا كثير فيعمل . وهو الضبط في الفائق .

(٢) منطقهُ : ما ينطق به . خرازات نظمن : أى متناسبة ، لها رونق كالمقد المنظوم .

(٣) جهير الصوت : عالى الصوت ، ليس فيه خفاء ولا تكسر .

(٤) النخبة : المختار . والصميم : الخالص .

(٥) فى ب : وأفضل العرب . وفى ا : وأشرف ، وعابها علامة الصحة . وفى هامشه

أمامها : وأفضل .

(٦) نفرا : قوما . وفى ب : وأعزها .

(٧) هذا فى ا . وفى ب : أكرم . . . وفى هامشه : خ : من .

(٨) من ب .

الله صلى الله عليه وسلم قال : بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنَا فَقَرْنَا ، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ مِنْهُ (١) .

وعن (٢) العباس ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : إِنْ اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ ، مِنْ خَيْرِ قَرْنِهِمْ ، ثُمَّ تَخَيَّرَ (٣) الْقَبَائِلَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ قَبِيلَةٍ ، ثُمَّ تَخَيَّرَ الْبُيُوتَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بَيْوتِهِمْ ، فَأَنَا خَيْرُهُمْ (٤) نَفْسًا ، وَخَيْرُهُمْ بَيْتًا (٥) .

وعن واثله بن الأسقع ، قال (٦) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِنْ اللَّهُ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى مِنْ وَدِّ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشِ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي هَاشِمٍ . قَالَ التِّرْمِذِيُّ (٦) : وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ :

وَفِي حَدِيثٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ ، رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ - أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنْ اللَّهُ اخْتَارَ خَلْقَهُ (٧) ، فَاخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي آدَمَ ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ بَنِي آدَمَ فَاخْتَارَ مِنْهُمْ الْعَرَبَ ، ثُمَّ اخْتَارَ الْعَرَبَ فَاخْتَارَ [مِنْهُمْ قُرَيْشًا ، ثُمَّ اخْتَارَ قُرَيْشًا فَاخْتَارَ مِنْهُمْ] (٨) بَنِي هَاشِمٍ ، ثُمَّ اخْتَارَ بَنِي هَاشِمٍ فَاخْتَارَنِي مِنْهُمْ ، فَلَمْ أَزَلْ خِيَارًا مِنْ خِيَارِ ، أَلَا مَنْ أَحَبَّ الْعَرَبَ فَبِحَبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَ الْعَرَبَ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ .

(١) هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ انْفَرَدَ الْبُخَارِيُّ بِإِخْرَاجِهِ (صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ : ٥-٣ ، ٤-٢٢٩) . وَالْقَرْنُ : مَقْدَارٌ مِنَ الزَّمَانِ ، وَيَطْلُقُ عَلَى أَهْلِهِ . أَرَادَ تَقْلِبَهُ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِ مِنْ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ .

(٢) هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ مُسْنَدًا فِي دَلَالَتِهِ . وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنُهُ . (سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ : ٥-٥٨٤) .

(٣) تَخَيَّرَ : اخْتَارَ . (٤) نَفْسًا : رُوحًا وَذَاتًا .

(٥) وَخَيْرُهُمْ بَيْتًا : أَيِ حَسَبًا وَشَرَفًا وَأَصْلًا .

(٦) صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ١٧٨٢ ، وَسُنَنِ التِّرْمِذِيِّ : ٥-٥٨٣ ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : هَذَا حَدِيثٌ

حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ .

(٧) إِنْ اللَّهُ اخْتَارَ خَلْقَهُ ؛ أَيِ أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ وَيُوجِدَهُمْ ، فَلَمَّا أَوْجَدَهُمْ تَخَيَّرَهُمْ .

(٨) مَا بَيْنَ التَّوَسُّيْنِ لَيْسَ فِيهِ .

وعن ابن عباس ^(١) : إن قُرَيْشًا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل أن يَخْلُق آدمَ بالفي عام ، يُسَبِّحُ ذلك النورُ ، وتسبح الملائكةُ بتسبيحه ^(٢) ، فلما خلق اللهُ آدمَ ألقى ذلك النورَ في صُلْبِهِ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأهبطني الله إلى الأرضِ في صُلْبِ آدمَ ، وجعلني في صُلْبِ نوحَ ، وقذف بي في صُلْبِ إبراهيمَ ؛ ثم لم يزل اللهُ تعالى يَنْتَمِلُنِي مِنَ الْأَصْلَابِ ^(٣) الْكَرِيمَةِ وَالْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ ^(٤) ، حتى أخرجني من بين أبوي ^(٥) لَمْ يَلْتَقِيَا عَلَى سِيفَاحٍ قَطَّ ^(٦) .

ويشهدُ لصحة ^(٧) هذا الخبرِ شعْرُ العباسِ في مَدْحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المشهور ^(٨) .

فصل ^٧

[٢٧] وأما ما تَدَعُو ضرورةُ الْحَيَاةِ إِلَيْهِ مما فصلناه فعلى ثلاثة ضروب ^(٩) : ضَرْبُ الْفَضْلِ فِي قَاتِهِ ، وَضَرْبُ الْفَضْلِ فِي كَثْرَتِهِ ، وَضَرْبٌ تَخْتَلِفُ الْأَحْوَالُ فِيهِ . فَأما ما التمدُّخُ وَالْكَامُلُ بَتَلَّتِهِ اتِّفَاقًا ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ ، عَادَةٌ وَشَرِيعَةٌ ، كَالغِذَاءِ وَالنَّوْمِ ، وَلَمْ تَزَلِ الْعَرَبُ وَالْحِكْمَاءُ تَتِمَادِحُ ^(١٠) بِقِلَّتِهِمَا ، وَتَدْمُ بِكَثْرَتِهِمَا ؛ لِأَنَّ كَثْرَةَ

(١) قال السيوطي : هذا الحديث رواه ابن أبي عمرو العدني في مسنده .

(٢) بتسبيحه : بتقدسه وتنزيهه .

(٣) الأصلاب : يعني أصلاب أجداده .

(٤) في ب : إلى الأرحام . وفي هامشه : خ : والأرحام .

(٥) إخراجهم من بين أبويه : تولده منهما ، وخلقهم من نطفتهما .

(٦) السفاح : الزنا ؛ أي أبوا النبي - من ولد آدم وحواء إلى عبد الله وآمنة .

(٧) في ب : بصحة . (٨) أول هذا الشعر :

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق
وسياتي بعد في كلام القاضي . (١) نظن صحيفته رقم ٢١٨ -

(٩) ضروب : جمع ضرب : قسم ، ونوع . (١٠) تيمادح : تمدح بكثرة . أو تتفاخر .

الأكل والشرب دليلٌ على النهم^(١) والحِرْص والشَّره^(٢)، وغلبة الشهوة مسببٌ لمضارِّ الدنيا والآخرة، جالبٌ لأدواء^(٣) الجسد وخشارة النفس^(٤)، وامتلاء الدماغ؛ وقلته دليلٌ على القناعة، ومِلْك النفس؛ وقمعُ الشهوة^(٥) مسببٌ للصحة، وصفاء الخاطر، وحدةُ الذهن^(٦)، كما أن كثرة النوم دليلٌ على الفسولة^(٧) والضعف؛ وعدمُ الذكاء والفطنة، مسببٌ للكسل، وعادة العجز، وتضييع العمر في غير نفع؛ وقساوة القلب وغفلته وموته.

والشاهدُ على هذا ما يُعلم ضرورةً، ويوجد مشاهدةً، ويُنقل متواتراً^(٨) من كلام الأُمم المتقدمة، والحكماء السابقين، وأشعار العرب وأخبارها، وصحيح الحديث، وآثار من سلف وخلف، مما لا يُحتاج إلى الاستشهاد عليه اختصاراً واقتصاراً على اشتهار العلم به^(٩).

- (١) النهم : الإفراط في شهوة الطعام .
 (٢) الشره : الحرص على الأكل والشرب .
 (٣) أدواء : جمع داء ، وهو المرض .
 (٤) خشارة النفس : ثقلها وعدم نشاطها . وقد ضبطت الحاء في ا ، ب : بالفتح . وفي هامش ب ، خثرت نفسه - بالفتح : اختلطت .
 (٥) قمع الشهوة : القمع : القهر ؛ أي قهر شهوته ، وغلبتها حتى لا تخالفه .
 (٦) حدة الذهن : سرعة الفهم .
 (٧) الفسولة : عدم الهمة في أمور الدنيا والآخرة . وفي هامش ب : الفسل من الرجال ، وقد فسل فسلاً وفسولة .
 (٨) أي نقلاً متواتراً متتابعاً ، مرة بعد مرة .
 (٩) كقول الحارث بن كلدة - حكيم العرب : أفضل الدواء الإزام ؛ أي قلة الأكل . وقول داود : إياك وكثرة النوم فإنه يفقرك إذا احتاج الناس إلى أعمالهم . وقول قيصر لقس بن ساعدة : ما أفضل الأكل ؟ قال : ترك الإكثار .
 ومن الشعر :

قارب فديتك إن أكا ت وإن شربت وإن عشنا
 وأنا الكفيل لك الحيا ة وأن تعافى ماحيثنا

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذ من هذين الفئتين بالأقل^(١) .
هذا ما لا يدفع^(٢) من سيرته ، وهو الذي أمر به ، وحض عليه ، لاسيما بارتباط
أحدهما بالآخر .

حدثنا أبو علي الصدقي الحافظ بقراءتي عليه ، حدثنا أبو الفضل الأصبهاني ،
حدثنا أبو نعيم الحافظ ، حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا أبو بكر بن سهل ، حدثنا
عبد الله بن صالح ، حدثني معاوية بن صالح - أن يحيى بن جابر حدثه عن المقدم
ابن معد يكرب - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال^(٣) : ما ملأ ابن آدم وعاء شراً
من بطنه^(٤) ، حسب ابن آدم أكالات^(٥) يقمن صلبه^(٦) ، فإن كان لا محالة^(٧)
فثلك لطعامه ، وثلك لشرابه ، وثلك لنفسه^(٨) .

ولأن كثرة النوم من كثرة الأكل والشرب .
قال سفيان الثوري : بقلة الطعام يملك سهر الليل .

-
- (١) أخذ من هذين الفئتين ؛ أي النوعين ، وهما الأكل والشرب .
(٢) ما لا يدفع : ما لا ينازع فيه .
(٣) هذا الحديث رواه الترمذي ، وابن حبان والحديث صحيح (سنن الترمذي : ٤ - ٥٩٠) .
(٤) في ب : من بطنه ؛ كما أثبتناه . وفي هامشه : من بطن ، وعليها علامة الصحة .
وفي الترمذي (٤ - ٥٩٠) : من بطن أيضا .
(٥) الكاف من « أكالات » ضبطت بالفتحة والضمة وعليها « معا » في ا ، وفي هامشه :
قال الحافظ الزبي : الأكلة - بفتح الهمزة : المرة من الأكل ، وبضم الهمزة مع سكون الكاف :
ما يجعل في الفم ، وجمه أكالات - بفتح الكاف وضمة مع ضم الهمزة . وقد ضبطت الكاف
في الترمذي بالفتح .
(٦) حسب : كفي . يقمن : يقوين . صابه : عظام سلسلة ظهره .
(٧) لا محالة : لا بد ، ولا حيلة .
(٨) بعد الحديث في الترمذي : قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

وقال بعضُ السَّلَفِ : لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً ، فترقدوا كثيراً ،
[فتخسروا كثيراً]^(١) .

وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان أحبَّ الطعامِ إليه ما كان على ضَفْفٍ ؛
أى كثرة الأيدي^(٢) .

وعن عائشة رضي الله عنها : لم يمتلي جوفُ النبي صلى الله عليه وسلم شِبَعاً قطَّ ،
وأنه كان في أهله لا يسألهم طعاماً ولا يتشبهاه ، إن أطعموه أكل ، وما أطعموه
قبل ، وما ستوه شرب^(٣) .

ولا يُعْتَرَضُ على هذا بحديث بريّة^(٤) ، وقوله : ألم أر البرمة فيها لحم ؛ إذ لعلَّ
سبب سؤاله ظنه صلى الله عليه وسلم اعتقادهم أنه لا يحلُّ له ؛ فأراد بيان سنته^(٥) ،
إذ رأهم لم يتقدموه إليه ، مع علمهم أنهم لا يستأثرون عليه^(٦) به ، فصدق عليهم
ظنه^(٧) ، وبين لهم ما جهلوه من أمره بقوله : هو لها صدقة ولنا هدية .

(١) ليس في ١ .

(٢) قال السيوطي : هذا الحديث رواه أبو يعلى عن أنس وجابر رضي الله عنهما بسند جيد .

(٣) قال في نسيم الرياض (١ - ٥٥٠) : وهذا كان غالب حاله ، فلا ينافي ما وقع له نادراً

على خلاف مقتضى طبيعه .

(٤) مولاة عائشة . وحديثها هذا أخرجه مالك في الموطأ ، ورواه الشيخان ، وفيه :

ودخل رسول الله على أهل بيته والبرمة تنور باللحم ، فتربوا له خبزاً وإداماً من إدام البيت ،

فقال : ألم أر البرمة فيها لحم ؟ فقالوا : بلى ، يا رسول الله ، ولكن هو لحم تصدق به على بريّة ،

وأنت لاتأكل هذا اللحم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو لها صدقة ولنا هدية .

والبرمة : قدر ينحت من الحجارة . وقيل أعبر من ذلك فيشمل النحاس والحديد وغيرها .

وارجع إلى صحيح مسلم : (١١٤٤ ، و : الموطأ : ٥٦٢ ، والبخاري : ٧ - ٦١) .

(٥) سنته : أى طريقته المشروعة له ، وهى جواز أكل الهدية ، وإن كانت صدقة .

(٦) لا يستأثرون عليه به : لا يخصون أنفسهم ويقدمونها على النبي فى شيء من الطعام وغيره .

(٧) أى صدق فى ظنه أنهم يجهلون ذلك .

وفي حِكْمَةِ نُفَّان : يا بني ، إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة .

وقال سُحْنُون^(١) : لا يَصْلُحُ الْعِلْمُ لِمَنْ يَأْكُلُ حَتَّى يَشْبَعَ .

وفي صحيح الحديث^(٢) قوله صلى الله عليه وسلم : أما أنا فلا آكل مُتَعَبًا .

والإتكاء : هو التمكن للأكل ، والتَّعَدُّدُ^(٣) في الجلوس له كالمتربع ، وشبهه

مَنْ تَمَكَّنَ الْجُلُوسَاتِ الَّتِي يَعْتَمِدُ فِيهَا الْجَالِسُ عَلَى مَا تَحْتَهُ [٢٨] : والجالسُ على هذه الهيئة يستدعى الأكلَ وَيَسْتَكْثِرُ مِنْهُ .

والنبيُّ صلى الله عليه وسلم إنما كان جلوسه للأكل جلوسَ الْمُسْتَوْفِزِ مُتَعَبِيًّا^(٤) ،

ويقول : [إنما]^(٥) أنا عبدٌ آكلُ كما يأكل العبدُ ، وأجلسُ كما يجلسُ العبدُ^(٦) .

وليس معنى الحديث في الاتكاء الميلُ على شِقِّ عند المحققين .

(١) سُحْنُونُ : فقيه مالكي . وهذا لقبه ، واسمه عبد السلام بن سعيد التنوخي . انتهت إليه الرياسة في العلم بالمغرب ، وأدرك مالكا ، ولم يقرأ عليه ، وصنف كتاب المدونة في مذهب مالك . توفي سنة أربعين ومائتين . وقيل : سنة خمس وأربعين ومائتين .

(٢) سنن ابن ماجه : ١٠٨٦ ، والبخارى : ٧ - ٩٣ ، وصنن الترمذى : ٤ - ٢٧٣

(٣) التعداد : التثبيت والتمكن من القعود .

(٤) المستوفز : الذي لا يكون مطمئنا ، بل مستعجلا للقيام . والإقعاء : معناه أن يلمس يديه بالأرض ، وينصب ساقيه وفتخذه ويلصقهما بصدرة ، وربما يكون مع وضع يديه على الأرض ، يشبه جلوس البدوي المصطلي ، أو أن ينصب قدميه واضعا على عقبه إليته ضامًا ساقية وفتخذه واضعا ركبتيه على الأرض . وإقعاء النبي للأكل كان بإصاق مقعده بالأرض ناصبا ساقيه .

(٥) ليس في ١ .

(٦) المعنى أنى لست مخلوقا للدنيا وترفها ، فنظري إنما هو لعبادة الله وتبليغ أوامره ، فلا التفت إليها ؛ وإنما أتناول منها بسرعة مقدارا يسيرا لدفع الجوع ، كالعبد الوكل بخدمة سيده .

وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا ، شهدت بذلك الآثار الصحيحة ، ومع ذلك فقد قال ^(۱) : إن عيني تنامان ولا ينام قلبي .

وكان نومه على جانبه الأيمن استظهاراً ^(۲) على قلة النوم ؛ لأنه ^(۳) على الجانب الأيسر أهناً ^(۴) ، لهدوء القلب وما يتعلق به من الأعضاء الباطنة حينئذ ، لميلها إلى الجانب الأيسر ؛ فيستدعى ^(۵) ذلك الاستئصال فيه والطول ^(۶) .

وإذا نام النائم على الأيمن تعلق القلب وقلق ، فأسرع الإفاقة ^(۷) ولم يغيره الاستفراق .

فصل

والضرب الثاني ما يتفق المدح ^(۸) بكثرة ، والفخر بوفوره ^(۹) ، كالنكاح والجاه ^(۱۰) : أما النكاح فمتفق فيه ^(۱۱) شرعاً وعادة ؛ فإنه دليل الكمال ، وصحة الذكورية ^(۱۲) ، ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة ، والتماذج به سيرة ماضية .
وأما في الشرع فسنة ماثورة ؛ وقد قال ابن عباس ^(۱۳) : أفضل هذه الأمة أكثرها نساء - يشير إليه صلى الله عليه وسلم .

(۱) سنن أبي داود : ۱ - ۲۰ ، ومسلم : ۵۲۸

(۲) استظهاراً : استعانة .

(۳) لأنه ؛ أي النوم .

(۴) أهناً : أسهل وألذ . وفي ب : أهدأ .

(۵) فيستدعى ذلك : فيقتضى ذلك .

(۶) الاستئصال فيه : ثقل بدنه في نومه ، وغلبة النوم حتى يستغرق فيه . والطول ؛ أي طول نومه .

(۷) الإفاقة : التيقظ .

(۸) الضرب الثاني مما تدعو ضرورة الحياة إليه . وفي ب : التمدح . (۹) بوفوره : زيادته .

(۱۰) الجاه : علو القدر عند الناس ، والمهابة ، وتفوذ الكلمة ، والاشتهار بذلك .

(۱۱) فيه : في مدحه وثنائه .

(۱۲) صحة الذكورية : قوتها ، وسلامتها من الضعف والآفة .

(۱۳) حديث صحيح رواه البخاري (صحيح البخاري : ۷ - ۴)

وقد قال عليه السلام : تَنَا كَحُوا تَنَاسَلُوا ، فَإِنِّي مُبَاهٍ ^(١) بِكُمْ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .
وَنَهَى عَنِ التَّبَتُّلِ ^(٢) مَعَ مَا فِيهِ مِنْ قَمْعِ الشَّهْوَةِ ، وَغَضِّ الْبَصَرِ الَّذِينَ نَبَّهَ
عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله : مَنْ كَانَ ذَا طَوَّلٍ ^(٣) فَلْيَتَزَوَّجْ ؛ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ ،
وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، حَتَّى لَمْ يَرَهُ الْعُلَمَاءُ مِمَّا يَقْدَحُ ^(٤) فِي الزَّهْدِ .

قال سهل بن عبد الله : قد حَبَّبَنِي ^(٥) إِلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، فَكَيْفَ يُزْهَدُ فِيهِمْ ؟
وَنَحْوُهُ لِابْنِ عُيَيْنَةَ .

وقد كان زُهَادُ الصَّحَابَةِ كَثِيرِي الزَّوْجَاتِ وَالسَّرَارِي ^(٦) ، كَثِيرِي النِّكَاحِ .
وَحُكِيَ فِي ذَلِكَ عَنِ عَلِيٍّ ، وَالْحَسَنِ ^(٧) ، وَابْنِ عُمَرَ ، وَغَيْرِهِمْ غَيْرُ شَيْءٍ .
وقد كَرِهَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ عَزَبًا ^(٨) .

فإن قُلْتَ : كَيْفَ يَكُونُ النِّكَاحُ وَكَثْرَتُهُ مِنَ الْفَضَائِلِ ، وَهَذَا يُحْيِي بَنَ زَكْرِيَا
عليه السلام قَدْ أَثْنَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ حَصُورًا ^(٩) ؛ فَكَيْفَ يُثْنِي اللَّهُ بِالْعَجْزِ
عَمَّا تَعَدُّهُ فَضِيلَةً ؟

(١) تَنَا كَحُوا : التناكح : التزوج . والمباهاة : المفاخرة .

وهذا الحديث أخرجه ابن مردويه في تفسيره بسند ضعيف . ورواه الطبراني في الأوسط
من حديث سهل بن حنيف .

(٢) الحديث صحيح ، رواه الشيخان : مسلم : ١٠٢٠ ، والبخاري : ٧ - ٥ ، وسنن
النسائي : ٦ - ٤٨ . والتبتل : الانقطاع عن النكاح . وقمع الشهوة : قهرها .

(٣) ذا طول : الطول : سعة الرزق وللمال بحيث تكون له قدرة على نفقة زوجته وأهله .
وارجع إلى البخاري : ٧ - ٣ .

(٤) القدح : الطعن ؛ أى ليس مما ينقص الزهد حتى يعيبه الناس .

(٥) حَبَّبَنِي : أى النساء . (٦) السراري : جمع سرية ، والسرية : هى الأمة المنكوحه .

(٧) الحسن بن على . (٨) عزبا : ليست له امرأة .

(٩) فى قوله تعالى : « وسيدا وحصورا » - سورة آل عمران ، آية ٣٩

وهذا عيسى عليه السلام تبطل^(۱) عن النساء ، ولو كان كما قررته النكح^(۲) ؟
فاعلم أن ثناء الله تعالى على يحيى بأنه حصور^(۳) ليس كما قال بعضهم :
إنه كان هيوبا^(۴) ، أو لا ذكر له^(۵) ؛ بل قد أنكر هذا حذائق المفسرين ونقاد
العلماء ، وقالوا : هذه نقيصة وعيب ، ولا تليق بالأنبياء .

وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب ، أى لا يأتيها ، كأنه حصر عنها^(۵) .
وقيل : مانعا نفسه من الشهوات .
وقيل : ليست له شهوة في النساء .

فقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على النكاح نقص ، وإنما الفضل في كونها
موجودة ، ثم قمعها^(۶) ؛ إما بمجاهدة ، كعيسى عليه السلام ، أو بكفاية من الله تعالى ،
ك يحيى عليه السلام - فضيلة زائدة لكونها شاغلة^(۷) في كثير من الأوقات حاطة
إلى الدنيا^(۸) .

ثم هي^(۹) في حق من أقدِر عليها ومملكها وقام بالواجب فيها^(۱۰) ، ولم تشغله
عن ربه - درجة عاليا ، وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لم تشغله كثرتين
عن عبادة ربه ؛ بل زادة ذلك عبادة ، لتحصينهن^(۱۱) ، وقيامه بمحتوقهن ، واكتسابه
لهن ، وهدايته إياهن ؛ بل صرح أنها ليست من حظوظ [۲۹] دنياه دو ، وإن

(۱) تبطل عن النساء : انقطع عنهن بالكلية ولم يتزوج .

(۲) لنكح : لتزوج . (۳) هيوبا : جبانا عن النكاح .

(۴) في ب : معه . (۵) حصر عنها : منع . (۶) قمعها : منعها .

(۷) في ب : مشغلة . وفي هامشه أمامها : شاغلة .

(۸) أى تنزل الإنسان إلى شهوات الدنيا الدنية .

(۹) هي : أى الشهوة في الجماع .

(۱۰) أى من ملك شهوته ، ولم تمنعه من القيام بما يجب عليه من مهمات دينه ودنياه .

(۱۱) لتحصينهن : أى جعلهن محصنات بنكاحه صلى الله عليه وسلم لهن .

كانت من حظوظ دُنْيَا غيرِه ؛ فقال (١) : حُبِّ - (٢) إِلَى مِنْ دُنْيَا كَمْ . . فدلَّ على أن حُبَّهُ لِمَا ذَكَرَ مِنَ النِّسَاءِ وَالطَّيِّبِ اللَّذِينَ هُمَا مِنْ أُمُورِ دُنْيَا غيرِه ، واستعماله لذلك ليس لِدُنْيَاهُ ، بل لِآخِرَتِهِ ؛ للفوائد الذي ذكرناها في التزويج ، وللقاء الملائكة في الطَّيِّبِ ؛ ولأنه (٣) أَيْضًا مِمَّا يَحُضُّ عَلَى الْجَمَاعِ ، وَيُعِينُ عَلَيْهِ ، وَيَحْرِكُ أَسْبَابَهُ .
وكان حُبُّهُ لِهَاتَيْنِ الْخَاصَّتَيْنِ (٤) لِأَجْلِ غيرِه ، وَقَمَعَ شَهْوَتِهِ ؛ وَكَانَ حُبُّهُ الْحَقِيقِيُّ الْمُخْتَصُّ بِذَاتِهِ فِي مَشَاهِدَةِ جَبْرُوتِ مَوْلَاهُ وَمَنَاجَاتِهِ (٥) ؛ وَلِذَلِكَ مِيزَ بَيْنَ الْحَبِيبِ (٦) ، وَفَصَلَ بَيْنَ الْحَاكِمِينَ ؛ فَقَالَ : وَجَعَلْتُ قُرَّةَ عَيْنِي (٧) فِي الصَّلَاةِ ؛ فَتَمَسَّوْا بِحِجِّي وَعَيْسِي فِي كِفَايَةِ فِتْنَتِهِنَّ (٨) ، وَزَادَ فَضِيلَةً بِالْقِيَامِ بِهِنَّ (٩) .

(١) في ب : وقال .

(٢) الحديث : حُبِّ إِلَى مِنْ دُنْيَا كَمْ ثَلَاثَ : النِّسَاءِ ، وَالطَّيِّبِ ، وَجَعَلْتُ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ . قَالَ السُّيُوطِيُّ ، هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْحَاكِمُ ، وَالنَّسَائِيُّ ، عَنْ أَنَسٍ . وَرَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ عَائِشَةَ . (سنن النسائي : ٦ - ٤٤) .

(٣) ولأنه : أي الطيب .

(٤) الخصلتان : هما الجماع والطيب .

(٥) الجبروت : المراد عظمة الله تعالى سيده ومولاه . والمناجاة : المسارة بتلقى وحيه ، وقراءة القرآن .

(٦) ميز : فرق وفصل . بين الحبين : أي حب ما هو من أمور الدنيا ظاهرا ، وبين ما هو حقيقته لله .

(٧) قرّة العين : ما يسر من ينظره .

(٨) يعني أن يحيي وعيسى تبثلا وتركا التزوج مع القوة والقدرة خوفا من فتنة النساء ، وهي تمكن جهنم في القلب والاشتغال بهن عن العبادة ؛ وهن لم يشغلن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يمنعه عنها في حال من الأحوال ؛ فساواهما في عدم الاشتغال ، حتى كان الوحي ينزل عليه صلى الله عليه وسلم وهو في فراش زوجته ؛ وأعانتها خديجة رضي الله عنها في أول أمره .

(٩) بالقيام بهن : أي له - صلى الله عليه وسلم - فضيلة زائدة على ما ذكر بقيامه على زوجاته ، وكسبه لهن ، وهدايته لهن ، مع عدم غفلته - صلى الله عليه وسلم - طرفة عين عن الله تعالى .

وكان صلى الله عليه وسلم ممن أُقْدِرَ على القوة في هذا ، وأُعْطِيَ الكثير منه ؛
ولهذا أُبيح له من عددِ الحرائر ما لم يُبيح لغيره^(١) .

وقد روينا عن أنس أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يدور على نساءه في الساعة^(٢)
من الليل والنهار ، وهنَّ إحدى عشرة^(٣) .

[وعن طاووس : أُعْطِيَ عليه السلام قوة أربعين رجلا في الجماع .

ومثله عن صفوان بن سليم .

وقالت سلمى مولاته : طاف النبي^(٤) صلى الله عليه وسلم ليلة على نساءه التسع ،

وتطهر من كل واحدة قبل أن يأتي الأخرى ؛ وقال : هذا أطيب وأطهر^(٥) .

قال أنس : وكُنَّا نتحدثُ أنه أُعْطِيَ قوة ثلاثين رجلا . خرجتِ النساءُ ، ورؤي

نحوه عن أبي رافع .

وقد قال سليمان - عليه السلام^(٦) : لأطوفنَّ الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين ،

وأنه فعل ذلك .

قال ابن عباس : كان في ظهر سليمان ماء مائة رجل أو تسع وتسعين ، وكانت له

ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة سرية^(٧) .

(١) هذا من خصائصه بالنسبة لامته ؛ فأبيح له أن ينكح من النساء ما شاء في أول أمره ،
ثم حرم الله عليه بعد ذلك أن يزيد على ما في عصمته من أزواجه ، فقال : « لا يحل لك النساء من
بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما مَلَكَت يمينك » .

(٢) في الساعة : أى مقدار ساعة . والحديث في البخارى : ١ - ٧٣ ، ٧ - ٤٤ .

(٣) قال ابن جبان : كانت زوجاته تسعا ، وكانت عنده جاريتان (نسيم الرياض ١ - ٥٧١)

(٤) سنن ابن ماجه : ١٩٤ ، والبخارى : ٧ - ٤ .

(٥) ما بين القوسين عليه علامة الصحة في ١ . وفي ب : من الأم من غير الرواية .

(٦) الحديث في صحيح مسلم : ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، وروايته : على سبعين . . . مرة ،

وعلى تسعين . . . مرة أخرى . (٧) السرية : الأمة التي يوانها بيتنا (القاموس) .

وحكى النقاش وغيره سبعائة امرأة وثلاثمائة سُرِّيَّة .
وقد كان لداود عليه السلام على زُهدِه وأَكْلِه من عَمَلِ (١) يده تسع وتسعون
امرأة ، وتمت بزواج أورياً (٢) مائة .
وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى (٣) : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ
وتسعون نَعْبَةً ﴾ .

وفي حديث أنس عنه ، عليه السلام : (٤) فَضَّلْتُ عَلَى النَّاسِ بِأَرْبَعٍ : بِالسَّخَاءِ ،
وَالشَّجَاعَةِ ، وَكَثْرَةِ الْجَمَاعِ ، وَقُوَّةِ الْبَطْشِ .
وأما الجاه (٥) فمحمودٌ عند العقلاء عادةً وبقدْرِ جاهِه عِظَمُه في القلوب (٦) .
وقد قال الله تعالى في صفة عيسى عليه السلام (٧) : ﴿ وَجِيهاً (٨) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ ؛
لكن آفاته كثيرة (٩) ؛ فهو مضرٌ لبعض الناس لعقبي الآخرة (١٠) ، فلذلك ذمه من
ذمه ، ومدح ضده (١١) .

-
- (١) ألان الله له الحديد ، فكان يصنع منه الدروع ويبيعها ويأكل هو وأهله من ثمنها مع ما آتاه الله من الملك .
(٢) الضبط في ب . وأورياً : اسم رجل - يمد ويقصر ، وزوجته هي المذكورة في القرآن في قوله تعالى : « إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْبَةً . . . » . (٣) سورة ص ، آية ٢٣
(٤) قال السيوطي : رواه الدارقطني في الأوسط بسند جيد .
(٥) الجاه : كونه وجيهاً عند الناس ، بتسخير القلوب وطاعتها ومحبتها وانقيادها له ، بحيث يقدر على استعمال أربابها في مقاصده ؛ وهي لا تنقاد إلا باعتماد الكمال التام عندها .
(٦) أي يعظم الإنسان ذو الجاه في القلوب بمقدار عظمة جاهه .
(٧) سورة آل عمران ؛ آية ٥٤
(٨) وجيهاً : أي عظيماً ذا جاه عند الله في الدارين .
(٩) أي يعرض له - أي الجاه - ما يفسده ويجعله مذموماً كثيراً .
(١٠) أي لما يعقبه ويترتب عليه في الآخرة .
(١١) ضده : هو الخمول وعدم الشهرة بين الناس .

وورد في الشرع مدح الخمول^(١) ، وذم العلو في الأرض .

وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة^(٢) ، والمكانة في القلوب ، والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها ، وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه ، ويتصدون أذاه في نفسه خفية حتى إذا واجههم أعظموا أمره ، وقضوا حاجته^(٣) .

وأخباره في ذلك معروفة سياتي بعضها .

وقد كان يبهت^(٤) ويفرق لرؤيته^(٥) من لم تره ، كما روى عن قبيلة^(٦) أنها لما رآته أرعدت من الفرق ؛ فقال : يا مسكينة ، عليك السكينة^(٧) .
وفي حديث أبي مسعود^(٨) أن رجلا قام بين يديه فأرعد ؛ فقال : هون عليك فإني لست بمالك . . . الحديث^(٩) .

(١) كما ورد في حديث : رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره .
وفي حديث : إن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا ، وإذا حضروا لم يعرفوا .

(٢) يريد بالحشمة : المهابة والعظمة في أعين الناس .
(٣) أي لأنهم لمهأبته صلى الله عليه وسلم ، وعظمته في قلوبهم ، لا يواجهونه بالأذى . وضبطت الحاء في كلمة « خفية » في بالضم والكسر ، وعليها « معا » .

(٤) يبهت : يتحير ويدهش . ويفرق : يخاف ويفزع .

(٥) في ب : من رؤيته .

(٦) هي قبيلة بنت مخرمة . وحديثها مذكور في شمائل الترمذي ، وفي سنن أبي داود ، وأخرجه ابن سعد بتمامه . وهو أنها رآته صلى الله عليه وسلم في المسجد ، وهو قاعد القرفصاء ؛ قالت : فلما رأته متخشعا في الجلسة أرعدت من الفرق . . .

(٧) أرعدت : أي لحقتها رعدة من الخوف . والسكينة : الطمأنينة ، وعدم الخوف .

(٨) هذا الحديث رواه البيهقي من طريق قيس عنه موصولا . وعن قيس مرسلا . وأخرجه الحاكم مثله وصححه .

(٩) وتمامه : وإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد .

وهون عليك : لا تخف .

فأما عِظَمُ قَدْرِهِ بالنبوة، وشريفُ منزلته بالرسالة، وإِنافَةُ رُتْبَتِهِ ^(١) بالاصطفاء،
والنكرامة في الدنيا فأمرٌ هو مبلغُ النهاية ^(٢)، ثم هو في الآخرة سيِّدٌ وَلَدِ آدَمَ ^(٣) .
وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم ^(٤) بأسره .

فصل

وأما الضربُ الثالث، فهو ما تختلفُ الحالاتُ في التمدُّحِ به والتفاخرُ بسببه،
والتفضيلُ [٣٠] لأجله، ككثرةِ المالِ - فصاحبه ^(٥) على الجملة مُعَظَّمٌ عند العامة،
لاعتقادِها توصُّلَهُ به إلى حاجاته، وتمكُّنِ أغراضه بسببه، وإلا فليس فضيلةً في
نفسه، فمتى كان المالُ بهذه الصورة، وصاحبه مُنْفِقاً له في مُهِمَّاتٍ من اعترائه ^(٦)
وأمله ^(٧)؛ وتصريفه في مواضعه مُشْتَرِيًا به المعالي والثناء الحسن ^(٨)، والمنزلة في
القلوب ^(٩) - كان فضيلةً ^(١٠) في صاحبه عند أهل الدنيا، وإذا صرفه في وجوه البر،
وأنفقه في سبيل الخير، وقصد بذلك الله والدَّارَ الآخرة، كان فضيلةً عند الكلِّ بكل
حال ^(١١)، ومتى كان صاحبه مُسِيكاً له غير موجهٍ وجوهه ^(١٢)، حريصاً على جمعه،

(١) إنافة : علو، وارتفاع .

(٢) فأمر هو مبلغ النهاية : أي هو نهاية النهاية ليس فوقه مرتبة أخرى .

(٣) هذا بعض من حديث في سنن ابن ماجه (١٤٤٠)؛ وهو: أنا سيد ولد آدم ولا فخر .

(٤) هذا القسم ؛ أي القسم الأول من الكتاب ؛ أي جعلناه موضوعاً لبيانته . بأسره :

جميعه . (٥) فصاحبه : صاحب المال .

(٦) من اعترائه : من ورد عليه ، وقصده من الضيوف والإخوان وأرباب الحاجات .

(٧) وأمله : ورجاه ، ورجا إحسانه وإكرامه .

(٨) الثناء الحسن : الذكر الجميل . (٩) في ب : من القلوب .

(١٠) كان فضيلةً : أي أمراً فاضلاً محموداً .

(١١) عند كل الناس من أهل الدنيا وغيرهم ، من العامة والخاصة . بكل حال : أي سواء

اكتسب به المعالي والثناء أم لا .

(١٢) غير موجهٍ وجوهه : غير صارف له في مصارفه من مهاتته ووجوه الخير .

عاد كثره كالعدم^(۱)، وكان منقصة في صاحبه^(۲)، ولم يقف به على جدد^(۳) السلامة؛ بل أوقعه في هوة^(۴) رذيلة البخل، ومذمة النذالة^(۵)؛ فإذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله ليست لنفسه، وإنما هو^(۶) للتوصل به إلى غيره، وتصرفه في متصرفاته^(۷)، فجامعه إذا لم يضعه مواضعه، ولا وجهه وجوهه غير مليء^(۸) بالحقيقة ولا غنى بالمعنى، ولا متمدح عند أحد من العقلاء؛ بل هو فقير أبدا غير واصل إلى غرض من أغراضه؛ إذ ما بيده من المال الموصول لها^(۱۰) لم يسلط عليه^(۱۱)، فأشبهه خازن مال غيره، ولا مال له؛ فكأنه ليس في يده منه شيء.

والمنفق مليء^(۱۲) وغنى بتحصيله فوائد المال، وإن لم يبق في يده من المال شيء. فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد أوتي خزائن الأرض،

(۱) كثره : كثيره . كالعدم : إنما كان كالعدم ؛ لأنه لم ينتفع به ؛ فإنه خازن لغيره ، حارس لنعمة ، يستعجل الفقر الذي هرب منه ، ويفوته الغنى الذي طابه ؛ فيعيش عيش الفقراء ، ويحاسب عليه حساب الأغنياء .

(۲) وكان منقصة : وذلك لدم الناس له ، ووصفه بالبخل .

(۳) الجدد : الأرض الصلبة، والمراد الطريق السلوكية ؛ أي لم يحصل ما يسلم به من النقص والوبال والندم .

(۴) أصل الهوة : الحفرة العميقة .

(۵) النذالة : الدناءة والخسة . (۶) وإنما هو : أي المال .

(۷) قال في نسيم الرياض : وفي الحديث (سنن الترمذي : ۴ - ۵۷۲) : يقول ابن آدم مالي ؛ وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت ، أو أكلت فأفانيت ، أو لبست فأبليت . فمن لم يتوصل بماله إلى ما ذكر ولم ينتفع به يكون كمن لا مال له .

(۸) غير مليء : غير غنى . وفي ب : غير ملي ؛ أي غير ثقة .

(۹) في ب : ولا متمدح .

(۱۰) لها : أي لأغراضه .

(۱۱) لم يسلط عليه : لم يقدره الله على الإنفاق منه في أغراضه .

(۱۲) في ب : ملي .

ومفاتيح البلاد^(۱)، وأحلت له الغنائم^(۲)، ولم تحل لنبي قبله، وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن، وجميع جزيرة العرب، وما داني ذلك^(۳) من الشام والعراق، وجلبت إليه من أخماسها وجزيرتها^(۴) وصدقاتها ما لا يحصى^(۵) لملوك إلا بعضه، وهادته^(۶) جماعة من ملوك الأقاليم^(۷) فما استأثر بشيء منه^(۸)، ولا أمسك منه درهماً؛ بل صرفه مصارفة، وأغنى به غيره، وقوى به المسلمين؛ وقال: ما سرني أن لي أحداً^(۹) ذهباً بيت عندي منه دينار، إلا ديناراً أرضه^(۱۰) لدين.

[وأتته دنانير مرة فقسها، وبقيت منه ستة^(۱۱)؛ فدفعها لبعض نسائه، فلم يأخذها نوم حتى قام وقسمها، وقال: الآن استرحت^(۱۲).]

-
- (۱) خزائن الأرض : دوائها ومعادنها .
 (۲) الغنيمه : ما يؤخذ من الكفار بقتال .
 (۳) ما داني ذلك : ما قرب منه .
 (۴) من أخماسها : من غنائمها ؛ لأن الغنائم تجعل خمسة أجزاء ، خمس للإمام ، وأربعة أخماس للجند . والجزية : ما يؤخذ من الكفار من الخراج على الرؤوس .
 (۵) يحصى : يجمع .
 (۶) هادته : أهدت إليه . والهدية : ما يبعث بلا عوض للمهدى إليه إكراماً .
 (۷) أراد بالأقاليم : النواحي والبلدان .
 (۸) فما استأثر : ما اختص نفسه بشيء منها دون أصحابه .
 (۹) أحد : جبل قريب من المدينة ، كانت فيه غزوة أحد المعروفة .
 (۱۰) أرضه : أجعله معداً لسداد دين .
 وهذا الحديث في الصحيحين وشروحهما . (صحيح مسلم : ۶۸۷) .
 (۱۱) في ب : وبقى منها بقية .
 (۱۲) ما بين القوسين كتب عليه في ا ، ب : ليس من الرواية .

ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله (١).

واقصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعو ضرورته إليه.

وزهد فيما سواه (٢)، فكان يلبس ما وجدته؛ فيلبس في الغالب الشملة (٣)،

والكساء الخشن، والبُرْد (٤) الغليظ، ويقسم على من حضره أقبية الديباج

المخوصة (٥) بالذهب، ويرفع لمن لم يحضره (٦)؛ إذ المباهاة (٧) في الملابس والتزين

بها ليست من خصال الشرف والجلالة، وهي من سمات (٨) النساء.

والمحمود منها نقاوة (٩) الثوب، والتوسط في جنسه (١٠)، وكونه لبس مثله (١١).

(١) عياله: من تلزمه مؤونته والإنتفاق عليه. وحديث رهن الدرع مذكور في صحيح

البخاري (٤ - ٤٩)، وهو: عن عائشة قالت: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه

مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير. (٢) أى فيما سوى مقدار الضرورة.

(٣) الشملة: كساء يشتمل به. (٤) البرد: ثوب فيه خطوط.

(٥) الأقبية: جمع قباء، وهو الخيط من اللباس. والديباج: نوع من أقبية الحرير.

والمخوصة: المنسوجة بأعلام من ذهب كالخوص.

(٦) ويرفع لمن لم يحضره: أى يرفعها من مجلسه حتى يعطيها لمن لم يحضر القسمة. وهو

إشارة لقصة مخرمة التي رواها الشيخان عن مسور بن مخرمة؛ (صحيح مسلم: ٧٣١، ٧٣٢،

وصحيح البخاري: ٨ - ٣٨)؛ قال: قال لى أبى: يا مسور، بلغنى أنه صلى الله عليه وسلم

جاءته أقبية، فاذهب بنا إليه، فذهبنا فوجدناه في منزله، فقال: ادعه لى. فأعظمت ذلك؛

فقال: يا بنى، إنه ليس بجبار. فدعوته صلى الله عليه وسلم، فخرج ومعه قباء من ديباج مزرور

بالذهب؛ فقال: يا مخرمة، خبات لك هذا؛ فجعل رسول الله يريه محاسنه، ثم أعطاه له. فنظر

إليه وقد رضى. وفي ب: لم يحضر.

(٧) المباهاة: إظهار الفخر. (٨) سمات النساء: خصال النسوة، وعلامتهن.

(٩) منها: من الملابس. ونقاوة الثوب: كونه نقياً من الوسخ والنجاسة.

(١٠) أى لا يكون نفيساً جداً ولا خسيساً.

(١١) أى كونه مما يلبسه أمثاله من جنسه. قال في نسيم الرياض (١ - ٥٩٠): واللازم

أن يلبس كل أحد على قدر حاله؛ فلا يلبس الغنى ما هو دون حاله، ولا الفقير ما هو فوق حاله.

غير مُسْقِطٍ لمروءة جنسِهِ (١) تَمَّا لَا بُودَى إِلَى الشُّهُرَةِ فِي الطَّرَفَيْنِ (٢) .
 وقد ذمَّ الشرعُ ذلكَ (٣) ؛ وغايةُ الفَخْرِ فيه في العادة عند الناس إنما يعودُ إلى
 الفخر بكثرةِ الموجود ، ووُفُورِ الحال (٤) .
 وكذلك التَّبَاهِي بِجُودَةِ المسكن ، وَسَعَةِ المنزل ، وتكثيرِ (٥) آلاتِهِ وخدمته
 ومركوباتِهِ .

وَمَنْ مَلَكَ الأَرْضَ ، وَجَبِي (٦) إِلَيْهِ مَا فِيهَا ، فَتَرَكَ ذَلِكَ زُهْدًا وَتَنَزُّهًا (٧) ، فَهُوَ
 حَائِزٌ لفضيلةِ المالِ ، وَمَالِكٌ لِلْفَخْرِ بِهذهِ النِّخْصَةِ إِنْ كَانَتْ فَضِيلَةً زَائِدَةً عَلَيْهَا فِي الْفَخْرِ ،
 وَمُعْرِقٌ (٨) فِي الْمَدْحِ بِإِضْرَابِهِ عَنْهَا ، وَزُهْدٌ فِي فَائِدَتِهَا ، وَبَدَلُهَا فِي (٩) مِظَانِهَا .

فصل

وَأَمَّا الْخِصَالُ الْمَكْتَسِبَةُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ [٣١] وَالْآدَابِ الشَّرِيفَةِ
 الَّتِي اتَّفَقَ جَمِيعُ الْعُقَلَاءِ عَلَى تَفْضِيلِ صَاحِبِهَا ، وَتَعْظِيمِ الْمُتَّصِفِ بِالْخُلُقِ الْوَاحِدِ مِنْهَا ،

(١) فِي ب : لمروءة حسبه .

(٢) فِي الطَّرَفَيْنِ : غَايَةُ التَّعْظِيمِ ، وَغَايَةُ الْخَسَةِ ؛ فَيَكُونُ بَيْنَ بَيْنٍ ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا .
 وَالشُّهُرَةُ : اسْمٌ مِنَ الْإِشْتِهَارِ ؛ وَهُوَ الظُّهُورُ بَيْنَ النَّاسِ . وَقَالَ النُّوَيْ : كَانُوا يَكْرَهُونَ الشُّهُرَتَيْنِ :
 الثِّيَابَ الْجَدِيدَ ، وَالثِّيَابَ الرَّذَلَةَ ؛ إِذِ الْأَبْصَارُ تَمْتَدُّ إِلَيْهِمَا جَمِيعًا .

(٣) ذَلِكَ : إِشَارَةٌ إِلَى الْمَبَاهَاةِ فِي الْمَلَابِسِ وَالتَّزِينِ بِهَا .

(٤) الْغَايَةُ : النِّهَايَةُ . وَكَثْرَةُ الْمَوْجُودِ : الْمُرَادُ بِهِ كَثْرَةُ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ وَالْمَلْبَسِ وَنَحْوِهِ .
 وَوُفُورُ الْحَالِ : الْمُرَادُ بِهِ قُوَّةُ حَالِهِ وَقُدْرَتُهُ عَلَى مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ .

(٥) وَتَكْثِيرُ آلَاتِهِ : الْمُرَادُ بِالْآلَاتِ هُنَا : الْفَرَاشُ وَالْأَوَانِي .

(٦) جَبِي : جَمْعٌ .

(٧) الزُّهْدُ : الرِّغْبَةُ عَنِ الدُّنْيَا مَعَ الْقُدْرَةِ ، رَغْبَةٌ فِي الْآخِرَةِ . وَهَذَا فِي أ . وَفِي ب : زَاهِدًا
 بِالنَّصْبِ وَالرَّفْعِ وَعَلَيْهَا « مَعَا » . (٨) مَعْرِقٌ : أَصْلٌ فِي الْحَسْبِ وَأَكْرَمٌ .

(٩) بِذَلِّهَا : إِعْطَائُهَا . مِظَانُهَا : جَمْعُ مِظَنَةٍ : الْمَوْضِعُ الَّذِي يَظُنُّ كَوْنَهَا فِيهِ . وَالْمُرَادُ أَنَّهُ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْذُلُهَا فِي مَحَلِّهَا الَّذِي يَرْجَى فِيهِ ؛ كَمَحَالِّ الْبِرِّ وَالصَّدَقَةِ .

فضلاً عما فوقه^(۱) وأثنى الشرع على جميعها، وأمر بها، ووعد السعادة الدائمة للمتخلق^(۲) بها، ووصف بعضها بأنه من أجزاء النبوة^(۳)، وهي المسماة بحسن الخلق؛ وهو الاعتدال في قوى النفس وأوصافها، والتوسط فيها دون الميل إلى منحرف^(۴) أطرافها؛ فجميعها قد كانت خلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها، والاعتدال إلى غايتها، حتى أثنى الله بذلك عليه، فقال تعالى^(۵): ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ .

قالت عائشة - رضي الله عنها: كان خلقه القرآن، يرضى برضاه، ويسخط بسخطه^(۶).

وقال صلى الله عليه وسلم: بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ^(۷).

قال أنس^(۸): كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً.
وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مثله.

(۱) عما فوقه: أي عما زاد على الواحد منه.

(۲) المتخلق بها: الذي اتخذها خلقاً، واتصف بها.

(۳) كما ورد في الحديث: السمات الحسن، والتؤدة، والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة (الموطأ: ۹۵). والمراد أن هذه الخصال من شمائل الأنبياء وفضائلهم.

(۴) المنحرف: المائل. أي إلى أطرافها المنحرفة. (۵) سورة القلم، آية ۴.

(۶) الحديث في صحيح مسلم: ۵۱۳؛ أي كان صلى الله عليه وسلم متمسكاً بأوامر القرآن ونواهيه وما يشتمل عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب لا يتعداها؛ فيرضى بكل ما يرضى الله ويسخط كل ما لا يرضاه، كل ذلك لله، لا لحظ نفسه. وفي هامش ب: يعني التأدب بأدبه، والتخلق بمحاسنه، والالتزام لأوامره وزواجره.

(۷) الحديث في الموطأ: ۹۰، قال ابن عبد البر: هو حديث مدني صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره. ومكارم الأخلاق كانت موجودة قبله - لاسيما في العرب - فتممها صلى الله عليه وسلم بشريعته السمحة، وزاد فيها ما لم يسبق إليه، وجمع ما تفرق منها فيه وفي أمته.

(۸) الحديث في مسلم: ۱۸۰۵.

وكان (۱) فيما ذكره المحققون محبوباً (۲) عليها في أصل خلقته وأوّل (۳) فطرته ،
لم تحصل له باكتساب ولا رياضة إلا بجود إلهي ، وخصوصية ربّانية .
وهكذا لسائر (۴) الأنبياء ، ومن طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم حَقَّق (۵)
ذلك ، كما عرّف من حال عيسى وموسى ، ويحيى ، وسليمان ، وغيرهم عليهم السلام .
بل غرّزت فيهم هذه الأخلاق في الجبلة ، وأودعوا العلم والحكمة في الفطرة ،
قال الله تعالى (۶) : ﴿ وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ .

قال المفسرون : أُعْطِيَ يحيى العلم بكتاب الله تعالى في حال صباه .
وقال معمر : كان [يحيى] (۷) ابن سنتين أو ثلاث ، فقال له الصبيان : لم لا تلعب؟
فقال : أَللَّعِبِ خُفِّتُ (۸) !

وقيل في قوله تعالى (۹) : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ : صدّق يحيى بعيسى ؛ وهو
ابن ثلاث سنين ، فشهد له أنه كلمة الله وروحه .
وقيل : صدّقه وهو في بطن أمه ؛ فكانت أم يحيى تقول لمريم : إني أجد ما في
بطني يسجد لما في بطنك ؛ تحية له .

(۱) وكان : أي النبي .

(۲) محبوباً : مخلوقاً مطبوعاً .

(۳) أي من غير تكلف ولا تعلم . (۴) في ب : وسائر . وسائر : باقي .

(۵) حَقَّق ذلك : عرف أن مكارم الأخلاق فيهم جبليّة طبيعية .

(۶) سورة مريم ، آية ۱۲ .

(۷) من ب ، وعليها علامة الصحة . وكلمة «معمر» ضبطت في ب بضم الميم الأولى وتشديد

الميم الثانية المفتوحة . وفي التبصير (۱۳۰۳) : بفتح الميم وسكون الميم .

(۸) قال السيوطي : رواه الديلمي عن معاذ بن جبل ولم يسنده . والحاكم في التاريخ ، عن ابن

عباس مرفوعاً ، وسنده واه . وأخرجه أحمد في الزهد ، وابن أبي حاتم في تفسيره عن معمر .

(۹) سورة آل عمران ، آية ۳۹ .

وقد نصر الله تعالى على كلام عيسى لأمه عند ولادتها إياه بقوله لها (۱) :
« أَلَا تَحْزَنِي » - على قراءة « من قرأ » من تحتها ، وعلى قول من قال : إن المنادى
عيسى .

ونص على كلامه في مهده (۲) ، فقال (۳) : ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي
نَبِيًّا ﴾ .

وقال (۴) : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ .

وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة المرجومة (۵) ، وفي قصة

(۱) سورة مريم ، آية ۲۴

(۲) المهدي كالمهاد بمعنى الفراش المهد للنوم ، ثم خص بما ينام فيه الطفل ويقر فيه .

(۳) سورة مريم ، آية ۳۰

(۴) سورة الأنبياء ، آية ۷۹ . آتيناه حكما : أي معرفة بموجب الحكومة . وعلمنا : بسائر

التضاي الشرعية . قال في نسيم الرياض : فهذا وأشباهه مما يدل على أنها أمور جبلية غير كسبية .

(۵) قال في نسيم الرياض (۱ - ۶۰۲) : قصة المرجومة كما حكها التلمسالي أن امرأة كانت

بارعة الجمال - وهي من أهل الدين ، ولها حق ، فرفعت أمرها لأحد قضاة بني إسرائيل ،

فلما رآها افتتن بها وراودها عن نفسها فامتنعت ؛ ثم ذهبت لثان وثالث ورابع فكل راودها

عن نفسها ؛ فأتت نبي الله داود فحجبت عنه ، فأجمع الأربعة أن يقولوا لداود : إن لها كلبا

تمكنه من نفسها ويزني بها ، ففعلوا فأمر برجمها فرجمت .

فبينما داود عليه السلام يوما في عليه له مشرفا على صبيان يلعبون مع سامان ، وفيهم صبي

جليل ، فجعلوا سليمان قاضيا ، والصبي كامرأة ذات حق وأربعة منهم قضاة ، وفعلا مثل تلك

القصة بعينها من الراودة والتهمة ؛ وذلك برأى من داود عليه السلام - كما في قصة المرجومة -

ففرقهم سامان ، وقال لأحدهم : مالونه ؛ فذكر لونا ، ودعا كلابا بانقراده فذكر كل منهم لونا

مخالفا للآخر ؛ فأمر الصبيان فضربوهم .

فقال داود : لعل القضية هكذا ، فبعث للقضاة وسألهم عن لون الكلب على الانفراد ،

فاختلفوا كالصبيان فأمر بهم فقتلوا . (وانظر أيضا القصة في شرح القاري : ۱ - ۲۲۶) .

الصبي^(۱) ما اقتدى به داودُ أبوه .

وحكى الطبرى أن عمره كان حين أوتى الملك اثني عشر عاما .

وكذلك قصة موسى مع فرعون وأخذه بِلِحِيَّتِهِ وهو طفل .

وقال المفسرون - في قوله تعالى^(۲) : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ ﴾^(۳) من قبل ؛

أى هَدَيْنَاهُ صغيرا^(۴) ؛ قاله مجاهد وغيره .

وقال ابن عطاء : اصطفاه قبل إبداء خلقه .

وقال بعضهم : لَمَّا وُلِدَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَمْرِهِ

عَنِ اللَّهِ أَنْ يَعْرِفَهُ بِقَلْبِهِ ، وَيَذْكُرَهُ بِلِسَانِهِ ؛ فَقَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ، وَلَمْ يَقُلْ أَفْعَلُ ؛

فَذَلِكَ رُشْدُهُ^(۵) .

(۱) في نسيم الرياض (۱ - ۶۰۲) : وقصة الصبي رواها البخاري ومسلم عن أبي هريرة

رضي الله تعالى عنه ؛ قال : كانت امرأتان معها ابنتان لهما ، فأخذت أحدهما ، فتحاكها إلى

داود عليه السلام ، فقضى به للكبرى . فدعاها سليمان ، وقال : هاتوا سكيننا أشقه بينكما ؛

فقال الصغرى : رحمك الله ، هو ابنها لا تشقه ، فقضى به لها لشفقتها عليه ، ورضيت الأخرى

بشقه لتشاركا في المصيبة . ونص الحديث في (صحيح مسلم : ۱۳۴۴ ، والبخاري : ۸ - ۱۹۵) .

ثم قال الحفاجي : وهذا مما لا شبهة في صحته . وأما الحديث الأول (قصة المرجومة) فالله أعلم

بصحته ، وقد ورد في الإسرائيليات على غير رواية ابن عساكر .

(۲) سورة الأنبياء ، آية ۵۱

(۳) الرشد : الاهتداء لوجوه الصلاح .

(۴) هذا أحد التفاسير لقوله تعالى : من قبل . وقيل : قبل موسى وهارون . وقيل : قبل

محمد عليه السلام .

(۵) يعنى عبر بالماضى الدال على وقوعه قبل أمره ؛ فيكون المعنى آتيناه رُشْدَهُ قبل أمره ،

فيدل ذلك على أن الإيمان واشتغاله بذكر ربه أمر محبوب عليه ؛ وقيل : إنه بالغ في الامتثال

حتى عبر بالماضى عن الحال .

وقيل : إن إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار ومحنته^(۱) كانت وهو ابن ست عشر سنة ، وإن ابتلاء إسحاق^(۲) بالذبح كان وهو ابن سبع سنين ؛ وإن استدلال إبراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا^(۳) .

وقيل : أوحى إلى يوسف وهو صبي^(۴) عندما هم إخوته بإلقائه في الجُب ، يقول الله تعالى^(۵) : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ^(۶) ﴾ بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ﴿ .

[۳۲] إلى غير ذلك مما ذكرنا من أخبارهم^(۷) .

وقد حكى أهل السير أن^(۸) آمنة بنت وهب أخبرت أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطاً يديه إلى الأرض ، رافعا رأسه^(۹) إلى السماء .

وقال في حديثه - صلى الله عليه وسلم^(۱۰) : لَمَّا نَشَأْتُ بُغِضْتُ إِلَى الْأَوْثَانِ ، وَبُغِضَ إِلَى الشُّعْرِ ، وَلَمْ أَهَمْ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ تَفْعَلُهُ إِلَّا مَرَّتَيْنِ^(۱۱) ، فَعَصَمَنِي اللَّهُ مِنْهُمَا ، ثُمَّ لَمْ أُعَدِّ .

(۱) ومحنته : التي وقعت له مع نمرود .

(۲) قال في نسيم الرياض : وهذا بناء على أن الذبيح إسحاق ، كما عليه أهل الكتاب وكثير من المفسرين والمحدثين . والمشهور - وهو مذهب الجمهور - أن الذبيح إسماعيل ؛ وهو قول أكثر الصحابة ، كابن عباس ، وابن عمر ، ومعاوية ، وهو الظاهر .

(۳) في ب : سنة ، وفي هامشه : الصواب شهرا .

(۴) وعن الحسن : وله سبع عشرة سنة .

(۵) سورة يوسف ، آية ۱۵ (۶) لتنبئهم : لتخبرن إخوتك .

(۷) من أخبارهم : أي أخبار الأنبياء الدالة على أنهم محبوبون على الكمال من ابتداء أمرهم

في صغرهم . (۸) مما يدل على هذه الصفة في الأنبياء .

وهذا رواه ابن الجوزي في الوفا ، عن أبي الحسين مرسلا .

(۹) في ب : رافعا يديه ينظر إلى السماء .

(۱۰) هذا الحديث رواه أبو نعيم في الدلائل عن شداد بن أوس (الدلائل لأبي نعيم: ۲۳۶)

(۱۱) في نسيم الرياض : (۱ - ۶۰۹) : وهذا إشارة إلى حديث صحيح رواه البزار مسندا

عن علي كرم الله وجهه ، ولفظه : ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون غير مرتين =

ثم يَتَمَكَّنُ الأَمْرُ لَهُمْ ، وَتَرَادَفُ نَفَحَاتِ اللهِ عَلَيْهِمْ ^(١) ، وَتُشْرِقُ أَنْوَارُ
المَعَارِفِ فِي قُلُوبِهِمْ ، حَتَّى يَصِلُوا الغَايَةَ ، وَيَبْلُغُوا - بِاصْطِفَاءِ اللهِ تَعَالَى لَهُم بِالنَّبُوَّةِ فِي تَحْصِيلِ
هَذِهِ الخِصَالِ الشَّرِيفَةِ - النّهَايَةَ دُونَ مُمَارَسَةِ وَلَا رِيَاضَةٍ ^(٢) ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى ^(٣) : ﴿وَمَا
بَلَغَ أَشُدَّهُ آتِنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ^(٤)﴾ .

وَقَدْ نَجِدُ غَيْرَهُمْ يُطَبِّعُ عَلَى بَعْضِ هَذِهِ الأَخْلَاقِ دُونَ جَمِيعِهَا ، وَيُوَادُّ عَلَيْهَا ، فَيَسْبِغُ
عَلَيْهِ اكْتِسَابُ تَمَامِهَا عِنَايَةً مِنَ اللهِ تَعَالَى ، كَمَا نَشَاهِدُ مِنْ خَلْقَةٍ بَعْضِ الصَّبِيَّانِ عَلَى
حُسْنِ السَّمْتِ ، أَوِ الشّهَامَةِ ^(٥) ، أَوْ صِدْقِ اللِّسَانِ ، أَوِ السَّمَاخَةِ ؛ وَكَمَا نَجِدُ بَعْضَهُمْ عَلَى
ضِدِّهَا ؛ فَبِالْإِكْتِسَابِ يَكْمُلُ نَاقِصُهَا ، وَبِالرِّيَاضَةِ وَالمُجَاهِدَةِ يُسْتَجَابُ ^(٦) مَعْدُومُهَا ،

= كل ذلك بحول الله بيني وبين ما أريد؛ ثم ما هممت بعدهما بشيء حتى أكرمني الله تعالى برسالته.
ورواه الحاكم في المستدرک بلفظ آخر : قلت ليلة لفتى من قریش كان بأعلى مكة يرعى غنما
لأهله : أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الصبيان ، فجت أدنى دار من دور
مكة فسمعت غناء وصوت دفوف ومزامير ، فقلت : ما هذا ؟ فقيل : فلان يتزوج فلانة . فلهوت
بذلك الغناء وذلك الصوت حتى غلبتني عيني ، فما أيقظني إلا حر الشمس . ثم رجعت إلى صاحبي ،
فقال لي : ما فعات ؟ فأخبرته .

ثم فعات الليلة الأخرى كذلك . والله ما هممت بغيرها مما تفعله الجاهلية . قال في نسيم
الرياض : وروى أن الله ألقى عليه النوم في المرتين صيانة له ، وليس في هذا ارتكابه لمحرم .
وكذلك جاء في شرح الفارسي : ١ - ٢٢٩

- (١) لهم : أي للأنبياء . ويتمكن : يقر ويثبت . والمراد بالأمر ما أودع فيهم من الكمال .
وتترادف : المراد تتوالى . والنفحات : جمع نفحة ، وهي بمعنى الهبة والعطية .
(٢) دون ممارسة : أي من غير تكرار عمل ومزاولته . والرياضة : التمرين في العمل .
(٣) سورة يوسف ، آية ٢٢ (٤) حكما : نبوة . وعلماء : معرفة بالدين وسياسة الأمة .
(٥) السمت : الطريقة ، وهيئة أهل الخير . يقال : ما أحسن سمته . أي هديه وسيرته .
والشهامة : حدة الفؤاد والذكاء والجلادة والنفاز في الأمور . يقال : رجل شهيم إذا كان سيدا
نجيبا نشيطا في اكتساب المعالي ، وعدم الالتفات للملاحاة والخصومة .
(٦) يستجاب : يكتب ويحصل لمن لم يطبع على شيء منها وطبع على ضدها .

وإمتدلاً مُنَحَرَفُهَا ، وباختلاف^(۱) هذين الحالين يتفاوتُ الناسُ فيها^(۲) . وكلُّ مُيسِّرٍ لما خُلِقَ له^(۳) . ولهذا ما [قد]^(۴) اختلف السلف^(۵) فيها : هل هذا الخلق جِبِلَّةٌ أو مُكْتَسِبَةٌ^(۶) ؟

فحكى الطبري عن بعض السلف أن الخلق الحسن جِبِلَّةٌ و غريزة في العبد، وحكاه عن عبد الله بن مسعود ، والحسن ، وبه قال هو .
والصواب ما أصَلَّنَاهُ^(۷) .

وقد روى سعدٌ عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : كلُّ الخِلالِ^(۸) يُطَبَعُ عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب^(۹) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه : والجُرْأَةُ ، والجُبِينُ^(۱۰) غرائز يضعها الله حيث يشاء .

وهذه الأخلاقُ الحمودة والخِصَالُ الجميلة^(۱۱) كثيرةٌ ، ولكننا نذكر أصولها ، ونشير إلى جميعها ، ونحققُ وَصْفَهُ صلى الله عليه وسلم بها إن شاء الله تعالى .

(۱) هذين الحالين : أى الجبلى والكسبى . (۲) فيها : أى فى الصفات الحميدة .
(۳) هذا بعض من حديث صحيح : اعملوا فكل ميسر لما خلق له . . . وهو فى صحيح مسلم : ۲۰۴۱ ، وميسر : معد مهياً . (۴) ليس فى ب . (۵) السلف : من تقدم من العلماء .
(۶) الخلق : أى الحسن الذى يحمد به الناس . وهذا فى ب . وفى ا : جبلة أو مكتسبه . . .
— بالهاء .

(۷) ما أصَلَّنَاهُ : قدمناه وجعلناه أصلاً وقاعدة ؛ من أن منها ما هو جبلة غير مكتسبة ، ومنها ما هو مكتسب بالعلم والرياضة . (۸) الخلال : الخصال والصفات .

(۹) فى نسيم الرياض (۱ - ۶۱۳) : هو حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده ، والبيهقى فى شعب الإيمان ، وابن أبى شيبه فى المصنف . والخيانة : ضد الأمانة . يعنى أن هذين لا يكون كل منهما طبيعة مخلوقة فى المؤمن مطلقاً ؛ لأن المؤمن جبلة وفطرته سليمة ، وهاتان الخصلتان فى غاية القبح .
(۱۰) الجبين : عدم الإقدام للخوف .

(۱۱) عليها علامة الصحة فى ا ، وأمامها فى هامشه : الشريفة .

فصل ۱۱

[في بيان أصول هذه الأخلاق وتحقق وصف النبي بها^(۱)]

أما أصلُ فروعها^(۲)، وعنصرُ بناييعها^(۳)، ونقطةُ دائرتها - فالعقلُ الذي منه ينبعث^(۴) العلمُ والمعرفةُ، ويتفرَّع عن هذا ثقبُ^(۵) الرأي، وجودةُ الفطنة^(۶)، والإصابةُ، وصدقُ الظنِّ، والنظرُ للعواقبِ ومصالحِ النفسِ، ومجاهدةُ الشهوةِ^(۷)، وحسنُ السياسةِ والتدبيرِ، واقتناءُ الفضائلِ^(۸)، وتجنبُ الرذائلِ.

وقد أشرنا إلى مكانه^(۹) منه عليه السلام، وبلوغه منه ومن العلمِ الغايةَ التي لم يبلغها بشرٌ سواه، وإذ جلاله محله من ذلك، ومما تفرَّع منه^(۱۰) - متحقق^(۱۱) عند من تتبَّع مجاريَ أحواله^(۱۲)، وأطرادَ سيره، وطالعَ جوامعِ كلامه^(۱۳). وحسنَ شمائله، وبدائعَ سيره، وحِكَمِ حديثه، وعلمه بما في التوراة والإنجيل والكتبِ المنزلة، وحِكَمِ الحكماء، وسيرِ الأممِ الخالية^(۱۴)، وأيامها^(۱۵) وضربِ الأمثال،

(۱) هذا الفصل موقود لبيان أصول الأخلاق صريحاً، والإشارة إلى جميعها تلويحاً؛ لتحقيق وصفه صلى الله عليه وسلم بها توضيحاً.

(۲) فروعها: أي الأخلاق. (۳) عنصر: أصل. (۴) ينبعث: ينشأ ويخرج.

(۵) ثقبُ الرأي: نفاذُ الرأي فيما يفكر فيه ويدرك به عواقب الأمور.

(۶) الفطنة: الحدق، وحسن الفهم.

(۷) مجاهدةُ الشهوة: مدافعتها وممانعتها عما تريده؛ فإنه جهاد أكبر.

(۸) اقتناءُ الفضائل: اكتسابها والتحلي بها.

(۹) إلى مكانه منه: إلى مكان النبي ومحلّه من كمال العقل.

(۱۰) ما تفرَّع منه من الأخلاق الشريفة وثمراتها. (۱۱) هذا في أ، ب.

(۱۲) مجاريَ أحواله: المراد ما جرت به عادته في أحواله.

(۱۳) جوامعِ كلامه: الكتب الجامعة للحديث الشريف. أو كلماته الجامعة للحكم التي

تتجلى فيها عقولُ البلغاء والحكماء.

(۱۴) الخالية: الماضية. (۱۵) وأيامها: أي وقائعها في حروبها ومجادلاتها.

وسياسات الأنام^(١)، وتقرير الشرائع، وتأصيل الآداب^(٢) النفيسة، والشيم الحميدة^(٣) إلى فنون العلوم التي اتخذ أهلها كلامه عليه السلام فيها قدوة، وإشاراتِه حجة؛ كالعبارة^(٤)، والطب، والحساب، والفرائض، والنسب^(٥)، وغير ذلك مما سنبيته في معجزاته إن شاء الله، دون تعليم ولا مدارس^(٦)، ولا مطالعة كتب من تقدم، ولا الجلوس إلى علماءهم؛ بل نبي أمي^(٧) لم يعرف بشيء [٣٣] من ذلك، حتى شرح الله صدره، وأبان أمره، وعلّمه، وأقرأه^(٨)، يُعلم ذلك^(٩) بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورة، وبالبرهان القاطع على نبوته نظراً؛ فلا نُطَوِّلُ بسرد^(١٠) الأفاصيل، وآحاد القضايا؛ إذ مجموعها مالا يأخذه حصر، ولا يُحِيطُ به حفظُ جامع، وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم إلى سائر ما علّمه الله تعالى، وأطلعته عليه من علم ما يكون وما كان، وعجائب قدرته، وعظيم ملكوته^(١١)، قال تعالى^(١٢) : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ

(١) الأنام : الخلق .

(٢) وتأصيل : وتأسيس؛ أي بيان أصول الآداب التي تتأدب بها الناس في مجالسهم ومحاوراتهم .

(٣) والشيم الحميدة : الشيم : جمع شيمة ؛ وهي العادة ، والخلق .

(٤) العبارة : المراد تعبير الرؤيا . وفي ١ : العبادة - بالدال .

(٥) الفرائض : علم يعرف به أحوال الموارث . والنسب : معرفة أنساب الناس .

(٦) ولا مدارس : أي لم يعرفه بأخذه من الأفواه وحفظه لشيء من العلوم عن غيره .

(٧) الأمي : منسوب إلى الأم ؛ لأنه كيوم ولدته أمه : من غير قراءة وكتابة ؛ أو إلى أم

القرى . أو أمة العرب ؛ لأن القراءة والكتابة كانت عزيزة فيهم . والأمي : الذي لا يكتب ولا يقرأ الكتب .

(٨) أقرأه : أقدره على القراءة بما أوحاه إليه بواسطة الملك ؛ إذ قال الله له : اقرأ وربك الأكرم . . .

(٩) يعلم ذلك : أي ما بلغه صلى الله عليه وسلم من العقل والعلم من غير تعلم .

(١٠) السرد : تعداد أمور من القصص ونحوها متتابعة متوالية .

(١١) المراد ما أطلعته الله عليه في الإسراء من خلق الملائكة والسموات وإقذاره على ذلك

في برهة من الزمن . (١٢) سورة النساء ، آية ١١٣

تَكُنْ تَعْلَمُ ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ^(١) ﴿٤﴾ .
حَارَتِ الْعُقُولُ فِي تَقْدِيرِ ^(٢) فَضْلِهِ عَلَيْهِ ، وَخَرِسَتِ الْأَلْسُنُ دُونَ وَصْفِ يَحِيطُ
بِذَلِكَ أَوْ يَنْتَهِي إِلَيْهِ .

١٢ فصل

وَأَمَّا الْحِلْمُ ^(٣) وَالْإِحْتِمَالُ ، وَالْعَفْوُ مَعَ الْقُدْرَةِ ، وَالصَّبْرُ عَلَى مَا يُكْرَهُ ؛ وَبَيْنَ
هَذِهِ الْأَلْقَابِ فَرْقٌ ، فَإِنَّ الْحِلْمَ حَالَةٌ تَوْقُرُ ^(٤) وَثَبَاتٌ عِنْدَ الْأَسْبَابِ الْمَحْرُكَاتِ ^(٥) .
وَالْإِحْتِمَالُ ^(٦) : حَبْسُ النَّفْسِ ^(٧) عِنْدَ الْآلَامِ وَالْوُذْيَاتِ . وَمِثْلُهَا الصَّبْرُ ، وَمَعَانِيهَا
مُقْتَابَرَةٌ .

وَأَمَّا الْعَفْوُ فَهُوَ تَرْكُ الْمُوَاخَذَةِ ^(٨) .

وَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا أَدَّبَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ ^(٩) : ﴿ خُذِ
الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ^(١٠) ﴾ .

رَوَى ^(١١) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ سَأَلَ جَبْرِيْلَ عَلَيْهِ
السَّلَامَ عَنْ تَأْوِيلِهَا ^(١٢) ، فَقَالَ لَهُ : حَتَّى أَسْأَلَ الْعَالِمَ ^(١٣) .

(١) أَي عَلِمْتَ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ شَأْنِكَ وَمِمَّا لَمْ يَكُنْ فِي قُدْرَتِكَ عَلَيْهِ .

(٢) فَضْلُهُ عَلَيْهِ الْمَذْكُورُ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ .

(٣) الْحِلْمُ : ضَبْطُ النَّفْسِ وَالطَّبْعِ عِنْدَ هَيْجَانِ الْغَضَبِ وَعَدَمُ إِظْهَارِهِ .

(٤) تَوْقُرُ : إِظْهَارُ الْوَقَارِ ، وَهُوَ السُّكُونُ . (٥) الْأَسْبَابُ الْمَحْرُكَاتُ ، كَالغَضَبِ مِثْلًا .

(٦) ضَبَطَتِ اللَّامُ فِي بٍ بِالْفَتْحَةِ وَالضَّمَّةِ وَعَلَيْهَا « مَعَا » .

(٧) الْمُرَادُ بِحَبْسِ النَّفْسِ ضَبْطُهَا حَتَّى تَخْضَعُ لِسُلْطَانِ الْعَقْلِ وَتَطْمَئِنُّ لِمَا يَأْمُرُهَا بِهِ .

(٨) الْمُوَاخَذَةُ : الْجِزَاءُ عَلَى مَا فَعَلَ غَيْرَهُ . (٩) سُورَةُ الْأَعْرَافِ ، آيَةُ ١٩٩ .

(١٠) الْعَفْوُ : الْمَسَاهَلَةُ وَالْمَسَاحَةُ . وَالْعُرْفُ : الْمَعْرُوفُ . وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ : بِتَرْكِ الْمَقَابِلَةِ .

(١١) هَذَا الْحَدِيثُ - كَمَا قَالَ السِّيُوطِيُّ - رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، وَأَبُو الشَّيْخِ ، فِي تَفْسِيرِهِمْ .

(١٢) عَنْ تَأْوِيلِهَا : عَنْ تَفْسِيرِهَا . (١٣) يَعْنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

ثم ذهب فاتاه^(۱) ، فقال : يا محمد ، إن الله يأمرك أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك .

وقال له^(۲) : ﴿ واصبر على ما أصابك ، إن ذلك من عزم الأمور ﴾ .

وقال تعالى^(۳) : ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ .

وقال^(۴) : ﴿ وايعفوا وليصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴾ .

وقال^(۵) : ﴿ ولَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾^(۶) .

ولا خفاء بما يؤثر^(۷) من حابه واحتماله ، وأن كل حلیم قد عرفت منه زلة^(۸) ،

وحفظت عنه هفوة^(۹) ، وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبرا ،

وعلى إسراف الجاهل^(۱۰) إلا حلما .

حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن علي التغلي^(۱۱) وغيره ، قالوا : حدثنا محمد

ابن عتاب ، حدثنا أبو بكر بن وafd^(۱۲) القاضي وغيره ، حدثنا أبو عيسى ، حدثنا

(۱) في ب : ثم أتاه .

(۲) سورة لقمان ، آية ۱۷ . من عزم الأمور ؛ أي مفروضاتها وواجباتها التي لا رخصة في إهمالها لأرباب كمالها .

(۳) سورة الأحقاف ، آية ۳۵ ، وأولو العزم : أصحاب الثبات والحزم من الرسل .

(۴) سورة النور ، آية ۲۲ (۵) سورة الشورى ، آية ۴۳

(۶) لمن عزم الأمور : من أهم الأمور التي ينبغي التصميم والعزم عليها .

(۷) يؤثر : ينقل ويروى من حلمه وتحمله للأذى ، فإنه شائع غير خفي على أحد .

(۸) الزلة : السقطة والخطيئة . (۹) هفوه : سقطة .

(۱۰) المراد بالجاهل هنا السبيء الخلق المجازف في أموره ، فهو خلاف الحلم . والإسراف :

الزيادة ومجاوزة الحد .

(۱۱) في ا : الثعلبي . والتغلي في ب ، عليها علامة الصحة . وقال القاري (۱ - ۲۳۶) :

وقع في بعض النسخ بالشاء المثناة والعين المهملة ؛ وهو تصحيف في البني وتحريف .

(۱۲) بالفاء ، وعليها علامة الصحة في ا ، ب .

عُبَيْدُ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ ، عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ (۱) : مَا خَيْرَ رَسُولٍ لَللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَمْرٍ مِنْ قَطُّ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهَا (۲) مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا ، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا (۳) كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ (۴) إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى ، فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ (۵) بِهَا .

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا كَسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ (۶) وَشَجَّ وَجْهَهُ (۷) يَوْمَ أُحُدٍ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ شَدِيدًا ، وَقَالُوا : لَوْ دَعَوْتَ عَلَيْهِمْ ! فَقَالَ : إِنْ لَمْ أُبْعَثْ لَعَانًا (۸) ، وَلَكِنِّي بُعِثْتُ دَاعِيًا وَرَحْمَةً (۹) . اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .

وَرَوَى عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (۱۰) أَنَّهُ قَالَ فِي بَعْضِ (۱۱) كَلَامِهِ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ (۱۲) ! لَقَدْ دَعَا نُوحٌ عَلَى قَوْمِهِ ، فَقَالَ : رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ

(۱) الحديث في الموطأ : ۹۰۳ ، والبخارى : ۴ - ۲۳۰ ، ومسلم : ۱۸۱۳

(۲) في هذا الحديث الأخذ بالأسهل والأرفق . ما لم يكن حراماً أو مكروهاً .

(۳) أى موجب إثم من حرام أو مكروه .

(۴) أى لا يعاقب أحداً بتقصير وقع منه في حقه هو .

(۵) حرمة الله : ما حرمه وجعله محرماً ممنوعاً . وانتهاكه : التعدي والتجاوز فيه .

والحديث في صحيح مسلم : ۱۸۱۳ ، ۱۸۱۴

(۶) رباعيته : سن بين الثانية والثالثة . والرباعيات أربع . وقد كسرها عتبة بن أبي وقاص .

(۷) شج وجهه : الشجوة : جراحة في الوجه أو الرأس . وقد شججه عبد الله بن شهاب

الزهري . وارجع في تفصيل ذلك إلى سيرة ابن هشام : ۳ - ۲۷ ، ۲۸ إن أردت .

(۸) لعانا : داعياً على الناس بالطرد والبعد عن رحمة الله .

(۹) داعياً ورحمة : أى داعياً للناس إلى الله ، ورحمة للناس أجمعين ، بإخراجهم من

الكفر للإيمان ، وتأخير العذاب عنهم كفر؛ لا يطردهم عن رحمة الله ، وإبعادهم عنه . والحديث

في صحيح مسلم : ۲۰۰۶ ، وصحيح البخارى : ۸ - ۱۵

(۱۰) قال السيوطي : إن هذا لا يعرف عن عمر في شيء من كتب الحديث .

(۱۱) أى حين رأى ما أصابه صلى الله عليه وسلم من كسر رباعيته وشججه في غزوة أحد .

(۱۲) معناه : إني أجعل أبوي فداءً دونك وأبذلها في حمايتك .

الكافرين دياراً^(١) . ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا^(٢) ، فلقد
وطئ ظهرك ، وأدمى وجهك^(٣) ، وكسرت رباعيتك ، فأبيت أن تقول إلا خيراً ،
فقلت : اللهم اغفر لقومي ، فإنهم لا يعلمون .

قال القاضي أبو الفضل^(٤) وفقه الله : انظر في هذا القول من جماع^(٥) الفضل ،
و درجات الإحسان ، وحسن الخلق ، وكرم النفس ، وغاية الصبر [٣٤] والحلم ،
إذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا عنهم ، ثم أشفق^(٦)
عليهم ورحمهم ، ودعا وشفع لهم ، فقال : اغفر ، أو اهد ، ثم أظهر سبب الشفقة
والرحمة بقوله : لتومي^(٧) ، ثم اعتذر عنهم بجهلهم ، فقال : فإنهم لا يعلمون .
ولما قال له الرجل^(٨) : اعدل ، فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله - لم يزد
في جوابه أن بين له ما جهله .

ووعظ نفسه ، وذكرها^(٩) بما قال له ، فقال : ونحك^(١٠) إني اعدل إن لم أعدل !
خبث وخسرت^(١١) إن لم أعدل ! ونهى من أراد من أصحابه^(١٢) قتله .

- (١) لاتذر : لاتترك . دياراً : أحدا . (سورة نوح ، آية ٢٦) .
(٢) لهلكنا من عند آخرنا : المراد لهلكنا من أولنا إلى آخرنا ؛ أي جميعنا .
(٣) أدمى وجهك : جرح وجهك وسال منه الدم . (٤) هو المؤلف .
(٥) جماع الفضل : ما يجمع كل فضل . (٦) أشفق عليهم : أبدى شفقتهم ورحمتهم لهم .
(٧) فإن الطبع البشري يقتضى العطف والحنو على الأهل والأقارب بأى حال كانوا .
(٨) هو ذو الحويصرة التميمي ، وهو حرقص بن زهير . وفي صحيح البخاري : هو
عبد الله بن ذى الحويصرة التميمي . قال في نسيم الرياض : الصواب أن والده هو القائل .
وهو حديث صحيح رواه مسلم : ٧٣٩ ، وأبو داود : ٢ - ١٨٥ ، والبخاري : ٤٧-٨
وأخرجه البيهقي أيضاً . (٩) أي عدل عن وعظ القائل إلى وعظ نفسه ؛ وهو نهاية الحلم .
(١٠) ونحك : كلمة ترحم وتوجع لمن وقع فيما لا يرضى . أو كلمة مدح وتعجب . فترحم له
لما خالف رضاء الله تعالى عليه ، أو تعجب من صدور مثله من مسلم .
(١١) ضبطلت التاء في « خبت » ، و « خسرت » - بالضم والفتح ، في ا ، ب ، وطى كل
منها في النسختين « معا » . وفي هامش ا : الصواب بالفتح .
(١٢) عمر بن الخطاب هو الذي أراد قتله وقيل : خالد بن الوليد .

ولما تصدَّى (۱) له غورث بن الحارث ليفتك به (۲) ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُنتبذاً (۳) تحت شجرةٍ وخذَه قائلًا ، والناسُ قائلون (۴) ، في غزاةٍ ، فلم ينتبه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو قائمٌ والسيفُ صلتاً (۵) في يده ، فقال : مَنْ يَمْنَعُكَ مني ؟ فقال : الله . فسقطَ السيْفُ من يده ، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : مَنْ يَمْنَعُكَ مني ؟ قال : كُنْ خَيْرَ آخِذٍ (۶) ، فتركه وعفا عنه . فجاء إلى قومه فقال : جئْتُكم من عند خَيْرٍ (۷) الناسِ .

وَمِنْ عَظِيمِ خَيْرِهِ فِي الْعَنْوِ عَنُوهُ عَنِ الْيَهُودِيَّةِ (۸) الَّتِي سَمَّتهُ فِي الشَّاةِ بَعْدَ اعْتِرَافِهَا - عَلَى الصَّحِيحِ مِنَ الرَّوَايَةِ . وَأَنَّهُ لَمْ يُوَاخِذْ كَبِيدَ بْنَ الْأَعْصَمِ (۹) إِذْ سَجَرَهُ ، وَقَدْ أَعْلَمَ بِهِ وَأَوْحَى إِلَيْهِ بِشَرْحِ أَمْرِهِ ، وَلَا عَتَبَ عَلَيْهِ فَضْلاً عَنِ مَعَاقِبَتِهِ .

وَكذَلِكَ لَمْ يُوَاخِذْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ (۱۰) أَبِي وَأَشْبَاهَهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بَعْضِهِمْ مَا نُقِلَ عَنْهُمْ فِي جِهَتِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا ؛ بَلْ قَالَ لِمَنْ أَشَارَ بِقَتْلِ (۱۱) بَعْضِهِمْ : لَا يُتَحَدَّثُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ .

(۱) تصدى : تعرض .

(۲) هذه القصة كانت في غزوة ذات الرقاع في السنة الرابعة من الهجرة .

(۳) منتبذ : جالس في ناحية منفرد .

(۴) قائلًا : أي مستريحاً في وقت القيولة ، وهي وسط النهار إذا اشتد الحر .

والناس قائلون : أي كل منهم في قيولة منفرداً عن أصحابه .

(۵) صلتاً : مسلوا مجرداً من غمده .

(۶) غير آخذ : أي خير رجل أخذ خصمه وتمكن منه فتكرم عليه ، أي متصفاً بالحلم

والعفو والكرم . (۷) صحيح مسلم : ۱۷۸۶ ، والبخارى : ۵ - ۱۴۷ ، ۴ - ۴۸

(۸) هي زينب بنت الحارث بن سلام ، وحديثها في « أبو داود » : ۲ - ۱۵۹

(۹) هو رجل من بني زريق ، وهم بطن من الأنصار وحديث هذا السحر في البخارى : ۷ - ۱۷۶

(۱۰) كان رأس المنافقين . (۱۱) هو عمر بن الخطاب .

وعن أنس رضي الله عنه^(١) : كنتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم، وعليه بُردٌ^(٢) غليظ الحاشية، فجببته الأعرابي^(٣) بردائه جبدةً شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه^(٤)، ثم قال : يا محمد، أحمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك، فإنك^(٥) لا تحمل لي من مالك ومال أهلك .

فسكت النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال : المال مال الله، وأنا عبده^(٦)، ثم قال : ويقاد^(٧) منك يا أعرابي ما فعلت بي . قال : لا . قال : لم ؟ قال : لأنك لا تكفي بالسينة السينة .

فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ثم أمر أن يُحمل له على بعير شعير، وعلى الآخر تمر .

قالت عائشة رضي الله عنهما : مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا^(٨) من مظالمه ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله . وما ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما قط ولا امرأة .

(١) قال السيوطي : هذا الحديث رواه الشيخان إلى قوله الآتي : من مال الله الذي عندك . قال : فضحك وأمر له بعطاء . وأخرجه بلفظ المصنف البيهقي في الأدب من حديث أبي هريرة . وارجع إلى الحديث أيضا في سنن النسائي : ٨ - ٣٠ ، وأبو داود : ٢ - ١٨٥ .

(٢) برد : كساء كانت العرب تلتحف به . والحاشية : جانب الثوب .

(٣) جبده : جذبته . وفي ب : أعرابي .

(٤) صفحة عاتقه : الصفحة : الجانب . والعاتق : ما بين العنق والكتف .

(٥) لا تحمل لي : لا تعطيني .

(٦) وأنا عبده : أتصرف في ماله بإذنه، وأعطى من يأمرني بإعطائه . وهذا اللفظ رد .

(٧) يقاد منك : ويقتص منك ؛ والمراد تجاوزي على ترك أدبك .

(٨) منتصرا : منتقما وناصر لنفسه على غيره .

وجيء إليه برجل^(۱)، فقيل: هذا أراد أن يقتلك. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:
 لن تُرَاعَ، لن تُرَاعَ^(۲)، ولو أردتَ ذلك لم تسلطَ عليَّ^(۳).
 وجاءه زيد بن سَعْنَةَ^(۴) قبل إسلامه يتقاضاه ديناً عليه، فجبَّذ ثوبه عن منكبِهِ،
 وأخذ بمجامع ثيابه، وأغلظ له، ثم قال: إنكم، يا بني عبد المطلب، مُطَّل^(۵)،
 فانتهره^(۶) عُمر، وشدَّ دله في القول، والنبي صلى الله عليه وسلم يتسم.
 فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: أنا وهو كُنَّا إلى غير^(۷) هذا أُخْرَجَ منك
 يا عمر، تأمرني بحسن القضاء، وتأمره بحسن التقاضي^(۸).
 ثم قال: لقد بقيَ من أَجَلِهِ ثلاثٌ، وأمر عُمرَ يَقْضِيهِ^(۹) ماله ويزيده عشرين
 صاعاً لما رَوَّعَهُ^(۱۰)؛ فكان سببَ إسلامه.

- (۱) قال السيوطي: هذا الحديث أخرجه أحمد، والطبراني بسند صحيح؛ ولم يسميا الرجل.
 (۲) لن ترَاع: أى لا تخف منى ولا من غيرى، وكرره ليطمئن قلبه. والروع: الخوف
 والفرع.
 (۳) لم تسلط على: لأن الله عصمى، فلن ينالني ما أردته أنت ولا غيرك.
 (۴) هو جبر من أحبار اليهود. وفي ب: سَعْنَةَ، وسَعِيَّة، وعليها «معا». وفي ا: سَعِيَّة،
 وفوقها «معا» أيضاً. وفي هامشه: سَعْنَةَ - بالنون، وكان من أحبار يهود، وبنو سَعِيَّة -
 بالياء باثنتين: من أهل الكتاب أيضاً.
 وأسيد بن سَعِيَّة منهم، رويت عنه المغازي، وهو من أسلم، وعنه يروى ابن إسحاق.
 ويقال في زيد بن سَعِيَّة - بالياء أيضاً، والدارقطني ذكره بالنون.
 (۵) مَطَّل: جمع ماطل، ومطول. والمطل: التطويل في تأخير الحق، أو خالف الوعد
 فيه مرارا، والتسويق في العدة والدين.
 (۶) انتهره: زجره، والانتهار: الإغلاظ في القول مع صياح.
 (۷) إلى غير هذا: أى غير هذا المقال.
 (۸) بحسن التقاضي: الطاب بلطف.
 (۹) في ب: يقضيه - بكسر الضاد، وبتشديده.
 (۱۰) لما روعه: أى لأجل ترويع عمر وتخويفه له.

وذلك أنه كان يقول^(١) : ما بقي من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها
في^(٢) محمد إلا اثنتين لم أخبرهما^(٣) : يسبق حبله جهله [٣٥] ، ولا تزيده شدة الجهل
إلا حبلما . فاختره^(٤) بهذا ، فوجده كما وُصف .

والحديث عن حبله عليه السلام وصبره وعفوه عند القدرة^(٥) أكثر من أن نأتي
عليه ، وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة إلى ما بلغ متواتراً مبلغ
اليقين : من صبره على مقاساة^(٦) قريش ، وأذى الجاهلية^(٧) ، ومصابرة الشدائد
الصعبة معهم إلى أن أظهره^(٨) الله عليهم ، وحكمه فيهم ، وهم لا يشكون في استئصال
شأقتهم^(٩) ، وإبادة خضرائهم^(١٠) ؛ فإزاد على أن عفا وصفح ، وقال : ما تقولون^(١١)
أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ؛ أخ كريم ، وابن أخ كريم ، فقال : أقول كما قال
أخي يوسف : ﴿ لا تثريب ﴾^(١٢) عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ،
اذهبوا فأنتم الطلقاء^(١٣) .

- (١) كان يقول : الذي كان يقول هو يزيد بن سعة اليهودي المتقدم . (٢) في ب : من .
(٣) لم أخبرهما : لم أعرفها . (٤) في ب : فاخترته بهذا فوجدته كما وصف .
(٥) في ب : القدرة . (٦) مقاساة قريش : المقاساة : معالجة أمور صعبة شاقة بحيث
لا يتحمل مثلها ، وهذا في أول بعثه .
(٧) وأذى الجاهلية : أي أذى أهل الجاهلية ، وهم الكفار . (٨) في ب : أظهره .
(٩) استئصال شأقتهم : الاستئصال : قطع الشيء من أصله وإزالته بالكلية . والشأفة :
قرحة تخرج في أصل القدم فتكوى فتذهب . والمراد : إهلاكهم أجمعين .
(١٠) وإبادة خضرائهم : الإبادة : الإهلاك . والخضرة كالسواد تطلق على الناس والقوم .
والمراد هلاكهم جميعاً ، وتفريق جمعهم . والمعنى أنه صلى الله عليه وسلم ظفر بهم في حال تيقنوا
هلاكهم بأسرهم بحيث لا يبقى منهم أحد . (١١) ما تقولون : ما تظنون .
(١٢) سورة يوسف ، آية ٩٢ . والتثريب : التمييز والتوبيخ ؛ أي لا أوبخكم وأعيركم بما
ينجلكم . أو لاعتب عليكم .
(١٣) الطلقاء : جمع طليق ، وهو الأسير يطلق ويخلى سبيله . وقد قال النبي هذا القول لما
فتح مكة . وارجع - في ذلك - إلى سيرة ابن هشام : ٤ - ٣٢ إن أردت .

وقال أنس : هبط ثمانون رجلا من التَّعْمِيمِ ^(١) صلاة الصبح لِيَقْتُلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخَذُوا ، فَأَعْتَبْتَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٢) : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ^(٣) ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ .

وقال لأبي سفيان - وقد سبق إليه بعد أن جاب إليه الأحزاب ^(٤) ، وقتل عمه وأصحابه ومثّل بهم ^(٥) ؛ فعفا عنه ، ولاطفه في القبول : وَيَحْكُ يَا أبا سفيان ! أَلَمْ يَأْنِ ^(٦) لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ : فقال : بَأبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! مَا أَحْلَمَكَ وَأَوْصَلَكَ وَأَكْرَمَكَ ؟

وكان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبعدَ الناسِ ^(٧) غضبا ؛ وأسرعهم ^(٨) رِضًا ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ .

(١) التعميم : موضع على أربعة أميال من مكة ، وهو طرف الحرم من جهة المدينة .

(٢) سورة الفتح ، آية ٢٤

(٣) بطن مكة : الحديبية . أظفركم عليهم : أظهركم ونصركم عليهم .

قال السيوطي : وحديث أنس هذا رواه مسلم والترمذي وأبو داود .

(٤) جلب : ساق وجمع . الأحزاب : جمع حزب : الناس المجتمعة من قبائل شتى للحرب ، وذلك في غزوة الخندق .

(٥) مثل بهم : شوه خلقهم بقطع الأطراف وشق البطن وإخراج القلب ونحوه . وكان قتل عمه في أحد .

وقاتل حمزة هو وحشي بن حرب ، والتي مثات به زوجة أبي سفيان هند ؛ ونسب هذا وذلك لأبي سفيان ؛ لأنه الباعث عليه والسبب لذلك القتال والمهيج له .

(٦) ألم يأن لك : ألم يذن وقت علمك ؟

(٧) أي غضبه بعيد لا يكون منه إلا بعد أمور كثيرة ، بخلاف رضاء فإنه يرضى بأقل شيء .

(٨) في ١ : وأسرعهم ، وعليها علامة الصحة . وفي الهامش أمامها : وأسرعهم ، وعليها علامة الصحة أيضا .

فصل ١٣

وأما الجودُ والكرمُ ، والسخاءُ والسَّماحةُ - فمعانيها متقاربة . وقد فرَّق بعضهم بينها بفروق ؛ فجعلوا الكرمَ الإنفاقَ بطيبِ النفسِ فيما يعظمُ خطره ^(١) ونفعه ، وسمَّوه أيضا حرِّيَّة ^(٢) ، وهو ضدُّ النذالة ^(٣) .

والسماحةُ : التجافي ^(٤) عما يستحقُّ المرءُ عند غيره بطيبِ نفسٍ ، وهو ضدُّ الشكاسة ^(٥) .

والسخاءُ : سهولةُ الإنفاقِ ، وتجنُّبُ اكتسابِ ما لا يُحمدُ ، وهو الجودُ ، وهو ضدُّ التقدير ^(٦) .

وكان صلى الله عليه وسلم لا يُوازى في هذه الأخلاقِ الكريمةِ ، ولا يُبارى ^(٧) ، بهذا وصفه كلُّ من عرفه .

حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الصدقي رحمه الله ، حدثنا القاضي أبو الوليد الباجي ، حدثنا أبو ذرَّ الهروي ، حدثنا أبو الهيثم الكشميهني ^(٨) ، وأبو محمد السرخسي ،

(١) يعظم خطره : خطره : قدره ووقمه .

(٢) في نسيم الرياض (٢ - ٣٩) : أما تسمية الكرم حرية فلأن الحر خلاف العبد ؛ فالحرية الخلاص من منن الناس ، فإذا طوقهم مننه خلصت له الحرية ، لأن الإنسان عبد الإحسان .

(٣) النذالة : الخسة والحقارة ، وهي من لوازم البخل المقابل للكرم .

(٤) التجافي : التبعاد والترفع .

(٥) الشكاسة : سوء الخلق . وقيل : البخل . وفي هامش ب : أى صعب الخلق .

(٦) التقدير : التضييق في الإنفاق . قال الشهاب (٢ - ٤٠) : واعلم أن كلام المصنف هنا

غير موافق للغة ولا للعرف ، ولا أدري من أين أخذه ؛ فالمرروف في اللغة أن الجود ضد البخل .

والتقدير : التضييق في الإنفاق ، وهو ضد الإسراف والتبذير .

(٧) لا يوازي : لا يساوي ولا يقابل . ولا يبارى : لا يعارض . والمعارضة : أن تفعل مثل

ما يفعل .

(٨) هذا الضبط في ا ، ب . وضبطه اللباب ، والشهاب (٢ - ٤٠) بكسر الميم .

وأبو إسحاق البلخي؛ قالوا: حدثنا أبو عبد الله الفربري؛ قال: حدثنا البخاري، قال: حدثنا محمد بن كثير، حدثنا سفيان، عن ابن المنكدر، سمعت جابر بن عبد الله يقول: ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء (١) فقال: لا (٢).

وعن أنس، وسهل بن سعد مثله.

وقال ابن عباس: كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير (٣)، وأجود ما كان (٤) في شهر رمضان، وكان إذا آتته جبريل عليه السلام أجود بالخير من الرياح (٥) المرسلة.

وعن أنس أن رجلاً (٦) سأله فأعطاه غنماً بين جبأين (٧)، فرجع إلى بلده (٨)، وقال: أسئلوا؛ فإن محمداً يعطي عطاءً من لا يخشى فاقةً (٩). وأعطى غير واحد (١٠).

(١) عليها علامة الصحة في ١، وفي هامشه: شيئاً وعليها «صح»، و«معا». وفي هامش ب: قال الزري: المعروف شيئاً.

(٢) صحيح مسلم: ١٨٠٥، وفيه: شيئاً.

(٣) بالخير: أي بما فيه نفع للناس.

(٤) في ب: ما يكون. وفي هامشه: ما كان. وفي هامش ب: أجود بالرفع، بل يتعين، وليس للتعجب وجه مستقيم، ذكره ابن الحاجب رحمه الله.

(٥) إرسال الرياح: إطلاقها بإذن الله. والحديث في صحيح مسلم: ١٨٠٣، قال: المراد كالريح في إسراعها وعمومها. (٦) هو صفوان بن أمية الجمحي.

(٧) بين جبأين: مائة واديا بين جبأين. والمراد أنها كثيرة، كأنها تملأ ما بين جبأين، والحديث في صحيح مسلم: ١٨٠٦.

(٨) إلى بلده: مكة. (٩) فاقة: فقرا.

(١٠) ممن أعطاهم النبي مائة ناس كثير، منهم أبوسفيان، وابنه معاوية، والحارث بن هشام، وقيل: إنهم يبلغون ستين من المؤلفات قلوبهم.

خلقه

مائة من الإبل. وأعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة. وهذه كانت حاله (١) صلى الله عليه وسلم قبل أن يُبعث .

وقد قال له ورقة بن نوفل (٢) : إنك تحمل الكَلَّ وتكسبُ العذوم .

وردَّ على هوازن سبأياها ، وكانوا ستة آلاف .

وأعطى العباس من الذهب ما لم يُطِقْ حمله .

وحمل إليه تسعون ألف درهم ، فوضعت على حصير ، ثم قام إليها بقبسها ، فمردَّ سائلا حتى فرغ منها .

وجاءه رجل ، فسأله ، فقال : ما عندي شيء ، ولكن ابتع (٣) علي ، فإذا [٣٦] جاءنا شيء قضيناها . . .

فقال له عمر : ما كلفك الله ما لا تقدر عليه .

فكرة النبي صلى الله عليه وسلم ذلك . فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله ؛ أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالا (٤) :

فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ، وعرف البشر في وجهه ، وقال : بهذا (٥) أمرت ، ذكره الترمذي (٦) .

وذكر عن معوذ بن (٧) عفرأ ، قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بتناع

(١) في ب : خلقه ، وعليها علامة الصحة .

(٢) هذا بعض من حديث في صحيح مسلم : ١٤١ . والسكل : الإعياء والثقل .

(٣) ابتع : اشتر ، واستاف مقدار ما تختاره حوالة علي . والمراد اشتر بشمن يكون ذلك

الثنى على وفي ذمتي . (٤) الإقلال : الفقر . وذو العرش : هو الله تعالى .

(٥) بهذا أمرت : أي بالإنفاق من غير مخافة فقر .

(٦) ذكره الترمذي في شمائله .

(٧) في هامش ب : صوابه الربيع بنت . . . وفي نسيم الرياض (٢ - ٤٨) : قال السيوطي :

ذكر هذا الحديث الترمذي في الشمائل ، والطبراني ، عن الربيع بنت معوذ ، وسنده حسن .

من رُطْب - يريد طَبَقًا ، وأَجْرٍ زُغْب (١) - يريد قِثَاءً ، فأعطاني مِلءَ كَفِّهِ حَلِيًّا
وَذَهَبًا .

وقال أنس (٢) : كان النبي ﷺ لا يدَّخِرُ شيئًا لغيره .

وانتخبِرُ بِجوده صلى الله عليه وسلم وكرمه كثير .

وعن أبي هريرة : أتى رجلُ النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم يسأله ، فاستسلف (٣) له

رسولُ الله ﷺ صلى الله عليه وسلم نِصْفَ وَسْقٍ (٤) ، فجاء الرجلُ يتقاضاه ، فأعطاه وَسْقًا ،

وقال (٥) : نِصْفُهُ قِضَاءٌ وَنِصْفُهُ نَائِلٌ (٦) .

فصل ١٤

وأما الشجاعةُ والنجدةُ فالشجاعةُ فَضِيْلَةٌ قُوَّةٌ (٧) الغضبِ وانقيادِها للعقل ،

(١) وأجر : قِثَاءٌ صغار . والزغب : جمع أزغب ؛ أي ذوات زغب ، أي صغار الريش
والشعر ؛ فشبه به ما يكون على الفاكهة ونحوها .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد : ٤ - ٥٨٠ ، وقال : قال أبو عيسى : هذا حديث غريب .
وقد روى هذا الحديث عن جعفر بن سليمان عن ثابت ، عن النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم مرسلًا .

(٣) السلف والقرض بمعنى . (٤) الوسق : ستون صاعًا .

(٥) القائل هو الرسول . (٦) نائل : عطاء .

(٧) في نسيم الرياض (٢ - ٥٠) : هذا معنى ما قاله الحكماء في علم الأخلاق : إن الله
تعالى ركب في الإنسان قوة هي مبدأ الإقدام على الأحوال والمهلك لتصوره أن من خاطر بالنفس
ربما يهلك النفس ، وأنه لا ينبغي حذر من قدر ، وهي القوة الغضبية الشنيعة . والشجاعة : انقياد
هذه القوة لسلطان العقل والنفس الناطقة ؛ ليكون إقدامها على حسب الروية من غير اضطراب
حتى يكون فعلها جميلًا محمودًا ؛ وإفراطها النهور وهو الإقدام حيث لا ينبغي ؛ وتفريطها الجبن .
وبهذا عرفت معنى الشجاعة .

والجراءة أعم منها . وفسرها ابن القوطية بالإقدام ؛ وهو تفسير لفظي بالأعم .

والنَجْدَةُ^(١) : ثقة النفس عند استرسالها^(٢) إلى الموت حيث يُجْمَدُ فعلها دون خوف .
 وكان صلى الله عليه وسلم منهما^(٣) بالمكان الذي لا يُجْهَل ؛ قد حضر المواقف الصعبة^(٤) ، وفر الكُفَاةُ^(٥) والأبطالُ عنه غير مرة ، وهو ثابت لا يبرح ، ومقبِل لا يُدِر ولا يتزحزح^(٦) . وما شجاعٌ إلا وقد أُحصيت له فرّةٌ ، وحُفِظت عنه جولة^(٧) ، سواه .

حدثنا أبو علي الجياني^(٨) فيما كتب لي^(٩) ؛ قال : حدثنا القاضي سراج ، حدثنا أبو محمد الأصيلي ، قال : حدثنا أبو زيد الفقيه ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا ابن بشار ، حدثنا غندر ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق : سمع البراء وسأله رجل^(١٠) : أفررتُم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر .

(١) النجدة : شدة البأس .

(٢) استرسالها : انطلاقها ؛ أي إن الشجاعة جراءة وإقدام يخوض به المهالك ، والنجدة : ثباته على ذلك مطمئنا من غير خوف من أن يقع على الموت أو يقع الموت عليه ، حتى يقضى الله له بإحدى الحسينين : الظفر ، أو الشهادة ؛ فيحيا سعيدا أو يموت شهيدا .

(٣) منها : أي من الشجاعة والنجدة . (٤) المواقف الصعبة : مواضع القتال الشديدة .

(٥) الكفاة : جمع كفى ، وهو الشجاع . (٦) لا يتزحزح : لا يزول عن مقره .

(٧) الجولة : المرة من الجولان في المكان ، وقيل الانكشاف والزوال عن الموقف .

(٨) هذا الضبط في نسيم الرياض (٢ - ٥٢) . وقال : هو الإمام الحافظ أبو علي الفسائي

الجياني - بفتح الجيم وتشديد التحتانية ثم ألف ونون وياء : نسبة لبلدة جيان .

وقال القاري في شرحه (١ - ٢٥٤) : حدثنا أبو علي الجياني - بفتح الحاء المهملة وتشديد

التحتية وفي آخره نون ثم ياء النسبة ، وهو الحافظ الفسائي . وقيل بكسر الجيم ، والظاهر

أنه تصحيف . (٩) في ب : فيما كتب إلى .

(١٠) هذا الحديث في صحيح البخاري (٤ - ٣٩) ، ورواه مسلم في المنازي (١٤٠١) ،

والترمذي في سننه : ١٩٩

ثم قال : لقد رأيتُه على بَغْلَتِهِ البِيضَاءِ وَأَبُو سَفِيَّانٍ ^(۱) آخِذٌ بِلِجَامِهَا ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ ، وَزَادَ غَيْرُهُ : أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ^(۲) .
قِيلَ : فَمَا رَأَيْتُ يَوْمَئِذٍ أَحَدًا كَانَ أَشَدَّ مِنْهُ .

وَقَالَ غَيْرُهُ ^(۳) : نَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَغْلَتِهِ .

وَذَكَرَ مُسْلِمٌ - عَنِ الْعَبَّاسِ ، قَالَ ^(۴) : فَلَمَّا اتَّقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكَافِرُونَ وَالْمُسْلِمُونَ وَالْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ ، فَطَفِقَ ^(۵) رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ ^(۶) نَحْوَ الْكَافِرِ ، وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِهَا أَكْفَهَا ^(۷) إِرَادَةَ أَلَّا تُسْرِعَ ، وَأَبُو سَفِيَّانٍ آخِذٌ بِرِكَابِهِ ، ثُمَّ نَادَى : يَا لِلْمُسْلِمِينَ ^(۸) الْحَدِيثُ .

(۱) هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وهو ابن عم النبي ، وأخوه من الرضاع .
(۲) هذا الضبط في ب ، ومسلم ، والترمذي . وفي أ - بكسر الباء . قال القاري (۱ - ۲۵۶) :
هو بسكون الباء ، مع أنها في أصل الإعراب بالجر . ومن قرأه بالكسر أراد إخراجها من وزن الشعر .

(۳) أي غير البخاري ، ففي رواية مسلم رواه سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ؛ قال : لما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الأرض ، ثم استقبل بها وجوههم ، وقال : شأهت الوجوه ، فلم يبق أحد منهم حتى امتلأت عيناه من تلك القبضة ترابا ، وهزمهم الله .

ولا شك أن النزول في وقت المحاربة فيه من الشجاعة ما لا يخفى .

(۴) صحيح مسلم : ۱۳۹۸

(۵) طفق : جعل ، وشرع .

(۶) يركض بغلته : يسوقها ويسرع بها ، ويضربها برجله لتسرع . وفي صحيح مسلم : قبل الكفار .

(۷) أكفها : أمنعها من السرعة .

(۸) قال في نسيم الرياض (۲ - ۵۷) : وهذا الحديث نقله المصنف عن مسلم بالمعنى .

وقيل : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا غضِبَ - ولا يَغْضَبُ إلا الله -
لم يَقُمْ لَغَضَبِهِ شَيْءٌ (۱) .

وقال ابنُ عمر : ما رأيتُ أشجعَ ، ولا أنجِدَ ، ولا أجودَ ، ولا أرضى (۲) ،
[ولا أفضل] (۳) مِن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

وقال عليُّ رضي الله عنه : إنا كنا إذا حمى البأس (۴) - ويروى : اشتدَّ البأس -
واحمرَّت الحدق (۵) اتقينا برسولِ الله (۶) ؛ فما يكون أحدٌ أقربَ إلى العدوِّ منه ،
ولقد رأيتني يومَ بدرٍ ونحن نلوذُ (۷) بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وهو أقربُ بنا إلى
العدوِّ ، وكان من أشدِّ الناسِ يومئذٍ بأساً .

وقيل : كان الشجاعُ (۸) هو الذي يَقْرُبُ منه صلى الله عليه وسلم إذا دنا العدوُّ ،
لِقُرْبِهِ مِنْهُ (۹) .

(۱) في هذا إشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم كان يعتريه الغضب والحدة أحياناً ، ولكن
ذلك كان غيرَ على حدودِ الله لا لنفسه .

ومناسبة هذا لما نحن بصدده من ذكر الشجاعة أن الغضب مقتضٍ للبطش والإقدام ،
وهو من عظمها .

وهذا بعض من حديث صحيح في شمائل الترمذي .

(۲) ولا أرضى : ولا أكثر رضا منه . (۳) من ب .

(۴) حمى البأس : المراد اشتد القتال . وفي صحيح مسلم : ۱۴۰۱ : احمر البأس .

(۵) الحدق : جمع حدقة ، وهي ما تحت الأجنان . واحمرارها يكون عند الغضب . والمراد :
اشتد القتال ودام مدة .

(۶) اتقينا برسول الله : جعلناه وقاية لنا من العدو ، بأن يتقدم علينا ، فيدفع العدو
ونحن خلفه .

(۷) نلوذ : نستتر ونلتجىء إليه .

(۸) هذا الضبط في ب . وفي ضبط العين بالفتحة .

(۹) أي لقرب النبي من العدو .

وعن أنس^(۱) : كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس ؛ لقد فرغ أهل المدينة ليلة ، فانطلق ناسٌ قبيل^(۲) الصوت ، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً ، قد سبقهم إلى الصوت ، واستبرأ الخبر^(۳) على فرسٍ لأبي طلحة عُرِي^(۴) ، والسيفُ [۳۷] في عنقه ، وهو يقول : لن تُراعوا^(۵) . وقال عمران بن حصين : ما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة^(۶) إلا كان أول من يضرب .

ولما رآه أبي بن خلف يوم أحد وهو يقول : أين محمد ، لا تنجوتُ إن نجأ^(۷) . وقد كان يقول^(۸) للنبي صلى الله عليه وسلم - حين افتدى^(۹) يوم بدر : عندي فرسٌ أعلفها كل يوم فرقاً من^(۱۰) ذرةٍ أقتلكَ عليها . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أنا أقتلكَ إن شاء الله .

فلما رآه يوم أحد شد^(۱۱) أبي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاعترضه رجالٌ من المسلمين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هكذا^(۱۲) ، أي خلوا

(۱) الحديث في صحيح البخارى : ۸ - ۱۶ ، وسنن ابن ماجه : ۹۲۶

(۲) قبل الصوت : جهته ونحوه . (۳) استبرأ الخبر : وقف على حقيقته .

(۴) عرى : ليس على ظهره شيء ، من سرج أو غيره .

(۵) لن تراعوا : الروع : الخوف ؛ أي ليس هناك شيء تخافونه .

(۶) كتيبة : جماعة عظيمة من الجيش .

(۷) دعاء على نفسه بالهلاك إن نجأ النبي .

وارجع في هذه الحادثة إلى المغازى للواقدي : ۲۵۱ ، وسيرة ابن هشام : ۳ - ۳۲

(۸) القائل هو أبي بن خلف .

(۹) افتدى : أي افتدى أسيراً له ، وهو ابنه عبد الله . والافتداء : إعطاء الفدية لافتكك

الأسير . (۱۰) الفرق : مكيال يسع ستة عشر رطلاً (النهاية) .

(۱۱) شد : عدا وأسرع . (۱۲) هكذا : اتركوا سبيله .

طريقه ؛ وتناول الحربه من الحارث بن الصمة ، فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه
تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض (۱) ، ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم ،
فطعنه في عنقه طعنة تدأداً منها (۲) عن فرسه مراراً .

وقيل : بل كسر ضاعاً من أضلاعه ، فرجع إلى قريش يقول : قتلتني محمد ،
وهم يقولون : لا بأس بك . فقال : لو كان (۳) ما بي بجميع الناس لقتلهم ، أليس قد
قال : أنا أقتلك ، والله لو بصق على لقتلني . فمات بسرف في قفولهم إلى مكة (۴) .

فصل ۱۵

وأما الحياء والإغضاء : فالحياء (۵) رقة تعترى وجه الإنسان عند فعل
ما يتوقع كراهته (۶) ، أو ما يكون تركه خيراً من فعله .
والإغضاء : التغافل (۷) عما يكره الإنسان بطبيعته .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس حياءً ، وأكثرهم عن العورات
إغضاءً (۸) ؛ قال الله سبحانه (۹) : ﴿ إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَجِئْ مِنْكُمْ ،
وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِئُ مِنَ الْعَقِّ . . . ﴾ الآية .

(۱) انتفض بها انتفاضة : قام بها قومة سريعة . تطايروا : تفرقوا فارين مسرعين . والشعراء :
ذبابه لها إبرة (هامش ا ، ب) . وفي المغازي : تطاير الشعارير ، والشعارير : جمع الشعراء .
قال ابن هشام : الشعراء : ذباب صغير له لدغ . وفي النهاية : في الحديث : تطاير الشعر - بضم
السين وسكون العين ، وهو جمع الشعراء . وروى : الشعارير ، وقياس واحده شعور .

(۲) تدأداً : تدحرج ، وسقط ، ومال . وقال ابن هشام : تدأداً : يقول تقلب عن فرسه
فجعل يتدحرج . (۳) في المغازي : لو كان الذي بي بأهل ذي المجاز لما أتوا أجمعون .

(۴) سرف : اسم جبل قريب من مكة . قفولهم : رجوع الكفار إلى مكة .

(۵) في ا : والحياء . (۶) ما يتوقع كراهته : المراد ما من شأنه أن يكره .

(۷) التغافل : المراد التجاوز .

(۸) العورات : كل ما يقبح إظهاره ، وهو جمع عورة . إغضاء : سكوتا وتجاوزا .

(۹) سورة الأحزاب ، آية ۵۳

حدثنا أبو محمد بن عتّاب ، بقراءتي عليه ؛ قال : حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ،
حدثنا أبو الحسن القاسبي ، حدثنا أبو زيد المرّوزي ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا
محمد بن إسماعيل ، حدثنا عبدان ، حدثنا عبدُ الله [مولى أنس] ^(١) ، حدثنا شعبة ، عن
قتادة ، سمعتُ عبدَ الله مولى أنس ، يحدثُ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه :
كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أشدَّ حياءً من العذراء في خدْرِها ^(٢) . وكان إذا
كرِه شيئاً عرفناه في وجهه .

وكان صلى الله عليه وسلم لطيفَ البشرة ^(٣) ، رقيقَ الظاهر ^(٤) ، لا يشافِه ^(٥)
أحدًا بما يكرهه حياءً وكرمَ نفس .

وعن عائشة رضي الله عنهما : كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن أحدٍ
ما يكرهه لم يقل : ما بال ^(٦) فلان يقول كذا ؟ ولكن يقول : ما بال أقوام يصنعون ،
أو يقولون ^(٧) كذا لينهى عنه ، ولا يُسمي فاعله ^(٨) .

وروى أنس أنه دخل عليه رجلٌ به أثرُ صفرة ^(٩) ، فلم يقل له شيئاً - وكان

(١) من ب .

(٢) الخدر : البيت أو الستر في جانب البيت ، أو قبة تضرب لها . والحديث في ابن

ماجه : ١٣٩٩ ، وصحيح مسلم : ١٨٠٩ ، والبخاري : ٨ - ٣٥

(٣) البشرة : ظاهر جلد الوجه والجسد كاه .

(٤) الظاهر : ما يظهر من بدنه رقيق ، يظهر فيه بسرعته آثار الانفعالات النفسية .

(٥) لا يشافِه أحدًا : لا يكلم أحدًا ولا يواجهه .

(٦) البال : هو الحال والشأن .

(٧) إشارة وكناية عما يكره ، فلا يعين الصانع أو القائل .

(٨) ولا يسمي فاعله : أي بصريح اسمه ، بل يكنى عنه . ونهيه عما أنكره مأخوذ من الاستفهام

الإنكاري ، وسياق الكلام في قوله : ما بال فلان . والحديث في سنن أبي داود : ٢ - ١٨٦

(٩) المراد بالصفرة لون الورد والزعفران ، يعني أنه كان خضب بذلك فبقى عليه بقية منها .

لا يواجهُ أحداً بما يكره - فلما خرج قال : لو قلتُم له : يغسلُ هذا^(١) - ويُرَوَى :
يَنْزَعُهَا^(٢) .

قالت عائشة في الصحيح^(٣) : لم يكن النبيُّ صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا مُتَفَحِّشاً^(٤) ،
ولا سَخَّاباً بالأسواق^(٥) ، ولا يَجْزِي بالسِيئةِ السيئةَ ، ولكن يعفو ويصفحُ .

وقد حَكِيَ مثلُ هذا الكلام^(٦) عن التوراة ، ومن رواية [عبدالله]^(٧) بن سلام ،
وعبد الله بن عمرو بن العاص .

ورَوَى عنه أنه كان من حَيَّائِهِ لا يُثْبِتُ بصرَهُ في وَجهِ أَحَدٍ ، وأنه كان يَكْنِي
عما اضطره الكلامُ إليه مما يُكْرَهُ .

وعن عائشة : ما رأيتُ فرَجَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قط .

فصل ١٦

وأما حُسْنُ عَشْرَتِهِ وأدبُهُ وبَسْطُ خَلْقِهِ^(٨) صلى الله عليه وسلم مع أصنافِ الخَلْقِ
فبِحَيْثُ انتشرت^(٩) به الأخبارُ الصحيحة .

(١) هذا : أى أثر الصفرة والحضاب .

(٢) ينزعها : يزيلها . والشك من الراوى . والحديث في سنن أبي داود : ٢ - ١٨٦

(٣) في الحديث الصحيح المروى عنها ، كما أخرجه البخارى : ٨ - ١٥ ، والترمذى : ٤ - ٣٤٩

(٤) الفحش : كل أمر قبيح ، أو شديد القبح قولاً وفعلًا ، والفاحش : من يصدر

ذلك عنه . والمتفحش : من يتعمده ويبالغ فيه ؛ والظاهر أن المراد به بذاءة اللسان هنا .

(٥) سخاب : من الصخب ، وهو رفع الصوت بمبالغة فيه ؛ وخص الأسواق ، لأنه فيها

أقبح ، ولأنها محلها ، وأما في المنزل ونحوه فلا حاجة إليه . وهو بالسین ، والصاد .

(٦) مثل هذا : الذى قالته عائشة . (٧) من ب .

(٨) بسط خلقه : المراد سعة خلقه . وقد ضبطت الطاء بالضم والكسرة وعليها «معا» في ١ .

(٩) انتشرت : كثرت واشتهرت .

قال علي رضي الله عنه [۳۸] في وصفه عليه الصلاة والسلام : كان أوسع الناس صدرا ، وأصدق الناس أهجة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة (۱) .
 حدثنا أبو الحسن علي بن مشرق (۲) الأنماطي فيما أجازنيه ، وقرأته على غيره ، قال : حدثنا أبو إسحاق الحبال ، حدثنا أبو محمد بن النجاس ، حدثنا ابن الأعرابي ، حدثنا أبو داود ، حدثنا هشام أبو مروان ، ومحمد بن المثنى : قالا : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا الأوزاعي ، سمعت يحيى بن أبي كثير يقول : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زراراة ، عن قيس بن سعد ، قال : زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - وذكر قصة في آخرها (۳) : فلما أراد الانصراف قرَّب له سعدُ حماراً ، وطأ عليه (۴) بقطيفة ، فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال سعد : يا قيس ؛ اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال قيس : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اركب ، فأبيت . فقال : إما أن تركب وإما أن تنصرف . فانصرفت .

(۱) المراد بسعة صدره تحمله صلى الله عليه وسلم مشاق الناس وكثرة تكاليفهم . واللهجة : المراد الكلام . أصل العريكة : السنام ، والمراد أنه أسهل الناس طبعا ، وأنه سلس مطاوع منقاد قليل المخالفة لانهور فيه . وفي ۱ : أجود ، وعليها علامة الصحة . وفي هامشه : أوسع ، وعليها «صح» أيضا . (۲) هذا الضبط في ۱ ، ب . وهو بالفاء في ميزان الاعتدال : ۳-۱۵۶ (۳) هي ما وقع له مع عبد الله بن أبي بن سلول ؛ إذ مر به وهو جالس مع أخلاط المسلمين وغيرهم ، فغشى المجلس غبار دابته صلى الله عليه وسلم ، فخر ابن سلول أنفه بردائه ، وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتغبروا علينا ، ارجع إلى رحلك ، فمن جاءك منا فاقصص عليه ؛ فاستب المسلمون مع المشركين حتى هموا أن يتواثبوا ، فنههم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ركب دابته حتى دخل على سعد رضي الله عنه ، وذكر ذلك له ، فقال له : يا رسول الله ؛ اعف عنه واصفح ، فلقد اتفق أهل هذه البحيرة على أن يعصبوه ، فلما رد الله ذلك بالحق الذي جئت به شرق بذلك ، فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ... (نسيم الرياض : ۲-۷۱) (۴) وطأ عليه بقطيفة : القطيفة : كساء له وبر ونخل وضعه على ظهر الحمار ليركب عليه .

[وفي رواية أخرى : اركب أمامي ، فصاحب الدابة أولى بمقدمها]^(١) .
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ، ولا ينفقهم^(٢) ، ويكرم كريم
 كل قوم ويؤليه عليهم ، ويحذر^(٣) الناس ، ويحترس منهم من غير أن يطوى عن
 أحد منهم بشره^(٤) ولا خلقه ؛ يتفقد أصحابه^(٥) ، ويعطى كل جلسائه نصيبه ،
 لا يحسب جلساءه أن أحدا أكرم عليه منه . من جالسه أو قاربه لحاجة صابره^(٦)
 حتى يكون هو المنصرف عنه ، ومن سأله حاجة لم برده إلا بها ، أو بميسور^(٧) من
 القول ؛ قد وسع الناس بسطه^(٨) وخلقه ، فصار لهم أباً ، وصاروا عنده في
 الحق سوا .

بهذا وصفه ابن أبي هالة ؛ قال : وكان دائم البشر^(٩) ، سهل الخلق ، لين
 الجانب ، ليس بنظّ ولا غليظ^(١٠) ، ولا سخاب ، ولا فحاش^(١١) ولا عياب ، ولا
 مداح ، يتفاقل عما لا يشبهى ولا يؤيس منه^(١٢) .

(١) ما بين القوسين كتب عليه في ا ، ب : من غير الرواية .

(٢) يؤلفهم : يؤلف المسلمين بإيثارهم ومداراتهم ليزداد إيمان من كان قريب عهد بالإسلام ،
 وليحس من كان مخلصا بجبره خاطره والتودد إليه .

ولا ينفقهم : أى لا يتلقاهم بما يصير سببا لنفورهم .

(٣) فى ا : ويحذر - بتشديد الدال . وفى ا : يحذر - بفتح الياء والدال .

(٤) بشره : بشاشته .

(٥) يتفقد أصحابه : أى من فقدته من أصحابه يسأل عنه أو يزوره ، أو يرسل إليه

من يتعهد . (٦) صابره : أى صبر على سؤاله وعلى ذكر حوائجه .

(٧) بميسور من القول : كوعده ، أو تسليته . (٨) بسطه : سرور ظاهره ، وطيب باطنه .

(٩) البشر : طلاقة الوجه وبشاشته ، لا يعبس فى وجه أحد . وابن أبي هالة : هو هند

ربيبته من خديجة . (١٠) الفظ : الكريه الخلق . والغلظ : ضد الرقة .

(١١) سخاب - بالصاد والسين : كثير الصياح . فحاش : ذا فحش فى قوله أو فعله .

(١٢) لا يؤيس منه : لا ييأس أحد من فيض جوده وأثر كرمه .

وقال الله تعالى (١) : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا (٢) مِنْ جَوْلِكَ ﴾ .

وقال تعالى (٣) : ﴿ اذْنَعُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السِّيْثَةِ ، نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ .
 وكان يُجِيبُ مَنْ دَعَاهُ ، وَيَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلَوْ كَانَتْ كِرَاعًا (٤) وَيُكَافِي بِعَلَيْهَا (٥) .
 قال أنس : خدمتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عشرَ سنين ، فما قال لي أفٌ قطُّ (٦) ، وما قال لشيءٍ صنعتهُ : لم صنعتهُ ؟ ولا لشيءٍ تركتهُ : لم تركتهُ (٧) ؟
 وعن عائشة رضي الله عنها : ما كان أحدٌ أحسنَ خلقًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما دعاه أحدٌ من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال : لبيك (٨) .
 وقال جرير بن عبد الله : ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذُ أسلمتُ ، ولا رآني إلا تبسم .

وكان يمازح أصحابه ، ويخاطبهم ويحادثهم ، ويداعب (٩) صبيانهم ، ويجلسهم في حجره (١٠) ، ويجيب دعوة الحرِّ والعبد، والأمة والمسكين، ويعود الرضى في أقصى (١١) المدينة ، ويقبلُ عذرَ المعتذر .

(١) سورة آل عمران ، آية ١٥٩

(٢) انفضوا : تفرقوا ولم يجتمعوا عليك ، ولكنك باين جانبك لهم وشفقتك عليهم تؤلف قلوبهم وتزيد محبتهم .

(٣) سورة المؤمنون ، آية ٩٦
 (٤) كراعا : السكراع : ماتحت الركبة إلى الخف والحافر والظاف . وفي هامش ب : السكراع - من الدواب : ما يدون الكعب . والمراد أنه يقبل الهدية ولو كانت حقيرة .

(٥) ويكافي عليها : يجازي على الهدية بشيء مثاها أو أكثر .

(٦) أف : كلمة تقال لما يكره ويتضجر منه . وفي مسلم : أفا .

(٧) الحديث في صحيح مسلم (١٨٠٤) ، وأبو داود : ٢ - ١٨٥

(٨) لبيك : كلمة يجاب بها المنادى . والحديث رواه أبو نعيم في دلائل النبوة بسند واه .

(٩) المداعبة : المازحة مع لعب . (١٠) هذا في ب . وفي أ : حجزه - بضم الحاء ، والزاي .

وحجر الإنسان - بالفتح والسكر : حضنه وثوبه (اللسان - حجر) . والحجز : الناحية .

(١١) في أقصى المدينة : في أبعد مكان منها .

قال أنس : ما التَّمَّ أَحَدٌ^(۱) أُذُنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَنْحَى رَأْسَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَنْحَى^(۲) رَأْسَهُ ، وَمَا أَخَذَ أَحَدٌ بِيَدِهِ فَيُرْسِلُ^(۳) يَدَهُ حَتَّى يَرْسِلَهَا الْآخِرَ^(۴) ؛ وَلَمْ يَرْ مُقَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ^(۵) لَهُ .

وكان يبدأ من لقيه بالسلام ، ويبدأ أصحابه بالمصافحة ، ولم ير قطُّ مادًّا رجليه بين أصحابه حتى يضيقَ بهما على أحد . يكرم من يدخلُ عليه ، وربما بسطَ له ثوبه ، ويؤثره^(۶) بالوسادة التي تحته ، ويعزمُ عليه في الجلوس عليها إن أبى ، ويكفي أصحابه^(۷) ، ويدعوهم بأحبِّ أسمائهم تكرمته لهم ، ولا يقطعُ على أحد حديثه حتى يتجاوز^(۸) فيقطعه بنهي أو قيام - ويروي : بانتهاء أو قيام .

ويروي أنه كان [۳۹] لا يجلسُ إليه أحدٌ وهو يصلي إلا خففَ صلاته ، وسأله عن حاجته ، فإذا فرغ عاد إلى صلاته .
وكان أكثرَ الناسِ تبسُّمًا ، وأطيبهم نفسًا ، ما لم ينزل عليه قرآنٌ أو يعظُّ أو يخطبُ^(۹) .

-
- (۱) ما التَّمَّ أحدُ أذن رسول الله : ما جعل أحدُ أذنه محاذية لئمه فتحاذيه ، والمراد ما حدثه أحد عند أذنه . والحديث في سنن أبي داود : ۱۸۷ .
(۲) ينحى رأسه : أي يبعدها ويجعلها في ناحية منه .
(۳) يرسل يده : أي يطلقها ويفسكها من يده .
(۴) عليها علامة الصحة في ا ، ب . وفي هامشها : الآخذ .
(۵) ولم ير مقدمًا ركبتيه : المراد أنه يخفض ركبتيه تعظيمًا لجلسائه . وقيل المراد بالركبتين الرجلين ؛ أي كان لا يمد رجليه بين أصحابه ؛ يعني أنه صلى الله عليه وسلم كان يساوي جليسه ، ولا يتقدم عليه بركبتيه حتى كان الغريب يجيء فلا يعرفه ويسأل عنه .
(۶) ويؤثره ، الإيثار : تقديم غيره على نفسه في بعض الأمور ؛ أي يفضل غيره .
(۷) يكتفي أصحابه : يضع لهم كنية ، كأبي فلان ، أو يدعوهم بالكنية تكرمهم .
(۸) حتى يتجاوز : حتى يكثر فيتجاوز الحد . أو يخرج إلى ما لا يليق .
(۹) هذا الضبط في ا . وفي ب ضبطت الظاء في « يعظ » والباء في « يخطب » بالضم .

قال عبدُ الله بن الحارث : ما رأيتُ أحداً أكثر تبسُّماً من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

وعن أنس^(۱) : كان خَدَمُ المدينة يأتون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغدَاةَ^(۲) بِأَنْيَتِهِمْ فِيهَا الْمَاءُ ، فَمَا بُوَّتِي بِأَنِيَّةٍ إِلَّا غَسَّ يَدَهُ فِيهَا ، وَرَبَّمَا كَانَ ذَلِكَ فِي الْغَدَاةِ^(۳) الْبَارِدَةِ - يريدون به التَّبَرُّكَ^(۴) .

فصل ١٧

وأما الشفقةُ والرأفةُ والرحمةُ لجميعِ الخلقِ^(۵) فقد قال الله تعالى فيه^(۶) : ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(۷) .

وقال تعالى^(۸) : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ .

قال بعضهم : من فضله عليه السلام أن الله تعالى أعطاه اسمين من أسمائه ، فقال : « بالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ » .

وحكى^(۹) نحوه الإمام أبو بكر بن فُورَك . حدثنا الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي عليه ، حدثنا إمام الحرمين^(۱۰) أبو علي الطبري ، حدثنا عبدُ الغافر

(۱) صحيح مسلم : ۱۸۱۲ (۲) الغدَاة : صلاة الصبح .

(۳) الغدَاة : أول النهار .

(۴) بعده في ب : صلى الله عليه وسلم ، كما ذكره الداكرون ، وغفل عن ذكره النافلون .

(۵) قال في نسيم الرياض (۲ - ۸۴) : الفرق بين هذه الثلاثة أن الشفقة رحمة ورقة

قلب وخوف من نزول مكروه بمن يشفق عليه . والرأفة : التلطف بمن يريد إكرامه بالبشر والإيناس ، وليست أشد من الرحمة كما توهمه بعضهم .

(۶) سورة التوبة ، آية ۱۲۸

(۷) ما عنتم : العنت : المشقة ؛ أي يصعب عليه مشقتكم وما يؤلمكم لرأفته ورحمته .

(۸) سورة الأنبياء ، آية ۱۰۷

(۹) في ب : قال : حدثنا نحوه . . .

(۱۰) في ب : إمام الحرمين حدثنا أبو علي الطبري .

الفارسي ، حدثنا أبو أحمد الجلودي ، حدثنا إبراهيم بن سفيان ، حدثنا مسلم
ابن الحجاج ، حدثنا أبو الطاهر ، أنبأنا يونس ، عن ابن شهاب ، قال : غزا رسول
الله صلى الله عليه وسلم غزوة^(١) ، وذكر حنيننا^(٢) ، قال : فأعطى رسول الله صلى الله
وسلم صفوان بن أمية مائة من النعم^(٣) ؛ ثم مائة ، ثم مائة .

قال ابن شهاب ، حدثنا سعيد بن المسيب أن صفوان قال : والله لقد أعطاني
ما أعطاني وإنه لأبغض الخلق إليّ ، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إليّ^(٤) .
وروي أن أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا ، فأعطاه ؛ ثم قال : أحسنت إليك ؟
قال الأعرابي : لا ، ولا أجمت^(٥) .

فغضب المسلمون وقاموا إليه^(٦) ، فأشار إليهم أن كفوا ، ثم قام ودخل منزله ،
وأرسل إليه ، وزاده^(٧) شيئا ، ثم قال : أحسنت إليك ؟ قال : نعم ، فجزاك الله من
أهل^(٧) وعشيرة خيرا .

(١) من غزوات الرسول . وحين : واد بين مكة والطائف . وكانت هذه الغزوة في شوال
سنة ثمان (شرح القاري : ١ - ٢٧٥) . والحديث في صحيح مسلم : ١٨٠٦

(٢) النعم : اسم جامع للإبل ، لا واحد له من لفظه ، وجمعه أنعام : وقال العريزي :
هو الإبل والبقر والغنم .

(٣) كان أشد الناس عداوة له لقتل أبيه يوم بدر ، ولما شهد وهو كافر حنيننا ثم رجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة ؛ فبينما هو يسير في الغنائم ينظر إليها ومعه صفوان -
جعل صفوان ينظر إلى شعب مليء نعما وشاء - وأدام النظر إليها ، ورسول الله صلى الله عليه
وسلم يرمقه . فقال له : أبا وهب ؛ يمجبك هذا الشعب ؟ قال : نعم . قال : هو لك وما فيه .
فقال صفوان : ما طابت بهذا إلا نفس نبي ؛ أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا عبده
ورسوله . وارجع إلى الإصابة (٣ - ٤٣٣) . (٤) أجمت : فعلت فعلا جميلا محمودا .

(٥) وقاموا إليه ليضربوه ويجاوزوه بما يستحقه .

(٦) زاده شيئا : أي على ما أعطاه أولا .

(٧) من أهل وعشيرة خيرا : المراد بدلا من أهل وعشيرتي الذين لم يحسنوا إلي .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إنك قلت ما قلت وفي أنفص أصحابي من ذلك شيء ، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك .

قال : نعم . فلما كان الغد أو العشي^(١) جاء ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن هذا الأعرابي قال ما قال ، فزدناه فزعم أنه رضى ، أ كذلك ؟ قال : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا .

فقال صلى الله عليه وسلم : مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت^(٢) عليه ، فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا ، فناداهم صاحبها : خلوا بيني وبين^(٣) ناقتي ، فإنى أرفق بها منكم وأعلم^(٤) ، فتوجه لها بين يديها^(٥) ، فأخذ لها من قمام الأرض^(٦) ، فردها حتى جاءت واستناخت^(٧) ، وشد عليها رحلها^(٨) ، واستوى^(٩) عليها ، وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار^(١٠) .

(١) فلما كان الغد أو العشي : المراد بالغد صبيحة اليوم الذي بعد اليوم الذي كلف فيه النبي . والغداة من طلوع الفجر إلى الزوال . والعشي : ما بعد الزوال إلى الغروب . والشك هنا من الراوى .

(٢) شردت ناقته : تفرت منه وذهبت في الأرض .

(٣) خلوا بيني وبين ناقتي : لاتبعوها واتركوني أحتال في إمساكها .

(٤) أى أنا أشفق عليها وأعلم بحالها منكم .

(٥) أى جاءها من أمامها .

(٦) قمام الأرض : القمام : جمع قمامة : كناية . والمراد بها النبات الذى ترعاه الدواب .

(٧) استناخت : بركت ومكثت عنده .

(٨) رحلها : الرحل للابل كالسرج للفرس .

(٩) واستوى عليها : ركبها .

(١٠) دخل النار عقوبة له بإساءته إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

قال فى نسيم الرياض : وهذا الحديث رواه البزار ، وأبو الشيخ بسند ضعيف عن أبي هريرة

رضى الله عنه ، وابن حبان فى صحيحه ، وابن الجوزى فى الوفا .

وروي عنه^(١) أنه صلى الله عليه وسلم قال : لا يُبَلِّغُنِي^(٢) أحدٌ منكم عن أحدٍ من أصحابي شيئا ، فإني أحبُّ أن أخرج إليكم وأنا سليمُ الصدر^(٣) .
ومن شفقتة على أمته عليه السلام تخفيفه وتسهيبه عليهم ، وكرهته أشياء مخافة أن تُفرضَ عليهم ، كقوله : لولا أن أشقَّ على أمتي^(٤) لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء^(٥) .

وخبرُ صلاةِ الليل^(٦) ، ونهيهم عن الوصال^(٧) ، وكرهته دخولَ الكعبة اثلا يعنت^(٨) أمته ، ورغبته لربه أن يجعلَ سببه ولعنه لهم رحمةً بهم ، وأنه كان يسمعُ بكاءَ الصبي فيتجوَّز^(٩) في صلاته .

ومن شفقتة صلى الله عليه وسلم [٤٠] أن دعا ربه وعاهده ، فقال : أيُّمَّا رجلٍ

-
- (١) الزاوي له أبو داود والترمذي عن ابن مسعود (سنن أبي داود : ٢ - ١٩٢) .
 - (٢) ضبطت الباء بالسكون وبالفتحة ، وكتب عليها « معا » في ب .
 - (٣) سلامة الصدر كناية عن كونه ليس في قلبه بغض ولا غضب على أحد .
 - (٤) لولا أن أشق على أمتي : لولا مخافة المشقة عليهم .
 - (٥) بهذا الحديث رواه أصحاب الكتب الستة . (صحيح مسلم : ٢٢٠)
 - (٦) قال لهم النبي : خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها .
 - (٧) الوصال في الصوم : هو أن يصوم يومين أو أكثر من غير أكل وشرب بينها ، ونهيه عن الوصال ثابت في الصحيحين (صحيح مسلم : ٧٧٤)
 - (٨) يعنت : من العنت ؛ وهو المشقة والإثم . وفي ب ضبطت : يعنت كما أثبتنا ، وضبطت أيضا بسكون العين وكسر النون ، وكتب عليها « معا » . وفي هامشه : خ : يتعب . وفي : يعنت كما أثبتنا ، وعليها علامة الصحة .
 - وحديث كراهته دخول الكعبة في حديث رواه أبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها وصححاه ، وكذا رواه ابن خزيمة ، والحاكم عنها أيضا مصححا مسندا . (سنن أبي داود : ١ - ٢٠١)
 - (٩) المراد هنا أنه يخففها ويسرع فيها .

سَبَبَتْهُ أَوْ لَعْنَتْهُ (١) فَاجْعَلْ ذَلِكَ لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً (٢) ، وَصَلَاةً وَطَهْرًا ، وَقُوَّةً تَقْرَبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٣) .

وَمَا كَذَّبَهُ (٤) قَوْمُهُ أَتَاهُ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ (٥) السَّلَامُ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ أَمَرَ مَلَكُ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، فَنَادَاهُ مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : مُرْنِي بِمَا شِئْتَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ (٦) .

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا يَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا .

وَرَوَى ابْنُ الْمُنْكَدِرِ أَنَّ جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ أَنْ تُطِيعَكَ . فَقَالَ : أَوْخَرُ عَنْ أُمَّتِي لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ (٧) .

قَالَتْ عَائِشَةُ : مَا خَيْرُ رَسُولٍ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا (٨) .

(١) اللعن : أصل معناه الطرد والإبعاد ، ثم خص بالبعد من رحمة الله .

(٢) زكاة : تطهيرا له مما ارتكبه . (٣) صحيح مسلم : ٢٠٠٧

(٤) وهذا من عظيم شفقتة أيضا . وهذا الحديث في البخارى : ٤ - ١٤٠

(٥) في ب : عليهما .

(٦) الأخشبان : مثنى أخشب : جبلان يضافان تارة لمكة وتارة لمنى ، فيقال : أخشبا مكة ، وأخشبا منى ، وهما أبو قبيس وقميقعان . وفي هامش ا : الأخشب : جبال مكة ، وقد يقال لكل جبل أخشب . وأنشد أبو عبيد : كأن فوق منكبيه أخشبا .

(٧) أى يرجعوا عن المعاصى ، ويقبل الله منهم ذلك .

(٨) أيسرهما : أسهلها وأهونها على الأمة شفقة ورحمة منه عليهم . وبقية الحديث : ما لم

يكن إثما ، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه . والحديث في صحيح مسلم : ١٨١٣ ، وصحيح

البخارى : ٤ - ٢٣٠

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا^(١) بالموعظة مخافة السامة علينا .

وعن عائشة أنها ركبت بعيرا وفيه صعوبة ، فجملت تردده^(٢) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عليك بالرفق^(٣) .

فصل ١٨

وأما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء ، وحسن العهد ، وصلة الرحم^(٤) - فحدثنا القاضى أبو عامر محمد بن إسماعيل بقراءتى عليه ؛ قال : حدثنا أبو بكر محمد بن محمد ، حدثنا أبو إسحاق الحبال ، حدثنا أبو محمد بن النجاس ، حدثنا ابن الأعرابى ، قال : حدثنا أبو داود ؛ قال : حدثنا محمد بن يحيى ؛ قال : حدثنا محمد بن سنان ؛ قال : حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن بدليل ، عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق ، عن ابنه ، عن عبد الله بن أبي الخمساء^(٥) ، قال : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم يبيع^(٦) قبل أن يبعث ، وبقيت له بنية ، فوعدته أن آتية بها فى مكانه ، فنسيت^(٧) ، ثم ذكرت

(١) يتخولنا : يتعهدنا . والحديث فى صحيح مسلم : ٢١٧٢

(٢) تردده : تمشى به وترجع ؛ وإنما فعات ذلك لتروضه حتى ينقاد لها .

(٣) فهذا دليل على شفقتة . وهذا الحديث فى صحيح مسلم : ٢٠٠٤

(٤) الوفاء : ضد النذر ونقض العهد . وحسن العهد : أى معااهد عليه والتزمه .

وصلة الرحم : الإحسان إلى الأقارب والأصهار والرفق بهم والنفوس عن زلاتهم ، ونصحهم والتودد لهم .

(٥) فى هامش ب : قال الحافظ المزى : بعضهم يرويه أبى الحساء - بتقديم السين على الميم .

والأول أصح . والله أعلم . وقال القارى (١ - ٢٨١) : وهو بتقديم السين تصحيف .

(٦) أى باع مبيعا للنبي صلى الله عليه وسلم .

(٧) فنسيت : أى الوعد الذى جرى بيننا .

بعد ثلاث ، فَبُيِّنَتْ فَاِذَا هُوَ فِي مَكَانِهِ ^(١) ، فقال : يافتي ، لقد شَقَقْتُ عَلَيَّ ، انا ها هنا منذ ثلاث أَنْتَظِرُكَ ^(٢) .

وعن أنس : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى بهدية قال : اذهبوا بها إلى بيتِ فلانة ؛ فإنها كانت صديقةً لخديجة ، إنها كانت تحبُّ خديجة ^(٣) .

وعن عائشة قالت : ما غررتُ على امرأة ما غررتُ على خديجة ، لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذُّ كُرْهًا ، وَإِنْ كَانَ لِيَذَّبُحُ الشاةَ فَيُهْدِيهَا إِلَى خَلَائِئِهَا ^(٤) .
واستأذنت عليه أختها ^(٥) فارتاح إليها .

ودخلت عليه امرأة ، فهِشَّ ^(٦) لها ، وأحسن السؤال عنها ، فلما خرجت قال : إنها كانت تأتينا أيامَ خديجة ، وَإِنْ حُسِنَ الْعَهْدُ مِنَ الْإِيمَانِ ^(٧) .

ووصفه بعضهم ، فقال : كَانَ يَصِلُ ذَوِي رَحْمَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤَثِّرَهُمْ ^(٨) عَلَى مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ .

(١) فإذا هو في مكانه : فإذا النبي في مكانه لم يفارقه .

(٢) هذا الحديث رواه أبو داود (٢ - ٢٠٣) ، وهو من أفرادهِ ، قال السيوطي : وأخرجه ابن مندة في المعرفة ، والحرائطي في مكارم الأخلاق .

(٣) هذا الحديث رواه البخاري في الأدب .

(٤) خلائها : جمع خلية ، بمعنى الصاحبة والصديقة .

والحديث في البخاري : ٥ - ٤٨ ، وفيه : وَإِنْ كَانَ لِيَذَّبُحُ الشاةَ فَيُهْدِي إِلَى خَلَائِئِهَا مِنْهَا مَا يَسْمَعُنَ .

وخلائها : جمع خلية ، أي صديقاتها .

(٥) أختها : أخت خديجة ، وهي هالة بن خويلد .

(٦) هش لها : فرح وأظهر السرور بدخولها .

(٧) حسن العهد : أي رعاية اليهود القديمة ، ورعاية من يحبك أو يحب من يحبك . من

الإيمان : من مقتضيات الإيمان .

(٨) يؤثرهم : يخصهم ويقدمهم .

وقال صلى الله عليه وسلم : إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء غير أن لهم رحماً
سأبئها ببئالها^(١) .

وقد صلى عليه السلام بأمامة ابنة ابنته يحملها على عاتقه ، فإذا سجد وضعها ،
وإذا قام حملها^(٢) .

وعن أبي قتادة : وقد وفد للنجاشي ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم ،
فقال له أصحابه : نكفيك^(٣) . فقال : إنهم كانوا لأصحابنا مكرهين^(٤) ، وإني أحبُّ
أن أكفهم^(٥) .

ولما جى بأخته من الرضاعة الشيماء في سنبايا^(٦) هو أزن ، وتعرفت له بسط لها
رداءه ، وقال لها : إن أحببت أقمتي عندي مكرمة محبة ، أو متعتك^(٧) ورجعت
إلى قومك ؛ فاختارت قومها فمتتها .

وقال أبو الطفيل [٤١] : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غلام إذا أقبلت

(١) الآل : الأهل والأتباع . وللمراد هنا أبو العاص بن أمية بن عبد شمس ، وكان منافقاً
في أول أمره ، ثم حسن إسلامه . والأولياء : جمع ولي ، وهو القريب ومن يتولى أمره ؛
أى لا أتولاهم ولا أحسبهم من أوليائي لما علمت منهم .

أن لهم رحماً : أى قرابة سأبئها : سأصلها بصلتها اللاتقة بها . والبلال : الرطوبة والنداوة
وكل ما يبل الخلق من المائعات . والمراد الصلة والإحسان . والحديث في صحيح مسلم : ١٩٢ ،
وصحيح البخارى : ٧ - ٨ ، وقال في البخارى : أبها ببئالها ؛ يعنى أصلها بصلتها .

(٢) عاتقه : كتفه . وهذا الحديث رواه البخارى في صحيحه (١ - ١٣٠)

(٣) نكفيك : أى نحن نخدمهم ونكفيك من تعاطى خدمتهم .

(٤) لأصحابنا الذين هاجروا لأرض الحبشة .

(٥) قال السيوطى : هذا الحديث رواه البيهقى في دلائله مسنداً .

(٦) هى بنت حليمة السعدية التى أرضعت النبي صلى الله عليه وسلم . والسبايا : جمع سبية ،

أى مأسورة .

(٧) متعتك : أى يحسن إليها ويعطيها . وهذا منه صلة رحم .

امراً حتى دنت^(۱) منه ، فبسط لها رداءه ، فجلست عليه ، فقلتُ : مَنْ هذه ؟ قالوا : أمه التي أرضعته .

وعن عمر بن السائب^(۲) - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما ، فأقبل أبوه^(۳) من الرضاعة ، فوضع له بعض ثوبه ، فقعد عليه ؛ ثم أقبلت أمه فوضع لها شق^(۴) ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ، ثم أقبل أخوه من الرضاعة ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه .

[وكان يبعث إلى ثويبة^(۵) مولاة أبي لهب مرضعته بصيلة وكسوة ، فلما ماتت سأل : مَنْ بقي من قرابتها . فقيل : لا أحد]^(۶) .

وفي حديث خديجة رضي الله عنها أنها قالت له صلى الله عليه وسلم^(۷) : أبشِرْ ، فوالله لا يُخزِيكَ اللهُ أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب^(۸) المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

(۱) دنت منه : قربت من مكانه الجالس فيه .

(۲) هذا الحديث رواه أبو داود (۲ - ۲۱۷)

(۳) هو العارث بن عبد العزى .

(۴) شق ثوبه : جانبا من ثوبه .

(۵) ثويبة : أول من أرضعته مع ابنها مسروح أياما قبل حليمة . والخبر في الإصابة (۷ - ۵۴۹) .

(۶) في هامش ما بين القوسين من غير الرواية .

(۷) تقدم هذا وشرحه صفحة ۱۴۶ والمحدث في صحيح مسلم : ۱۴۱

(۸) ضبطت التاء في بالضمة والفتحة ، وعليها « معا » . وفي هامشه : تكسب - بالفتح

التاء - أحسن . يقال ، فلان يكسب المعدوم ، إذا كان مجدودا ينال ما يحرمه غيره . ويقال : هو

آكلكم للمأدوم ، وأكسبكم للمعدوم ، وأعطاكم للمحروم .

وفي هامش ب : تكسب - بفتح التاء - أحسن أيضا .

١٩
فصل

وأما تواضعه^(١) صلى الله عليه وسلم ، على علو منصبه^(٢) ورفعة رتبته - فكان أشد الناس تواضعا ، وأقلهم^(٣) كبرا .

وحسبك^(٤) أنه خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا ، فاختر أن يكون نبيا عبدا ، فقال له إسرائيل عند^(٥) ذلك : فإن الله قد أعطاك بما تواضعت^(٦) له أنك سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من تنشق الأرض عنه ، وأول شافع^(٧) .

حدثنا أبو الوليد بن العواد الفقيه - رحمه الله - بقرائه عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسة ، حدثنا أبو علي الحافظ ، حدثنا أبو عمر ، حدثنا ابن عبد المؤمن ، حدثنا ابن داسة ، حدثنا أبو داود ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا عبد الله بن نمير ، عن مسعر ، عن أبي العنابس ، عن أبي العدبس ، عن أبي مرزوق ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة ، قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا ، فقمنا له . فقال : لا تقوموا كما تقوم الأعاجم^(٨) ، يعظم بعضها بعضا . وقال : إنما أنا عبد^(٩) آكل كما يأكل العبد ، وأجاس كما يجلس العبد .

(١) التواضع : إظهار أنه وضيع ، وهو أشرف الناس (الشهاب الحفاجي) .

(٢) المنصب : الأصل والحسب .

(٣) في ب : وأقدمهم كبرا ، وعليها علامة الصحة . وقال القارى (٢ - ٢٨٧) : ذكر

الحجازى أنه رواية . والمعنى أفقدم كبرا .

(٤) حسبك : يكفيك في إثبات ما ذكر .

(٥) عند ذلك : عند اختياره العبودية .

(٦) بما تواضعت له : أى بسبب تواضعك له .

(٧) في صحيح مسلم (١٨٨) : أنا أول شفيع في الجنة .

(٨) الأعاجم : من عدا العرب ، وقد يختص بفارس .

(٩) أى لست بسلطان .

وكان يركب الحمار، ويرُدِفُ^(١) خلفه، ويعودُ المساكينَ، ويُجالسُ الفقراءَ،
ويُجيبُ دَعْوَةَ العبدِ، ويجلسُ بين أصحابه مختلطاً بهم حيثما انتهى به المجلسُ جالساً.
وفي حديثِ عمرَ عنه: لا تُطْرُونِي^(٢) كما أطرت النصارى ابنَ مريمَ، إنما أنا عبدٌ
فقولوا: عَبْدُ اللَّهِ ورسوله.

وعن أنس^(٣) أن امرأةً كان في عقلها شيءٌ^(٤) جاءت به، فقالت: إن لي إليك
حاجةٌ^(٥). قال: اجلسي يا أمَّ فلان في أيِّ طُرُقِ المدينةِ شئتِ اجلسي إليك حتى أفضيَ
حاجتكِ.

قال: فجلست، فجلس النبيُّ صلى الله عليه وسلم إليها حتى فرغت من حاجتها.
قال أنس: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يركبُ الحمارَ، ويُجيبُ دعوةَ
العبدِ؛ وكان يومَ بني قريظةَ^(٦) على حمارٍ مخطومٍ^(٧) بجبلٍ من ليفٍ عليه إكافٌ^(٨).
قال: وكان يُدعى إلى خُبزِ الشعيرِ، والإِهالةِ السِّنخةِ فيجيبُ^(٩).

قال: وحينَ صلى الله عليه وسلم على رَحْلِ رَثٍ^(١٠)، وعليه قَطِيفَةٌ^(١١) ما تساوى

(١) بردف: يجعله رديفاً له؛ أي راكبا خلفه على دابته التي ركبها.

(٢) أطراه: بالغ في مدحه وجاوز الحد؛ أي لا تمدحوني.

(٣) الحديث في سنن أبي داود: ٢ - ١٨٩ (٤) كان في عقلها شيء: أي من جنون.

(٥) أي لي إليك حاجة أريد أن أنهيها إليك وأعلمك بها.

(٦) يوم بني قريظة: اليوم هنا بمعنى الوقعة والنزوة. وبنو قريظة: قوم من اليهود بقرب

المدينة غزاهم النبي قبل غزوة الخندق. (٧) مخطوم: الحطام: ما يقاد به الدابة.

(٨) إكاف: رحل يوضع على ظهر الحمار للركوب عليه، أو البردعة.

(٩) الإهالة: كل ما يؤتدم به من الدهن. أو الدسم الجامد. أو ما يذاب من الإلية،

والسنخة: متغيرة الرائحة.

(١٠) الرحل للجمل كالسرج للفرس، ورت: بال خلق.

(١١) قطيفة: كساء من صوف له خمل.

أربعة دراهم ؛ فقال : اللهم اجعله حجًّا لا رياء فيه ولا سمعة^(۱) .

هذا ، وقد فتحت عليه الأرض ، وأهدى في حجته ذلك مائة بدنة^(۲) .

ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ على رجليه^(۳) رأسه حتى كاد

يمس قدمته تواضعاً لله تعالى^(۴) .

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله^(۵) : لا تفضّلوني على يونس بن متى ،

ولا تفضّلوا بين الأنبياء ، ولا تحيّروني على موسى ، ونحن أحق بالشك من إبراهيم ،

ولو لبثت ما لبث يوسف [٤٢] في السجن لأجبت الداعي^(۶) .

وقال للذي قال له : يا خير البرية : ذلك^(۷) إبراهيم .

وسياتى الكلام على هذه الأحاديث بعد هذا إن شاء الله .

وعن عائشة ، والحسن ، وأبي سعيد ، وغيرهم - في صفة ، وبعضهم يزيد على

(١) الرياء : ما يفعل من عبادة ونحوها لأجل أن يراه الناس فيمدحوا صاحبه به . والسمعة :

ما يفعل ليشتيع ويسمع الناس به .

(٢) أهدى : بعث الهدى ؛ وهو ما يرسل للبيت الحرام لينجر فيه ويتصدق به من الإبل

والبقر ، وكذا البدنة تطلق على الجمل والناقة والبقرة ، وأكثر ما تطلق على الإبل ؛ وسميت

بدنة لكبر بدنها .

(٣) في هامش ا : راحته . وفي ب : راحته ، وفي هامشه : رحله .

(٤) الرجل له مقدم ومؤخر مرتفع عن محل الراكب . وقادمة الرجل : مقدمه .

(٥) قال في نسيم الرياض : قال السيوطي : لم آف عليه بهذا اللفظ ؛ والذي في البخاري ،

عن ابن مسعود رضي الله عنه : لا يقولن أحدكم أنا خير من يونس بن متى . وفي سنن أبي

داود : ما ينبغي لني أن يقول : أنا أفضل من يونس بن متى .

(٦) لبث في السجن بضع سنين . والمراد بإجابة الداعي : رسول الملك الذي دعاه للخروج .

(٧) خص إبراهيم ؛ لأن الله أمره باتباع ملة إبراهيم .

بعض : كان في بيته في مهنة^(١) أهله يفلى ثوبه^(٢) ، ويحلب شاته ، ويرقع ثوبه ، ويخصف نعله^(٣) ، ويخدم نفسه ، ويقم البيت^(٤) ، ويعقل البعير ، ويعلف ناضجه^(٥) ، ويأكل مع الخادم ، ويعجن معها ، ويحمل بضاعته من السوق .

وعن أنس : إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى عليه وسلم فتنتطق به حيث شاءت حتى يقضى حاجتها .

ودخل عليه رجل فأصابته من هيبتته رعدة^(٦) ، فقال له : هوّن عليك ، فإني لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد^(٧) .

وعن أبي هريرة : دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فاشترى سراويل^(٨) وقال للوزان : زن وأرجح^(٩) . وذكر القصة - قال : فوثب^(١٠) إلى

(١) مهنة أهله : المهنة : الخدمة . وكامة « مهنة » ضبطت ميمه بالفتحة والكسرة ، وكتب فوقها « معا » في ا ، ب . وفي هامش ب : بفتح الميم ، وخفضها خطأ ؛ قاله شمر عن مشايخه . وقال غيره : بالكسر وأنكر الفتح . قال الحافظ المزي : كسر الميم أحسن ، لأن مهنة على وزن خدمة ومعناه . وفي البخاري (٨ - ١٧) : . . . سألت عائشة : ما كان النبي يصنع في أهله ؟ قالت : كان في مهنة أهله ، وإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة .

(٢) قيل : المراد بفليه : تفتيشه لخرق فيه ، أو تعلق شيء به من شوك ونحوه ، وكل ذلك للتشريع وإظهار التواضع .

(٣) يخصف نعله : يخرزها .

(٤) يقم البيت : يكنسه ويزيل قمامته .

(٥) ويعلف ناضجه : الناضح : البعير الذي يستقي عليه .

(٦) رعدة : الرعدة : أن يرجف الإنسان ويضطرب .

(٧) القديد : هو اللحم الذي يقطع ويجعل في الشمس حتى يبس .

(٨) قال السيوطي : قد رأيت الذي ذكره المصنف في معجم الطبراني الأوسط ، ومسند أبي يعلى ؛ وفيه أنه صلى الله عليه وسلم لبسها . والسراويل تذكر وتؤنث .

(٩) للوزان : أي الذي يزن الدراهم وينقدها وهو الصيرفي . وأرجح : أي زد له حتى

يترجح الميزان بزيادة السكفة التي فيها الدراهم ، فالرجحان : نزول كفة الميزان لزيادة ما فيها .

(١٠) الذي وثب هو الوزان كما في القاري (١ - ٢٩٤) .

يَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْبَلُهَا، فُجِزَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: هَذَا تَفْعَلُهُ^(١) الْأَعَاجِمُ بِمَلُوكِهِمْ،
وَلَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ. ثُمَّ أَخَذَ السَّرَاوِيلَ، فَذَهَبَتْ لِأَجْمَلِهِ، فَقَالَ:
صَاحِبُ الشَّيْءِ أَحَقُّ بِشَيْئِهِ أَنْ يَحْمِلَهُ.

فصل ٢٠

وَأَمَّا عَدْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَانَتُهُ وَعَفَّتُهُ وَصِدْقُ لَهْجَتِهِ^(٢) - فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمَنَ النَّاسَ، وَأَعْدَلَ النَّاسَ، وَأَعْفَى النَّاسَ، وَأَصْدَقَهُمْ لَهْجَةً مَنْذُ كَانَ،
اعْتَرَفَ لَهُ بِذَلِكَ مُحَادُوهُ^(٣) وَعِدَاؤُهُ.

وَكَانَ يُسَمَّى قَبْلَ نُبُوَّتِهِ الْأَمِينِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ^(٤): كَانَ يُسَمَّى الْأَمِينَ بِمَا جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الصَّالِحَةِ.
وَقَالَ تَعَالَى^(٥): ﴿مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ﴾: أَكْثَرُ الْمَفْسُرِينَ^(٦) عَلَى أَنَّهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمَا اخْتَلَفَتْ قَرِيشٌ وَتَحَازَبَتْ^(٧) عِنْدَ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ فَيَمَنُ يَضَعُ الْحُجْرَةَ
حَكَمُوا^(٨) أَوْلَ دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَاخِلًا - وَذَلِكَ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ؛
فَقَالُوا: هَذَا مُحَمَّدُ الْأَمِينِ قَدْ رَضِينَا بِهِ.

(١) هذا؛ أى التقبيل.

(٢) اللهجة: اللسان والكلام.

(٣) محادوه: جمع محاد - بتشديد الدال المهملة؛ وهو المعادى والمخالف له؛ وهو المحارب

أيضا. وعداءه: أعداؤه ومعادوه.

(٤) قال السيوطى: هذا حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده، والحاكم، والطبرانى

عن على كرم الله وجهه.

(٥) سورة التكوير، آية ٢١. مطاع: مكرم. ثم: عند الملأ الأعلى. أمين: موصوف

(٦) وكثير منهم على أنه جبريل.

(٧) تحازبت: ضارت أحزابا وفرقا لاختلاف آرائهم. وفى ١: تحاربت - بالراء.

(٨) حكموا: ارتضوا بأن يكون الحاكم فى ذلك أول داخل.

والثب فى ب.

وعن الربيع بن خثيم : كان يتَّحَاكمُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الإسلام .

وقال صلى الله عليه وسلم : وآلله إني لأَمِينٌ في السماء أَمِينٌ في الأرض (١) .
حدثنا أبو علي الصَّدَقِ الحافظ بقرائي عليه ، حدثنا أبو الفضل بن خَيْرُون ،
حدثنا أبو يَعْلَى ابن زَوْج الحُرَّة ، حدثنا أبو علي السَّنَجِي ، حدثنا محمد بن محبوب
المَرْوَزِي ، حدثنا أبو عيسى (٢) الحافظ ، حدثنا أبو كَرِيب ، حدثنا معاوية بن هشام ،
عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن ناجية بن كعب ، عن عليٍّ - أن (٣) أبا جهل قال
للنبي صلى الله عليه وسلم : إنا لا نُكذِّبُكَ ، ولكن نكذبُ بما جئتَ به ، فأنزل الله
تعالى (٤) : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (٥) .
وروى غيره : لا نُكذِّبُكَ ولا أنتَ فينا بـمُكذِّب .

وقيل : إنَّ الأَخْنَسَ بن شَرِيقَ لَقِيَ أبا جهل يوم بدر ، فقال له : يا أبا الحَكَمِ ،
ليس هنا غيري وغيرك بسمع كلامنا ، تُخبرني عن محمد ؛ صادق [هو] (٦) أم كاذب؟
فقال أبو جهل : والله إنَّ محمداً صادق ، وما كذب محمد قطُّ .
وسأل هرقل (٧) عنه أبا سفيان ، فقال : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن
يقول ما قال ؟ قال : لا .

(١) يعني أنه مشهور بذلك بين الملأ الأعلى وبين أهل الأرض ؛ لأنه لم يتهم قط بكذب وجور في أحكامه . وهذا الحديث رواه ابن أبي شيبة في مسنده عن أبي رافع .

(٢) هو الترمذي . (٣) سنن الترمذي : ٤ - ٢٦١ (٤) سورة الأنعام ، آية ٣٣

(٥) المراد : لا يكذبونك : لا يحكمون عليك بأن سجيتك الكذب ، لأنك موصوف بالصدق عندهم في جميع شؤونك ما عدا قولك الذي جئت به من عند الله - وهو الآيات - فإنهم يجحدونه . (٦) من ب .

(٧) قصة أبي سفيان مع هرقل مروية في الصحيحين مفصلة . وارجع إليها في صحيح البخاري : ١ - ٧ إن أردت .

وقال النضر بن الحارث ^(١) لقريش : قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ^(٢) ،
أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانةً حتى [٤٣] إذا رأيتم
في صدغيه الشيب ^(٣) ، وجاءكم بما جاءكم به قاتم : ساحر . لا ، والله ، ما هو بساحر .
وفي الحديث عنه : ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقبها ^(٤) .

وفي حديث عليّ - في وصفه صلى الله عليه وسلم : أصدق الناس لهجةً .
وقال في الصحيح : ويحك ! فمن يعدل إن لم أعدل ، خبت وخسرت إن
لم أعدل ^(٥) .

قالت عائشة ^(٦) : ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرين إلا اختار
أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه .
قال أبو العباس المبرّد : قسم ^(٧) كسرى أيامه ؛ فقال : يصلح يوم الرياح للنوم ^(٨) ،
ويوم الغيم للصيد ^(٩) ، ويوم المطر للشرب واللّهو ^(١٠) ، ويوم الشمس للحوائج ^(١١) .

(١) في حديث رواه ابن إسحاق ، والبيهقي ، عن ابن عباس . وكان النضر شديد الأذية
للمسلمين . (٢) حدثنا : شابا .

(٣) كنى بذلك عن أنه تمت رجوليته ، وكل عقله بمجاوزته سن الشباب .

(٤) وهذا من عفته . وهذا الحديث رواه الشيخان عن عائشة : صحيح البخارى : ٩-٩٩

(٥) قد تقدم ذكر هذا الحديث ، وشرح غريبه صفحة ١٣٨ ، وقد ضبطت التاء في الكلمتين

هنا أيضا بالضم والفتحة وعليها « معا » في ا ، ب .

(٦) تقدم أن هذا الحديث في صحيح مسلم صفحة ١٨١٣

(٧) ضبطت السين في ا بالفتحة ، وشددت في ب .

(٨) للنوم والتنظية حتى يسلم من مس الرياح الشديد .

(٩) لعدم أذية الشمس وحرها .

(١٠) لقلة المصالح فيه ، والسلامة من البلال ، والنظافة من الوحول . والمراد باللّهو : سماع

الغناء ومنادمة الندماء .

(١١) المراد بالحوائج : مصالح الناس ، وإنما اختير ذلك اليوم للحوائج لعدم المانع فيه .

قال ابن خالويه : ما كان أعرفهم بسياسة دُنْيَاهُمْ ، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون ، ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزأً نهاره ثلاثة أجزاء ، جزءاً لله ^(۱) ، وجزءاً للأهله ^(۲) ، وجزءاً لنفسه ، ثم جزءاً جزأه بينه وبين الناس ، فكان يستمعين بالخاصة على العامة ، ويقول : أبلغوا ^(۳) حاجة من لا يستطيع إبلاغى ؛ فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع [إبلاغها] ^(۴) آمنه الله يوم الفزع الأكبر ^(۵) .
وعن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذُ أحداً بقرفٍ أحد ^(۶) ، ولا يصدقُ أحداً على أحد .

وذكر أبو جعفر الطبري ^(۷) عن عليّ عنه صلى الله عليه وسلم : ما هممتُ بشيءٍ مما كان أهلُ الجاهلية يعملون به غير مرتين ، كلُّ ذلك يحولُ الله بيني وبين ما أريدُ من ذلك ، ثم ما هممتُ بسوءٍ حتى أكرمني الله برسالته ؛ قلت ليلةً لغلامٍ كان يرعى معي : لو أبصرتَ لى غنمى حتى أدخلَ مكةَ فأشهرَ بها كما يسمر ^(۸) الشباب .

فخرجتُ كذلك حتى جئتُ أولَ دارٍ من مكةَ سمعتُ عزفاً بالدُفوفِ والمزاميرِ لعُرُسٍ بعضهم . فجلستُ أنظرُ ، فضربَ على أذنى ^(۹) فَنِمْتُ ، فما أيقظنى إلا مسٌ

(۱) جزءاً لله : أى لعبادة الله وتلقى وحيه . (۲) وجزءاً لأهله : لصالح أهل بيته .

(۳) فى ۱ : أبلغونى . (۴) من ب .

(۵) يوم الفزع الأكبر : هو يوم البعث والحشر ، وحيث يكون الناس كلهم فى فزع وخوف من العذاب . وسيأتى هذا الحديث بعد . وهو فى شمائل الترمذى ، وغيره ، كما سيأتى .

(۶) قال السيوطى هذا الحديث رواه أبوداود فى مراسيله . والأخذ : المراد به هنا العقوبة . والقرف : التهمة . والذنب ، والكسب . وهذا من عدله . وفى هامش ۱ ، ب : قرفت الرجل بسوء : ظننته به ، أو رميته به . وقرفته بالأمر ، إذا أضافه إليه .

(۷) قد تقدم هذا الحديث صفحة ۱۳۰ ؛ وإنما أعاده المصنف هنا لبيان عفته صلى الله عليه وسلم عن اللغو ، وأن الله عصمه عن ذلك من أول أمره . وهو هنا فيه زيادة (دلائل النبوة للبيهقى : ۱ - ۳۸۰) . (۸) السمر : التحدث بالليل . (۹) ضرب على أذنى : نمت .

الشمس^(١) ، فرجعت ولم أقض شيئاً . ثم عرّاني^(٢) مرة أخرى مثل ذلك ، ثم لم أعم بعد ذلك بسوء .

فصل ٢١

وأما وقاره^(٣) صلى الله عليه وسلم وصمته وتوّدته ومروءته وحسن هديه^(٤) فحدثنا أبو علي الجيّاني الحافظ إجازةً ، وعارضت بكتابه^(٥) ؛ قال : حدثنا أبو العباس اللّائى ، أنبأنا أبو ذر الهروى ، أخبرنا أبو عبد الله الوراق ، حدثنا اللؤلؤى ، حدثنا أبو داود ، حدثنا عبد الرحمن بن سلام ، حدثنا حجاج بن محمد ، عن عبد الرحمن ابن أبي الزناد عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب^(٦) : سمعتُ خارجةَ بن زيد يقول : كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم أوقرّ الناسِ في مجلسه^(٧) ، لا يكادُ يُخرجُ شيئاً من أطرافه^(٨) .

وروى أبو سعيد الخدري : كان^(٩) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلسِ احتبى بيديه ، وكذلك كان أكثرُ جلوسه صلى الله عليه وسلم مُحْتَبِيًا^(١٠) .

(١) مس الشمس : مس حرها . (٢) عرّاني : طرأ على ، وعرض لى .

(٣) وقاره : سكونه وطمانينته ورزاقته .

(٤) حسن هديه : سيرته وطريقته .

(٥) وعارضت بكتابه : قابلت نسختى بنسخته حال القراءة . فالعنى أنه حدثه به قراءة

منه ، وهو مقابل له ، وفي يده كتابه .

(٦) عليها علامة الصحة فى ا ، وفي هامشه : أهيب .

(٧) أى أعظمهم وقارا إذا برز للناس وجلس معهم ، بخلاف ما إذا خلا مع أهله أو مع

خاصته فإنه يندسط معهم ويلاطفهم .

(٨) من أطرافه : أى أطراف بدنه كرجليه . (٩) سنن أبي داود : ٢ - ١٩٠

(١٠) الاحتباء : أن يجمع ظهره وساقيه بيديه أو عمامته ونحوه . وفي هامش ب : الحبوّة :

ضم الساق إلى البطن بثوب . وفي ب : احتبى بثوبه .

وعن جابر بن سُمرة أنه تَرَبَّعٌ ^(١) ، وربما جلس القُرْفُصَاءُ ^(٢) ، وهو في حديث قَبِيلَةٍ ^(٣) ؛ وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة ؛ يُعْرِضُ عن تكلم بغير جميل ، وكان ضَحِكُهُ تَبَسُّمًا ، وكلامه فَصْلًا ^(٤) ، لا فُضُولَ ولا تَقْصِيرَ ^(٥) ، وكان ضحك أصحابه عنده التَّبَسُّمُ ؛ توقيرا له ، واقتداء به . مجلِسُهُ مجاسٌ حِلْمٌ وحَيَاءٌ [٤٤] ، وخَيْرٌ وأمانة ^(٦) ، لا تُرْفَعُ فيه الأصواتُ ، ولا تُؤَبَّنُ فيه الحُرْمُ ^(٧) ، إذا تكلم أَطْرَقَ جِلسَاؤُهُ كأنما على رءوسهم الطَّيْرُ ^(٨) .

وفي صفته : يَمْخُطُو تَكْفَأً ^(٩) ، وَيَمْشِي هَوْنًا ، كأنما يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ ^(١٠) .
وفي الحديث الآخر : إذا مشى مشى مجتمعا ^(١١) ، يُعْرِفُ في مِشْيَتِهِ أنه غَيْرُ غَرَضٍ ولا وَكِلٍ ^(١٢) ؛ أي غير ضَجِرٍ ولا كَسْلانٍ .

(١) تربع : جلس متربعا ، وهو أن يعقد الرجل على وركيه ، ويمد ركبته اليمنى إلى جانب يمينه ؛ وقدمه اليمنى إلى جانب يساره ، وركبته اليسرى إلى جانب يساره ، وقدمه اليسرى إلى جانب يمينه ، وهذا في خارج الصلاة .

(٢) جلس على أليته بجلوس المحتبى بيديه من غير احتباء . وفي هامش ب : القرفصاء : جلسة المحتبى بيديه ، يقال : قرفص اللص : إذا شد يديه تحت رجليه .

(٣) أي ورد في حديثها ، وانظر سنن أبي داود : ٢ - ١٩١

(٤) فصلا : فاصلا بين الحق والباطل . أو مفصلا لتجهله فيه .

(٥) لا فضول : لزيادة . ولا تقصير ولا نقصان فيه عن قدر الحاجة ؛ فيدخل بفهم السامع .

(٦) وأمانة : يأمن المتكلمون فيه على أسرارهم .

(٧) تؤبن : أبته : عابه وزماه بقبيح . والحرم : جمع حرمة ؛ وهي كل ما يحرم هتكه .

(٨) وصفهم بالسكون وعدم الخفة والطيش . (٩) تكفأ : مال إلى قدام . أو مال

يمينا وشمالا كمشي المختال . (١٠) الصبب : هو الموضع المنحدر .

(١١) مجتمعا : ينقل أعضائه كلها دفعة واحدة من غير تحريك لرأسه ويديه .

(١٢) غرض : من الغرض ، وهو الضجر والملل ، وسيأتي للمؤلف . وفي اضطبت الكاف

في « وكل » بالفتحة والكسرة وعليها « معا » . وفي ب اضطبت الكاف بالفتحة فقط . وفي

هامشه : الوكل - بالفتح : الرجل الذي يتكل على غيره .

وقال عبد الله بن مسعود : إنَّ أحسن الهدى هدى^(۱) محمد صلى الله عليه وسلم .
وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما : كان فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ترتيلٌ أو ترسيلٌ^(۲) .

قال ابنُ أبى هالة : كان سكوتُه على أربع : على الحِلم ، والحذر ، والتقدير ،
والتفكر^(۳) .

قالت عائشة : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عدَّه العادُّ
أحصاه^(۴) .

وكان صلى الله عليه وسلم يحبُّ الطيبَ والرائحةَ الحسنة ، ويستعملها^(۵) كثيرا ،
ويحضُّ عليهما^(۶) ، ويقول^(۷) : حُبِّبَ إلىَّ من دُنياكم النساءُ ، وجُعِلت قُرَّةُ عيني
فى الصلاة .

ومن مروته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ فى الطعام والشراب^(۸) ، والأمرُ

(۱) الهدى : السميت والسيرة والطريقة والحالة التى يكون عليها .

(۲) ترتيل أو ترسيل : يبين الكلام من غير عجلة ولا غموض حتى يسبق فهم السامع إليه .
وقيل الترتيل : التبيين . والترسيل : التؤدة .

(۳) أى يقع على أربع خصال فيه : على الحلم : أى بسكت تارة لحلمه ، أو الاحتراس من
كلام ربما أدى لأمر يخشى منه ، أو ليقدر النبي فى نفسه وسكوتة ما يلىق به وبنيره ، أو للتفكر
فى مصنوعات الله .

(۴) وذلك لقلته ؛ ولثبته ، وعدم سرعته فيه .

(۵) هذا فى ا ، ب . وفى هامش ب : ويستعملها .

(۶) فى ب : ويحض عليها .

(۷) قد تقدم هذا الحديث ، وتخریجه : صفحة ۱۱۷

(۸) مروته : إنسانيته ، ومعناها التلبس بما يلىق بالرجال ، وترك ما يخل به ؛ فارتكاب

ما يكرهه الصاحب محل بالمرودة . والنفخ فى الطعام والشراب قد يخرج منه ريق فيكره تناوله .

بالأكلِ تَمَّ بِي ، والأمرُ بالسواك^(۱) ، وإنتقاء البراجم والرواجب^(۲) ، وابتعمال خِصَالِ الْفِطْرَةِ^(۳) .

فصل ۲۲

وأما زُهْدُهُ^(۴) في الدنيا فقد تقدّم من الأخبار أثناء هذه السيرة ما يكفي . وحَسْبُكَ^(۵) من تَقَلُّلِهِ منها ، وإعراضه عن زَهْرَتِهَا^(۶) ؛ وقد سَمِّقَتْ إِلَيْهِ بِحَذَائِفِهَا^(۷) ، وترادفت^(۸) ،

(۱) الأمر بالسواك : أمر ندب . وعده من المروءة لما فيه من النظافة وطيب رائحة الفم .
(۲) إنتقاء : أنتقاء : إذا نظفه . البراجم : مفاصل الأصابع التي بينها ، والسلاميات من ظهر الكف : التي ترتفع إذا قبض الإنسان كفه ، فهي المفاصل الظاهرة ، والبراجم : الباطنة .
والرواجب : هي المفاصل التي تلي الأنامل . ونقل عن أبي عبيد أن البراجم والرواجب جميعا : مفاصل الأصابع كلها . قال في نسيم الرياض : وهو اللائق بكلام المصنف .
وفي هامش ۱ : البراجم : رءوس السلاميات من ظاهر الكف ؛ إذا قبض القابض كفيه نشزت ، واحدها برجمة .

والرواجب : بطون السلاميات ، واحدها راجبة . والسلاميات : واحدها سلامي ، وهي العظام التي بين كل مفصلين من مفاصل الأصابع .

(۳) الفطرة : الحلقة ، والمراد السنة التي أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم . وخصال الفطرة - فيما رواه الشيخان : الحتان ، والاستحداد ، وقص الشارب ، وتقليم الأظفار ، ونف الإبط : (صحيح مسلم : ۲۲۱) .

(۴) قال في نسيم الرياض (۲ - ۱۳۸) : الزهد : معناه ترك الدنيا رغبة فيما عند الله ؛ وهو ثلاثة أقسام : ترك الحرام وهو زهد العوام ، وترك فضول الحلال وهو زهد الخواص ، وترك كل ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين .

(۵) حسبك : يكفيك .

(۶) عن زهرتها : أي تركه صلى الله عليه وسلم ما يرغب فيه الناس من زخرف الحياة الدنيا .

(۷) بحذائفيها : بجملتها وكليتها من جميع نواحيها ، وجوانبها .

(۸) ترادفت : تتابعت وتوالت ؛ فأتته الدنيا راغمة بما يسر الله له من الفنائم والأموال

والأرزاق الواسعة الطيبة ، بحيث لو أراد توسع فيها وأنفق واقتطف زهرتها ، ولكنه لم يرضها ، واكتفى بأقل قليل منها .

عليه فتوحها إلى أن توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودى في نفقة عياله^(١)، وهو يدعو ويقول : اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً^(٢).

حدثنا سفيان بن العاصي ، وأحسبن بن محمد الحافظ ، والقاضي أبو عبد الله التميمي ؛ قالوا : حدثنا أحمد بن عمر ، قال : حدثنا أبو العباس الرازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الجلودي ، حدثنا ابن سفيان ، حدثنا أبو الحسين [مسلم]^(٣) بن الحجاج ؛ حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة^(٤) ، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة^(٥) ؛ قالت : ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعاً^(٦) من خبز حتى مضى لسبيله^(٧).

وفي رواية أخرى : من خبز شعير يومين متواليين ، ولو شاء الله لأعطاه ما لا يخطر ببال^(٨).

وفي رواية أخرى : ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز ر حتى لقي الله تعالى .

وقالت عائشة : ما ترك^(٩) رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا .

(١) العيال : أهل البيت ومن تلزمه نفقته . وهذا الحديث في صحيح البخاري : ٤ - ٤٩ ، وفي هامش ب : اليهودي اسمه أبو النجم .

(٢) القوت : كل ما يتقوت به الإنسان من الطعام ؛ أي اجعله بما يسد الرمق من غير زيادة . والحديث في سنن الترمذي : ٤ - ٥٨٠ ، وصحيح البخاري : ٨ - ١٢٢ .

(٣) من ب . (٤) في هامش ب : ابن أبي شيبة صاحب المصنف .

(٥) الحديث في صحيح مسلم : ٢٢٨٤ ، والبخاري : ٨ - ١٢١ ، وسنن الترمذي : ٤ - ٥٧٩ .

(٦) تباعا : متتابعة متوالية . (٧) مضى لسبيله : توفي . (٨) البال : القلب والعقل والفكر . وخطر : ذكر وتصور ؛ أي يعطيه منها كل نفيس لم يتصوره أحد من الناس لجلالته وعظامته . (٩) ما ترك : ما خلف تركه .

وفي حديث عمرو بن الحارث^(۱) : ماترك إلا سلاحه وبنقلته وأرضاً جعلها صدقة.

قالت عائشة : واقدمت وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد^(۲) إلا شطر شعير^(۳) في رفا لي^(۴) .

وقال لي : إني عرض علي أن تجعل لي بطحاء مكة^(۵) ذهباً . فقلت : لا، يارب، أجوع يوماً وأشبع يوماً ، فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك ، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك .

وفي حديث^(۶) آخر إن جبريل نزل عليه ، فقال له : إن الله تعالى يقربك السلام ، ويقول لك : أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهباً ، وتكون معك حينما كنت ، فأطرق^(۷) ساعة ، ثم قال : يا جبريل ، إن الدنيا دار من لا دار له^(۸) ، ومال من

(۱) الحديث في البخاري : ۸ - ۱۱۹

(۲) ذو كبد : ذو حياة .

(۳) أراد به نصف مكوك ، أو نصف وسق . والمكوك : المد ، وقيل : الصاع . وضبطت الراء في شطر بالفتحة والضمة وعليها « معا » في ب .

(۴) في رفا لي : الرف : شبه الطاق في الحائط . ويطلق على خشبة عريضة ترفع عن الأرض تعد لوضع ما يراد حفظه .

(۵) البطحاء والأبطح : واد تجري فيه السيول . أو بطن واد فيه رمل وحصي . والمراد يجعله ذهباً أن يملأه به ، أو أن يقلب حصاه ورماله ذهباً .

(۶) في نسيم الرياض (۲ - ۱۴۳) : قال السيوطي : لم أجده هكذا . ولكن البيهقي أخرجه في الزهد من طريق عطاء ، عن ابن عباس - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوماً : ما أمسى آل محمد كف سويق ولا سفة دقيق ، فأتاه إسرافيل عليه السلام ، فقال : إن الله سمع ما ذكرت ، فبعثنى إليك بمفاتيح الأرض ، وأمرني أن أعرض عليك إن أحببت أن أسير معك جبال تهامة يا قوتا وذهباً وفضة ، فقلت . . .

قال : فما ذكره المصنف رحمه الله رواية بالمعنى من عدة أحاديث .

(۷) أطرق ساعة : طأطأ رأسه يفكر فيما يجنيه به صلى الله عليه وسلم .

(۸) دار من لا دار له : لأنها فانية لا يقيم فيها أحد .

لا مال^(١) له ، قد يجمعها من لا عقل له .

فقال له جبريل : ثبَّتَكَ اللهُ يا محمدُ بالقول الثابت^(٢) .

وعن عائشة^(٣) قالت : إن كنا آل محمد كنمكثُ شهرًا ما نستوقد^(٤) نارًا ؛
إن هو إلا التمرُ والماء .

وعن عبدالرحمن بن عوف^(٥) : هلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم [٤٥] ، ولم يشبع
هو وأهلُ بيته من خبزِ الشعير .

وعن عائشة وأبي أمامة^(٦) ، وابن عباس نحوه .

قال ابن عباس : كان صلى الله عليه وسلم يبيتُ هو وأهله الليالي المتتابعةَ
طاويًا^(٧) لا يجدون عشاء .

وعن أنس^(٨) : ما أكل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على خِوَانٍ
ولا في سُكْرُجَةٍ^(٩) ، ولا خُبْزٍ له مَرَقٌّ^(١٠) ، ولا رأى شاةً سَمِيطًا قط^(١١) .

(١) ومال من لا مال له : أى إن ما يملكه المرء فيها سيسلب منه ، فهو عارية أو ودیعة ،
فصاحبه لا ملك له حقيقة ، فكل غنى فيها فقير . (٢) بالقول الثابت : الحق ؛ لأنه دائم لا يزول .

(٣) فى حديث صحيح فى البخارى : ٨ - ١٢١

(٤) هذا كناية عن أنهم ليس عندهم ما يطبخ .

(٥) هذا الحديث رواه الترمذى فى سننه : ٤ - ٥٨٠

(٦) حديث أبى أمامة فى سنن الترمذى : ٤ - ٥٨٠ ، وحديث ابن عباس هو الآتى

بعد ، وهو فى سنن الترمذى أيضا : ٤ - ٥٨٠

(٧) طاويًا : جائعًا . (٨) فى حديث رواه البخارى : ٨ - ١٢١

(٩) خِوَانٌ : مائدة . والسكْرُجَةُ : قصعة صغيرة يوضع فيها الكوامخ .

(١٠) المرقق : رقيق الخبز . كالرقاق . وفى ب : مرقق - بالرفع والنصب ، وعابها كلمة «معا» -

(١١) فى نسيم الرياض (٢-١٤٧) : أى لم يطبخ له صلى الله عليه وسلم شاة بتامها بعد ستمطها -

أى غلبها فى الماء الحار حتى يذهب شعرها ، ثم تشوى . وظاهر كلامهم أنها لم تسليخ ، وأن ما ذكر

فى الحملان الصغيرة . وقال القارى (١-٣١٠) : سميطًا ؛ أى مسموطًا ، يعنى مشويًا بجلته .

وعن عائشة ^(۱) : إنما كان فراشه الذي ينام عليه أدمًا ^(۲) حشوه ليف .
 وعن حفصة ^(۳) قالت : كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته ^(۴)
 مسحًا ^(۵) نثنيه ثنيتين ^(۶) ، فينام عليه ، فثيناه له ليلة بأربع ، فلما أصبح قال :
 ما فرشتم ^(۷) لي الليلة ؟ فذكرنا ذلك له ، فقال : ردوه بحاله ، فإن وطأته ^(۸) منعتني
 الليلة صلاتي .

وكان صلى الله عليه وسلم ينام أحياناً على سرير مرمول ^(۹) بشريط حتى يؤثر
 في جنبه ^(۱۰) .

وعن عائشة قالت : لم يمتلي جوف النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً قط ، ولم يبت ^(۱۱)
 شكوى إلى أحدٍ ، وكانت الفاقة ^(۱۲) أحب إليه من الغنى ، وإن كان ليظل جاثماً

-
- (۱) الحديث في البخارى : ۸ - ۱۲۱ (۲) آدم : جلد مدبوغ لين .
 (۳) حديث حفصة رواه الترمذى في الشمائل منقطعا . قال في نسيم الرياض : وحديثها
 لا ينافى حديث عائشة المتقدم ، لجواز أن كلا منها ذكرت فراشه الذي كان عندها .
 (۴) في ب : في بيتى . وفي هامشه : في بيته .
 (۵) مسحا : المسح : ثوب للفراش شبه الكساء . وقيل : من شعر أسود . قال الشهاب
 (۲ - ۱۴۷) : وهو على كل حال شيء غليظ يمتزعه عن مثله أهل الترفه .
 (۶) ضبطت التاء في الكسرة . وفي ب : ثنين . وضبطت التاء بالفتحة والكسرة ،
 وكتب فوقها « معا » .
 (۷) في ا ، ب : ما فرشتموني . وفي هامش ب : ما فرشتمو لي .
 (۸) وطأته : لينه تحت جنبى . وضبطت الواو في ب بالكسرة . وفي ا : وطأته -
 بفتح الواو وسكون الطاء .
 (۹) مرمول ، ومرمل ، ورمال : ينسج في وجهه بالسعف وغيره ويشد بشريط ونحوه .
 (۱۰) كان يؤثر في جنبه لكونه بغير فراش يحول بينه وبينه . وهذا الحديث في صحيح
 مسلم : ۱۹۴۴ ، والترمذى : ۴ - ۵۸۸ ، وابن ماجه : ۱۳۹۰ .
 (۱۱) لم يبت : لم يذكر ويظهر .
 (۱۲) الفاقة : الحاجة والفقر .

يَلْتَوِي طَوْلَ لَيْلَتِهِ مِنَ الْجُوعِ فَلَا يَمْنَعُهُ صِيَامَ يَوْمِهِ ، وَلَوْ شَاءَ سَأَلَ رَبَّهُ جَمِيعَ كَنْوَزِ
الْأَرْضِ وَثَمَارِهَا وَرَعْدِ عَيْشِهَا ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي لَهُ رَحْمَةً تَمَّا أَرَى بِهِ ، وَأَمْسَحُ
بِيَدِي عَلَى بَطْنِهِ تَمَّا بِهِ مِنَ الْجُوعِ ، وَأَقُولُ : نَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ ؛ لَوْ تَبَلَّغْتَ مِنَ الدُّنْيَا
بِمَا يَقُوتُكَ^(١) ! فَيَقُولُ : يَا عَائِشَةُ ؛ مَا لِي وَلِلدُّنْيَا ، إِخْوَانِي مِنْ أَوْلَى الْعَزْمِ مِنَ الْمُرْسَلِ
صَبَرُوا عَلَى مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا ، فَمَضَوْا عَلَى حَالِهِمْ^(٢) ، فَقَدِمُوا عَلَى رَبِّهِمْ ، فَأَكْرَمَ
مَآبِهِمْ^(٣) ، وَأَجْزَلَ ثَوَابِهِمْ^(٤) ؛ فَأَجِدُنِي أَسْتَحْيِي إِنْ تَرَفَّهْتَ^(٥) فِي مَعِيشَتِي أَنْ يُقَصِّرَ
بِي غَدَا دُونَهِمْ^(٦) ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ اللُّحُوقِ بِإِخْوَانِي وَأَخِلَّائِي^(٧) .
قَالَتْ : فَمَا أَقَامَ بَعْدُ إِلَّا شَهْرًا حَتَّى تُوَفِّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فصل ٢٣

وَأَمَّا خَوْفُهُ رَبَّهُ ، وَطَاعَتُهُ لَهُ ؛ وَشِدَّةُ عِبَادَتِهِ ، فَعَلَى قَدْرِ عِلْمِهِ بِرَبِّهِ^(٨) ، وَلِذَلِكَ
قَالَ فِيمَا حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ بِنِ عَتَّابٍ قِرَاءَةً مَنِي عَلَيْهِ . قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الطَّرَافِيُّ ،

(١) التَّبْلُغُ : مِنَ الْبَلَاحِ ، وَهُوَ مَقْدَارُ الْكِفَايَةِ . وَالْمُرَادُ : لَوْ أَكْتَفَيْتَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْكَفَافِ
مِنَ الْقُوَّةِ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ وَمُخْمَصَةٍ .

(٢) مَضَوْا عَلَى حَالِهِمْ : اسْتَمَرُّوا عَلَيْهِ رَاضِينَ بِقَضَاءِ اللَّهِ لَهُمْ إِلَى أَنْ مَاتُوا .

(٣) مَآبِهِمْ : مَرَجَمَهُمْ إِلَيْهِ .

(٤) أَجْزَلَ ثَوَابِهِمْ : أَكْثَرَ لَهُمُ الْعَطَاءَ وَالْجِزَاءَ فِي دَارِ الْمَقَامِ .

(٥) إِنْ تَرَفَّهْتَ : تَنَعَّمْتَ وَتَوَسَّعْتَ فِي الْعَيْشِ .

(٦) فَيَكُونُ مَقَامِي دُونَ مَقَامِهِمْ ، وَتَنْزِلُ مَرْتَبَتِي عَنْ مَرْتَبَتِهِمْ .

(٧) الْمُرَادُ بِالْإِخْوَانِ وَالْإِخْلَاءِ : الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

(٨) فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٢ - ١٥٣) : قَالَ الْقَشِيرِيُّ : مِنْ عَرَفَهُ صَدَقَ فِي مَعَامِلَاتِهِ ، وَتَنَقَّى

مِنْ رَدِيءِ أَخْلَاقِهِ وَأَفَاتِهِ ؛ وَمِنْ أَمَارَاتِ الْمَعْرِفَةِ حُصُولِ الْخَوْفِ مَعَ الْإِجْلَالِ .

وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ الْمُصَنِّفُ ؛ فَإِنَّ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ حَقَّ قَدْرُهُ اشْتَدَّ خَوْفُهُ مِنْهُ ، وَأَطَاعَهُ وَعَبَدَهُ

عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ ؛ وَإِنَّمَا يَعْصِي اللَّهَ مَنْ جَهِلَ رَبَّهُ وَنَفْسَهُ ؛ فَإِنَّ الْإِيمَانَ عِبَادَةَ اللَّهِ ، وَمَنْ أَحَبَّهُ

أَطَاعَهُ .

حدثنا أبو الحسن القاسمي ، حدثنا أبو زيد المرؤزي ، حدثنا أبو عبد الله القزويني ،
حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا يحيى بن بكير ، عن الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ،
عن سعيد بن المسيب - أن أبا هريرة كان يقول ^(۱) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ، ولبكيتم كثيرا .

زاد في روايتنا ، عن أبي عيسى الترمذي ^(۲) - رفعه إلى أبي ذر : إني أرى
ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعون ، أظت السماء وحق لها أن تئط ^(۳) ، ما فيها موضع
أربع أصابع إلا وملاك واضع جبهته ساجدا لله ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم
قليلا وبكيتم كثيرا ، وما تلدنتم بالنساء على الفرش ، وتخرجنكم إلى الصدقات
تجارون إلى الله ^(۴) ، لو ددت أني شجرة تعضد ^(۵) .

رؤي هذا الكلام : وددت أني شجرة تعضد - من قول أبي ذر نفسه ^(۶) ،
وهو أصح .

وفي حديث المغيرة ^(۷) : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه ^(۸)

(۱) هذا الحديث في سنن الترمذي : ۴ - ۵۵۷ (۲) سنن الترمذي : ۴ - ۵۵۶

(۳) أظت السماء : أصل معنى الأظيط : صوت الإبل إذا حنت ، والقتب إذا ضغطه ثقل ما
عليه ، ونحو ذلك ؛ أي إن السماء لكثرة ما عليها من الملائكة إذا تحركوا يسمع لها صوت
سمعه النبي صلى الله عليه وسلم . وحق لها أن تئط : أي تصوت ، وبسمع لها صرير لثقل ما
عليها . وهذا إيذان بكثرة ما في السماء من الملائكة . والمراد تقرير عظمة الله .

(۴) الصدقات : الطرقات . تجارون : تضيعون وتصيحون ، وتستغيثون الله ، وتتركون
أهلكم ومساكنكم . وفي هامش ۱ : تجارون : ترفعون أصواتكم بالدعاء .

(۵) تعضد : تقطع من أصلها . والمراد تمنيه أن يكون غير ذي روح فلا يبعث ولا يسأل .

(۶) أي هذه العبارة من قول أبي ذر لا من الحديث وكلام النبي .

(۷) صحيح مسلم : ۲۱۷۱

(۸) انتفخت قدماه : ورمت من طول القيام .

وفي رواية^(۱): كان يصلي حتى ترمَ قَدَمَاهُ ؛ فقيل له: أتكَلِّفُ^(۲) هذا وقد غُفِرَ
لكَ ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر! قال: أفلا أكون عبداً شكوراً^(۳).
ونحوه عن أبي سلمة، وأبي هريرة.

وقالت عائشة^(۴): كان عملُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم دِيْمَةً^(۵)، وأبيكم

يُطِيقُ [۵۶] ما كان يُطِيقُ!

وقالت: كان يصومُ حتى نقول: لا يُفْطِرُ. ويُفْطِرُ حتى نقول: لا يصومُ.

ونحوه عن ابن عباس، وأم سلمة، وأنس^(۶).

وقالت^(۷): كنت لا تشاء أن تراه من الليل مُصَلِّياً إلا رأيتَه مُصَلِّياً، ولا نأتما

إلا رأيتَه نائماً.

وقال عوف بن مالك: كنتُ مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستأكَتُ ثم

توضاً، ثم قام يُصَلِّي، فقمتُ معه، فبدأ فاستفتح^(۸) البقرة، فلا يَمُرُّ بآيةِ رَحْمَةٍ إلا

وقف فسأل^(۹)، ولا يَمُرُّ بآيةِ عذابٍ إلا وقف فتعوّذ، ثم ركع، فمكث بقدر قيامه،

يقول: سبحان ذِي الْجَبْرُوتِ^(۱۰) وَالْمَلَكُوتِ وَالْعِظْمَةِ، ثم سجد وقال مثل ذلك؛

ثم قرأ آل عمران، ثم سورة سورة، يفعلُ مثل ذلك^(۱۱).

(۱) صحيح مسلم: ۲۱۷۲ (۲) أتكلف: أى تتحمل مشقته وكلفته.

(۳) أى أترك الصلاة لغفرته، وهى سبب موجب للعبادة لا لتركها.

(۴) صحيح مسلم: ۵۴۱ (۵) ديمة: دائماً متصلاً.

(۶) قال فى نسيم الرياض: والأحاديث التى رواها هؤلاء بمعنى ما تقدم مع اختلاف فى

بعض ألفاظها، وكلها صحيحة مروية فى الصحيحين وابن حبان.

(۷) فى ۱: وقال؛ أى قال كل منهم. وفى ب: وقالت؛ أى عائشة فيما رواه عنها أيضاً.

(۸) استفتح البقرة: شرع فى قراءتها.

(۹) فسأل: سأل الله الرحمة.

(۱۰) الجبروت والملكوت: مبالغة فى الجبر، وهو القهر. والملكوت: الملك العظيم.

(۱۱) سنن أبى داود: ۱ - ۸۸

وعن حذيفة مثله ، وقال : سجد نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ ، وجلس بين السجدة تين نحواً منه ، وقال : حتى قرأ البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة^(۱) .

وعن عائشة : قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بآيةٍ من^(۲) القرآن ليلة .

وعن عبد الله بن السَّخَّير : أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ، وِجْوَفِهِ أَزِيْرٌ كَأَزِيْرِ الْمَرْجَلِ^(۳) .

وقال ابنُ أبي هالة : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ ، دَائِمَ الْفِكْرَةِ^(۴) ، ليست له راحةٌ .

وقال عليه السلام : إني لاسْتَغْفِرُ اللهَ في اليوم مائة مرة - ورُوي سبعين مرة .
وعن عليّ رضي الله عنه ، قال : سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن سُنَّتِهِ^(۵) ، فقال : المعرفةُ رأسُ مَالِي^(۶) ، والعقلُ أصلُ دِينِي^(۷) ، والحبُّ أساسِي^(۸) ، والشوقُ

(۱) أي قرأ في كل ركعة بسورة من هذه السور : ستين أبي داود : ۱ - ۸۸

(۲) الآية التي رددتها طول ليله هي من سورة المائدة : إن تعذبهم فإنهم عبادك (شرح القاري : ۱ - ۳۱۷) .

(۳) جوف كل شيء : باطنه ، والمراد به ماتحت صدره وأضلاعه ، والأزير : صوت الغليان إذا اشتد . والمرجل : القدر . والمراد أنه صلى الله عليه وسلم - لشدة خوفه وخشيته من الله - يسمع حركة قلبه .

(۴) دائم الفكرة : يفكر دائماً في أمره وأمراته ، وفي عاقبة الأمر .

(۵) سننه : طريقته التي هو عليها .

قال في نسيم الرياض : وهذا الحديث ذكره في الإحياء . وقال الحافظ العراقي : إنه لا أصل له . وقال السيوطي : إنه موضوع ، وآثار الوضع لائحة عليه ، وهو يشبه كلام الصوفية (نسيم الرياض : ۲ - ۱۶۱) .

(۶) للعرفة : المراد بها معرفة الله وصفاته والوقوف على غوامض الأمور مما لم يكن يعلمه .

(۷) أي دينه وشرعه ، أي ما تعبد به وتدين قبل البعثة مبنى على ما أودعه الله تعالى فيه من كمال عقله الذي هداه إلى النظر في مصنوعات الله الدالة على وحدانيته وعظمته .

(۸) والحب : حبة الله أساس ما يبني عليه أمره في اتباع أوامر الله ونواهيه .

مَرَكَبِي^(۱)، وَذِكْرُ اللَّهِ أَنِيسِي^(۲)، وَالثِّقَةُ كَنْزِي، وَالْحَزْنُ رَفِيقِي، وَالْعِلْمُ سِلَاحِي،
وَالصَّبْرُ رِدَائِي، وَالرِّضَا غَنِيمَتِي، وَالْمَعْجَزُ فَيْخَرِي، وَالزُّهْدُ حِرْفَتِي^(۳)، وَالْيَقِينُ
قُوَّتِي، وَالصَّدَقُ شَفِيعِي، وَالطَّاعَةُ حَسْبِي، وَالْجِهَادُ خُلُقِي، وَقُرَّةُ عَيْنِي^(۴) فِي الصَّلَاةِ.
وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: وَتَمْرَةٌ فُوَادِي فِي ذِكْرِهِ، وَعَمِّي لِأَجْلِ أُمَّتِي، وَشَوْقِي إِلَى رَبِّي.

فصل ۲۴

اعلم وفقنا الله وإياك أن صفات جميع الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم؛ من
كمال الخلق، وحسن الصورة، وشرف النسب، وحسن الخلق، وجميع المحاسن،
هي هذه الصفة؛ لأنها صفات الكمال^(۵)، والكمال والتمام البشري والفضل^(۶)
الجميع لهم صلوات الله عليهم؛ إذ رتبهم أشرف الرتب، ودرجاتهم أرفع الدرجات،
ولكن فضل الله بعضهم على بعض؛ قال الله تعالى^(۷): ﴿تلك الرُّسُلُ فضلنا بعضهم
على بعض﴾. وقال^(۸): ﴿ولقد اخترناهم على علم على العالمين﴾.

وقد قال عليه السلام^(۹): إن أول زمرة^(۱۰) يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر^(۱۱)؛

(۱) والشوق مركبي: أي شوق إلى المطالب العالية، وإلى لقاء الله تعالى - هو الذي حركني
حتى وصلت لمرادى.

(۲) وذكر الله أنيسي: يعني أنه يأنس في خلوته وجلوته بذكر الله؛ لأنه إذا أكثر من
ذكره صار نصب عينيه حتى كأنه معه، ومن كان الله معه أنس به، واستوحش بما عداه.

(۳) الحرفة: الصناعة التي يرتزق منها الإنسان.

(۴) قرّة عيني: مسرتها وفرحتها في الصلاة.

(۵) المعنى أن كمال الخلق، وحسن الصورة، وشرف النسب، وحسن الخلق - صفات جامعة
لجميع المحاسن، وهي صفة الرسل عليهم السلام، وهي على الوجه الآتم الأكل لا يجتمع في غيرهم.

(۶) والفضل الجميع: أي الفضل جميعه.

(۷) سورة البقرة، آية ۲۵۳.

(۸) سورة الدخان، آية ۳۳.

(۹) في حديث رواه مسلم: ۲۱۷۸، ۲۱۷۹.

(۱۰) زمرة: طائفة؛ وجماعة. والمراد بهذه الزمرة: الأنبياء، أو الأنبياء والأولياء.

(۱۱) على صورة القمر: أي وجوههم مشرقة مضيئة. والقمر ليلة البدر يكون أضواء ما يكون.

ثم قال آخر الحديث : على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، طولُه ستون ذراعا في السماء .

وفي حديث أبي هريرة^(۱) : رأيت موسى فإذا هو رجلٌ ضَرْبٌ رَجَلٍ ، أَقْنَى كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَاءَ^(۲) ورأيت عيسى فإذا هو رجلٌ رُبْعَةٌ ، كَثِيرُ خَيْلَانَ الْوَجْهِ ، أَحْمَرٌ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ^(۳) .

وفي حديث آخر : مُبْطَنٌ مِثْلُ السِّيفِ^(۴) ؛ قال : وأنا أشبهُ وُلْدِ إِبْرَاهِيمَ بِهِ .
وقال في حديثٍ آخر في صفة موسى : كَأَحْسَنَ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ مِنْ أَدَمِ^(۵) الرِّجَالِ .
وفي حديث أبي هريرة ، عنه صلى الله عليه وسلم : ما بعث الله تعالى من بَعْدِ لُوطٍ نَبِيًّا إِلَّا فِي ذُرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ^(۶) .

(۱) في صحيح مسلم : ۱۵۳

(۲) ضرب : جسمه بين الهزال والسمن ، رجل : شعره متكسر قليلا . ليس بسيط .
أقنى : طويل الأنف دقيق أرنبته . شنوءة : اسم قبيلة .

(۳) رُبْعَةٌ : بين الطول والقصر ، معتدل القامة . والخيلان : جمع خال ، وهو الشامة السوداء المعروفة . الديماس : الحمام . والمراد صفاء لونه مع حمرة فيه . وكامة « ديماس » ضبطت الدال فيها بالفتحة والكسرة ، وعليها « معا » في ۱ .

وفي هامش ۱ ، عن الثريبين للهروي : الديماس : الكن ؛ أي كأنه مخدر لم ير شيئا . وقال بعضهم : الديماس : السرب . ومنه يقال : دمسته ؛ إذا قبرته . ويقال : الديماس : الحمام .

وانظر أيضا : النهاية : ۲ - ۳۲ ، والفائق : ۱ - ۴۱۱

(۴) مبطن : ضامر البطن ، مثل السيف : في استوائه ودقته .

وفي هامش ۱ : والبطنان ضده . والبطنون : الذي يشتكي بطنه .

(۵) آدم الرجال : من الأدمة ، وهي سمرة اللون . وجمع آدم : آدم .

(۶) الذروة : أعلى شيء ؛ أي بين قوم له ، ذوى جدة وسعة وشرف ، لا غرباء ، ولا

من قوم ليسوا كذلك . وأشار بهذا الحديث إلى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم شاركوا نبينا صلى الله عليه وسلم في علو النسب ، وشرف القوم .

ويروى [٤٧] : في ثُرْوَةٍ ؛ أَي كَثْرَةٍ وَمَنْعَةٍ (١) .

وحكى الترمذى (٢) ، عن قتادة ، ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن أنس : ما بعث الله نبيا إلا حسن الوجه ، حسن الصوت ، وكان (٣) نبيكم أحسنهم وجها ، وأحسنهم صوتا .

وفي حديث هرقل (٤) : وسألتك عن نسبه ، فذكرت أنه فيكم ذو نسب (٥) ، وكذلك الرسل تبعث في أنساب (٦) قومها .

وقال تعالى في أيوب (٧) : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٨) .
وقال تعالى (٩) : ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ (١٠) وآتيناه الحُكْمَ صَبِيًّا .
وحنانا من لدنا وزكاة (١١) وكان تقيا . وبرًّا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا .
وسلامٌ عليه يومٌ وُلِدَ ويومٌ يَمُوتُ ويومٌ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ .

(١) ومنعة : أى قوم يمنعونه ويحمونه .

(٢) الحديث المذكور فى الشئائل وغيرها مرسلًا .

(٣) فى ب : فكان .

(٤) هذا الحديث رواه البخارى : ١ - ٧ ، وكان هذا حين أرسل هرقل إلى أبى سفيان وهو بالشام للتجارة فى ركب من قريش فى مدة محادة رسول الله لكفار قريش ، فأثوه بإيليا ، فدعاهم وحوله عظماء الروم ، فسألهم عن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فكان أول ما سأله عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؛ فقال : هو فينا ذو نسب .

(٥) ذو نسب : ذو نسب عظيم .

(٦) أى كل نبي له نسب عال فى قومه . (٧) سورة ص ، آية ٤٤

(٨) أو اب : كثير الرجوع لربه بمراجعة دعائه ، وامثال أوامره ونواهيته .

(٩) سورة مريم ، الآيات من ١٢ - ١٥

(١٠) بقوة : أى بقوة فهم ، وعزيمة على العمل بما فيه .

(١١) حنانا : فى طبعه الزحمة . وزكاة : مطهرا من النقائص .

وقال (۱): ﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِبِحَيِّ مَصْدَقًا بِكَلِمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ (۲)
وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ .

وقال (۳): ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ .
ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ .

وقال - في نوح (۴): ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ .

وقال (۵): ﴿إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (۶) وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ . وَبِكَلِمٍ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ .
وقال (۷): ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا . وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا
كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ .

وقال تعالى (۸): ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ﴾ (۹)
اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا .

قال النبي صلى الله عليه وسلم: كان موسى رجلاً حَيًّا سَتِيرًا (۱۰) مَا يُرَىٰ مِنْ جَسَدِهِ
شَيْءٌ اسْتَحْيَاءٌ . . . الحديث (۱۱) .

(۱) سورة آل عمران ، آية ۳۹

(۲) وحصورا : الحصور الذي لا يأتي النساء ، إما من العنة وإما من العفة والاجتهاد
في إزالة الشهوة ، والثاني أظهر في الآية لأنه بذلك يستحق المحمدة (المفردات ۱۲۰) .

(۳) سورة آل عمران ، آية ۳۳ ، ۳۴ (۴) سورة الإسراء ، آية ۳

(۵) سورة آل عمران ، آية ۴۵ ، ۴۶ ، وهذه الآية في عيسى .

(۶) وجيها : شريفا قدره في الدارين . (۷) سورة مريم ، آية ۳۰

(۸) سورة الأحزاب ، آية ۶۹

(۹) عابوه - لشدة تستره حياء من الله ، بأن في بدنه برصا أو به أدرة ، فبرأه الله من
ذلك وبين أنه كامل الخلق والخلق .

(۱۰) حيا : كثير الحياء . ستيرا : شديد التستر لبدنه .

(۱۱) الحديث رواه الترمذي في صحيحه : ۵-۳۵۹ ، وتمتمه أنه كان يكثر التستر ويفتسل =

وقال تعالى - عنه (۱) : ﴿ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا ﴾ (۲) وجعلني من المرسلين ﴿ .
 وقال في وصف جماعة منهم (۳) : ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ .
 وقال (۴) : ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ .
 وقال (۵) : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ .
 وقال (۶) : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ
 وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ . وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ . وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ
 وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ . وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ
 وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ
 عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ
 وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْا بِهَا بِكَافِرِينَ .
 أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاؤِهِمْ اقْتَدِه . . . ﴾
 فوصفهم بأوصاف جمّة من الصّلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوة (۷) .

== وحده؛ قالوا: إنه إنما يفعل هذا لبرص أو أدرة، فذهب مرة ليفتسل ووضع ثوبه على حجر،
 فلما أراد أن يلبسه فر الحجر، وجرى خلفه يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى مر على
 بني إسرائيل، فرأوه أكمل الناس وأصحهم بدنا، فبرئ مما سموه وآذوه به .

(۱) سورة الشعراء، آية ۲۱ (۲) حكما: علما ونبوة .

(۳) سورة الشعراء، آية ۱۰۷، وغيرها .

(۴) القائل هو موسى لشعيب . سورة القصص، آية ۲۶

(۵) سورة الأحقاف، آية ۳۵

(۶) سورة الأنعام، الآيات من ۸۴ - ۹۰

(۷) جمّة: كثيرة . والصّلاح: صفة جامعة لكل خير؛ والاجتباء: الاصطفاء والاختيار

للمرسلة . والحكم: الحكمة، أو فصل الأمر على مقتضى الحق .

- وقال (۱) : فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ . وَعَلِيمٍ .
 وقال (۲) : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا (۳) قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ . أَنْ أَدُّوا
 إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ .
 وقال (۴) : ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (۵) .
 وقال (۶) - في إسماعيل : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا . وَكَانَ
 يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ .
 وفي موسى (۷) : ﴿ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ﴾ (۸) .
 وفي سليمان (۹) : ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ .
 وقال (۱۰) : ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي
 وَالْأَبْصَارِ (۱۱) . إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (۱۲) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ
 الْأَخْيَارِ ﴾ (۱۳) .

- (۱) سورة الصافات ، آية ۱۰۱ . وفي الداريات ، آية ۲۸ : وبشروه بغلام عليم .
 والمبشر : هو إسحاق .
 (۲) سورة الدخان ، آية ۱۷ ، ۱۸ (۳) فتنا : المراد بالفتنة الاختبار والامتحان .
 (۴) سورة الصافات ، آية ۱۰۲ ، والقائل هو إسماعيل لوأده إبراهيم .
 (۵) من الصابرين على الذبح مسلماً لله ، ولذلك سلمه الله وفداه .
 (۶) سورة مريم ، آية ۵۴ ، ۵۵ (۷) سورة مريم ، آية ۵۱
 (۸) ضبطت اللام في « مخالصا » بالكسرة في ۱ ، قال الفارسي (۱ - ۷۲۳) : وفي قراءة
 للبعة بفتح اللام ؛ أي أخلصه الله واختاره ، واصطفاه .
 (۹) سورة ص ، آية ۳۰ ، ۴۴ . والأواب : كثير الرجوع إلى ربه .
 (۱۰) سورة ص ، آية : ۴۵ - ۴۷
 (۱۱) الأيدي : جمع يد ، بمعنى القوة . والأبصار : جمع بصر ، بمعنى بصيرة .
 (۱۲) جعلناهم خالصين بسبب أنهم لا يذكرون إلا الدار الآخرة .
 (۱۳) الأخيار : جمع خير .

وفي داود^(١) : ﴿ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ . ثم قال^(٢) : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾^(٣) .

وقال - عن يوسف^(٤) : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي خَفِيفٌ ذَلِيلٌ ﴾ .
وفي موسى^(٥) : ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ﴾ .

[وقال تعالى^(٦) - عن شعيب : ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾]^(٧) .

وقال^(٨) : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ .

وقال^(٩) : ﴿ وَلَوْ طَآءَ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ .

وقال^(١٠) : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾^(١١) .

قال سفيان : هو^(١٢) الحزنُ الدائمُ .

(١) سورة ص ، آية ١٧ ، ١٩

(٢) سورة ص ، آية ٢٠

(٣) شددنا ملكه : قويناه . وفصل الخطاب : الكلام الفاصل بين الحق والباطل .

(٤) سورة يوسف ، آية ٥٥

(٥) سورة الكهف ، آية ٦٩

(٦) سورة القصص ، آية ٢٧ ، والمخاطب في قوله تعالى : « ستجدني » - هو موسى .

(٧) ما بين القوسين ساقط في ١ .

(٨) سورة هود ، آية ٨٨ . أخالفكم : من قولهم : خالفت فلانا إلى كذا ، إذا قصدته مع

إعراضه عنه . والمعنى : ما أريد أن آتى ما نهيتكم عنه لأستبد به لعلمي أنه خطأ ، وفي ارتكابه خطر ، فلو كان صوابا لآثرته ، ولم أتركه فضلا عن أن أنهى غيري عنه .

(٩) سورة الأنبياء ، آية ٧٤

(١٠) الأنبياء : ٩٠ ، إنهم : أي الأنبياء المذكورون في سورتهم .

(١١) شأنهم المبادرة إلى فعل أنواع الخير ، وسؤال الله تعالى في الرغبة والرهبة ؛ أي للرغبة

في الثوبة والقربة ، والرهبة عن العقوبة .

(١٢) هو تفسير الخشوع في قوله تعالى : وكانوا لنا خاشعين .

في آي كثيرة، ذكر فيها من خصالهم ومحاسن أخلاقهم الدالة على كمالهم .
وجاء من ذلك في الأحاديث كثير، كقوله^(١) : إنما الكريم ابن الكريم .
ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، نبي ابن نبي
ابن نبي ابن نبي .

وفي حديث أنس^(٢) : وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم .
وروى أن سليمان^(٣) كان مع ما أعطى من الملك لا يرفع بصره إلى السماء تخشعاً
وتواضعاً لله تعالى . وكان يطعم الناس لذائذ الأطعمة ويأكل خبز الشعير .
وأوحى الله إليه : يا رأس العابدين^(٤) ، وأبن محجة الزاهدين^(٥) .
وكانت العجوز تعترضه^(٦) - وهو على الریح في جنوده ، فيأمر الریح فتقف فينظر
في حاجتها ويمضي .

وقيل ليوسف : مالك تجوع وأنت على خزائن الأرض ؟ قال : أخاف أن أشبع
فأنسى الجائع [٤٨] .

وروى أبو هريرة عنه^(٧) صلى الله عليه وسلم : خفف على داود القرآن^(٨) ، فكان
يأمر بدوابه ، فتسرج ، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج^(٩) ، ولا يأكل إلا من عمل يده .

(١) هذا الحديث في صحيح البخاري بدون : «إنما» (صحيح البخاري : ٤ - ٢٢٤) .

(٢) في حديث رواه البخاري : ٤ - ٢٣٢

(٣) رواه الطبراني ، عن أبي هريرة . (٤) رأس العابدين : أعلام ورئيسهم .

(٥) محجة الزاهدين : مقدمهم ومقدمهم الذي يأنسون بسنته ومسلكه .

(٦) تعترضه : تجي له وتقف مقابلته .

(٧) رواه البخاري : ٦ - ١٠٧

(٨) المراد قراءة كتابه ، وهو الزبور . والمراد بتخفيفه سرعة قراءته في زمن يسير .

(٩) قيل هذا من البركة في الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير .

قال الله تعالى (۱): ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ . أَنْ أَهْمَلُ سَابِغَاتٍ وَقَدَّرُ فِي السَّرْدِ﴾ (۲).

وكان (۳) سأل ربه أن يرزقه عملاً بيده يُغنيه عن بيت المال .

وقال عليه السلام (۴): أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ . وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى

اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ : كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ ، وَيَصُومُ يَوْمًا

وَيَفْطِرُ يَوْمًا . وَكَانَ يَلْبَسُ الصُّوفَ ، وَيَفْتَرِشُ الشَّعْرَ ، وَيَأْكُلُ خُبْزَ الشَّعِيرِ بِالْمِلْحِ

وَالرَّمَادِ ، وَيَمْرُجُ شَرَابَهُ بِالذَّمُوعِ (۵) ، وَلَمْ يُرَ ضَاكِحًا بَعْدَ الْخَطِيئَةِ (۶) ، وَلَا شَاخِصًا

يَبْصُرُهُ إِلَى السَّمَاءِ ، حَيًّا ، مِنْ رَبِّهِ ، وَلَمْ يَزَلْ بِأَكْيَا حَيَاتِهِ كَلْمًا .

وقيل : بَكَى حَتَّى نَبَتَ الْعُشْبُ مِنْ دَمُوعِهِ (۷) ، وَحَتَّى اتَّخَذَتِ الدَّمُوعُ فِي خَدِّهِ

أَخْدُودًا (۸) .

وقيل : كَانَ يَخْرُجُ مُتَنَكِّرًا يَتَعَرَّفُ سِيرَتَهُ ، فَيَسْتَمِعُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ ، فَيَزِدَادُ تَوَاضَعًا .

وقيل لعيسى عليه السلام : لَوْ اتَّخَذْتَ حِمَارًا . قَالَ : أَنَا أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ

يَشْغَلَنِي بِحِمَارٍ .

وَكَانَ يَلْبَسُ الشَّعْرَ ، وَيَأْكُلُ الشَّجَرَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَيْتٌ أَيْنَمَا أَدْرَكَهُ النَّوْمُ نَامًا .

وَكَانَ أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ أَنْ يُقَالَ لَهُ مِسْكِينٌ (۹) .

(۱) سورة سبأ ، آية ۱۰ ، ۱۱

(۲) سابغات : دروغا طویلہ تامہ : السرد : سرده : نسجه وعمله . ومعنى تقديره جهل

ثقوب طرفي الحلق على قدر المسامير ، وكون المسامير غير رقيقة فتتلاق ، ولا غايظة فتكسر الحلق .

(۳) وكان : أى داود . (۴) صحيح مسلم : ۸۱۶ (۵) لكثرة بكائه .

(۶) الخطيئة : تزوجه بامرأة أوريا . قال في نسيم الرياض : وليست هذه خطيئة ، ولكن

علو مقامه وزهده يقتضى خلاف ذلك ؛ فلذا عوتب عليه .

(۷) هذا رواه ابن ابى حاتم عن أنس رضى الله عنه مرفوعا ، وعن مجاهد وغيره موقوفا .

(۸) الأخدود : الشق المستطيل فى الأرض . والمراد أثرت أثرا فى خده .

(۹) رغبة فى التواضع لمظامة الله ، وقد ضبطت الباء فى «أحب» بالضمه وعليها علامة الصحة فى ا-

وقيل : إن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين كانت تُرَى خُضْرَةُ الْبَقْلِ^(١) في بطنه من الهزال .

وقال عليه السلام : لقد كان الأنبياء قبلي يُبْتَلَى أَحَدُهُمْ بِالْفَقْرِ وَالْقَمَلِ ، وكان ذلك أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْعَطَاءِ إِلَيْكُمْ .

وقال عيسى عليه السلام - نَحْنُ زِيرَ لَقِيهِ : اذهب بسلام . فقيل له في ذلك ، فقال : أَكْرَهُ أَنْ أَعُوذَ لِسَانِي الْمُنْطِقَ بِسُوءٍ .

وقال مجاهد : كان طعامُ يحيى العُشْبَ .

وكان يَبْكِي من خشية الله حتى اتَّخَذَ الدَّمْعَ^(٢) تَجْرِي فِي خَدِّهِ ، وكان يأكلُ مِنَ الْوَحْشِ لئلا يُخَالِطَ النَّاسَ .

وحكى الطبري ، عن وَهْبٍ ، أن موسى كان يَسْتَبْطِلُ بِعَرِيْشٍ^(٣) ، ويأكل في نُقْرَةٍ من حَجَرٍ ، وَيَكْرَعُ فِيهَا^(٤) إذا أراد أن يشرب كما تَكْرَعُ الدَّابَّةُ ، تواضعا لله بما أكرمه الله به من كلامه .

وأخبارهم في هذا كله مسطورةٌ ، وصفاتهم في الكمالِ وَجَمِيلِ الْأَخْلَاقِ ، وَحَسَنِ الصُّوَرِ وَالشَّمَائِلِ معروفةٌ مشهورةٌ ؛ فلا نُطَوِّلُ بِهَا ، ولا تَلْتَمِثُ إِلَى ما تجده^(٥) في كتبِ بعضِ جهلةِ المؤرِّخينِ والمفسرينِ مما يخالفُ هذا .

(١) البقل : ما ليس بشجر من النبات مما تبقى أرومته وأصوله بعد أخذه .

(٢) في ب : الدموع .

(٣) العريش : هو ما يستظل به خيمة كانت أو خشبا أو نباتا .

(٤) يكرع فيها : أي يضع ما يشرب في نقرة يكب عليها ويشرب منها بفيه .

(٥) في هامش ب : تجده - بالنون .

فصل ٢٥

قد أتيناك - أكرمك الله - من ذكر الأخلاق الحميدة ، والفضائل المجيدة ،
وخصال الكمال العديدة ، وأريناك صحتها^(١) له صلى الله عليه وسلم ، وجلينا^(٢) من
الآثار ما فيه متنوع ، والأمر أوسع ؛ فبجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم تمتد ،
تنقطع دون تفاديه الأدلاء^(٣) ، وبحر علم خصائصه زاخر لا تكدره الأدلاء^(٤) ،
لكنا أتينا فيه بالمعروف^(٥) مما أكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات ؛ واقتصرنا
في ذلك بقل من كل^(٦) ، وغيض من فيض^(٧) ، ورأينا أن نختم هذه النصول
بذكر حديث الحسن^(٨) ، عن أبي هالة ، لجمعه من شمائله وأوصافه كثيرا ، وإدماجه
بجملته كافية من سيره وفضائله ، ونصله بتنبية لطيف على غريبه ومشكله .

حدثنا القاضي أبو علي الحسين بن محمد الحافظ - رحمه الله - بقرائه عليه سنة ثمان
وخمسة مائة [٤٩] ؛ قال : حدثنا الإمام أبو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قراءة عليه ،
أخبركم الفقيه الأديب أبو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري ، والشيخ الفقيه
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن الحمدي ، والقاضي أبو علي الحسن بن علي بن جعفر

(١) أي كونها صحيحة في حقه صلى الله عليه وسلم .

(٢) جلينا : روينا ونقلنا ، وأوردنا وشرحنا .

(٣) الأدلاء : جمع دليل ، وهو من يتقدم الركب ليهديهم إلى الطريق .

(٤) الأدلاء : جمع دلو . وهو ما يؤخذ به الماء . وعدم تكديره : عبارة عن عدم بلوغ

آخره ؛ لأنه إذا بلغه حرك طينه فيتكدر ماؤه . (٥) المعروف : المشهور الذي يعرفه الناس .

(٦) القل : القليل ، بمعنى القلة ؛ أي ذكرنا أمرا قليلا منه لا كثيرا ، أو دون الجميع ،

لأنه لا يمكن الإحاطة به . وكامة « كل » فوقها علامة الصحة في ب . وفي هامشه : كثر .

(٧) الفيض : المراد القليل . الفيض : المراد به الكثير .

(٨) رواه الترمذي في شمائله صفحة ٤ من نسختي المخطوطة . وهو في دلائل النبوة للبيهقي

الوَحْشِيِّ؛ قالوا: حدثنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزازي، أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، أنبأنا أبو عيسى بن سورة الحافظ؛ قال: حدثنا سُفْيَانُ بْنُ وَكَيْعٍ، حدثنا جَمِيعُ بْنُ عُمرِ بْنِ عبد الرحمن العجلي إِمْلَاءُ من كتابه؛ قال: حدثني رجلٌ من بني تميم من وُلْدِ أَبِي هَالَةَ زَوْجِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، يكنى أبا عبد الله، عن ابنِ لِأَبِي ^(۱) هَالَةَ، عن الحسن بن علي بن أبي طالب رَحِمَهُ اللَّهُ؛ قال: سألتُ خالي هِنْدَ بْنَ أَبِي هَالَةَ .

قال القاضي أبو علي رَحِمَهُ اللَّهُ ^(۲): وقرأتُ على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن ابن أحمد بن خُذَادَادِ ^(۳) الكَرَجِيِّ ^(۴) الباقلاني؛ قال: وأجاز لنا الشيخ الأجلّ أبو الفضل أحمد بن الحسين بن خيرون؛ قالوا: حدثنا أبو علي الحسن بن أحمد ابن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي قراءةً عليه فأقرَّ به، قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر ابن عبید الله ^(۵) بن الحسين بن علي بن [الحسين بن علي] ^(۶) بن أبي طالب المعروف بابن أخي طاهر العلوي، قال: حدثنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد

(۱) قال الذهبي: إن هذا الرجل لا يعرف اسمه؛ فهذا الحديث منقطع، لأن فيه راويًا مجهولًا (نسيم الرياض: ۲ - ۱۸۳).

(۲) فروى هذا الحديث من طريقين. والقاضي هذا هو ابن سكرة.

(۳) في ب: خذاداد. وفي هامشه: معناه بالفارسية: عطاء الله. وقال الشهاب (۲-۱۸۳): إنه خذادادا - بألف مقصورة آخره.

(۴) عليه علامة الصحة في ب. وقال في هامشه: كذا وقع الكرجي - بالجيم. وضبطه كذلك الشهاب (۲-۱۸۳). وفي أ: الكرخي - بالخاء. وضبطه القاري (۱-۳۳۵) بسكون الراء، ورواه بالجيم.

(۵) هذا في أ، ب. وفي شرح القاري، وشرح الخفاجي: عبد الله.

(۶) من ب، وعليه علامة الصحة.

ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ؛ قال : حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين ، عن أخيه موسى بن جعفر ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن علي بن الحسين ، قال : قال الحسن بن علي - واللفظ لهذا السند (١) : سألت خالي هناد بن أبي هالة عن حليته (٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان وصافاً (٣) - وأنا أَرْجُو أَنْ يَصِفَ لِي مِنْهَا شَيْئًا أَتَعَلَّقُ (٤) بِهِ ، قَالَ (٥) :

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخْمًا مُفَخَّمًا (٦) ، يُتَلَاءُ أَوْجُهَهُ تَلَاءً الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ (٧) ، أَطْوَلَ مِنَ الْمَرْبُوعِ (٨) ، وَأَقْصَرَ مِنَ الْمَشَدَّبِ ، عَظِيمِ الْهَامَةِ (٩) ، رَجُلٍ الشَّعْرُ ؛ إِنْ انْفَرَقَتْ عَقِيْقَتُهُ فَرَّقَ ، وَإِلَّا فَلَا يَجَاوِزُ شَعْرَهُ شَحْمَةَ أُذُنِهِ (١٠) ، إِذَا هُوَ وَفْرَهُ ، أَزْهَرَ اللَّوْنَ ، وَاسْعَ الْجَبِيْنَ ، أَزَجَّ الْحَوَاجِبَ ، سَوَابِغَ ، مِنْ غَيْرِ قَرْنٍ ، بَيْنَهُمَا عِرْقٌ يُدِرُّهُ (١١) الْغَضَبُ ، أَقْنَى الْعِرْنَئِينَ ، لَهُ نُورٌ يَعْلُوهُ ، وَيَحْسِبُهُ (١٢) مَنْ لَمْ يَتَامَهُ

(١) وهو الطريق الثاني في الإسناد، وهو في شمائل الترمذي صفحة ٤ من مخطوطاتي المحققة، ووصفحة ١٨ من المواهب ، وسنن الترمذي : ٥ - ٥٩٢

(٢) الحلية : ما يتحلى به من الصفات .

(٣) كان وصافاً : كان فصيحاً له خبرة بوصف الناس لحذقه . أو كان معروفًا بذكر صفات النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) أتعلق به : أحفظه وأتمسك به تبركاً .

(٥) سيأتي تفسير لغريب هذا الحديث في الفصل التالي ؛ ولهذا لن نشرح إلا ما تركه المصنف - فيما يأتي في ذلك الفصل .

(٦) الفخم : العظيم ، والمراد أن أعضاءه صلى الله عليه وسلم تامة الحلقة واسعة سعة غير مفرطة . مفخماً : المراد أنه معظم في العيون الناظرة إليه .

(٧) يتلأأ وجهه : يشرق ويضيء .

(٨) المربع : الذي بين الطول والقصر . (٩) الهامة : الرأس .

(١٠) شحمة الأذن : مالان منها حيث يعلق القرط .

(١١) سوابغ : أطوال كاملة . قرن : اقتران واتصال . يدبره الغضب : المراد أنه يظهره لتغليان

الدم بالغضب بعد ما كان خفياً . (١٢) يحسبه : يظنه .

أَشْمٌ ، كَثَّ اللَّحْيَةُ^(١) ، أَدْعَجَ ، سَهَّلَ الْخَدَيْنِ^(٢) ، ضَلِيعَ الْفَمِ ، أَشْنَبَ ، مُفْلَجٌ ،
الْأَسْنَانُ ، دَقِيقَ الْمَسْرُوبَةِ ، كَأَنَّ عُنُقَهُ جَيِّدٌ دُمِيَّةٌ فِي صَفَاءِ الْفِضَّةِ^(٣) ، مَعْتَدِلَ الْخَلْقِ ،
بَادِنًا ، مُتَأَمِّكًا ، سِوَاءَ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ ، مُشِيحَ الصَّدْرِ ، بَعِيدًا مَا بَيْنَ الْمَنَكِبَيْنِ ،
ضَخْمَ الْكَرَادِيسِ ، أَنْوَرَ الْمُتَجَرَّدِ^(٤) ، مُوَصُولَ مَا بَيْنَ اللَّبَّةِ وَالسَّرَّةِ بِشَمْرِ يَجْرِي
كَالْحَطِّ ، عَارِي الثَّدْيَيْنِ ، مَا سِوَى ذَلِكَ^(٥) ، أَشْعَرَ الذَّرَاعَيْنِ^(٦) وَالْمَنَكِبَيْنِ وَأَعَالَى
الصَّدْرِ ، طَوِيلَ الزَّنْدَيْنِ ، رَحْبَ الرَّاحَةِ ، شَثْنَ الْكَفَّيْنِ^(٧) وَالْقَدَمَيْنِ ، سَائِلَ الْأَطْرَافِ -
[أَوْ قَالَ : سَائِنَ الْأَطْرَافِ]^(٨) ، سَبِطَ الْعَصَبِ^(٩) ، خُمَصَانَ الْأَخْمَصَيْنِ ، مَسِيحَ
الْقَدَمَيْنِ ، يَنْبُو عَنْهُمَا الْمَاءُ ، إِذَا زَالَ زَالَ تَقْلَعًا ، وَيَخْطُو تَكْفًا ، وَيَمْشِي هَوْنًا ،
ذَرِيعَ الْمَشْيَةِ ، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ ، وَإِذَا التَفَتَ التَفَتَ جَمِيعًا^(١٠) ،
خَافِضَ الطَّرْفِ^(١١) ، نَظَرُهُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، جُلُّ نَظَرِهِ

- (١) كَثَّ اللَّحْيَةِ : لِحْيَتُهُ كَثِيرَةٌ الشَّعْرُ مِنْ غَيْرِ طَوْلٍ وَلَا دَقَّةٍ شَمْرٌ .
(٢) سَهَّلَ الْخَدَيْنِ : غَيْرُ مَرْتَفِعِ الْوَجْنَةِ وَكَثِيرِ اللَّحْمِ فِيهَا .
(٣) جَيِّدٌ : عُنُقٌ . وَالْدُمِيَّةُ : الصُّورَةُ مِنْ رِخَامٍ أَوْ عَاجٍ ، وَالْمُرَادُ شِدَّةُ بَيَاضِهِ وَطَوْلُهُ .
(٤) أَنْوَرَ الْمُتَجَرَّدِ : يَعْنِي مَا خَفِيَ مِنَ الْبَدَنِ . وَأَنْوَرٌ : نِيرٌ ، مُشْرِقٌ .
(٥) مَا سِوَى ذَلِكَ : أَيُّ مَا سِوَى الشَّعْرِ الَّذِي بَيْنَ السَّرَّةِ وَاللَّبَّةِ . وَاللَّبَّةُ : النَّحْرُ . وَقِيلَ الصَّدْرُ .
وَقِيلَ مَوْضِعُ الْقِلَادَةِ . وَفِي ب : مِمَّا سِوَى ذَلِكَ .
(٦) أَشْعَرَ الذَّرَاعَيْنِ : أَيُّ كَثِيرِ شَعْرِهَا .
(٧) شَثْنُ الْكَفَّيْنِ : الشَّتْنُ : الضَّخْمُ الْمُتَلَيُّ لَهَا .
(٨) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ كَتَبَ أَمَامَهُ ، فِي هَامِشٍ أ : لَيْسَ مِنَ الرَّوَايَةِ . وَفِي ب : أَوْ قَالَ :
هُوَ سَائِنٌ .
(٩) سَبِطَ الْعَصَبِ : سَبِطٌ : مُمْتَدٌّ لَيْسَ بِهِ تَعْقِدٌ .
(١٠) التَفَتَ جَمِيعًا : إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدُورَ إِلَى خَلْفِهِ أَوْ فِي جَانِبِهِ لَا يَلْوِي عُنُقَهُ ؛ بَلْ يَصْرِفُ
جَمِيعَ بَدَنِهِ فَيَقْبَلُ جَمِيعًا وَيُدْبِرُ جَمِيعًا .
(١١) خَافِضَ الطَّرْفِ : الطَّرْفُ : الْعَيْنُ .

الملاحظة^(١)، يسوق أصحابه^(٢)، [٥٠] ويبدأ من لقيه^(٣) بالسلام.

قلت : صِف لي منطِقَه^(٤).

قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم متواصلَ الأُحزانِ^(٥)، دائمَ الفِكْرَةِ، ليست له راحةٌ، ولا يتكلمُ في غير حاجةٍ، طويلَ السكوتِ، يفتح الكلامَ ويختمه بأشدِّ آقِه، ويتكلمُ بجوامعِ الكلامِ فصلاً^(٦)، لا فضولَ^(٧) فيه ولا تقصيرٍ، دَمِثاً ليس بالجافي ولا المَهينِ^(٨)، يعظمُ النعمةَ وإن دقت^(٩)، لا يذمُّ شيئاً، لم يكن يذمُّ ذواقاً^(١٠)، ولا يمدحُه، ولا يُقامُ لغضبه إذا تعرضَ للحق بشيءٍ^(١١) حتى ينتصرَ له، ولا يفضبُ لنفسه ولا ينتصرَ لها، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها^(١٢) وإذا تحدثَ

(١) جل نظره الملاحظة : جل : معظم، وأكثر. والملاحظة : النظر باللمحظ، وهو طرف العين مما يلي الصدغ.

(٢) يسوق أصحابه : يعشى خلفهم، ولا يدع أحداً منهم يعشى خلفه، كما هي عادة المتكبرين.

(٣) في ب : لقي . (٤) منطِقَه : نطقه وكلامه .

(٥) أي لم يكن كلامه بفرح وبطر، بل بحزن وأسف. وفي نسيم الرياض (٢ - ١٩٢) :

قال ابن قيم الجوزية : قول أبي هالة : متواصل الأُحزان - لم يثبت عنه، وفي سنده مجهول؛ كيف وقد صانه الله عن الحزن وأسبابه، ونهاه عنه بقوله : لا تحزن، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فلا خوف عليه، ولا حزن في الدنيا والآخرة؛ فمن أين يأتيه الحزن؟

(٦) فصلاً : كلاماً فاصلاً للخصومة، وفارقاً بين الحق والباطل.

(٧) لا فضول : لا زيادة.

(٨) دمث : من الدمثة، وهي سهولة الخلق. والجافي : غليظ الطبع. وقد ضبطت الميم

في كلمة « المهين » في ب - بالضم. وفي النهاية : بالضم من الإهانة؛ أي لا يهين أحداً من الناس، وبالفتح من المهانة؛ أي الحقارة.

(٩) دقت : صغرت.

(١٠) ذواقاً : ما يذاق من مأكول ومشروب.

(١١) أي لا يثبت له أحد إذا غضب. إذا تعرض : إذا تعرض أحد للحق بما يبطله.

(١٢) في ب ضبطت اللام بالتشديد.

اتَّصَلَ^(۱) بها، ففُضِرْبَ بِإِيهَامِهِ الْيُمْنَى رَاحَتَهُ الْبِسْرَى ، وَإِذَا غَضِبَ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ^(۲) ،
وَإِذَا فَرِحَ غَضَّ طَرْفَهُ ، جَلَّ^(۳) ضَحِكُهُ التَّبَسُّمُ ، وَيَفْتَرُّ^(۴) عَنِ^(۵) مِثْلِ حَبِّ الْغَمَامِ .
قَالَ الْحَسَنُ : فَكَتَمَتَهَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ زَمَانًا ، ثُمَّ حَدَّثَتْهُ فَوَجَدَتْهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ^(۶) ،
فَسَأَلَ أَبَاهُ عَنْ مَدْخَلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَخْرَجَهُ وَمَجْلِسَهُ وَشَكْلَهُ^(۷) ،
فَلَمْ يَدَّعُ مِنْهُ شَيْئًا .

قال الحسين : سألت أبي عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :
كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك^(۷) ، فكان إذا أوى إلى منزله جزأ^(۸)
دخوله^(۸) ثلاثة أجزاء : جزءا لله ، وجزءا لأهله ، وجزءا لنفسه ، ثم جزأ جزأه بينه
وبين الناس ، فيرد ذلك على العامة بالخاصة^(۹) ، ولا يدخر عنهم شيئا ، فكان من
سيرته في جزء الأمة^(۱۰) إيثارا أهل الفضل بإذنه^(۱۱) وقسمته على قدر فضلهم

(۱) اتصل بها : لا يزال يحركها ، أو وصل إحدى يديه بالأخرى . والمراد أنه كان إذا
حدث وصل حديثه بالإشارة بيده توكيدا له .

(۲) أشاح : صرف وجهه ، أو مال وانقبض . (۳) جل : أكثر ، ومعظم .

(۴) يفتر : من قولهم : افتتر ضاحكا ، إذا أبدى أسنانه . (۵) إليه : إلى الحديث .

(۶) المراد خروجه صلى الله عليه وسلم للناس ، ودخول بيته ؛ وجلوسه عندهم . وشكله :
أى هيئته ، أو هي بكسر الشين بمعنى الهدى والسمت .

(۷) دخوله لنفسه : أى دخوله منزله ليجتمع بأهله لمصالحه وقضاء مآربه وقبولته .
مأذونا له فى ذلك : من الله إذنا عاما بحيث يدخل أى بيت من بيوته فى أى وقت .

(۸) جزأ دخوله : قسم زمن دخوله لبيته .

(۹) العامة : ما عدا الخاصة . ويرد : يوصل ويعطى ، كأنه لما كان لهم حق فى الجملة أخذ
منهم ثم رد إليهم . والمراد أن الخاصة كانت تخبر العامة بما سمعته منه صلى الله عليه وسلم إذا
لم يكن مما لا ينبغي كتبه عنهم . (۱۰) وهو الجزء الذى جعله للناس .

(۱۱) الإيثار : تقديم ما يؤثره على غيره . والمراد بإذنه أنه يأذن لهم فى الدخول فى
خلوته فى بيته .

في الدين^(١)؛ منهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الخواص، فيتشغل بهم، ويشغلهم فيما أصلحهم^(٢)، والأمة من مسألته عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم؛ ويتول: أبلغ الشاهد منكم الغائب، وأبأفوني حاجة من لا يستطيع إبلاغ حاجته، فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة^(٣)، لا يذکر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره.

وقال^(٤) في حديث سفيان بن وكيع: يدخلون روادا^(٥)، ولا يتفرقون إلا عن ذواق^(٦)، ويخرجون أدلة - يعني فقهاء^(٧).

قلت^(٨): فأخبرني عن مخرجه^(٩) كيف كان يصنع فيه؟

قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه إلا مما يعنيهم^(١٠) ويؤلفهم ولا يفرقهم؛ بكرم كريم كل قوم، ويؤايبه عليهم، ويحذر الناس، ويحترس منهم،

(١) أي قسمته جزأه في حديثه معهم واشتغاله بأحوالهم على قدر تفاوتهم في الدين، لأن أكرمهم عند الله أتقاهم.

(٢) أي مافيه صلاحهم.

(٣) على الصراط يوم تزل الأقدام، والمراد نجاته من أهوال الموقف.

(٤) وقال: أي على رضى الله عنه في رواية في حديث سفيان بن وكيع.

(٥) روادا: جمع رائد، والمراد طالبين محتاجين للإرشاد. أو هي رواد - بكسر الراء

وتخفيف الواو؛ أي ملتجئين لأئدين به. وفي هامش ١: لوادا. ولوادا: ملتجئين إليه، ومتخصصين ممتنعين به، أو متقربين عنده.

(٦) ولا يتفرقون إلا عن ذواق: لا يتفرقون من مجلسه إلا عن علم وأدب هو غذاء

لأرواحهم. وفي ب: لا يفرقون.

(٧) فقهاء: عالين بأمور الدين، هداة مرشدين للناس، يهتدى بهم غيرهم.

(٨) قلت: قاله الحسين لأبيه رضى الله عنه.

(٩) عن مخرجه: عن حاله صلى الله عليه وسلم بعد خروجه من منزله.

(١٠) يخزن لسانه: بصونه. يعنيهم: بهمهم وينفهمهم.

مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْوِيَ عَنْ أَحَدٍ بَشْرَهُ ^(۱) وَخُلُقَهُ ، وَيَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ ^(۲) ، وَيَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي النَّاسِ ، وَيَحْسِنُ الْحَسْنَ وَيُصَوِّبُهُ . وَيَقْبَحُ الْقَبِيحَ وَيُوهِّنُهُ ^(۳) ، مَعْتَدِلَ الْأَمْرِ غَيْرِ مُخْتَلَفٍ ^(۴) ، لَا يَغْفُلُ مَخَافَةَ أَنْ يَغْفُلُوا أَوْ يَمَلُّوا ، لِكُلِّ حَالٍ عِنْدَهُ عَتَادٌ ^(۵) ، لَا يُقْصِرُ عَنِ الْحَقِّ ، وَلَا يَجَاوِزُهُ إِلَى غَيْرِهِ ، الَّذِينَ يَلُونَهُ ^(۶) مِنَ النَّاسِ خِيَارُهُمْ ، وَأَفْضَالُهُمْ عِنْدَهُ أَعْمَهُمْ ^(۷) نَصِيحَةٌ ؛ وَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةٌ أَحْسَنُهُمْ مَوَاسَاةً وَمُوَازَرَةً ^(۸) .

فسأله عن مجلسه : عما كان يصنع فيه .

فقال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكرٍ ^(۹) ، ولا يُوطِنُ الأماكِنَ ، وَيَنْتَهِي عَنِ إِطْطَانِهَا ^(۱۰) ، وَإِذَا انْتَهَى إِلَى قَوْمٍ جَلَسَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ ، وَيَأْمُرُ بِذَلِكَ ، وَيُعْطِي كُلَّ جُلْسَانِهِ نَصِيْبَهُ حَتَّى لَا يَحْسِبَ ^(۱۱) ، جَلِيْسُهُ أَنْ أَحَدًا أَكْرَمُ عَلَيْهِ فِيهِ ، مِنْ جَالِسِهِ أَوْ قَاوِمَهُ لِحَاجَةِ صَابِرِهِ حَتَّى [۵۱] يَكُونَ هُوَ الْمُنْصَرِفَ عَنْهُ ^(۱۲) .

- (۱) بطوى : يخفى ويمنع . وبشره : طلاقة وجهه وانبساطه معه تأنيدا له وتأليفا لقلبه وإذهابا لخوف مهابته .
- (۲) يتفقده أصحابه : يسأل عمن لم يحضر عنده منهم .
- (۳) يوهنه : أى يقول هو فعل قبيح وضعيف وساقط تنفيرا وتحذيرا ونصحا .
- (۴) غير مختلف : على سنن واحد في جميع أوقاته .
- (۵) العتاد : العدة ، والحاضر المعد لإصلاحه وتداركه إذا وقع .
- (۶) الذين يلونه : أى يقربون منه في مجلسه .
- (۷) في ب : أحسنهم . وفي هامشه : أعمهم .
- (۸) المواساة : إعطاء من يريد ما يحتاج إليه . والموازرة : إعانة من يلجأ إليه .
- (۹) على ذكر لله ، أو إفادة علم ، أو بيان حمد وشكر .
- (۱۰) المراد أنه لا يلزم مكانا بخصوصه في غير بيته . (۱۱) لا يحسب : لا يظن .
- (۱۲) قاومه : قام مع قيامه لعرض حاجته أو لغير ذلك . صابره : صبر عليه ، فلا ينصرف عنه حتى ينصرف هو ؛ كل ذلك لتطيب قلوبهم .

مَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إِلَّا بِهَا أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ ^(۱) . قَدْ وَسَّعَ النَّاسَ ،
بَسَطَهُ وَخَلَقَهُ ^(۲) ؛ فَصَارَ لَهُمْ أَبَاءً ، وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، مُتَقَارِبِينَ مُتَفَاضِلِينَ
فِيهِ بِالتَّقْوَى .

وَفِي الرَّوَايَةِ الْآخَرَى : صَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ ،
وَصَبْرٍ وَأَمَانَةٍ ؛ لَا تَرْفَعُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ ، وَلَا تُؤْتَبَنُ فِيهِ الْحُرْمُ ^(۳) ، وَلَا تُتْنَى
فَلَتَاتُهُ ^(۴) ، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ ^(۵) ، مِنْ غَيْرِ الرَّوَايَتَيْنِ . .

يَتَعَاطُونَ فِيهِ بِالتَّقْوَى مُتَوَاصِفِينَ ^(۶) ، يُوقَرُونَ فِيهِ ^(۷) الْكَبِيرُ ، وَيَرْحَمُونَ
الصَّغِيرَ ، وَيَرْفِدُونَ ^(۸) ذَا الْحَاجَةِ ، وَيَرْحَمُونَ ^(۹) الْغَرِيبَ .
فَسَأَلْتُهُ عَنِ سِيرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَلْسَاتِهِ .

فَقَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَائِمًا الْبِشْرَ ^(۱۰) ، سَهْلَ الْخُلُقِ ، أَيْنَ

(۱) بميسور من القول : أى رده بقول لين سهل لاغلظة فيه .
(۲) بسطه : أى بسط يده ، وسماحته ، وطلاقة وجهه ، وإبداء سروره ، وحسن خلقه .
(۳) لاتؤبن فيه الحرم : لاتذكر بسوء . والحرم : جمع حرمة ، وهى ما لا
يحل ، والمراد النساء .
(۴) لاتتنى : لاتذكر . فلتاته : جمع فلتة ؛ وهى الزلة ، أى القبيح الذى يقع بفتة .
والمراد أنه لا قبح فيه حتى يذكر . أو أن الفلتة إذا وقعت لا تذكر ؛ بل تستر .
(۵) وهذه الكلمة : يريد قوله : لاتتنى فلتاته . من غير روايتى الحسن عن خاله ، ورواية
الحسين عن أبيه .

(۶) يتعاطون بالتقوى : يعطف بعضهم على بعض ، ويشفق عليه ويرحمه بسبب تقوى الله ،
لا رياء ولا سمعة ولا خوفاً واتقاء شراً .
(۷) فيه : أى فى المجلس .
(۸) يرفدون : يمينون ويواسون . وفى ب : يرفدون - بضم الياء ، ويرفدون
بفتحها وعليها « معا » .

(۹) فى ب : ويحفظون . وفى هامشه : ويرحمون . ويؤثرون .
(۱۰) البشر : طلاقة الوجه وبشاشته ، وإظهار البرور .

الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ^(۱) ، ولا سخاب^(۲) ، ولا فحاش ، ولا عياب
 ولا مداح^(۳) ، يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤس منه^(۴) ، قد ترك نفسه من ثلاث :
 الرياء^(۵) ، والإكثار ، ومالا يعنيه . وترك الناس من ثلاث : كان لا يذم أحدا ،
 ولا يعيره ، ولا يطلب عورته^(۶) ، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه ، إذا تكلم أطرق
 جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير^(۷) ، وإذا سكت تكلموا ، لا يتنازعون عنده
 الحديث^(۸) . من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ ، حديثهم حديث أولهم^(۹) ،
 يضحك مما يضحكون منه ، ويتمجب مما يتمجبون^(۱۰) منه ، ويصبر للغريب على

(۱) الفظ : السيء الخلق . والغليظ : الشديد المتوعد .

(۲) ولا سخاب - بالسین والصاد : لا يرفع صوته جدا في خصومة ونحوها .

(۳) ولا فحاش : لا يتكلم بقبیح كالشتم . ولا عياب : ولا يذكر عيوب الناس
 وتقائصهم . ولا مداح : أى لا يكثر المدح لغيره ويطريه بمبالغة .

(۴) ولا يؤس منه : يعنى إذا سئل عما لا يليق تغافل عنه ولم يرد السائل حتى يبأس ،
 أو يبين له أنه سأل ما لا يليق فيخرجل سائله . وهذا الضبط في ا . وفي ب : يؤس - وضبطت
 الهمزة بالفتحة والكسرة ، وكتب فوقها « مما » . وقال في هامشه : في نسخة يؤس -
 مبنى لما لم يسم فاعله . والصحيح ما في الأصل .

(۵) ترك نفسه : تزهها ، وأبعدها ، ومنعها . والرياء : إظهار ما فيه من الصفات الحميدة
 والأفعال الجميلة للناس حتى يحمدها ويشيع ذلك عنه .

(۶) لا يطلب عورته : لا يتجسس عن معائب الناس ويبحث عنها .

(۷) كأنما على رؤوسهم الطير : بسكون ووقار من غير طيش ولا خفة .

(۸) لا يتنازعون عنده الحديث : إذا كانوا في مجلسه لا يدرون الحديث بينهم ، فيحدث

بعضهم بعضا كما هو جار بين الناس إذا اجتمعوا في ناد .

(۹) حديثهم حديث أولهم : أى حديث كل واحد منهم إنما هو حديث من قبله ، يعنى

أنه لا حديث له معه يقطعه . وفي ب : حديث أوليتهم . وفي هامشه : أولهم .

(۱۰) في ب : يعجب مما يعجبون .

الجفوة^(۱) في المنطق ، ويقول : إذا رأيتمُ صاحبَ الحجَّةِ يطلبها فأرْفِدُوهُ^(۲) ، ولا يطلب الثناء إلا من مُكافئ ، ولا يقطعُ على أحد حديثه حتى يتجاوزَه فيقطعهُ بانتهاء أو قيام .

هنا انتهى حديثُ سفيان بن وكيع .

وزاد الآخر^(۳) : قلتُ : كيف كان سكوتُه صلى الله عليه وسلم ؟

قال : كان سكوتُه على أربع : على الجلم ، والحذر ، والتقدير ، والتفكير . فأما تقديرُه ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس^(۴) ، وأما تفكيرُه فقيل : يَبْقَى وَيَفْنَى .

وُجِعَ له الجلمُ صلى الله عليه وسلم في الصبر ، فكان لا يُغْضِبُهُ شَيْءٌ يَسْتَفْزُهُ^(۵) . وُجِعَ له في الحذر أربعٌ : أخذُه بالحسن^(۶) ليقتدى به ، وتركُه القبيح ليذتهى عنه ، واجتهادُ الرأى^(۷) بما أصلح أُمَّتَه ، والقيام^(۸) لهم بما جمع لهم أمرَ الدنيا والآخرة . انتهى الوصف بحمدِ الله وعونه .

(۱) الجفوة : الغلظة والتكلم بما لا يليق ، أو بما يؤلم .

(۲) أرْفِدُوهُ : أعينوه وأعطوه . وفي ۱ : فارْفِدُوهُ - بهزة وصل .

(۳) الآخر : صاحب الرواية الأخرى التي هي من رواية أبي علي الحافظ ابن سكرة .

(۴) تسوية النظر بين الناس : جعلهم متساوين في النظر إليهم ، والاستماع إلى حديثهم ؛ وفي ب : من الناس .

(۵) يَسْتَفْزُهُ : يستغفه ، بحيث يبدو منه خفة وقلق لأمور الدنيا .

(۶) أخذُه بالحسن : تمسكه بكل أمر مستحسن مشروع .

(۷) واجتهاد الرأى : أى اجتهاده فيما يراه رأياً يصلح أُمَّتَه .

(۸) والقيام لهم : القيام : التمسك والالتزام والاجتهاد وبذل ما في وسعه وطاقته من أجل

إصلاحهم . ولا خلاف في أنه صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في أمور الدنيا ويرجع إلى رأى غيره في ذلك .

فصل ٢٦

في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله

قوله : المُسَدَّب ، أي البائن^(١) الطول في نحافة ، وهو مثلُ قوله في الحديث الآخر : ليس بالطويل المَمْفِط^(٢) .

والشَّعْر الرَّجِلِ : الذي كأنه مُشِطٌ فَتَكَسَّرَ قليلا ؛ ليس بِسَبِطٍ وَلَا جَعْدًا^(٣) .
وَالعَقِيَّة : شعر الرأس^(٤) ، أراد إن انفردت من ذاتِ نفسها^(٥) فَرَقَّهَا ،
وإِلَّا تركها مَعْقُوصَةً^(٦) . وَيُرْوَى : عَقِيصَتَهُ^(٧) .
وَأزهر اللّون : نَيَّرَهُ . وقيل : أزهر : حَسَن . ومنه زهرة الحياة الدنيا ، أي
زيتها .

وهذا كما قال في الحديث الآخر^(٨) : ليس بالأبيض الأْمَهَق ، ولا بالآدم .
وَالأْمَهَق : هو الناصع البياض . والآدم : الأَسْمَر اللّون .

-
- (١) البائن : الظاهر . وفي هامش ١ : لم يكن بالطويل الممنط ؛ أي لم يكن بالبائن الطول .
قال أبو زيد : يقال : ممنط النهار ؛ أي امتد ، وممنطت الجبل فأنمط وامنط . وقال أبو تراب
في كتاب الاعتقاب : ممنط وممط - بالنين والعين (من الغريبيين - للهروي) .
- (٢) الممنط : الذي ليس بفائق الطول .
- (٣) السبط : المرسل . والجعد : الذي فيه التواء وتقبض . وهو ضد المسترسل . وفي ب
ضبطت الباء في « سبط » بالسكون والكسرة ، وعليها « معا » .
- (٤) أصله شعر المولود ، ثم أطلق على غيره . (٥) في ب : من ذاتها .
- (٦) معقوصة : العقص : ضفر الشعر على الرأس وليه ؛ أي إن لم تنفرق بنفسها والتفت
واجتمعت تركها على حالها .
- (٧) أي بدل عقيقته ، وهي الشعر المعقوص ، أي المظفور .
- (٨) الحديث الآخر عن أنس ، في صحيح مسلم : ١٨٢٤

ومثله في الحديث الآخر: أبيض مُشْرَب (١)؛ أي فيه حُمْرة .

والحاجِبُ الأَزَجُ : المقوَّس الطويل الوافر الشعر .

والأَقْنَى : السائل الأنف ، المرتفع وسطه .

والأَشْمُ : الطويل قَصْبَةَ الأنف .

والقرن : اتصال شعر الحاجبين (٢) . وضده البَلَج .

ووقع في حديث أمّ مَعْبُد وصفه بالقرن .

والأدْعَجُ : الشديد سوادِ الحَدَقَة .

وفي الحديث الآخر (٣) : [٥٢] أشكَل العَيْنِ ، وأسَجَر العَيْنِ (٤) ، وهو الذي

في بياضها حُمْرة .

والضَلِيع : الواسِع .

والشَنَب : رَوْنَقُ الأسنان ، وماؤها (٥) .

وقِيل : رِقْمُها وتَحْزِيْرُ (٦) فيها ، كما يُوجَدُ في أسنانِ الشباب .

والفَلَجُ : فَرَقٌ بين الثنايا .

ودَقِيقُ المَسْرُوبَة : خيط الشعر الذي بين الصدرِ والسُرَّة .

(١) مشرب : الإشراب : خلط لون بلون ، وأكثر ما يقال في الحُمْرة .

(٢) قال في نسيم الرياض (٢ - ٢٠٨) : المشهور خلافه ، ويؤيده أن العرب تكراهه .

وقال القارى (١ - ٣٥٣) : وقد جمع بينهما بأن أم معبد رآته من بعد ، فظنت أنه قرن ، لقرب

طرفيهما التقاء ، فوصفته بالقرن ؛ وعلى كرم الله وجهه حقهها من قرب ، فرآهما كادا

يلتقيان فوصفه بالباج . (٣) صحيح مسلم : ١٨٢٠

(٤) في هامش ١ : عين سجراء - بالجيم : إذا كانت في بياضها حُمْرة . وفي صحيح مسلم

(١٨٢٠) قال : قلت : ما أشكل العين ؟ قال : طويل شق العين . قال شارحه : هذا وهم

من سماك باتفاق وغلط ظاهر ، وصوابه - كما قال القاضى - أن الشكلة حُمْرة في بياض العين ،

وهو محمود . (٥) ماؤها : صفاؤها . (٦) أو المراد بتحزيرها كون أطرافها دقيقة .

بَادِن : ذُو لَحْمٍ مُتَمَاسِكٍ ، مَعْتَدِلٌ اَنْخَلِقُ ، يَمْسِكُ بَعْضُهُ بَعْضًا ، مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ : لَمْ يَكُنْ بِالْمُطَهَّمِ ، وَلَا بِالْمُكَلَّمِ ؛ أَي لَيْسَ بِمُسْتَرْخِي اللَّحْمِ ^(١) .
وَالْمُكَلَّمِ : الْقَصِيرِ الذَّقْنِ .

وَسَوَاءُ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ ؛ أَي مُسْتَوِيهِمَا .

وَمُسِيحِ الصَّدْرِ ؛ إِنْ صَحَّتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ فَتَكُونُ مِنَ الْإِقْبَالِ ، وَهُوَ أَحَدُ مَعَانِي ^(٢) « أَشَاح » ؛ أَي إِنْهَ كَانَ بَادِي الصَّدْرِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي صَدْرِهِ قَعَسٌ ، وَهُوَ تَطَامُنٌ فِيهِ ^(٣) ، وَبِهِ يَتَضَحَّ ^(٤) قَوْلُهُ قَبْلَ : سَوَاءُ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ ؛ أَي لَيْسَ بِمُتَقَاعَسِ الصَّدْرِ ، وَلَا مُفَاضِ الْبَطْنِ ^(٥) .

وَلَعَلَّ اللَّفْظَةَ ^(٦) : مَسِيحٌ - بِالسِّنِّ ، وَفَتَحَ اللَّيْمِ ، بِمَعْنَى عَرِيضٍ ، كَمَا وَقَعَ فِي الرَّوَايَةِ الْآخَرَى . وَحِكَاةُ ابْنِ دُرَيْدٍ .

وَالْكَرَادِيْسُ : رِءُوسُ الْعِظَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ : جَلِيلٌ ^(٧) الْمَشَاشِ وَالْمَكْتَدِ ^(٨) .

وَالْمَشَاشُ : رِءُوسُ الْمَنَاكِبِ . وَالْمَكْتَدُ : مَجْتَمِعُ الْكَتْفَيْنِ .
وَشَتْنُ الْكَتْفَيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ : لَحِيمُهُمَا .
وَأَنْزَادَانُ : عَظْمَا الدَّرَاعَيْنِ ^(٩) .

(١) الْمُطَهَّمُ : فَاحِشُ نَسَمِنٍ مُنْتَفِخِ الْوَجْهِ .

(٢) وَمِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي أَعْرَضَ .

(٣) فِيهِ ؛ أَي فِي الصَّدْرِ . وَالتَّطَامُنُ : الْإِنْخِفَاضُ .

(٤) فِي ب : وَبِهِ يَضْحَكُ . وَفِي هَامِشِهِ : وَبِهِ يَتَضَحُّ .

(٥) مِفَاضُ الْبَطْنِ : ضَخْمُ الْبَطْنِ . (٦) فِي ب : اللَّفْظُ . وَالمُثَبَّتُ فِي أ .

(٧) جَلِيلٌ : عَظِيمٌ . وَالْمَشَاشُ : رِءُوسُ الْعِظَامِ ، كَالرَّفَقَيْنِ وَالْكَتْفَيْنِ وَالرَّكْبَتَيْنِ .

(٨) ضَبَطْتَ التَّاءَ فِي كَلِمَةِ « الْمَكْتَدِ » بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ ، وَعَالِمُهَا « مَعَا » فِي ب .

(٩) فِي ب : عَظْمَا الدَّرَاعِ . وَفِي هَامِشِهِ : الدَّرَاعَيْنِ .

وسائل الأطراف ؛ أى طويل الأصابع .

وذكر ابن الأنبارى أنه روى سائل الأطراف ؛ وقال : سائن - بالنون ؛ [قال] ^(۱) : وهما بمعنى ، تبذل اللام من النون ، إن صححت الرواية ^(۲) بها .

وأما على الرواية الأخرى : وسائر الأطراف - فإشارة إلى نفاثة جوارحه ، كما وقعت مفصلة في الحديث .

ورحّب الراحة ؛ أى واسعها . وقيل : كنى به ^(۳) عن سعة العطاء والجود .

وخصان ^(۴) الأخصين : أى متجانين أخص القدم ؛ وهو الموضع الذى لاتناله

الأرض من وسط القدم .

مسيح القدمين : أى أماسهما ، ولهذا قال : ينبؤ عنهما الماء .

وفي حديث أبي هريرة خلاف هذا ؛ قال فيه : إذا وطئ بقدمه وطئ بكلمها ،

ليس له أخص ^(۵) .

وهذا يوافق معنى قوله : مسيح القدمين ، وبه قالوا : سُمى المسيح [عيسى] ^(۶)

ابن مريم ، أى [إنه] ^(۶) لم يكن له أخص .

وقيل مسيح : لالحم عليهما .

(۱) ليس فى ب . (۲) فى ب : بهما .

(۳) فى ب : كناية . وأثبت فى هامشه الزواية هنا : كنى به .

(۴) ضبطت الحاء فى ب بالفتحة ، وعليها علامة صح . والضبط للثبت فى ا ، والنهية لابن

الأثير ، وشرح القارى ، والقاموس . وقال الخفاجى (۲ - ۱۹۰) : بضم الحاء وفتحها .

(۵) قال القارى (۱ - ۳۵۶) : ويمكن الجمع بينهما بأن مراد أبي هريرة أنه وطئ بكلمها

لايعضها كما يفعله بعض أرباب الخيلاء ؛ وأن قوله : ليس له أخص محمول على نفي المبالغة . أو

أنه مدرج من الراوى بحسب ما فهمه من الحديث ؛ وهذا الجمع أولى مما اختاره المصنف حيث

قال : وهذا . . . (۶) من ب .

وهذا أيضا يخالف قوله : شَنَّ الْقَدَمِينَ ^(١) .

والتقاع : [هو] ^(٢) رَفَعَ الرَّجْلَ بِقُوَّةٍ .

والتَّكْفُؤُ : الميل إلى سَنَنِ الْمَشْيِ ، وقَصْدِهِ .

وَالهُونُ : ارْتَفَقَ وَالوَقَارُ .

وَالذَّرِيعُ : الواسع الخَطْوُ ؛ أى إنَّ مَشْيَهُ كَانَ يَرْفَعُ فِيهِ رِجْلِيهِ بِسُرْعَةٍ ، وَيَمُدُّ

خَطْوَهُ ، خِلافَ مَشْيَةِ الْمُخْتَالِ ، وَيَتَّصِدُ سَمْتَهُ ؛ وَكُلُّ ذَلِكَ بِرَفْقٍ وَتَثْبُتٍ دُونَ عَجَلَةٍ ،

كَأَنَّهَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ ^(٣) .

وقوله : يَفْتَتِحُ الْكَلَامَ وَيَخْتَمُهُ بِأَشْدَاقِهِ : أى لَسَعَةً فِيهِ . وَالْعَرَبُ تَمَادِحُ بِهَذَا

وَتَذْمُ بِصِفْرِ الْقَمِ .

وَأَشَاحُ : مَالٌ وَانْقِبُضُ .

وَحَبُّ الْغَمَامِ : الْبَرْدُ .

وقوله : فَيَرَدُّ ذَلِكَ بِالْخَاصَّةِ عَلَى الْعَامَّةِ ؛ أى جَعَلَ مِنْ جُزْءٍ نَفْسَهُ مَا يُوَصَّلُ الْخَاصَّةَ

إِلَيْهِ فَتَوَصَّلُ عَنْهُ لِلْعَامَّةِ .

وقيل : يَجْعَلُ مِنْهُ لِلْخَاصَّةِ ، ثُمَّ يُبَدِّلُهَا فِي جُزْءٍ آخَرَ بِالْعَامَّةِ .

وَيَدْخُلُونَ رُؤُوداً ؛ أى مَحْتَاجِينَ إِلَيْهِ وَطَالِبِينَ لِمَا عِنْدَهُ .

وَلَا يَتَفَرَّقُونَ إِلَّا عَنِ ذَوَاقِ : قِيلَ : عَنِ عِلْمٍ يَتَعَلَّمُونَهُ ؛ وَيُشَبِّهُهُ أَنْ يَكُونَ عَلَى ظَاهِرِهِ ،

أى فِي الْغَالِبِ وَالْأَكْثَرِ .

وَالْعَتَادُ : الْعُدَّةُ ، وَالشَّيْءُ الْحَاضِرُ الْمُعَدُّ .

وَالْوَازِرَةُ : الْمَعَاوَنَةُ .

(١) فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٢ - ٢١٠) : إِذَا فُسِّرَ بِلِحِيمِهِمَا . وَأَمَّا إِذَا فُسِّرَ بِمِيلِهَا إِلَى الْفَلْظِ

وَالْقَصْرِ ، أَوْ بِفَلْظِ الْأَصَابِعِ فَلَا . (٢) مِنْ ب .

(٣) صَبَبٌ : مَنحَدَرٌ .

وقوله : لا يُوطِن^(۱) الأماكن ؛ أى لا يتخذ لمُصَلَّاه موضعا معلوما .
وقد [۵۳] وردَ نَهْيُهُ عن هذا مفسِّرا^(۲) فى غير هذا الحديث .
وصابِرَه : أى حبس نفسه على ما يريدُ صاحِبُه .
ولا تُؤبِن فيه الحَرَم : أى لا يُذْكَرَنَّ^(۳) فيه بسوء .
ولا تُنثَى فلتاته ؛ أى لا يُتحدَّثُ بها ؛ أى لم تكن فيه فلتة ، وإن كانت من
أحدٍ سترت .

ويُرفِدون^(۴) : يُعِينون .

والسَخَّاب : الكثير الصِّيَّاح .

وقوله : ولا يَقْبَلُ^(۵) الثناء إلا من مُكافى . قيل مقتصد فى ثنائه ومدحه .

وقيل : إلا من مسلم .

وقيل : إلا من مُكافى على يَدِ^(۶) سبقت من النبى صلى الله عليه وسلم له .

ويستغزِه : يستخفه .

وفى حديث آخر فى وصفه^(۷) : منهوس العقب ؛ أى قليل لجمها .

وأهدب الأشفار^(۸) ؛ أى طويل شعرها^(۹) .

(۱) هذا الضبط فى ا ، ب . وفى القارى (۱ - ۳۵۸) : بتشديد الطاء وتخفيفها .

(۲) مفسرا : مصرحاً به ومبيناً .

(۳) فى ا بالتاء ، وفى ب بالياء .

(۴) يعينون ذا الحاجة . وقد ضبطت الياء فى ا بالفتحة ، وفى ب بالضم .

(۵) فى هامش ب : ولا يطاب . (۶) اليد - هنا : النعمة .

(۷) فى صحيح مسلم : ۱۸۲۰

(۸) الأشفار : حروف الأجناف التى ينبت عليها الشعر المسمى بالهدب .

(۹) هنا فى ب : انتهى التفسير . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين ،

وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً .

البَابُ الثَّالِثُ

فما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه^(۱) ومنزله، وما خصه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم لا خلاف أنه أكرم البشر، وسيد ولد آدم، وأفضل الناس^(۲) منزلة عند الله، وأعلام درجة، وأقربهم زلفي^(۳).
واعلم أن الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جداً، وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومُنْتَشِرِها^(۴) وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلاً^(۵) :

الفَصْلُ الْأَوَّلُ

فما ورد من ذكر مكانته عند ربه، والاصطفاء^(۶)، ورفعته الذِّكْر، والتفضيل وسيادة ولد آدم، وما خصه به في الدنيا من مزايا^(۷) الرُّتَبِ وَبِرَّ كَةِ اسْمِهِ الطَّيِّبِ :
أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل إذناً بلفظه ؛ قال : حدثنا أبو الحسن^(۸) القرطبي ، حدثنا أم القاسم بنت أبي بكر بن يعقوب ، عن أبيها ، قال : حدثنا حاتم - هو ابن عقيل ، عن يحيى - هو ابن إسماعيل ، عن يحيى الحماني ، قال : حدثنا قيس ، عن الأعمش ، عن عباية بن ربعي ، عن ابن عباس ؛ قال^(۹) : قال رسول

(۱) عليها في ب علامة « صح » . وفي هامشه : الله .

(۲) في هامش ب : وأفضل الخلق .

(۳) زلفي : قربي . (۴) منتشرها : مشهورها .

(۵) بمد هذا في ا : والحمد لله وحده .

(۶) والاصطفاء : أي اختياره صلى الله عليه وسلم على غيره وتقدمه .

(۷) مزايا : جمع مزية ، وهي الفضيلة التي تقدمه على غيره .

(۸) هذا في ب ، والقارى (۱ - ۳۵۹) . وقال الشهاب (۲ - ۲۱۴) : أبو الحسين ،

ووقع في بعض النسخ : أبو الحسن . والأصح الأول . (۹) دلائل النبوة للبيهقي : ۱ - ۱۱۳ .

الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قسم الخلق قسمين ، فجعلني من خيرهم قسماً (١) ؛
فذلك قوله (٢) : ﴿أصحاب اليمين﴾ ، و﴿أصحاب الشمال﴾ ؛ فأنا من أصحاب اليمين ،
وأنا خير أصحاب اليمين .

ثم جعل القسمين أثلاثاً ؛ فجعلني في خيرها ثلثاً ، وذلك قوله تعالى (٣) : ﴿فأصحاب
اليمين﴾ . و﴿أصحاب المشأمة﴾ ، و﴿السابقون السابقون﴾ (٤) ، فأنا من السابقين ،
وأنا خير السابقين ، ثم جعل الاثلاث قبائل ؛ فجعلني من خيرها قبيلة ، وذلك قوله (٥) :
﴿وجعلناكم شعوباً﴾ (٦) وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ .
فأنا أتقى ولد آدم ، وأكرمهم على الله ولا فخر (٧) .

ثم جعل القبائل بيوتاً ، فجعلني من خيرها بيتاً (٨) ؛ وذلك قوله تعالى (٩) :
﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس﴾ (١٠) أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ .
وعن أبي سلمة ، عن أبي هريرة (١١) ، قال : قالوا : يا رسول الله ، متى وجبت
لك النبوة ؟ قال ؛ وآدم بين الروح والجسد .

وعن وائل بن الأَسقع قال (١٢) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله
اصطفى (١٤) من ولد إبراهيم إسماعيل . واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة ، واصطفى

(١) من خيرهم قسماً : أى من القسم الذى هو خير - يعنى أصحاب اليمين .

(٢) سورة الواقعة ، آية ٢٧ ، ٤١ (٣) سورة الواقعة ، آية ٨ ، ٩

(٤) سورة الواقعة ، آية ١٠ (٥) سورة الحجرات ، آية ١٣

(٦) شعوباً : جمع شعب ، وهو أكثر من القبيلة .

(٧) ولا فخر : أى لا أقول هذا تفاخراً ومباهاة .

(٨) فى ب : فجعلني خيرها . (٩) سورة الأحزاب ، آية ٣٣

(١٠) الرجس : النجس المستقذر ، والمراد المعاصى . وأهل البيت : الأقرباء .

(١١) سنن الترمذى : ٥ - ٥٨٥ (١٢) وجبت لك النبوة : فى أى زمان ثبتت لك .

(١٣) سنن الترمذى : ٥ - ٥٨٣ ، ودلائل النبوة للبيهقى : ١ - ١٠٨

(١٤) اصطفى : اختار .

من بنى كِنَانَةَ قُرَيْشَا ، واصطفى من قُرَيْشِ بْنِ هَاشِمٍ ، واصطفاني من بنى هَاشِمٍ .
 ومن حديث أَنَسٍ ^(١) : أَنَا أَكْرَمُ ^(٢) وَلِدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَيْخُرُ .
 وفي حديث ابن عباس ^(٣) : أَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّابِينَ وَالْآخِرِينَ وَلَا فَيْخُرُ .
 وعن عائشة ^(٤) ، عنه عليه السلام : أَنَا نِي جِبْرِيلَ ، فَقَالَ : قَلْبَتُ ^(٥) مُشَارِقَ
 الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَلَمْ أَرَّ رَجُلًا أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ ، وَلَمْ أَرَّ بَنِي أَبِي أَفْضَلَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ .
 وعن أَنَسٍ ^(٦) : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى بِالْبُرَاقِ ^(٧) لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ ،
 فَاسْتَصْعَبَ ^(٨) عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ : بِمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ [٥٤] هَذَا ؟ فَا رَكِبَكَ أَحَدٌ
 أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ ، فَارْفُضْ ^(٩) عِرْقًا .

وعن ابن عباس ^(١٠) ، عنه عليه السلام : لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ أَهْبَطَنِي فِي ضَلْبِهِ إِلَى
 الْأَرْضِ ، وَجَعَلَنِي فِي ضَلْبِ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ ، وَقَذَفَنِي فِي النَّارِ فِي ضَلْبِ إِبْرَاهِيمَ ،
 ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَنْقُلُنِي فِي الْأَصْلَابِ الْكَرِيمَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ حَتَّى أَخْرَجَنِي بَيْنَ أَيْدِي
 لَمْ يَلْتَمِيَا عَلَى سِفَاحِ ^(١١) قَطُ .

(١) سنن الترمذى : ٥ - ٥٨٥

(٢) أكرم ولد آدم : أعزهم وشرفهم . (٣) سنن الترمذى : ٥ - ٥٨٨

(٤) رواه الطبراني ، وأبو نعيم ، والبيهقي في الدلائل مسندا (دلائل النبوة للبيهقي : ١ - ١٢١) .

(٥) قلبت : فتشت . وقد ضبطت اللام مشددة في ب ، وبالفصح في ا .

(٦) قد تقدم .

(٧) البراق - كما سبق : على شكل دابة فوق الحمار ودون البغل ؛ سمي به لسرعته كالبرق

الخاطف .

(٨) استصعب عليه : لم ينقد له وامتنع منه .

(٩) ارفض عرقا : سال عرقه .

(١٠) رواه ابن الجوزي في الوفا ، وأبو نعيم في الدلائل (١ - ٦٦) ، وقال السيوطي :

رواه ابن عمرو المعدني في مسنده . (نسيم الرياض : ٢ - ٢١٩) .

(١١) على سفاح : المراد بالسفاح نكاح بغير عقد (دلائل النبوة لأبي نعيم : ٦٥) .

وإلى هذا أشار العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه بقوله (١) :

مِنْ قَبْلِهَا طُبَّتَ فِي الظَّلَالِ وَفِي مَسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يَخْصَفُ الْوَرَقُ (٢)
 ثُمَّ هَبَّتْ الْبِلَادَ لَا بَشْرَ أَنْتَ وَلَا مُضْفَةٌ وَلَا عَلَقُ (٣)
 بَلْ نَطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينِ وَقَدْ أُلْجِمَ نَسْرًا وَأَهْلَهُ الْفَرْقُ (٤)
 تَنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِمٍ إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَأَ طَبَقُ (٥)

(١) هذا الشعر رواه الطبرانى . وقد أنشد العباس هذا الشعر حين رجع النبي من غزوة تبوك . وهو فى الاستيعاب : ٤٤٧ — (مشروح المترمذى لابن العزيمى ٩٥/١٣) .
 (٢) من قبلها : من قبل هذه النشأة . طبت : تطهرت من الأدناس البشرية لطيب عنصرك . والظلال : جمع ظل : يعنى فى ظلال الجنة فى صلب آدم قبل أن يهبط إلى الأرض . والمستودع : المحل الذى كان فيه آدم من الجنة . أو المراد به الرحم . وخصف الورق : إلصاق بعضه ببعض . والورق ورق الجنة الذى كان يستتر به آدم .

(٣) هببت البلاد : هبطت ونزلت فى صلب آدم من الجنة إلى الدنيا . لا بشر : أى لم تكن جسدا كأجساد البشر . والمضفة : قطعة لحم غير مخلقة . والعلق : جمع عاقلة ؛ وهى دم متجمد .

(٤) النطفة : الماء الحامى ، والمنى فى الأصلاب . والسفين : جمع سفينة ، وهى المركب . وألجم : وصل إلى الغم ، وعلا محلا يوضع فيه لجام الفرس . والنسر : الطائر المعروف ، سمي به صنم كان يعبده قوم نوح . والمراد بالفرق : الماء الفرق . وفى الاستيعاب : وأهلها . والمثبت فى اللسان أيضا — نسر . وقال : قال ابن الأثير : يريد الصنم الذى كان يعبده قوم نوح .

(٥) صالب : صاب ؛ أى قنار الظهر . والرحم : مقر الولد من المرأة . العالم : المراد به هنا : قرن من القرون . بدا : ظهر ووجد . وطبق : بمعنى قرن أيضا ؛ أى لاتزال تظهر فى عالم بعد عالم .

وفى نسيم الرياض : ويروى هنا بيت هو :

وردت نار الخليل مكنتفا تجول فيها ولست تحترق
 مكنتفا : محفوظا فى كنف ؛ أى تحيط بك نارها ؛ ولست تحترق .

في بعض للنسخ أبيات أخر ، وهي قوله^(۱) :
 حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحمها النطق^(۲)
 وأنت لما ولدت أشرقت ال أرض وضاءت بنورك الأفق
 فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشد نخترق^(۳)
 يبرد نار الخليل ياسبباً لعصمة النار وهي تحترق^(۴)
 [النطق : أوسط الجبال العالية^(۵)] .

وروى^(۶) عنه صلى الله عليه وسلم ، أبو ذر ، وابن عمر ، وابن عباس ، وأبو
 هريرة ، وجابر بن عبد الله - أنه قال : أعطيت خمسا ، وفي بعضها^(۷) ستا لم يعطهن
 نبي قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر^(۸) ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ،

(۱) في ب : تمام الأبيات من غير الرواية . وذكر الأبيات الثلاثة الأولى وحدها في
 الهامش . وفي هامشه : ذكر ابن عبد البر هذه الأبيات ، وزاد عليها ثلاثة الأبيات . وفي
 الاستيعاب ذكرت الأبيات الثلاثة الأولى وحدها .

(۲) احتوى : حاز . والبيت بمعنى الشرف والذنب . والمهيمن : الشاهد على فضلك ، أو
 الأمين . وخندف : يريد القبيلة . والنطق : جمع نطق ، وهو ما يشد في الوسط كالنطقة ،
 استمارته العرب لجبال واسعة ؛ أي إن شرفك وعلو نسبك وأصلك من خندف اشتمل على
 عليا دونها الجبال الشاهقة . أو المراد أنه أعلى قومه ، وهم دونه كالنطاق له .

(۳) نخرق : نقطعها ونجاوزها .
 (۴) هذا البيت ليس في ۱ ، ولا في الاستيعاب كما تقدم . وفي شرح القارى : وزاد بعضهم
 بيتا آخر وجد بخط أبي علي النسائي ، وهو : يبرد نار . . .

(۵) من ۱ . (۶) صحيح مسلم : ۳۷۰ .
 (۷) أي في بعض طرق هذا الحديث المعلومة من تعدد روايتها . والحديث في صحيح
 مسلم : ۳۷۱ .

(۸) أي نصرني الله تعالى على أعداء الدين الكفرة بشدة الخوف الذي ألقاه الله في
 قلوبهم ، فإذا سمع بي من بيني وبينه مسيرة شهر ارتعد وخاف من غزوى له .

وأَيُّمَا (١) رجلٍ من أمتي أدركته الصلاةُ فليصل (٢) ، وأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ (٣) ،
 ولم تُحَلَّ لِنَبِيِّ قَبْلِي ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَأَعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ .
 وفي رواية - بدل هذه الكلمة (٤) : وقيل لي : سَلْ تُعْطَهُ .
 وفي رواية أخرى : وَعَرِضَ عَلَيَّ أُمَّتِي فَلَمْ يَخْفَ عَلَيَّ التَّابِعُ مِنَ الْمُتَبَوِّعِ (٥) .
 وفي رواية (٦) : بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ . قِيلَ : السُّودُ : الْعَرَبُ ؛ لِأَنَّ الْغَالِبَ
 عَلَى أَلْوَانِهِمُ الْأُدْمَةُ (٧) ؛ فَهَمَّ مِنَ السُّودِ . وَالْحُمْرُ : الْعَجَمُ .
 وقيل : الْبَيْضُ وَالسُّودُ مِنَ الْأُمَّمِ .
 وقيل : الْحُمْرُ : الْإِنْسُ . وَالسُّودُ : الْجَنُّ .
 وفي الحديث الآخر (٨) - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : نُهِرْتُ بِالرَّعْبِ ، وَأُتِيتُ جَوَامِعَ
 الْكَلِمِ (٩) ، وَبَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ جِيءَ بِمِفْتَاحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ (١٠) فَوُضِعَتْ فِي يَدِي (١١) .

(١) هذا في ا ، ب . وفي هامش ب : فَأَيُّمَا . وفي صحيح مسلم : فَأَيُّمَا رَجُلٍ .

(٢) قال القرطبي : هذا مما خص الله به نبيه صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأنبياء قبله إنما
 أبيعحت لهم الصلاة في مواضع مخصوصة كالبيع والكنائس . وقال في نسيم الرياض (٢ - ٢٢٢) :
 الخاص بهذه الأمة مجموع الأمرين لا كل واحد منهما ؛ لأن الأنبياء السالفة وأممهم كانت لهم
 صلاة مفروضة ، وكانوا يسافرون ، فلولم تجز لهم الصلاة إلا في مساجدهم لزمهم إما ترك الصلاة ،
 أو عدم صحتها ، وهو مخالف للظاهر ، فالخاص بهذه الأمة مجموع الأمرين لا كل واحد منهما .
 (٣) الغنائم : جمع غنيمة : ما يؤخذ من الكفار بقتال ونحوه .

(٤) أراد بالكلمة قوله : وَأَعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ .

(٥) التابع من المتبوع : أي الشريف من الوضيع .

(٦) صحيح مسلم : ٣٧١ (٧) الأدمة : السمرة . (٨) صحيح مسلم : ٣٧٢

(٩) جوامع الكلم : جوامع : جمع جامعة ؛ لجمعها الحكم والمنافع في لفظ قليل . وقال

الهروي : يعني به القرآن .

(١٠) المراد ما في الأرض من الكنوز والأموال .

(١١) في صحيح مسلم : بين يدي . وفي رواية أخرى له : في يدي - كما هنا .

وفي رواية^(۱) - عنه : وختم^(۲) بي النبيون .

وعن عُبَيْدَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنِّي فَرَطُ^(۳) لَكُمْ ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ . وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ^(۴) ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مِفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ . وَإِنِّي - وَاللَّهِ - مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي^(۵) ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا^(۶) .

وعن^(۷) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَنَا مُحَمَّدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ^(۸) ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي ، أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ ، وَعَلِمْتُ خَزَنَةَ^(۹) النَّارِ وَحَمَلَةَ الْعَرْشِ .

(۱) في صحيح مسلم أيضا : ۳۷۱

(۲) في ب : وختم - بالبناء للمعلوم ، وبالبناء للمجهول ، وكتب عليها « معا » .

(۳) فرط : الفرط ، والفرط : الذي يتقدم القوم ليهي لهم في منازل أسفارهم الماء والكلأ ونحوه مما يحتاجون إليه . والحديث في صحيح البخاري : ۴ - ۴۴۰ ، وفيه : إني فرطكم .
(۴) لأنظر إلى حوضي الآن : أي أشاهده الآن .

(۵) بعد موتي ؛ لأن من ذاق حلاوة الإيمان لا يرجع عنه .

(۶) فيها : أي في الدنيا ؛ أي أخاف عليكم من رغبتكم في نفائس الدنيا وانهماكم في تحصيلها حتى يؤدي بكم ذلك إلى الهلاك وارتكاب ما يلهيكم عن الله تعالى .

(۷) قال السيوطي : رواه الإمام أحمد بسند حسن (مسند أحمد : ۲- ۱۷۲، ۲۱۲، وغيرها) .

(۸) هو الذي لا يقرأ ولا يكتب ، نسبة لأمه ؛ كأنه على حاله يوم ولدت أمه ؛ أو إلى أم القرى ؛ لأن الكتابة كانت عزيزة في أهلها ، أو إلى أمة العرب . قال في نسيم الرياض (۲ - ۲۲۷) : وهذه الصفة في حقه صلى الله عليه وسلم من أجل النعم عليه ، وأعظمها ؛ إذ أعطاه علم الأولين والآخرين وحفظ هذا الكتاب الذي لم يعادله كتاب ، وهو لا يقرأ ولا يكتب ؛ ولم يدارس ، ولم يلاق أحدا له شغل بذلك .

(۹) خزانة النار : الملائكة الموكلون بها . وضبط كلمة « علمت » بالتخفيف في ا : وفي

هامش ب : قال الحافظ المزي رحمه الله : يجوز « علمت خزانة النار » مخففاً ، ولكن التضمين أحسن ، كلفظ القرآن في قوله تعالى : « وعلمك ما لم تكن تعلم » .

وعن ابن عمر : بُعثُ بين يدي الساعة^(١) .

ومن رواية ابن وهب^(٢) - أنه عليه السلام قال : قال الله تعالى : سأل يا محمد .
فقلت : ما أسأل يا رب ؟ اتخذت إبراهيم خليلاً^(٣) ، وكلمت موسى تكليماً ، واصطفيت
نوحاً ، وأعطيت سليمان ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده^(٤) ، فقال الله تعالى :
ما أعطيتك خيراً من ذلك ؛ أعطيتك الكوثر^(٥) ، وجعلتُ اسمك مع اسمي^(٦) ،
ينادي به في جوف السماء^(٧) ، وجعلتُ الأرض طهوراً لك ولأمتك ، وغفرتُ لك
ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؛ فأنت تمشي في الناس مغفوراً لك ، ولم أصنع ذلك
لأحدٍ قبلك ، وجعلتُ قلوبَ أمتك مصاحفها^(٨) ، وخبأتُ لك شفاعتك ، ولم أخبأها
لنبي غيرك .

وفي حديث آخر رواه حذيفة^(٩) . بشرني - يعني ربه : أول من يدخل الجنة

(١) قال السيوطي : رواه أحمد بسند حسن . والمراد بكونه صلى الله عليه وسلم بين يدي
الساعة أنه قدامها وقريب من وقوعها .

(٢) هذا بعض من حديث الإسراء الطويل الذي رواه البيهقي في الدلائل وغيره عن أبي
هريرة . وسيأتي بعد حديث الإسراء مفصلاً .

(٣) اتخذت إبراهيم خليلاً : اصطفيته وخصصته باخلة وكرامتها .

(٤) لا ينبغي لأحد من بعده : لا يتيسر لغيره من الرسل والملوك ؛ لتسخير الجن
والإنس والريح . . .

(٥) الكوثر : نهر في الجنة . وقيل هو القرآن ، وقيل النبوة ، وقيل غير ذلك .

(٦) وجعلت اسمك مع اسمي : مقرونا باسم الله في التشهد والأذان . وكلمة الشهادة
وغير ذلك . (٧) تنادي الملائكة به في السماء .

(٨) أي مننت عليك بأن جعلت في أمتك حفظة لم يكن في غيرهم من الأمم السالفة ، حتى
إن حفظة القرآن والحديث من هذه الأمة لا يحصون في كل عصر . والمراد أنه جعل قلوبهم
كالمصاحف التي تحفظ القرآن .

(٩) قال الحفاجي : هذا الحديث رواه ابن عساكر في تاريخه . وارجع إلى ابن ماجه : ١٤٣٣ .

ومعى من أمتى [۵۵] سبعون ألفاً ، مع كل ألف سبعون ألفاً ليس عليهم حساب ؛
وأعطاني ألا تجوع أمتى ولا تغلب ، وأعطاني النصر والعزة والرُعب يسع بين يدي
أمتى ^(۱) شهراً ، وطيب لي ولأمتى المغام ^(۲) ، وأحل لنا كثيراً مما شدد على من
قبلنا ، ولم يجعل علينا في الدين من حرج ^(۳) .

وعن أبي هريرة ^(۴) ، عنه عليه السلام : ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أُعطِيَ
من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ^(۵) ؛ وإنما كان الذي أُوتيتُ وحياً أوحى الله
إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة ^(۶) .

معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا ، وسائر معجزات الأنبياء
ذهبت للحين ^(۷) ، ولم يشاهدها إلا الحاضر لها ، ومعجزة القرآن يقف عليها قرن
بعد قرن عياناً ^(۸) لا خبراً إلى القيامة .

وفيه ^(۹) كلامٌ يعاين هذا نخبته ^(۱۰) . وقد بسطنا القول فيه ، وفيما ذكر فيه
سوى هذا آخر باب المعجزات .

(۱) أى العدو الذى بينه وبينهم مسافة شهر يخافهم خوفاً شديداً .

(۲) طيب لي : أحل لي ولأمتي . (۳) من حرج : من ضيق وشدة .

(۴) الحديث فى ابن ماجه : ۱۴۳۸ ، وصحيح مسلم : ۱۸۸

(۵) أى كل نبي جعل الله له معجزة أظهرها على يديه أطاعه بها الناس ، كمصاموسى ،
وإحياء الموتى لعيسى .

(۶) وذلك لأن هذه المعجزة - وهى القرآن - لما كانت باقية إلى يوم القيامة ، وهى باهرة
ظاهرة يؤمن بها كل من وقف عليها من الناس لزم أكثرية من آمن به واتبعه عليه السلام
على من آمن بنبيه من الرسل ، وصدق بمعجزته المخصوصة بعصره ، فإذا مات انقطع التحدى
بمعجزته . (۷) ذهبت للحين : المراد ذهبت بذهابها ولم تبق بعمده .

(۸) عياناً : مشاهدة ؛ أى يطلع عليها جميع القرون والناس الذين حدثوا بعد عصر
النبوة بخلاف غيرها .

(۹) وفيه : أى فى هذه الحديث ومعناه . (۱۰) نخبته : مختاره وزبدته .

وعن علي رضي الله^(١) عنه : كل نبي أُعطي سبعة نجباء ، وأُعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم أربعة عشر نجيباً^(٢) ، منهم أبو بكر ، وعمر ، وابن مسعود ، وعمار . وقال صلى الله عليه وسلم^(٣) : إن الله قد حبس عن مكة القيل^(٤) ، وسلط عليها رسوله والمؤمنين ؛ وإيها لا تحل^(٥) لأحدٍ بعدي ، وإنما أُحلت لي ساعة من نهار^(٦) . وعن العريباض^(٧) بن سارية : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إني عبدُ الله وخاتمُ النبيين ؛ وإنَّ آدمَ لمُنجدِل^(٨) في طينته ، وعدةُ أبي إبراهيم^(٩) ، وبشارةُ عيسى ابنِ مريم^(١٠) .

- (١) في حديث رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه . (سنن الترمذي : ٥ - ٦٦٢) .
 (٢) النجيب : الكريم الحبيب ، ويكون بمعنى الرفيق المعين في المهات والشدائد ؛ وهو للراد هنا . وفي هامش ب كمل عددهم - من الاستيعاب - فقال : وطى ، والحسن ، والحسين ، وسلمان ، وحمزة ، وأبو ذر ، وحذيفة ، والمقداد ، وجعفر ، وبلال .
 ولفظ الترمذي : قلنا : من هم ؟ قال : أنا وإبناي ، وجعفر ، وحمزة ، وأبو بكر ، وعمر ، ومصعب بن عمير ، وبلال ، وسلمان ، وعمار ، وابن مسعود .
 ولم يذكر ابن عبد البر : مصعبا . وزاد تسكئة لهم : حذيفة ، وأبا ذر ، والمقداد .
 وارجع في ذلك أيضا إلى شرح القارى (١ - ٣٧٠) إن أردت .
 (٣) حديث رواه مسلم عن أبي شريح ؛ قاله يوم فتح مكة (صحيح مسلم : ٩٨٨) .
 (٤) حبس : منع .
 (٥) ضبطت كلمة « تحل » في ب بضم التاء - بالبناء للمجهول ، و « تحل » بفتح التاء وكسر الحاء وكتب عليها « معا » . والضبط الأخير في صحيح مسلم .
 (٦) كان حل القتال للنبي في ساعة من نهار يوم الفتح .
 (٧) قال الخفاجي : في حديث رواه أحمد ، والبيهقي ، والحاكم ، وقال : إنه صحيح الإسناد (مسند أحمد : ٤ - ١٢٧) . (٨) لمنجدل في طينته : أى مختلط في تربته ، أو ساقط فيها ، أو مطروح على الجدالة ، وهى الأرض الصلبة ، والمراد بطينته .
 (٩) وعدة أبي إبراهيم ؛ أى وعده بمقتضى دعائه بقوله : ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ...
 (١٠) وبشارة عيسى ابن مريم : يعنى في قوله تعالى - حكاية عنه : ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد .

وعن ابن عباس^(۱) ، قال : إن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على أهل السماء ، وعلى الأنبياء صلوات الله عليهم ؛ قالوا : فما فضله على أهل السماء ؟ قال : إن الله تعالى قال لأهل السماء^(۲) : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ، كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ .

وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم^(۳) : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ .

قالوا : فما فضله على الأنبياء ؟ قال : إن الله تعالى قال^(۴) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ .

وقال محمد^(۵) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾ .

وعن خالد بن معدان أن نقرأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا^(۶) : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك .

وقد روى نحوه عن أبي ذر ، وشداد بن أوس ، وأنس بن مالك ، فقال : نعم ، أنا دعوة أبي إبراهيم - يعني قوله^(۷) : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ .

(۱) قال الحفاجي والقاري : في حديث رواه البيهقي ، والدارمي ، وابن أبي حاتم .

(۲) سورة الأنبياء ، آية ۲۹ (۳) منهم : من أهل السماء

(۴) سورة الفتح ، آية ۲، ۱ . ووجه الفضل أنه جملة مغفورا له غير مؤاخذ بما صدر منه . أو وجه الفضل أنه هددهم على سبيل الغرض بعذاب جهنم ودخولها ولم يهدده بمثله ، وهذا يدل على علو رتبته فوق رتبته . (۵) سورة إبراهيم ، آية ۴

(۶) سورة سبأ ، آية ۲۸ ، وهذه الآية تدل على عموم رسالته ، والآية التي قبلها تدل على تخصيص رسالة كل رسول بقومه .

(۷) قال الحفاجي : هذا الحديث روى من طرق ، كما أشار إليه المصنف .

(۸) سورة البقرة ، آية ۱۲۹

وَبُشْرَى^(١) عَيْسَى . وَرَأَتْ أُمَّي حِينَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهُ قُصُورُ
بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، وَاسْتَرْضِعَتْ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ^(٢) ، فَبَيْنَا أَنَا مَعَ أَخِي
لِي خَلْفَ بَيْوتِنَا رَعَى بَهْمًا^(٣) لَنَا إِذَا جَاءَ نِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضٌ .
وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : ثَلَاثَةُ رِجَالٍ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ^(٤) ثَلْجًا ، وَأَخَذَانِي
فَشَقًّا بَطْنِي .

قَالَ فِي غَيْرِ هَذَا الْحَدِيثِ : مِنْ تَحْرِي إِلَى مَرَاقٍ بَطْنِي^(٥) ، ثُمَّ اسْتَخْرَجَا مِنْهُ
قَلْبِي ، فَشَقَّاهُ ، فَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَةً سَوْدَاءَ^(٦) فَطَرَحَاهَا ، ثُمَّ غَسَلَا قَلْبِي وَبَطْنِي
بِذَلِكَ الثَّلْجِ حَتَّى أَنْقِيَاهُ^(٧) .

قَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ : ثُمَّ تَنَاوَلَ أَحَدُهُمَا شَيْئًا فَإِذَا بِخَاتَمٍ فِي يَدِهِ مِنْ نُورٍ^(٨) يَحَارُ
الْناظِرُ دُونَهُ ، نَحْمٌ بِهِ قَلْبِي ، فَامْتَلَأَ إِيمَانًا وَحِكْمَةً ، ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ ، وَأَمَرَ الْآخَرَ
بِيَدِهِ عَلَى مَفْرَقِ صَدْرِي فَالتَّامُ^(٩) .

وَفِي رِوَايَةٍ : إِنَّ جَبْرِيْلَ قَالَ : قَلْبٌ وَكَيِّعٌ ؛ أَي شَدِيدٌ ، فِيهِ عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ ،
وَأُذُنَانِ سَمِيعَتَانِ ؛ ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا [٥١] لِصَاحِبِهِ : زِنَةُ بَعْشَرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنَنِي
فَرَجَحْتَهُمْ^(١٠) ، ثُمَّ قَالَ : زِنَةُ بِمِائَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ ؛ ثُمَّ قَالَ : زِنَةُ

(١) فِي هَامِشِ ب : خ : وَبُشْرَى بِي . (٢) أَرْضُهُ حَلِيمَةُ السَّمْدِيَّةِ .

(٣) بَهْمًا : جَمْعُ بَهْمَةٍ : اسْمٌ لِأَوْلَادِ الضَّانِ .

(٤) هِيَ بِالتَّاءِ فِي أ ، ب . قَالَ الْقَارِي (١ - ٣٧٣) : لَعَلَّ التَّاءَ لِلْمُبَالَغَةِ أَوْ بِاعتْبَارِ كَوْنِهِ آتِيَّةً .

(٥) النَّحْرُ : أَعْلَى الصَّدْرِ . وَمَرَاقُ الْبَطْنِ : مَارِقٌ وَوَلَانٌ مِنَ الْبَطْنِ . وَفِي هَامِشِ أ :

المَرَاقُ - بِتَشْدِيدِ الْقَافِ : أَسْفَلُ الْبَطْنِ وَمَا حَوْلَهُ حِينَ اسْتَرَقَ الْجِلْدُ .

(٦) الْعَلَقَةُ : دَمٌ مَتَجَمِّدٌ كَالْعَلَقَةِ الْمَرْوْفَةِ فِي دُودِ الْمَاءِ . (٧) أَنْقِيَاهُ : جَمَلَاهُ نَقِيًّا نَظِيفًا .

(٨) مِنْ نُورٍ : يَتَلَأَلُ وَيُضِيءُ إِضَاءَةً زَائِدَةً ، حَتَّى كَأَنَّهُ مَجْسَمٌ مِنْ نُورٍ .

(٩) مَفْرَقُ صَدْرِي : مَحَلُّ الشَّقِّ وَالِافْتِرَاقِ الَّذِي كَانَ مِنْهُ . التَّامُ : انْضَمَّ وَاجْتَمَعَ حَتَّى

لَمْ تَبْقَ فَرَجَةٌ مِنَ الشَّقِّ . وَانظُرْ فِي ذَلِكَ أَيْضًا دَلَائِلَ النُّبُوَّةِ لِأَبِي نَعِيمٍ : ١ - ٢٠٢ .

(١٠) رَجَحْتَهُمْ : الرَّجْحَانُ : زِيَادَةُ مَا فِي السِّكْفَيْنِ وَثِقَلُهُ ، فَيَنْزِلُ الرَّاجِحُ وَيَعْلُو مُقَابِلُهُ .

وَالْمُرَادُ بِأُمَّتِهِ : مَنْ اتَّبَعَهُ وَآمَنَ بِهِ .

بألفٍ من أُمَّته ، فوزنتني بهم فوزنتهم ؛ ثم قال : دَعَهُ عَنْكَ ، فلو وزنته بأُمَّته لوزنها (۱) .

قال في الحديث الآخر : ثم ضموني (۲) إلى صدورهم ، وقبّلوا رأسي ، وما بين عيني ، ثم قالوا : يا حبيب ، لم تُرَع (۳) ، إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك (۴) . وفي بقية هذا الحديث من قولهم (۵) : ما أكرمك على الله ! إن الله معك وملائكته .

قال في حديث أبي ذرّ : فما هو إلا أن ولياً عنى (۶) ، فكأنما أرى الأمر معاينة (۷) .

وحكى أبو محمد مكي ، وأبو الليث السمرقندي وغيرهما - أن آدمَ عند معصيته قال : اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي .

ويروي (۸) : تقبل توبتي . فقال له الله : من أين عرفتَ محمداً؟ فقال : رأيتُ في كل موضع من الجنة مكتوباً : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

ويروي : محمد عبدي ورسولي ؛ فعلتُ أنه أكرمُ خلقك عليك ، فتاب الله عليه ، وغفر له .

(۱) لوزنها : لرجحها وغلبها في الوزن .

(۲) ضموني إلى صدورهم : عانقوني إظهاراً لمحبّتهم وتكريمهم لي .

(۳) لم ترع : لم تحف وتفرع . أي إنه حصل لك من قوة القلب ما لا يمتريك بعده خوف من شيء . والمراد تطمين قلبه بعد ما وقع من الشق له . وفي هامش ب : لن ترع .

(۴) لقرت عيناك : لسرت سرورا عظيماً .

(۵) من قولهم : أي قول الملائكة . (۶) ولياً عنى : رجماً وانصرفاً عنى .

(۷) كأنما أرى الأمر معاينة : المراد بالأمر هنا ما أكرمه الله به ، وما سيكرمه به ، من

مقدمات النبوة وإرهاصاتها ، وما زاد في فطنته وعلمه .

(۸) هذا الحديث رواه البيهقي والطبراني عن عمر بسند فيه ضعف .

وهذا (١) عند قائله تأويلُ قوله تعالى (٢) : ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ .

وفي روايةِ الأجرى (٣) [قال] (٤) : فقال آدم ، لما خلقتني رفعتُ رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب : لا إله الله محمد رسول الله ؛ فعلمتُ أنه ليس أحدٌ أعظمَ قدرًا عندك من جعلتَ اسمه مع اسمك ، فأوحى الله إليهِ : وعزّيتي وجلالي ، إنه لآخرُ النبيين من ذُرِّيَّتِكَ وَلَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُكَ .

قال : وكان آدمُ يُكنى بأبي محمد ، وقيل : بأبي البشر .
وروى عن سُرَيْجِ بْنِ يونس أنه قال : إن لله ملائكةً سياحين (٥) عيادتها (٦) كلِّ دارٍ فيها أحمد ، أو محمد ، إكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم .
وروى ابنُ قانع (٧) القاضي ، عن أبي الحمرَاء ؛ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أمّا أُسْرِي بِي إِلَى السَّمَاءِ إِذَا عَلَى الْعَرْشِ مَكْتُوبٌ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، أَبْدَتْهُ بَعْلِي (٨) .

(١) وهذا : أى الحديث المذكور . تأويل : تفسير . (٢) سورة البقرة ، آية ٣٧
(٣) هذا فى ا ، ب . قال القارى : قال الحلبي : الظاهر أنه الإمام القدوة أبو بكر محمد ابن الحسين بن عبد الله البغدادي مصنف كتاب الشريعة فى السنة ، والأربعين ، وغيرها . روى عنه أبو نعيم الحافظ ، وكان عالما عاملا ، سكن مكة ، ومات بها سنة ستين وثلاثمائة .
(٤) من ب .

(٥) سياحين : من السياحة ، وهى السير الطويل ، والمشى فى الأرض ، والسفر من غير مقصد وللنظر فى المصنوعات وغير ذلك .

(٦) عيادتهم : زيارتهم . وفى ب : عيادتها - بالباء الموحدة . وفى هامشه : عيادتها . وقال : زيارتها - تفسير لقوله : عيادتها . وفى ا : على كل دار .

(٧) ابن قانع : اسمه عبد الباقي بن مرزوق ، صاحب معجم الصحابة ، وكتاب اليوم والليلة ، وتاريخ الوفيات من أول سنة الهجرة ، فروى معجم الصحابة له هذا .

(٨) التأيد : التقوية والنصر .

وفي التفسير ، عن ابن عباس - في قوله تعالى ^(۱) : ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ -
قال : لَوْحٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ مَكْتُوبٌ : عَجَبًا لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْقَدَرِ كَيْفَ يَنْصَبُ ^(۲) !
عَجَبًا لِمَنْ أَيْقَنَ بِالنَّارِ كَيْفَ يَضْحَكُ ^(۳) ! عَجَبًا لِمَنْ رَأَى الدُّنْيَا وَتَقَلَّبَهَا بِأَهْلِهَا كَيْفَ يَطْمَئِنُّ
إِلَيْهَا ! أَنَا اللَّهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، مُحَمَّدٌ عَبْدِي وَرَسُولِي .

وعن ابن عباس ^(۴) : على باب الجنة مكتوب : إني أنا الله ، لا إله إلا أنا ،
محمد رسول الله ، لا أعذبُ مَنْ قالها .

، وَذُكِرَ أَنَّهُ وَجَدَ عَلَى الْحِجَارَةِ الْقَدِيمَةِ مَكْتُوبٌ : مُحَمَّدٌ تَقِيٌّ مُصْلِحٌ ، وَسَيِّدٌ أَمِينٌ .
وَذَكَرَ السَّمْنَطَارِيُّ ^(۵) أَنَّهُ شَاهِدٌ فِي بَعْضِ بِلَادِ خُرَاسَانَ مَوْلُودًا وَوَلَدَ عَلَى أَحَدِ
جَنَبَيْهِ مَكْتُوبٌ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَعَلَى الْآخِرِ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ .

وَذَكَرَ الْأَخْبَارِيُّونَ ^(۶) أَنَّ بِلَادَ الْهِنْدِ وَرَدًّا أَحْمَرَ مَكْتُوبًا عَلَيْهِ بِالْأَبْيَضِ : لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ .

(۱) سورة الكهف ، آية ۸۲ . تحته : أي الجدار . كنز لها : لليتيمين .

(۲) النصب : التعب . أي كيف يتعب نفسه في تحصيل رزقه ، وما قدر له لا يتخاف عنه
مقدار ذرة أو لحظة .

(۳) أي من تيقن وجود النار ، وعلم أنه لا يخلو من زلة يعاقب عليها كيف لا يخاف منها
ويكون ضاحكا مسرورا ، وهو لا يعلم أشقى هو أم سعيد ، والموت أقرب له من جبل الوريد .

(۴) قال القاري (۱ - ۳۷۷) : قال الدلجي : لا أعلم من رواه عنه .

(۵) هذا الضبط في ب ، توفي سنة ۴۶۴ هـ وقال الشهاب (۲ - ۲۴۷) : قال التلساني :
إنه من الاجلة ، ومن قال : لم أر له ترجمة ونحن في غنية عما نقل عنه - فقد شهد على نفسه
بقلة الاطلاع ، وقد ضبط بفتح السين في ا .

وكذلك ضبطه ياقوت (۵ - ۱۳۱) ، ضبط قلم ، وقال : سمنطار : قيل : هي قرية في
جزيرة صقلية . وارجع إلى ياقوت إن شئت .

أما ضبط السين بالكسر فهو في ب ، وأيده القاري (۱ - ۳۷۸) ، والخفاجي : (۲ - ۲۴۶)

(۶) المراد بهم المؤرخون الذين لهم اعتناء بأخبار الأمم السالفة .

وروى عن جعفر بن محمد ، عن أبيه : إذا كان يومُ القيامة نادى منادٍ : أَلَا لِيَقُمَ من اسمِهِ محمد ، فليدخل الجنة لكرامةِ اسمِهِ عليه السلام .

وروى ابنُ القاسم^(۱) في سماعِهِ ، وابنُ وهب في جامعِهِ ، عن مالك : سمعتُ أهلَ مكة يقولون : ما مِن بيتٍ فيه اسمُ محمدٍ إلَّا قد وُقُوا^(۲) .

وعنه عليه السلام^(۳) : ما ضَرَّ أحدَكم أن يكونَ في بيته محمدٌ ومحمدان وثلاثة^(۴) .

وعن عبدِ اللهِ بن مسعود : إن اللهَ نظرَ إلى قلوبِ العبادِ ، واختارَ منها قلبَ محمدٍ عليه السلام ، فاصطفاه لنفسِهِ^(۵) ، فبعثه برسالته .

وحكى النقَّاشُ أن النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم لما نزلت^(۶) : ﴿ وما كانَ لَكُمْ أن تُؤذُوا رسولَ اللهِ ولا أن تُنكِحُوا أزواجَهُ مِن بَعْدِهِ أبداً إنْ ذلِكُمْ كانَ عندَ اللهِ عظيماً ﴾ - قام خطيباً ، فقال : يا معشرَ أهلِ الإيمانِ ، إنَّ اللهُ تعالى فضَّلَني عليكم تفضيلاً ، وفضلَ نساءي على نساءكم تفضيلاً ... الحديث .

(۱) ابن القاسم اسمه عبد الرحمن ، جمع بين الزهد والعلم ، وصحب مالكا عشرين سنة ، ومات بمصر . أخرج له البخاري ، وأبو داود ، والنسائي .

(۲) في هامش ۱ ، ب : وفي نسختين صحيحتين : إلانما ورزقوا . وفي هامش ب : خ : إلارزقوا ورزق جيرانهم .

(۳) في حديث مرفوع مسند ، كما قاله السيوطي ، وذكر سنده .

(۴) ونفي الضرر المراد به وجود النفع .

(۵) اصطفاه لنفسه : جملة صفياء له مقربا عنده .

(۶) سورة الأحزاب ، آية ۵۳

(۷) وما كان لكم : لا ينبغي لكم ، ولا يحل ، ولا يجوز .

فصل ٢

في تفضيله بما تضمنته كرامة الإسراء من المناجاة والرؤية^(١)، وإمامة الأنبياء،
والعروج به إلى سِدْرَةِ^(٢) المنتهى، وما رأى من آيات رَبِّهِ الكُبْرَى

ومن خصائصه - عليه السلام قصة الإسراء وما انطوت عليه من درجات الرِّفْعَةِ كما نبّه عليه الكتاب العزيز، وشرحته صحاح الأخبار؛ قال الله تعالى^(٣) : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .

وقال تعالى^(٤) : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ . وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ . عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ . وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ . فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ . مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ . أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ . عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ . إِذْ يَفِشَى السِّدْرَةَ مَا يَفِشَىٰ . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ . لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ .

فلا خلاف بين المسلمين في صحة الإسراء به عليه السلام، إذ هو نص القرآن، وجاءت بتفصيله، وشرح عجائبه، وخواص نبينا محمد عليه السلام فيه أحاديث كثيرة

(١) المناجاة : الكلام سرا . وتختص المناجاة في العرف بكلام العبد مع ربه . والرؤية :
أي رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه . أو رؤية ما في الملائ الأعلى من العجائب .
(٢) العروج : الصعود في جهة الملو . وسدرة المنتهى : شجرة في السماء السابعة ، وسميت
سدرة المنتهى ؛ لأنه ينتهى إليها ما يهبط . من فوقها وما يصدر من تحتها . وقيل : إنه ينتهى إليها
علم الخلائق . وقيل : لأن من وصل إليها انتهى لأقصى الكرامة .
(٣) سورة الإسراء ، آية ١ ، والمسجد الأقصى : بيت المقدس .
(٤) سورة النجم ، آية ١ - ١٨

منتشرة - رأينا أن نقدّم أكملها^(١) ، ونشير إلى زيادة من غيره^(٢) يجب ذكرها :
حدثنا القاضي الشهيد أبو علي ، والفقير أبو بحر بماعى عليهما ، والقاضي
أبو عبد الله التميمي ، وغير واحد من شيوخنا ؛ قالوا : حدثنا أبو العباس العذري ،
[قالوا]^(٣) : حدثنا أبو العباس الرازي ، حدثنا أبو أحمد الجلودي ، حدثنا ابن سفيان ،
حدثنا مسلم بن الحجاج ، حدثنا شيبان بن فروخ ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا ثابت
البناني ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال^(٤) :
أُتيت بالبراق ، وهو دابة^(٥) أبيض طويل ، فوق الحمار ، ودون البغل ، يضع حافره
عند منتهى طرفه^(٦) - قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس ، فربطته بالحلقة التي
يربط بها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت ، فجاءني
جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن ، فاخترت اللبن ، فقال جبريل : اخترت الفطرة^(٧) .

(١) أى الحديث الذى هو أكملها وأجمعها لهذه القصة وأصحها . وهذا الحديث رواه

مسلم : ١ - ١٤٥

(٢) من غيره : من غير هذا الحديث . وقعت روايتها لغير مسلم ، ولكنها مهمة .

(٣) من ب .

(٤) حديث الإسراء هذا فى صحيح مسلم : ١٤٥ ، وصحيح البخارى : ٤ - ١٣٣ ،

ومسند أحمد : ٢٥٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، وسنن الترمذى : ٥ - ٣٠٠ وما بعدها ، ٣٠٧ ،

وسيرة ابن هشام : ٢ - ٣٦ ، وطبقات ابن سعد : ١ - ١٤٢ ، وتفسير ابن كثير : ٣ - ١٠٨ ،

والنورى : ١٦ - ٢٨٣ ، والسيرة الحلبية : ١ - ٤٧٨ ، وغيرها .

(٥) وهو دابة : على صورتها . والدابة : تذكر وتؤنث .

(٦) منتهى : انتهاء . والطرف : العين ، والمراد به النظر .

(٧) الفطرة : الجبلة والطبيعة التى فطر عليها الناس ، أى ما اخترته هو الموافق للخلاقة

الإنسانية التى خلق الناس عليها ، وللطبائع المستقيمة ؛ فإن اللبن شراب لذيذ ، وطعام نافع

موافق للإنسان . وقيل : المراد بالفطرة هنا الإسلام والاستقامة ، وجعل اللبن علامة لكونه

سهلا طيبا سائغا للشاربين سليم العاقبة ، بخلاف الخمر .

ثم عَرَجَ^(١) بنا إلى السماء ، فاستفتَحَ^(٢) جبريلُ ، فقيل : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : جبريل .
قيل : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قال : محمد . قيل : وقد بُعِثَ إليهِ ؟ قال : قد بُعِثَ إليهِ ، ففتَحَ
لنا ، فإذا أنا بآدم صلى الله عليه وسلم ، فرحَّبَ بي ، ودعا لي بخير .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الثانية ، فاستفتَحَ جبريلُ ، فقيل : مَنْ أَنْتَ ؟ قال :
جبريل . قيل : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قال : محمد . قيل : وقد بُعِثَ إليهِ ؟ قال : قد بُعِثَ إليهِ .
فتَحَ لنا ، فإذا أنا بابنَي الخالة : عيسى ابن مريم ، ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما ؛
فرحَّبَا بي ، ودعوا لي بخير .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الثالثة ، فذكر مثل الأول ، ففتَحَ لنا ، فإذا أنا بيوسف
صلى الله عليه وسلم ، وإذا هو قد أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ^(٣) ، فرحَّبَ بي ، ودعا لي بخير .
ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الرابعة ، وذكر مثله ، فإذا أنا بإدريس ، فرحَّبَ بي ،
ودعا لي بخير ، قال الله تعالى^(٤) : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الخامسة ، فذكر مثله ، فإذا أنا بهارون ، فرحَّبَ بي ،
ودعا لي بخير .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء السادسة ، فذكر مثله ، فإذا أنا بموسى ، فرحَّبَ بي ،
ودعا لي بخير .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء السابعة ، فذكر مثله ، فإذا أنا بإبراهيم مُسْنِدًا ظَهْرَهُ
إلى البيت المعمور^(٥) ، وإذا هو يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، لا يعُودُونَ^(٦) إليه .

(١) في ب : ثم عرج بي . والمثبت في صحيح مسلم أيضا : وعرج : صعد .

(٢) فاستفتح جبريل : أي طلب فتحها من الملائكة الموكلين بها .

(٣) الشطر : النصف . (٤) سورة مريم ، آية ٥٧

(٥) في نسيم الرياض (٢ - ٢٦٠) : وهو بيت تطوف به الملائكة وتحج له للعبادة ،

وهو محاذ للكعبة . وسمى معمورا لكثرة الملائكة فيه .

(٦) لا يعودون إليه : لأن حججه مرة كفرض الحج علينا ، أو لاشتغال غيرهم .

ثم ذهب بنى إلى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى^(١) ، وإذا ورقها كآذانِ الفِئَلَةِ ، وإذا تمرُّها كالقِلال^(٢) ، قال : فلما غَشِيَهَا من أمر الله ما غَشَى تَغَيَّرَتْ^(٣) ، فما [٥٨] أَحَدٌ من خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْتَعِمَها من حُسْنِها ؛ فأوحى اللهُ إلى ما أَوْحَى ، ففرضَ على خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، فنزَلَتْ إلى موسى ، فقال : ما فرضَ ربُّكَ على أُمَّتِكَ ؟ قلت : خمسين صلاة . قال : ارجع إلى ربِّكَ فاسأله التَّخْفِيفَ ، فإنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقون^(٤) ذلك ، فأبى قد بَلَوْتُ^(٥) بنى إسرائيل وخَبَرْتَهُمْ .

قال : فرجعتُ إلى رَبِّي ، فقلتُ : يارب ، خَفِّفْ عن أُمَّتى . فَحَطَّ عَنِ خَمْسَا ، فرجعتُ إلى موسى ، فقلتُ : حَطَّ عَنِ خَمْسَا ، قال : إنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقون ذلك ، فارجع إلى ربِّكَ فاسأله التَّخْفِيفَ . قال : فلم أزلُ أَرْجِعُ بين ربى تعالى وبين موسى حتى قال : يا محمد ، إنَّهِنَّ خَمْسُ صَلَواتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ ، فَتلكَ^(٦) خَمْسُونَ صَلَاةً^(٧) ؛ وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ^(٨) ، فَإِنْ عَمِلْها كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا . وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها لَمْ تُكْتَبْ سَيِّئًا ، فَإِنْ عَمِلْها كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ .

(١) في صحيح مسلم : إلى السدرة المنتهى .
(٢) القلال : جمع قلة ، وهى الجرة الكبيرة .
(٣) غشيتها : طرأ عليها وغطاها . من أمر الله : الظاهر أن المراد بأمر الله وحيه ، أو بجايه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإنها بذلك أشرق عليها نور إلهى ، فزهت به ، وحسنت حسنا لا ينمت ، وظهر عليها نور لا يمكن أن تقابله الأبصار . تغيَّرت : أى عن حالها التى كانت عاينه .

(٤) لا يطيقون ذلك : يشق عليهم فيقصرون فيه .

(٥) بلوت بنى إسرائيل : خبرتهم . (٦) فى صحيح مسلم : فذلك خمسون صلاة .

(٧) فى الثواب والاعتبار ، لأنَّ الحسنة بعشر أمثالها .

(٨) لئنه عمها . والهم : القصد .

قال : فنزلتُ حتى انتهيتُ إلى موسى ، فأخبرته ، فقال : ارجع إلى ربك فاسألهُ
التخفيف .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقلت^(۱) : قد رجعتُ إلى ربي حتى
استجيبتُ^(۲) منه .

قال القاضي - رضى الله عنه : جوّد ثابتٌ رضى الله عنه هذا الحديث عن أنس
ما شاء ، ولم يأتِ أحدٌ عنه بأصوب من هذا .

وقد خلطَ فيه غيره عن أنس تخطيًّا^(۳) كثيرا ، لا سيما من رواية شريك
ابن أبي نمر ؛ فقد ذكر في أوله مجيء الملك له ، وشقّ بطنه ، وغسّاه بماء زمزم ؛ وهذا
إنما كان وهو صبيّ ، وقبل الوحي .

وقد قال شريك في حديثه : وذلك قبل أن يُوحى إليه ؛ وذكر قصة الإسراء .
ولا خلاف أنها كانت بعد الوحي .

وقد قال غير واحد : إنها كانت قبل الهجرة بسنة ، وقيل : قبل هذا .
وقد روى^(۴) ثابت عن أنس ، من رواية حماد بن سامة أيضا مجيء جبريل إلى
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره^(۵) ، وشقّه قلبه - تلك
القصة مفردة من حديث الإسراء كما رواه الناس ، فيجوّد في القصتين ، وفي أن الإسراء
إلى بيت المقدس وإلى سِدْرَةِ المنتهى كان قصة واحدة ، وأنه وصل إلى بيت

(۱) في ب : قلت . والمثبت في ا ، وصحيح مسلم .

(۲) في ا : استجيت منه . والمثبت في ب ، وصحيح مسلم ؛ أى استجيت منه أن
أراجعه في السؤال بعد ذلك .

(۳) المراد أنهم أدخلوا في حديث الإسراء ما ليس منه كشق الصدر ؛ كما يأتي .

(۴) صحيح مسلم : ۱۴۷

(۵) عند ظئره : الظئر : المرضة التي ليست بأم ؛ وهى حليلة السعدية .

المقدس ، ثم عرج^(۱) به من هناك ، فأزاح كل إشكال أو همه غيره^(۲) .
وقد روى يونس ، عن ابن شهاب ، عن أنس ، قال^(۳) : كان أبو ذر يحدث
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فرج^(۴) سئف بيتي ، [وأنا بمكة]^(۵) ،
فنزل جبريل ، ففرج صدرى ، ثم غسله من^(۶) ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب
ممتلىء حكمة وإيماناً ، فأفرغها في صدرى ، ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي فعرج بنا إلى
السماء . . . فذكر القصة .

وروى قتادة^(۷) الحديث ، بمثله ، عن أنس ، عن مالك بن صعصعة ، وفيها
تقديم وتأخير وزيادة ونقص ، وخلاف في ترتيب الأنبياء في السموات .
وحديث ثابت ، عن أنس - أتقن وأجود .

وقد وقعت في حديث الإسراء زيادات نذكر منها نكتة مفيدة^(۸) في غرضنا :
منها في حديث ابن شهاب ، وفيه : قول كل نبي له : مرحباً بالنبي الصالح ،
والأخ الصالح ، إلا آدم وإبراهيم فقالا له : والابن الصالح^(۹) .

(۱) في ب : عرج - بالبناء للمجهول .

(۲) أو همه غيره : أوقعه في ذهن الناس ووههم . غيره : غير ثابت .

(۳) هذا الحديث في صحيح مسلم : ۱۴۸

(۴) فرج : شق ، أو رفع جانب منه حتى صار مكشوفاً .

(۵) من صحيح مسلم :

(۶) في ب : بماء زمزم . والمثبت في ۱ ، وصحيح مسلم .

(۷) في صحيح مسلم : ۱۴۹

(۸) النكتة : جمع نكتة . والمراد كل معنى دقيق يحصل بالفكر .

(۹) في صحيح مسلم : ۱۴۹

وفيه - من طريق ^(۱) ابن عباس : ثم عرج بي حتى ظهرت ^(۲) بمستوى أسمع فيه صريف ^(۳) الأقلام .

وعن أنس ^(۴) : ثم انطلق بي حتى أتيت سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى ، فغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ ؟ قال : ثم أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ .

وفي حديث مالك بن صعصعة : فلما جاوزته ^(۵) - يعني [۵۹] موسى - بكى ، فنودي : ما يُبْكِيكَ ؟ قال : رب ، هذا غلامٌ بعثته بعدي يدخل من أمتي الجنة أكثر مما يدخل من أمتي ^(۶) !

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه ^(۷) : وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء ، فحانت ^(۸) الصلاة ، فأمامهم ^(۹) ، فقال قائل : يا محمد ، هذا مالك خازن النار ، فسلم عليه . فالتفت ^(۱۰) فبدأني بالسalam .

وفي حديث أبي هريرة : ثم سار حتى ^(۱۱) أتى إلى بيت المقدس ، فنزل فربط فرسه إلى صخرة ، فصلى مع الملائكة ، فلما قضيت الصلاة قالوا : يا جبريل ؛ مَنْ هَذَا معك ؟ قال : هذا محمد رسول الله خاتم النبيين . قالوا : وقد أرسل إليه ؟ قال :

(۱) في ب : حديث . وهو في صحيح مسلم : ۱۴۹ (۲) ظهرت : علوت وصعدت .
(۳) صريف الأقلام : الصريف : المراد به صوت القلم على الورق ؛ أي انتهى - صلى الله عليه وسلم إلى محل سمع فيه صريف أقلام الملائكة الكتبة . وهي تكتب ما تنقله من اللوح ، أو ما يؤمر بكتابته من الوحي وغيره . صحيح مسلم : ۱۴۹

(۴) فيما رواه مسلم : ۱۴۹ (۵) جاوزته : فارقه .

(۶) صحيح مسلم : ۱۵۰

(۷) في حديث الإسراء الذي رواه البيهقي وغيره .

(۸) حانت الصلاة : دخل وقتها ، وجاء حينها .

(۹) فأمامهم : صليت بهم جماعة وأنا إمام لهم .

(۱۰) فالتفت : أي إلى مالك . (۱۱) ثم سار : أي جبريل .

نعم . قالوا : حياهُ اللهُ^(۱) مِنْ أَخٍ وَخَلِيفَةٍ ، فَنِعْمَ الْأَخُ وَنِعْمَ الْخَلِيفَةُ ! ثُمَّ لَقُوا أَرْوَاحَ الْأَنْبِيَاءِ فَأَثْنُوا عَلَى رَبِّهِمْ ، وَذَكَرَ كَلَامَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، وَهُمْ إِبْرَاهِيمُ ، وَمُوسَى وَعِيسَى ، وَدَاوُدُ ، وَسُلَيْمَانُ .

ثُمَّ ذَكَرَ كَلَامَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : وَإِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ : كَلِمَتِي أَثْنَى عَلَى رَبِّي ، وَأَنَا أَثْنَى عَلَى رَبِّي . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَكَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا^(۲) ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْفُرْقَانَ فِيهِ تَبْيَانٌ كُلُّ شَيْءٍ^(۳) . وَجَعَلَ أُمَّتِي خَيْرَ أُمَّةٍ ، وَجَعَلَ أُمَّتِي أُمَّةً وَسَطًا^(۴) ، وَجَعَلَ أُمَّتِي هُمُ الْأَوَّلُونَ ، وَهُمْ الْآخِرُونَ^(۵) ، وَشَرَحَ لِي صَدْرِي ، وَوَضَعَ عَنِّي وَزْرِي^(۶) ، وَرَفَعَ لِي ذِكْرِي^(۷) ، وَجَعَلَنِي فَاتِحًا وَخَاتِمًا^(۸) .

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : بِهَذَا فَضَّلَكُمْ مُحَمَّدٌ .

(۱) حياهُ اللهُ : هِيَ تَحِيَّةٌ وَدَعَاءٌ بِالْبَقَاءِ وَالسَّلَامَةِ .

(۲) بَشِيرًا وَنَذِيرًا : مَبَشِّرًا بِالْخَيْرِ لِمَنْ آمَنَ وَاتَّقَى ، مَحْذِرًا مَنِ كَفَرَ وَعَصَى .

(۳) تَبْيَانٌ كُلُّ شَيْءٍ : مُبَيِّنٌ لِكُلِّ شَيْءٍ .

(۴) أُمَّةٌ وَسَطًا : عَدُولًا أَحْيَارًا جَامِعِينَ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ، وَسَائِرِ الصِّفَاتِ الَّتِي بَيْنَ

التَّفْرِيطِ وَالِإِفْرَاطِ .

(۵) عَلَّقَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ حَسَنِينَ مَخْلُوفٌ هُنَا - فِي النُّسخَةِ - قَالَ : الْأَوَّلُونَ ؛ أَيُّ فِي دُخُولِ

الْجَنَّةِ ، وَالْآخِرُونَ ؛ أَيُّ فِي الْوُجُودِ فِي الدُّنْيَا . وَقَالَ الشَّهَابُ الْحَفَاجِيُّ : هُمُ الْأَوَّلُونَ وَهُمْ

الْآخِرُونَ : مَعْنَى أَوْلِيَّتِهِمْ سَبَقَهُمُ النَّاسُ فِي الْقِيَامِ مِنَ الْقُبُورِ وَفِي دُخُولِ الْجَنَّةِ وَفَصَلَ الْقَضَاءِ .

وَتَأَخَّرَهُمْ بِاعْتِبَارِ الْوُجُودِ الْحَارِجِيِّ .

(۶) وَوَضَعَ عَنِّي وَزْرِي : طَهَّرَ قَلْبِي مِنْ حِظِّ الشَّيْطَانِ ، وَعَصَمَنِي فَلَا أُرْتَكِبُ مَا لَا يَرْضَى اللَّهُ .

(۷) وَرَفَعَ ذِكْرِي : جَعَلَنِي مَذْكُورًا فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى ، وَجَعَلَ اسْمِي مَقْرُونًا مَعَ اسْمِهِ عَلَى

كُلِّ لِسَانٍ ، وَعَلَى النَّارِ فِي كُلِّ إِقَامَةٍ وَأَذَانٍ .

(۸) وَجَعَلَنِي فَاتِحًا وَخَاتِمًا : لِلنَّبِيَّةِ ؛ إِذْ خَلَقَ رُوحِي تَمَلُّقَ الْأَرْوَاحِ ، وَبَنَاهَا قَبْلَ كُلِّ نَبِيٍّ .

وَجَعَلَنِي خَاتِمَ النَّبِيِّينَ .

ثم ذكر أنه عرج به إلى السماء الدنيا ، ومن سماء إلى سماء ، نحو ما تقدم .
 وفي حديث ابن مسعود^(١) : وانتهى بي إلى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ، وهي في السماء
 السادسة ، إليها ينتهى ما يُعْرَجُ^(٢) به من الأرض فيقبض^(٣) منها ، وإليها ينتهى
 ما يهبط من فوقها^(٤) فيقبض منها ؛ قال^(٥) : ﴿ إِذْ يَفْشَى السِّدْرَةَ مَا يَفْشَى ﴾ ،
 قال : فراش من ذهب^(٦) .

وفي رواية^(٧) أبى هريرة ، من طريق الربيع بن أنس : فقيل لى : هذه السِّدْرَةُ^(٨)
 الْمُنتَهَى يَنْتَهَى إِلَيْهَا كُلُّ أَحَدٍ مِنْ أُمَّتِكَ خَلَا عَلَى سَبِيلِكَ^(٩) ، وهي السِّدْرَةُ الْمُنتَهَى ،
 يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن^(١٠) ، وأنهار من آسن لم يتغير طعمه ، وأنهار
 من خمر لذة للشاربين^(١١) ، وأنهار من عسل مصفى ، وهي شجرة يسير الراكب
 في ظلها سبعين عاما ، وإن ورقة منها مظلة الخلق^(١٢) ، فغشيتها نور ، وغشيتها
 الملائكة .

(١) الذى رواه ابن عرفة في جزأيه ، وأبونعيم في الدلائل . وهو في صحيح مسلم : ١٥٧

(٢) ما يعرج به : ما تصعد به الملائكة من أمور الأرض .

(٣) فيقبض منها : تقبضه الكتبة وتكتبه .

(٤) من فوقها : من العرش بواسطة الملائكة المقربين .

(٥) سورة النجم ، آية ١٦

(٦) الفراش : دويبه ذات جناحين تنهافت في ضوء السراج ، واحدته فراشة .

(٧) فى ب : وفى حديث أبى هريرة . . . (٨) هذا فى ا ، ب .

(٩) خلا : مضى . على سبيلك : على طريقتك وسنتك ؛ أى من مات من أمتك مؤمنا بك

عرج بروحه مع الملائكة إليها . وفى ا : خلى - بضم الحاء وتشديد اللام المكسورة .

(١٠) غير آسن : لا يتغير طعمه ولونه ورائحته أصلا ، وإن طال مكثه وعدم جريانه .

(١١) لذة للشاربين : أى ليس نكح الدنيا المستكره شربها .

(١٢) مظلة الخلق : كناية عن سعة ظلها .

قال : فهو قوله ^(١) : ﴿ إِذْ يَغْشَى السَّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴾ .

فقال الله تبارك وتعالى له : سأل . فقال : إنك اتخذت إبراهيم خليلا وأعطيتهم ملكا عظيما . وكلمت موسى تسليما ، وأعطيت داود ملكا عظيما ، وأنت له الحديد ، وسخرت له الجبال ، وأعطيت سليمان ملكا عظيما ، وسخرت له الجن والإنس والشياطين والرياح ^(٢) ، وأعطيتهم ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ، وعلمت موسى التوراة والإنجيل ^(٣) ، وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص ^(٤) ، وأعدته وأمه من الشيطان ^(٥) الرجيم ، فلم يكن له عليهما سبيل .

فقال له ربه تعالى : قد اتخذتك خليلا ^(٦) . فهو مكتوب في التوراة ^(٧) : محمد حبيب الرحمن ، وأرسلتك إلى الناس كافة ، وجعلت أممك هم الأولون ، وهم الآخرون ، وجعلت أممك لا تجوز لم خطبة ^(٨) حتى يشهدوا ^(٩) أنك عبدى ورسولى ، وجعلت أول النبيين خلقا . وآخرهم بعثا ، وأعطيتك سبعا من المشاني ^(١٠) ، ولم أعطها نبيا قبلك ، وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشى لم أعطها نبيا قبلك [٦٠] ، وجعلت فأنحا وخاتما .

(١) سورة النجم ، آية ١٦ (٢) فكانت تجرى بأمره كما يشاء .

(٣) قال القارى : علمت موسى التوراه تبعية والإنجيل أصلية .

(٤) الأكمه : الذى ولد أعمى . ويروى : وعلمت موسى التوراة وعيسى الإنجيل .

(٥) وأعدته : حفظته وأجرته .

(٦) هذا فى ١ ، وعليها علامة الصحة . وفى هامشه : حبيبا ، وبجانبا « صح » وكلمة

« معا » . وفى ب بالعكس . (٧) هذا من كلام الراوى كالشاهد لصحة الزيادة المذكورة .

(٨) خطبة : هى كلام يقال على رؤوس الأشهاد للإعلام بأمر مهم .

(٩) حتى يشهدوا . . . أى لا يعتد بخطبهم إلا إذا أتوا فيها بكلمة الشهادة .

(١٠) سبعا من المثانى : أى الفاتحة ، لأنها سبع آيات ، أو هى ثنى وتكرر فى كل ركعة .

أو السبع الطوال : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والتوبة

وحدها أو مع الأنفال بناء على أنهما سورة واحدة لعدم البسمة بينها ؛ لتكرير المواظ والمعرفتها .

وفي الرواية الأخرى^(۱) قال : فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا :
أُعْطِيَ الصَّلَاةَ الْخَمْسَ ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ
شَيْئًا مِنْ أُمَّتِهِ الْمُقْحَمَاتِ^(۲) .

وقال^(۳) : ﴿ مَا كَذَبَ^(۴) اللَّهُ مَا رَأَى . أَفْتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى . ﴾ : رأى
جبريل في صورته له ستمائة جناح .

وفي حديث شريك أنه رأى موسى في السابعة - قال : بتفضيل كلام الله^(۵) .
قال^(۶) : ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله ؛ فقال موسى : لم أظن أن يرفع
عليّ أحد .

وقد روى عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالأنبياء بيت المقدس .
[وعن أنس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينما أنا
قاعد ذات يوم إذ دخل جبريل ، فوكز^(۷) بين كتفَيَّ ، فقامتُ إلى شجرة فيها
مثلُ وَكَرِي الطائر^(۸) ، فقامتُ في واحدةٍ وقعدتُ في الأخرى^(۹) ، فتمتُ حتى سددت

(۱) التي رواها مسلم : ۱۵۷

(۲) المقحمات : المراد الكبائر التي تلتقي صاحبها في النار . وبين السطور فوقها في ب : المهلكات .

(۳) وقال : أي ابن مسعود في الحديث الذي رواه .

(۴) سورة النجم ، آية ۱۱ ، ۱۲

(۵) بتفضيل كلام الله ؛ أي علو مرتبته عليه الصلاة والسلام ، وصعوده للسابعة إنما هو

أفضله على غيره بكونه كلام الله . (۶) قال : شريك في الحديث .

(۷) وكز بين كتفي : وكز : ضرب ضرباً خفيفاً كما يفعل من يوقظ غيره . وقيل :

الوكز : الضرب بجمع الكف .

(۸) الوكر للطير كالبيت للإنسان : العش .

(۹) قال في نسيم الرياض : قيل أنه لأنه كالشمس يذكر ويؤنث ، والغالب على السنة أهل

مكة تأنيثه . أو لتأويله بالزاوية والطاقة ونحوها .

الْخَافِقِينَ^(۱) . وَلَوْ شِئْتَ لَمَسَسْتَ^(۲) السَّمَاءَ ، وَأَنَا أَقْلَبُ طَرْفِي^(۳) ، وَنَظَرْتُ جِبْرِيلَ كَأَنَّهُ
حَاسٍ لَاطِي^(۴) ، فَعَرَفْتُ فَضْلَ عَلَيْهِ بِاللهِ عَلَيَّ^(۵) ، وَفُتِحَ لِي بَابُ السَّمَاءِ ، وَرَأَيْتُ
النُّورَ^(۶) الْأَعْظَمَ ، وَلُطَّ دُونِي^(۷) الْحِجَابَ ، وَفَرَجُهُ الدَّرُّ وَالْيَاقُوتُ^(۸) .
ثُمَّ أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا شَاءَ أَنْ يُوحِيَ^(۹) .

وذكر البزار عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(۱۰) : لما أراد الله تعالى أن
يعلم رسوله الأذان جاء جبريل بدابة يقال لها البراق ، فذهب يركبها ، فاستصعبت
عليه ، فقال لها جبريل : اسكني ، فوالله ما ركبك عبدٌ أكرم على الله من محمد
صلى الله عليه وسلم ؛ فركبها حتى أتى إلى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى ، فبينما هو
كذلك إذ خرج ملكٌ من الحجاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جبريل ،
من هذا ؟

(۱) فتمت : فزادت الشجرة وارتفعت . والخافقان : المشرق والمغرب .

(۲) لملوها وقربى منها . (۳) تقلاب طرفه : نظره في جوانبها .

(۴) جلس لاطي : المجلس : كساء رقيق يوضع تحت القتب والبردعة وييسط في البيت .

لاطي : لاصق بالأرض . والمراد أنه لما قرب من السماء غشيته مهابة حتى خضع والتصق
بالأرض من الغشى الذي هو فيه ، والنبي صلى الله عليه وسلم لم تمسه روعة كما غشى جبريل
عليه السلام . وفي ۱ : لاطئا .

(۵) الملائكة المقربون قد يعرفون من أحوال المالكوت ما لا يعرفه غيرهم .

(۶) النور الأعظم : قيل هو نور العرش ، أو الله تعالى .

(۷) لط دوني الحجاب : أرخى (هامش ب) يعني أنه صلى الله عليه وسلم بعد ما شاهد

النور أرخى بينه وبينه حجاب ستره عنه . وفي ۱ : وإذا دوني . . .

(۸) وفرجه : جمع فرجة ؛ وهي ما بين الشيتين من خلاء ، أو بين أجزاء شيء مفتوحة ؛

أي فرج الحجاب . وطاقاته التي يخرج منها نوره .

(۹) ما بين القوسين في هامش ب تحت كلمة : حاشية . وهو في الأصل .

(۱۰) هذا الحديث رواه بسند متصل لعلي رضي الله عنه ، قال القاري (۱ - ۳۹۹) :

وفي سنده زياد بن المنذر ، وهو كذاب .

قال : والذي بعثك بالحق ، إني لأقرب الخلق مكاناً ، وإن هذا الملك ما رأيتُه منذ خلقتُ قبل ساعتى هذه . فقال الملك : الله أكبر . الله أكبر . فقيل له من وراء الحجاب : صدق عبدي ، أنا أكبر . أنا أكبر .
ثم قال الملك : أشهد أن لا إله إلا الله . فقيل له من وراء الحجاب : صدق عبدي ،
أنا الله لا إله إلا أنا .

وذكر^(١) مثل هذا في بقية الأذان ، إلا أنه لم يذكر جواباً عن قوله : حتى على الصلاة . حتى على الفلاح .

وقال^(١) : ثم أخذ الملك بيد محمد ، فقدمه ، فأمر أهل^(٢) السماء ، فيهم آدم ونوح .

قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ، راويه^(٣) : أكمل الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على أهل السموات والأرض^(٤) .

قال القاضي - رضى الله عنه : ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق ، فهم المحجوبون ، والباري جل اسمه منزّه عما يحجب به ، إذ الحجب إنما تحيط بمقدر محسوس^(٥) ، ولكن حجبته على أبصار خلقه وبصائرهم

(١) وذكر : أي الراوى . (٢) فأمر : صار إماماً يؤم .

(٣) روايه : أي راوى هذا الحديث الذي رواه عن أبيه ، عن جده .

(٤) قال في نسيم الرياض (٢ - ٢٨٣) : بقي هنا أن ما ذكر يدل على أن الأذان شرع ليلة الإسراء قبل الهجرة مع أنهم جزموا بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى بغير أذان منذ فرضت الصلاة إلى أن هاجر إلى المدينة ، ثم رأى بعض الصحابة من دله على الأذان ، فأمر الرسول بلالا أن يؤذن . وذلك يدل على أن الأذان كان بدؤه في المدينة ، وهما متمارضان . قال : إلا أن الثاني صحيح ، والاول ضعيف .

(٥) بمقدر محسوس : أي بذى مقدار له طول وعرض في جهة تحس بتوجه الناظر ؛ فيقتضى الجهة ، وهو - تعالى - منزّه عن ذلك .

وإدراكاتهم بما شاء^(۱) وكيف شاء، ومتى شاء، كقوله تعالى^(۲) : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ .

فقوله في هذا الحديث : « الحجاب » ، « وإذ خرج ملك من الحجاب » - يجب أن يقال^(۳) : إنه حجابٌ حجبَ به^(۴) مَنْ ورائه من ملائكته عن الإطلاع على ما دونه^(۵) من سُلطانِه وعظمتِه ، وعجائبِ ملكوته وجبروته^(۶) .

ويدلُّ^(۷) عليه من الحديث قولُ جبريل - عن الملك الذي خرج من ورائه : إن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه .

فدلَّ على أن هذا الحجاب لم يختص بالذات^(۸) .

ويدلُّ عليه قولُ كعب في تفسير : « سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى » - قال : إليها ينتهى عِلْمُ الملائكة ، وعندها يحدون أمرَ الله ، لا يجاوزها علمُهُم .

وأما قوله : الذي يلي الرحمن فيُحْمَلُ على حَذْفِ المضاف ، أى بِلِي عَرْشِ الرحمن ، أو أمراً ما من عظيم آياته ، أو مبادئ حقائق معارفه^(۹) ، مما هو أعلمُ به ، كما قال تعالى^(۱۰) : ﴿ واسأل القرية ﴾ ؛ أى أهلها .

(۱) الحجب : جمع حجاب ، أى منهم عن رؤيته وإدراك ذاته ، ومعرفة حقيقته ، ليس بحجاب كحجاب البشر ؛ بل بسبب إرادة وكيفية لا يدركها ، فى أى زمان أراد .

(۲) سورة المطففين ، آية ۱۵ (۳) أن يقال فى تفسيره . (۴) حجب به الله .

(۵) على مادونه : أى ما خلفه وبما ورائه من جانب الغيب وباطنه ، فهو الباطن الظاهر .

(۶) المراد بملكوته عالم غيب الغيب ؛ أى ما غيب عن الملائكة . ويجبروته : عظائم

الملسكوت وغرائبها مما احتجب عن غيره .

(۷) ويدل عليه : يدل على أن الحجاب لغيره لا لله .

(۸) بالذات : أى بذات الله .

(۹) أى أمراً يكون مبدأ لما يتحقق به معرفة الله .

(۱۰) سورة يوسف ، آية ۸۲

وقوله : فقيل من وراء الحجاب : صدق [٦١] [عُبْدِي]^(١) ، أنا أكبر -
فظاهره أنه سمع في هذا الموطن كلام الله ، ولكن من وراء حجاب ، كما قال^(٢) :
(وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب) ؛ أى وهو^(٣) لا يراه ،
حجب بصره عن رؤيته .

فإن صحَّ القول^(٤) بأنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه - عز وجل - فيحتمل
أنه في غير هذا الموطن بعد هذا أو قبله ، رُفِعَ الحجابُ عن بصره حتى رآه .
والله أعلم .

فصل^٣

ثم اختلف السلف^(٥) والعلماء : هل كان إسراء برُوحه أو جسده ؟ على ثلاث
مقالات^(٦) :

فذهبت طائفة إلى أنه إسراء بالروح ، وأنه رؤيا منام ، مع اتفاقهم أن رؤيا
الأنبياء حق ووحي ، وإلى هذا ذهب معاوية^(٧) .
وحكى عن الحسن^(٨) ، والمشهور عنه خلافه^(٩) ، وإليه أشار محمد بن إسحاق ،
وحجتهم قوله تعالى^(١٠) : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ .

(١) ليس في ١ . (٢) سورة الشورى ، آية ٥١ (٣) وهو ؛ أى البشر .
(٤) ارجع إلى صحيح مسلم في ذلك : ١٥٨ ، وما بعدها . وشرح القارى : ١ - ٤٠٢ .
(٥) المراد بالسلف الضحابة ومن عاصرهم ، وبالعلماء من بعدهم . وهذا الفصل تحقيق
في الإسراء . (٦) أى الاختلاف واقع على ثلاثة أقوال للسلف والخلف .
(٧) معاوية بن أبي سفيان ، كما رواه عنه ابن جرير ، وابن إسحاق . وهو صحابي ابن صحابي .
(٨) الحسن البصرى .
(٩) له قولان : أشهرهما أنه كان يقظة . وحديث الإسراء في الطبقات الكبرى : ١ - ١٤٢ .
كما تقدم .
(١٠) سورة الإسراء ، آية ٦٠ .

وما حَكَّوْا^(١) عن عائشة رضى الله عنها : ما فقدت^(١) جسدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله : بينا أنا نائم .

وقول أنس : وهو نائم في المسجد الحرام ... وذكر القصة ، ثم قال في آخرها^(٢) : فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام .

وذهب مُعْظَمُ السَّلَفِ والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة ، وهذا هو الحق ، وهو قول ابن عباس ، وجابر ، وأنس ، وحذيفة ، وعمر ، وأبي هريرة ، ومالك بن صعصعة ، وأبي حبة البدرى ، وابن مسعود ، والضحاك ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، وابن المسيب ، وابن شهاب ، وابن زيد ، والحسن ، وإبراهيم ، ومسروق ، ومجاهد ، وعكرمة ، وابن جريج ، وهو دليل قول عائشة^(٣) ، وهو قول الطبرى ، وابن حنبل ، وجماعة عظيمة من المسلمين . وقول^(٤) أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين .

(١) وما حَكَّوْا : أى وما احتجوا به أنها رؤيا منام . وستأتى الإشارة إلى هذا بعد ما قال فى نسيم الرياض (٢ - ٢٨٨) : وفى نسخة : ما فقد - بالبناء للمفعول . وفى رواية : لم يفقد - مجهول أيضا . قال التلمسانى : وهى الأشبه بالصواب ؛ فهو إخبار منها عن غيرها ، لأنها لم تكن حينئذ زوجته ؛ بل لم توجد .

(٢) فى حديث الإسراء الذى رواه البخارى : ٤ - ١٣٣ ، وهو يدل على أنه كان مناما .
(٣) قال فى نسيم الرياض (٢ - ٢٨٩) : قيل : كيف يكون الإسراء يقظة دليل قول عائشة : ما فقدت جسده الشريف الدال على أنه كان مناما لا يقظة ؟ فهذا سهو منه بلا ريب . وقد يقال : إنه سقط منه شيء ؛ وأصله دليل على عدم صحة قول عائشة ، لأنه لم يثبت نقله عنها .

وقد يقال : مراده أنه دليل على قول عائشة قولا موافقا لما عليه أكثر الصحابة ، وأنها قائلة بأنه يقظة كالجهور ، كما سيأتى ؛ فالمراد بإبطال ما نقلوه عنها . وهذا الرد الأخير أسهل من تغليب المصنف ؛ وهو الأنسب بقوله بعد : وهو قول الطبرى .
(٤) فى ١ : وهذا .

وقالت طائفة^(١) : كان الإسراء بالجسد يَقَظَةً إلى بيت^(٢) المقدس ، وإلى السماء بالروح ، واحتجوا بقوله تعالى^(٣) : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ ، فجعل « إلى المسجد الأقصى » غاية^(٤) الإسراء الذي وقع التمجُّبُ فيه بعظيم القُدرة ، والتمدُّح بتشريف النبي محمد صلى الله عليه وسلم به^(٥) ، وإظهار الكرامة له بالإسراء إليه .

قال هؤلاء^(٦) : ولو كان الإسراء بجسده إلى زائدٍ على المسجد الأقصى لذكَّره ؛ فيكون أبلغ في المدح .

ثم اختلفت هذه الفرقتان^(٧) : هل صَلَّى ببيت المقدس أم لا ؟
ففي حديث أنس وغيره ما تقدم من صلواته فيه . وأنكر ذلك حذيفةُ بن اليمان ، وقال : والله ما زال^(٨) عن ظهر البراق حتى رجعا .

-
- (١) هذا هو القول الثالث . (٢) في ب : إلى المسجد الأقصى . وعليها علامة الصحة .
(٣) سورة الإسراء ، آية ١
(٤) أي إنه لما جعل المسجد الأقصى غاية اقتضى أنه لم يجاوزه إلى السماء بيدنه الشريف .
قال في نسيم الرياض (٢ - ٢٩٠) : ولا حجة فيه ، لأن كونه غاية مسيره في الأرض لا ينافي صعوده لما يجازيه في جهة العلو .
وقيل : إن الحكمة في تخصيص المسجد الأقصى أن تسأل قريش على سبيل الامتحان - عن الأعلام التي عرفوها ، والصفات التي شاهدوها في بيت المقدس ؛ وقد علموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يسافر إليها قط ، فيجيبهم بما عاين ، ويوافق ما يعلمون ؛ فتقوم الحجة عليهم ؛ وكذلك وقع . ولذا لم يسألوه صلى الله عليه وسلم عما رأى في السماء ؛ إذ لا علم لهم بذلك .
(٥) به : بالإسراء .
(٦) قال هؤلاء : أي قال هؤلاء الداهيون إلى أن الإسراء بجسده إلى المسجد الأقصى ، وهم أصحاب المذهب الثالث .

(٧) الفرقتان الثانية والثالثة . وفي هامش ب أمام هذه : خ : هاتان .

(٨) ما زال : لم ينفصلا وينزلا . والضمير لجبريل وللنبي .

قال القاضي ^(١) : والحق من هذا والصحيح إن شاء الله - أنه إسراء بالجسد والروح في القصة كلاً ، وعليه تدل الآية ، وصحيح الأخبار ، والاعتبار ^(٢) ، ولا يُعدّل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة ، وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة ؛ إذ لو كان مناماً لقال ^(٣) : برُوح عبده ، ولم يقل : « بعبده » . وقوله تعالى ^(٤) : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ ، ولو كان مناماً لما كانت فيه آية ولا معجزة ، ولما استبعده الكفار ، ولا كذبوه فيه ، ولا ارتدّ به ضعفاء من أسلم ، وافتتنوا به ^(٥) ؛ إذ مثل هذا من المنامات لا يُنكر ؛ بل لم يكن منهم ^(٦) ذلك [٦٢] إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظته ، إلى ما ذكر في الحديث من ذكر صلواته بالأنبياء بيت المقدس في رواية أنس - أو في السماء على ما روى غيره ، وذكر مجي جبريل له بالبراق ، وخبر للعراج ، واستفتاح ^(٧) السماء ؛ فيقال : من معك ؟ فيقول : محمد ، ولقائه الأنبياء فيها ^(٨) ، وخبرهم معه ، وترحيبهم به ، وشأنه في فرض الصلاة ومراجعتهم مع موسى في ذلك .

(١) هو المؤلف .

(٢) والاعتبار : المراد به التبع لأقوال السلف أو دقيق الفكر والتأمل في الأحاديث المروية والقصة . بمعنى أنه يدل على ذلك العقل والنقل ، وفسر القارى الاعتبار بالمقابلة ، وقال (١ - ٤٠٥) : يعنى إذا ثبت إسراؤه من الحرم إلى الحرم معجزة بدلالة الآية فيجوز إسراؤه إلى السماء بالمقابلة المقرونة بالأحاديث الثابتة ؛ إذ لا فرق .

(٣) أى فى قوله تعالى : سبحانه الذى أسرى عبده - سورة الإسراء ، آية ١

(٤) سورة النجم ، آية ١٧ ؛ إذ ليس للروح بصر . ومعنى الآية : ما مال بصره يمينا ولا

شمالا فى مقام أدبه مع ربه ، وما جاوز ما أمره . (القارى : ١ - ٤٠٦) .

(٥) افتتنوا به : وقعوا فى فتنة وبلية عظيمة توقعهم فى المذاب ، لردتهم ، وتكذيبهم له ،

وإنكارهم لما أخبر به النبي بما هو خارق للعادة ؛ وهو قد أخبر به لأنه معجزة تحدهم بها .

(٦) فى ١ : ذلك منهم . (٧) واستفتاح السماء : أى طلب فتحها له .

(٨) فيها : أى فى السماء .

وفي بعض هذه الأخبار^(۱) : فأخذ - يعني جبريل - بيدي فعرج بي إلى السماء... إلى قوله : ثم عرج بي حتى ظهرت^(۲) مُسْتَوِيَّ أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ ، وَأَنَّهُ وَصَلَ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وَأَنَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَرَأَى فِيهَا مَا ذَكَرَهُ .

قال ابن عباس : هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ رَأَاهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا رُؤْيَا مَنَامٍ .
وعن الحسن^(۳) فِيهِ : بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ فِي الْحِجْرِ^(۴) جَاءَنِي جِبْرِيلُ فَهَمَزَنِي بِعَقْبِهِ^(۵) ، فَتَمَّتْ فَجَلَسْتُ فَلَمْ أَرَ شَيْئًا ، فَعُدَّتْ لَمْضَجِي^(۶) - ذَكَرَ ذَلِكَ^(۷) ثَلَاثًا ، فَقَالَ فِي الثَّلَاثَةِ : فَأَخَذَ بَعْضُدِي^(۸) فَجَرَّئَنِي إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَإِذَا بِدَابَّةٍ... وَذَكَرَ خَيْرَ الْبَرَاقِ^(۹) .

وعن أمِّ هانئ : مَا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا وَهُوَ فِي بَيْتِي ، تِلْكَ اللَّيْلَةَ صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ^(۱۰) ، وَنَامَ بَيْنَنَا ، فَلَمَّا كَانَ قُبَيْلَ الْفَجْرِ أَهْبْنَا^(۱۱) رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا صَلَّى الصُّبْحَ وَضَلَّيْنَا قَالَ : يَا أُمَّ هَانِئُ ، لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَكُمْ

(۱) فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الشَّيْخَانُ عَنْ أَنَسٍ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ .

(۲) ظَهَرَتْ : عَلَوَتْ وَصَعِدَتْ .

(۳) رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ وَابْنُ جُرَيْرٍ مَرْسَلًا عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ .

(۴) الْحِجْرُ : بِجَنْبِ الْبَيْتِ الشَّرِيفِ كَنَصْفِ دَائِرَةِ عَلَيْهِ جِدَارٌ قَصِيرٌ . وَفِي ب : جَالِسٌ ، وَفِي هَامِشِهِ : نَائِمٌ . وَالْعَكْسُ فِي أ .

(۵) هَمَزَنِي : مَنَى بِشِدَّةٍ لِيَنْهِنِي . وَالْعَقْبُ : مَوْخِرُ الرَّجْلِ .

(۶) لَمْضَجِي : أَي رَجَعْتُ لِمَا كُنْتُ عَلَيْهِ مِنْ هَيْئَةِ النَّائِمِ .

(۷) فِي ب : فَذَكَرَ ، وَالْمَثْبُوتُ فِي أ . (۸) الْمَضْدُ : مَا فَوْقَ الْمِرْفَقِ .

(۹) وَهَذَا رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ ، وَابْنُ جُرَيْرٍ ، وَالطَّبْرَانِيُّ . وَعَلَّقَ الْقَارِيُّ (١ - ٤٠٧) عَلَى

هَذَا بِقَوْلِهِ : قَالَ الْهَلْجِيُّ : اللَّهُ أَعْلَمُ بِصِحَّةِ هَذَا الْحَدِيثِ لِنِزَاهَةِ جِبْرِيلَ عَنْ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ .

(۱۰) الْعِشَاءُ الْأُولَى : الْمَغْرِبُ . (۱۱) أَهْبْنَا : أَي قَطْنَا (هَامِشُ ب) .

العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي^(١)، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه، ثم صليت
الغداة معكم الآن كما ترون .
وهذا بين في أنه بحسبه .

وعن أبي بكر من رواية شداد بن أوس عنه - أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم
ليلة أسرى به : طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك فلم أجِدك^(٢) . فأجابه : إن
جبريل عليه السلام حملني^(٣) إلى المسجد الأقصى .

وعن عمر رضى الله عنه^(٤) ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صليتُ

(١) بهذا الوادي : بمكة ، وهي واد لإحاطة الجبل بها وانخفاضها .

قال في نسيم الرياض (٢ - ٢٩٥) : قالوا : وهذا مشكل من وجوه ؛ لأنها إنما أسلمت
عام الفتح ، فكيف تكون قد صلت معه العشاء . وأيضا إن الصلاة إنما فرضت في الإسراء ؛
ولهذا أشار المصنف لتضميف هذا في الفصل الذى يليه . وأيضا القرب لا تسمى عشاء لغة وشرعا .
ثم قال : أقول الذى يظهر لى فى التوفيق بين الآراء والجواب عما ذكر - أن النبي صلى الله
وسلم كان يبيت أم هانىء ، ثم خرج إلى الحرم للصلاة ، فنشيه نوم ، ثم استيقظ وعرج به .
وأما قول أم هانىء : « وصاينا » فيدفع إشكاله المذكور أنها بنت أبي طالب ، وأبو طالب
وآله كانوا محبين له صلى الله عليه وسلم معتقدين صدقه ولم يظهروا ذلك ؛ ولذا أسلم على فى
صباه ، فلما خرج النبي من بيتها تلك الليلة وصلى بالحرم ومعه على فلاشك أنه كان يصلى قبل
الإسراء بالغداة والعشى صلاة غير الخمس المفروضة ؛ فقولها : « صاينا » كقولهم : بنو فلان
قتلوا قتيلا ، والقائل واحد منهم ؛ لأن الفعل الرضى لجماعة إذا وقع من أحدهم ينسب للجميع ؛
أى صلى معه بعض آلنا ، وهو على .

أو يقال : إنها كانت مسلمة سرا ، كما نقل عن العباس .

فاندفاع الإيراد الذى ظنوه غير مندفع ظاهر .

(٢) البارحة : الليلة الماضية قبل ليلتك . ومعنى طلبتك : إني تفقدت جسدك فى مضجعتك .

(٣) فى ١ : حملة . (٤) كما رواه ابن مردويه من طرق .

ليلة أُسرى بي في مقدم المسجد^(۱) ، ثم دخلت الصخرة^(۲) فإذا بملاك^(۳) قائم معه آنية ثلاث^(۴) ... وذكر الحديث .

وهذه التصريحات ظاهرة^(۵) غير مستحيلة ، فتحمّل على ظاهرها^(۶) .

وعن أبي ذر^(۷) ، عنه صلى الله عليه وسلم : فرج سقف بيتي وأنا بمكة ، فنزل جبريل ، فشرح صدري ، ثم غسله بماء زمزم ... إلى آخر القصة^(۸) ، ثم أخذ بيدي ، فعرّج بي .

وعن أنس : أتيت فانطلق^(۹) بي إلى زمزم ، فشرح عن صدري .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : لقد رأيتني في الحجر ، وقريش تسألني عن مسراي^(۱۰) ، فسألني عن أشياء لم أثبتتها ، فكربت كربتاً ما كربت مثله قط^(۱۱) ، فرفعه الله لي أنظر إليه .

ونحوه عن جابر .

(۱) المسجد : المسجد الأقصى .

(۲) ثم دخلت الصخرة : أي دخلت للمسجد الذي تحت الصخرة .

(۳) في ۱ : فإذا ملك .

(۴) يعني إناء من خمر ، وإناء من لبن ، وإناء من ماء ، وأنه خير فيه فاختر اللبن ، وقيل

له : اخترت الفطرة ، ولو اخترت الخمر غوت أمتك - وقد تقدم .

(۵) ظاهرة : في أنه كان يقظة .

(۶) أي ولا يعدل إلى التأويل مع عدم الحاجة إليه .

(۷) يؤيد ظهور الرأي بأن الإسراء كان يقظة .

(۸) فرج : كشف من السقف اجانب حتى انفتحت منه فرجة ، ولم يبق حائل بينه وبين

السماء . وقد تقدمت .

(۹) في ۱ : أتاني آت فانطلقوا بي .

(۱۰) عن مسراي : أي يسأله كفار قريش عن علاماته بعد ما كذبوه .

(۱۱) السكرب : الغم والحزن الشديد ، مع القلق والاضطراب .

وقد رَوَى عُمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حديث الإسراء عنه صلى اللهُ عليه وسلم أنه قال : ثم رجعتُ إلى خديجة وما تحولتُ عن جانبها (۱) .

فصل

في إبطال حُجَج من قال إنها نوم

احتجُّوا بقوله تعالى (۲) : ﴿ وما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَبْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ ، فسيماها رؤيا ؟

قلنا : قوله سبحانه وتعالى (۳) : ﴿ الَّذِي أُسْرِيَ بِعَبْدِهِ ﴾ - يردُّه ؛ لأنه لا يُقال في النوم : أُسْرِيَ (۴) .

وقوله : ﴿ فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ . يؤيدُ أنها رؤيا عين ، وإسراء بشخص (۵) ؛ إذ ليس في الحِلْمِ فِتْنَةٌ . ولا يكذبُ به أحد ؛ لأنَّ كلَّ أحدٍ يرى مثلَ ذلك في منامه من الكونِ في ساعةٍ واحدةٍ في أقطار متباينة [۶۳] .

على أنَّ المفسِّرين قد اختلفوا في هذه الآية ؛ فذهب بعضهم إلى أنها نزلت في قضيَّةِ الحديبية ، وما وقع في نفوسِ الناسِ من ذلك (۶) . وقيل غيرُ هذا .

(۱) وما تحولت عن جانبها : الذي كانت عليه حين فارقتها النبي . وهذا يقتضی أنه كان في بيت خديجة . وقد تقدم أنه كان في بيت أم هانيء . وفي رواية إنه كان في الحجر ، وفي أخرى : في الحطيم .

قال القاري (۱ - ۴۰۹) : وفيه إشعار بتقليل زمن الإسراء . ثم قال : ولعله أول ما رجع دخل على خديجة ، ثم ذهب إلى أم هانيء في بيتها .

(۲) سورة الإسراء ، آية ۶۰ (۳) سورة الإسراء ، آية ۱

(۴) إذ الإسراء هو السير ليلا ، وهذا إنما يكون يقظة . (۵) في ۱ : وإسراء شخص .

(۶) من ذلك : من صالح الحديبية حتى راجعه في ذلك عمر مرارا . وقضية الحديبية أنه

صلى اللهُ عليه وسلم رأى في المنام أنه دخل المسجد الحرام ؛ فصدده المشركون في ذلك . ولكن النبي لم يقل : في هذا العام ، ودخل من قابل المسجد الحرام .

وأما قولهم : إنه قد سمّاها في الحديث مناماً .

وقوله في حديث آخر : بين النائم واليقظان .

وقوله أيضاً : وهو نائم . وقوله : ثم استيقظتُ - فلا حجة فيه ^(۱) ؛ إذ قد يحتملُ أن أول وصول الملك إليه كان وهو نائم ^(۲) ، أو أول حمله والإسراء به وهو نائم ، وليس في الحديث أنه كان نائماً في القصة كلها إلا ما يدلُّ عليه : ثم استيقظتُ وأنا في المسجد الحرام ؛ فلعل قوله : استيقظتُ بمعنى أصبحت ^(۳) ، أو استيقظ من نومٍ آخر بعد وصوله بيته .

ويدل عليه أن مسرّاه لم يكن طول ليله ، وإنما كان في بعضه .

وقد يكون قوله : استيقظتُ وأنا في المسجد الحرام لِمَا كان غمره ^(۴) من عجائب ما طالع ^(۵) من ملكوت السموات والأرض ، وخابراً باطنه ^(۶) من مشاهدة الملائع الأعلى ، وما رأى من آيات ربّه الكبرى ، فلم يستفق ^(۷) ويرجع إلى حال البشرية إلا وهو بالمسجد الحرام .

ووجه ثالث أن يكون نومه واستيقاظه حقيقةً على مقتضى لفظه ، ولكنه أُسرى بجسده وقلبه حاضر ، ورؤيا الأنبياء حق ، تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم .

(۱) فلا حجة فيه بأنها رؤيا منام . (۲) بدليل قوله في الحديث : فهمزني بعقبه . . .

(۳) أصبحت : دخلت في وقت الصباح .

(۴) كان غمره : أي لأجل القدي عرض له مما يدهشه ويستفرق لبه وفسكره .

(۵) ما طالع : ما شاهد .

(۶) خابر باطنه : ما زجه وخالطه ، والمراد بباطنه : قلبه وحواسه الباطنة .

(۷) فلم يستفق : لم يذنبه ويستيقظ من نومه .

وقد مال بعض أصحاب الإشارات^(١) إلى نحو من هذا . قال : تغميض عينيه
لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله تعالى .
ولا يصح هذا أن يكون^(٢) في وقت صلاته بالأنبياء^(٣) ، وأعله كانت له في هذا
الإسراء حالات^(٤) .

ووجه رابع ، وهو أن يعبر بالنوم ها هنا عن هيئة النائم من الاضطجاع ؛
ويقوي به قوله في رواية عبد بن حميد ، عن همام : بينما أنا نائم - وربما قال :
مضطجع .

وفي رواية هُدبة ، عنه : بينما أنا نائم في الحطيم^(٥) - وربما قال : في الحجر -
مضطجع . وقوله في الرواية الأخرى : بين النائم واليقظان .
فيكون سمي هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا .

وذهب بعضهم إلى أن هذه الزيادات : من النوم ، وذكر شق البطن ، ودنو
الرب عز وجل الواقعة في هذا الحديث^(٦) إنما هي من رواية شريك عن أنس ، فهي
منكرة^(٧) من روايته ؛ إذ شق البطن في الأحاديث الصحيحة إنما كان في صفره
صلى الله عليه وسلم وقبل النبوة ؛ ولأه قال في الحديث : « قبل أن يبعث » ، والإسراء

(١) أصحاب الإشارات : يعني بهم مشايخ الصوفية ؛ والمراد بالإشارة ما يأخذونه من
الحقائق من النصوص القرآنية وغيرها ، وهم لا يقصدون بتفسيرهم أنه صريح النص .

(٢) من أن الإسراء بجسده صلى الله عليه وسلم وهو نائم ، ليوفق بين الروايتين . وقال
القارى (١ - ١٢٤) : هذا ؛ أى تغميض العين . (٣) لأن النائم لا يصلى ، ولا تصح صلاته .

(٤) فكان في بعضها نائما غاضا لبصره تأديبا ، أو لئلا يرى سوى ربه ، وفي بعضها :
مستيقظا ، ووقت صلاته بهم قائما ، وفي بعضها بين النائم واليقظان ، وبهذا يجمع بين الروايات .

(٥) الحطيم : بين الركن والباب . (٦) في هذا الحديث : أى حديث الإسراء .
(٧) قال في نسيم الرياض (٢ - ٣٠٣) : وشريك طمن فيه ابن حبان وغيره ، وقالوا :

بإجماع^(١) كان بعد المبعث ؛ فهذا كله يوهن^(٢) ما وقع في رواية أنس^(٣) ، مع أن أنساً قد بين من غير طريق أنه إنما رواه عن غيره ، وأنه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال - مرة : عن مالك بن صعصعة ، وفي كتاب مسلم^(٤) : لعنه عن مالك ابن صعصعة - على الشك . وقال مرة^(٥) : كان أبو ذرٍّ يحدث .

وأما قول عائشة : ما فقد جسده ؛ فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة ؛ لأنها لم تكن حينئذ زوجة^(٦) ، ولا في سن من يضبط^(٧) ، وأهلها لم تكن وادت بعد ، على الخلاف في الإسراء متى كان ؛ فإن الإسراء كان في أول الإسلام على قول الزُّهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف^(٨) ، وكانت عائشة في الهجرة بنت نحو ثمانية أعوام^(٩) .

وقد قيل : كان الإسراء تخمس قبل الهجرة . وقيل : قبل الهجرة بعام . والأشبه^(١٠) أنه تخمس .

والحجة لذلك تطول ، [٦٤] وليست من غرضنا ؛ فإذا لم تشهد ذلك عائشة دل على أنها حدثت بذلك عن غيرها ، فلم يرجح خبرها على خبر غيرها ؛ وغيرها يقول خلافه مما وقع نصاً في حديث أم هانئ وغيره .

(١) في ١ : كان بإجماع . (٢) يوهن : يضعف . (٣) وهي التي رواها شريك .

(٤) صحيح مسلم : ١٥٠ (٥) صحيح مسلم : ١٤٨ (٦) في ١ : زوجة .

(٧) أي لم يكن سنها وعمرها حينئذ سن ضبط وإتقان لعدم تمييزها لغيرها ؛ فالرواية

عنها ليست مسلمة ؛ أو هي حدثت به عن غيرها .

(٨) قال القاري (١ - ٤١٤) : وهذا مخالف لما نقله النووي من أنه بعد المبعث بخمسة

أعوام ، وسيأتي .

(٩) فعلى هذا لم تكن ولدت في زمن الإسراء .

(١٠) الأشبه : أي القول الأصح الأول والأحسن .

وأيضاً فليس حديث عائشة رضي الله عنها يثبت، والأجاديث الأخر أثبتت،
ولسناً^(۱) تعني حديث أم هانئ، وما ذكرت^(۲) فيه خديجة.

وأيضاً فقد روى في حديث عائشة^(۳) : « ما فقدت » ، ولم يدخل بها النبي
صلى الله عليه وسلم إلا بالمدينة .

وكُلُّ هذا يوهنه^(۴) ؛ بل الذي يدلُّ عليه صحيحُ قولها : إنه^(۵) يجسده ،
لإنكارها أن تكون رؤياه لربه رؤياً عينٍ ، ولو كانت عندها مناجاة لم تُنكره .

فإن قيل : فقد قال تعالى^(۶) : ﴿ ما كذبَ الفؤادُ ما رأى ﴾ - فقد جعل ما رآه
للقلب ، وهنا يدلُّ على أنه رؤياً نومٍ ووَخِي ، لا مشاهدة عينٍ وحس .

قلنا : بما يله قوله تعالى^(۷) : ﴿ ما زاعَ البصرُ وما طغى ﴾ - فقد أضاف الأمرَ للبصرِ .

وقد قال أهلُ التفسير في قوله تعالى^(۶) : ﴿ ما كذبَ الفؤادُ ما رأى ﴾ ؛ أي

لأنهم القلبُ العَيْنَ غير الحقيقة ؛ بل صدق رؤيتها .

وقيل : ما أنكر قلبه ما رآته عينه .

(۱) ضبطت هذه الكلمة في ا : بفتح اللام وسكون السين ، وفي ب بفتح اللام وضم السين .
وفي القاموس : اللسن - بكسر اللام وسكون السين : اللغة والكلام .

(۲) أي ولا تعني حديث عمر الذي ذكرت فيه خديجة لعدم ورودها في الصحيح .

(۳) كما روى : ما فقدت - بالبناء للمجهول .

وقد تقدمت هذه الرواية صفحة . . .

(۴) يوهنه : يضعفه : أي يضمف حديث : ما فقدت .

(۵) إنه : أي الإسراء . (۶) سورة النجم ، آية ۱۱

(۷) سورة النجم ، آية ۱۷

فصل ۵

وأما رؤيته ^(۱) - صلى الله عليه وسلم لرَبِّه جلَّ وعزَّ - فاختلف السلفُ فيها ؛ فانكرته عائشة .

حدثنا أبو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظُ بقراءتي عليه ؛ قال : حدثني أبي وأبو عبد الله بن عتاب الفقيه ؛ قالوا : حدثنا القاضي يونس بن مغيث ، حدثنا أبو الفضل الصقلِي ، حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت ، عن أبيه وجدِّه ؛ قالوا : حدثنا عَبْدُ اللَّهِ بن علي ، قال : حدثنا محمود بن آدم ، حدثنا وَكَيْع ، عن ابن أبي خالد ، عن عامر ، عن مسروق ^(۲) - أنه قال لعائشة رضي الله عنها - يا أمَّ المؤمنين ؛ هل رأى محمدٌ ربَّه ؟ فقالت : لقد قَفَّ شعري ^(۳) مما قُلْتُ . ثلاثٌ منُ حديثك بهنَّ فقد كذب : من حدثك أنَّ محمداً رأى ربَّه فقد كذب ، ثم قرأت ^(۴) : ﴿ لا تَدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللطيفُ الخبيرُ ﴾ ^(۵) ؛ وذكر الحديث .

وقال جماعة بتول عائشة رضي الله عنها ، وهو المشهور عن ابن مسعود .
ومثله عن أبي هريرة أنه [قال] ^(۶) : إنما رأى جبريل . واختلف عنه ^(۷) .

(۱) رؤيته بعينه يقظة في إسرائه بجسده . (۲) صحيح مسلم : ۱۶۰ .
(۳) قف شعري : قام وانتصب ؛ وافشعر ، وإنما يكون هذا غالباً عند الفزع والخوف القوي . والمراد إنكار ما قاله واستفظاعه . مما قلت : أي خفت من كلامه أن يهلك الله من قاله واستمعه ؛ لأنه أمر منكر لا يرضاه الله ، ولم يثبت عندها . (۴) ثم قرأت : أي مستدلة لما قالته .
(۵) سورة الأنعام ، آية ۱۰۳ (۶) ليس في ب . وهذه الرواية في صحيح مسلم : ۱۵۸ .
(۷) قال مسروق : وكنت متكئاً جالساً وقت : يا أم المؤمنين ، أنظريني ولا تعجلي ، ألم يقل الله تعالى : ولقد رآه بالأفق المبين . ولقد رآه نزلةً أخرى . فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام . فقال : إنما هو جبريل ؛ لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين - كما رواه مسلم : ۱۵۹ .

وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين، وبالفقهاء والمتكلمين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رآه بعينه^(۱).

وروى عطاء عنه .. أنه رآه بقلبه .

وعن أبي العالفة ، عنه^(۲) : رآه بفؤاده مرتين .

وذكر ابن إسحاق أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله :

هل رأى محمد ربه ؟ فقال : نعم .

والأشهر عنه أنه رأى ربه بعينه ، روى ذلك عنه^(۳) من طريق ، وقال : إن

الله تعالى اختص موسى بالكلام^(۴) ، وإبراهيم بالخلقة^(۵) ، ومحمدا بالرؤية .

وحجته^(۶) قوله تعالى^(۷) : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى . أَفَتُمَارُونَهُ^(۸) عَلَى مَا يَرَى .

وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى^(۹) .

قال لناوردى : قيل : إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله

عليه وسلم ؛ فرآه محمد مرتين ، وكلمه موسى مرتين .

وحكى أبو الفتح الرازى ، وأبو الليث السمرقندى الحكاية^(۱۰) عن كعب .

(۱) في صحيح مسلم (۱۵۸) : عن ابن عباس ، قال : رآه بقلبه .

(۲) عنه : عن أبي هريرة ، والذي في صحيح مسلم (۱۵۸) : أن هذا عن ابن عباس :

قال : ما كذب الفؤاد ما رأى . ولقد رآه نزلة أخرى ؛ قال : رآه بفؤاده مرتين .

(۳) عنه : عن ابن عباس . (۴) لقوله تعالى : وكلم الله موسى تكليماً .

(۵) لقوله تعالى : واتخذ الله إبراهيم خليلاً .

(۶) وحجته : أى دليله على الرؤية .

(۷) سورة النجم ، آية ۱۱ ، ۱۲ ، ۱۳ .

(۸) أفتمارونه : أتجادلون في رؤيته لما رآه .

(۹) نزلة أخرى : مرة أخرى .

(۱۰) الحكاية : أى التي ذكرها لناوردى .

وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ ، قَالَ : اجْتَمَعَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَكَعْبٌ ؛ فَقَالَ
ابْنُ عَبَّاسٍ : أَمَا نَحْنُ بَنُو هَاشِمٍ فَنَقُولُ : إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ رَأَى رَبَّهُ مَرَّتَيْنِ ؛ فَكَبَّرَ كَعْبٌ ^(۱)
حَتَّى جَاوَبَتْهُ الْجِبَالُ ^(۲) ، وَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ رُؤْيَاهُ وَكَلَامَهُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمُوسَى ؛ فَكَلَّمَهُ
مُوسَى ، وَرَأَاهُ مُحَمَّدٌ بِقَلْبِهِ .

وَرَوَى شَرِيكَ [۶۵] عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ ^(۳) ؛ قَالَ : رَأَى
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ .

وَحَكَى السَّمَرَقَنْدِيُّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرَظِيِّ ، وَرَبِيعِ بْنِ أَنَسٍ - أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَثَلَ : هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُهُ بِفُؤَادِي ، وَلَمْ أَرَهُ بِعَيْنِي .
وَرَوَى مَالِكُ بْنُ يُحَايِرٍ ، عَنْ مُعَاذٍ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ قَالَ ^(۴) :
رَأَيْتُ رَبِّي . . . وَذَكَرَ كَلِمَةً ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ؛ فِيمَ ^(۵) يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى . . .
الْحَدِيثُ .

وَحَكَى عَبْدُ الرَّزَّاقُ أَنَّ الْحَسَنَ ^(۶) كَانَ يَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ .

(۱) فكبر كعب : لسروره بمقالته الموافقة لما عنده .

(۲) حتى جاوبته الجبال : أي رفع صوته بالتكبير حتى سمع صدها من الجبال .

(۳) الآية : ما كذب الفؤاد ما رأى . . .

(۴) في حديث رواه أحمد بن حنبل وغيره ، وهو حديث صحيح أوله : قال معاذ رضى

الله عنه : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغداة ثم أقبل علينا فقال : إني سأحدثكم أنى
قمت من الليل فصليت ما قدر لي ونعست . . .

الحديث بتامه في المسند : ۲۴۳-۵ ، ونسيم الرياض : ۲-۳۱۲ ، وشرح القارى : ۱-۴۲۱

(۵) أي فيم يسأل الملائكة بعضهم بعضا عن المراتب المقربة إلى الله ، المكفرة للخطايا .

(۶) هو الحسن البصرى . (كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ۲۰۰)

وحكاه أبو عمر الطلمنكي^(١) عن عكرمة .

وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب^(٢) عن ابن مسعود .

وحكى ابن إسحاق أن مروان سأل أبا هريرة . هل رأى محمد ربه ؟ فقال : نعم

وحكى النقاش ، عن أحمد بن حنبل - أنه قال : أنا أقولُ بحديث ابن عباس

بعينه رآه - حتى انقطع نفسه - يعنى نفس أحمد .

وقال أبو عمر : قال أحمد بن حنبل : رآه بقلبه ، وجبَّينَ عن القول برؤيته

في الدنيا^(٣) بالإبصار .

وقال سعيد بن جبَّير : لا أقول رآه ، ولا لم يره^(٤) .

وقد اختلف في تأويل الآية^(٥) عن ابن عباس ، وعكرمة ، والحسن ،

وابن مسعود ؛ فحكى عن ابن عباس وعكرمة : رآه بقلبه^(٦) . وعن الحسن

وابن مسعود : رأى جبريل .

وحكى عبد الله بن أحمد بن حنبل ، عن أبيه ، أنه قال : رآه^(٧) .

وعن ابن عطاء ، في قوله تعالى^(٨) : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ - قال : شرح

صدره للرؤية ، وشرح صدر موسى للكلام .

(١) في هامش ب : قوله : الطلمنكي - بفتح الطاء المهملة ، واللام والميم ، وسكون النون

وكسر الكاف : الحافظ للقريء أبو عمر .

روى عنه ابن عبد البر ، وابن حزم ، وغيرها . وكان رأسا في علم القراءات ذا عناية تامة

بالحديث ، إماما في السنة ، توفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة (شرح القارى : ١ - ٤٢٢) .

(٢) وهو رؤية الله بعينه . (٣) أى لم يجترئ تأديبا .

(٤) أى توقف في ذلك ، ولم يمل لأحد القولين .

(٥) يعنى قوله تعالى : ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدره المنتهى . (٦) صحيح مسلم : ١٥٨

(٧) أى بعينه ؛ لأنه المتبادر . وقد روى عنه التصريح به ، ولا ينافي ذلك ما مر من أنه

جبَّينَ عن القول بذلك ؛ لأنه قد يخفيه في بعض المجالس . (٨) سورة الشرح ، آية ٦

وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رضي الله عنه وجماعة من أصحابه أنه رأى الله تعالى ببصره وعيني رأسه ، وقال : كل آية أوتيتها نبي من الأنبياء عليهم السلام فقد أوتي مثلها نبينا ، وخص من بينهم بتفضيل الرؤية (۱) .

ووقف (۲) بعض مشايخنا في هذا ، وقال : ليس عليه دليل واضح ؛ ولكنه جائز أن يكون .

قال القاضي أبو الفضل (۳) : والحق الذي لا امتراء (۴) فيه - أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا ، وليس في العقل ما يحيلها (۵) .

والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها (۶) . ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه ؛ بل لم يسأل إلا جائزا غير مستحيل ، ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا من علمه الله ، فقال له الله تعالى (۷) : **لَنْ تَرَانِي** ؛ أي لن تطيق ، ولا تحمل رؤيتي (۸) ؛ ثم ضرب له مثلا مما هو أقوى من بنية موسى وأثبت ، وهو الجبل (۹) .

(۱) بتفضيل الرؤية : أي بتفضيله برؤية ربه عيانا في الدنيا ، فلم يره غيره فيها .

(۲) ووقف بعض مشايخنا : أي توقف فيه فلم يعتقد ثبوته ولا نفيه .

(۳) هو المؤلف . (۴) لا امتراء فيه : لاشك فيه ولا شبهة .

(۵) ما يحيلها : ما يقتضي أنها مستحيلة .

(۶) سؤال موسى : بقوله : رب أرني أنظر إليك . وموسى من أولى العزم لا يسأل من

الله تعالى ما لا يجوز ، فلم يعتقد صحة ذلك ما سأله ، وإلا كان جهلا منه بأحوال الربوبية ،

وهو مبرأ منه . (۷) سورة الأعراف ، آية ۱۴۳

(۸) لن تراني : أي الرؤيا جائزة ، ولكنك لاتصل إليها في الدنيا .

(۹) في قوله تعالى : ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني - فلما لم يثبت

الأقوى علم عدم ثباته بالطريق الأولى ؛ ولما كان استقرار الجبل ممكنا كان ما علق به ممكنا

أيضا ؛ فلم منه جواز الرؤية .

وكلُّ هذا ليس فيه ما يُحِيلُ ^(١) رؤيته في الدنيا ؛ بل فيه جوازها على الجملة ؛
وليس في الشرع دليلٌ قاطع على استحالتها ولا امتناعها ؛ إذ كل موجود فرؤيته
جائزةٌ غيرٌ مستحيلة .

ولا حجة لمن استدَلَّ على منْعها بقوله تعالى ^(٢) : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ ،
لاختلاف التأويلات في الآية ، وإذ ليس يقتضِي قولُ مَنْ قال في الدنيا ^(٣) الاستحالة .
وقد استدَلَّ بعضهم بهذه الآية ^(٤) نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها
على الجملة .

وقد قيل : لا تدركه أبصار الكفار . وقيل : لا تدركه الأبصار ؛ لا تحيط به ،
وهو قولُ ابن عباس . وقد قيل : لا تدركه الأبصار ، وإنما يدركه المبصرون .
وكلُّ هذه التأويلات لا تقتضي منْع الرؤية ولا استحالتها .

وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى ^(٥) : ﴿ أَنْ تَرَانِي ﴾ . وقوله ^(٥) : ﴿ تَبَتْ
إِلَيْكَ ﴾ ^(٦) - إِمَّا قَدَمْنَاهُ [٦٦] ؛ ولأنها ليست على العموم ^(٧) ؛ ولأن من قال :
معناها : لن تَرَانِي في الدنيا - إنما هو تأويل .

وأيضاً فليس فيه نصُّ الامتناع ؛ وإنما جاءت في حق موسى ؛ وحيث تنطرقُ
التأويلات وتتساقط الاحتمالات ، فليس للقطعِ إليه سبيل .

(١) ما يحيل رؤيته : أي يقتضي استحاله فيها .

(٢) سورة الأنعام ، آية ١٠٣

(٣) قول من قال في الدنيا : أي قول من قال بمنعها في الدنيا ، بل تخصيص الدنيا يقتضون

وقوعه في الآخرة ، فيدل على الجواز في الدنيا .

(٤) آية : لا تدركه الأبصار - الأنعام ، آية ١٠٣

(٥) سورة الأعراف ، آية ١٤٣

(٦) تبّت إليك من سؤال الرؤية ، لأنه محال وطلب ما لا يليق ، فهو ذنب .

(٧) ليست على العموم : بل مخصوصة بموسى عليه السلام . والضمير للآية .

وقوله : ﴿ تَبَّتْ إِلَيْكَ ﴾ ؛ أَي مِنْ سُوءِ إِلَى مَا لَمْ تُقَدِّرْهُ لِي ^(۱) .
 وقد قال أبو بكر الهمذلي - في قوله : ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾ ؛ أَي لَيْسَ ابْتِشَارٌ أَنْ يُطِيقَ
 أَنْ يَنْظُرَ إِلَىَّ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنَّهُ مَنْ نَظَرَ إِلَىَّ مَاتَ .
 وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه : إن رؤيته تعالى في الدنيا مُتَمَنِّعَةٌ ،
 لضعف تركيب أهل الدنيا ، وقواهم ، وكونها ^(۲) متغيرة غرضاً ^(۳) للآفات والفناء ،
 فلم تكن لهم قوة على الرؤية ؛ فإذا كان في الآخرة ورُكِبُوا تركيباً آخر ، ورزقوا
 قوًى ثابتة ^(۴) باقية ، وأنهم أنواراً أبصارهم ^(۵) وقلوبهم قووا بها على الرؤية .
 وقد رأيت نحو هذا لمالك بن أنس رحمه الله ؛ قال : لم يُرَ في الدنيا ؛ لأنه باقٍ ،
 ولا يُرَى الباقي بالفاني ؛ فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصاراً باقيةً رُئِيَ الباقي بالباقي .
 وهذا كلام حسن مَلِيح ، وليس فيه دليل على الاستحالة إلا من حيث ضعف
 القدرة ^(۶) ؛ فإذا قوَّى الله تعالى مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ ، وَأَقَدَّرَهُ عَلَى حَمْلِ أَعْبَاءِ ^(۷) الرُّؤْيَةِ
 لَمْ تَمْتَنِعْ فِي حَقِّهِ .

وقد تقدم ما ذكر في قوة بصرِ موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، ونفوذ
 إدراكهما بقوة إلهية مُنْجِئاًها ^(۸) لإدراك ما أدركاه ، ورؤية ما رآياه . والله أعلم .

(۱) ما لم تقدره لي : في الدنيا في ذلك الوقت لحكمة خفية ، لما غشيه من أنوار عظيمة
 حتى صمق .

(۲) وكونها متغيرة : ولكون التراكيب والقوى متغيرة بالازدياد والضعف .

(۳) غرضاً : هدفاً . وفي ا : عرضاً - بالعين المهملة . وفي هامش ا : وكونها متمرضة .
 وعابها علامة الصحة .

(۴) في ا : ثابته . وفي ب : ثابته ، وثابته ، وعابها « معا » .

(۵) أي جماعها تامة كاملة مستمدة للبقاء السرمدى .

(۶) ضعف القدرة : أي البشرية في الدنيا .

(۷) الأعباء : جمع عبء ، وهو الحمل الثقيل .
 (۸) منجأها : أعطاها .

وقد ذكر القاضي أبو بكر (١) - في أثناء أجوبته عن الآيتين (٢) - ما معناه :
إن موسى عليه السلام رأى الله ؛ فلذلك خرَّ صعقاً (٣) ، وإن الجبل رأى ربه فصار (٤)
دكاً بإدراك خاقه الله له . واستنبط (٥) ذلك ، والله أعلم ، من قوله (٦) : ﴿ وَاسْكِنِ
النُّجُومَ إِلَى الْجِبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ .

ثم قال (٦) : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجِبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾ .
وتجلى للجبل هو ظهوره له حتى رآه - على هذا القول (٧) .
وقال جعفر بن محمد : شغله بالجبل حتى تجلى (٨) ، ولولا ذلك لامت صعقاً
بلا إفاقة (٩) .

وقوله هذا يدل على أن موسى رآه (١٠) .
وقد وقع لبعض المنسرين - في الجبل - أنه رآه ، وبرؤية الجبل له (١١) استدلالاً
من قال بروية محمد نبينا له (١١) ؛ إذ جعله دليلاً على الجواز .

(١) يعني الباقلائي ، لأن القاضي أبا بكر بن العربي معاصر للمصنف ؛ إذ مولده سنة ثمان
وستين وأربعمائة . ومماته سنة ثلاث وأربعين وخمسة . وهو ولد المصنف سنة ست وسبعين
وأربعمائة ، ومماته سنة أربع وأربعين وخمسة (هامش ب ، وشرح القاري : ١ - ٤٢٧) .
(٢) الآيتان هما : « لا تدركه الأبصار » . و « لن تراني » .

(٣) صعقاً : منشياً عليه .

(٤) فصار دكاً : انهد حتى صار تراباً من هيبة الله .

(٥) واستنبط : استخرج .

(٦) سورة الأعراف ، آية ١٤٣ .

(٧) على هذا القول : أي قول أبي بكر الباقلائي السابق بأن موسى والجبل رأياه معاً .

(٨) تجلى : ظهر ظهوراً تاماً لموسى عليه السلام .

(٩) بلا إفاقة : من صعقته وغشيه .

(١٠) رآه : كالجبل ، لأنه معنى التجلي ؛ لأنه لا يقال تجلى له إلا إذا شاهده .

(١١) له : لله عز وجل . وإنما دكه ليعلم موسى عدم طاقته لمشاهدة نور الأنوار .

ولا مَرِيَّةَ فِي الْجَوَازِ^(١)؛ إذ ليس في الآيات نصٌّ بِالْمَنْعِ .
وأما وجوبه^(٢) لنبيينا صلى الله عليه وسلم ، والتَّوَلُّ بِأَنَّهُ رَأَاهُ بِعَيْنِهِ - فليس فيه
قَاطِعٌ^(٣) أَيْضًا وَلَا نَصٌّ ؛ إِذِ الْمَعْوَلُ فِيهِ عَلَى آيَةِ «النَّجْمِ»^(٤) ، وَالتَّنَازُعُ فِيهِمَا مَأْثُورٌ^(٥) ،
وَإِلْتِمَاحُ لَهَا مُمْتَكِنٌ ، وَلَا أَثَرَ قَاطِعٍ مُتَوَاتِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ .
وَحَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٦) خَبَرٌ عَنِ اعْتِقَادِهِ لَمْ يُسْنِدْهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛
فِيَجِبُ الْعَمَلُ بِاعْتِقَادِ مُضْمَنِهِ^(٧) .

ومثله حديثُ أَبِي ذَرٍّ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ^(٨) .

وَحَدِيثُ مَعَاذٍ^(٩) مُحْتَمَلٌ لِلتَّوَاتُرِ ، وَهُوَ مُضْطَرِبُ الْإِسْنَادِ وَالْمَتْنِ .

وَحَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ الْآخَرَ مُخْتَلَفٌ مُحْتَمَلٌ مُشْكَلٌ . فَرُوي : نَورَ أَنِّي^(١٠) أَرَاهُ .

(١) لامرية : لاشك . في الجواز : أي جواز الرؤية .

(٢) وأما وجوبه : أي وجوب وقوع رؤيته لربه في الإسراء بعين رأسه .

قال في نسيم الرياض (٢ - ٣٢٢) : الظاهر أن يقال : إن الوجوب هنا بمعنى الاصطلاح ؛
لأنه لو ورد مصرحاً به في نص قطعي من القرآن أو الحديث المتواتر أو المشهور وجب علينا اعتقاده ،
ولا يسع أحداً من أهل الملة أن يخالف فيه . أو هو الوجوب بمعنى اللغوي ، وهو الوقوع .

(٣) فليس فيه قاطع : أي دليل قطعي .

(٤) آية النجم : هما : ما كذاب الفؤاد ما رأى . ولقد رآه نزلة أخرى .

(٥) والتنازع فيهما مأثور : أي النزاع في المراد منها منقول عن سلف المفسرين والمتكلمين .

(٦) الذي ذكر فيه أنه رآه بعينه . وقد تقدم .

(٧) مضمونه : أي ما تضمنه ودل عليه لفظه من رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه بعينه .

(٨) الآية هي آية سورة النجم . وحديث أبي ذر الغفاري رواه مسلم (١٦١) : قال :

سألته صلى الله عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ قال : رأيت نوراً . . .

(٩) حديث معاذ : إني رأيت ربي في أحسن صورة .

(١٠) أني أراه : كيف أراه ؛ أي رأيت نوراً غشيني فكيف أرى ذات الله ، وقد حال

بينى وبينه سبحات النور المانعة من الرؤية في جاري المادة . وحديثه هذا في صحيح مسلم : ١٦١ .

هذا ما قاله الحفاجي . وقال القاري (١ - ٤٢٨) : أي قوله : رأى النبي صلى الله عليه وسلم لربه .

وحكى بعضُ شيوخنا أنه رُوِيَ : نَوَّرَ أَنِّي أَرَاهُ (١) .

وفي حديثه الآخر: سألتُه ، فقال: رأيتُ نوراً، وليس يمكن الاحتجاجُ بواحدٍ (٢) منها على صحةِ الرؤية ؛ فإن كان الصحيحُ رأيتُ نوراً فهو قد أخبر أنه لم يرَ الله ؛ وإنما رأى نوراً منعه وحجبه عن رؤية الله .

وإلى هذا يرجعُ قوله: نوراً أَنِّي أَرَاهُ؛ أى كيف أراه مع حجابِ النورِ المُغشَى (٣) للبصر ؛ وهذا مثلُ [١٦٧] ما فى الحديث الآخر : حجابُه النور (٤) .

وفي الحديث الآخر : لم أره بعيني ، ولكن رأيتُه بقلبي مرتين ، وتلا (٥) : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ . والله قادرٌ على خلقِ الإدراكِ الذى فى البصرِ فى القلب ، أو كيف شاء ، لا إلهَ غيره .

فإن ورد حديثٌ نصٌّ بينٌ فى البابِ ائتمقِدِ ووجب المصيرُ إليه (٦) ؛ إذ لا استحالةَ فيه ، ولا مانعٍ قطعى يردُّه ، والله ائوفق (٧) .

(١) فى نسيم الرياض : قال المصنف فى شرح مسلم : هذه الرواية لم تثبت . وفى (ب) ضبطت النون بالضم . (٢) فى ب : منها . (٣) المغشى للبصر : السائر والمانع له من الرؤية . (٤) فى نسيم الرياض (٢ - ٣٢٥) : هذا الحديث رواه مسلم ، والطيالسى ، والبخارى ، عن أبى موسى الأشعري ؛ وهو : إن الله لا ينام ، ولا ينبغى له أن ينام ، ولكنه يخفض القسط ويرفعه ، ويرفع عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النور ، لو كشفه أحقرت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه . وهو فى صحيح مسلم : ١٦٢ (٥) سورة النجم ، آية ٩

(٦) ووجب المصير إليه ؛ أى ووجب علينا أن نذهب لاعتقاده ولا نعدل عنه . (٧) قال القارى فى شرحه (١ - ٤٣٠) : أقول ، والله سبحانه وتعالى أعلم : إنه يمكن الجمع بين الأدلة فى هذه المسألة المشككة بأن ما ورد مما يدل على إثبات الرؤية إنما هو باعتبار تجلى الصفات ، وما جاء مما يشير إلى نفي الرؤية فهو محمول على تجلى الذات ؛ إذ التجلى للشيء إنما يكون بالكشف عن حقيقته ، وهو محال فى حق ذاته تعالى باعتبار إحاطته وحيافته ، كما يدل عليه قوله تعالى : لا تدركه الأبصار . وقوله سبحانه وتعالى : لا يحيطون به علماً .

فصل ۶

وأما ما ورد في هذه القصة^(۱) مِنْ مُنَاجَاتِهِ^(۲) لَهِ تَعَالَى وَكَلَامِهِ مَعَهُ بِقَوْلِهِ^(۳) :
﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ - إِلَىٰ مَا تَضَمَّنَتْهُ الْأَحَادِيثُ - فَأَكْثَرَ الْمَفْسِرِينَ عَلَىٰ
أَنَّ الْمَوْحَىٰ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ جِبْرِيلَ ، وَجِبْرِيلُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إِلَّا شُدُوذًا^(۴) مِنْهُمْ ؛ فَذُكِرَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ ، قَالَ : أَوْحَىٰ إِلَيْهِ
بِلَا وَسْطَةٍ^(۵) ، وَنَحْوَهُ عَنِ الْوَاسِطِيِّ ؛ وَإِلَىٰ هَذَا ذَهَبَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ - أَنَّ مُحَمَّدًا كَلَّمَ
رَبَّهُ فِي الْإِسْرَاءِ .

وَحُكِيَ عَنِ الْأَشْعَرِيِّ ، وَحِكْوُهُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ ؛ وَأُنْكَرَهُ
آخَرُونَ^(۶) .

وَذَكَرَ النَّقَّاشُ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - فِي قِصَةِ الْإِسْرَاءِ ، عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي قَوْلِهِ^(۷) : ﴿ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ - قَالَ : فَارَقَنِي جِبْرِيلُ^(۸) ، وَانْقَطَعَتِ الْأَصْوَاتُ عَنِّي ،
فَسَمِعْتُ كَلَامَ رَبِّي وَهُوَ يَقُولُ : ائْبَهُدْ أَرْوَعَكَ^(۹) يَا مُحَمَّدُ ، ائْدُنْ ، ائْدُنْ^(۱۰) .

(۱) فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ ؛ أَي قِصَةِ الْإِسْرَاءِ .

(۲) مِنْ مُنَاجَاتِهِ لَهِ ؛ أَي مَخَاطَبَتِهِ لَهُ وَمَحَادَثَتِهِ . (۳) سُورَةُ النَّجْمِ ، آيَةُ ۱۰ .

(۴) إِلَّا شُدُوذًا : إِلَّا جَمَاعَةً مِنَ الْمَفْسِرِينَ قَلِيلَةٌ شَاذَةٌ خَالَفُوهُمُ فِيهِ فَشُدُوا .

(۵) أَوْحَىٰ إِلَيْهِ بِلَا وَسْطَةٍ : أَي كَلَّمَ اللَّهُ مُحَمَّدًا بِلَا وَسْطَةِ مَلَكٍ أَوْ غَيْرِهِ ، فَالْمُرَادُ بِالْوَحْيِ

هَذَا الْكَلَامُ . (۶) وَأُنْكَرَهُ : أَي أَنْكَرَ تَكْلِيمَ اللَّهِ لَهُ بِلَا وَسْطَةٍ قَوْمٌ آخَرُونَ .

(۷) سُورَةُ النَّجْمِ ، آيَةُ ۸ .

(۸) فَارَقَنِي جِبْرِيلُ : أَي تَخَلَّفَ عَنِّي فِي مَقَامٍ مَعِينٍ ؛ لِأَنَّ لَهُ مَقَامًا لَا يَتَعَدَاهُ .

(۹) الرُّوعُ : الْخَوْفُ ؛ أَي لِيَذْهَبَ خَوْفُكَ . أَوْ هِيَ بِضْمِ الرَّاءِ . وَالرُّوعُ : الْقَلْبُ . وَالْمُرَادُ

لِيَقْرَ قَلْبُكَ وَلَا يَضْطَرِبَ مِنَ الْخَوْفِ .

(۱۰) ائْدُنْ : أَي تَقْدِمْ ، وَادْخُلْ إِلَىٰ حِطَّائِرِ الْقُدْسِ ؛ وَإِنَّمَا قَالَ لَهُ ذَلِكَ تَشْرِيفًا لَهُ ، وَإِعْلَاءَ

لِمَنْزِلَتِهِ ، وَتَأْنِيْسًا لِاسْتِيْحَاشِهِ لِمَا انْقَطَعَتْ عَنْهُ الْأَصْوَاتُ ، وَلِقَدِّمَ أَمْرَهُ بِاطْمِئْنَانٍ قَلْبِهِ أَوَّلًا ،
وَكَرَّرَ أَمْرَهُ تَأْكِيدًا .

وفي حديث أنس في الإسراء نحو منه .

وقد احتجوا في هذا ^(١) بقوله تعالى ^(٢) : ﴿ وَمَا كَانَ ابْتِشَارًا أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بِلَاذَنِهِ مَا يَشَاءُ ۗ ﴾ ؛ فقالوا ^(٣) : هي ثلاثة أقسام : من وراء حجاب ^(٤) كتكليم موسى ؛ و بإرسال الملائكة ^(٥) كحال جميع الأنبياء وأكثر أحوال نبينا صلى الله عليه وسلم . الثالث : قوله : وَحْيًا ^(٦) ، ولم يبق من تقسيم الكلام إلا المشافهة مع المشاهدة ^(٧) .

وقد قيل : الوحي هنا ^(٨) : هو ما يُلقِيهِ فِي قَلْبِ النَّبِيِّ دُونَ وَاسِطَةٍ .

وقد ذكر أبو بكر البزار، عن علي في حديث الإسراء ما هو أوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الآية : فذكر فيه : فقال الملك : الله أكبر . الله أكبر - فقيل لي من وراء الحجاب : صدق عبدي ، أنا أكبر ، أنا أكبر . وقال في سائر كلمات الأذان مثل ذلك ^(٩) .

ويجوز الكلام في مُشْكَلِ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ فِي الْفَصْلِ بَعْدَ هَذَا مَعَ مَا يُشْبِهُهُ .
وفي أول فصلٍ من الباب منه .

(١) احتجوا في هذا : أي استدلوا على أنه تعالى كالمه بلا واسطة .

(٢) سورة الشورى ، آية ٥١

(٣) هي : أي أقسام الكلام المثبتة في هذه الآية .

(٤) أي يسمع كلامه من غير واسطة ، وهو لا يراه .

(٥) و بإرسال الملائكة إلى رسل البشر ليبلغوهم كلامه تعالى و وحيه النبي أوحاه إليهم .

قال القاري (١ - ٤٣١) : الأظهر « الملك » - بصيغة الإفراد ؛ لأن المشهور أن جبريل هو

صاحب الوحي . (٦) قوله : وحيًا ؛ أي إلقاء في قلبه بإلهام ونحوه .

(٧) مع المشاهدة : أي معاينة المخاطب لمن كلمه من غير واسطة ولا حجاب مانع من

الرؤية ؛ فيخص الله بها من شاء من خاص عباده المقربين كنبينا صلى الله عليه وسلم .

(٨) أي في الآية السابقة . (٩) قد تقدم : إلا قوله : حتى على الصلاة . حتى على الفلاح .

وكلامُ الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ومن اختصه من أنبيائه ، جائزٌ غيرُ ممتنع عقلاً ، ولا ورد في الشرع قاطعٌ^(۱) يمنعه ، فإن صحَّ في ذلك خبر احتِمِلَ^(۲) عليه ، وكلامه تعالى لموسى كائنٌ حقٌّ مقطوعٌ به ، نصٌّ ذلك في الكتاب^(۳) ، وأكَّده بالمصدر^(۴) دلالةً على الحقيقة ، ورفع مكانه^(۵) على ما رُود في الحديث : في السماء السابعة^(۶) بسبب كلامه^(۷) . ورفع محمداً فوق هذا كله حتى بلغ مستوى ، وسمع صريف الأقاليم^(۸) ؛ فكيف يستحيل في حق هذا أو يبعدُ سماعُ^(۹) الكلام ؛ فسبحان من خصَّ من شاء بما شاء ، وجعل بعضهم فوق بعض درجات !

فصل^۷

وأما ما ورد في حديث الإسراء وظاهر الآية : من الدُّنُوِّ والقُرْب من قوله^(۱۰) : ﴿ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾^(۱۱) . فكان قاب قوسين أو أدنى^(۱۲) . وأكثرُ المفسرين أن الدُّنُوِّ

- (۱) قاطع : دليل قطعي يمنعه . (۲) هذا في ا ، ب . وفي هامش ب : خ : اعتمد .
 (۳) في الكتاب : في القرآن الكريم في قوله تعالى : وكلم الله موسى تكليماً .
 (۴) وأكَّده بالمصدر : أى أكَّده الله تعالى . والمصدر : هو « تكليماً » ، والتأكيد بالمصدر في قوله تعالى : « وكلم الله موسى تكليماً » لدفع الشك .
 (۵) رفع مكانه : أى مكان موسى . (۶) على بعض الروايات ، وقد سبق أنه في السماء السادسة .
 (۷) بسبب كلامه : أى بسبب رفعة عليه السلام على غيره كونه شرفه بكلامه في الدنيا .
 (۸) صريف الأقاليم : صوتها عند الكتابة .
 (۹) سماع الكلام : من كلام الله تعالى بغير واسطة .
 (۱۰) سورة النجم ، آية ۸ ، ۹ .
 (۱۱) الدُّنُو : القرب . والتدلى : الامتداد من علو إلى أسفل ، كما يلقي الدلو في البئر . هذا أصله ، ثم استعمل في القرب من علو حساً ، أو معنى .
 (۱۲) فكان قاب قوسين : القاب : ما بين مقبض القوس وموضع ربط الوتر من طرفيه . ولشكل قوس قابان . وقيل معناه : قدر . وقيل : هى هنا الذراع ؛ لأنه يقاس به ؛ فالعنى قدر ذراعين . وكان قاب قوسين : أى الله تعالى .

والتدلى مُنتهِم ما بين محمد وجبريل عليه السلام ، أو مختصُّ بأحدهما من الآخر^(١) ،
أو من السِّدْرَةِ الْمُنتَهَى^(٢) .

قال الرازي : وقال ابن عباس : هو محمد دنا فتدلى من ربه .

وقيل : معنى [٦٨] دنا قُرب ، وتدلى زاد في القُرب . وقيل : هما بمعنى واحد ،
أي قُرب^(٣) .

وحكى مكِّي ، والماوردي - عن ابن عباس : هو الربُّ دنا محمد ، فتدلى^(٤)
إليه ؛ أي أمره وحُكمه .

وحكى النقاش عن الحسن ، قال : دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم ، فتدلى ؛
فقرب منه ، فأراه ما شاء أن يُريه من قُدْرته وعظامته .

قال : وقال ابن عباس : هو مقدم ومؤخر^(٥) : تدلى الرفرف^(٦) محمد صلى الله
وسلم ليلة المعراج ، فجلس عليه ، ثم رُفِع فدنا من ربه .

قال : فارقني جبريل ، وانتظمت عن الأصوات ، وسمعتُ كلامَ ربي عز وجل .
وعن أنس في الصحيح : عرج بي جبريلُ إلى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ، ودنا الجبارُ

(١) أي مختص بمحمد صلى الله عليه وسلم ، أو بجبريل ؛ وللمعنى دنا وتدلى محمد من جبريل ؛
أو دنا وتدلى جبريل من محمد . وفي هامش ب : دون الآخر .

(٢) أي يختص الدنو والتدلى من السدرة ، لامن الآخر .

(٣) ودنوه منه : كناية عن قرب منزلته ومشاهدته من قدسه مالم يتيسر لغيره .

(٤) فتدلى إليه : أي نزل الرب لمحمد صلى الله عليه وسلم . أو نزل إليه صلى الله عليه وسلم

كما قال القاري . قال (١ - ٤٣٤) : والآنسب في معناه : قرب الرب منه فتقرب إليه .

(٥) مقدم ومؤخر : أي أصله فتدلى فدنا .

(٦) الرفرف : البساط مطلقا . وقيل : البساط الأخضر . وقيل : ما كان من الديداج

والمراد به مركب له صلى الله عليه وسلم كالبراق (نسيم الرياض : ٢ - ٣٣٤)

رَبُّ الْعِزَّةِ ، فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ (۱) مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ بِمَا شَاءَ ،
 وَأَوْحَى إِلَيْهِ خَمْسِينَ صَلَاةً... وَذَكَرَ حَدِيثَ الْإِسْرَاءِ .
 وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ : هُوَ (۲) مُحَمَّدٌ دَنَا مِنْ رَبِّهِ ، فَكَانَ كَقَابِ قَوْسَيْنِ .
 قَالَ : وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ : أَدْنَاهُ رَبُّهُ مِنْهُ حَتَّى كَانَ مِنْهُ كَقَابِ قَوْسَيْنِ (۳) .
 وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ : وَالِدُنُو مِنْ اللَّهِ لَا حَدَّ لَهُ (۴) ، وَمِنَ الْعِبَادِ بِالْحُدُودِ (۵) .
 وَقَالَ أَيْضًا : انْقَطَعَتِ الْكَيْفِيَّةُ عَنِ الدُّنُو (۶) ، أَلَّا تَرَى كَيْفَ حَجَبَ جِبْرِيلُ
 عَنِ دُنُوهِ (۷) ، وَدَنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَا أُوْدِعَ (۸) قَلْبَهُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِيمَانِ ،
 فَتَدَلَّى بِسُكُونٍ قَلْبَهُ إِلَى مَا أَدْنَاهُ (۹) ، وَزَالَ عَنِ قَلْبِهِ الشُّكُّ وَالْارْتِيَابُ (۱۰) .
 قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ (۱۱) - : اعْلَمْ أَنَّ مَا وَقَعَ مِنْ إِضَافَةِ الدُّنُو وَالقُرْبِ هُنَا
 مِنْ (۱۲) اللَّهُ ، أَوْ إِلَى اللَّهِ - فَلَيْسَ بِدُنُوٍّ مَكَانًا ، وَلَا اقْرَبَ مَدًى (۱۳) ؛ بَلْ كَذَا كَرْنَاهُ -

(۱) حَتَّى كَانَ رَبُّ الْعِزَّةِ .

(۲) فِي ۱ ، ب . هُوَ ؛ أَيُّ الْمَوْصُوفِ بِأَنَّهُ دَنَا .

(۳) أَيُّ مَقْدَارِ قَابِ قَوْسَيْنِ فِي الْقُرْبِ مِنْهُ .

(۴) أَيُّ الدُّنُوِّ مِنْ جَانِبِ اللَّهِ لَيْسَ دُنُوًّا مَكَانِيًّا مَحْدُودًا بِحَيْزِ كَالْأَجْسَامِ ؛ بَلْ دُنُوٌّ مَعْنَوِيٌّ .

(۵) وَمِنَ الْعِبَادِ بِالْحُدُودِ الْمَكَانِيَّةِ الْحَاصِرَةِ لَهُمْ .

(۶) عَنِ الدُّنُوِّ : مِنْ جَانِبِ اللَّهِ ؛ أَيُّ دُنُوِّهِ مِنْ عِبَادِهِ ، لَيْسَ لَهُ كَيْفِيَّةٌ مَخْصُوصَةٌ ، وَحَالَةٌ

مَعْرُوفَةٌ ؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ مَعْنَوِيٌّ غَيْرٌ مَحْسُوسٌ .

(۷) عَنِ دُنُوِّهِ : إِلَى رَبِّهِ .

(۸) فِي ۱ : مَا أُوْدِعَ - بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ بِالْبِنَاءِ لِلْمَعْلُومِ وَفِي ۲ بِالْبِنَاءِ لِلْمَعْلُومِ ، وَبِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ

وَعَالِيهَا « مَعَا » .

(۹) إِلَى مَا أَدْنَاهُ إِلَى رَبِّهِ لَمَّا اطْمَأَنَّ قَلْبَهُ .

(۱۰) وَالْارْتِيَابُ فِي أَنَّهُ هَلْ يَصِلُ إِلَى حَضْرَةِ الْقُرْبِ وَيُنَالُ إِتَابَتَهُ بِالْإِكْرَامِ وَالْإِنْعَامِ وَيَتَرَقَّى

إِلَى أَعْلَى مَقَامٍ ، فَاتَّبِحَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْنِيَّتَهُ .

(۱۱) هُوَ الْمُؤَلَّفُ . (۱۲) هُنَا : فِي هَذِهِ الْآيَةِ . (۱۳) مَدًى : غَايَةٌ أَوْ نِهَآيَةٌ .

عن جعفر الصادق : ليس بدنو حدّ، وإنما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه
منه إبانة^(۱) عظيم منزلاته، وتشريف رتبته، وإشراق أنوار معرفته^(۲)، ومشاهدة
أسرار غيبه وقدرته، ومن الله تعالى له مبرة^(۳) وتأنيس^(۴)، وبسط^(۵)، وإكرام^(۶)؛
ويتأول فيه ما يتأول في قوله: ينزل ربنا إلى السماء الدنيا^(۶) - على أحد الوجوه: نزول
إفضال وإجمال^(۷)، وقبول وإحسان .

قال الواسطي : من توهم أنه بنفسه^(۸) دنا جعل ثم مسافة^(۹)، بل كما دنا^(۱۰)
بنفسه من الحق تدلى بعدا^(۱۱) - يعني عن درك حقيقته؛ إذ لا دنو للحق
ولا بعد^(۱۲) .

وقوله : « قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى » - فمن جعل الضمير عائدا إلى الله، لا إلى
جبريل على^(۱۳) هذا - كان عبارة عن نهاية القرب، وأطف المحل^(۱۴)، وإيضاح

(۱) إبانة : إظهار . (۲) أى إظهار آثار معرفة الله عليه . (۳) مبرة : قبول وإحسان .
(۴) وتأنيس : لطف به يذهب استيحاشه لما انقطعت عنه الأصوات وغاب أليفه وهو جبريل .
(۵) وبسط : توسعة ومسرة . والمراد تأنيسه بما يسره من مخاطبته صلى الله عليه وسلم .
(۶) أى كما أول النزول المسند إلى الله تعالى في حديث أبي هريرة رضى الله عنه المتفق على
صحته أنه صلى الله عليه وسلم ؛ قال : ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل
الأخير يقول : من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له بالإقبال
عليهم بإنعامه وإجابة دعائهم، ومغفرة ذنوبهم، وإفاضة مواهبه عليهم .
(۷) وإجمال : أى فعل جميل بهم على عادته .

(۸) بنفسه دنا : دنوا حقيقيا محسوسا بذاته، لا دنو لطف وإكرام : (۹) ثم : هناك .

(۱۰) دنا أحد من المخلوقات . من الحق : تعالى . وفى ب : كل ما - برفع كل .

(۱۱) تدلى بعدا : نزل من علو إلى أسفل، لبعده عما قصده .

(۱۲) لا دنو للحق ولا بعد : بالمعنى المكاني، لاستحالة ذلك عليه تعالى .

(۱۳) على هذا التأويل السابق .

(۱۴) وأطف المحل : أى هو عبارة عن دنو معنوى ومنزلة معنوية لا تحس بالأبصار .

المعرفة^(١) ، والإشراف على الحقيقة عن محمد صلى الله عليه وسلم ، وعبارة عن إجابة الرغبة ، وقضاء المطالب ، وإظهار التحفي^(٢) ، وإنافة^(٣) المنزل والمرتبة من الله له .
وَيَتَأَوَّل فِيهِ مَا يَتَأَوَّل فِي قَوْلِهِ^(٤) : مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا^(٥) ،
وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً^(٦) ؛ قُرْبٌ بِالْإِجَابَةِ وَالْقَبُولِ ، وَإِتْيَانٌ بِالْإِحْسَانِ
وَتَعْجِيلٌ الْمَأْمُولِ^(٧) .

فصل

في ذكر تفضيله في القيامة^(٨) بخصوص الكرامة

حدثنا [القاضي]^(٩) ، أبو علي ، حدثنا أبو الفضل ، وأبو الحسين ؛ قالوا :
حدثنا أبو يعلى السُّجِّي ، حدثنا ابن محبوب ، حدثنا الترمذي ، حدثنا الحسين
ابن يزيد الكوفي ، حدثنا عبد السلام ابن حرب ، عن ليث ، عن الربيع بن أنس ،
عن أنس رضي الله عنه ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٦٩] : أَنَا أَوَّلُ

(١) وإيضاح المعرفة الإلهية لمن خصه برفعة المنزلة من خاص عباده . وفي ١ : واتضح
المعرفة .

(٢) وإظهار التحفي : التحفي : البالغة في البر .

(٣) إنافة : إعلاء ورفع .

(٤) في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري على طريق التمثيل . (صحيح مسلم : ٢٠٦١) .

(٥) من تقرب مني : من أطاعني ومعنى في أمثال أوامري .

(٦) هرولة : هي المشي والجري بسرعة . والمراد أنني أعجل له جزائي وأوصل إليه إحساني
سريعاً .

(٧) هذا بعض من حديث قدسي صحيح رواه أبو هريرة رضي الله عنه . وهو بتمامه

في نسيم الرياض : ٢ - ٣٣٨

(٨) أي بما خصه الله يوم القيامة وفضله به على سائر الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة

والسلام . (٩) ليس في ١ .

الناس خروجاً إذا بعثوا^(١)، وأنا خطيبهم إذا وفدوا^(٢)، وأنا مبشرهم إذا أيسوا^(٣)؛
لواء الحمد بيدي^(٤)، وأنا أكرمُ ولدِ آدمَ على ربِّي ولا فخر^(٥).

وفي رواية ابنِ زحر، عن الربيع^(٦) بن أنس - في لفظ هذا الحديث : أنا أولُ
الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا قائدُهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا^(٧)،
وأنا شفيعهم إذا حبسوا^(٨)، وأنا مبشرهم إذا أبلسوا^(٩)؛ لواء الكرم بيدي،

(١) إذا بعثوا : إذا خرجوا من قبورهم إلى المحشر .

قال في نسيم الرياض : وهذا الحديث انفرد به الترمذى ، وقال : إنه حسن غريب . ص ٥٨٥ - ٥
الترمذى :

(٢) إذا وفدوا : إذا قدموا على الله ، وقاموا بين يديه للحساب . وأصل الوفد : الجماعة
تقدم إلى من لهم فيه رجاؤه وعنده قضاء أمورهم وعطاياهم . ولما كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم هو الشفيع المشفع في المحشر ، للأذن له في التكلم وفصل القضاء كان ثمة كالمخطيب في المجمع
على عاداتهم ؛ إذ لكل وفد خطيب غالباً .

(٣) مبشرهم : بالخلّاص من المحشر وطول موقفه . إذا أيسوا : إذا يسوا من النجاة من
شدة ذلك اليوم وهوله إذا أزفت الآزفة ، وبلنت القلوب الحناجر .

(٤) أي يوم القيامة ، ليعرفه صلى الله عليه وسلم ويتبعه كل من في الموقف ، واللواء معروف :
هو لواء حقيقي ؛ قال في نسيم الرياض (٢ - ٣٣٩) : سمي لواء الحمد ، لأنه حمد الله بحامد
لم يحمده بها غيره . فهو إشارة لتقدمه صلى الله عليه وسلم وعظمته وكثرة حمده . وفي الترمذى :
لواء الحمد يومئذ بيدي .

(٥) ولا فخر : أي أنا لا أذكره للفخر ؛ بل للتحدث بنعم الله ؛ أو لا أفخر بهذا ؛
إذ لي عند الله ما هو أعظم وأشرف من هذا . (٦) في ب : عن أنس .

(٧) الإنصات : السكوت ؛ أي أنا التكلّم بين يدي ربّي في أمرهم والشفاعة لهم وقد
سكتوا ولم يطبقوا نطقاً لحيرتهم .

(٨) إذا حبسوا في الموقف ، واضطربوا ، وفزعوا للأنبياء ؛ فقال كل منهم : نفسي ،
نفسى ، فيشفع لهم صلى الله عليه وسلم الشفاعة العظمى في فصل القضاء .

(٩) مبشرهم إذا أبلسوا : مبشرهم : أي بالخلّاص من هول الموقف ، والحبس فيه . أبلسوا :
انقطعت حجبتهم ، وتحيروا وسكتوا ليأسهم من النجاة . وفي أ : أبلسوا - بالبناء للمعلوم . وفي
النهاية . أبلسوا : تحيروا .

وَأَنَا أَكْرَمُ وُلْدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرُ ؛ وَيَطُوفُ عَلَى أَلْفِ خَادِمٍ ^(١) كُنْتُمْ لَوْلَا مَكْنُونٌ ^(٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ^(٣) : وَأَكْسَى حَلَّةً مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ أَقْوَمُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ ^(٤) يَقُومُ ذَلِكَ الْمَقَامَ غَيْرِي .

وعن أبي سعيد ^(٥) ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَبْدَى لَوَاءِ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ ، وَمَا نَبِيٌّ ^(٦) يَوْمَئِذٍ ، آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ ، إِلَّا تَحْتَ لَوَائِي ؛ وَأَنَا أَوْلُ مَنْ تَنْشَقُّ ^(٧) عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ .

وعن أبي هريرة ^(٨) ، عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَا سَيِّدُ ^(٩) وُلْدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوْلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ ، وَأَوْلُ شَافِعٍ ، وَأَوْلُ مُشَفَّعٍ ^(١٠) .

وعن ابن عباس ^(١١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَا حَامِلُ لَوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ .

(١) أي في الجنة . قال في نسيم الرياض : رواه الترمذي وصححه .

(٢) مكنون : محفوظ مستور لم تمسه الأيدي ، فهو كناية عن كونها بكر ذات بهاء ،

لم ير مثلها . (٣) في حديث رواه الترمذي وصححه - سنن الترمذي : ٥ - ٥٨٥

(٤) الخلائق : جمع خليفة ؛ أي جماعات من المخلوقين .

(٥) في حديث رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه . سنن الترمذي : ٥ - ٥٨٧

(٦) هذا في ا ، ب ، والترمذي . وفي هامش ا : وما من نبي . وضطبت كلمة « آدم »

بفتح الميم في ب .

(٧) تنشق عنه الأرض : أي يوم تبعث القبور وتنشق بقدره الله تعالى .

(٨) في صحيح مسلم : ١٧٨٢

(٩) أي أشرفهم وأقربهم عند الله في يوم لا يسود فيه غيري .

(١٠) أول شافع : يشفع للناس في الموقف . وأول مشفع : أول من يؤذن له في الشفاعة ،

وتقبل شفاعته .

(١١) في حديث رواه الترمذي ، والدارمي : سنن الترمذي : ٥ - ٥٨٨ ، وقال : قال

أبو عيسى : هذا حديث غريب .

وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ ، وَلَا فَخْرَ ؛ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَحْرُكُ حَلْقَ (١) الْجَنَّةِ ،
فَيُفْتَحُ لِي فَأَدْخِلُهَا (٢) وَمَعِيَ فَقَرَاهُ (٣) الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ ؛ وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ
وَالْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ .

وعن أنس : أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يُشَفَّعُ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَنَا أَكْثَرُ النَّاسِ تَبَعًا (٤) .
وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٥) ؛ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ وَتَذَرُونَ بِي ذَلِكَ ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ - وَذَكَرَ حَدِيثَ
الشَّفَاعَةِ (٦) .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَطْمَعُ (٧)
أَكُونَ أَعْظَمَ الْأَنْبِيَاءِ أَجْرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .
وفي حديثٍ آخَرَ : أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمَ وَعِيسَى فِيكُمْ (٨) يَوْمَ الْقِيَامَةِ !
ثُمَّ قَالَ : إِنَّهُمَا فِي أُمَّتِي (٩) يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ أَمَّا إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ : أَنْتَ دَعَوْتَنِي وَذُرِّيَّتِي (١٠) ،

(١) حلق : جمع حلقة .

(٢) هذا في ب . وفي ا : فَيَدْخُلُهَا ، وفي هامشه : فَأَدْخِلُهَا وَمَعِيَ ، وَعَلَيْهَا عِلَامَةُ الصَّحَّةِ .
وفي الترمذي : فَيَدْخُلْنِيهَا .

(٣) المراد بالفقراء : الفقراء الصابرون .

(٤) يعني أن أمته صلى الله عليه وسلم أكثر من سائر الأمم .

(٥) كما رواه الشيخان : صحيح مسلم : ١٨٤

(٦) قال في نسيم الرياض (٢ - ٣٤٢) : ولم يذكر حديث الشفاعة هنا ، لأنه سيأتي
في باب الشفاعة .

(٧) أطمع : أرجو من الله تعالى طمعا ورجاء حققه لي .

(٨) فيكم : محسوبان من جملتكم ومحشوران معكم .

(٩) في أمتي : أي يمدان فيها .

(١٠) أَمَا دَعَوْتَهُ فَقَوْلُهُ : رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ، وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نَسْلِ وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ ؛ فَهُوَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ .

فاجعلني من أمتك . وأما عيسى فالأنبياء إخوة^(١) بنو علات ، أمهاتهم شتى ؛
وإن عيسى أخى ليس بينى وبينه نبي^(٢) ، وأنا أولى الناس به^(٣) .

قوله^(٤) : أنا سيد الناس^(٥) يوم القيامة : هو سيدهم في الدنيا ، ويوم القيامة .
ولكن أشار^(٦) صلى الله عليه وسلم لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره ؛
إذ لجأ الناس إليه في ذلك^(٧) ، فلم يجدوا سواه .

والسيد : هو الذى يلجأ الناس إليه فى حوائجهم^(٨) ؛ فكان حينئذ سيدا
مُنفردا^(٩) من بين البشر ، لم يُزَاحمه أحدٌ فى ذلك ، ولا ادّعاه ؛ كما^(١٠) قال تعالى^(١١) :
﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ .

والمُلكُ له تعالى فى الدنيا والآخرة ، لكن فى الآخرة انقطعت دعوى المدعى
لذلك فى الدنيا^(١٢) .

(١) أى كالأخوة . والمراد بالعلات : الزوجات الضرائر . والمراد أن الأنبياء بعثوا
متفقين فى أصول التوحيد مختلفين فى فروع الشرائع .

(٢) لأنه لم يبعث فى الفترة التى كانت بينهما أحد من الأنبياء .

(٣) وهذا من حديث رواه البخارى ومسلم ، وهو : أنا أولى الناس بعيسى بن مريم فى
الأولى والآخرة ، الأنبياء بنو علات ، أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد ، وليس بيننا نبي . قال فى
نسيم الرياض : وهو حديث صحيح : صحيح مسلم : ١٨٣٧ .

(٤) فى الأحاديث السابقة . (٥) فى هامش ب : خ : ولد آدم .

(٦) أشار : أى بقوله هذا - كما تقدم . (٧) فى ذلك الوقت ، أو ذلك الأمر .

(٨) أى يعتمدون عليه إذا قصدوه لقضاء مصالحهم .

(٩) حينئذ : أى فى وقت التجأهم إليه . منفردا ؛ أى عن جميع الناس حتى الأنبياء بهذه السيادة .

(١٠) أى لئن قوله صلى الله عليه وسلم : أنا سيد ولد آدم اليوم ، كقوله تعالى : « لمن الملك

اليوم » ؛ ووجه الشبه أنه خص بالملك بذلك اليوم كما خص رسوله بسيادته به .

(١١) سورة غافر ، آية ١٦

(١٢) المراد أن ملوك الدنيا لما تصرفوا فيها تصرف الملاك ظنوا أن لهم ملكا حقيقة ، فلما قهرهم

بالموت وكشف الغطاء ظهر أنهم عبيد عاجزون ليس لهم من الأمر شيء ؛ فانكشفت الدعوى .

وكذلك لجأ إلى محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس في الشفاعة ؛ فكان سيدهم في الآخرة^(١) دون دعوى .

وعن أنس رضي الله عنه^(٢) ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : آتى باب الجنة يوم القيامة ، فاستفتح^(٣) ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد . فيقول : بك^(٤) أمرت ألا أفتح لأحد قبلك .

وعن عبد الله بن عمرو^(٥) ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حوضي مسيرة شهر^(٦) ، وزواياه سواء^(٧) [٧٠] ، وماؤه أبيض من الورد^(٨) ، وريحه^(٩) أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء^(١٠) ؛ من شرب منه لم يظمأ أبدا .

وعن أبي ذر نحوؤه ؛ وقال : طوله^(١١) ما بين عمان إلى أيلة ، يشخب فيه ميزابان من الجنة^(١٢) .

(١) الأخرى : الآخرة . (٢) في حديث رواه مسلم (صحيح مسلم : ١٨٨) .

(٣) استفتح : أطلب الفتح بتحريك الجلقة .

(٤) بك أمرت : أي بسبك أمرت بالفتح إذا قرع الباب .

(٥) حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ١٧٩٣ .

(٦) الحوض : مجمع الماء ، معروف . وهذا الحوض العظيم مخصوص به .

(٧) يعني أنه مربع . (٨) الورد : الفضة . وفي هامش ١ ، ب : من اللبن .

(٩) وريحه : ورائحته .

(١٠) كيزان : السكيزان : جمع كوز ؛ وهو إناء صغير يتناول به الماء للشرب . والمراد بقوله :

كيزانه كنجوم السماء - أي هي تشبه نجوم السماء في كثرتها ، وإشراقها ، وإضاءتها .

(١١) صحيح مسلم : ١٨٠١ ، طوله : طول الحوض كطول ما بين هاتين البلديتين . وقد

ضبطت عمان في ب بضم أوله وفتح الليم ، وضطبت في ا بفتح العين وتشديد الميم . وهما بلدتان

مختلفتان كما هو معروف . وأيلة : في آخر طرف الشام بساحل البحر متوسطة بين المدينة

ودمشق ، بينها وبين مصر عمان مراحل . وفي صحيح مسلم (١٨٠١) ضبطت عمان كما

ضبطت في ا . (١٢) يشخب : ينصب مع صوت . والميزاب : مسيل الماء .

وعن ثوبان مثله ؛ وقال : أحدهما^(۱) من ذهب ، والآخر من ورق .
وفي رواية حارثة بن وهب : كما بين المدينة^(۲) وصنعاء .
وقال أنس^(۳) : أيلة وصنعاء .

وقال ابن عمر : كما بين الكوفة والحجر الأسود .
وروى حديث الحوض أيضا أنس ، وجابر ، وسمرة ، وابن عمر ، وثقبة^(۴)
ابن عامر ، وحارثة بن وهب الخزاعي ، والستوردي ، وأبو برززة الأسلمي ، وحذيفة
ابن اليمان ، وأبو أمامة ، وزيد بن أرقم ، وابن مسعود ، وعبدالله بن زيد ، وسهيل
ابن سعد ، وسويد بن جبلة ، [وأبو بكر ، وعمرو بن الخطاب ، وابن بريدة]^(۵) ،
وأبو سعيد الخدري ، وعبدالله الصنابحي ، وأبو هريرة ، والبراء ، وجندب ،
وعائشة ، وأسماء بنت أبي بكر ، وأبو بكر ، وخولة بنت قيس ، وغيرهم .

فصل

في تفضيله بالحبّة والنخلة^(۶)

جاءت بذلك الآثار الصحيحة ، واختصّ على السنة المسلمين بحبيب الله^(۷) ؛
أخبرنا^(۸) أبو القاسم بن إبراهيم الخطيب وغيره ، عن كريمة بنت أحمد^(۹) ،

(۱) أحدهما : أحد الميزابين .

(۲) صحيح مسلم : ۱۸۰۱ (۳) صحيح مسلم : ۱۸۰۰

(۴) حديث عقبه في البخاري : ۷-۱۱۲ ، وحديث أنس في صحيح البخاري : ۵- ۴۱

(۵) ما بين القوسين أمامه في هامش ۱ : من غير الرواية . وقع في الأم في الطرة دون تعليم

على موضع تخرج منه ، وكان في الطرة تمرّض على اسم سويد بن جبلة .

(۶) أي بكونه حبيب الله وخليله . والنخلة : الصداقة .

(۷) أي جرى على الألسنة تخصيصه صلى الله عليه وسلم بذلك دون خليل الله ، لإطلاقه

على إبراهيم عليه السلام . (۸) هذا الحديث مسند عن البخاري - صحيح البخاري : ۵- ۴ ، ۵

(۹) عليها علامة الصحة في ۱ ، وفي هامشه : محمد .

حدثنا أبو الهيثم ، وحدثنا حسين بن محمد الحافظ سماعاً عليه ، حدثنا القاضي أبو الوليد ، حدثنا عبد بن أحمد ، حدثنا أبو الهيثم ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل^(۱) ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا أبو عامر ، حدثنا فليح ، حدثنا أبو النضر ، عن بسر بن سعيد ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال : لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر^(۲) .

وفي حديث آخر^(۳) : وإن صاحبكم^(۴) خليل الله .

ومن طريق عبد الله بن مسعود : وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً .
وعن ابن عباس^(۵) ، قال : جلس ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه^(۶) ؛ قال : نخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون ؛ فسمع حديثهم ، فقال بعضهم : عجبا ! إن الله اتخذ من خلقه خليلاً ، اتخذ إبراهيم خليلاً .
وقال آخر : ماذا بأعجب من كلام موسى ؛ كلمة الله تكليماً^(۷) .
وقال آخر : فعيسى كلمة^(۸) الله وروحه .

(۱) هو الإمام البخاري صاحب الصحيح .

(۲) في نسيم الرياض : هذا حديث صحيح رواه البخاري وغيره من طرق متعددة .
والعنى : لا أصل في محبة أحد من الخلق إلى مرتبة الخلقة ؛ فإنها مختصة بربي ، فلو فرض جعلها لأحد كان أبو بكر اليق بها من جميع الخلق لبذل نفسه وماله ووطنه وأهله في طاعته ؛ وهذا صريح في تفضيله على غيره وتقدمه عنده .

(۳) وسنن الترمذى : ۵ - ۶۰۶ (۴) يعنى نفسه صلى الله عليه وسلم .

(۵) في رواية الدارمى ، والترمذى - سنن الترمذى : ۵ - ۵۸۷

(۶) ينتظرونه : أى ينتظرون خروجه من بيته لمجلس أصحابه .

(۷) أى ليس اتخذ الله إبراهيم خليلاً أعجب من كلام موسى حين ناجاه ربه في الدنيا وكلمه تكليماً ، مع أنه تعالى لم يكلم أنبياءه إلا بواسطة ملك الوحي .

(۸) سمى عيسى كلمة الله ؛ لأن الله خلقه من دون أب بمجرد قوله : كن . والمراد : إذا ذكرتم خليل الرحمن ، وكليمه ، وتمعجبتم من ذلك ، فاذا كروا عيسى وكونه كلمة الله وروحه .

وقال آخرُ : وآدمُ اصطفاهُ اللهُ .

فخرج عليهم فسلم ، وقال : قد سمعتُ كلامكم وعجببكم ؛ أن الله تعالى اتخذ إبراهيمَ خليلًا ، وهو كذلك ^(۱) ؛ وموسى نبيًّا ^(۲) اللهُ ، وهو كذلك ^(۳) ؛ وعيسى روحٌ ^(۴) اللهُ ، وهو كذلك ؛ وآدمُ اصطفاهُ اللهُ ، وهو كذلك ؛ ألا وأنا حبيبٌ ^(۵) اللهُ ولا فخر ؛ وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مُشفِّعٍ ولا فخر ، وأنا أولُ مَنْ يحرِّكُ حلقَ الجنةِ فيفتحُ اللهُ لي فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر ؛ وأنا أكرمُ الأولين والآخرين ولا فخر .

وفي حديث أبي هريرة ^(۶) رضى اللهُ عنه من قولِ اللهِ تعالى لنبيه صلى اللهُ عليه وسلم : إني اتخذتُكَ خليلًا ، فهو مكتوبٌ في التوراة : أسب ^(۷) حبيبُ الرحمن .

(۱) وهو كذلك : أى اتخذهُ خليلًا .

(۲) نبيُّ اللهُ : كليمه ، والمناجاة : المكالة .

وضبطت الياء في كلمة « نبي » بالضم والفتحة وعليها « معا » في ۱ .

(۳) وهو كذلك : أى هو نبيُّ اللهُ وكليمه .

(۴) في سنن الترمذى : وعيسى روحُ اللهُ وكلمته . وقد ضبطت الحاء في « روح »

بالضمة والفتحة وعليها « معا » في ۱ .

(۵) قرر أولاً ما ذكره من فضائلهم بقوله : هو كذلك ؛ ثم نبه على أنه أفضل منهم كلهم

بقوله : وأنا حبيبُ الرحمن .

(۶) رواه البيهقي ، وصححه .

(۷) في نسيم الرياض : هى لفظة عبرانية بمعنى أنت . ثم قال : وقيل : إن بعد السين تاء

مشناة فوقية ، ومعناها أنت . وقال القارى (۱ - ۴۴۸) : اس : كذا فى نسخة صحيحة

من غير ضبط على هذه الصورة وهى ألف بعدها سين مهملة ثم جرة . وفى بعض النسخ

مكتوب بإزائها على الطرة : ذكر ابن جبير بخطه فى كتابه أن هذه اللفظة وقعت فى الأم

المبيضة بخط المؤلف كما هى هنا مبهمه ، فسكتها كما وقعت .

وفى ب : انبب محمد . وفى ا : انت حبيب الرحمن ، وقال فى هامش ا : است - كذا

وقعت هذه اللفظة فى طرة الأم المبيضة بخطه رحمه اللهُ مبهمه غير جاية فحلتها كما وقعت ، قاله =

قال القاضي أبو الفضل^(۱) : اختلف في تفسير الخلة ، وأصل اشتقاقها ؛ فقيل : الخليل : المنقطع إلى الله^(۲) الذي ليس في انقطاعه إليه ومحبة له اختلال^(۳) .
وقيل : الخليل المختص^(۴) ، واختار هذا القول غير واحد .
وقال بعضهم : أصل الخلة الاستصفاء^(۵) : وسمى إبراهيم [۷۱] خليل الله ؛ لأنه يوالي فيه ويؤادي فيه^(۶) ؛ وخلة الله له نصره ، وجعله إماما^(۷) لمن بعده .

وقيل : الخليل : أصله الفقير المحتاج المنقطع^(۸) ، مأخوذ من الخلة وهي الحاجة ؛ فسمى بها إبراهيم ؛ لأنه قصر حاجته على ربه^(۹) ، وانقطع إليه بهممه ، ولم يجماله

= ابن جعفر - نقلت من خطه . وفي هامش ب : كذا وقعت هذه اللفظة في طرة الام للبيضة في كيت كما وقعت ، وهي بخط المصنف رحمه الله مهمة غير جلية . قال القاري (۱ - ۴۴۸) : ولا يبعد أن يكون بالتاء الفوقية في آخر الكلمة ، وهي للربط في الجملة بالفارسية . وفي نسخة ضبط بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وضم الموحدة . وقيل : بفتح الهمزة وسكون السين وضم المثناة فوق ؛ أي أنت .

(۱) هو المصنف .

(۲) المنقطع إلى الله : الذي قطع رجاءه واعتماده عما عدا الله .

(۳) اختلال : خال ونقص يحتاج إلى جبر وتكميل .

(۴) أي المختص بمن خالله ، وقال القاري (۱ - ۴۴۸) : المختص ؛ أي بوصف الخلة ، سواء كان مشتقا من الخلة - بضم الخاء ، كما سبق ، أو من الخلة - بالفتح ، بمعنى الفقر والحاجة ، من الخلل ؛ إذ كل خليل محتاج إلى أن يسد خال صديقه .

(۵) الاستصفاء : أي كون محبته ومودته صافية ؛ أي خالصة .

(۶) الموالاة : المحبة : أي لا يحب إلا من أحبه الله من المؤمنين أهل الطاعة ، ولا يبغض

إلا أهل المعصية والضلال .

(۷) إماما : مقتدى به ، متبعا لجميع من بعده .

(۸) المنقطع : المنفرد .

(۹) قصر حاجته : أي لم يكن له حاجة إلا إلى ربه ؛ فلا يؤمل نفعاً من غيره .

قَبْلَ غَيْرِهِ^(۱) ؛ إِذْ جَاءَهُ جَبْرِيْلُ وَهُوَ فِي الْمَنْجَنِيْقِ^(۲) ، لِيُرْمِيَ بِهِ فِي النَّارِ ، فَقَالَ : أَلَيْكَ حَاجَةٌ ؟ قَالَ : أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ فُورَكَ : الْخُلَّةُ : صِفَاءُ الْمُوَدَّةِ الَّتِي تَوْجِبُ الْاِخْتِصَاصَ بِتَخَلُّلِ الْأَسْرَارِ^(۳) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَصْلُ الْخُلَّةِ الْمَحَبَّةُ ؛ وَمَعْنَاهَا الْإِسْعَافُ ، وَالْإِلْطَافُ ، وَالتَّرْفِيعُ ، وَالتَّشْفِيعُ^(۴) ؛ وَقَدْ بَيَّنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِ^(۵) : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ، وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ . فَأَوْجِبُ لِلْمَحْبُوبِ إِلَّا يُوَاطِّئُ بِذُنُوبِهِ .

قَالَ : هَذَا ، وَالْخُلَّةُ أَقْوَى مِنَ الْبِنُوَّةِ ؛ لِأَنَّ الْبِنُوَّةَ قَدْ تَكُونُ فِيهَا الْعِدَاوَةُ^(۶) ، كَمَا قَالَ تَعَالَى^(۷) : ﴿ إِنْ مِنْكُمْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ وَعِدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ، وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

وَلَا يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ عِدَاوَةً مَعَ خُلَّةٍ^(۸) ؛ فَإِذَا تَسَمَّيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

(۱) وَلَمْ يَجْعَلْهُ قَبْلَ غَيْرِهِ : لَمْ يَطْلُبْ شَيْئًا مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَمْ يُؤْمَلْهُ .

(۲) الْمَنْجَنِيْقُ - بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِهَا : آلَةٌ لِرَمْيِ الْعَدُوِّ ، وَهُوَ فَارِسِيٌّ مَعْرَبٌ .

(۳) تَخَلُّلِ الْأَسْرَارِ : دَخُولُهَا فِي بَاطِنِهَا لِاطْلَاعِهَا عَلَيْهَا وَعِلْمِهَا بِهَا ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِهَا .

(۴) الْإِسْعَافُ : الْإِعَانَةُ وَالنَّصْرَةُ وَالْإِمْدَادُ بِكُلِّ مَا أَرَادَ . وَالْإِلْطَافُ : الْإِنْعَامُ وَالْإِحْسَانُ .

وَالتَّرْفِيعُ : بِإِعْلَاءِ رَتْبِهِ بِالْكَلِمَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ . وَالتَّشْفِيعُ : بِإِذْنِهِ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ وَقَبُولِهَا .

(۵) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ، آيَةُ ۱۸

(۶) ضَبَطَتْ التَّاءُ فِي كَلِمَةِ « الْعِدَاوَةُ » بِالْفَتْحَةِ ، وَعَلَيْهَا عَلَامَةُ الصَّحَةِ فِي أ .

(۷) سُورَةُ التَّغَابُنِ ، آيَةُ ۱۴

(۸) لِأَنَّ الْخُلَّةَ ضِدُّ الْعِدَاوَةِ ، فَلَا يَجْتَمِعَانِ ، بِخِلَافِ الْبِنُوَّةِ فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ الْفِطْرَةَ تَقْتَضِي

الْمَحَبَّةَ لَكِنْ قَدْ تَتَخَافُ لِعَارِضٍ .

بالخلة إِمَّا بانقطاعهما^(۱) إلى الله وَوَقَفَ حَوَائِجِهِمَا عَلَيْهِ ، وَالانقطاع عَمَّنْ دُونَهُ ،
وَالإِضْرَابِ^(۲) عَنِ الْوَسَائِلِ وَالْأَسْبَابِ ؛ أَوْ لزيادة الاختصاص مِنْهُ تَعَالَى لِهَمَّا^(۳) ،
وَخَفِي^(۴) الطَّافِهِ عِنْدَهُمَا ، وَمَا خَالَ^(۵) بِوَاطِنِهِمَا مِنْ أَسْرَارِ إِلَهِيَّتِهِ ، وَمَكْنُونِ غُيُوبِهِ
وَمَعْرِفَتِهِ ، أَوْ لاسْتِصْفَاءِهِ^(۶) لِهَمَّا ، وَاسْتِصْفَاءِ قُلُوبِهِمَا عَمَّنْ سِوَاهُ^(۷) ، حَتَّى لَمْ يُخَالِلْهُمَا^(۸)
حَبٌّ لغيره ؛ وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ : الْخَلِيلُ مَنْ لَا يَتَّسِعُ قَلْبُهُ لِسِوَاهُ^(۹) وَهُوَ عِنْدَهُمْ مَعْنَى
قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(۱۰) : وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ؛ لَكِنَّ
أَخُوَّةَ الْإِسْلَامِ .

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ وَأَرْبَابُ الْقُلُوبِ^(۱۱) : أَيُّهُمَا أَرْفَعُ دَرَجَةً : الْخُلَّةُ ، أَوْ دَرَجَةُ الْمَحَبَّةِ ؟
فَجَعَلَهُمَا بَعْضُهُمْ سِوَاءً ؛ فَلَا يَكُونُ الْحَبِيبُ إِلَّا خَلِيلًا ، وَلَا الْخَلِيلُ إِلَّا حَبِيبًا ؛ لَكِنَّهُ
خَصَّ إِبْرَاهِيمَ بِالْخُلَّةِ ، وَمُحَمَّدًا بِالْمَحَبَّةِ .

وَبَعْضُهُمْ قَالَ : دَرَجَةُ الْخُلَّةِ أَرْفَعُ ؛ وَاحْتَجَّ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(۱۰) :
لَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ . فَلَمْ يَتَّخِذْهُ .

(۱) هذا على أن معنى الخلة : الحاجة .

(۲) الإضراب : الإعراض والترك .

(۳) وهذا على أن معنى الخلة : المحبة .

(۴) في ا : وحفي - بالحاء المهملة . وفي ب : وحفي ، وخفي : أي بالحاء المهملة ، والخاء
للمجزة ، وعليها «معا» . وخفي - بالخاء : مستور . وحفي - بالحاء : زيادة مبالغته في إكرامه .

(۵) خال : تخال وداخل ، وخالط .

(۶) استصفائه : اختياره لهما من دون خلقه وجعلهما صفوة له حتى يستحقا وصف الخلة .

(۷) بحيث لا يكون فيها غير معرفته وحببه . (۸) يخالها : يدخل في خالها .

(۹) لا متلأه بمحبته ومشاهدة جلاله ، بحيث لا يبقى في قلبه سواه ، وسوى مراقبته .

(۱۰) في حديث البخاري - كما تقدم . صفحة ۲۸۰ .

(۱۱) أرباب القلوب : أصحاب القلوب الكامة الصافية .

وقد أطلق المحبة لفاطمة ، وابنيتها^(١) ، وأسامة وغيرهم^(٢) .
 وأكثرهم جعل المحبة أرفع من الخلة ؛ لأن درجة الحبيب [نبينا]^(٣) أرفع
 من درجة الخليل إبراهيم^(٤) .
 وأصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحب ؛ ولكن هذا في حق من يصح الميل
 منه والانتفاع بالوفق^(٥) ؛ وهي درجة المخلوق ؛ فأما الخالق - جل جلاله - فنزهة
 عن الأغراض ؛ فحبه أعبده تمكينه من سعادته^(٦) ، وعصمته وتوفيقه وتهيئة
 أسباب القرب^(٧) ، وإفاضة رحمته^(٨) عليه ؛ وقصواها^(٩) كشف الحجب عن قلبه
 حتى يراه بقلبه^(١٠) ، وينظر إليه ببصيرته ؛ فيكون كما قال في الحديث : فإذا أحببته
 كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به^(١١) .

- (١) وابنيتها : الحسن والحسين .
 (٢) في ١ : وغيرها . وفي هامشه : وغيرهم ، وعليها علامة الصحة .
 (٣) ليس في ١ .
 (٤) فيقتضى أن صفته - وهي المحبة - أفضل من صفة إبراهيم ، وهي الخلة .
 (٥) الوفق : الموافقة . وفي ضبطت الواو بالضم . ولم أقف عليه .
 (٦) تمكينه من سعادته : إقداره على ما يفيد سعادة الدارين بتوفيقه لطاعته وعبادته .
 (٧) وعصمته : من ارتكاب الذنوب . وتوفيقه : في أموره يجعلها على وفق رضاه .
 وتهيئة أسباب القرب : ييسر له كل سبب يقربه إلى ربه من صلاة وجهاد ومعرفة .
 (٨) إفاضة رحمته عليه : إيصال للخيرات الدنيوية والأخروية اتصالا كثيرا متواليا .
 (٩) قصواها : غايتها .
 (١٠) يراه بقلبه : يعلمه علما يقينيا كالشاهدة المحسوسة .
 (١١) هذا حديث قدسي رواه البخاري : صحيح البخاري : ٨ - ١٣١ ، ومعناه : إذا
 صفي قلبه ، وشغل نفسه بالله أحبه الله ؛ ومحبة الله : عنايته ولطفه به ، وإفاضة نعمه على ظاهره
 وباطنه ، فتكون حواسه وإدراكها ، وأعضاؤه وحركاتها ، كلها متوجهة لله ، ولما فيه رضاه ،
 من غير تصنع ومشقة ؛ فيقويه على ذلك ؛ حتى كأن أفعالها صادرة عن الله .

ولا ينبغي أن يفهم من هذا سوى التجرد لله^(۱)، والانتطاع إلى الله، والإعراض عن غير الله، وصفاء القلب لله، وإخلاص الحركات لله^(۲)، كما قالت عائشة رضي الله عنها: كان خلقه^(۳) القرآن؛ برضاه برضى، وبسخطه بسخط^(۴)؛ ومن هذا عبر بعضهم عن الخلّة بقوله:

قد تخلّت مسلك الروح مني وبذا سُمّي الخليل خليلاً

فإذا ما نطقت كنت حديثي وإذا ما سكت كنت الغليلاً^(۵)

[۷۲] فإذا مزية الخلّة، وخصوصية المحبة حاصلّة لنا صلّى الله عليه وسلم بما دلّت

عليه الآثار الصحيحة المنتشرة^(۶)؛ المتلقاة بالقبول من الأمة، وكفى بقوله تعالى^(۷):

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ

رَحِيمٌ﴾

حكى أهل التفسير أن هذه الآية لما نزلت قال الكفار: إنما يريد محمد أن

(۱) التجرد لله: أي تجريد أفعاله وإحساسه عما يشغله عن الله.

(۲) وإخلاص الحركات لله: بالألا يحرك عضواً من أعضائه إلا لعبادته، أو لما يعين عليها.

(۳) أي كانت أخلاقه كلها على وفق ما أمر به في القرآن.

(۴) بسخطه بسخط: أي يكره ما ذكر فيه أن الله يكرهه.

(۵) في نسيم الرياض: وفي رواية: كنت الدخيل. قال: المراد بالغليل ما كان داخل

القباب، من قولهم: تغلغل الماء بين النبات، إذا جرى تحتها مستتراً. والمراد بالدخيل:

ما هو داخل القلب والبدن، لا الأجنبي.

(۶) المنتشرة: الشائعة المشهورة.

(۷) سورة آل عمران، آية ۳۱

قال في نسيم الرياض (۲ - ۳۶۴): ووجه الدلالة في هذه الآية أنه لما جعل من اتبعه

محبوباً لله علم أنه محبوب عند الله محبة ليس فوقها محبة، ومقرب تقرباً لا يدانيه أحد؛ فلم

منه خلته وجهه.

تَتَّخِذُهُ حَنَانًا^(۱) كما اتخذت للنصارى عيسى بن مريم؛ فأنزل الله - غَيْظًا^(۲) لهم ،
وَرَغْمًا^(۳) على مَقَالَتِهِمْ هذه الآية^(۴) : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ ، فزاده شرفاً
بأمرهم بطاعته ، وقرنها بطاعته ، ثم توعدهم على التَّوَلَّى^(۵) عنه بقوله^(۶) : ﴿ فَإِنْ
تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ .

وقد نقل الإمام أبو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاماً في الفرق بين
المحبة والنخلة بطول^(۷) ، جملة إشاراتِهِ إلى تفضيل مقام المحبة على النخلة ؛ ونحن نذكر
منه طرفاً^(۸) يهْدِي إلى ما بعده :

فمن ذلك قولهم : الخليلُ يَصِلُ بالواسطة^(۹) ، من قوله تعالى^(۱۰) : ﴿ وَكَذَلِكَ
نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكَوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ . والحبیبُ
يَصِلُ لِحَبِيبِهِ^(۱۱) به ، من قوله^(۱۲) : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ .

(۱) حنانا : رحمة . والمراد : أن نعطف عليه ونجمله موضع الحنان والرحمة ؛ أى نتبرك
به وتنتصرع .

(۲) غيظا لهم : أى ليفيظهم ويعلمهم بغضبه عليهم .

(۳) رغما : الرغم : النذل والحزى والإساءة ، والمراد أذلم بتوبيخهم ورد مقالتهم هذه .

(۴) سورة آل عمران ، آية ۳۲

(۵) التولى عنه : الإعراض عن طاعته .

(۶) سورة آل عمران ، آية ۳۲

(۷) فى هامش ب : ترجع . (۸) طرفا : بعضاً قليلاً .

(۹) بالواسطة : بتوسط آخر بينه وبين خليفه .

(۱۰) سورة الأنعام ، آية ۷۵

(۱۱) أى بذاته من غير واسطة ، وفى هامش ا : إليه به . والمثبت فى ا عليه علامة الصحة .

(۱۲) سورة النجم ، آية ۹

وقيل : الخليل : الذي تكون مغفرته في حد الطمع^(۱) ، من قوله^(۲) : ﴿ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾ . والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين^(۳) ، من قوله^(۴) : ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، وبيم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ﴾ .

والخليل قال^(۵) : ﴿ ولا تخزني يوم يبعثون ﴾ . والحبيب قيل له^(۶) : ﴿ يوم لا يخزي الله النبي ﴾ ؛ فابتدىء بالبشارة قبل السؤال^(۷) .

والخليل قال في المحنة^(۸) : ﴿ حسبي الله ﴾ . والحبيب قيل له^(۹) : ﴿ يا أيها النبي حسبك الله ﴾ .

والخليل قال^(۱۱) : ﴿ اجعل لي لسان صدق في الآخرين ﴾ . والحبيب قيل له^(۱۲) : ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ ، أعطى بلا سؤال .

(۱) مغفرته : أي مغفرة الله له ما قد يصدر عنه محتاجا إلى عفو عنه - واقعة في حال يطمع صاحبها في التجاوز عنها ؛ لأن الخليل لا يؤاخذ خليله بزلاته .

(۲) سورة الشعراء ، آية ۸۲ (۳) في حد اليقين : مستيقنة .

(۴) سورة الفتح ، آية ۲

(۵) سورة الشعراء ، آية ۸۷ ، والخليل : إبراهيم . وسيأتي : والحبيب : محمد .

(۶) سورة التحريم ، آية ۸

(۷) ابتدىء بالبشارة بنبي الخزي عنه برؤية ما يكره قبل سؤاله لذلك .

(۸) المحنة : الابتلاء ، والمراد بذلك قصته مع نمرود حين ألقاه في النار ، فكانت برده

وسلاما .

(۹) سورة الزمر ، آية ۳۸

(۱۰) سورة الأنفال ، آية ۶۴

(۱۱) سورة الشعراء ، آية ۸۴

(۱۲) سورة الشرح ، آية ۴

والخليلُ قال^(١) : ﴿ وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ . والحبيبُ قيل له^(٢) :
﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ .
وفيما ذكرناه^(٣) تنبيهٌ على مقصدِ أصحابِ هذا النقالِ مِنْ تفضيلِ المقاماتِ^(٤)
والأحوالِ ؛ وكلُّ يعملُ على شاكلته^(٥) ؛ فرُبُّكم أعلمُ بمن هو أهدى سبيلاً .

فصل

في تفضيله بالشفاعةِ والمقامِ^(٦) المحمودِ

قال اللهُ تعالى^(٧) : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ .
أخبرنا الشيخُ أبو عليّ الفسَّانيّ الجيانيّ^(٨) فيما كتب إليّ بخطه ، حدثنا سراجُ
ابن عبد الله القاضي ، حدثنا أبو محمد الأصيلي ، حدثنا أبو زيد ، وأبو أحمد ؛ قالوا :
حدثنا محمد بن يوسف ؛ قال : حدثنا محمد بن إسماعيل ؛ قال : حدثنا إسماعيل بن أبان ،
حدثنا أبو الأحوص ، عن آدم بن عليّ ؛ قال : سمعتُ ابنَ عمر يقول^(٩) : إنَّ الناسَ

(١) سورة إبراهيم ، آية ٣٥ (٢) سورة الأحزاب ، آية ٣٣

(٣) وفيما ذكرنا : من تفسير الحجة والحلة واشتقاقهما والخلاف في أيهما أرفع درجة . . .

(٤) المراد بالمقام هنا أمر يكون عليه العارف بالله تعالى من الأنبياء والأولياء يرتفع به

من حضيض البشرية في درجات العبودية حتى يرقى المقام الأعلى .

(٥) كل يعمل على شاكلته : لكل أحد طريقة يختارها .

(٦) المراد بالمقام المحمود : كل مقام يتضمن كرامة محمد .

(٧) سورة الإسراء ، آية ٧٩ (٨) في ١ : حدثنا الجياني .

(٩) هذا الحديث رواه البخاري موقوفاً على ابن عمر : وحديث الشفاعة في صحيح

البخاري : ٩ - ١٤٩ ، وصحيح مسلم : ١٨٠ ، وابن ماجه : ١٤٤٠ ، والترمذي : ٤ - ٦٢٨

وأبو داود : ٢ - ٢١٦

وانظر هذه الأحاديث وغيرها في تفسير ابن كثير : ٥ - ٩٨ ، وما بعدها .

يصيرون يوم القيامة جُثى^(۱) ، كلُّ أمةٍ تتبَعُ نَبِيَّهَا ، يقولون : يا فلانُ ، اشفعْ لنا ؛ يا فلانُ اشفعْ لنا^(۲) ، حتى تنتهي الشفاعةُ إلى النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم فذلك يوم يبعثهُ اللهُ المقامَ المحمود .

وعن أبي هريرة : سُئِلَ عنها^(۳) رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم - يعني قوله^(۴) :
عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ، فقال : هي الشفاعة^(۵) .

وروى كعبُ بن^(۶) مالك ، عنه صلى اللهُ عليه وسلم : يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ وَيَكْسُونِي رَبِّي حِلَّةً خَضْرَاءَ ، ثُمَّ يُؤْذَنُ لِي فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أَقُولَ ؛ فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ .

وعن ابنِ عمر [۷۳] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وَذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ - قَالَ : فَيَمُشِي حَتَّى يَأْخُذَ بِحِلَّةِ الْجَنَّةِ ، فَيَوْمِئِذٍ يَبْعَثُهُ اللهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدَهُ^(۸) .

وعن ابنِ مسعودٍ عنه صلى اللهُ عليه وسلم أنه^(۹) قِيَامُهُ عَنِ الْيَمِينِ الْعَرْشِ مَقَامًا لَا يَقُومُهُ غَيْرُهُ ، يَغِيْبُهُ^(۱۰) فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ .

(۱) بضم الجيم - مقصور منون . وجوز كسر جيمه أيضا : جمع جنوة (مثلث الأول) ، وأصله الكوم المجتمع من تراب ونحود ؛ والمراد يجتمعون جماعات ، كل أمة جماعة تابعة لنبيها .
(۲) أى تنادى كل أمة نبيها باسمه ، يسألونه أن يشفع لهم عند ربهم فى الخلاص من هول الموقف .
(۳) عنها : عن الآية المذكورة .

(۴) سورة الإسراء ، آية ۷۹ (۵) هذا الحديث رواه أحمد ، والبيهقى .

(۶) هذا الحديث رواه أحمد بن حنبل مسندا (۳ - ۴۵۶) .

(۷) يؤذن لى : يأذن الله لى فى التسكلم بين يديه .

(۸) الذى وعده به فى القرآن فى قوله تعالى : « عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » .

(۹) أنه : أى المقام المحمود . ورواه أحمد .

(۱۰) الغيبة : تمنى المرء أن ينال مثل ما رآه عند غيره من النعم ، وكل أمر محمود ، من

غير أن يحب زوالها ؛ فإن أحب زوالها فهو الحسد المذموم

وَنَحْوَهُ عَنِ كَعْبِ وَالْحَسَنِ .

وفي رواية : هو ^(١) المَقَامُ الَّذِي أَشْفَعُ لَأُمَّتِي فِيهِ .

وعن ابن مسعود ^(٢) ، قال : قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إني لَقَامُ المَقَامِ المَحْمُودِ . قيل : وما هو ؟ قال : ذلكَ يومُ يَنْزِلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى [على كُرْسِيِّهِ] ^(٣) . . . الحديث .

وعن أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ^(٤) ، عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : خَيْرَتُ بَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ ؛ لِأَنَّهَا أَعْمُ ^(٥) ؛ أَتْرُونَهَا ^(٦) لِلْمُتَّقِينَ ؟ لا ، وَلَكِنهَا لِلْمُذْنِبِينَ الخَطَّائِينَ ^(٧) .

وعن أبي هريرة ^(٨) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ؛ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ؛ مَاذَا وَرَدَ ^(٩) عَلَيْكَ فِي الشَّفَاعَةِ ؟ فَقَالَ : شَفَاعَتِي لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا ، يَصَدِّقُ لِسَانَهُ قَلْبُهُ .

وعن أمِّ حَبِيبَةَ ^(١٠) ، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أُرِيتُ ^(١١) مَا تَلَقَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي ، وَسَفَكَ ^(١٢) بَعْضُهُمْ دِمَاءَ بَعْضٍ ، وَسَبَقَ لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا سَبَقَ لِلْأُمَّمِ قَبْلَهُمْ ؛ فَسَأَلْتُ اللهُ أَنْ يُوَثِّقَنِي شَفَاعَةَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِيهِمْ ، فَفَعَلَ ^(١٣) .

(١) هو : أى المقام المحمود . (٢) فى حديث رواه أحمد فى مسنده .

(٣) ليس فى ب . (٤) هذا الحديث رواه ابن ماجه فى سننه : ١٤٤١

(٥) فى سنن ابن ماجه : لأنها أعم وأكفى .

(٦) أترونها : أتظنون الشفاعة خاصة للمتقين .

(٧) فى ابن ماجه : الخطائين للتأولين . (٨) فى حديث صحيح رواه الحاكم ، والبيهقى .

(٩) ماذا ورد عليك : ورد جاء . أى ما أجابك به الله ، أو الملك ، لما سأله الشفاعة فى

أمتك ؟ وفى شرح القارى (١ - ٤٦٠) : ماذا ورد ؛ من الورد ، أى نزل .

(١٠) فى حديث رواه الحاكم ، والبيهقى .

(١١) أريت : أعلمنى الله ، وأخبرنى بواسطة الملك . (١٢) سفك الدم : إراقته وصبه .

(١٣) ففعل : أى أعطاه الله تعالى ما سأله فشفعه فى المذنبين منهم .

وقال حذيفة^(۱) : يجمعُ اللهُ الناسَ في صعيدٍ واحدٍ^(۲) حيثُ يُسمِعهم الداعي ،
وَيُنْفِذهم البصرَ ، حُفَاةَ عُرَاةٍ كما خُلِقُوا ، سُكُوتًا لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَيُنَادِي
مُحَمَّدٌ فيقولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ^(۳) ، وَالتَّخِيرُ فِي يَدَيْكَ ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ ، وَالْمُهْتَدِي
مَنْ هَدَيْتَ ، وَعَبْدُكَ^(۴) بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَلَكَ وَإِلَيْكَ^(۵) ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنجِي مَنِكَ
إِلَّا إِلَيْكَ ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ^(۶) ، سُبْحَانَكَ رَبَّ الْبَيْتِ - قال : فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ
الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ .

وقال ابنُ عباسٍ رضي اللهُ عنه : إِذَا دَخَلَ أَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ،
فَتَبَقَى آخِرُ زُمْرَةٍ^(۷) مِنَ الْجَنَّةِ وَآخِرُ زُمْرَةٍ مِنَ النَّارِ ؛ فَتَقُولُ زُمْرَةُ النَّارِ لَزُمْرَةِ الْجَنَّةِ :
مَا نَفَعَكُمُ إِيمَانُكُمْ ، فَيَدْعُونَ رَبَّهُمْ وَيَضْجُونَ^(۸) ، فَيَسْمَعُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَيَسْكُونَ
آدَمَ وَغَيْرَهُ بَعْدَهُ فِي الشَّفَاعَةِ لَهُمْ ؛ فَيَكُلُّ يَعْتَذِرُ حَتَّى يَأْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَيُشْفَعُ لَهُمْ ، فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ^(۹) .

وَنَحْوَهُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَيْضًا ، وَمَجَاهِدٍ .

وَذَكَرَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(۱) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ ، وَالنَّسَائِيُّ .

(۲) فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ : فِي مَكَانٍ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ غَيْرَ مُتَفَرِّقِينَ . وَأَصْلُ مَعْنَى الصَّعِيدِ : التُّرَابُ ؛

فَأَرِيدُ بِهِ هُنَا أَرْضَ الْمُحْشَرِ .

(۳) أَيُّ أَجِبْتِكَ إِجَابَةً بَعْدَ إِجَابَةٍ ، وَأَسَاعِدُكَ بِطَاعَتِكَ ، وَأَنَا مُقِيمٌ عَلَى ذَلِكَ لِأَنْصَرِفَ عَنْهُ .

(۴) وَعَبْدُكَ : يَرِيدُ نَفْسَهُ الشَّرِيفَةَ .

(۵) وَلَكَ وَإِلَيْكَ : أَيُّ أَمْرِهِ كُلُّهُ لَكَ ، فَإِنَّهُ عَبْدُكَ ، وَأَمْرُهُ مُوَكَّلٌ إِلَيْكَ .

(۶) تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ : كَثْرَةُ خَيْرِكَ وَزَادَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَعِلَاقِدُكَ فِي ذَاتِكَ وَصِفَاتِكَ ،

وَتَرَاهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِكَ . (۷) الزُّمْرَةُ : الْجَمَاعَةُ الْقَلِيلَةُ .

(۸) وَيَضْجُونَ : وَيَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ فَزَعًا مِمَّا لِحَقَّهُمْ مِنْ تَعْيِيرِ أَهْلِ النَّارِ لَهُمْ .

(۹) هَذَا الْحَدِيثُ مُوقُوفٌ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ .

وقال جابر بن عبد الله ليزيدَ الفقير^(١) : سَمِعْتَ بِمَقَامِ^(٢) مُحَمَّدٍ - يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللهُ فِيهِ ؟

قلتُ : نعم . قال : فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ الْمُحْمُودِ الَّذِي يُخْرِجُ اللهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ - يَعْنِي مِنَ النَّارِ - وَذَكَرَ^(٣) حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ فِي إِخْرَاجِ الْجَهَنَّمِيِّينَ^(٤) .

وَعَنْ أَنَسٍ نَحْوَهُ ، وَقَالَ : فَهَذَا الْمَقَامُ الْمُحْمُودُ الَّذِي وَعِدَهُ .

[وَعَنْ سَدَّانَ : الْمَقَامُ الْمُحْمُودُ هُوَ الشَّفَاعَةُ فِي أُمَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَمِثْلُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

وَقَالَ قَتَادَةُ : كَانَ أَهْلُ الْعِلْمِ يَرَوْنَ الْمَقَامَ الْمُحْمُودَ هُوَ شَفَاعَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ وَعَلَى أَنَّ الْمَقَامَ^(٥) الْمُحْمُودَ مَقَامُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِلشَّفَاعَةِ مَذَاهِبُ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَعَامَّةُ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ .

وَبِذَلِكَ جَاءَتِ الشَّفَاعَةُ مُفَسَّرَةً فِي صَحِيحِ الْأَخْبَارِ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ؛ وَجَاءَتِ مَقَالَةٌ فِي تَفْسِيرِهَا شَاذَّةٌ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ^(٦) ، يَجِبُ أَلَّا تُثَبَّتَ ؛ إِذَا لَمْ يَعْضُدْهَا صَحِيحٌ أَثَرٌ ، وَلَا سَنَدٌ نَظَرٌ .

وَلَوْ صَحَّتْ لَكَانَ لَهَا تَأْوِيلٌ غَيْرٌ مُسْتَنَكِرٌ ؛ لَكِنْ مَا فَتَّرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَحِيحِ الْأَثَارِ يَرُدُّهُ ؛ فَلَا يَجِبُ أَنْ يُلْتَفَتَ إِلَيْهِ ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ

(١) هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ : صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ١٧٩

(٢) سَمِعْتَ : أَي رَوَيْتَ فِيهِ شَيْئًا يَفْسُرُهُ . وَرَوَايَةُ مُسْلِمٍ : هَلْ سَمِعْتَ ؟

(٣) وَذَكَرَ : أَي جَابِرٌ . وَالْحَدِيثُ بِتَمَامِهِ فِي مُسْلِمٍ : ١٧٩

(٤) النَّسُوبُونَ لِلْجَهَنَّمَ ؛ لِأَنَّهُمْ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ دَخَلُوا النَّارَ بِمَعَاصِيهِمْ . وَهَذَا بَعْضُ الْحَدِيثِ

الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ كَمَا تَقَدَّمَ .

(٥) وَعَلَى أَنَّ الْمَقَامَ الْمُحْمُودَ : أَي وَكَانُوا عَلَى أَنَّ الْمَقَامَ الْمُحْمُودَ . . .

(٦) وَهُوَ مُجَاهِدٌ ؛ يَقُولُ : إِنَّهُ يَجْلِسُ مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ .

فی کتاب ولا سُنَّةٍ ، ولا اتَّفَقَ علی المقالِ أُمَّةٌ ؛ وفی إطلاقِ ظاهره منکرٌ من القولِ
وشنعةٌ [(۱)] .

وفی روایة أنسٍ وأبی هریرةٍ وغیرهما (۲) ، دخلَ حدیثُ بعضهم فی حدیثِ بعضٍ :
قالَ صلی اللهُ علیہ وسلم : یجمعُ اللهُ الأولینَ والآخِرینَ یومَ القیامةِ فیهتمُّونَ (۳) -
أو قال : فیاہمُّونَ ؛ فیتقولون : لو استشفَّعنا إلی ربِّنا (۴) .

ومن طریقِ آخرٍ ، عنه : ما ج (۵) الناسُ بعضهم فی بعضٍ .

وعن أبی هریرة (۶) : وتدنُّو الشمسَ (۷) ، فیبلغُ الناسَ من الغمِّ ما لا یطیقون
ولا یحتملونَ ؛ فیتقولون : ألا تنظرونَ مَنْ یشفِّعُ لکم ؛ فیاتونَ آدمَ فیتقولون ؛
زاد بعضهم : أنتَ آدمُ أبو البشرِ ، خلقک اللهُ بیدهِ (۸) ، ونفخَ فیکَ مِنْ رُوحِهِ ،
وأسکنکَ جنته ، وأسجدَ لک ملائکته ، وعلمکَ أسماءَ کلِّ شیءٍ ، اشفعَ لنا عند
ربِّکَ حتی یریحنا مِنْ مکاننا (۹) ؛ ألا ترى [۷۴] ما نحن فیہ ؟

(۱) ما بین القوسینِ لیس فی ا ، وهو فی هامشِ ب ، وعلیه علامة الصحة ، وقد أثبت
هذه الزیادة القاری فی شرحه أيضا : ۱ - ۴۶۳

(۲) فی حدیثِ رواه الشیخان : صحیح مسلم : وصحیح البخاری : ۹ - ۱۴۹ ، وابن
ماجه : ۱۴۴۲

(۳) فیهتمُّونَ : من الهم والحزن ، أو من العزم والتصمیم . ویلہمُّونَ : من الإلهام ؛ آی
ینہمُّم اللهُ سؤال ذلك .

(۴) لو استشفَّعنا إلی ربِّنا : لو طلبنا من یشفِّعُ لنا عند الله فی أن یخاعنا من هول هذا
للوقف وشدته - وهذا ما تمنوه .

(۵) ما ج الناسُ بعضهم فی بعضٍ : دخل بعضهم فی بعضٍ واختلطوا لاضطرابہم .

(۶) فی حدیثِ الشفاعة الذي رواه الشیخان : صحیح البخاری : ۹ - ۱۴۹ ، وصحیح

مسلم : ۱۸۰ (۷) تدنُّو الشمسَ : تقرب من رءوس أهل الموقف . وفی ا : فتدنو .

(۸) بیده : آی أوجدک من العدم بقدرته من غیر واسطة أم ولا أب .

(۹) من مکاننا : مکانهم هو المحشر .

فيقول : إنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا لَمْ يَغْضَبْ مِثْلَهُ ^(١) ، ولا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ،
ونَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُ ؛ نَفْسِي ، نَفْسِي ؛ اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ .
فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ : أَنْتُ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ ^(٢)
عَبْدًا شَكُورًا ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؛ أَلَا تَرَى مَا بَلَّغْنَا ^(٣) ! أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى
رَبِّكَ ؟ فيقول : إنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، ولا يَغْضَبُ بَعْدَهُ
مِثْلَهُ ، نَفْسِي ! نَفْسِي !

قال - في رواية أنس : ويذكر خطيئته التي أصاب ^(٤) : سؤاله ربه بغير علم ^(٥) .
وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه : وقد كانت لي دعوةٌ دعوتها على قومي ؛
اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي . اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ؛ فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللَّهِ .
فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ^(٦) ، اشفع
لنا إلى ربِّكَ ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟

فيقول : إنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا . . . فذكر مثله ؛ ويذكر ثلاثاً

(١) أي أظهر شدة غضبه وسخطه على من عصاه ، مريدا إيقاع العذاب الذي في الآخرة
بإدخالهم النار؛ وهذا لم يكن قبل يوم القيامة ولا بعده؛ فلهذا خاف آدم عليه السلام، وقال: ونهاني...
(٢) في الآية ٣ من سورة الإسراء: « ذرية من حملنا مع نوح ، إنه كان عبدا شكورا » .
على الأصح من أن الضمير راجع إلى نوح . (٣) ما بلغنا : ما وصل إلينا منه .
(٤) الأنبياء عليهم السلام معصومون ، ولكن لشدة تعظيمهم لله ، وخوفهم منه ،
يعدون ما صدر منهم نسيانا وسهوا ذنبا عظيما ، والمراد بخطيئته ما فسره بقوله : سؤاله ربه...
(٥) سؤاله هو قوله : « رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق . . . » .
(٦) وخليئه من أهل الأرض : أي انفردت من بينهم بالخلقة - كما تقدم .

كلمات كَذِبِيْنَ (١) . نَفْسِي ، نَفْسِي ، لَسْتُ لَهَا (٢) ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى ؛ فَإِنَّهُ
كَلِمَةُ اللَّهِ .

وفي رواية : فَإِنَّهُ عَبْدُ آتَاهُ اللَّهُ التَّورَةَ ، وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا (٣) .
قال : فَيَأْتُونَ مُوسَى ؛ فَيَقُولُ : لَسْتُ لَهَا ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ (٤) ،
وَقَتَلَهُ (٥) النَّفْسَ ، نَفْسِي ، نَفْسِي ؛ وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى ؛ فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ .
فَيَأْتُونَ عِيسَى ؛ فَيَقُولُ : لَسْتُ لَهَا ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِحَمْدِ ، عَبْدِ غُفَرَ اللَّهُ لَهُ
مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ (٦) .
فَأُوتِيَ (٧) ، فَأَقُولُ : أَنَا لَهَا (٨) .

فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي ، فَيُؤْذَنُ لِي ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا .
وفي رواية ، فَأَتِي تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَأَخِرُّ سَاجِدًا .

(١) هي قوله : إني سقيم - لما دعى إلى الخروج مع قومه . وقوله لزوجته - لما طلبها الملك
منه : إنها أختي . ولقوله في حق الأصنام : لعله كبيرهم . وهذا كله مخالف للواقع ولاعتقاده .
وهي في الصورة كذبات ، فقد أراد بقوله : إني سقيم : سأسقم ؛ لأن من عاش يسقم أو يهرم
ويموت . وقوله أختي : أختي في الإسلام . ويقول : فعله كبيرهم : التبكييت ، بدليل قوله : إن كانوا
حينئذ .

- (٢) لست لها : لست أهلا للشفاعة لغيري .
(٣) قربه نجيا : أي جملة قريبا منه ، مناجيا له ، ومخاطبا . والقرب ليس مكانيا .
(٤) هي التي وقعت منه وعاتبه الله عليها بقوله : « وما أعجلك عن قومك يا موسى ! »
(٥) هو القبطي الذي استغاثه الإسرائيلي عليه فوكزه موسى فمات .
(٦) غفر الله له كل ما صدر منه مما يعاتب عليه ، وإن لم يكن معصية ؛ لعصته من الذنوب .
ومن كان كذلك فهو جدير بقبول الشفاعة منه .
(٧) فأوتى : فإتيتني أهل الموقف لسؤال الشفاعة لهم .
(٨) أنا لها : أنا أهل للشفاعة ، مدخر لها .

وفي رواية : فأقوم بين يديه ، فأحمده بمحامد لا أقدر عليها^(١) إلا أن يلمنيها الله^(٢) .

وفي رواية : فيفتح الله عليّ من محامده ، وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحهُ عليّ أحدٍ قبلي^(٣) .

قال - في رواية أبي هريرة : فيقال : يا محمدُ ، ارفع رأسك ، سل^(٤) ، تُعْطَه ، واشفَعْ تشفع ؛ فأرفعُ رأسي ، فأقول : يارب ، أمتي^(٥) ؛ يارب ، أمتي . فيقول : أدخل من أمتك من لا حسابَ عليه^(٦) من الباب الأيمن من أبواب الجنة ؛ وهم شركاء الناس فيما سيوي ذلك من الأبواب .

ولم يذكر في رواية أنس هذا الفصل ، وقال - مكانه : ثم أخِرَّ ساجداً؛ فيقال لي : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقلْ يُسْمَعُ لَكَ ، واشفَعْ تشفع ، وسلْ تُعْطَه . فأقول : يارب ، أمتي ، أمتي . فيقال : انطلق^(٧) ، فمن كان في قلبه مثقالُ حبةٍ من برّةٍ أو شعيرةٍ من إيمان^(٨) فأخْرِجْهُ ، فأنطلقُ فأفعلُ .

ثم أرجعُ إلى ربي ، فأحمدُهُ بتلك المحامدِ^(٩) وذكر مثل الأول ؛ وقال

-
- (١) لا أقدر عليها : أي لا أحسنها ، ولا أعرف كيفيتها في الدنيا .
 - (٢) إلا أن يلمنيها الله : أي إلا أن يوقعها الله في قلبي بإلهام منه .
 - (٣) المراد أنه لم يقبّر لغيره من الرسل قبله ولا بعده .
 - (٤) سل : اسأل ما شئت من الشفاعة وغيرها .
 - (٥) أي ارحم أمتي ، أو أبع أمتي .
 - (٦) من لا حساب عليه : أي خواص أمتك المتقين الذين لا ذنب لهم يحاسبون بسببه .
 - (٧) انطلق : اذهب من مقام الشفاعة المقرب
 - (٨) مثقال : موازن ، مواز ، ومقابل ، مقدار ؛ أي من كان في قلبه أقل قليل من الإيمان والبرّة : حبة من البر ، وهو القمح .
 - (٩) بتلك المحامد التي ألهمتها .

فيه : مثقال حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ^(١) . قال : فأفعل ، ثم أرجع ... وذَكَرَ مِثْلَ مَا تَقَدَّمَ ،
وقال فيه ^(٢) : مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ ^(٣) مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ؛
فَأَفْعَلُ .

وذَكَرَ فِي الْمَرَّةِ الرَّابِعَةِ ^(٤) : فَيُقَالُ لِي : ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعُ ، وَاشْفَعْ
تَشْفَعُ ، وَسَلْ ^(٥) تُمَطِّهُ .

فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ؛ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ ^(٦) : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . قال : ليس ذلك
إِلَيْكَ ^(٧) .

وَلَكِنْ وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَاثِي وَعِظَمَتِي وَجِبْرِيَاثِي ^(٨) لِأَخْرِجَنَّ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ :
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَمِنْ رِوَايَةِ قَتَادَةَ عَنْهُ ؛ قَالَ : فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ
الْقُرْآنُ ، أَيْ وَجِبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ ^(٩) .

(١) حبة من خردل : حب معروف في غاية الصغر . وهو كناية عن غاية قلة الإيمان .

(٢) كما رواه مسلم في صحيحه : ١٨٣

(٣) أدنى : أقل ، وأصغر .

(٤) في المرة الرابعة : من رجوعه إلى ربه ومراجمته له في الشفاعة ، فإنه وقع مرارا في

رواية البخاري : صحيح البخاري : ٩ - ١٤٩

(٥) في ١ : واسأل .

(٦) أي من نطق بكلمة التوحيد .

(٧) ليس ذلك إليك : ليس ذلك مفوضا إليك ، بل إلى .

(٨) العزة : الغلبة والقهر . والكبرياء : الترفع عن الانقياد . والمظمة : ظهور ذلك وزيادته ،

وجبريائي : وجبروتي .

(٩) في صحيح البخاري (٩ - ١٤٨) : ووجب عليه الخلود ؛ أي لم يبق بعد هؤلاء

الخارجين إلا من حكم الله في القرآن بخلوده في العذاب ، ولم يؤذن في الشفاعة لهم .

وعن أبي بكر ، وعقبة بن عامر ، وأبي سعيد^(۱) ، وحذيفة مثله ؛ قال^(۲) :
 فيأتون [۷۵] محمدا فيؤذَن له ، وتأتي الأمانة والرحم فتقومان جنبتي^(۳) الصراط .
 وذكر في رواية أبي مالك^(۴) ، عن حذيفة : فيأتون محمدا فيشفع ؛ فيضرب^(۵)
 الصراط ، فيمرون : أولهم^(۶) كالبرق ، ثم كالريح ، والطير ، وشدة الرجال^(۷) ،
 ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول : اللهم سلم سلم ، حتى يجتاز^(۸)
 الناس . وذكر آخرهم جوازا^(۹) . . . الحديث .

وفي رواية أبي هريرة : فأكون أول من يجيز^(۱۰) .

وعن ابن عباس ، عنه صلى الله عليه وسلم : يوضع^(۱۱) للأنبياء منابر^(۱۱) يجلسون عليها ،
 ويبقى منبري لا أجلس عليه قائما^(۱۱) ، بين يدي ربي منتصبا ، فيقول الله تبارك
 وتعالى : ما تريد أن أصنع بأمتك ؟ فأقول : يا رب ، عجل حسابهم ؛ فيدعى
 بهم ، فيحاسبون .

(۱) برواية الترمذي : ۵ - ۳۰۸

(۲) قال : أي كل واحد منهم .

(۳) جنبتي : ناحيتي . والأمانة : ضد الخيانة . والرحم : القرابة . يعني أنهما يمثلان أو يجسمان
 بقدرة الله ، ليشهدا على العائن ، وقاطع الرحم .

(۴) في سنن أبي داود : ۲ - ۲۱۶

(۵) يضرب الصراط : يوضع على متن جهنم جسرا ممدودا (شرح القاري : ۱ - ۴۷۰) .

(۶) أولهم كالبرق : في السرعة .

(۷) قال الخفاجي : يروى بالجيم جمع رجل . وبالحاء أي بالرجال : جمع راحلة . والشدة :

سرعة الجري . وقال القاري : قد خطيء من رواه بالحاء المهملة .

(۸) يجتاز الناس : يمر الناس .

(۹) وذكر آخرهم جوازا : أي سمى آخر من يمر على الصراط .

(۱۰) فهو أول من يجيز أمته من الرسل .

(۱۱) قائما : أي تاركا جلوسا حال قيامي .

فمنهم مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِي ، وَلَا أُزَالُ أَشْفَعُ حَتَّى أُعْطَى صِكَاكَ^(١) بِرِجَالٍ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ ، حَتَّى إِنْ خَازِنَ النَّارِ لِيَقُولَ : يَا مُحَمَّدُ ، مَا تَرَكْتَ لِغَضَبِ رَبِّكَ فِي أُمَّتِكَ مِنْ نِقْمَةٍ^(٢) .

وَمِنْ طَرِيقِ زِيَادِ النَّمَيْرِيِّ ، عَنْ أَنَسٍ^(٣) - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْفَلِقُ الْأَرْضَ^(٤) عَنْ جُجْمَتِهِ وَلَا فَنَخْرَ ، وَأَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَنَخْرَ ، وَمَعَى لَوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٥) ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تُفْتَحُ لَهُ الْجَنَّةُ وَلَا فَنَخْرَ ، فَآتَى فَآخِذَ بَحَلْقَةِ الْجَنَّةِ ، فَيَقَالُ : مَنْ هَذَا ؟ فَأَقُولُ : مُحَمَّدٌ ؛ فَيُفْتَحُ لِي ، فَيَسْتَقْبِلُنِي الْجَبَّارُ تَعَالَى ، فَآخِرُهُ لَهُ سَاجِدًا . . . وَذَكَرَ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ .

-
- (١) صكك : جمع صك ، وهو الورقة التي تكتب للمصالح ؛ والمراد : كتب .
(٢) الغضب : إرادة الانتقام . والنقمة : العذاب ؛ أي لم تدع أحداً ممن استحق العذاب يعذب .
(٣) هذا الحديث رواه البيهقي ، وأبو نعيم في الحلية .
(٤) تنفلق : تنشق . والفلق : شق الشيء وإبانه بفضه من بعض .
(٥) المراد لواء الرياسة العظمى الذي يحمده وينبسطه به سائر الخلق ، لتفرد - صلى الله عليه وسلم - به ، وهو على حقيقته ، أو كناية عن تقدمه على غيره .
وفي هامش ب : قيل إنما نفي الفخر الذي هو الكبر الواقع في الناس المنهي عنه .
قال الخطابي - رحمه الله : وما زلت أسأل عن قوله : « لواء الحمد بيدي » حتى وجدته في حديث روى عن عقبه بن عامر : إن أول من يدخل الجنة الحمدون لله تعالى على كل حال ؛ يعتقد لهم لوائهم فيدخلون الجنة .
وقوله - صلى الله عليه وسلم : « ولا فخر » - ساكنة الخاء ؛ يريد أنه لا يذكر ذلك على مذهب الفخر الذي هو الكبر ؛ وعامة الناس يفتخون بالخاء ، وهو خطأ ، وصوابه سكونها ، والله أعلم .

ومن رواية أنس^(١) : سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : لأشْفَعَنَ يومَ القيامةِ لأكثرِ مما في الأرضِ من حَجَرٍ وشَجَرٍ .

فقد اجتمع من اختلافِ ألفاظِ هذه الآثارِ أن شفاعته - صلى الله عليه وسلم ، ومقامه المحمودَ من أولِ الشفاعاتِ إلى آخرِها^(٢) ، من حين يجتمعُ الناسُ للحَشْرِ ، وتَضيقُ بهم الحناجرُ ، ويبلغُ منهم العرقُ والشمسُ والوقوفُ مَبْلَغَهُ^(٣) ، وذلك قبلَ الحسابِ ، فيشْفَعُ حينئذٍ لإراحةِ الناسِ من الموقفِ ، ثم يُوضَعُ الصِّرَاطُ ، ويحاسبُ الناسُ ، كما جاء في الحديثِ عن أبي هريرة وحذيفة .

وهذا الحديثُ أَتَقَنَّ^(٤) ؛ فيشْفَعُ في تعجيلِ مَنْ لا حسابَ عليه من أُمَّتهِ إلى الجنةِ - كما تقدم في الحديثِ - ثم يشْفَعُ فيمن وجب عليه العذابُ ، ودخلَ النارَ منهم حَسَبَ^(٥) ما تقتضيه الأحاديثُ الصحيحةُ ، ثم فيمن قال : لا إله إلا الله . وليس هذا لسِوَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وفي الحديثِ المُنتَشَرِ الصحيحِ^(٦) : لكلِّ نبيٍّ دَعْوَةٌ يدْعُو بها ، واختيبتُ دَعْوَتِي شفاعَةً لأُمَّتِي يومَ القيامةِ .

(١) هكذا في أ ، ب ، وفي هامش أ : أنيس ، وعليها علامة الصحة . وقال القارى : هو الصواب . وفي الاستيعاب (١ - ١١٤) : أنيس : رجل من الأنصار ، روى عنه شهر ابن حوشب ، ولم ينسبه ، ولم يرو عنه غيره - حديثه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : إني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر - إسناده ليس بقوى .

(٢) الشفاعات : هي شفاعته العظمى في الخلاص من كرب الموقف لجميع الناس ، وشفاعته لدخول أهل الجنة الجنة ؛ وللمذنبين في العفو عن ذنوبهم ، ولمن أمر به إلى النار ، ولمن قال : لا إله إلا الله ؛ ولإخراج من دخل النار منها ، ولرفع درجات أهل الجنة - كما مر جميع ذلك في الأحاديث السابقة .

(٣) مبلغه : نهايته .

(٤) أتقن : أكثر إتقاناً من غيره .

(٥) حسب : مثل .

(٦) المنتشر : الشائع . وقد رواه الشيخان : صحيح مسلم : ١٨٨

قال أهل العلم: معناه^(۱) دعوة أُعْلِمَ أَنَّهَا تُسْتَجَابُ لَمْ ، وَيَبْلُغُ فِيهَا مَرْغُوبُهُمْ^(۲) ،
وإلا فكم لكل نبيّ منهم من دعوةٍ مستجابةٍ ، ولنبيّنا صلى الله عليه وسلم منها
ما لا يعدُّ ؛ لكن حالم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف^(۳) ، وضمنت لهم
إجابة دعوةٍ فيما شاءوه ، يدعون بها على يقينٍ من الإجابة .

وقد قال محمد بن زياد ، وأبو صالح ، عن أبي هريرة في هذا الحديث^(۴) : لكل
نبيّ دعوةٌ دعا بها في أمته^(۵) ، فاستجيب له ؛ وأنا أريد أن أدخر^(۶) ، دعوتي
شفاعة لأمتي يوم القيامة .

وفي رواية أبي صالح^(۷) : لكل نبيّ دعوةٌ مستجابةٌ ، فتمجّل كل نبيّ
دعوتَه .

ونحوه في رواية أبي زرعة عن أبي هريرة [۷۶] .

وعن أنس مثل رواية ابن زياد ، عن أبي هريرة .

فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالأمة مضمونة الإجابة ؛ وإلا فقد
أخبر صلى الله عليه وسلم أنه سأل لأمة أشياء من أمور الدين الدنيا وأعطى بعضها ،

(۱) معناه : معنى هذا الحديث : المقصود منه .

(۲) مرغوبهم : مطلوبهم .

(۳) بين الرجاء والخوف : بين الرجاء لإصابتها ، والخوف من عدم قبولها .

(۴) في هذا الحديث وتفسيره .

(۵) سواء كانت لهم أو عليهم .

(۶) في ۱ : أؤخر : وللتبئة في ب .

(۷) وهذا مما رواه الشيخان عنه : صحيح مسلم : ۱۸۹

ومُنِعَ^(١) بعضها ، وادّخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة^(٢) ، وخاتمة المِحْنِ^(٣) ،
وعظيم السؤال والرغبة .

جزاهُ اللهُ أحسنَ ما جزَى نبيّاً عن أمته ، وصلى اللهُ عليه وسلم كثيراً .

فصل

في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة^(٤)

حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي ، والفقيه أبو الوليد هشامُ
ابن أحمد ، بقراءتي عليهما^(٥)؛ قالوا: حدثنا أبو علي الفسّاني ، حدثنا النّمريُّ^(٦) ، حدثنا
ابن عبد المؤمن ، حدثنا أبو بكر التّمّار ، حدثنا أبو داود ، حدثنا محمد بن سلّمة ،
حدثنا ابن وهب ، عن ابن لهيعة ، وحيوة ، وسعيد بن أبي أيوب ، عن كعب^(٧)
ابن علقمة ، عن عبد الرحمن بن جبّير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص - أنه سمع

(١) هذا إشارة إلى ما في الصحيح من أنه صلى اللهُ عليه وسلم قال : سألت اللهُ عز وجل
ثلاث خصال ؛ فأعطاني ثنتين ، ومنعني واحدة ؛ سألتُه ألا يهلكنا بما أهلك به الأمم ، فأعطانيها ؛
وسألتُه ألا يظهر علينا عدوا من غيرنا ، فأعطانيها ؛ وسألتُه ألا يلبسنا شيئا - وفي رواية :
يذيق بعضنا بأس بعض ، فمنعها .

(٢) الفاقة : شدة الحاجة . والمراد به يوم القيامة .

(٣) المحن : جمع محنة ؛ وهي البلية المحيرة ؛ يعني هول الموقف ؛ إذ لا بلية بعده إلا النار .

(٤) بالوسيلة : حقيقة الوسيلة إلى الله مزاعاة سبيله بالعلم والعبادة ، وتحري مكارم الشريعة ،
والمراد بها منزلة عالية في الجنة . والدرجة الرفيعة : المنزلة . والفضيلة : من الفضل ضد
النقص .

(٥) في ١ : عليه . والمثبت في ب .

(٦) هو ابن عبد البر .

(٧) في ب : عن كعب ، عن عاقمة : قال القاري (١ - ٤٧٤) : والمثبت في الأصل هو

الصواب .

النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول (۱) : إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول (۲) ، ثم صلوا عليّ ؛ فإنه من صلى عليّ مرة صلى الله عليه عشرا ؛ ثم سلوا الله لي الوسيلة (۳) ؛ فإنها منزلة في الجنة لا تنبغى (۴) إلا لعبدين من عباد الله ؛ وأرجو أن أكون أنا هو . فمَنْ سأل الله لي الوسيلة حلت (۵) عليه الشفاعة .

وفي حديث آخر - عن أبي هريرة (۶) : الوسيلة أعلى درجة في الجنة .

وعن أنس (۷) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينا أنا أسير (۸) في الجنة إذ عرض لي نهرٌ حافتاه قباب (۹) اللؤلؤ .

قلت لجبريل : ما هذا ! قال : هذا الكوثر الذي أعطاكه الله . قال : ثم ضرب بيده إلى طينه ، فاستخرج مسكاً (۱۰) .

(۱) صحيح مسلم : ۲۸۸ ، وصحيح البخاري ۱ - ۱۵۰ ، وسنن أبي داود : ۱ - ۵۵ ، وسنن الترمذي : ۱ - ۴۰۷

(۲) قال في نسيم الرياض (۲ - ۳۹۳) : غير الحيملتين (حتى على الصلاة ، حتى على الفلاح) ؛ فإنه يقال عند سماعهما : لا حول ولا قوة إلا بالله . ويقول عند قوله : قد قامت الصلاة : أقامها الله وأدامها . وهذا الاستثناء الذي ذكره الحفاجي في حديث مسلم : ۲۸۹ ، وصحيح البخاري :

۱ - ۱۵۰

(۳) أي ادعوا الله أن يؤتيها فقولوا : اللهم آت محمدًا الوسيلة . وفي ب : اسألوا .

(۴) لا تنبغى : لا يليق إعطاؤها .

(۵) حلت عليه الشفاعة : وجبت . أو نزلت عليه . (۶) رواه الترمذي : ۱ - ۴۰۷

(۷) في حديث رواه البخاري : صحيح البخاري : ۶ - ۲۱۹

(۸) الظاهر أن سيره هذا كان منامًا . ويحتمل أن يكون يقظة في الإسراء (نسيم الرياض :

۲ - ۳۹۴) :

(۹) قباب : جمع قبة . وفي صحيح البخاري : حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفًا .

(۱۰) أي أخرج من قعره - ليعرفه بفضلته ، وأن طينه مسك . وفي ن : طينة ، طينة ،

وعليها ماء ، والمثبت في ۱ .

وعن عائشة وعبد الله بن عمرو مثله؛ قال: ونَجْرَاهُ^(١) على الدرِّ والياقوت ،
وماءؤه أحلى من العسل ، وأبيض من الثلج .

وفي رواية - عنه : فإذا هو يجرى ، ولم يشقَّ شقاً^(٢) ، عليه حوض تردُّ عليه
أمتي^(٣) . . . وذكر حديث الحوض .

ونحوه عن ابن عباس^(٤) .

وعن ابن عباس أيضاً ، قال : الكوثر^(٥) الخير الذي أعطاه الله إياه .

وقال سعيد بن جبير : والنهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله .

وعن حذيفة - فيما ذكر صلى الله عليه وسلم عن ربه : وأعطاني الكوثر ، وهو
نهر في الجنة ، يسيل في حوضي^(٦) .

وعن ابن عباس - في قوله تعالى^(٧) : ﴿ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ ؛

قال : ألف قصر من لؤلؤ تراهن المسك ، وفيه^(٨) ما يصلحهن .

وفي رواية أخرى : وفيه ما ينبغى^(٩) له من الأزواج والخدم .

(١) أى إن طينه مسك وحصاه الدر والياقوت .

(٢) أى لا يشق الأرض بشدة جريه ؛ وكذا سائر أنهار الجنة تجرى من غير أن تتخذ
أخدودا .

(٣) ترد عليه أمتي : يأتونه للشرب منه .

(٤) سيأتي .

(٥) لعل ابن عباس أراد بيان المعنى اللغوي للكوثر . (نسيم الرياض : ٢ - ٣٩٦) .

والحديث في صحيح البخارى : ٦ - ٢١٩ .

(٦) كان يفسره بالحوض ، لأن ماءه منه .

(٧) سورة الضحى ، آية ٥ (٨) وفيه : فى كل قصر .

(٩) ما ينبغى له : ما يناسبه ويليق به .

فصل

[في بيان شبهة ترد على ما تقدم]^(۱)

فإن قلت : إذا تقرر من دليل القرآن ، وصحيح الأثر ، وإجماع الأمة - كونه
أكرم^(۲) البشر ، وأفضل الأنبياء - فما معنى الأحاديث الواردة بنهيه عن^(۳) التفضيل ؟
كقوله^(۴) - فيما حدثنا الأسدي ؛ قال : حدثنا السمرقندي ، حدثنا الفارسي ،
حدثنا الجلودي ، حدثنا ابن سفيان ، حدثنا مسلم ، حدثنا ابن مثنى ، حدثنا محمد بن
جعفر ، حدثنا شعبة ، عن قتادة : سمعتُ أبا العالية يقول : حدثني ابن عمِّ نبيِّكم
صلى الله عليه وسلم - يعني ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال :
ما ينبغي^(۵) لعبدٍ أن يقول : أنا خيرٌ من يونس بن متى .

وفي غير هذا الطريق عن أبي هريرة [۷۷] قال - يعني رسول الله صلى الله
عليه وسلم : ما ينبغي لعبدٍ . . . الحديث .

وفي حديث أبي هريرة^(۶) - في اليهودي الذي قال : والذي اصطنى موسى على
البشر ؛ فلطمه رجلٌ من الأنصار ، وقال : تقولُ ذلك ورسولُ الله صلى الله عليه
وسلم بين أظهرنا^(۷) .

فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : لا تفضلوا بين الأنبياء .

(۱) من نسيم الرياض (۲ - ۳۹۷) . (۲) أكرم البشر : أشرف بني آدم .

(۳) عن التفضيل بين الأنبياء ، والناهية عن تفضيله عليهم .

(۴) في حديث رواه الشيخان ، ورواه المصنف من طريق مسلم (صحيح مسلم : ۱۸۴۶) .

(۵) ما ينبغي : ما يصح ، ولا يجوز .

(۶) الذي رواه الشيخان في رجل من الأنصار تنازع مع يهودي بالمدينة (صحيح مسلم : ۱۸۴۳) .

(۷) بين أظهرنا : أي مع وجود النبي صلى الله عليه وسلم بيننا ، وهو أفضل من موسى وغيره .

وفي رواية (١) : لا تخيروني على موسى - فذكر الحديث .
وفيه : ولا أقول : إن أحدا أفضل من يونس بن متى .
وعن أبي هريرة (٢) : مَنْ قَالَ : أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ .
وعن ابن مسعود : لا يقولنَّ أحدُكم أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى .
وفي حديثه الآخر (٣) : فجاءه صلى الله عليه وسلم رجل ، فقال له : يا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ (٤) ؛
فقال : ذاك إبراهيم
فاعلم (٥) أن للعلماء في هذه الأحاديث تأويلات :
أحدها - أن نهيته عن التفضيل كان قبيل أن يعلم أنه سيد ولد آدم ؛ فنهي
عن التفضيل ؛ إذ يحتاج إلى توقيف (٦) ؛ وأن من فضل بلا علم فقد كذب .
وكذلك قوله : لا أقول إن أحدا أفضل منه (٧) - لا يقتضى تفضيلاً هو ؛ وإنما
هو في الظاهر كف (٨) عن التفضيل .
الوجه الثاني - أنه قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ، ونفى التكبر
والعجب (٩) ؛ وهذا (١٠) لا يسلم من الاعتراض .

-
- (١) وهذه الرواية في الصحيحين ، وصن أبو داود ، والنسائي (صحيح مسلم : ١٨٤٤) .
(٢) في حديث رواه البخاري .
(٣) أي حديث ابن مسعود الذي رواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذي (صحيح مسلم : ١٨٣٩) .
(٤) البرية : الخلق كلهم .
(٥) فاعلم - جواب الشرط في قوله أول الفصل : فإن قلت . . . وهو شروع من المصنف
في تحقيق المسألة والجمع بين الأحاديث المتعارضة في التفضيل وعدمه .
(٦) توقيف : إعلام به من الله وسماع وإذن فيه .
(٧) أفضل منه : من يونس .
(٨) كف : امتناع ، أو منع لغيره .
(٩) العجب : أي عجبه وخيلاؤه بنفسه ومدحه لها . والتواضع : لين الجانب ، وخفض
جناحه لغيره .
(١٠) وهذا الجواب .

الوجه الثالث : أَلَّا يُفَضَّلَ بَيْنَهُمْ تَفْضِيلاً يُؤَدِّي إِلَى تَنْقُصٍ ^(۱) بَعْضِهِمْ ،
 أَوْ الْغَضِّ ^(۲) مَعَهُ ، لِأَسْمَاءٍ فِي جِهَةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ إِذَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا أَخْبَرَ ^(۳)
 لثَلَا يَقَعَ فِي نَفْسٍ مَنْ لَا يَعْلَمُ ^(۴) مِنْهُ بِذَلِكَ غَضَاضَةً ^(۵) وَانْحِطَاطًا مِنْ رُتْبَتِهِ الرَّفِيعَةِ ؛
 إِذَا قَالَ تَعَالَى عَنْهُ ^(۶) : ﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴾ . ﴿ إِذْ ^(۷) ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ
 أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ . فَرَبَّمَا يُخَيَّلُ لِمَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ حَاطِطَتَهُ ^(۸) ، بِذَلِكَ .
 الوجه الرابع - مَنَعُ التَّفْضِيلِ فِي حَقِّ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ ^(۹) ؛ فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ فِيهَا ^(۱۰)
 عَلَى حَدِّ وَاحِدٍ ؛ إِذْ هِيَ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا يَتَفَاضَلُ ؛ وَإِنَّمَا التَّفَاضُلُ فِي زِيَادَةِ الْأَحْوَالِ
 وَالْخُصُوصِ ، وَالْكَرَامَاتِ ، وَالرُّتْبِ ، وَالْأَلْطَافِ ^(۱۱) ؛ وَأَمَّا النُّبُوَّةُ فِي نَفْسِهَا فَلَا
 تَتَفَاضَلُ ؛ وَإِنَّمَا التَّفَاضُلُ بِأُمُورٍ أُخْرَ زَائِدَةٌ عَلَيْهَا ؛ وَلِذَلِكَ مِنْهُمْ رُسُلٌ ، وَمِنْهُمْ أَوْلُو
 عَزْمٍ ^(۱۲) مِنَ الرُّسُلِ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ رُفِعَ مَكَانًا عَلَيَّا ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ أُوْتِيَ الْحُكْمَ

(۱) تنقص : وصفهم بما فيه نقص لهم وذم .

(۲) الغض منه : الغض : النقص والعيب .

(۳) أخبر عنه في قوله تعالى : « ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم » .

(۴) من لا يعلم منه : من يونس وماقص من قصته .

(۵) غضاضة : نقص وحقارة يتوهما من لا علم عنده .

(۶) سورة الصافات ، آية ۱۴۰ . وأبق إلى الفلك المشحون : خرج إلى سفينة مملوءة بما

فيها من الناس والمتاع . والإباق : هروب العبد من سيده ، أطلق على يونس إذ خرج بغير

إذن ربه .

(۷) سورة الأنبياء ، آية ۸۷ : مغاضبا لقومه لما لم يجيبوا دعوته . لن نقدر عليه : لن نريد عقوبته .

(۸) حطيطته : نقصه ، ونزول مقامه عن مقام غيره من الرسل .

(۹) في حق النبوة والرسالة نفسها لا الأنبياء والرسل . (۱۰) فيها : في النبوة .

(۱۱) الأحوال : العوارض الطارئة عليها . والخصوص : أي ماخص به بعضهم دون بعض .

والألطاف : العطايا التي أعطها الله بعضهم .

(۱۲) العزم : القوة والشدة والتصميم على تنفيذ ما يراه أولى به وبغيره .

صَبِيًّا^(١)؛ وَأُوتِيَ بَعْضُهُمُ الزُّبُرَ، وَبَعْضُهُمُ الْبَيِّنَاتِ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ؛ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضِ دَرَجَاتٍ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى^(٢) : ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ .

وَقَالَ^(٣) : ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ .

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ : وَالتَّفْضِيلُ الْمُرَادُ لِمَ هُنَا فِي الدُّنْيَا؛ وَذَلِكَ بِثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ :
أَنْ تَكُونَ آيَاتُهُ وَمُعْجَزَاتُهُ أَبْهَرَ^(٤) ، وَأَشْهَرَ؛ أَوْ تَكُونَ أُمَّتُهُ أَزْكَى^(٥)
وَأَكْثَرَ؛ أَوْ يَكُونَ فِي ذَاتِهِ أَفْضَلَ وَأَطْهَرَ^(٦) ، وَفَضْلُهُ فِي ذَاتِهِ رَاجِعٌ إِلَى مَا خَصَّهُ
اللَّهُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ ، وَاخْتِصَاصِهِ مِنْ كَلَامٍ أَوْ خَلَّةٍ أَوْ رُؤْيَا أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ
الطَّافَةِ^(٧) ، وَتُحَفِّ وَلايَتِهِ ، وَاخْتِصَاصِهِ .

وَقَدِ رَوَى^(٨) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ لِلنَّبِوَةِ أَثْقَالَ^(٩)؛ وَإِنْ يُونُسَ
تَفْسَخَ مِنْهَا تَفْسُخَ الرَّبِيعِ^(١٠)؛ فَحَفِظَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْضِعَ الْفِتْنَةِ^(١١)،

(١) هُوَ يَحْيَى ، أَوْ عِيسَى . (٢) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ، آيَةٌ ٥٥

(٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، آيَةٌ ٢٥٣ (٤) أَبْهَرَ : أَقْوَى وَأَغْلَبَ .

(٥) أَزْكَى : أَنْقَى ، وَأَطْهَرَ . (٦) فِي ١ : وَأَطْهَرَ .

(٧) الطَّافَةُ : الْإِلْطَافُ : الْعَطَايَا .

(٨) وَهَذَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ - وَهُوَ رَجُوعٌ إِلَى تَنْزِيهِ يُونُسَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ عَمَّا ذَكَرَ مِنَ الْأَوْهَامِ .

(٩) أَثْقَالًا : أَحْمَالًا ثَقِيلَةً ، أَيْ تَكَالِيفَ مَثْقَلَةً .

(١٠) تَفْسَخَ : أَيْ تَقَطَّعَتْ أَعْضَاؤُهُ ، وَتَفْسَكَتْ ، لِعَدَمِ طَاقَتِهِ بِحَمْلِهَا . أَوْ انْسَلَخَ مِنْهَا
وَتَجَرَّدَ عَنْهَا . وَالرَّبِيعُ : الْفَصِيلُ ؛ أَيْ وَلَدُ النَّاقَةِ الصَّغِيرِ الَّذِي يُولَدُ فِي الرَّبِيعِ . وَالْمُرَادُ أَنَّهُ لَمْ يَطَّقْ
مَشَاقِبَهَا ، وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَيْهَا .

(١١) مَوْضِعَ الْفِتْنَةِ : أَيْ مَا يَقَعُ النَّاسُ بِسَبَبِهِ فِي فِتْنَةٍ وَأَمْرٍ مَحْذُورٍ ؛ مِنْ تَقْيِصِ الْأَنْبِيَاءِ
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، فَحَفِظَ رَسُولُ اللَّهِ بِنَهْيِهِ عَنِ التَّفْضِيلِ بَيْنَهُمْ .

مِنْ أَوْهَامٍ مَنْ يَسْبِقُ إِلَيْهِ بِسَبَبِهَا حَرَجٌ فِي نُبُوَّتِهِ^(١) ، أَوْ قَدَحٌ فِي اصْطِفَائِهِ^(٢) ،
وَحَطٌّ عَنْ رُتْبَتِهِ ، وَوَهْنٌ فِي عَصْمَتِهِ^(٣) ، شَفَقَةٌ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ^(٤) .
وَقَدْ يَتَوَجَّهُ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ^(٥) ، وَجَهٌ [٧٨] خَامِسٌ ؛ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ « أَنَا »
رَاجِعًا إِلَى الْقَائِلِ نَفْسِهِ ؛ أَيْ لَا يَظُنُّ أَحَدٌ - وَإِنْ بَلَغَ مِنَ الذِّكَاةِ وَالْعِصْمَةِ وَالطَّهَارَةِ^(٦) ،
مَا بَلَغَ - أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ ، لِأَجْلِ مَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُ^(٧) ؛ فَإِنَّ دَرَجَةَ النُّبُوَّةِ
أَفْضَلُ وَأَعْلَى ، وَإِنَّ تِلْكَ الْأَقْدَارَ لَمْ تَحْطَهُ^(٨) ، عَنْهَا حَبَّةٌ خَرَدَلٍ وَلَا أُدْنَى .

وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا إن شاء الله تعالى .

فقد بان لك الغرض ، وسقط بما حررناه شبهة المعتبر ؛ [وباللغة التوضيح ،
وهو المستعان لا إله إلا هو]^(٩) .

(١) أي صانه مما يتوهم من يسبق إليه - بسبب الفتنه ، أو بسبب قصة يونس - حرج ؛
أي ذكر ما لا يليق بمقام النبوة مما يقتضى عدم العصمة .

(٢) قدح : القدح : ذكر المعاييب والنقائص . والاصطفاء : الاختيار ، والتفضيل .

(٣) الحط : تنزيل له من علو مقامه . والوهن : الضعف . أي عد عصمته فيها ضعفا لما توهمه
من ظاهر قصته السابقة ؛ فلذا نهام النبي صلى الله عليه وسلم عن تفضيله عليه فضلا عن تنقيصه ؛
لتساويهم في حقيقة النبوة وإن تفاوتت أحوالهم وصفاتهم .

(٤) خوفا أن يقع منهم ما لا يليق بمقام النبوة ، فيكون منهم وزر يستحقون به سوء العاقبة
بسخط الله تعالى وعقابه .

(٥) على هذا الترتيب : على ما رتبناه من الاختصاص بأمر أكرم الله تعالى بها .

(٦) العصمة : الحفظ من الذنوب . والطهارة : البراءة من الأوزار .

(٧) ما حكى الله عنه : ما قصه في قصته من لومه على تضجره وعدم صبره على قومه ، لنمادهم

في غيهم وعدم إجابتهم دعوته للإيمان .

(٨) الأقدار : جمع قدر ؛ أي ما قدره الله عليهم لحكمة باهرة . لم تحطه : لم تنزل

يونس عن درجته .

(٩) ليس في ا .

فصل

في أسمائه^(۱) : صلى الله عليه وسلم ، وما تضمنته من فضيلته

حدثنا أبو عمران موسى بن أبي تليد الفقيه ؛ قال : حدثنا أبو عمر^(۲) الحافظ ،
حدثنا سعيد بن نصر ، حدثنا قاسم بن أصبغ ، حدثنا محمد بن وضاح ، حدثنا يحيى ،
حدثنا مالك ، عن ابن شهاب ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ؛ قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : لي خمسة^(۳) ، أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي ،
الذي يمحو الله بي الكفر^(۴) ، وأنا الحاشير الذي يحشر الناس على قدمي^(۵) ،
وأنا العاقب^(۶) .

وقد سماه الله تعالى في كتابه محمداً ، وأحمد^(۷) .

(۱) كان الفصل المتقدم في فضائله ؛ ولما كانت أسماءه صلى الله عليه وسلم دالة على فضائله
أيضاً ذكرها عقبه .

(۲) هو ابن عبد البر .

(۳) في نسيم الرياض (۲ - ۴۰۷) : قال السيوطي في كتاب الرياض الأنيقة في أسماء
خير الخليفة : إنه قبل أن يطلعه الله تعالى على بقية أسمائه . وقال المصنف فيما يأتي : قيل إنها
موجودة في الكتب القديمة وعن الأمم السالفة .

ورد بأن فيها أكثر ؛ فالحق أن مفهوم العدد غير معتبر ؛ فلا يفيد الحصر . وقيل : المراد
خسة سماني بهاربي ، وبقايا أوصاف .

(۴) يمحو بي الكفر : يزيله ، وقيل : يمحو به سيئات من تبعه .

(۵) على قدمي : يحشرون على أثرى .

(۶) وأنا العاقب : وأنا الآتي عقب الأنبياء عليهم السلام . وفي صحيح مسلم : العاقب :
الذي ليس بعده نبي . وحديث أسمائه في صحيح مسلم : ۱۸۲۸ ، وصحيح البخاري : ۴-۲۲۵

(۷) كتابه : هو القرآن . فقال : « ما كان عهد أباً أحد من رجالكم » ؛ وقال : « يأتي
من بعدى اسمه أحمد » .

فمن خصائصه تعالى له أن ضمّن أسماءه ثناءه ؛ وطوّى^(۱) أثناء ذِكْرِهِ عَظِيمٍ
شُكْرِهِ .

فأما اسمُه أحمد فأفعل مبالغةً مِنْ صِفَةِ الْحَمْدِ .

ومحمد : مفعَلٌ ، مبالغة من كثرة الحمد ؛ فهو - صلى الله عليه وسلم - أجلُّ
مَنْ حَمِدَ ، وأفضل مَنْ حَمِدَ ، وأكثرُ الناسِ حَمْدًا ؛ فهو أَحْمَدُ المَحمُودين ، وَأَحْمَدُ
الْحامِدِينَ ، ومعه لواء الحمد^(۲) يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَمَّ لَهُ كَالْحَمْدِ ، وَيَتَشَهَّرُ^(۳) فِي تِلْكَ
الْعَرَصَاتِ^(۴) بِصِفَةِ الْحَمْدِ ، وَيَبْعَثُهُ رَبُّهُ هُنَاكَ^(۵) مَقَامًا مَحْمُودًا كَمَا وَعَدَهُ^(۶) ؛ يَحْمَدُهُ
فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ بِشَفَاعَتِهِ لَهُمْ ، وَيُفْتَحُ عَلَيْهِ فِيهِ^(۷) مِنَ الْحَمْدِ - كَمَا قَالَ

(۱) طوى : كتم وأخفى . والمراد أخفى داخل ذكر النبي ؛ أى فى أسمائه التى سماه بها
شكره العظيم . وفى ب : فطوى .

(۲) اللواء : علم الجيش ، وهو أكبر من الراية : أى إنه تحت أمره أو فى قبضته ، وهذا
يحتمل أنه على حقيقته ؛ ليعلم أنه صلى الله عليه وسلم نال هذه للرتبة بتفوقه على كل مخلوق فى
كونه حامداً محموداً . ومعنى لواء الحمد أنه لواء يتبعه كل حامد ومحمود ؛ ويعلم ذلك بإلهام الله ،
أو بنداى الملائكة .

ويحتمل أنه تمثيل لشهرته صلى الله عليه وسلم فى أهل الموقف .

قال فى نسيم الرياض (۲ - ۴۱۰) : وعدم التأويل أسلم .

وانظر الهامش السابق .

(۳) هذا الضبط فى ا . وفى ب : ضبط بفتح الياء ، وضمها ، وكتب عليه « معا » .

(۴) العرصات : جمع عرصة ؛ وعرصة الدار : ساحتها . والمراد أرض الموقف والمحشر .

(۵) هناك : فى العرصات .

(۶) كما وعده فى قوله تعالى : « عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » .

(۷) فيه : فى ذلك المقام .

صلى الله عليه وسلم - ما لم يُعْطَ غيره ، وسمي أُمَّتَهُ في كتب أنبيائه بالحمدادين (۱) ؛
فحقيق أن يسمى محمداً واحداً (۲) .

ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه ، وبدائع آياته - فن (۳) آخر ؛ وهو
أن الله جل اسمه حمى (۴) أن يسمى بهما أحداً قبل زمانه (۵) .

أما أحمد الذي أتى في الكتب وبشّرت به الأنبياء فمنع الله تعالى بحكمته أن
يسمى به أحداً غيره ، ولا يدعى (۶) به مدعوياً قبله حتى لا يدخل لبسٌ على ضعيفِ
القلب (۷) أو شك .

وكذلك محمد أيضاً لم يُسمَّ به أحدٌ من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل
وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده أن نبياً يُبعثُ اسمه محمد ؛ فسُمي قومٌ قليلٌ من
العرب أبناءهم بذلك ؛ رجاء أن يكون أحدهم هو . والله أعلم حيثُ يحملُ رسالاته ؛
وهم : محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسى ، ومحمد بن مسلمة الأنصارى ، ومحمد

(۱) بالحمدادين : اللبائين في الحمد . كما في حديث الدارمي عن كعب يحكى عن التوراة ؛
قال : نجد مكتوباً فيها : محمد رسول الله ، عبدى المختار ، لافظ ولا غليظ وأمه
الحمدون يحمدون الله في السراء والضراء ، يحمدون الله في كل منزل ، ويكبرونه على كل شرف ،
رعاة للشمس ، يصلون الصلاة إذا جاء وقتها (شرح القارى : ۱ - ۴۸۷) .

(۲) خليق : جدير ، وذلك لأنه إذا حمد بما لم يحمده غيره ، وجمده الأولون والآخرون ،
وكرر حمد أمته كان جديراً بذلك .

(۳) فن آخر : نوع آخر ، غير ما تقدم .

(۴) حمى : منع ، وصان ، وحفظ .

(۵) ليعلم إذا سمى بها أنه النبي الموعود به .

(۶) يدعى : يسمى .

(۷) لبس : التباس واشتباه ، لعدم تمييزه . وضعيف القلب : من لا عقل له تام ، ورأى

حائب ونظر مفرق بين الحق والباطل ؛ فيتردد في صدق مدعى النبوة بمجرد شيء سبق له .

ابن براء^(۱) البكري ، ومحمد بن سفيان بن مجاشع ، ومحمد بن حمران الجعفي ، ومحمد
ابن خزاعي السلمي ، لا سابع^(۲) لهم .

ويقال : أول من تسمى بمحمد محمد بن سفيان ، واليمن تقول : بل محمد بن اليحمد^(۳)
من الأزد .

ثم حذى الله كل من تسمى به^(۴) أن يدعى النبوة أو يدعيها أحد له ، أو يظهر
عليه سب يشكك أحداً في أمره^(۵) حتى تحققت السماتان^(۶) له صلى الله عليه وسلم ،
ولم ينازع فيهما .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر فمسر
في الحديث : ويكون محو الكفر إما من مكة^(۷) وبلاد العرب ؛ وما زوى^(۸) له
من الأرض ، ووعد أنه يبلغه ملك أمته ؛ أو يكون المحو عاماً ، بمعنى الظهور
والغلبة ؛ كما [۷۹] قال تعالى^(۹) : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ .
[وقد ورد تفسيره في الحديث أنه الذي بحيث به سيئات من اتبعه]^(۱۰) .

(۱) في شرح القاري (۱ - ۴۸۸) : محمد بن بداء - بياء موحدة ، فراء ممدودة . أو
هو ابن بداء - بياء موحدة مفتوحة ، وتشديد دال مهمله بعدها ألف ممدودة .
(۲) قال في نسيم الرياض (۲ - ۴۱۴) : وفي سيرة منطلأي زاد تسعة أو ثمانية . وسيأتي
كلام في هذا العدد بعد قليل .

(۳) ضبطت الميم في ا بالفتح ، وفي ب : بالضم .

(۴) في ا : من تسمى بمحمد

(۵) أي شيء في ذاته يكون سبباً موقفاً للناس في شك أنه النبي الموعود .

(۶) السماتان : أي الصفتان اللتان هما المحمدية والاحمدية .

(۷) من مكة : بعد الفتح ؛ إذ أظهره الله تعالى عليهم ، ولم يبق بها منه عين ولا أثر .

(۸) زوى : جمع . (۹) سورة التوبة ، آية ۳۳

(۱۰) ما بين القوسين كتب أمامه في ا ، ب : من الأم ، من غير الرواية .

وروي هذا التفسير الذي ذكره المصنف للماحي - الحاكم في مستدركه ، وأبونعيم ، والبيهقي .

وقوله : وأنا الخاشيرُ الذي يُحْشَرُ الناسُ على قَدَمِي ؛ أي على زَمَانِي ^(۱) وَعَهْدِي ؛
أي ليس بعْدِي نبيٌّ ، كما قال : وخاتم النبیین .

وسُمِّي عاقِباً ؛ لأنه عَقَبَ ^(۲) غَيْرَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ .

[وفي الصحيح : أنا العاقِبُ الذي ليس بعدي نبيٌّ] ^(۳) .

وقيل : معنى على قَدَمِي ؛ أي يُحْشَرُ الناسُ بِمُشَاهَدَتِي ^(۴) ؛ كما قال تعالى ^(۵) :

﴿ لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .

[وقيل على قَدَمِي : على سَابِقَتِي ؛ قال الله تعالى ^(۶) : ﴿ أَنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ صِدْقٌ

عند رَبِّهِمْ ﴾ .

وقيل : على قَدَمِي : أي قُدَّامِي ، وحوَالِي ؛ أي يجتمعون إلى يوم القيامة .

وقيل : على قَدَمِي : على سُنَّتِي] ^(۷) .

ومعنى قوله : لي خمسة أسماء : قيل : إنها موجودةٌ في الكتب المتقدمة ، وعند

أولى العِلْمِ مِنَ الْأُمَّمِ السَّالِفَةِ ، [والله أعلم] ^(۸) .

— وقال ابن حجر في شرح الشرائع : معناه أن من آمن به صلى الله عليه وسلم يمحي ذنب كفره ،
وما عمله فيه ؛ قال الله تعالى : « قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف » . وفي
الحديث : الإسلام يجب ما قبله ؛ أي يهدم ما قبله . (نسيم الرياض : ۲ - ۴۱۶) .

(۱) قال السيوطي : حشر الناس في زمان نبوته ؛ لأن ملته باقية ، لا تنسخ ، وليس بمدتها
شرع آخر .

(۲) عقب غيره من الأنبياء : خلفهم في الخير . أو العاقب : الآخر ، يعني أنه لا نبي بعده . وسيأتي .

(۳) ما بين القوسين ليس في ۱ ، وهو في هامش ب ، وعليه علامة الصحة .

(۴) بمشاهدتي : أي بقربي ، ومعنى ، برأي مني .

(۵) سورة البقرة ، آية ۱۴۳ (۶) سورة يونس ، آية ۲

(۷) ما بين القوسين ليس في ب .

(۸) ليس في ۱ .

وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم^(١) : لى عشرة أسماء ، وذكر منها : طه ،
ويس ؛ حكاه مكّي .

وقد قيل فى بعض تفسير طه : إنه^(٢) يا طاهر ، يا هادى وفى يس : ياسيد ؛ حكاه
السلمى عن الواسطى ، وجعفر بن محمد .

وذكر غيره : لى عشرة أسماء ؛ فذكر الخمسة التى فى الحديث الأول ؛ قال^(٣) :
وأنا رسول الرحمة ، ورسول الراحة ، ورسول الملاحم^(٤) ، وأنا المقتنى ؛ قفيت^(٥)
النبين .

وأنا قيم ؛ والقيم : الجامع الكامل^(٦) ؛ كذا وجدته^(٧) ، ولم أره^(٨) .
وأرى أن صوابه قيم - بالثاء^(٩) كما ذكرناه بعد عن الحربى ؛ وهو أشبه بالتفسير .

(١) فى حديث رواه أبو نعيم فى الدلائل (١-٦٨) ، وابن مردويه فى تفسيره ، من طريق
أبي يحيى التيمى . قال القارى (١ - ٤٩٠) : وهو وضاع .

(٢) أى الطاء من كلمة « طاهر » ، والهاء من كله : « هادى » .
(٣) وهذا رواه البيهقى مسندا .

(٤) الملاحم : جمع ملحمة ؛ وهى الحرب والقتال ، سميت بذلك لالتحام الناس فيها ؛ أى
ازدحامهم فيها ؛ لأنه - صلى الله عليه وسلم أرسل بالسيف ، وأمر بالجهاد .

(٥) قفيت : تبعت ، والمراد أنه خاتمهم .

(٦) أى الجامع لمكارم الأخلاق الكامل فيها . أو الجامع لشمل الناس بتأليفه بينهم وجمع
شأنهم ؛ لأن القيم يكون بمعنى السيد ، لقيامه بأمر الناس وأمر الدين .

(٧) كذا وجدته : أى تسميته صلى الله عليه وسلم بالقيم .

(٨) وقد رواه الديلمى فى مسند الفردوس ، وفى النهاية لابن الأثير حديث : أتانى ملك

فقال : أنت قيم ، وخلقك قيم ؛ أى حسن مستقيم .

(٩) فى نسيم الرياض (٢ - ٤٢١) : فى اشتقاقه معنيان : أحدهما من القم ؛ وهو

الإعطاء ، فسمى رسول صلى الله عليه وسلم بذلك لجوده وعطائه . والثانى من القم ؛ وهو
الجمع ؛ وقد كان صلى الله عليه وسلم جامعا للفضائل .

وقد وقع أيضا في كتب الأنبياء؛ قال داود عليه السلام: اللهم ابعث لنا محمدا
مُقيمَ السنة بعد الفِترَةِ (١)؛ فقد يكون القِيمُ بمعناه (٢).

وروى النقاش عنه صلى الله عليه وسلم: لي في القرآن سبعة أسماء: محمد، وأحمد،
ويس، وطه، والمدثر، والمزمل، وعبد الله.

[وفي حديث - عن جبير بن مطعم رضى الله عنه: هي (٣) ست: محمد، وأحمد،
وخاتم، وعاقب، وحاشر، ومآح (٤)] (٥).

وفي حديث أبي موسى الأشعري (٦) - أنه كان صلى الله عليه وسلم يُسمي لنا
نفسه أسماء، فيقول: أنا محمد، وأحمد، والمُتقى، ونبي التوبة، ونبي المَلْحَمَةِ، ونبي
الرحمة (٧).

ويروى: المَرْحَمَةُ، والراحة (٨).

وكلُّ صحيح إن شاء الله.

ومعنى المُتقى معنى العاقب (٩).

(١) السنة: الطريقة الشرعية، والدين. والفِترَةُ: انقطاع الوحي والرسول، أو الفِترَةُ
في الطاعة. وضمير «نا» للناس.

(٢) بمعناه: أي بمعنى المقيم للسنة، أو بمعنى القِيم.

(٣) هي: أي أسماؤه.

(٤) سبقت معانيها: صفحة ٣١١، ٣١٥.

(٥) ما بين القوسين ليس في أ، وهو في هامش ب، وعليه علامة الصحة.

(٦) الحديث في صحيح مسلم: ١٨٢٨.

(٧) في أ: ونبي المرحمة والرحمة. والمثبت في صحيح مسلم: ١٨٢٩.

(٨) في ب: ويروى: المرحمة، والراحة، والرحمة.

(٩) قال في نسيم الرياض (٢-٤٢٣): الأولى تفسير كل منها بمعنى؛ هربا من التكرار؛

فمعنى المُتقى: التابع لهدى النبيين ومنهم. والعاقب: الخاتم لباب النبوة والرسالة.

وأما نبي الرحمة والتوبة ، والمرحمة والراحة - فقال تعالى (۱) : ﴿ وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ، وكما وصفه بأنه يُزَكِّيهِمْ (۲) وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ . وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (۳) . و ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (۴) رَهَوفٌ رَحِيمٌ .
وقال في صفة (۵) أُمَّتِهِ : إِنَّهَا أُمَّةٌ مَّرْحُومَةٌ (۶) .

وقال الله تعالى فيهم (۷) : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ﴾ ؛ أَي يَرْحَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ؛ فبِعِثَةِ رَبِّهِ تَعَالَى رَحْمَةً لِأُمَّتِهِ ، وَرَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ، وَرَحِيمًا بِهِمْ ، وَمُتَرَحِّمًا وَمُسْتَغْفِرًا لَهُمْ ، وَجَعَلَ أُمَّتَهُ أُمَّةً مَّرْحُومَةً ، وَوَصَفَهَا بِالرَّحْمَةِ .
وأمرها (۸) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرَّاحِمِ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ (۹) : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مِنَ عِبَادِهِ الرَّحِيمَةَ .

وقال (۱۰) : الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ . ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ (۱۱) مَنْ فِي السَّمَاءِ .

وأما رواية نبي المَلْحَمَةِ فإشارةٌ إِلَى مَا بُعِثَ بِهِ مِنَ الْقِتَالِ وَالسَّيْفِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَهِيَ (۱۲) صَحِيحَةٌ .

(۱) سورة الأنبياء ، آية ۱۰۷

(۲) يزكيهم : يطهرهم من الأخلاق الذميمة والآثام المدنسة . والكتاب : القرآن . الحكمة : العلوم النافعة ، والعقائد الحقّة ، وإصابة الحق قولاً وفعلاً .

(۳) يهديهم : يدهم . الصراط المستقيم : الطريق الذي لا عوج فيه .

(۴) سورة التوبة ، آية ۱۲۸ (۵) القائل هو الرسول .

(۶) مرحومة : في الدنيا والآخرة ، في الحياة والممات .

(۷) سورة البلد ، آية ۱۷ (۸) وأمرها : أي أمر الأمة .

(۹) في نسيم الرياض (۲ - ۴۲۴) : حديث صحيح مشهور . والحديث في صحيح

مسلم : ۶۳۶ ، وصحيح البخاري : ۲ - ۹۶ (۱۰) سنن الترمذي : ۴ - ۳۲۴

(۱۱) ضبطت الميم في « يرحمكم » بالضمّة والسكون وكتب فوقها « مما » .

(۱۲) أي الرواية .

وَرَوَى حُدَيْبَةُ مِثْلَ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى ، وَفِيهِ : وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ ؛ وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ ، وَنَبِيُّ الْمَلَأَمِ .

وَرَوَى ^(١) الْحَرْبِيُّ فِي حَدِيثِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : أَتَانِي مَلَكٌ فَقَالَ لِي : أَنْتَ قَوْمٌ ؛ أَيُّ مُجْتَمِعٍ ^(٢) قَالَ : وَالْقَوْمُ : الْجَامِعُ لِلْخَيْرِ ؛ وَهَذَا اسْمٌ هُوَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ مَعْلُومٌ .

وَقَدْ جَاءَتْ مِنْ أَلْقَابِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسِمَاتُهُ ^(٤) فِي الْقُرْآنِ عِدَّةٌ كَثِيرَةٌ سِوَى مَا ذَكَرْنَاهُ ؛ كَالنُّورِ ، وَالسِّرَاجِ الْمُنِيرِ ^(٥) ، وَالْمُنْذِرِ ، وَالنَّذِيرِ ^(٦) ، وَالْمُبَشِّرِ ، وَالْبَشِيرِ ، وَالشَّاهِدِ ، وَالشَّهِيدِ ^(٧) ، وَالْحَقُّ الْمُبِينِ ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ^(٨) ، وَالرَّءُوفِ الرَّحِيمِ ، وَالْأَمِينِ ، وَقَدَّمَ الصَّدَقُ [٨٠] ، وَرَحْمَةُ الْعَالَمِينَ ^(٩) ، وَنِعْمَةُ اللَّهِ ، وَالْعُرْوَةُ الْوَثْقَى ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمَ ^(١٠) ، وَالنَّجْمِ الثَّاقِبِ ، وَالكَرِيمِ ، وَالنَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ،

(١) رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الدَّلَائِلِ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ مَيْسَرَةَ . وَفِي هَامِشِ ب ، أ : وَقِيلَ هُوَ مُتَشَقِّقٌ مِنَ الْقَوْمِ ، وَهُوَ الْإِعْطَاءُ ، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَجُودَ بِالْحَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْهَابَةِ (مِنْ كَشْفِ الْمَشْكَلِ لِابْنِ الْجَوْزِيِّ) . (٢) مُجْتَمِعٌ : أَيُّ مَجْمُوعٍ فِيكَ كُلِّ كَمَالٍ وَخَيْرٍ .

(٣) أَيُّ سَمِيٍّ بِهِ غَيْرُهُ . وَهُوَ قَوْمُ بَنِي الْعَبَّاسِ . وَقَوْمُ عَمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٤) سِمَاتُهُ : صِفَاتُهُ .

(٥) فِي الْقُرْآنِ (الْمَائِدَةُ : ١٥) : « قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ » . وَفِيهِ (الْفُرْقَانُ : ٦١) : « وَسِرَاجًا مُنِيرًا » .

(٦) قَالَ تَعَالَى : « إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ » . وَقَالَ تَعَالَى : « إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ » .

(٧) قَالَ تَعَالَى : « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا » . وَقَالَ تَعَالَى : « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا » . وَقَالَ : « يَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » .

(٨) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « حَقِّقْ جَاءَهُمُ الْحَقُّ ، وَرَسُولٌ مُبِينٌ » . وَقَالَ : « وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ » .

(٩) قَالَ تَعَالَى : « مَطَاعٌ ثُمَّ أَمِينٌ » . وَقَالَ : « وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ » . وَقَالَ : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » .

(١٠) قَالَ تَعَالَى : « بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا » . وَقَالَ : « فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوَثْقَى » . وَقَالَ : « أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ » .

وداعی اللہ^(۱) - فی أوصافٍ كثيرةٍ، وسماتٍ جليلةٍ^(۲) .

وجرى منها في كتب الله المتقدمة، وكتب أنبيائه، وأحاديث رسوله، وإطلاق الأمة جملة شافية؛ كتسميته بالمُصْطَفَى، والمُجْتَبَى^(۳)، وأبي القاسم، والحبيب، ورسول رب العالمين، والشفيع المُشْفَع، والمُتَّقِي، والمُصْلِح، والطاهر، والمُهَيَّمِن، والصادق، والمُصْذوق، والهادي، وسيدِ وَاَدِ آدَم، وسيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الفرَّ المُحَجَّلِينَ^(۴)، وحبيب الله، و خليل الرحمن، وصاحب الحَوْضِ^(۵) المورود، والشفاعة، والمقام المحمود، وصاحب الوسيلة^(۶) والفضيلة والدرجة الرفيعة، وصاحب التاج^(۷)، والمِمْرَاج، واللواء، والقضيب^(۸)، وراكب البراق، والناقة، والنَّجِيب^(۹)، وصاحب الحجة والسلطان، والخاتم، والعلامة والبرهان، وصاحب الهراوة والنعلين^(۱۰) .

(۱) قال تعالى: « والنجم الثاقب » . وقال: « وبالنجم هم يهتدون » . وقال: « إنه لقول

رسول كريم » . وقال: « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي » . وقال: « داعيا إلى الله بإذنه » .

(۲) أي ورد ما ذكر في القرآن والآثار من صفات أخر كثيرة أطلقت عليه كإطلاق

(۳) المجتبي : المختار .

الاسم على مسماه .

(۴) الفر : جمع أفر ، مطلق بياض الوجه . والتحجيل : بياض في القوائم .

(۵) قال السيوطي : حديث الحوض مروى عن أكثر من خمسين صحابيا .

(۶) الوسيلة : السبب الموصل لأمر عظيم ، سمي به ؛ لأنه سبب لكل خير .

(۷) قيل المراد بالتاج هنا العمامة . والعمائم : تيجان العرب ، فكفى به عن أنه من صميم

العرب وأشرفهم حسبا ونسبا .

(۸) صاحب اللواء : المراد : لواء الحمد الذي تقدم . أو اللواء الذي كان يعقده صلى الله

عليه وسلم للحرب ، فهو كناية عن القتال . والقضيب : السيف ، كناية عن جهاده وكثرة قتاله .

(۹) ركب الناقة في حجة الوداع . والنجيب : الجمل ؛ كناية عن تواضعه . أو لهجرته

عليه ، أو كونه من صميم العرب .

(۱۰) والعلامة : علامة النبوة ، وهي الخاتم أيضا . الهراوة : العصا . قال ابن الأثير : سمي بذلك

لأنه - صلى الله عليه وسلم - كان يمسك بيده القضيب ، ويمشى بالعصا بين يديه ، وتفرزه ليصلى إليها .

ومن أسمائه في الكتب (١) : المتوكل ، والمختار (٢) ، ومقيم السنة (٣) ،
والمقدس (٤) ، [وروح القدس] (٥) ، وروح الحق ؛ وهو معنى البارقليط في الإنجيل .
وقال ثعلب : البارقليط : الذي يفرق بين الحق والباطل (٦) .
ومن أسمائه في الكتب السالفة : ماذا (٧) ؛ ومعناه طيب ، طيب ،
وخطايا (٨) ، والحاتم ، والحاتم (٩) ؛ حكاه كتب الأخبار .
قال ثعلب : فالحاتم الذي ختم [الله به] (١٠) الأنبياء . والحاتم : أحسن الأنبياء
خلقاً وخاتماً .

-
- (١) في الكتب : أى الكتب الإلهية المنزلة على من قبله من الأنبياء .
(٢) سمى بهما في التوراة . (٣) سمى به في التوراة والزبور .
(٤) المقدس : المطهر النقي من دنس الذنوب ، أو المفضل على غيره .
(٥) وروح القدس : الروح المقدسة للمطهرة من النقائص : وما بين القوسين ليس في أ .
(٦) قال في نسيم الرياض (٢ - ٤٣٨) : الذى عليه أصحاب الإنجيل أن معناه المخلص .
وهذا الضبط في أ ، ب . وفي شرح القارى (١ - ٤٩٦) : البارقليط - بالباء الموحدة وفتح
الراء وتكسر وبسكون القاف ، وقد تسكن الراء وتفتح القاف ، وتكسر اللام ، بمدها ياء
مثناة ساكنة فطاء مهملة . وروى بالفاء الفصيحة وبالباء غير صافية .
(٧) في ب : بالذال المعجمة ، والذال المهملة ، وعليها « معا » .
(٨) في نسيم الرياض (٢ - ٤٣٩) : هذا وما قبله رواه أبو نعيم في الدلائل عن ابن
عباس . قال : ومعناه : يمنع من الحرام ، ويحرم الحرم ؛ أى يمنع ما كان في الجاهلية من
الإنسكحة وغيرها من المحرمات . وقد ضبطت الحاء في أ بالكسرة . وضبطت في ب :
بالفتحة . وفي شرح القارى (١ - ٤٩٧) تسكن الميم وتشدد .
(٩) قال في نسيم الرياض : الظاهر أنه من الحتم وهو الإحكام ؛ لإحكام القضاء والأحكام .
والحاتم : القاضى - كما في الصحاح .
(١٠) ليس في أ .

ويسمى بالسريانية : مُشَفَّحٌ ^(١) وَالْمُنْحَمِنَا ^(٢) ؛ واسمه في التوراة أُحِيدٌ ^(٣) .
رَوَى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ سَيْرِينَ .

ومعنى صاحب القضيبي ؛ أى السيف ؛ وقع ذلك مفسراً في الإنجيل ؛ قال : معه
قَضِيبٌ مِنْ حَدِيدٍ يُقَاتِلُ بِهِ ، وَأُمَّتُهُ كَذَلِكَ .

وقد يحملُ على أنه القضيبي المشوق ^(٤) الذى كان يُمَسِّكُهُ صلى الله عليه وسلم ؛
وهو الآن عند الخلفاء ^(٥) .

وَأَمَّا الْهَرَاوَةُ الَّتِي وَصِفَ بِهَا فِيهِ فِي اللُّغَةِ الْعَصَا ؛ وَأَرَاهَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - الْعَصَا
الْمَذْكُورَةَ فِي حَدِيثِ الْخَوْضِ ^(٦) : أَذُودُ النَّاسِ عَنْهُ بَعْصَايَ - لِأَهْلِ الْيَمِينِ .

وَأَمَّا التَّاجُ فَالْمُرَادُ بِهِ الْعِمَامَةُ ، وَلَمْ تَكُنْ حِينَئِذٍ إِلَّا لِلْعَرَبِ ؛ وَالْعَامُّ تَيْجَانُ
الْعَرَبِ .

وَأَوْصَافُهُ ، وَالْقَابُ ، وَسِمَاتُهُ فِي الْكُتُبِ كَثِيرَةٌ ؛ وَفِيَا ذِكْرَانَا مِنْهَا مَقْنَعٌ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

[وَكَانَتْ كُنْيَتُهُ الْمَشْهُورَةُ أَبُو الْقَاسِمِ .

وَرَوَى ^(٧) عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ لَمَّا وُلِدَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ جَاءَهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ

يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ] ^(٨) .

(١) سُمِّيَ بِهِ فِي كِتَابِ شَعْبِيَا . وَقِيلَ مَعْنَاهُ مُحَمَّدٌ . وَهَذَا الضَّبْطُ فِي ب . وَفِي أ بِالْقَافِ .

(٢) قِيلَ مَعْنَاهُ : مُحَمَّدٌ . وَقِيلَ : رُوحُ الْقُدُسِ . وَهَذَا الضَّبْطُ فِي ب . وَفِي أ ضَبَطَتْ

الْيَمِينُ بِالْفَتْحَةِ .

(٣) هَذَا الضَّبْطُ فِي ب . وَفِي أ : بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَكسْرِ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ .

(٤) مَشُوقٌ : طَوِيلٌ دَقِيقٌ . (٥) عِنْدَ الْخُلَفَاءِ : يُمْسِكُونَهُ تَبَرُّكًا بِهِ .

(٦) صَحِيحٌ مُسْلِمٌ : ١٧٩٩ ، وَأَذُودٌ : أَدْفَعُ ، وَأَطْرَدُ . لِأَهْلِ الْيَمِينِ ؛ أَيْ لِأَجْزَائِهِمْ حَتَّى

يَتَقَدَّمُوا . (٧) كَمَا رَوَى فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ ، وَابِيهَيْ .

(٨) فِي هَامِشِ أ ، ب : مِنْ الْأَمِّ بِمَخْطَاهُ ، مِنْ غَيْرِ الرِّوَايَةِ .

فصل

في تشریف اللہ تعالیٰ له بما سماه من اسمائه الحسنی ووصفه به
من صفاته العُلا

قال القاضي أبو الفضل^(۱) وفقه الله تعالى: ما أحرى هذا الفصل^(۲) بفصول الباب
الأول؛ لانخراطه^(۳) في سلك مضمونها، وامتزاجه بعذب معينها^(۴)؛ لكن لم يشرح
الله الصدر للهداية^(۵) إلى استنباطه، ولا أنار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه
إلا عند الخوض في الفصل الذي قبله؛ فرأينا أن نضيفه إليه، ونجمع به شمله^(۶).
فاعلم أن الله تعالى خص كثيرا من الأنبياء بكرامة خلعها عليهم^(۷) من اسمائه؛
كتسمية إسحاق، وإسماعيل بعليم، وحليم^(۸)؛ وإبراهيم بحليم^(۹)، ونوح بشكور^(۱۰)،
وعيسى ويحيى ببر^(۱۱) وموسى بكريم، وقوى^(۱۲)؛ ويوسف بحفيظ عليم^(۱۳)؛

(۱) هو المصنف .

(۲) وهو العقود لثناء الله عليه، وإظهار عظيم قدرته . أخرى : أحق وأولى .

(۳) لا نخراطه : أي لدخوله ، وانضمامه .

(۴) امتزاجه : اختلاطه . والمعين : الجاري . يريد بحلو ماها .

(۵) أي لم يفتح الله عليه به أولا بإخراجه في محله .

(۶) نجمع به شمله : أي نضمه إليه .

(۷) بكرامة : بأمر أكرمه وشرفه بها . والأصل في الخلعة أنها ثوب يلقىه الملك على من

يكرمه أو يوليه ولاية ، وشاع في عرف الكتاب تسمية الخلعة تشريفا . يريد ألقاها عليهم .

(۸) في قوله تعالى : « وبشروه بعلام عليم » - يعني إسحاق . وقوله تعالى : « فبشرناه

بعلام حليم » - يعني إسماعيل . (۹) في قوله تعالى : « إن إبراهيم لأواه حليم » .

(۱۰) في قوله تعالى : « ذرية من حملنا مع نوح ، إنه كان عبدا شكورا » .

(۱۱) في قوله تعالى : « وبرا بوالديه » . « وبرا بوالدي » .

(۱۲) في قوله تعالى : « وقد جاءهم رسول كريم » . وقوله : « إن خير من استأجرت القوي

الأمين » . (۱۳) في قوله تعالى : « اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم » .

وأيوب بصائر^(١)؛ وإسماعيل بصادق الوعد^(٢)؛ كما نطق بذلك [٨١] الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم^(٣).

وقضّل نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم: بأنّ حلاله منها في كتابه العزيز، وعلى السنة أنبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد إعمال الفكر، وإحضار الذكر، إذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين، ولا من تفرغ فيها لتأليف فصاين.

وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسماً؛ ولعلّ الله تعالى - كما ألهم^(٥) إلى ما علم منها وحققه - يُتمّ النعمة بإبانه^(٦) ما لم يُظهره لنا الآن، ويفتح غلقه^(٧).

فمن أسمائه تعالى: الحميد؛ ومعناه المحمود؛ لأنه حمّد نفسه، وحمده عباده، ويكون أيضاً بمعنى الحامد لنفسه ولأعمال الطاعات:

وسمّى الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم محمداً، وأحمد؛ فحمد بمعنى محمود، وكذا وقع اسمه في زبور داود.

وأحمد بمعنى أكبر من حمّد؛ وأجلّ من حمّد^(٨)؛ وأشار إلى نحو هذا حسان بقوله^(٩):

-
- (١) في قوله تعالى: «إنا وجدناه صابراً نعم العبد». .
 (٢) في قوله تعالى: «واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد». وذلك لشهرته بوفاء ما وعد به من صبره على الذبح.
 (٣) من مواضع ذكرهم: أي استفاداً من مواضع ذكرهم. وفي ب: في مواضع...
 (٤) بعد أن اجتهد في جمعها، وبذل فيها جهده وطاقته.
 (٥) ألهم: يريد أرشد وهدى.
 (٦) إبانه: إظهاره.
 (٧) غلقه: ما يفلق ويقفل به.
 (٨) في بتشديد الميم المكسورة. وفي ب بكسر الميم غير المشددة.
 (٩) هو حسان بن ثابت، والبيت من قصيدة له يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم. في ديوانه: ٧٨

وَشَقَّ لَهُ مِنْ إِسْمِهِ لِيُجِلَّهُ فذو العرشِ محمودٌ وهذا محمدٌ (١)
 ومن أسمائه تعالى : الرؤوف الرحيم ؛ وهما بمعنى متقارب .
 وقد سماه في كتابه بذلك ؛ فقال (٢) : ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ .
 ومن أسمائه تعالى الحقُّ المبين . ومعنى الحقُّ : الموجود ، والمتحقق أمره (٣) ،
 وكذلك المبين ؛ أي البين (٤) أمره وإلهيته .
 بان ، وأبان بمعنى واحد . ويكون بمعنى المبين لعباده أمرَ دينهم ومعادهم (٥) .
 وسمى النبيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بذلك في كتابه ؛ فقال (٦) : ﴿ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ
 وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴾ . وقال تعالى (٧) : ﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾ . وقال تعالى (٨) :
 ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ . وقال (٩) : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ ؛ قيل :
 محمدٌ . وقيل القرآن . ومعناه هنا ضدُّ الباطل ، والمتحقق صدقُه وأمره - وهو بمعنى
 الأوَّل .

والمبين : البينُ أمره ورسالته ، أو المبين عن الله ما بعثه به ؛ كما قال تعالى (١٠) :
 ﴿ لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ .

(١) في شرح ديوان حسان : هذا البيت ليس من قول حسان ، وإنما هو لأبي طالب ،
 ضمنه حسان شعره . وفي نسيم الرياض (٢ - ٤٤٧) : والبيت المذكور رواه البخاري في
 تاريخه ، وعزاه لأبي طالب ؛ وهو منقول عن علي بن زيد ؛ فحسان رضى الله تعالى عنه توارد
 معه ، أو ضمنه ، واستعان به .

(٢) سورة التوبة ، آية ١٢٨

(٣) أي المتصف بالوجود الأزلي الأبدي . والمتحقق بمعنى المتيقن وجوده لثبوته بالبراهين
 القاطعة . (٤) البين : الظاهر . (٥) معادهم : في الآخرة .

(٦) سورة الزخرف ، آية ٢٩ (٧) سورة الحجر ، آية ٨٩

(٨) سورة يونس ، آية ١٠٨ (٩) سورة الأنعام ، آية ٥

(١٠) سورة النحل ، آية ٤٤

ومن أسمائه تعالى : النور ؛ ومعناه ذو النور ، أى خالقه ، أو مُنَوَّرَ السموات والأرض بالأنوار^(١) ، و مُنَوَّرَ قلوب المؤمنين بالهداية .

وسماه نورا ؛ فقال^(٢) : ﴿ قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مُبينٌ ﴾ ؛ قيل محمد . وقيل القرآن .

وقال فيه^(٣) : « وسِرّاً جاً مُنيراً » ؛ سُمِّيَ بذلك لوضوح أمره ، وبيان نبوته ، وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به .

ومن أسمائه تعالى : الشهيد ؛ ومعناه العالم^(٤) . وقيل : الشهيد على عباده يوم القيامة .

وسماه شهيداً وشاهداً ؛ فقال^(٥) : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً ﴾ . وقال تعالى^(٦) : ﴿ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ ؛ وهو بمعنى الأول^(٧) .

ومن أسمائه تعالى : الكريم ؛ ومعناه الكثير الخير . وقيل : المُفْضِلُ^(٨) . وقيل : العَفْوُ^(٩) وقيل : العَلِيّ .

وفي الحديث المَرْوِيُّ^(١٠) في أسمائه تعالى : الأكرم^(١١) .

(١) بالأنوار الفائضة عليها بوامطة السكواكب .

(٢) سورة المائدة ، آية ١٥ (٣) سورة الأحزاب ، آية ٤٦

(٤) لأن من شاهد شيئاً علمه علماً تاماً .

(٥) سورة الأحزاب ، آية ٤٥ ، وسورة الفتح ، آية ٨

(٦) سورة البقرة ، آية ١٤٣ (٧) بمعنى الأول : أى الشهيد .

(٨) المفضل : الذى يعطى عفواً بغير وسيلة وسؤال .

(٩) العفو : الذى يعفو عن السيئات ويمحوها .

(١٠) الذى رواه ابن ماجه فى سننه (١٢٧٠) فيه : الكريم . وقد جاء فى القرآن

الكريم : « اقرأ وربك الأكرم » .

(١١) الأكرم : الزائد على غيره فى صفة الكرم .

وسماه تعالى كريما بقوله^(١) : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ ؛ قيل : محمد .
وقيل : جبريل .

وقال صلى الله عليه وسلم : أَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ .

ومعاني الاسم صحيحة^(٢) في حقه صلى الله عليه وسلم .

ومن أسمائه تعالى : العظيم ؛ ومعناه الجليل الشأن ، الذي كلُّ شئٍ دونه^(٣) .

وقال في النبي صلى الله عليه وسلم^(٤) : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

ووقع في أول سفر^(٥) من التوراة - عن إسماعيل : وستلِدُ عَظِيمًا لَأُمَّةٍ [٨٢]

عظيمة ؛ فهو عظيمٌ وعلى خلقٍ عظيم .

ومن أسمائه تعالى : الجبار ، ومعناه المصلح ، وقيل القاهر . وقيل العلي العظيم

الشأن . وقيل المتكبر .

وسمى النبي - صلى الله عليه وسلم في كتاب داود^(٦) بجبار ؛ فقال^(٧) :

تَقَلَّدْ^(٨) أَيُّهَا الْجَبَّارُ سَيْفَكَ ؛ فَإِنَّ نَامُوسَكَ^(٩) وَشِرَائِعَكَ مَقْرُونَةٌ بِهَيْبَةِ يَمِينِكَ^(١٠) .

(١) سورة الحاقة ، آية ٤٠ ، والتكوير ، آية ١٩

(٢) صحيحة لاتصافه بنهاية الكرم .

(٣) دونه : قاصر عن بلوغ رتبته إذ لا كمال يدنو من كماله في ذاته وصفاته .

(٤) سورة القلم ، آية ٤

(٥) سفر : كتاب . عن إسماعيل : أي سفر يصدر عن إسماعيل عليه السلام ، أو المراد :

في حق إسماعيل . (٦) كتاب داود : أي الصحف الإلهية المنزلة عليه .

(٧) فقال : أي الله تعالى مخاطبا له صلى الله عليه وسلم لتزليه منزلة اللوجود لتحققه في علمه .

(٨) تقلد السيف : إذا جعل حمائله على عاتقه وحمله كالقلادة . وفيه إشارة إلى أنه سيؤمر

بالمقاتل .

(٩) ناموسك : الوحي المنزل عليك ؛ أو عظمتك في قلوب الناس . وأصل معنى الناموس

صاحب السر المطلع على باطن أمرك .

(١٠) بهيبة يمينك : أي بالخوف من سيفك .

ومعناه^(١) في حق النبي - صلى الله عليه وسلم : إماماً لإصلاح الأمة بالهداية والتعليم ،
أو لِقَهْرِهِ أَعْدَاءَهُ ، أو لَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ عَلَى الْبَشَرِ ، وَعَظِيمِ خَطَرِهِ^(٢) .
ونفى عنه تعالى - في القرآن - جَبْرِيَّةَ التَّكْبُرِ التي لا تَلِيْقُ به ؛ فقال^(٣) :

﴿ وما أنت عليهم بجبار ﴾ .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ - تعالى : الْخَبِيرُ ؛ ومعناه الْمُطَّلِعُ بِكُنْهِ الشَّيْءِ^(٤) ، العالم بحقيقته .
وقيل معناه الْخَبِيرُ^(٥) .

وقال الله تعالى^(٦) : ﴿ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾ .

قال القاضي بَكْرُ بْنُ الْعَلَاءِ : الْمَأْمُورُ بِالسُّؤَالِ غَيْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
وَالْمَسْتَوَلُ الْخَبِيرُ هُوَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقال غيره : بل السائل النبي صلى الله عليه وسلم . والمستول هو الله تعالى ؛
فالنبي خبيرٌ بِالْوَجْهِينِ الْمَذْكُورَيْنِ^(٧) ؛ قيل : لأنه عالمٌ على غايةٍ مِنَ الْعِلْمِ بما أعلمه
اللهُ مِنْ مَكْنُونِ عِلْمِهِ ، وَعَظِيمِ مَعْرِفَتِهِ ، نُخْبِرُ لِأُمَّتِهِ بِمَا أَدْرِنَ لَهُ فِي إِعْلَامِهِمْ بِهِ .
ومن أسمائه تعالى : الْفَتَّاحُ ؛ ومعناه الْحَاكِمُ بَيْنَ عِبَادِهِ ، أَوْ فَاتِحُ أَبْوَابِ^(٨)

(١) ومعناه : معنى الجبار . (٢) خطره : شرفه وقدره .

(٣) سورة ق ، آية ٤٥

(٤) المطلع بكنه الشيء : الواقف على حقائق الأشياء .

(٥) الخبير أنبياءه ورسله بكلامه المنزل عليهم . أو الخبير عباده يوم القيامة بأعمالهم ؛ فإنه

لا يعزب عن علمه شيء .

(٦) سورة الفرقان ، آية ٥٩

(٧) أما على الوجه الأول فظاهر لإطلاقه عليه ، ولأنه لو لم يكن خبيراً لم يأمر بسؤاله .

وأما على الثاني فلأن إذنه له في السؤال دال على إعلامه به .

(٨) بتيسير أرزاقهم لهم وتهيئة أسبابها وفتح أقفال موانعها . والرحمة : الإنعام ؛ أي

النعيم عليهم ، الرزق لهم .

الرِّزْقِ وَالرَّحْمَةِ ، وَالْمُنْفَلِقِ مِنْ أُمُورِهِمْ عَلَيْهِمْ ^(١) ؛ أَوْ يَفْتَحُ قُلُوبَهُمْ وَبَصَائِرَهُمْ لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ ؛ وَيَكُونُ أَيْضًا بِمَعْنَى النَّاصِرِ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ^(٢) : ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴾ ؛ أَيْ إِنْ تَسْتَنْصِرُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ النَّصْرُ ؛ وَقِيلَ : مَعْنَاهُ مُبْتَدَى الْفَتْحِ وَالنَّصْرِ .

وَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفَاتِحِ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ الطَّوْبِلِ - مِنْ رِوَايَةِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ وَغَيْرِهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ وَفِيهِ ^(٣) : مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : وَجَعَلْتُكَ فَاتِحًا وَخَاتِمًا ^(٤) .

وَفِيهِ ^(٥) - مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَنَائِهِ عَلَى رَبِّهِ ، وَتَعْدِيدِ مَرَاتِبِهِ ^(٥) : وَرَفَعَ لِي ^(٦) ذِكْرِي ، وَجَعَلَنِي فَاتِحًا وَخَاتِمًا ؛ فَيَكُونُ الْفَاتِحُ هُنَا بِمَعْنَى الْحَاكِمِ ، أَوْ ^(٧) الْفَاتِحِ لِأَبْوَابِ الرَّحْمَةِ عَلَى أُمَّتِهِ ، أَوْ ^(٧) الْفَاتِحِ لِبَصَائِرِهِمْ لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ ؛ أَوْ النَّاصِرِ لِلْحَقِّ ، أَوْ الْمُبْتَدَى بِهَدَايَةِ الْأُمَّةِ ، أَوْ الْمُبْدَأُ الْمُقَدَّمُ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْخَاتِمَ لَهُمْ ؛ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُنْتُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْقِ ، وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى ^(٨) فِي الْحَدِيثِ ^(٩) : الشُّكُورُ ؛ وَمَعْنَاهُ ^(١٠) الْمَثِيبُ عَلَى الْعَمَلِ

(١) فَاتِحِ الْمُنْفَلِقِ ، أَيْ مَبْسُورِ كُلِّ صَعْبٍ وَمُسْهِلِهِ .

(٢) وَفِيهِ : أَيْ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ - وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْحَدِيثُ صَفْحَةَ ٢٤٠

(٣) أَيْ أَوَّلِ الْأَنْبِيَاءِ وَخَاتِمَهُمْ .

(٤) وَتَعْدِيدِ مَرَاتِبِهِ : أَيْ مَقَامَاتِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ .

(٥) رَفَعَ لِي ذِكْرِي : يَجْعَلُهُ قَرِينًا لَدُنِّي - كَمَا تَقَدَّمَ . (٧) فِي ١ : وَالْفَاتِحُ .

(٨) فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي تَعْدَادِ الْأَسْمَاءِ

الْحَسَنِيِّ (سَنَّ التِّرْمِذِيُّ : ٥ - ٥٣٠ ، وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ : ٥٠٦٢) .

(٩) وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « إِنْ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ » .

(١٠) وَمَعْنَاهُ : أَيْ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى .

الْقَلِيلِ . وَقِيلَ الْمُثْنِي عَلَى الْمُطِيعِينَ ^(١) ؛ وَوَصَفَ بِذَلِكَ نَبِيَّهٖ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ ^(٢) :
﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ .

وَقَدْ وَصَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسَهُ بِذَلِكَ ؛ فَقَالَ ^(٣) : أَفَلَا أكونُ عَبْدًا
شَكُورًا ؛ أَي مُعْتَرِفًا بِنِعْمِ رَبِّي ، عَارِفًا بِقَدْرِ ذَلِكَ ، مُثْنِيًا عَلَيْهِ ، مُجْهِدًا ^(٤) نَفْسِي
فِي الزِّيَادَةِ مِنْ ذَلِكَ ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ^(٥) : ﴿لئنْ شَكَرْتُمْ لأزِيدَنَّكُمْ﴾ .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى : الْعَلِيمُ ، وَالْعَلَّامُ . وَعَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ^(٦) .
وَوَصَفَ نَبِيَّهٖ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعِلْمِ ؛ وَخَصَّهُ بِمَزِيَّةٍ ^(٧) مِنْهُ ؛ فَقَالَ تَعَالَى ^(٨) :
﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ . وَقَالَ ^(٩) : ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى : الْأَوَّلُ ، وَالْآخِرُ ؛ وَمَعْنَاهُمَا السَّابِقُ [٨٣] لِلْأَشْيَاءِ قَبْلَ
وَجُودِهَا ، وَالْبَاقِي بَعْدَ فَنَائِهَا .

وَتَحْقِيقُهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَوَّلٌ وَلَا آخِرٌ ^(١٠) .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُنْتُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْقِ ^(١١) ؛ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ ؛

(١) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٢ - ٤٥٦) : وَهَذَا أَنْسَبُ بِمَعْنَى الشُّكْرِ الْحَقِيقِيِّ وَأَقْرَبُ .

(٢) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ، آيَةٌ ٣ (٣) وَالْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : ٦ - ١٦٩

(٤) مُجْهِدًا نَفْسِي : بِإِذْلا جَهْدِي وَطَاقَتِي وَمَتَعِبًا نَفْسِي . (٥) سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ ، آيَةٌ ٧

(٦) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ : أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مِمَّا غَابَ وَخَفِيَ ، وَمَا حَضَرَ وَظَهَرَ ،

وَدَقَّ وَجَلَ .

(٧) مَزِيَّةٌ : فَضِيلَةٌ . (٨) سُورَةُ النَّسَاءِ ، آيَةٌ ١١٣ (٩) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، آيَةٌ ١٥١

(١٠) وَلَا ابْتِدَاءَ وَلَا انْتِهَاءَ ؛ فَلَا سَابِقَ عَلَيْهِ ، وَلَا بَاقِيَ عِنْدَهُ .

(١١) يَعْنِي فِي عَالَمِ الذُّرِّ وَالْأَرْوَاحِ ؛ خَلَقْتَ رُوحَهُ ، وَنَبِيَّ قَبْلَهُمْ . وَالْحَدِيثُ فِي ابْنِ كَثِيرٍ :

٦ - ٣٨٣ ، وَأَخْرَجَهُ السِّيُوطِيُّ فِي الذُّرِّ الْمَشْهُورِ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَفْيَانَ ، وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ،

وَابْنِ مَرْدُودِيهِ ، وَأَبِي نَعِيمٍ فِي الدَّلَائِلِ ، وَالدَّبَلِيِّ .

وقُفِّرَ بهذا قوله تعالى (۱) : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ (۲) وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ ﴾ ؛
فقدّم محمداً صلى الله عليه وسلم (۳) .

وقد أشار إلى نحوٍ منه عمرُ بن الخطاب (۴) رضى الله عنه .

ومنه قوله : نحن الآخرون السابقون .

وقوله (۵) : أنا أوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، وَأَوَّلُ

شَافِعٍ ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ ؛ وهو خاتم النبيين ، وآخِرُ الرُّسُلِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ومن أسمائه تعالى : الْقَوِيُّ . وذو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ (۶) ؛ ومعناه : القادر .

وقد وصفه الله تعالى بذلك ؛ فقال (۷) : ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ ؛

قيل محمد . وقيل جبريل .

ومن أسمائه تعالى : الصادق ، في الحديث المأثور (۸) .

وورد في الحديث أيضاً اسمه صلى الله عليه وسلم بالصادق المصدوق (۸) .

(۱) سورة الأحزاب ، آية ۷

(۲) الميثاق : هو أن يؤمنوا بالله ويوحدوه .

(۳) قال في نسيم الرياض (۲ - ۴۵۸) : قدم محمداً في الذكر لتقدمه في الخلق ، بل

ولبعث ؛ وهذا التفسير رواه قتادة عن الحسن ، عن أبي هريرة رضى الله عنه ؛ قال : سئل

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ﴾

فقال : كنت أولهم في الخلق ، وآخرهم في البعث .

(۴) في قوله - كما تقدم : لما بكى على النبي صلى الله عليه وسلم إذ توفي : بأبي أخت وأمي

يارسول الله ! لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك أولهم ، فقال : وإذ

أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح

(۵) سنن الترمذى : ۵ - ۳۰۸ ، ۵۸۷

(۶) سورة الداريات ، آية ۵۸ (۷) سورة التكويم ، آية ۲۰

(۸) المصدوق : المصدق بما جاء به . في الحديث المأثور المروي بسند صحيح - كما رواه

ابن ماجه ۱۲۷۰ ، وقد تقدم .

ومن أسمائه تعالى : الوَلِيُّ ، وَالْمَوْلَى ؛ ومعناها الناصِرُ ؛ وقد قال الله تعالى (۱) :

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ .

وقال صلى الله عليه وسلم (۲) : أَنَا وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ .

وقال الله تعالى (۳) : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (۴) .

وقال صلى الله عليه وسلم (۵) : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ (۶) .

ومن أسمائه تعالى : الْعَفْوُ (۷) ؛ ومعناه الصَّفْوَحُ .

وقد وصف الله تعالى بهذا كَنِيَّةٍ فِي الْقُرْآنِ ، وَالتَّوْرَةِ ، وَأَمْرَهُ بِالْعَفْوِ ؛ فَقَالَ

تعالى (۸) : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ .

وقال (۹) : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ﴾ .

وقال له جبريلُ - وقد سأله عن قوله (۸) : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ ؛ قَالَ (۱۰) : أَنْ تَعْفُو

عَمَّنْ ظَلَمَكَ .

(۱) سورة المائدة ، آية ۵۵

(۲) رواه البخارى عن أبي هريرة ، ورواه أحمد ، وأبو داود : أَنَا أَوْلَىٰ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ .

وفي البخارى أيضا : أَنَا أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ، فَمَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دِينٌ وَلَمْ يَتْرِكْ وَفَاءً فَعَلَىٰ

قِضَاؤِهِ . والحديث في صحيح البخارى : ۶ - ۱۴۵

(۳) سورة الأحزاب ، آية ۶

(۴) أى أحق بهم من أنفسهم ؛ فإنه يتولى صلاحهم ، وينصرهم ، ويقضى ديونهم ، ويخلصهم

بما يكرهون في الدنيا والآخرة .

(۵) في حديث رواه الترمذى وحسنه (سنن الترمذى : ۵ - ۶۳۳) .

(۶) المراد ولاء الإسلام ونصرته .

(۷) العفو : مبالغة في العفو عن السيئات ، وهو محوها وإزالتها .

(۸) سورة الأعراف ، آية ۱۹۹ (۹) سورة المائدة ، آية ۱۳

(۱۰) هذا التفسير على غير رأى الأكثرين من المفسرين ؛ فهم يرون أن معنى العفو : المال

الفاضل عن نفقة العيال .

وقال - في التوراة والإنجيل في الحديث المشهور^(۱) ، في صِفَتِهِ : ليس بفظٍ ولا غليظ ، ولكن يَغْفُو وَيَصْفَح .

ومن أسمائه تعالى : الهادي ؛ وهو بمعنى توفيقِ الله لِمَنْ أَرَادَ مِنْ عِبَادِهِ ، وبمعنى الدلالةِ والدُّعَاءِ^(۲) . قال اللهُ تعالى^(۳) : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(۴) . وأصلُ الجميعِ^(۵) مِنَ الْمَيْلِ^(۶) . وقيل : من التقديم . وقيل في تفسير ﴿ طه ﴾ إنه يا طاهر ، يا هادي^(۷) ؛ يعني النبي صلى اللهُ عليه وسلم . وقال اللهُ تعالى له^(۸) : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

وقال فيه^(۹) : ﴿ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ﴾ .

فاللهُ تعالى مختصٌّ بالمعنى الأول^(۱۰) ؛ قال تعالى^(۱۱) : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ . وبمعنى الدلالةِ يُنْطَلَقُ عَلَى غَيْرِهِ تعالى .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى : الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ ؛ قيل : هما بمعنى واحدٍ ؛ فمعنى المؤمن

(۱) هذا الحديث تقدم عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

(۲) الدعاء : الدعوة . (۳) سورة يونس ، آية ۲۵

(۴) أي يرشدهم إلى طريق مستقيم يوصلهم إلى الجنة بما خلقه فيهم من العقل وأرسل من

الرسول ، ووقفهم لاتباعهم .

(۵) الجميع من معاني الهداية .

(۶) بمعنى هداه إلى كذا : صرفه إليه ، وأماله عن غيره .

(۷) على طريق الرمز والاكتفاء بحرفين من الاسمين بدلان على الباقي . فهو طاهر من

كل دنس ، وهو هداية لخلق .

(۸) سورة الشورى ، آية ۵۲

(۹) سورة الأحزاب ، آية ۴۶

(۱۰) وهو التوفيق بخلق الاهتداء ؛ فإنه لا يقدر عليه سواه .

(۱۱) سورة القصص ، آية ۵۶

في حقه تعالى : المُصَدِّقُ وَعُدَّةُ عِبَادِهِ ^(١) ، وَالْمُصَدِّقُ قَوْلَهُ الْحَقُّ ^(٢) ، وَالْمُصَدِّقُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَرُسُلِهِ ^(٣) . وَقِيلَ : الْمُوَحَّدُ نَفْسَهُ ^(٤) . وَقِيلَ : الْمُؤْمِنُ عِبَادَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ ظُلْمِهِ ^(٥) ، وَالْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ عَذَابِهِ .
 وَقِيلَ : الْمُهَيِّمِينَ بِمَعْنَى الْأَمِينَ ، مُصَغَّرٌ مِنْهُ ، فَقُلِبَتِ الْهَمْزَةُ هَاءً .
 وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ قَوْلَهُمْ فِي الدُّعَاءِ : آمِينَ - إِنَّهُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ^(٦) ،
 وَمَعْنَاهُ مَعْنَى الْمُؤْمِنِ .

وَقِيلَ : الْمُهَيِّمِينَ بِمَعْنَى الشَّاهِدِ ^(٧) وَالْحَافِظِ .

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِينٌ ، وَمُهَيِّمِينَ ، وَمُؤْمِنِينَ ^(٨) ، وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَمِينًا ؛ فَقَالَ ^(٩) : ﴿ مُطَاعٍ سَمَّ أَمِينٌ ﴾ .
 وَكَانَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُعْرَفُ بِالْأَمِينِ ، وَشُهِرَ بِهِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَبَعْدَهَا ؛
 وَسَمَّاهُ الْعَبَّاسُ ^(١٠) ، فِي شِعْرِهِ مُهَيِّمِنَا فِي قَوْلِهِ [٨٤] :

(١) أَي مَا وَعَدَ بِهِ عِبَادَهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الثَّوَابِ ، وَنَعِيمِ الْآخِرَةِ ، وَالنَّصْرَ الْعَزِيزَ فِي الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ

(٢) أَي الَّذِي صَدَقَ مَا قَالَهُ مِنَ الْحَقِّ .

(٣) أَي يَصَدِّقُ مَا قَالُوهُ ، أَوْ جَاعِلُهُمْ صَادِقِينَ فِي قَوْلِهِمْ مُلتَزِمِينَ لِلصِّدْقِ فِي أَقْوَامِهِمْ وَعَهْوَدِهِمْ .

(٤) الْمُوَحَّدُ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » . وَقَوْلُهُ : « إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا » - فَصَدَّقَ مَا نَطَقَتْ بِهِ السَّكَّانَاتُ وَحِكْمَتُهُ الْبَرَاهِينُ مِنْ تَوْحِيدِهِ فِي أَلْوَهِيَّتِهِ ؛ وَهَذَا كُلُّهُ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَعْنَى التَّصَدِيقِ .

(٥) مِنْ ظُلْمِهِ : لِتَنَزُّهِهِ عَنْهُ : « وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ » .

(٦) قَالَ الْحَسَنُ . مَعْنَاهُ اسْتَجَبَ ، أَوْ لَا تَخَيَّبَ .

(٧) الشَّاهِدُ : الْحَاكِمُ ، وَالَّذِي يَشْهَدُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ .

(٨) أَي يَسْمَى بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ الثَّلَاثَةَ . (٩) سُورَةُ التَّكْوِينِ ، آيَةُ ٢١

(١٠) هُوَ فِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ عَمِ النَّبِيِّ ، وَالْبَيْتُ فِي اللِّسَانِ - نَطَقَ . وَقَدْ تَقَدَّمَ صَفْحَةَ ٢١٩

ثم (۱) احتوى بَيْتُكَ الْمُهَيْمِنِ مِنْ خِنْدِفِ عَلِيَاءَ تَحْتَهَا النُّطُقُ
 قيل : المراد : بأبيها الْمُهَيْمِنِ ، قاله الْقُتَيْبِيُّ (۲) ، والإمام أبو القاسم الْقَشِيرِيُّ .
 وقال تعالى (۳) : ﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ؛ أى يصدِّق .
 وقال صلى الله عليه وسلم : أنا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي (۴) ؛ فهذا بمعنى الْمُؤْمِنِ .
 ومن أسمائه تعالى : الْقُدُّوسُ (۵) ، ومعناه المنزلةُ عن النقائص المطهَّر من سماتِ
 الخلدِ ؛ وسُمِّيَ بيت المقدس ، لأنه يُتَطَهَّر فيه من الذنوب (۶) ؛ ومنه : الوادى
 المقدَّس ، وروح القدس (۷) .

(۱) فى اللسان : حتى احتوى . . . قال : والنطق : جمع نطاق ، وهى أعراض من جبال
 بعضها فوق بعض ؛ أى نواح وأوساط ، شبهت بالنطق التى يشد بها أوساط الناس ، ضربه مثلا
 فى ارتفاعه وتوسطه فى عشيرته وجمالهم تحته بمنزلة أو ساط الجبال . وأراد ببيته شرفه . والمهيمن
 نعتة ؛ أى حتى احتوى شرفك الشاهد على فضلك أعلى مكان من نسب خندف .

(۲) هذا فى ۱ ، ب (۳) سورة التوبة ، آية ۶۱

(۴) هذا طرف من حديث : النجوم أمنة فى السماء ، فإذا ذهب أتى السماء ما توعد ،
 وأنا أمنة لأصحابي ، فإذا ذهب أتى أصحابي ما يوعدون . وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي
 أتى أمتي ما يوعدون . يعنى أن النجوم إذا رفعت قرب وقت فناءها وانشقاقها ؛ ولذا كثر سقوطها عند
 بعثته ؛ إشارة إلى قرب الساعة ، فهو صلى الله عليه وسلم أمان لأصحابه من وقوع بأسهم بينهم
 ووقوع الفتن ؛ فإذا توفاه الله ابتداء وقوع ذلك ؛ كقصة عثمان ، وعلى ، والحسين . وأصحابه
 صلى الله عليه وسلم أمان للناس من ظهور الفساد فى البر والبحر ؛ فإذا ذهبوا بدأ ظهور ذلك .
 والحديث فى صحيح مسلم : ۱۹۶۱ ، والشرح من شرح الشهاب (۲-۴۶۶) . وأمنة : أمان .
 (۵) القدوس : من القدس ؛ وهو الطهارة والنزاهة .

(۶) يتطهر فيه من الذنوب : بزيارته والعبادة فيه . روى النسائي بإسناد صحيح عن النبي
 صلى الله عليه وسلم : إن سليمان بن داود عليهما السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلا لا ثلاثا :
 حكما يصادف حكمه . وما كالا ينبغى لأحد من بعده . وألا يأتى بيت المقدس أحد لا ينهره إلا
 الصلاة فيه يخرج منه من خطيئته كيوم ولدته أمه ، فأعطى جميع ذلك (شرح الشهاب : ۲-۴۶۶) ،
 قال : ولهذا تشد إليه المطى ، كما تشد إلى مكة .

(۷) الوادى المقدس : هو طوى كلم الله فيه موسى . وروح القدس : جبريل .

ووقع في كتب الأنبياء في أسمائه صلى الله عليه وسلم : المقدس ؛ أي المطهر من الذنوب ، كما قال تعالى (١) : ﴿ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ .
 أو الذي يُتَطَهَّرُ به من الذنوب ، ويُتَنَزَّهُ بِاتِّبَاعِهَا عنها ، كما قال (٢) : « وَيُزَكِّيهِمْ » .
 وقال تعالى (٣) : ﴿ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ .
 أو يكون مقدساً بمعنى مطهراً (٤) ، من الأخلاق الذميمة والأوصاف الدنيئة .
 ومن أسمائه تعالى : العزيز ، ومعناه : الممتنع (٥) الغالب ، أو الذي لا نظير له ،
 أو المعزّ لغيره ؛ وقال تعالى (٦) : ﴿ وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ ﴾ ؛ أي الامتناعُ وجلالة
 القدر .

وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والندارة ، فقال (٧) : ﴿ يُبَشِّرُكُمْ رَبُّكُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ ﴾ .

وقال (٨) : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِإِيجَابٍ ﴾ ؛ و (٩) ﴿ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ﴾ .
 وسماه الله تعالى مُبَشِّرًا ، ونذيرًا ؛ أي مُبَشِّرًا لِأَهْلِ طَاعَتِهِ ، ونذيرًا لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ .

ومن أسمائه تعالى فيما ذكره بعضُ المفسرين : طه ، ويس . وقد ذكر بعضهم
 أيضًا أنهما من أسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم .

(١) سورة الفتح ، آية ١

(٢) سورة البقرة ، آية ١٢٩ . ومعنى يزكّيهم : يطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ،
 ويعلمهم ما يكفهم عن الآثام .

(٣) سورة المائدة ، آية ١٦ ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور : من الكفر والمعاصي
 إلى الإيمان وتقوى الله وطاعته بإرشادهم وتوفيق الله لهم ببركته .

(٤) في ١ : مطهر . (٥) الممتنع : الذي لا ينال ولا يدرك .

(٦) سورة « المنافقون » ، آية ٨ (٧) سورة التوبة ، آية ٢١

(٨) سورة آل عمران ، آية ٣٩ (٩) سورة آل عمران ، آية ٤٥

فصل

قال القاضي أبو الفضل ^(۱) : وفقه الله ، وهأنا ^(۲) أذكرُ نِكْتَةَ ^(۳) أذْيَلُ بها هذا الفصلَ ، وأختمُ بها هذا القسمَ ، وأزيجُ الإشكالَ بها فيما تقدم عن كلِّ ضعيف الوهم ^(۴) ، سقيم الفهم ، تخلصه من مهاوى التشبيه ^(۵) ، وتزحزحه عن شبه التمويه ^(۶) ؛ وهو أن يعتقد أن الله تعالى جلَّ اسمه في عظمته وكبريائه وملاكوته ، وحسنِ أسمائه ، وعلى صفاته ، لا يشبه شيئاً من مخلوقاته ، ولا يشبه به ^(۷) ؛ وأنَّ ما جاء مما أطلقه الشرعُ على الخالقِ وعلى المخلوقِ ؛ فلا تشابهَ بينهما في المعنى الحقيقي ؛ إذ صفاتُ القديمِ بخلافِ صفاتِ المخلوقِ ؛ فكما أنَّ ذاته لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفاتِ المخلوقين ؛ إذ صفاتهم لا تنفك ^(۸) عن الأعراضِ والأغراضِ ؛ وهو تعالى - منزّهٌ عن ذلك ؛

(۱) هو المؤلف : القاضي عياض . (۲) هذا في ا ، ب .

(۳) النكته : الأمر الدقيق المحتاج إلى فكر وتأمل ، سميت بها لأن صاحبها كثيراً ما يبحث في الأرض بقضيب ونحوه .

(۴) المراد بالوهم هنا : الذهن ، والإدراك (الشهاب : ۲ - ۴۶۹) .

(۵) مهاوى : جمع مهواة ؛ وهي كالمهاوية : الحفرة العميقة التي من يقع فيها يصعب طلوعه . والتشبيه : المراد به تشبيه الله وصفاته بغيرها ؛ لأن إطلاق بعض الأسماء على الله وعلى غيره قد يوهم ذلك .

(۶) والتمويه : المراد بالتمويه : زخرفة الكلام الذي لا حقيقة له وتحسينه حتى يروج على من لا علم عنده .

(۷) لا يشبه به : لا يمثل به شيء لسكال ذاته وجلال صفاته .

(۸) لاتنفك : لاتفارق الأعراض ، والله تعالى - منزّه عن الأعراض المحسوسة والكيفيات النفسانية ، لأنها تابعة للمزاج ، المستلزم للتركيب ، المستلزم للحدوث ، المنافي لوجوب الوجود الذاتي . وأفعاله تعالى لاتعمل بالأغراض ، وإن كان لها ثمرات وحكم كثيرة جليلة ، وهي تسمى غرضاً ، أيضاً ، ولسكنه ليس محل خلاف .

بل لم يزل^(١) بصفاته وأسمائه ، وكفى في هذا قوله^(٢) : ﴿ ليس كمثلِه شيء ﴾ .
ولله درُّ مَنْ قال من العلماء العارفين^(٣) المحققين : التوحيدُ إثباتُ ذاتٍ غيرِ
مُشَبَّهةٍ^(٤) للذوات ولا معطَّلةٍ عن الصفات^(٥) .

وزاد هذه النكتة^(٦) الواسطيُّ - رحمه الله - بيانا ؛ وهي^(٧) مقصودُنا ؛ فقال :
ليس كذاته ذاتٌ ، ولا كاسمِه اسمٌ ، ولا كفعله فعلٌ ، ولا كصفته صفةٌ ، إلا من
جهة موافقة اللفظ اللغوي ؛ وجلَّتِ الذَّاتُ القديمةُ أن تكون لها صفةٌ حديثةٌ ،
كما استحال أن تكون للذاتِ المحدثَةِ صفةٌ قديمةٌ .

وهذا كله مذهبُ أهلِ الحقِّ والسنةِ والجماعةِ رضيَ اللهُ عنهم .

وقد فسَّرَ الإمامُ أبو القاسمِ القشيريُّ رحمه الله - قوله^(٨) [٨٥] هذا ، ليزيده
بيانا ؛ فقال : هذه الحكاية^(٩) تشتملُ على جوامعِ مسائلِ التوحيدِ^(١٠) ، وكيف
تُشَبَّهُ ذاتُ ذاتِ^(١١) المحدثاتِ ؛ وهي بوجودها^(١٢) مستغنيةٌ ؛ وكيف يُشَبَّهُ فعلُهُ فعلَ

(١) لم يزل موجودا أبدا بصفاته وأسمائه الدالة على ذاته وصفاته ؛ فهي قديمة .

(٢) سورة الشورى ، آية ١١

(٣) يقال : لله دره ؛ للشناء عليه والتمجيب من محاسنه .

قال في نسيم الرياض (٢ - ٤٧٢) : أراد بالعارفين مشايخ الصوفية .

(٤) هذا الضبط في ا ، وفي ب ضبطت بضم الميم ومكون الشين ، وبضم الميم وفتح الشين

وتشديد الباء ، وكتب عليها « ما » .

(٥) المراد غير منفي عنها الصفات . (٦) النكتة : يريد معنى التوحيد الذي قاله المشايخ .

(٧) وهي : أي الزيادة . (٨) قوله : أي الواسطي المتقدم .

(٩) هذه الحكاية : أي المحكي النقول عن الواسطي .

(١٠) وهو اعتقاد أن الله تعالى واحد في ذاته وصفاته لا مثله ولا ضد ، ولا ند ولا شريك

له في ألوهيته واستحقاقه للعبادة .

(١١) في ب : ذوات . (١٢) مستغنية : مستقلة غير محتاجة لغيرها .

أَخْلَقَ ، وَهُوَ لَغَيْرِ جَلْبٍ ^(۱) أَنْسٍ ، أَوْ دَفَعَ نَقْصَ حَصَلٍ ، وَلَا لِحَوَاطِرَ وَأَغْرَاضٍ ^(۲) وَوَجِدٍ ، وَلَا بِمُبَاشِرَةٍ وَمُعَاجِلَةٍ ظَهَرَ ؛ وَفِعْلُ الْأَخْلَاقِ لَا يَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ ^(۳) .

وَقَالَ آخِرُ - مِنْ مَشَائِخِنَا ^(۴) : مَا تَوَهَّمْتُمُوهُ بِأَوْهَامِكُمْ ، أَوْ أَدْرَكْتُمُوهُ بِعُقُولِكُمْ فَهُوَ مُخَدَّثٌ مِثْلَكُمْ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْمَعَالَى الْجَوَينِيُّ : مَنْ أَطْمَأَنَّ إِلَى مَوْجُودٍ انْتَهَى إِلَيْهِ فِكْرُهُ ؛ فَهُوَ مُشَبَّهٌ ^(۵) ، وَمَنْ أَطْمَأَنَّ إِلَى النَّفْيِ الْمَحْضِ فَهُوَ مَعْطَلٌ ^(۶) وَإِنْ قَطَعَ بِمَوْجُودٍ ^(۷) اعْتَرَفَ بِالْعَجْزِ عَنِ دَرْكِ حَقِيقَتِهِ فَهُوَ مُوَحَّدٌ ^(۸) .

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ذِي النُّونِ الْمِصْرِيِّ ^(۹) : حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى

(۱) جلب : تحصيل ؛ والأنس : دفع الوحشة .

(۲) أى ليس شيء من أفعاله لدفع نقص حصل له ، أو لحاطر ، أو غرض ، وجد في نفسه .

(۳) هذه الوجوه هي : جلب النفع ، ودفع الضرر ، والأغراض ، والمباشرة ، والمعالجة .

(۴) أى يخاطب مردييه .

(۵) اطمأن إلى موجود : تيقن أمرا موجودا على وجه معين ارتسم في ذهنه أنه الله . فهو مشبه : معتقد لتشبيهه الله تعالى بغيره مما في خزانة فكره ؛ وهو خطأ ، لأنه ليس كمثل شيء ، وفكره إنما هو مدركاته المشاهدة ؛ فيأتيه التشبيه منها .

(۶) المحض : الخالص ؛ بأن نفي ذات الباري حقيقة أو حكما . معطل : ناف للصانع .

(۷) قطع : جزم . بموجود : بإله واجب الوجود .

(۸) فهو موحد : لأنه عرف الله ووحده ، واعترف بأنه لا يقدر على معرفته بكنهه وهو التوحيد الصرف .

(۹) هو الزاهد الواعظ ؛ كان أبوه نوبيا ، وصار عالما فصيحا حكما ، توفي سنة ۸۲۴ هـ .

في الأشياء بلا علاج^(١) ، وصنعه لها بلا مزاج^(٢) ؛ وعلة كل شيء صنعه^(٣) ،
ولا علة لصنعه ، وما تصور في وهمك فالله بخلافه^(٤) .

وهذا كلام عجيب نفيس محقق ، والفصل الآخر^(٥) ، تفسير لقوله^(٦) :

« ليس كمثله شيء » .

والثاني^(٧) ، تفسير لقوله^(٨) : « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » . والثالث^(٩) ،

تفسير لقوله^(١٠) : « إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » .

ثبتنا الله وإياك على التوحيد والإثبات^(١١) ، والتنزيه ، وجنبنا طرفي الضلالة

والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته .

(١) في الأشياء : أي في إيجادها وإبداعها . بلا علاج : بلا معالجة ومكابدة واستعمال آلة .

(٢) بلا مزاج : المراد أن إيجادها لها لا يحتاج إلى مادة ومعاونة ؛ بل قدرته تعالى العلية
أوجدته ابتداء من العدم بعد أن لم تكن ، بمجرد قوله : « كن فيكون » .

(٣) صنعه : أي بمجرد ، وبمجرد قدرته . وفي ١ : ضبطت التاء في « علة » بالفتحة
والضمة ، وكتب عليها « معا » .

(٤) فإن ذاته لا تشبه الذوات ، وأفعاله لا تشبه أفعال غيره ؛ فهو منزه عن أن تتصوره
الأوهام .

(٥) من كلام « ذو النون » وهو قوله : وما تصوره وهمك .

(٦) سورة الشورى ، آية ١٠١ .

(٧) والثاني : أي الفصل الثاني ؛ وهو قوله : وعلة كل شيء صنعه .

(٨) سورة الأنبياء ، آية ٢٣ .

(٩) والثالث هو قوله : حقيقة التوحيد . . .

(١٠) سورة النحل ، آية ٤٠ .

(١١) والإثبات : أي إثبات ما يليق بذاته .

البَابُ الرَّابِعُ

فَمَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ (١)

وَشَرَّفَهُ بِهِ مِنَ الْخِصَائِصِ وَالْكَرَامَاتِ

قال القاضي أبو الفضل : حَسْبُ التَّأَمُّلِ أَنْ يُحَقِّقَ أَنْ كِتَابَنَا هَذَا لَمْ يَجْمَعْهُ
لَمُنْكَرِ نَبْوَةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا لَطَاعِنٍ فِي مَعْجَزَاتِهِ ؛ فَنَحْتَاجُ إِلَى
نَسْبِ (٢) الْبِرَاهِينِ عَلَيْهَا ، وَتَحْصِينِ حَوْزَتِهَا (٣) ، حَتَّى لَا يَتَوَصَّلَ الْمَطَاعِنُ إِلَيْهَا (٤) ،
وَنَذْكُرَ شُرُوطَ الْمَعْجِزِ (٥) وَالتَّحَدِيَّ (٦) وَحَدَّهُ ، وَفَسَادَ قَوْلِ مَنْ أَبْطَلَ نَسْخَ الشَّرَائِعِ ،
وَرَدَّهُ ؛ بَلِ الْفَنَاءَ لِأَهْلِ مِلَّتِهِ (٧) ، الْمَلْبِّينَ لِدَعْوَتِهِ ، الْمُصَدِّقِينَ لِنَبْوَتِهِ ؛ لِيَكُونَ
تَأْكِيدًا فِي مَحَبَّتِهِمْ لَهُ ، وَمَنْمَاءَ لِأَعْمَالِهِمْ (٨) ؛ وَبِزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ .
وَنَبِّتْنَا أَنْ ثَبَتَ فِي هَذَا الْبَابِ أُمَمَاتٍ (٩) مَعْجَزَاتِهِ ، وَمَشَاهِيرَ آيَاتِهِ ؛ لِتَدَلُّ (١٠) ،

(١) المعجزات : هي الأمور الخارقة للعادة التي يظهرها الله تعالى على يد أنبيائه لإلزام من كذبهم إذا عجزوا عن الإتيان بالمثل .

(٢) نصب البراهين : أي إقامة البراهين وإيضاحها وإثبات الأدلة القاطعة الملزمة لمن أنكرها أو طعن فيها .

(٣) الحوزة : الناحية والجانب . وتحصينها : جعلها حصينة محفوظة كأن عليها حصنًا يحميها .

(٤) المطاعن : جمع مطعن ، وهو الطعن ، والرد بالأباطيل الفاسدة التي تصدر عن أهل الإلحاد .

والضمير في « إليها » للحوزة ، أو للمعجزة (شرح الخفاجي : ٢ - ٤٧٦) . وفي ب ، وشرح القاري : الطاعن . (٥) في ب : المعجزة . (٦) حده : تعريفه .

(٧) أي إنما ألقاه لأهل ملة محمد من المؤمنين به .

(٨) مناة : زيادة ؛ أي يزيدهم رغبة في أعمالهم الصالحة ، أو من نمت الحديث إذا بلغت ،

ويكون المعنى : يبلغ أعمالهم إلى الله تعالى .

(٩) أممات معجزاته : كبارها وعظامها .

(١٠) في ب : لتدل - بالنون .

على عظيم قدره عند ربه . وأتينا منها بالحقق والصحيح الإسناد ؛ وأكثره مما بلغ القطع ^(١) ، أو كاد ؛ وأضفنا إليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الأئمة ^(٢) .

وإذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره ، وحيد سيره ، وبراعة ^(٣) علمه ، ورجاحة عقله وحلمه ، وجملة كماله ، وجميع خصاله ، وشاهد حاله ، وصواب مقاله - لم يمتد ^(٤) في صحة نبوته ، وصدق دعوته .

وقد كفى هذا غير واحد في إسلامه والإيمان به .

فروينا عن الترمذي ^(٥) ، وابن قانع وغيرها بأسانيدهم - أن عبد الله بن سلام ؛ قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لأنظر إليه ؛ فلما استبنت ^(٦) وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب .

حدثنا به القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله ؛ قال : حدثنا أبو الحسين الصيرفي ، وأبو الفضل بن خيرون ، عن أبي يعلى البغدادي ، عن أبي علي [٨٦] السنجبي ، عن ابن محبوب ، عن الترمذي ؛ حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا عبد الوهاب الثقفي ، ومحمد بن جعفر ، وابن أبي عدي ، ويحيى بن سعيد ، عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي ، عن زرارة بن ^(٧) أوفى ، عن عبد الله بن سلام . . . الحديث .

(١) أي وصل إلى رتبة القطع ، بحيث لا يقبل التشكيك .

(٢) الأئمة : يريد أئمة الحديث الذين تلقى الأئمة كتبهم بالقبول ؛ كدلائل النبوة للبيهقي ،

والسنن ، وغيرها .

(٣) براعة علمه : علمه الفائق به على غيره .

(٤) لم يمتد : لم يشك ، ويقع له تردد .

(٥) الحديث في سنن الترمذي : ٤ - ٦٥٢ ، قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح .

(٦) استبنت وجهه : رأيت ظاهر وجهه الدال على صدق سريره وباطنه . وفي الترمذي

استبنت .

(٧) هذا في ١ ، ب ، وسنن الترمذي (٤ - ٦٥٢) . وفي هامش ب : ابن أبي أوفى .

وعن أبي رَمَثَةَ التَّمِيمِي : أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَعِيَ ابْنُ لِي ، فَأَرَبَيْتُهُ ^(۱) ؛ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ قُلْتُ : هَذَا نَبِيُّ اللَّهِ ^(۲) .

وَرَوَى مُسْلِمٌ ^(۳) وَغَيْرُهُ أَنَّ ضِمَادًا لَمَّا وَفَدَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ ^(۴) لَهُ ؛ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ - قَالَ لَهُ : أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ ، فَلَقَدْ بَلَغَنَ قَامُوسَ الْبَحْرِ ^(۵) ، هَاتِ يَدَكَ أَبَايَعُكَ ^(۶) .

وقال جامع بن شدّاد ^(۷) : كان رجلاً منا يُقالُ له طارق ، فأخبر أنه رأى النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة ، فقال : هل معكم شيء تبيعونه؟ قلنا : هذا البعير .

(۱) أرانيه بعض من يعرفه ، وعرفني به غيري .

(۲) أي بمجرد تعلق نظره به اعترف بنبوته لما شاهده من عظمته ونور نبوته ، فأوقع الله في قلبه علماً ضرورياً بصدقه صلى الله عليه وسلم .

(۳) الحديث في صحيح مسلم : ۵۹۳ ، فلا مضل له : أي لا يقدر أحد على إضلاله .

(۴) قاموس البحر : وسطه ، أو لفته ، أو قعره . يريد اشترت مقالاتك هذه في جميع أقطار الأرض شرقاً وغرباً . يقال : قال فلان قولاً بلغ قاموس البحر ؛ أي سمعه كل ذي روح حتى دواب البحر ، وهو مبالغة في شيوغته . وفي هامش ا ، ب : قاموس البحر : وسطه ومعظمه . وفي صحيح مسلم (۵۹۳) : ولقد بلغن ناعوس البحر . وفي هامشه : ناعوس البحر : ضبطناه بوجهين : أحدهما - ناعوس ، وهذا هو الموجود في أكثر نسخ بلادنا . والثاني - قاموس . وهذا الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير مسلم .

وقال القاضي عياض : أكثر نسخ صحيح مسلم وقع فيها قاموس . قال أبو عبيد : قاموس البحر : وسطه . وقال ابن دريد : لفته . وقال صاحب كتاب العين : قعره الأقصى .

(۵) وجه استشهاد المصنف به أنه بمجرد رؤيته وسماع كلامه صلى الله عليه وسلم آمن به من غير تردد ، وليس في كلامه ما يدل على صدق مدعاه ، ولكنه لما رأى نور وجهه الشريف وحسن بهجته آمن به .

(۶) في حديث رواه البيهقي .

قال : بكم ؟ قلنا : بكذا وكذا وسقاً^(١) من تمر ؛ فأخذ بخطامه^(٢) ، وسار إلى المدينة ؛ فقلنا : بعنا من رجل لا ندري من هو ؛ ومعنا ظعينة^(٣) ، فقالت : أنا ضامنة لثمن البعير ؛ رأيت وجه رجلٍ مثل القمر ليلة البدر لا يخيس^(٤) فيكم .

فأصبحنا ، فجاء رجلٌ بتمرٍ فقال : أنا رسولُ رسولِ الله إليكم ، يأمرُكم أن تأكلوا من هذا التمر ، وتكثروا حتى تستوفوا^(٥) . ففعلنا .

وفي خبر الجلندي ملكِ عُمان^(٦) - لما بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام - قال الجلندي^(٧) : والله ؛ لقد دلني على هذا النبي الأُمِّي أنه لا يأمرُ بخيرٍ إلا كان أولَ آخذٍ^(٨) به ، ولا ينهى عن شيءٍ^(٩) إلا كان أولَ تاركٍ له ، وأنه يغلبُ فلا يبطر^(١٠) ، ويغلبُ فلا يضجر^(١١) ، ويغلبُ بالمهد ، وينجز^(١٢) الموعد ؛ وأشهدُ أنه نبي -^(١٣)

(١) وسقا من تمر : الوسق : ستون صاعاً مما يكال .

(٢) الخطام : الزمام الذي يقاد به . (٣) الظعينة : المراد امرأة .

(٤) لا يخيس : لا يفتد ، ويكذب ، فينكس وعده ، ويخلف عهده . فالمراد أن حسن

صورته يدل على حسن سيرته ؛ فمثله لا يصدر عنه ما ظننتموه .

(٥) وتكثروا : أي تكثروا منه ثمن البعير . وتستوفوا : تأخذوا الثمن من التمر الذي

جاء به وافياً كاملاً غير ما أكلتموه ؛ فإنه هبة منه لكم . وفيه من المكارم وحسن المعاملة ما لا يخفى .

(٦) هذا الضبط في ب . وفي ا : بضم العين وتشديد الميم . وفي هامش ب : غسان .

(٧) في حديث رواه ابن إسحاق . (٨) أول آخذ به : أول عامل بما أمر به .

(٩) في ا : عن شر . (١٠) لا يبطر : لا يطنى ولا يفتن ويظهر الفرح .

(١١) فلا يضجر : فلا يقلق ولا يجزع ؛ بل يصبر ويتحمل ما أصابه في سبيل الله احتساباً لأجره

ورضاه بما قدره الله تعالى . (١٢) ينجز الموعد : يعجل ما وعده به لكرمه .

(١٣) لما تحقق من أخلاقه وكمال صفاته . وهذا شاهد لما عقد له الفصل من أن من تأمل

صفاته صلى الله عليه وسلم صدق بنبوته وإن لم يشاهد معجزة .

وقال نِفْطَوِيه - في قوله تعالى (١) : ﴿ يَكَادُ زَبَّيْنَةُ يُضَيِّعُ ، ولو لم تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ :
 هذا مثل ضرب به الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ؛ يقول : يَكَادُ مَنْظَرُهُ يَدُلُّ
 على نبوته وإن لم يتل قرآنا (٢) كما قال ابن رَوَاحَةَ (٣) :
 لو لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ لَكَانَ مَنْظَرُهُ (٤) يُنْبِئُكَ بِالنَّبِيِّ
 وقد آن أن نأخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة ، وبمده في معجزة القرآن ،
 وما فيه من مِرْهَانٍ ودلالة .

فصل

اعلم أن الله جلَّ اسمه قادرٌ على خلق المعرفة في قلوب عباده ، والعلم بذاته
 وأسمائه وصفاته وجميع تكليفاته (٥) ابتداءً دون واسطة لو شاء ؛ كما حكى عن سنته (٦)
 في بعض الأنبياء ، وذكره بعض أهل التفسير في قوله (٧) : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه
 الله إلا وحياً ﴾ .

وجائز أن يوصل إليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه ، وتكون تلك (٨)
 بواسطة ؛ إما من غير البشر ، كالملائكة مع الأنبياء ؛ أو من جنسهم ، كالأنبياء
 مع الأمم ، ولا مانع لهذا من دليل العقل .

(١) سورة النورة ، آية ٣٥

(٢) وإن لم يتل قرآنا : المراد : وإن لم يظهر معجزة . وخص القرآن لأنه أعظم معجزاته .

(٣) البيت في الإصابة : ٤ - ٨٦

(٤) منظره : مرآه وظاهره . ينبئك : يخبرك .

(٥) تكليفاته : التي ألزمهم بها من الأمور الشرعية والعبادات .

(٦) سنته : عاداته وطريقته . عن بعض الأنبياء : إذ عرفهم بعض الأمور السابقة بدون

واسطة ؛ فأوقع ذلك في قلوبهم وكشفه لهم ؛ أو ألهمهم ، أو أراهم ذلك في مناماتهم الصادقة .

(٧) سورة الشورى ، آية ٥١

(٨) في ا ، ب : ذلك . ونراه تحريفاً .

وإذا جاز هذا ولم يَسْتَحِلْ (۱) ، وجاءت الرسلُ بما دَلَّ على صِدْقِهِمْ من مُعْجَزَاتِهِمْ - وجب تصديقُهُمْ في جميع ما أتوا به ؛ لأنَّ المعجزة مع التحدُّى (۲) من النبيِّ صلى الله عليه وسلم قائمٌ مقامَ قولِ الله : صَدَقَ عَبْدِي فَأَطِيعُوهُ وَاتَّبِعُوهُ ، وشاهدٌ على صِدْقِهِ فيما يقوله ؛ وهذا كافٍ . والطويلُ فيه خارج عن الغرضِ [۸۷] ؛ فَمَنْ أَرَادَ تَتَبِعَهُ وَجَدَهُ مُسْتَوْفِي فِي مَصْنَفَاتِ أُمَّتِنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ .

فالنَّبِيُّ فِي لُغَةِ مَنْ هَمَزَ مَاخُوذَةً مِنَ النَّبَأِ ، وَهُوَ الْخَبْرُ ، وَقَدْ لَا تُهْمَزُ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ تَسْهِيلاً .

والمعنى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَطَّلَعَهُ عَلَى غَيْبِهِ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ؛ فَيَكُونُ نَبِيًّا (۳) مُنْبَأً فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٌ ؛ أَوْ يَكُونُ مُخْبِراً عَمَّا بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ ، وَمُنْبَأً بِمَا أَطَّلَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٌ ؛ وَيَكُونُ عِنْدَ مَنْ لَمْ يَهْمَزْهُ مِنَ النَّبِيِّ ؛ وَهُوَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ ؛ وَمَعْنَاهُ أَنَّ لَهُ (۴) رُتَبَةً شَرِيفَةً ، وَمَكَانَةً نَبِيَّةً (۵) عِنْدَ مَوْلَاهُ (۶) مُنِيفَةً (۷) ؛ فَالْوَصْفَانِ فِي حَقِّهِ مُؤْتَلِفَانِ (۸) .

وَأَمَّا الرَّسُولُ فَهُوَ الْمُرْسَلُ ، وَلَمْ يَأْتِ فَعُولٌ بِمَعْنَى مُفْعَلٌ فِي اللَّغَةِ إِلَّا نَادِراً . وَإِرْسَالُهُ أَمْرٌ اللَّهُ لَهُ بِالْإِبْلَاحِ (۹) إِلَى مَنْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ ؛ وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ التَّبَاعِ (۱۰) ؛

(۱) لم يستحل : أى لم يعد محالاً عقلاً .

(۲) أى إظهار النبي معجزة له وطلبه ممن أنكر نبوته الإتيان بما يماثلها .

(۳) هذا فى ا ، ب . (۴) له : عند الله . (۵) نبية : عالية مشهورة .

(۶) عند مولاة : ربه الذى تولى أمره . (۷) منيفة : عالية .

(۸) الوصفان : أى وصفه بمعنى الخبر ، أو بمعنى المرتفع . مؤتلفان : متوافقان بحسب

المعنى ؛ لأن من بعثه الله وأطاعه على ما لم يطاع عليه غيره له منزلة عالية . ومن له مقام عال يطالع على ذلك .

(۹) أى تبليغهم شريعته ودينه بنفسه أو بواسطة .

(۱۰) التابع : التوالى والتكرار لتبليغه .

ومنه قولهم : جاء الناسُ أرسالا^(١) ، إذا تبعَ بعضهم بعضا ؛ فكأنه أُلزمَ تكريرَ التبليغ ، أو أُلزمتِ الأمةُ اتباعه .

واختلف العلماء : هل النبيُّ والرسولُ بمعنى ، أو بمعنىين ؟ فقيل : هما سواء ، وأصله من الإنباء وهو الإعلام ؛ واستدلوا بقوله تعالى^(٢) : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيٍّ ﴾ ؛ فقد أثبتَ لهما معا الإرسال ، قال : ولا يكون النبيُّ إلا رسولا ، ولا الرسولُ إلا نبيا^(٣) .

وقيل : هما مُفترقان من وجه ؛ إذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطِّلاعُ على الغيب^(٤) ، والإعلامُ بخواصِّ النبوة أو الرفعة لمعرفة^(٥) ذلك ، وحوز^(٦) درجتها ؛ وافترقا في زيادةِ الرسالة^(٧) للرسول ، وهو الأمرُ بالإنذار والإعلام كما قلنا . وحجَّتُهُم من الآية نَفْسُها التفرُّيقُ بين الاسمين^(٨) ، ولو كانا شيئا واحدا لما حُسنَ تكرارُهُما في الكلام البليغ ، قالوا : والمعنى : ما أرسلنا من رسولٍ إلى أمةٍ أو نبيٍّ ليس بمُرسلٍ إلى أحد .

وقد ذهب بعضهم إلى أن الرسولَ مَنْ جاء بشرعٍ مبتدأ^(٩) ، ومن لم يأتِ به^(١٠) نبيٌّ غيرُ رسولٍ ، وإن أمرَ بالإبلاغ والإنذار .

والصحيحُ ، والذي عليه الجَماعُ الغفير^(١١) ، أن كلَّ رسولٍ نبيٌّ ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولا .

(١) أرسالا : فرقة بعد فرقة متتابعين ، يتبع بعضهم بعضا .

(٢) سورة الحج ، آية ٥٢ (٣) أي طي هذا المعنى .

(٤) أراد به ما لم يعلمه من أوامر الله تعالى ، وتشريع له ما يختص به ، أو به وبغيره .

(٥) في ب : بمعرفة . (٦) حوز درجتها : حيازتها وتحصيلها .

(٧) الرسالة : الأمر بالتبليغ . (٨) بين الاسمين : النبي ، والرسول .

(٩) أي إن شرعه لم يسبق إليه . (١٠) به : بالشرع المبتدأ الذي لم يسبق إليه .

(١١) الجَماعُ الغفير : الجماعة للكثيرة .

وأول الرسل آدم ، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم .

وفي حديث أبي ذر^(١) رضي الله عنه : إن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون

ألف نبي .

وذكر أن الرسل^(٢) ، منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر^(٣) ؛ أولهم آدم عليه السلام .

فقد بان لك معنى النبوة والرسالة ، وليستا عند المحققين ذاتاً للنبي ، ولا وصف^(٤)

ذات ، خلافاً للسكرامية^(٥) ، في تطويل لهم ، وتهويل^(٥) ، ليس عليه تعويل .

وأما الوحي فأصله الإسراع ، فلما كان النبي يعلّق ما يأتيه من ربه بعجل سُمّي

وَحْيًا^(٦) ، وسُمّيت أنواع الإلهامات^(٦) وَحْيًا ، تشبيهاً بالوحي إلى النبي ، وسُمّي

الخطّ وَحْيًا ، لسرعة حركة يده كاتبه ؛ ووحي الحاجب واللّحظ سرعة إشارتهما^(٧)

ومنه قوله تعالى^(٨) : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ ؛ أي أوماً ورمز^(٩)

وقيل : كتب ؛ ومنه قولهم : الوحا^(١٠) ، الوحا ؛ أي السرعة .

(١) رواه أحمد في مسنده (السند : ٥ - ٢٦٦) ، وابن حبان ، والحاكم في مستدرکه .

وقال الحاكم في مستدرکه : إنه طعن في بعض رواه . وقيل إنه منكر . وقال القرطبي : أنه

أصح حديث ورد في عدد الأنبياء والرسل عليهم السلام . (نسيم الرياض : ٢ - ٤٩١) .

(٢) منهم : من الأنبياء . وفي السند : ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا .

(٣) ولا وصف ذات : أي ليست صفة قائمة بذاته موجودة فيه - صلى الله عليه وسلم -

قبل الوحي إليه .

(٤) فهؤلاء قالوا : إنهما أمران غير الوحي ، وأمر الله بتبليغ شريعته ؛ فصاحبها متصف

بهما وإن لم يوح إليه . والكرامية ينسبون إلى محمد بن كرام .

(٥) وتهويل : أي تخويف وتفزع لمن عدل عن مذهبهم في هذا .

(٦) كقوله تعالى : وأوحى ربك إلى النحل . والإلهام : إلقاء أمر في الروح باعث على

الفعل أو الترك . (٧) أي حركتهما بسرعة للإشارة بهما .

(٨) سورة مريم ، آية ١١ (٩) رمز : أشار بالمعين أو بأحد أعضائه .

(١٠) في ا : الوحا - محدودا . وفي ب : الوحا - مقصور . وهو يمد ، ويقصر .

وقيل أصل الوحي السرُّ والإخفاء ، ومنه سُمِّي الإلهامُ وَحْيًا ، ومنه قوله (۱) : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ﴾ ، أي يُوسوسون في صدورهم ؛ ومنه قوله (۲) : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ﴾ ؛ أي أُنزِلَ في قلبها .
وقد قيل ذلك في قوله تعالى (۳) : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَ اللَّهُ الْإِلَهَ وَحْيًا ﴾ [۸۸] ؛ أي ما يُلقِيه في قلبه دون واسِطَةٍ (۴) .

فصل

اعلم أن معنى تسميتنا ما جاءت به الأنبياء معجزة ، هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها ؛ وهي (۵) على ضربين ؛ ضرب هو من نوع قُدرة البشر ؛ فمعجزوا (۶) عنه ، فمعجزهم عنه فعلٌ لله دلٌّ على صدق نبيِّه ؛ كصرفهم عن تمني الموت (۷) .

(۱) سورة الأنعام ، آية ۱۲۱ . إلى أوليائهم : من يوالونهم ويصادقونهم من المشركين . والمراد بالشیاطین مردة الجن . وبالأولياء : كفرة قريش .

(۲) سورة القصص ، آية ۷ (۳) سورة الشورى ، آية ۵۱

(۴) قال في نسيم الرياض (۲ - ۴۵۳) : والذي رجحوه في هذه الآية أن المراد بالوحي فيها المشافهة بكلام الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ، وكلامه لموسى عليه السلام . وحديث أبي ذر المشار إليه تمامه في نسيم الرياض (۲ - ۴۹۳) ، وشرح القاري (۱ - ۵۳۰) (۵) وهي : أي المعجزة .

(۶) أي مقدورهم الذي يمكنهم الإتيان بما يماثل من نوعه . فمعجزوا عنه : أي فطلب منهم فمعجزوا عنه .

(۷) أي منع الله اليهود عن تمني الموت لما قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ؛ وقالوا : « لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى » ؛ فكذبهم الله تعالى ، وألزمهم بقوله : قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين . ثم أخبر عنهم بقوله : ولئن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين وقد قال صلى الله عليه وسلم : لو تمنى اليهود الموت لما تواروا ، ورأوا مقاعدهم من النار .

وتعجيزهم عن الإتيان بمثل القرآن على رأى بعضهم^(١)، ونحوه .

وضرب هو خارج عن قدرتهم ؛ فلم يقدرُوا على الإتيان بمثله ؛ كإحياء الموتى ،
وقلب العصا حية^(٢) ، وإخراج ناقة من صخرة^(٣) ، وكلام شجرة ، ونبع الماء من
الأصابع ، وانشقاق القمر^(٤) ، مما لا يمكن أن يفعله أحد ، إلا الله ؛ فكأن ذلك على يد
النبي صلى الله عليه وسلم من فعل الله تعالى^(٥) وتحديده من يكذبه أن يأتي بمثله
تعجيز له .

واعلم أن المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم دلائل نبوته
وبراهين صدقه من هذين النوعين^(٦) معاً ؛ وهو أكثر الرسل معجزة ، وأبهرهم آية^(٧) ،

= أى قل لهم يا محمد : إن كنتم أحباب الله تعالى والجنة مختصة بكم فاطلبوا الموت ؛ فإن من أحب
الله أحب لقاءه ، ومن كانت داره الجنة يبادر لدخولها ؛ فلم يتمنه أحد منهم ولو بلسانه .
لصرف الله لهم عن ذلك .

قال في نسيم الرياض (٢ - ٤٩٥) : وهذا أعظم حجة على صدقه صلى الله عليه وسلم -
كما قاله المفسرون .

(١) هذا البعض هو القائل بأن إعجازه بالصرقة ؛ أى بصرف المرء الفصحاء عن معارضته
مع تحديه لهم وتقريرهم بذلك على رؤوس الأشهاد حتى عدلوا عن مجادلة الحروف إلى مجادلة
السيوف .

(٢) كإحياء الموتى الذى وقع لإبراهيم وإمبى عليها السلام . وقلب العصا حية معجزة لموسى .

(٣) اقترح على صالح جندع بن عمرو سيد قومه أن يخرج لهم من صخرة ناقة عشراء ،

فصلى ودعا ربه ، فتمنخت تمنخص النتوج بولدها ، فانصدعت عن ناقة عشراء وهم ينظرون ؛

فآمن جندع في جمع من قومه ، وتمادى غيرهم في الكفر حتى عقروا الناقة ، فأخذتهم الرجفة . . .

(٤) وهذه الثلاثة من معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وستأتى مفصلة .

(٥) من فعل الله تعالى : أظهره على يده بقدرته .

(٦) أى ما هو من نوع قدرة البشر ، وما هو خارج عنها .

(٧) الآية : المعجزة . وأبهر : من بهر ؛ أى ظهر وغلب . والمعنى أن معجزاته صلى الله

عليه وسلم أكثر وأظهر وأقوى .

وأظهرهم برهاناً ؛ كما سنبينه ؛ وهي - في كثرتها - لا يحيطُ بها ضبطٌ (١) ؛ فإنَّ واحداً منها - وهو القرآن ، لا يحصى عددُ معجزاته بألفٍ ولا ألفين ، ولا أكثر (٢) ؛ لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قد تحدَّى بسورةٍ منه فعجزَ عنها .
قال أهلُ العلمِ : وأقصرُ السورِ : إنا أعطيناكَ الكوثرَ . . . فكلُّ آيةٍ أو آياتٍ منه بعددِها (٣) وقد رُحمتُها مُعجزةٌ ؛ ثم فيها نَفْسُها مُعجزاتٌ على ما سنفصلُه فيما انطوى (٤) عليه من المعجزات .

ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين : قسمٌ منها علمٌ قَطْعاً ، ونُقْلٌ إلينا متواتراً كالقرآن ؛ فلا مَرِيَّةَ (٥) ، ولا خِلافَ ؛ بمَجِيءِ النبيِّ به ، وظهورِهِ من قِبَلِهِ (٦) ؛ واستدلّاه بِحُجَّتِهِ ؛ وإن أنكرَ هذا مُعاندٌ جاحِدٌ (٧) ، فهو كإنكاره وجودَ محمدٍ صلى الله عليه وسلم في الدنيا (٨) .

وإنما جاء اعتراضُ الجاحدين في الحجّةِ به (٩) ؛ فهو في نَفْسِهِ وجميعِ ما تضمّنهُ من مُعجزٍ معلومٍ ضرورةً .

ووجهُ إجمازه معلومٍ ضرورةً ونظراً ، كما سنشرّحه .

- (١) لا يحيطُ بها ضبطٌ : لا يحيطُ بها حصرٌ ، أو عدٌ ، أو حفظٌ .
- (٢) لما في ألفاظه من البلاغةِ وفنونها ، كالتوكيد ، والتلميح ، والتشبيه ، والاستعارة ، والإيجاز ، وحسن الفوائج والحوامص ، والفواصل إلى غير ذلك مما لا يحصى .
- (٣) بعددِها : أي بعدد سورة الكوثر آياتٍ وحروفاً وكلماتٍ .
- (٤) فيما انطوى : اشتمل القرآن .
- (٥) فلا مَرِيَّةَ : المَرِيَّةُ : الشكُّ ، والتردد ، والشبهة .
- (٦) من قِبَلِهِ : من جهته وجانبه .
- (٧) جاحِدٌ : منكرٌ له عناداً مع علمه به .
- (٨) فهو إنكارٌ للمحسوسات ؛ وذلك لا يصدر من عاقلٍ .
- (٩) في الحجّةِ به : أي الاحتجاج به وأنه كلام الله ؛ كقول المشركين : هذا سحرٌ مبينٌ .
وأساطيرُ الأولين .

قال بعضُ أئمتنا (۱) : ويجرى هذا المجرى (۲) على الجملة أنه قد جرى على يديه صلى الله عليه وسلم آياتٌ وخوارقُ عاداتٍ إن لم يبلغْ واحدٌ منها معيناً القطعَ فيبلغه جميعها ؛ فلا مزيةَ في جريانِ معانيها على يديه ؛ ولا يختلفُ مؤمنٌ ولا كافرٌ - أنه جرتُ على يديه عجائبٌ (۳) ؛ وإنما خلافُ المعانيدِ في كونها من قبَلِ الله .

وقد قد منّا كونها من قبَلِ الله ، وأن ذلك بمثابة قوله (۴) : صدقت .

فقد علمَ وقوعُ مثلِ هذا أيضا من نبينا ضرورةً لاتفاقِ معانيها (۵) ، كما يعلمُ ضرورةً جودُ حاتمٍ ، وشجاعةُ عنترةَ ، وحلمُ أحنفٍ ، لاتفاقِ الأخبارِ الواردة عن كل واحدٍ (۶) منهم على كرمِ هذا ، وشجاعةِ هذا ، وحلمِ هذا ، وإن كان كلُّ خبرٍ بنفسه (۷) لا يُوجبُ العلمَ ، ولا يُقطعُ بصحته (۸) .

والقسمُ الثاني (۹) ما لم يبلغْ مبلغَ الضرورةِ والقطعِ ؛ وهو على نوعين : نوعٌ مُشْتَهَرٌ مُنْتَشِرٌ ، رواه العَدَدُ ، وشاعَ الخَبْرُ به عند المحدثين والرؤاةِ و نَقَلَةَ السَّيْرَ والأخبارِ ؛ كَنَبْعِ المَاءِ من بين الأصابعِ ، وتكثيرِ الطعامِ (۱۰) .

(۱) بعضُ أئمتنا : أي علماء الحديث والتفسير ، وفي شرح القارى (۱ - ۵۳۶) : بعضُ أئمتنا : أي أئمة المالكية .

(۲) يجرى هذا المجرى : يقارب ما تقدم ويشبهه ؛ أي مجرى القسم الأول من معجزاته لدى علم قطعا ونقل إلينا تواترا .

(۳) عجائب : أي أمور خارقة للعادة حيرت أبصارهم وألباهم حتى يتمجب التمعجب منها .

(۴) قوله : قول الله . وقد تقدم صفحة ۳۴۶

(۵) لاتفاق معانيها : لتوفيقها كلها في معنى واحد .

(۶) حاتم الطائي المعروف بالكرم في الجاهلية . وعنترة العبيسي المشهور بشجاعته في الجاهلية

أيضا . وأحنف بن قيس المشهور بالحلم - في الجاهلية والإسلام .

(۷) بنفسه : أي وحده ، وبانفراده .

(۸) ولا يقطع بصحته لعدم تواتره بانفراده .

(۹) والقسم الثاني من المعجزات . (۱۰) الذي رواه أنس وغيره . وسيأتي بعد .

ونوع منه اختص به^(۱) الواحد والاثنان ؛ ورَوَاهُ الْعَدَدُ الْبَسِيرُ ، ولم يَشْهَرِ
اشتهار غيره ، لكنه إذا جُمِعَ إلى مثله اتفقا^(۲) في المعنى ، واجتمعا على الإتيان
بالمُعْجِزِ ، كما قد مناه^(۳) .

قال القاضي أبو الفضل^(۴) [۸۹] : وَأَنَا أَقُولُ صَدْعًا بِالْحَقِّ : إِنَّ كَثِيرًا مِنْ
هَذِهِ الْآيَاتِ الْمَأْثُورَةِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْلُومَةٌ بِالْقَطْعِ^(۵) :

أَمَّا انشِقَاقُ الْقَمَرِ فَالْقُرْآنُ نَصٌّ بِوُقُوعِهِ ، وَأَخْبَرَ عَنْ وُجُودِهِ^(۶) ، وَلَا يُعَدَّلُ
عَنْ ظَاهِرٍ إِلَّا بِدَلِيلٍ ، وَجَاءَ بِرَفْعِ^(۷) اِحْتِمَالِهِ صَحِيحُ الْأَخْبَارِ مِنْ طَرُقٍ كَثِيرَةٍ^(۸) ،
وَلَا يُوهِنُ عَزْمَنَا^(۹) خِلَافُ أُخْرَقِ^(۱۰) مُنْجَلِّ عُرَى الدِّينِ^(۱۱) ، وَلَا يُبَلِّغُنَا إِلَى

(۱) اختص به : أى بروايته .

(۲) اتفقا فى المعنى : فى أصل الإعجاز وثبوته .

(۳) كما قدمناه : أى من جريانها على يديه ، وانضمام بعضها إلى بعض القوى له .

(۴) هو المصنف .

(۵) المأثورة : الروية . معلومة بالقطع : لتواترها .

(۶) فى قوله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر » : سورة القمر ، آية ۱

(۷) برفع احتمال : أى بدفع احتمال خلاف الظاهر .

(۸) فى نسيم الرياض (۲ - ۵۰۱) : قال خاتمة الحفاظ ابن حجر : إن ما روى فى الصحيحين .

يفيد علما نظريا وإن لم يتواتر .

(۹) يوهن : يضعف . عزمنا : ما عزمنا عليه وقصدناه من إثبات هذه المعجزات وحمل

النصوص الواردة بها على ظاهرها من غير تأويل .

(۱۰) خلاف أخرق : مخالفة أحق : والمراد : جاهل لا دراية له ، ولا معرفة بالأحاديث .

(۱۱) المراد أنه غير متمسك بالدين .

سَخَافَةٌ مُبْتَدِعٌ يُبَلِّغُ الشُّكَّ عَلَى قُلُوبِ ضَعَفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ بَلْ نُرْغِمُ بِهَذَا أَنْفَهُ (۱) ،
وَنَنْبِذُ بِالْعَرَاءِ سُخْفَهُ (۲) .

وكذلك قصة نَبْعِ الْمَاءِ ، وتكثير الطعام - رَوَاهَا الثَّقَاتُ وَالْعَدَدُ الْكَثِيرُ
عَنِ الْجَمَاءِ الْغَفِيرِ ، عَنِ الْعَدَدِ الْكَثِيرِ مِنَ الصَّحَابَةِ (۳) .

ومنها ما رَوَاهُ الْكَافَّةُ عَنِ الْكَافَّةِ مُتَّصِلًا عَنْ حَدِيثِهَا مِنْ جُمْلَةِ الصَّحَابَةِ
وَإِخْبَارِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي مَوْطِنِ اجْتِمَاعِ الْكَثِيرِ مِنْهُمْ فِي يَوْمِ الْخَنْدَقِ ، وَفِي غَزْوَةِ بُوَاطِ (۴) ،

(۱) بل نرغم بهذا أنفه : أى نرد ما قاله ، ونظهر جهله وسخافة عقله ، حتى يفتضح
ويذل ويخزى . (۲) ننبذ : نطرح ونلقى .

قال في نسيم الرياض (۲ - ۵۰۲) : وحاصله أن انشقاق القمر في الآية على ظاهره ،
لوروده في الأحاديث الصحيحة من طرق متعددة ، فمن حملة على أن المراد أنه سينشق إذا قامت
القيامة يوم تشقق السماء - لم يأت بشيء ؛ وإن ارتضاه جمع ؛ لأنه لو وقع شاع وذاع وملاً
الاسماع لأنه آية عظيمة . وقيل معناه : ظهر الأمر ؛ لأن العرب تضرب المثل بالقمر لما وضع ؛
كما قال الشنفرى في لامية العرب :

فقد حمت الحاجات والليل مقمر
وشدت لطيات مطايا وأرحل
وقيل معناه انشقاق الظلم عنه بطلوعه ، كما يقال : انفلق الصبح وانشق ، كما قال النابغة :
فلما أدبروا ولهم دوى دعانا عند شق الصبح داعى
والداعى لهم على هذا عدم الوقوف على ماورد في السنة والفهم لأقوال الحكماء الداهيين
إلى امتناع الخرق والالتئام في الأجرام الفلكية ونحوه من الخرافات الفلسفية .

(۳) كالشيخين عن أنس ، والبخارى عن ابن مسعود . وستأتى هذه الأحاديث بعد .
(۴) بواط : اسم جبل من جبال جهينة بينه وبين المدينة أربعة برد بقرب رضوى ؛ وهو
جبل أيضا .

وأشار بالأول إلى قصة جابر رضى الله عنه لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعناق ذبيحها
مع صاع من شعير خبز ، فأناه صلى الله عليه وسلم ومعه ناس كثير ، وكان دعاه وحده فأكلوا
وشبعوا ؛ وفضل ذلك الطعام وكانوا نحو ألف وأشار بالثانى إلى قصة بواط ؛ وهى أنه وضع
عنده صلى الله عليه وسلم ماء قليل للوضوء ، فقال لجابر : ادع الناس ، فلما أتوا وضع يده
الشريفة في الماء فنبع من بين أصابعه حتى توضعوا كلهم . وسيأتى كل هذا بعد .

وَعُمْرَةَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَغَزْوَةَ تَبُوكَ ^(١) ، وَأَمْثَالِهَا مِنْ مَحَافِلِ الْمُسْلِمِينَ ^(٢) وَيَجْمَعُ الْمَسَاكِرَ ، وَلَمْ يُؤْتَرَ ^(٣) عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَخَالَفَةً لِلرَّأْيِ فِيهَا حِكَاةً ، وَلَا إِنْكَارًا لِمَا ذُكِرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ رَأَوْهُ كَمَا رَأَاهُ ^(٤) ، فَسَكَتُ السَّاكِتِ مِنْهُمْ كَنْطُقِ النَّاطِقِ ؛ إِذْ هُمُ الْمَنْزَهُونَ عَنِ السَّكُوتِ عَلَى بَاطِلٍ ، وَالْمُدَاهِنَةُ ^(٥) فِي كَذِبٍ ، وَلا رَغْبَةَ وَلَا رَهْبَةَ تَمْنَعُهُمْ ^(٦) ، وَلَوْ كَانَ مَا سَمِعُوهُ مُنْكَرًا عِنْدَهُمْ وَغَيْرَ مَعْرُوفٍ لَدَيْهِمْ

(١) الآيَةُ الَّتِي كَانَتْ فِي عَمْرَةَ الْحُدَيْبِيَّةِ أَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ مَعْتَمِرًا ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا صَدَّهُ الْمُشْرِكُونَ عَنِ الْبَيْتِ ، وَكَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكُوعَةٌ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا ، وَمَاءُ الْبِئْرِ قَلِيلٌ جَدًّا نَزَحَ النَّاسُ ، وَشَكُوا الْعَطَشَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَزَرَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ وَأَعْطَاهُ لِنَاجِيَةِ بِنِ عَمِيرَةَ ، فَفَرَزَهُ فِي الْبِئْرِ ؛ فَجَاشَ مَآؤُهَا ، وَجَاءَتْ جَارِيَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مَعَهَا دَلْوٌ ، فَاقْبَلَتْ بِهِ عَلَى نَاجِيَةٍ ، وَهُوَ فِي الْقَلْبِ ، وَقَالَتْ :

يَا أَيُّهَا الْمَأْمُوحُ دَلْوِي دُونَكَ إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَ
يَتَنَوَّنُونَ خَيْرًا وَيَحْمَدُونَكَ أَرْجُوكَ لِلْخَيْرِ كَمَا يَرْجُونَكَ

أَمَّا فِي تَبُوكَ . اسْمُ مَوْضِعٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالْمَدِينَةِ ، سَمِيَتْ بِعَيْنِ مَاءٍ : فَقَدْ أَمَرَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَّا يَسُوا مَآءَهَا ، فَسَبَقَ رَجُلَانِ بِسَهْمَيْنِ جَمَلَاهُمَا فِيهَا لِيَكْتَرَّ مَآؤُهَا فَزَجَرَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ، وَقَالَ لَهَا : مَا زِلْنَا تَبُوكَانَهَا ؛ أَيُّ تَحْفَرَانِهَا لِيُخْرِجَ مَآؤَهَا .

وَأَشَارَ الْمَصْنَفُ إِلَى آيَةٍ فِيهَا رَوَاهَا أَبُو هُرَيْرَةَ ؛ وَهِيَ أَنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ ، فَقَالَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعُ بِفَضْلِ الْأَزْوَادِ ، فَدَعَا بِنَطْعٍ وَبَسْطَةٍ ، وَدَعَا بِفَضْلِ الْأَزْوَادِ ، فَجَمَعَ الْجَمَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفٍ مِنْ ذَرَّةٍ ، وَالْآخِرُ بِكَفٍ مِنْ تَمْرٍ ، وَالْآخِرُ بِكَفٍ مِنْ شَعِيرٍ ؛ فَجَمَعَ ذَلِكَ وَبَرَكَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : خَذُوا ؛ فَأَخَذُوا فِي أَوْعِينِهِمْ حَتَّى مَآءِ الْمَسْكَرِ وَعَاءِ إِلَّا مَلْئُوهُ ، وَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ، وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ .

(٢) الْمَحَافِلُ : جَمْعُ مَحْفَلٍ ، مِنْ حَفَلَ الْقَوْمُ ؛ إِذَا اجْتَمَعُوا وَكَثُرُوا .

(٣) لَمْ يُؤْتَرَ : لَمْ يَنْقَلِ .

(٤) أَيُّ لَمْ يَنْقَلِ إِنْكَارًا أَنَّهُمْ رَأَوْا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا رَأَاهُ مِنْهُمْ الْآخِرَ ، بَلْ سَكَتُوا حِينَ سَمِعُوا مِنْ بَعْضِ الرِّوَاةِ أَنَّهُ شَهِدَ بِبَعْضِ آيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٥) الْمُدَاهِنَةُ : الْمَطَاوِعَةُ . (٦) تَمْنَعُهُمْ : أَيُّ الصَّحَابَةِ .

لأنكروه ، كما أنكر بعضهم على بعض أشياء رواها من السنن والسير وحروف القرآن^(١) . وخطأ بعضهم بعضا ، ووهمة في ذلك ، مما هو معلوم ؛ فهذا النوع^(٢) كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه .

وأياضا فإن أمثال الأخبار التي لا أصل لها ، وبنيت على باطل ، لا بد بعد مرور الأزمان وتداول الناس وأهل^(٣) البحث من انكشاف ضعفها ، ونحول ذكرها^(٤) ، كما يشاهد في كثير من الأخبار الكاذبة ، والأراجيف^(٥) الطارئة . وأعلام^(٦) نبينا هذه الواردة من طريق الأحاد لا تزداد مع مرور الزمان إلا ظهورا^(٧) ، ومع تداول الفرق^(٨) ، وكثرة طعن العدو ، وحرصه على توهينها ، وتضعيف أصلها ، واجتهاد الملحد^(٩) على إطفاء نورها إلا قوة وقبولا ، وللطاعين عليها إلا حسرة وغليلا^(١٠) .

وكذلك إخباره عن الغيوب ، وإنباؤه بما يكون^(١١) وكان^(١٢) معلوم من آياته على الجملة بالضرورة .

(١) وحروف القرآن : يريد قراءاته المتعددة .

(٢) هذا النوع كله من المعجزات المروية بطريق الأحاد ، ولم يشتهر اشتهارا يقرب من التواتر .

(٣) وأهل البحث : المراد علماء الحديث الذين يبحثون عن رواه الحديث صحة وضعفا .

(٤) ونحول ذكرها : بأن تنسى ، ولا يشتهر لها ذكر ، لكونها لا أصل لها .

(٥) والأراجيف : الأكاذيب . (٦) أعلام نبينا : المراد معجزاته المعلومة المشهورة .

(٧) ولو كانت غير صحيحة ازدادت خفاء وضعفا .

(٨) تداول الفرق : تسكلم الناس بها فرقة بعد فرقة .

(٩) الملحد : الإلحاد : الميل عن الاستقامة ، والمدول عن الحق . وفي أ : وإجهاد .

(١٠) غليلا : حقدًا .

(١١) الغيوب : جمع غيب ، وهو ما خفي علمه عن الناس ، كالذجال والمهدي وغير ذلك ،

وإنباؤه بما يكون في المستقبل من أشراط الساعة ، ومما يقع بين أمته من الفتن وغيرها .

(١٢) وكان : أي حصل في الماضي .

وهذا حق لا غطاءً عليه^(١)؛ وقد قال به من أئمتنا القاضي^(٢)، والأستاذ أبو بكر^(٣) وغيرهما، رَحِمَهُمُ اللهُ؛ وما عندي أوجب قول القائل: إن هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد إلا قلة مطالعته^(٤) للأخبار وروايتها، وشغله بغير ذلك من المعارف؛ وإلا فمن اعتمى بطرق النقل، وطامع الأحاديث والسير لم يرتب^(٥) في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه.

ولا يبعد أن يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر؛ فإن أكثر الناس يعلمون - بالخبر - كون بغداد موجودة؛ وأنها مدينة عظيمة، ودار الإمامة والخلافة؛ وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها؛ فضلا عن وصفها؛ وهكذا^(٦) يعلم الفقهاء من أصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه - أن مذهبه إيجاب قراءة [٩٠] أم^(٧) القرآن في الصلاة للمنفرد والإمام، وإجزاء النية^(٨) في أول ليلة من رمضان عما سواه؛ وأن الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة؛ والاقصص في المسح على بعض الرأس، وأن مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد^(٩) وغيره، وإيجاب النية في الوضوء، واشتراط الولي في النكاح؛ وأن أبا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل؛ وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى أقوالهم لا يعرف^(١٠) هذا من مذاهبهم فضلا عن^(١١) سواه.

وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات تزيد الكلام فيها بيانا إن شاء الله تعالى.

(١) لا غطاءً عليه: ظاهر، منكشف، من غير ليس وشبهة، وخفاء.

(٢) هو أبو بكر الباقلاني. (٣) أبو بكر: هو ابن فورك من الشافعية.

(٤) وما عندي: في اعتقادي وحكمي. وأوجب: اقتضى واستلزم وألجأ؛ أي لم ياجئه

لذلك إلا قلة مطالعته للأخبار النبوية. ومطالعته: الاطلاع عليها.

(٥) لم يرتب لم يشك. (٦) وهكذا: أي مثل أمر بغداد.

(٧) أم القرآن: الفاتحة. (٨) أجزاء النية: نية صوم رمضان كله.

(٩) بالمحدد: الذي له حد جرح كالسيف ونحوه.

(١٠) في: لا يعلم. (١١) في: ب: عما.

فصل

في إعجاز القرآن

[قال القاضي أبو الفضل رحمه الله ^(١) :

اعلم - وفقنا الله وإياك - أن كتاب الله العزيز ^(٢) منطوق ^(٣) على وجوه من

الإعجاز كثيرة ، وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه :

أولها - حسن تأليفه ، والتثام كليمه ^(٤) ، وفصاحته ، ووجوه إيجازه ، وبلاغته

الخارقة عادة العرب ؛ وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن ^(٥) ، وفرسان الكلام ؛

قد خصوا من البلاغة والحكم ^(٦) بما لم يُخص به غيرهم من الأمم ، وأوتوا من ذرابة

اللسان ^(٧) ما لم يؤت إنسان ، ومن فضل الخطاب ما يُقيد الألباب ^(٨) ؛ جعل الله

لهم ذلك طبعاً وخلقة ، وفيهم غريزة وقوة ، يأتون منه على البديهة بالمعجب ^(٩) ،

(١) من ب .

(٢) العزيز : القوى الغالب ، أو الذي لا نظير له .

(٣) منطوق : مشتمل ومحتو .

(٤) حسن تأليفه : أي نظم كلماته مؤلفة متوافقة . والتثام كالمه : كونها متناسبة بحسب

الدلالة ومقتضى مقاماتها .

(٥) الشأن : الأمر العظيم ، والمراد به البلاغة ، وجعلهم أربابها ، أي أصحابها المالكين

لها ، الذين بيدهم أزمته . وفي معترك الأقران : الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن .

(٦) أي خصهم الله تعالى من دون الناس ببلاغة كلامهم المخصوصة بلغاتهم وبما تفضته من

الحكم ؛ أي المعاني المحكمة المتقنة ، وما يبحث على مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات .

(٧) الذرابة : أصل معناها حدة السيف والسنان ، والمراد طلاقة اللسان مع خلوه

عن اللسنة .

(٨) من فصل الخطاب : الخطاب البين الفاصل عند الحاجة الذي لا لبس فيه ولا خفاء .

والألباب : جمع لب ، وهو العقل . ويقيد الألباب : يحيرها إذا سمعته ، حتى كأنها قيدت ومنعت

عن الإتيان بمثله لدهشتها من حسنه وبراعته .

(٩) البديهة : الفجاءة . والمعجب : الأمر الذي يمد عجباً لحسنه وسمو معناه ، فكأنه لم يمهده .

وَيُدُلُّونَ بِهِ إِلَى كُلِّ سَبَبٍ ^(١)؛ فَيَخْطُبُونَ بِدِيهَا فِي الْمَقَامَاتِ ^(٢)، وَشَدِيدِ الْخَطْبِ ^(٣)،
وَيَرْتَجِزُونَ ^(٤) بِهِ بَيْنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ، وَيَمْدَحُونَ وَيَقْدَحُونَ ^(٥)، وَيَتَوَسَّلُونَ
وَيَتَوَسَّلُونَ، وَيَرْفَعُونَ وَيَضَعُونَ ^(٦)، فَيَأْتُونَ مِنْ ذَلِكَ بِالسَّحْرِ الْحَلَالِ، وَيَطَوِّقُونَ
مِنْ أَوْصَافِهِمْ أَجْمَلَ مِنْ سِمَطِ اللَّالِ ^(٧)، فَيَخْدَعُونَ الْأَلْبَابَ، وَيَذُلُّونَ الصَّعَابَ،
وَيَذْهَبُونَ الْإِحْنَ ^(٨)، وَيُهَيِّجُونَ الدَّمْنَ، وَيَجْرُثُونَ الْجَبَانَ، وَيَبْسُطُونَ يَدَ الْجَعْدِ
الْبَنَانِ ^(٩)، وَيُصَيِّرُونَ النَّاقِصَ كَامِلًا، وَيَتْرَكُونَ النَّبِيَّ ^(١٠) خَامِلًا.

- (١) ويدلون به : يتوصلون . سبب : طريق ووسيلة إلى تحصيل مهمات أمورهم ؛
كالإزام الخصوم ، وجلب عجة القلوب ، واستعطاف الملوك والرؤساء .
- (٢) بديةا : من غير تصنع ولا تكلف . والمقامات : محافل الناس ومجامعهم .
- (٣) الخطب : الأمر العظيم الشأن الذي من شأنه أن تقع فيه المخاطبات والمنازعات ؛
فكان لكل قوم خطيب يقوم بينهم يحثهم على مهماتهم .
- (٤) ويرتجزون به : أى ينشدون رجزا ، وهو نوع من الشعر .
- (٥) يقدحون : يذمون ويهجون .
- (٦) يرفعون من مدحوه بمدائحهم ، فيصير نابه الذكر بعد أن كان خاملا ، ويضعون مقدار
من ذموه بقدحهم حتى يصير سبة بينهم .
- (٧) أجمل : أزين وأحسن . وأصل السمط : للسلك ما دام فيه الخرز . واللآل : اللآلىء .
وقد ضبطت سين كلمة السمط بالفتحة والكسرة وكتب عليها معا في ب . وفي ا : ضبطت
بالفتحة ، وكأنها جمع سمط مع أن القاموس قال : جمع سمط سموط . وضبط السين بالكسر .
- (٨) الإحن : جمع إحنة ، وهى الحقد . ويهيجون : يحركون ويظهرون . والدمن : جمع دمنة ؛
وهى فى الأصل ما فى مبارك الإبل من بمرها المتأبد بما عاينه من أبوالها ، والمراد الحقد المضر
المجتمع فى الباطن .
- (٩) يبسطون يد الجعد البنان : يمدون ، ويذهبون جمودتها ، وهى انقباضها . والمعنى
أنهم بفصاحتهم يصيرون البخيل كريما .
- (١٠) النبىه : الشريف المشهور .

منهم البدويُّ ذو اللفظِ الجزلِ^(١) ، والقولِ الفصلِ^(٢) ، والكلامِ الفخمِ ،
والطبعِ الجوهريِّ^(٣) ، والمنزَعِ القويِّ^(٤) .
ومنهم الحضريُّ ذو البلاغةِ البارعةِ ، والألفاظِ الناصعةِ^(٥) ، والكلماتِ الجامعةِ ،
والطبعِ السهلِ ، والتصرفِ في القولِ القليلِ الكلفةِ^(٦) ، الكثيرِ الرِّونقِ ، الرقيقِ
الحاشيةِ^(٧) .

وكلا البابينِ^(٨) لها في البلاغةِ الحجَّةُ البالغةُ ، والقوةُ الدامغةُ^(٩) ، والتدحُّ
المنالِ^(١٠) ، والمهيجُ الناهجِ^(١١) ، لا يشكُّون أن الكلامَ طوعُ مُرادِهِم ، والبلاغةُ ملكُ
قيادِهِم ، قد حوِّروا فنونها ، واستنبطوا عيونها^(١٢) ، ودخلوا من كلِّ بابٍ من

(١) اللفظ الجزل : اللفظ المحكم القاطع الفاصل .

(٢) الفصل : الذي يفصل بين الحق والباطل . (٣) الجوهري : النفيس .

(٤) والمنزع القوي : أي يأتون بنوع من الكلام يستخرجونه من بين أنواع الكلام
بطبائهم السليمة بحيث إذا سمعه السامع شفي غليله .

(٥) لناصر : الخالصة من الألفاظ الوحشية الغريبة السالمة من الركاكة .

(٦) والتصرف في القول القليل الكلفة : القليل صفة للتصرف ؛ أي يخرج من نوع إلى
نوع من غير تكلف لكونه سجيّة له . وقد تكون « القليل » صفة للقول : أي لا يورد في
كلامه ما يعسر فهمه على السامع لغرابته أو تعقيدته .

(٧) الرونق : الحسن واللطافة . والحاشية : أصل الحاشية : طرف البرد والثوب . ورقة
حاشيته عبارة عن رقته وحسن نسجه ، وسهولته وسلاسته .

(٨) وكلا البابين : أي كلام البدوي ، والحضري .

(٩) الدامغة : الغالبة لغيرها .

(١٠) التدح : واحد قداح الميسر ؛ وهو سهم بغير ريش ، وقداح الميسر : كانوا يقامرون
بها في الجاهلية ، منها ماله نصيب ، ومنها ما لا نصيب له . والفاج : الفائز ؛ أي لهذه اللغة شرف
وفوز عند سامعها .

(١١) المهيج : الطريق الواسع . الناهج : البين الواضح السلوك .

(١٢) استنبطوا عيونها : استخرجوا خيلها ومحاسنها .

أبوابها ، وعلوا صرّحا لبلوغ أسبابها (١) ؛ فقالوا في الخطير والمهين (٢) ، وتفننوا
في الفث والسمين (٣) ، وتقاولوا في التل والكث (٤) ، وتساجلوا في النظر والنثر (٥) ؛
فما راعهم (٦) إلا رسول كريم ، بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ؛ أحكمت آياته ، وفصّلت كلماته ، وبهرت (٧)
بلاغته العقول ، وظهرت فصاحته على كل متول ، وتظافر إيجازه وإعجازه ،
وتظاهرت حقيقته ومجازه ، وتبارت في الحسن مطالعته ومقاطعته (٨) [٩١] ، وحوّت
كلّ البيان جوامعه (٩) وبدائعه ، واعتدل مع إيجازه حسن نظمه ، وانطبق على
كثرة فوائده مختار لفظه (١٠) ، وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالا ، وأشهر

(١) وعلوا صرّحا : علوا : صعدوا . والصرح : البيت العالي المزخرف بناؤه ، والبيت
النفرد . لبلوغ أسبابها ؛ أى علوا قصر البلاغة ، ليصلوا إلى ما فيه من الأسباب الموصلة لمهماتهم
ومطالبهم النفيسة .

(٢) الخطير : : الأمر العظيم الذى له خطر ؛ أى شرف ومزية . والمهين : الحقير .

(٣) تفننوا : أتوا بكل فن من فنون الكلام . والفث : أصله المهزول ، والمراد به القبيح
والفاسد . وضده السمين .

(٤) تقاولوا : أداروا الكلام بينهم . القل : القليل . والكث : الكثير .

(٥) تساجلوا : المراد أنهم تناوبوا أو تفاخروا وتعارضوا فى عد المآثر ، كما هو معروف
عندهم .

(٦) فما راعهم : أى بينهم كذلك جاءهم أمر بغتة لم يكن لهم علم به ، ولم يطرق مسامعهم مثله .

(٧) بهرت : غلبت ، وأدهشت .

(٨) تبارت فى الحسن مطالعته ومقاطعته : تشابهت وتساوت أوائله وأواخره . والمعنى أن
مطالعه - وهو مبدؤه كفوائح السور ، ومقطعه - وهو منتهاه وغايته كخواتم السور - يجارى
كل منهما الآخر ويسابقه ليحوز قصب السبق من الفصاحة وصحة المعانى . والمراد تشابههما .

(٩) جوامعه : أى جوامع كلمة التى جمعت المعانى الكثيرة فى ألفاظ قليلة .

(١٠) انطبق : وافق ، واحتوى . كثرة فوائده : معانيها التى تفيدها . مختار لفظه : لفظه

المهذب الذى كأنه انتخب ونقى .

فی الخطابة رجالا ، وأكثر فی السجع والشعر سجالا^(۱) ، وأوسع فی الغریب واللفظ
مقالا^(۲) ؛ بلغتهم التي بها يتحاورون ، ومنازعتهم التي عنها يتناضلون^(۳) ، صارخا
بهم فی كل حين ، ومقرعا لهم بضعا^(۴) وعشرين عاما على رؤس الملا أجمعين :
﴿ أَمْ يَقُولُونَ^(۵) افترأه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون
الله إن كنتم صادقين ﴾^(۶) .

﴿ وإن كنتم^(۷) فی ریب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا
شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا وأن تفعلوا . . . ﴾ .
و ﴿ قل^(۸) آئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن
لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ .

و ﴿ قل^(۹) فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ﴾ . وذلك أن المفترى أسهل ،
ووضع الباطل والمختمق على الاختيار أقرب^(۱۰) ، واللفظ إذا تبع المعنى الصحيح
كان أصعب ؛ ولهذا قيل : فلان يكتب كما يقال له ، وفلان يكتب كما يريد .

(۱) سجالا : المراد بالسجال هنا المحاوره . أو المفاخره . أو سجالا ؛ أى تارة ، تارة ،
باعتبار المناوبه والمغالبة . وفى ا : ارتجالا ، وفى هاشمه : سجالا . وفى ب : سجالا ، وفى
هاشمه : ارتجالا . (۲) مقالا : قولا .

(۳) المناضلة : المفاخره ، أو المغالبة بالكلام من النظم والنثر .

(۴) ومقرعا لهم : أى معيرا وموبخا لهم . والبضع : من الثلاث إلى التسع من كسور المدد .

(۵) سورة يونس ، آية ۳۸

(۶) وادعوا من استطعتم : ادعوا كل من قدرتم على دعوته ليعينكم على اقتراء كلام يضاويه .

(۷) سورة البقرة ، آية ۲۳ ، ۲۴ (۸) سورة الإسراء ، آية ۸۸

(۹) سورة هود ، آية ۱۳ . ومفتريات : محض كذب واختلاق منكم .

(۱۰) المراد بالاختيار ضد الإلجاء والاضطرار ؛ فإن الصادق مضطر إلى اتباع الحق ، وقد

يضيق عليه نطاق البيان بخلاف الكاذب فإنه يجد مجالا واسما .

والأول^(۱) على الثاني فضل ، وبينهما شأو^(۲) بعيد^(۳) .
 فلم يرزل يُقرَّعهم صلى الله عليه وسلم أشد^(۴) التقريع ، ويوبِّخهم غاية التوبيخ ،
 ويسفه^(۵) أحلامهم^(۶) ، ويحط^(۷) أعلامهم^(۸) ، ويشتت^(۹) نظامهم^(۱۰) ، ويذم^(۱۱) آلهتهم
 وآباءهم ، ويستبيح^(۱۲) أرضهم وديارهم وأموالهم ، وهم في كل هذا ناكصون^(۱۳) عن
 معارضته ، مُحجِّمون عن مماثلته^(۱۴) ، يُخادعون أنفسهم بالتشغيب والتكذيب ،
 والإغراء بالافتراء^(۱۵) ، وقولهم^(۱۶) : ﴿ إن هذا إلا سحرٌ يُؤثر ﴾ ، و﴿ سحرٌ مستمرٌ ﴾ ،
 و﴿ إفاك^(۱۷) افتراء ﴾ ، و﴿ أساطير^(۱۸) الأولين ﴾ ؛ والمباهة والرضا

(۱) الأول : الذى يكتب كما يقال له . والثانى : الذى يكتب ما يريد . والمراد بالكتابة
 هنا : الكلام ، وإن لم يكتب . (۲) شأو : غاية وأمد . والمراد التفاوت الزائد .

(۳) فى ا: غاية . وفى هامشه : أشد ، وعليها علامة الصحة .

(۴) يسفه أحلامهم : السفه : الخفة . والأحلام : العقول ؛ أى يصفهم بالسفه وقلة العقل .

(۵) يحط أعلامهم : ينكس رايانهم ، ويذل سادتهم ، ويذري بالبابهم . والمراد أنه يحقرهم ،
 ويقهرهم بطعنه فيهم ، وإظهار ضلالهم وسوء حالهم .

(۶) ويشتت نظامهم : يفرق جمعهم ، ويبطل آراءهم بجذاله وجلاله .

(۷) ناكصون : نكص : أحجم وتأخر . والمراد أنهم لم يعارضوه فيما فعله ، وفيما أتى
 به ، ولم يأتوا بمثله .

(۸) عن مماثلته : عن الإتيان بشيء مماثل أقصر سورة منه لما تحداهم .

(۹) التشغيب : تهبيح الشر والفتن . والتكذيب : أى بادعائهم كذب رسول الله فيما
 جاء به من الحق الذى لامرية فيه . وفى ا: بالتكذيب . وفى هامشه : بالأكاذيب . والإغراء
 الحث والتحرير . وفى ا: والافتراء .

(۱۰) سورة المدثر ، آية ۲۴ ، يؤثر : ينقل .

(۱۱) سورة القمر آية ۲ ، وسحر مستمر : دائم باق ، أو محكم متقن .

(۱۲) سورة الفرقان ، آية ۴ ، وإفاك افتراء : كذب اخترعه واختلقه . وإفاك : أسوأ

الكذب .

(۱۳) سورة الأنعام ، آية ۲۵ وغيرها . وأساطير الأولين : شئ أخذها مما سطره الأولون

وزخرفوه . وقائل هذا هو النضر بن الحارث بن كلدة .

بِالذِّنِّيَّةِ^(١) ؛ كقولهم^(٢) : ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ . و ﴿ فِي^(٣) أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ،
وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ، وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ ؛ و ﴿ لَا تَسْمَعُوا^(٤) لِهَذَا الْقُرْآنِ
وَالنَّوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ .

والادعاء مع المعجز بقولهم^(٥) : ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا ﴾ .

وقد قال لهم الله : وَلَنْ تَفْعَلُوا ؛ فافعلوا ولا قدرُوا . وَمَنْ تَعَاطَى ذَلِكَ مِنْ
مُخْفَاتِهِمْ^(٦) - كَسَيْلَمَةَ - كَشَفَ عَوَارِهِ^(٧) جَمِيعَهُمْ ؛ وَسَلَبَهُمُ اللَّهُ مَا أُفْوَاهُ^(٨) ،

(١) الباهتة : الكذب الذي يبهت ويدهش سامعه . والدنية : الخصلة الحقيرة الخسيسة
المنحطة التي لا يرضى بها من له عقل ومروءة .

(٢) سورة البقرة ، آية ٨٨ ، والنساء ، آية ١٥٥ ، وظاهره الوصف بالحماقة وعدم الفهم ؛
وهو أمر مذموم لا يرتضيه العقل . وغاف : جمع أغلف ، أى فى غلاف .

(٣) سورة فصلت ، آية ٥ .

والأكنة : جمع كنان ؛ أى غطاء ؛ يريد منطاة ؛ أى لا تفهم ما تقول ، ولا يصل إليها
الدعوة . وما يدعوه إلى القرآن والإيمان . والوقر : الصمم ، وأصل معناه الثقل .

(٤) سورة فصلت ، آية ٢٦ .

لا تسمعوا لهذا القرآن : لا تصنوا ولا تنصتوا إليه . والنوا فيه : المراد رفع الصوت بأى كلام
كان ، حتى يشوش على قارئه ، فيقطع قراءته ، أو يمنع من استماعه . لعلكم تغلبون قارئه بقطع
قراءته ؛ فغلبتهم إنما هى بالجهل والسهو ، كما هو شأن العاجز الماند .

(٥) سورة الأنفال ، آية ٣١ ، وقائل هذا هو النضر بن الحارث .

قال فى نسيم الرياض (٢ - ٥٢٦) : وهذه وقاحة لفرط عنادهم ومكابرة ؛ ولو استطاعوا
مامنهم أن يشاءوا ، وقد تحداهم وقرعهم بالمعجز عشرين سنة ، ثم قارعهم بالسيوف فلم يقدرُوا
مع استنكافهم من أن يغلبوا ، خصوصا فى الفصاحة .

(٦) من سخفاتهم : ممن فيه طيش وقلة عقل .

(٧) عواره - بفتح العين وضمها : عيبه وحماته . وقد ضبطت كذلك فى ب ، وكتب

عابها « معا » .

(٨) ما أفواه : ما اعتادوه بطباعهم .

من فصيح كلامهم ، وإلا فلم يخف على أهل الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم^(۱) ، ولا جنس بلاغتهم ؛ بل وآوا عنه مُدْبِرِينَ ، وآتوا مُذْعِنِينَ مِنْ بَيْنِ مُهْتَدٍ وَبَيْنِ مَفْتُونٍ^(۲) .

ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ . قال : والله ، إِنَّ لَهُ لِحَلَاوَةً^(۳) ، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً ، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمَفْدِقٌ ، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُشْمِرٌ ، مَا يَقُولُ هَذَا بَشَرٌ^(۴) .

وذكر أبو عبيد^(۵) أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ^(۶) : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ - فسجد ، وقال : سجدت لفصاحته .

وسمع آخر رجلا يقرأ^(۷) : ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ ، فقال : أشهد أَنَّ مَخْلُوقًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ مِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ .

(۱) الميز : التمييز والعقل . ونمط فصاحتهم : نوع فصاحتهم ، وطريقتها .

(۲) مذعنين : منقادين . والمفتون : المتحير في أمره المنكر لإعجازه .

(۳) سورة النحل ، آية ۹۰ . (۴) في ۱ : حلاوة .

(۵) طلاوة : حسن وقبول ورونق . مفدق : من الفدق ، وهو كثرة الماء .

لمشمر : له ثمر طيب كثير . والمراد أن كلامه أصله قوي ، ليس من جنس كلام البشر . ومعانيه

مفيدة مرشدة لسعادة الدارين وحسن العاقبة . وأراد بأسفله : ما تضمنه من المعاني ، كما يقال :

تحت هذا الكلام معان غزيرة . وأراد بأعلاه : ما ينتج من الفوائد والعوائد التي تظهر من

فهم معانيه وتيقنها . ما هذا بقول بشر : لا يشبه كلام البشر بوجه من الوجوه . وفي هامش ب

أمام هذه الجملة : وكذلك قال خالد بن عتبة . (۶) في هامش ب : خ : أبو عبيدة .

(۷) سورة الحجر ، آية ۹۴ . واصدع بما تؤمر : اجهر بما أمرت بتبليغه ، ولا تبال بما

يقولونه .

(۸) سورة يوسف ، آية ۸ ، استيأسوا : يئسوا من يوسف . وخلصوا : اعتزلوا وانفردوا .

نجيا : متناجين في تدبير أمره .

وَحُكِّيَ أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَانَ يَوْمًا نَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ فَإِذَا هُوَ بِقَائِمٍ عَلَى رَأْسِهِ يَتَشَهَّدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ ؛ وَاسْتَخْبِرَهُ ، فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ مِنْ بَطَارِقَةٍ ^(۱) ، الرُّومُ مِنْ يُحْسِنُ كَلَامَ الْعَرَبِ وَغَيْرَهَا ، وَأَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا مِنْ أُسْرَى ^(۲) ، الْمُسْلِمِينَ [۹۲] يَقْرَأُ آيَةً مِنْ كِتَابِكُمْ فَتَأَمَّلْتُهَا ، فَإِذَا [هِيَ] ^(۳) قَدْ جُمِعَ فِيهَا مَا أَنْزَلَ عَلَى عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى ^(۴) : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَبَيْتَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ .

وَحَكِّيَ الْأَصْمَعِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ كَلَامَ جَارِيَةٍ ؛ فَقَالَ لَهَا : قَاتِلِكِ اللَّهُ مَا أَفْضَحَكَ ! فَقَالَتْ : أَوْ يَعُدُّ هَذَا فَصَاحَةً بَعْدَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ^(۵) : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ؛ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ؛ فَجُمِعَ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ بَيْنَ أَمْرَيْنِ وَنَهْيَيْنِ ، وَخَبْرَيْنِ ، وَبِشَارَتَيْنِ ^(۶) .

فَهَذَا ^(۷) نَوْعٌ مِنْ إِعْجَازِهِ مُنْفَرِدٌ بِذَاتِهِ ، غَيْرٌ مُضَافٍ إِلَىٰ غَيْرِهِ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالصَّحِيحِ مِنَ الْقَوْلَيْنِ ^(۸) .

(۱) البطارقة : جمع بطريق ، ومعناه الرئيس وقائد الجيش ، وجمعه بطارقة .

(۲) في ب : قوما من أسرى المسلمين يقرءون . (۳) من ب .

(۴) سورة النور ، آية ۵۲ (۵) سورة القصص ، آية ۷

(۶) الأمرين : أرضعيه ، وألقيه . والنهيين : لا تخافي ، ولا تحزني . والخبرين : أوحينا ،

وخفت عليه . والبشارتين : رادوه إليك ، وجاعلوه من المرسلين . (۷) فهذا الجمع .

(۸) قال في نسيم الرياض (۲ - ۵۳۱) : الظاهر أن مراده بالقولين هنا - كما قاله بمضمون :

القول بأن إعجاز القرآن هل هو بمجموع بلاغته وأسلوب نظمه ؛ أو هو متحقق بكل واحد منهما على حدته وانفراد ، بدون إضافة أحدهما إلى الآخر ؛ فإن كلا منها خارق للعادة ، خارج عن طوق البشر .

وقيل : المراد بالقولين : القول بأن إعجازه يبلاغته التي لا يرتقى أحد إلى مرتبتها ؛ والقول

بأنه معجز بغير ذلك كالصرفة ، والإخبار بالمنبيات . والأول هو المتبادر من سياقه .

وكون القرآن من قبيل النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه أتى به - معلوم ضرورة ،
وكونه - عليه السلام - متحدثاً به معلوم^(١) ضرورة ، وعجز العرب عن الإتيان
به معلوم ضرورة ، وكونه في فصاحته خارقاً للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة
ووجوه البلاغة ؛ وسبيل^(٢) من ليس من أهلها عام^(٣) ذلك بعجز المفكرين من
أهلها عن معارضته واعتراف المفسرين بإعجاز بلاغته .

وأنت إذا تأملت قوله تعالى^(٤) : ﴿ وَأَسْكُمُ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ . وقوله^(٥) :
﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا فَلَا قُوَّةَ وَأَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ . وقوله^(٦) :
﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ .
وقوله^(٧) : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ، وَيَأَسْمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ
الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ، وَقِيلَ : بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .
وقوله^(٨) : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ، وَمِنْهُمْ مَنْ

(١) في هامش ١ : التحدى : التعمد للنازعة الغاية .

(٢) سبيل : طريق من ليس من أهل الفصاحة الجبلية الموصلة لمعرفة إعجازه ، كالمولدين .
والمعجم .

(٣) في ب : فعل مبنى للمعلوم ، وللمجهول ، وكتب عليه معا . وفي ا : علم - بكسر العين
وسكون اللام . (٤) سورة البقرة آية ١٧٩

(٥) سورة سبأ ، آية ٥١ ، فزعوا : من حلول الأجل ، أو من بشم من القبور ، أو في
يوم بدر . وأخذوا من مكان قريب : من ظهر الأرض إلى بطنها . أو من الموقف إلى النار ،
أو من صحراء بدر إلى قليبها .

(٦) سورة فصلت ، آية ٣٤ ، أى ادفع سيئة من أساء إليك بالحسنة التي هي أحسن من
كل شيء حسن ، أو بأحسن دفع ممكن .

(٧) سورة هود ، آية ٤٤ ، والإفلاق : الإمساك .

(٨) سورة العنكبوت ، آية ٤٠ . حاصبا : أى ريحا عاصفة فيها .

حصاباء ، وهى الحجارة الصغيرة - وهم قوم لوط . ومنهم من أخذته الصيحة : هم قوم
نمود ومدين . ومن خسفنا به الأرض : قارون . ومن أغرقنا : قوم نوح وفرعون .

أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفتنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا .
 وأشباهها من الآي ، بل أكثر القرآن - حقت ما بينته من إيجار الفاظها ؛
 وكثرة معانيها ، وديباجة^(١) عبارتها ، وحسن تأليف حروفها ، وتلاؤم^(٢) كلامها ،
 وأن تحت كل لفظة منها جملاً كثيرة ؛ وفصولاً جمّة^(٣) ، وعلوماً زواجر^(٤) ،
 الدواوين^(٥) من بعض ما استفيد منها ، وكثرت المقالات في المستنبطات^(٦) عنها .
 ثم هو^(٧) في سرد القصص الطوال ، وأخبار القرون السوائف^(٨) ، التي يضعف
 في عادة الفصحاء عندها الكلام ، ويذهب ماء البيان^(٩) - آية^(١٠) لتأمله ؛ من
 ربط الكلام ببعضه ببعض ، والتثام سرده^(١١) ، وتناصف وجوهه^(١٢) ؛ كقصة يوسف
 على طولها .

(١) المراد حسن عبارتها .

(٢) تلاؤم كلامها : تناسب وموافقة .

(٣) وفصولاً جمّة : أنواعاً كثيرة من محاسن الكلام .

(٤) زواجر : كثيرة ، كالبهار الزواجر ؛ من زجر البحر ؛ إذا كثرت ماؤه وارتفعت

أمواجه . (٥) الدواوين : الدفاتر ؛ يريد كتب التفسير وغيره من الفنون .

(٦) في المستنبطات عنها : أي في المعاني والأحكام المستخرجة بطريق الإشارة والدلالات .

(٧) هو : أي القرآن .

(٨) المراد بالقرون السوائف : الأمم المتقدمة على عصر النبوة . والقرن : مدة من الزمان

مختلف فيها - والمراد أهله .

(٩) ماء البيان : رونقه وحسنه .

(١٠) آية : علامة .

(١١) والتثام سرده : أي مناسبة كلماته السرودة المتتابعة مع فصاحتها ، وحسن

تأليفها .

(١٢) وتناصف وجوهه : المراد بالوجوه بلاغته . وتناصف تفاعل - من النصفة والإنصاف ،

يقال أعضاؤه متناصفة حسناً ؛ أي لا ينقص حسن بعضها عن بعض .

ثم إذا (١) ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى
تكد كل واحدة تُدسى في البيان صاحبها ، وتُصِفُ في الحُسنِ وَجَهَ مُقَابَلَتِهَا ،
ولا نفورَ للنفوسِ مِنْ تَرْدِيدِهَا ، ولا معاداةَ لِمَعَادِهَا (٢) .

فصل

الوجه الثاني من إعجازه صورةُ نَظْمِهِ العَجِيبِ ، والأسلوبُ الغريبُ المخالفُ
لأساليبِ كلامِ العربِ وَمَنَاهِجِ (٣) نَظْمِهَا وَنَثْرِهَا الذي جاء عليه ، ووقفتُ مقاطِعُ
آيه ، وانتهت فواصلُ كلماته إليه (٤) ؛ ولم يوجد قبَّله ولا بعده نظيرُ له ، ولا استطاع
أحدٌ مُماثِلَةً شَيْءٍ مِنْهُ ؛ بل حارت فيهِ عقولُهم ، وتداهت دونه أحلامُهم (٥) ، ولم
يهتدوا إلى مثله في جنسِ كلامهم من نثر أو نظم ، أو سجع أو رجز ، أو شعر .
ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليدُ بن المغيرة ، وقرأ عليه القرآن - رَقَّ ؛
فجاءه أبو جهل مُسْكِرًا عليه [٩٣] - قال : والله ما منكم أحدٌ أعلمُ بالأشعارِ مِنِّي ،
والله ما يُشْبِهُهُ الذي يقولُ شيئاً مِنْ هذا .

(١) ترددت : تكررت .

(٢) أي لا تكرهه ، ولا تعادي الطباع المعاد في القرآن وللكرر من قصصه .

(٣) المناهج : جمع منهج ، وهو الطريق ؛ أي لا يشبه كلامهم المنظوم ، وهو الشعر ، ولا
المشور من الخطب وغيرها .

(٤) المقاطع : جمع مقطع ؛ وهو آخر الكلام الذي يقف عليه القاري . والمراد انتهت

ووصلت . والفواصل : جمع فاصلة ؛ وهي الكلمة الأخيرة من الفقرة ونحوها .

(٥) تداهت : دهشت وتحيرت في شأنه . والأحلام : جمع حلم ؛ وهو العقل . بمعنى

أن عقولهم لم تصل إليه ؛ إذ تحيرت فيما هو أقل منه ، فكيف به ! وفي ب : وتولت .

وفي خبره الآخر - حين جمع قريشا عند حضور الموسم^(١) ، وقال : إن وفود
العرب ترد^(٢) فأجمعوا فيه رأيا^(٣) ، لا يكذب بعضكم بعضا؛ فقالوا : نقول كاهن .
قال : والله ما هو بكاهن . ما هو بزمنة^(٤) ولا سجة .
قالوا^(٥) : مجنون . قال : ما هو بمجنون ، ولا بخنقة^(٦) ولا وسوسة .
قالوا : فنقول شاعر . قال : ما هو بشاعر . قد عرفنا الشعر كله ، رجزه ،
وهزجه ، وقرينه ، ومبسوطه ومقبوضه ، ما هو^(٧) بشاعر .
قالوا : فنقول ساحر . قال : ما هو بساحر ، ولا نفثه ولا عقده^(٨) .
قالوا : فما نقول : قال : ما أنتم بقائلين من هذا شيئا ، إلا وأنا أعرف أنه باطل ،
وإن أقرب القول أنه ساحر ؛ فإنه سحر يفرق بين المرء وابنه^(٩) ، والمرء وأخيه ،
والمرء وزوجه ، والمرء وعشيرته^(١٠) .

-
- (١) الموسم : المراد موسم الحج . وهذا الخبر في دلائل أبي نعيم : ١ - ٣٠٢ .
(٢) ترد : أى يقدمون من غير البلاد .
(٣) فأجمعوا فيه : أى فى النبي ؛ أى دبروا وتداركوا . رأيا : أى أمرا يعتقدون أن له
فائدة ونتيجة . وفى ا : فأجمعوا - بهزة وصل .
(٤) الزمنة : صوت خفى لا يكاد يفهم ؛ أى ليس كلامه مشبها زمزمة السكاهن ، ولا سجعه .
(٥) فى ا : فقالوا .
(٦) الخنق - بفتح النون وكسرها : الجنون . وقال القارى (١ - ٥٥٨) : أى ليس
ممن أصابه الجن وخنقه ، ولا وسوس له فى صدره .
(٧) الهزج : اسم بحر من بحور الشعر . والقريض : الشعر ، ولعله يريد المقطوعات
الشعرية . ومبسوطه : مطولات قصائده . ومقبوضه : المراد به مختصر أوزانه .
(٨) النفث : النفخ مع ريق ، والعقد : عقد حبال أو شعر مضمور ونحوه ؛ وكفى به
عن أنه ليس له علم بما عمله السحرة .
(٩) فى ب : وأبيه ، وابنه ، وعليها « معا » . وفى ا : وابنه ، وعليها علامة الصحة .
(١٠) وعشيرته : أى أقاربه الأذنون المعاشرون له .

فتفرقوا وجلسوا على السُّبُل (۱) يحذرون الناس؛ فأنزل الله تعالى في الوليد (۲) :
 ذرني (۳) ومن خلقت وحيداً . وجعلت له مالا ممدوداً . وبين شهوداً . ومهدت
 له مهيداً . ثم يطمع أن أزيد . كلا إنه كان لآياتنا عنيداً . سأرهبه صعوداً . إنه
 فكّر وقدر . فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر . ثم نظر . ثم عبس وبسر .
 ثم أدبر واستكبر . فقال : إن هذا إلا سحرٌ يؤثر (۴) .

وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن : يا قوم ؛ قد علمت أني لم أترك شيئاً
 إلا وقد علمته وقرأته وقلته ؛ والله لقد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ؛ ما هو
 بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة (۵) .

وقال النضر بن الحارث نحوه .

وفي حديث إسلام أبي ذر (۶) ووصف أخاه أنيساً ، فقال : والله ما سمعت بأشعر
 من أخى أنيس ؛ لقد ناقض (۷) اثني عشر شاعراً في الجاهلية (۸) ، أنا أحدهم ،
 وإنه انطلق إلى مكة ، وجاء إلى أبي ذر بنحو النبي صلى الله عليه وسلم . قلت : فما يقول
 الناس ؟ قال : يقولون : شاعر ، كاهن ، ساحر ، لقد سمعت قول الكهنة فما هو

(۱) السبل : الطرق . (۲) خبر الوليد في الدلائل لأبي نعيم : ۱ - ۳۰۳

(۳) سورة المدثر ، من آية ۱۱ - ۲۴

(۴) ذرني ومن خلقت وحيداً : دعني معه ، فأنا أكفيه من كيد أعدائه وإن كان وحيداً
 منفرداً عن أهله وعثرته لتركهم له .

(۵) ضبطت الكاف بالفتحة والكسرة ، وعليها « معا » في ب .

(۶) الفغاري الصحابي ، وهو جندب بن جنادة . وحديث إسلامه في صحيح مسلم : ۱۹۱۹

(۷) نقاض الشعر في الجاهلية : إذا قال أحدهم شعراً ذكر فيه افتخارا بأبائه وشرفهم
 على قوم غيره ، أو ذكر فيه هجاء غيره ومثالبه ؛ فيعارضه غيره بشعر يذكر فيه ضد ما قاله ؛
 فيسمى ذلك مناقضة . ويقال للقائد نقاض .

(۸) أي عارضهم في قصائدهم ، فأتى بمثلاً ؛ وهذا يدل على فصاحته ومعرفة بالشعر .

بِتَوَلُّمُ ، وَاقْدَ وَضَعْتُهُ عَلَى (۱) أَقْرَاءِ الشَّعْرِ فَلَمْ يَلْتَمِمْ ، وَمَا يَلْتَمِمْ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدَى
أَنَّهُ شِعْرٌ (۲) ؛ وَإِنِّهِ أَصَادِقٌ ، وَإِنِّهِمْ لِكَاذِبُونَ .
وَالْأَخْبَارُ فِي هَذَا صَحِيحَةٌ كَثِيرَةٌ .

وَالْإِعْجَازُ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ النُّوعَيْنِ : الْإِيجَازُ وَالبَلَاغَةُ بِذَاتِهَا (۳) ؛ أَوِ الْإِسْلُوبُ
الْغَرِيبُ بِذَاتِهِ (۴) ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا نَوْعٌ إِعْجَازٍ عَلَى التَّحْقِيقِ ، لَمْ تَقْدِرِ الْعَرَبُ عَلَى
الْإِتْيَانِ وَاحِدٍ مِنْهُمَا (۵) ؛ إِذْ كُلُّ وَاحِدٍ خَارِجٌ عَنْ قُدْرَتِهَا ، مُبَايِنٌ (۶) لِقَصَاحَتِهَا
وَكَلَامِهَا ؛ وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ أُمَّةِ الْمُحَقِّقِينَ .

وَذَهَبَ بَعْضُ [الْمُحَقِّقِينَ] (۷) الْمُقْتَدِي بِهِمْ إِلَى أَنَّ الْإِعْجَازَ فِي مَجْمُوعِ الْبَلَاغَةِ
وَالْإِسْلُوبِ (۸) ، وَأَتَى عَلَى ذَلِكَ بِتَوَلُّمِ تَمَجُّهِ الْأَسْمَاعِ ، وَتَنْفِرِ مِنْهُ الْقُلُوبِ .
وَالصَّحِيحُ مَا قَدَّمَ مِنْهُ (۹) ، وَالْعِلْمُ بِهَذَا كُلَّهُ ضَرُورَةٌ قَطْعًا .
وَمَنْ تَفَنَّنَ فِي عُلُومِ الْبَلَاغَةِ ، وَأَرَهَفَ (۱۰) خَاطِرَهُ وَلِسَانَهُ أَدَبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ
لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ مَا قَلَدَاهُ .

- (۱) وَضَعْتُهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشَّعْرِ : أَنْوَاعُهُ وَأَنْحَاؤُهُ وَأَمْثَالُهُ ، أَوْ قَوَافِيهِ الَّتِي
يُحْتَمُّ بِهَا ، أَيْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ ، وَقَابَلْتُهُ ، وَقَسْتُهُ بِالشَّعْرِ .
(۲) فَلَمْ يَلْتَمِمْ : فَلَمْ يَتَيْسَّرْ وَيَتَّفَقْ . وَالْمَعْنَى : لَا يَلْتَمِمْ لِأَحَدٍ غَيْرِي أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ شِعْرٌ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ
أَحَدٌ بِأَعْلَمَ بِالشَّعْرِ وَأَقْدَرُ عَلَيْهِ مِنِّي ؛ فَلَوْ أَمَكَّنَ لِأَحَدٍ أَنْ يَنْزِلَهُ عَلَى الشَّعْرِ وَبِمَارَضَةٍ بِهِ كُنْتُ
فَعَامًا ، فَحَيْثُ لَمْ يَقْتَسِرْ لِي لَا يَقْتَسِرْ لغيرِي . وَالرَّادُ بِإِبْطَالِ كَوْنِهِ شِعْرًا .
(۳) هَذَا فِي أ ، ب .
(۴) يَعْنِي كَوْنَهُ عَلَى نَعْمٍ لَا يَشْبَهُ نَعْمَ كَلَامِهِمُ الْمَنْظُومِ وَلَا الْمَنْشُورِ .
(۵) فِي ب : مِنْهَا . (۶) مُبَايِنٌ : مُخَالَفٌ .
(۷) مِنْ ب . (۸) أَيْ لَا بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا .
(۹) مَنْ أَنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ وَجْهًا فِي الْإِعْجَازِ كَأَنِّيَا قَبِيهِ .
(۱۰) أَرَهَفَ خَاطِرَهُ : أَرَهَفَ : حَدَدَ ، وَدَقَّقَ ، وَسَنَّ . خَاطِرَهُ : فِكْرَهُ . وَلِسَانَهُ : نَطْقَهُ .

وقد اختلف أئمة أهل السنة في وَجْدِ عَجْزِهِمْ عَنْهُ ؛ فَأَكْثَرُهُمْ يَقُولُ : إِنَّهُ مَا جَمَعَ فِي قُوَّةِ جَزَالَتِهِ ، وَنَصَاعَةِ أَلْفَاظِهِ ^(۱) ، وَحُسْنِ نَظْمِهِ ، وَإِيجَازِهِ ، وَبَدِيعِ تَأْلِيفِهِ وَأَسْلُوبِهِ لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ فِي مَقْدُورِ الْبَشَرِ ، وَأَنَّهُ مِنْ بَابِ الْخَوَارِقِ الْمَمْتَنِعَةِ عَنْ إِقْدَارِ الْخَلْقِ عَلَيْهَا ^(۲) ؛ كإحياء الموتى ، وَقَلْبِ الْعَصَا ، وَتَسْبِيحِ الْحَصَى .

وذهب الشيخ أبو الحسن ^(۳) إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ، وَيُقَدِّرُهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ ؛ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ هَذَا وَلَا يَكُونُ ؛ فَمَنْعَهُمُ اللَّهُ هَذَا [۹۴] ، وَعَجَّزَهُمْ عَنْهُ .

وقال به جماعة من أصحابه ^(۴) .

وعلى الطريقين ^(۵) فَعَجَّزُ الْعَرَبِ عَنْهُ ثَابِتٌ ، وَإِقَامَةُ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِمَا يَصِحُّ ^(۶) أَنْ يَكُونَ فِي مَقْدُورِ الْبَشَرِ ، وَتَحْدِيثُهُمْ بِأَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ - قَاطِعٌ ^(۷) ؛ وَهُوَ أَبْلَغُ فِي التَّعْجِيزِ ، وَأُخْرَى ^(۸) بِالتَّقْرِيعِ ، وَالِاحْتِجَاجُ بِمِثْلِهِ بِشَرِّ مِثْلِهِمْ بِشَيْءٍ لَيْسَ مِنْ قُدْرَةِ الْبَشَرِ لِأَزْمٍ ؛ وَهُوَ أَبْهَرُ آيَةٍ ، وَأَقْمَعُ دَلَالَةٍ ^(۹) .

(۱) الجزالة : الصلابة والقوة . والمراد إحكام نظمه ، وعدم ركاكته . ونصاعة ألفاظه : وضوحها وخواصها .

(۲) من باب الخوارق : من جنسها ونوعها . الممتنعة عن إقدار الخلق عليها : أى التى لا يقدرون عليها ، كأنها امتنعت عليهم ، وأبت مطاوعتهم .

(۳) هو أبو الحسن الأشعري : إمام أهل السنة .

(۴) قال القارى (۲ - ۵۶۱) : وهذا هو القول بالصرفة ، وهو مرجوح عند أكابر الأئمة .

(۵) الطريقين : إيجازه ببلاغته وأسلوبه ؛ أو بتعجيزه سبحانه وتعالى إياهم عن معارضته .

(۶) أى بتكليفهم بأقل قليل منه ، وهو ما يمكن أن يكون . . .

(۷) قاطع : أى بتعجيزهم . (۸) أخرى : أحق ، وأولى .

(۹) وهو : أى المذكور من عدم قدرتهم . أبهر آية : أظهر . وأقمع : من قمعه ؛ إذا فهره ،

وردعه ، وأذله بمجزئه عن معارضته .

وعلى كلِّ حالٍ فما أتوا في ذلك بمقالٍ ؛ بل صبروا على الجلاء^(١) ، والقَتْل ،
وتجرَّعوا كأساتِ الصَّغارِ والذَّلِّ ؛ وكانوا من شُمُوخِ الأنفِ ، وإبَابِيَةِ الضِّمِّ^(٢) ،
بِحَيْثُ لا يُؤَثِّرُونَ ذلكَ اختياراً^(٣) ، ولا يرضونَه إلا اضطراراً ، وإلا فالْمَعَارِضَةُ
لو كانت من قُدْرَمِ ، والشُّغْلُ بها أهونٌ عليهم ، وأسرعُ بالنُّجْحِ وقَطْعِ العُذْرِ
وإفحامِ الحِصْمِ لديهم^(٤) ، وهم مِمَّنْ لَمْ قُدْرَةُ^(٥) على السِّكْلَامِ ، وقِدْوَةٌ في المَعْرِفَةِ به
لجميعِ الأنامِ ؛ وما منهم إلا مَنْ جَهَدَ جَهْدَهُ^(٦) ، واستنْفَدَ ما عنده في إخفاءِ ظُهورِهِ ،
وإطفاءِ نُورِهِ ، فما جَلَّوا في ذلكَ خَبِيثَةً مِنْ بِنَاتِ شِفَاهِهِمْ^(٧) ، ولا أتوا بِنُظْفَةِ مِنْ مَعِينِ
مِيَاهِهِمْ^(٨) ، مع طُولِ الأَمَدِ ، وكَثْرَةِ العَدَدِ ، وتَظَاهُرِ^(٩) الوالدِ وما وُلدَ ؛ بل
أَبْلَسُوا فما نَبَسُوا^(١٠) ، وَمُنِعُوا فأنقَطَعُوا^(١١) ؛ فهذان نوعان من إعجازِهِ^(١٢) .

(١) الجلاء : ترك الوطن والمال .

(٢) الأنف : جمع أنف . شموخ الأنف : كناية عن غاية التكبر . والضيم : الذل والتحقير .

(٣) لا يؤثرون : لا يرضون ، ولا يختارون .

(٤) النجح : الظفر والفوز بمطلوبهم . وإفحام الحصم : إسكاته .

(٥) في ا : اقتدار .

(٦) جهد جهده : بذل ما عنده من الجهد ، فلم يقدر على شيء منه .

(٧) جلوا : أظهروا . خبيثة : مخبأة في ضمائرهم ، مستورة خلف أستار سرائرهم .

من بنات شفاهم : أي كلمة يتلفظون بها .

(٨) بنظفة : بقطرة قليلة . والمعين : الماء الجاري ظاهراً ، والمراد من أنهار بلاغتهم

وأسرار فصاحتهم ؛ أي لم يقدرُوا على شيء مما طاب منهم .

(٩) مع طول الأمد : أي اتساع زمن التحدي وطول وقته . تظاهر : تعاون ومساعدة .

(١٠) أبلسوا : يئسوا . نبسوا : نطقوا .

(١١) فانقطعوا عن المعارضة لمجزهم .

(١٢) أراد إعجازهِ بنص كلامه وخواص تراكيبه ، وبصورة نظمه وأسلوبه . ولم يلتفت

إلى الصرفة لضمف القول بها عنده كما تقدم . وقال القاري (١ - ٥٦٣) : نوعان من إعجازهِ ؛

أي اجتماعاً وانفراداً .

فصل

الوجه الثالث من الإعجاز ما انطوى^(۱) عليه من الإخبار بالمغيبات ، وما لم يكن ولم يقع ؛ فوجد ؛ كما ورد ، وعلى الوجه الذي أخبر به ؛ كقوله تعالى^(۲) :

﴿ اَتَدْخُلْنَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ ﴾ .

وقوله تعالى^(۳) : ﴿ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ .

وقوله^(۴) : ﴿ يُبْظِرُّهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ .

وقوله^(۵) : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ

فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ،

وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ

بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

وقوله^(۶) : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ

أَفْوَاجًا . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ .

(۱) ما انطوى عايه : ما اشتمل عليه .

(۲) سورة الفتح ، آية ۲۷ ، رأى النبي وهو بالمدينة قبل عام الحديبية أنه دخل المسجد الحرام مع أصحابه ، وأخبرهم بذلك ، فظنوا أنه سيقع في ذلك العام ، فلما صدم المشركون عن الدخول شق عليهم ذلك ، فأخبرهم الله بأنه سيقع بعد ذلك ، وكان كما أخبر .

(۳) سورة الروم ، آية ۳ ، أخبر الله تعالى أن الروم تغلب فارس بعد مدة ، وكان كما أخبر الله في كتابه .

(۴) سورة التوبة ، آية ۳۳ ، وعد الله بأن دين رسول الله سيظهر وتغلب أمته جميع الأمم ، وكان كما قال .

(۵) سورة النور ، آية ۵۵ ، ليستخلفنهم : أي يجعلهم خلفاء في أرضه ، مالكين لها منصورين على أعدائهم وكان كما قال .

(۶) سورة النصر ، نزلت مبشرة بفتح مكة ؛ وكان الفتح .

فكان جميعُ هذا ، كما قال ؛ فغلبت الرومُ فارسَ في بضْعِ سنين ، ودخل الناسُ في الإسلام أفواجا^(۱) ؛ فما مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضعٌ لم يدخله الإسلام .

واستخلف [الله]^(۲) المؤمنين في الأرضِ ، ومكَّن فيها^(۳) دينهم ، ومدَّكُم إليها من أقصى المشارقِ إلى أقصى المغارب^(۴) ؛ كما قال عليه السلام^(۵) : « زُوِيَتْ لِي^(۶) الأَرْضُ ، فَأَرَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِي مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا » . وقوله^(۷) : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ^(۸) ﴾ ؛ فكان كذلك ، لا يكادُ يُعَدُّ مَنْ سَعَى فِي تَغْيِيرِهِ وَتَبْدِيلِ مُجْرِمِهِ مِنَ الْمَلْحِدَةِ وَالْمُعْطَلَةِ ، لِاسْمِ الْقِرَامِطَةِ^(۹) ؛ فَأَجْمَعُوا كَيْدَهُمْ وَحَوْلَهُمْ^(۱۰) وَقَوَّوهُمْ ، الْيَوْمَ نَيِّفًا عَلَى^(۱۱) خِصْمَانِهِ عَامٍ ، فَمَا قَدَرُوا عَلَى إِطْفَاءِ شَيْءٍ مِنْ نُورِهِ ، وَلَا تَغْيِيرِ كَلِمَةٍ مِنْ كَلَامِهِ^(۱۲) ، وَلَا تَشْكِيكِ الْمَسْلَمِينَ فِي حُرْفٍ مِنْ حُرُوفِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .

(۱) أفواجا : جماعات كثيرة ، بعد جماعات كثيرة .

(۲) ليس في ا . (۳) فيها : في الأرض .

(۴) من أقصى المشارق .. أى أبعد مكان من جانب المشرق إلى أبعد من جانب المغرب .

(۵) في حديث صحيح رواه مسلم : ۲۲۱۵ (۶) زويت لى الأرض : جمعت وطويت .

(۷) سورة الحجر ، آية ۹

(۸) أخبر الله تعالى أنه تولى حفظ القرآن من التبديل والتغيير في سائر الزمان .

(۹) الملحدة : من الإلحاد ، وهو الميل عن الحق ، سموا بذلك لعدولهم عن ظواهر الشريعة ، وتأويلها بأمور سخيفة ، ويسمون باطنية : (نسيم الرياض : ۲ - ۵۵۳) .

والمعطلة : الذين نفوا الصانع . والقرامطة : طائفة من الملحدين أيضا . قال السمعاني في

الأنساب : القرمطي - بكسر القاف نسبة لطائفة خبيثة ، وهم من أهل هجر والحسا ، وأصاهم

رجل من سواد السكوفة يقال له قرمط ، وقيل حمدان بن قرمط .

(۱۰) حولهم : حياهم ، وجهدهم .

(۱۱) أى مدة تزيد على خمسمائة عام ،

(۱۲) فى ب : من كاهه .

ومنه (۱) قوله (۲) : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ .
 وقوله (۳) : ﴿ فَاتْلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ .
 وقوله (۴) : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ .
 وقوله (۵) : ﴿ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ، وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَاوِكُمْ الْأَذْيَارُ (۶) ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴾ . فَمَكَانَ كُلِّ ذَلِكَ .
 وما فيه (۷) مِنْ كَشْفِ أَسْرَارِ الْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودِ ، وَمَقَالِهِمْ وَكَذِبِهِمْ فِي حَالِفِهِمْ ، وَتَقْرِيبِهِمْ بِذَلِكَ ؛ كَقَوْلِهِ (۸) : ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ .
 وقوله (۹) : ﴿ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ ، يَقُولُونَ : لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ، قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ، وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَائِمَّحَصَّ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (۱۰) ﴾ .

- (۱) ومنه : أى مما أخبر به من الغيبات المعجزة .
 (۲) سورة القمر ، آية ۴۵ ، أى سينهزم كفار قريش ، وسيجمعهم المسلمون يولون أديبارهم بالظن والضرب ؛ فمصر عن شدة انهمزاهم بأبلغ عبارة .
 (۳) سورة التوبة ، آية ۱۴
 (۴) سورة التوبة ، آية ۳۳
 (۵) سورة آل عمران ، آية ۱۱۱
 (۶) لن يضرركم إلا أذى ؛ أى لا يقدرتون عليكم إلا بأذية يسيرة ، كالظن والتهديد .
 وإن يقاتلوكم يولوكم الأديبار : أخبر أنهم كلما قاتلوهم غلبوا ، وكان النصر للمسلمين عليهم .
 (۷) وما فيه : ما فى القرآن .
 (۸) سورة المجادلة ، آية ۸
 (۹) سورة آل عمران ، آية ۱۵۴
 (۱۰) هذا بيان لحال المنافقين ومكرهم ، والذي أخفوه يوم أحد .

وقوله^(۱) : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ بِحَرْفٍ مِنَ الْكَلِمِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ : إِنْ أُوْتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ ، وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ، وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

وقوله^(۲) : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ [۹۵] وَيَقُولُونَ : سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ ، وَرَاعِنَا أَيْمًا بِالْسُنْتِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ ^(۳) ﴾ .

وقد قال مُبْدِيًا^(۴) ، مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ وَاعْتَقَدَهُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ بَدْرٍ^(۵) : ﴿ وَإِذْ بَعَدُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ^(۶) تَكُونَ لَكُمْ ﴾ .

ومنه قوله تعالى^(۷) : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ .

(۱) سورة المائدة ، آية ۴۱ ، والذين هادوا : اليهود .

(۲) سورة النساء ، آية ۴۶

(۳) راعنا : كانوا يقولون : راعنا ؛ وصفاله صلى الله عليه وسلم بالرعونة ، موهمين التماس نظره ورعايته لهم ، مسكرا منهم ولما بالسنتهم وكلامهم ، وطعنا في الدين بالكذب والاستهزاء والسخرية .

(۴) مبديا : مظهرا . (۵) سورة الأنفال ، آية ۷

(۶) إحدى الطائفتين : العير ، أو النفير . وغير ذات الشوكة : يريد العير ، وكانوا يودون أخذ العير لما فيها من المال ، ولقلة ما عندهم من السلاح والرجال .

(۷) سورة الحجر ، آية ۹۵ ، وهؤلاء المستهزون كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم أشد الأذى ، ويسخرون منه ؛ وهم : الأسود بن عبد يغوث ، والأسود بن عبد المطلب ، والوليد بن المغيرة ، والعماس بن وائل السهمي ، وعدى بن قيس . وقيل : منهم الحارث بن عيطلة ، وفكبة بن عامر النهري ، والحارث بن الطلائفة ، فأخبره الله تعالى بهلاكهم سريعا ، وكفايته أمرهم قبل وقوعه ؛ فكان كما قال .

ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أصعبه بأز الله كفاه إياهم ؛
 وكان المستهزئون نفراً بكه ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهدكوا .
 وقوله (۱) : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ؛ فكان كذلك على كثرة من رام
 ضربه (۲) ، وقصد قتله ؛ والأخبار بذلك معروفةٌ صحيحة .

فصل

الوجه الرابع (۳) ما أنبأ به من أخبار القرون (۴) السالفة ، والأمم البائدة (۵) ،
 والشرائع الدائرة (۶) ، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا القذ من أخبار (۷)
 أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك ؛ فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على
 وجهه ، وبأتى به على نصه ؛ فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقته ، وأن مثله (۸)
 لم ينله بتعليم .

وقد علوا أنه صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب ، ولا اشتغل بتدريسه

(۱) سورة المائدة ، آية ۶۷ (۲) رام : قصد ضرره .

(۳) من وجوه إعجاز القرآن .

(۴) القرون : جمع قرن ، وهم أهل كل عصر وزمان ؛ أي أخبار الأمم والملل للتقدمة
 والبلاد البعيدة .

(۵) البائدة : الهالكة (هامش ب) .

(۶) الدائرة : الدارسة ، التي لم يبق لها أثر . فالمراد معرفته بالشرائع القديمة التي نسيت
 ونسخت أحكامها .

(۷) القذ : الفرد والشاذ . والأخبار : جمع خبر ، وهو العالم الحافظ الواسع علمه . والعرف
 يخصه بعلماء أهل الكتاب .

(۸) مثله : مثل النبي ، أو مثل هذا الكلام لم يصل إليه النبي صلى الله عليه وسلم بتعليم من
 البشر ، بل يوحى من الله تعالى .

ولا مُتَأَنِّية ^(۱) ، ولم يَغِيبْ عنهم ، ولا جَهَلَ حالَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ .

وقد كان أهلُ الكتابِ كثيراً ما يسألونهُ - صلى اللهُ عليه وسلم - عَنْ هذا ، فيُنزِلُ عليه من القرآنِ ما يَتْلُو عليهم منه ذِكْراً ^(۲) ؛ كَقِصَصِ الأنبياءِ مع قَوْمِهِمْ ، وخَبْرِ موسى والخضرِ ، ويوسفَ وإخوته ، وأصحابِ الكهفِ ، وذِي القرنينِ ، وقُتَيْبِ بْنِ وَقَيْظِ ، وأشباه ذلك من الأنبياءِ [والقصص] ^(۳) ، وبدءِ الخلقِ ، وما في التوراةِ ، والإنجيلِ ، والزبورِ ، وصُحُفِ إبراهيمَ وموسى ؛ بما صدَّقَهُ فيه العلماءُ بها ، ولم يَقْدِرُوا على تكذيبِ ما ذكر منها ؛ بل أذعنوا لذلك ^(۴) ، فمن مُوَفَّقٍ آمَنَ بما سبق لهُ مِنْ خَيْرٍ ، ومن شَقِيٍّ مُعَانِدٍ حاسِدٍ ؛ ومع هذا لم يُحْكَمْ عن واحدٍ ^(۵) من النصارى واليهودِ على شِدَّةِ عداوتِهِمْ له ، وحِرْصِهِمْ على تَكْذِيبِهِ ، وطُولِ احتجاجِهِ عليهم بما في كُتُبِهِمْ ، وتَقْرِيبِهِمْ ^(۶) بما انطوت عليه مصاحفُهُمْ ^(۷) ، وكثيرةِ سؤَالِهِمْ له صلى اللهُ عليه وسلم ، وتَعْنِيَتِهِمْ ^(۸) إِيَّاهُ - عن أخبارِ أنبيائِهِمْ ، وأسرارِ علومِهِمْ ، ومستودعاتِ سِيرِهِمْ ^(۹) ، وإعلامِهِمْ لهم بِمَكْتُومِ شَرَائِعِهِمْ ومُضَمَّنَاتِ كُتُبِهِمْ ؛ مِثْلُ

(۱) بِمَدَارِسَةِ : بِحِفْظِ وَتَلْقٍ مِنَ الْأَفْوَاهِ . مُتَأَنِّية : مَدَامُة طَلَبُ ، وَبِجَالِسَةِ تَحْتِكُ فِيهَا الرِّكْبُ بِالرِّكْبِ حَتَّى يُوَثِّرَ فِيهَا الْاِحْتِسَاكَ ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ كَثْرَةِ الْجُلُوسِ مَعَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْأَخْبَارِ وَالشَّرَائِعِ لِلتَّعْلَمِ عَنْهُمْ . وَفِي ب : مُتَأَنِّية ؛ قَالَ الْقَارِي (۱ - ۵۶۷) : وَلَعَلَّهَا مَصْحَفَةٌ ، أَوْ يَرَادُ بِهَا الْمَزَاخِمَةُ فِي الْمَعْرِفَةِ ، مِنْ ثُقُوبِ الذَّهْنِ ، وَهُوَ وَصُولُهُ إِلَى الصَّوَابِ .

(۳) مِنْ ب .

(۲) الْمُرَادُ بِالذِّكْرِ الْقُرْآنَ الْمَذْكُورَ لَهُمْ .

(۴) بَلْ أَذَعَنُوا لِذَلِكَ : أَقْرَبُوا وَاعْتَرَفُوا مُنْقَادِينَ لَهُ .

(۵) فِي أ : عَنْ أَحَدٍ .

(۶) وَتَقْرِيبِهِمْ : تَوْبِيخِهِمْ وَتَفْضِيحِهِمْ .

(۷) مَصَاحِفِهِمْ : يَرِيدُ كُتُبَهُمْ ، وَصَحُفِهِمْ .

(۸) تَعْنِيَتِهِمْ إِيَّاهُ : أَيِ تَكْلِيفِهِمْ بِمَا هُوَ شَاقٌّ .

(۹) مُسْتَوْدَعَاتِ سِيرِهِمْ : أَيِ سؤَالِهِمْ عَمَّا أودعَ فِي مَصَاحِفِهِمْ مِنْ سِيرِ أَنْبِيَائِهِمْ .

سؤالهم عن الرُّوح ، وذِي الْقَرَنَيْنِ ، وَأَصْحَابِ الْكَهْفِ ، وَعِيسَى ، وَحُكْمِ الرَّجْمِ ،
وَمَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ؛ وَمَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ، وَمِنْ طَيِّبَاتِ أُحْلَتْ لَهُمْ
فَحُرِّمَتْ عَلَيْهِمْ بَيْنَهُمْ (١) .

وقوله (٢) : ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ،
فَأَزْرَهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لَيَغِيطَ بِهِمُ الْكُفَّارُ ﴾ .

وغير ذلك من أمورهم التي نزل فيها القرآن ؛ فأجابهم وعرفهم بما أوحى إليه
من ذلك (٣) أنه أنكر ذلك أو كذبه ؛ بل أكثرهم صرح بصحة نبوته ، وصدق
مقالاته ، واعترف بمنزله وحسد إياه ؛ كأهل بجران ، وابن صوريا ،
وابن أخطب وغيرهم (٤) .

ومن باهت في ذلك بعض المباهة (٥) ، وادعى أن فيما عندهم من ذلك لما حكاه
مخالفة - دعى إلى إقامة حجته ، وكشف دعوته (٦) ؛ ف قيل له (٧) : ﴿ قُلْ فَأْتُوا
بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

(١) حرمت عليهم بينهم : أي حرمت عليهم عقوبة لهم بسبب ظلمهم .

(٢) سورة الفتح ، آية ٢٩ ، والإشارة إلى قوله في الآية نفسها : سيأثم في وجوههم من
أثر السجود .

(٣) من ذلك : من السابق ذكره . وفي ب : فما سمع عن أحد منهم أنه أنكر . . .

(٤) هو عبد الله بن صوريا ؛ حبر من أحبار اليهود الذين كانوا بالمدينة . وابنا أخطب :
هما حي ، وأبو ياسر ؛ وهما يهوديان من يهود المدينة .

(٥) بهته وباهته : إذا كذبه ونسبه للبهتان ، أي من لم يقر بأن ما جاء به عهد صدق ،
وادعى أنه كذب ؛ مكابرة منه .

(٦) في ب : وكشف عورته . (٧) سورة آل عمران ، آية ٩٣ ، ٩٤ .

فَفَرَّقَ وَوَبَّخَ ، وَدَعَا إِلَى إِحْضَارِ مُمْكِنٍ غَيْرِ مُمْتَنِعٍ ^(۱) ؛ فَمِنْ مُعْتَرَفٍ
بِمَا جَعَدَهُ ، وَمُتَوَاقِحٍ ^(۲) يُبَلِّغِي عَلَى فَضِيحَتِهِ مِنْ كِتَابِهِ يَدَهُ .
وَلَمْ يُؤَثِّرْ ^(۳) أَنْ وَاحِدًا مِنْهُمْ أَظْهَرَ خِلَافَ قَوْلِهِ مِنْ كُتُبِهِ ^(۴) ، وَلَا أَبْدَى
صَحِيحًا وَلَا سَقِيمًا ^(۵) مِنْ صُحُفِهِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(۶) : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ، قَدْ جَاءَكُمْ
مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم
مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

فصل

هذه الوجوه الأربعة من إعجازه بيّنة لا نزاع فيها ولا مريية ^(۷) .
ومن الوجوه البيّنة في إعجازه من غير هذه الوجوه : آيٌ وردت بتمجيز قوم
في قضايا ^(۸) ، وإعلامهم أنهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدرُوا على ذلك ؛ كقوله
للإهود ^(۹) : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً ^(۱۰) مِنْ دُونِ النَّاسِ

- (۱) إحضار ممكن غير ممتنع : وهو أمرهم بالإتيان بالتوراة ، وهي حاضرة بين أيديهم .
(۲) جعده : أنكره . ومتواقح : متكلف للوقاحة ؛ وهي قلة الحياء ، وصلابة الوجه ،
حتى لا يبالي بافتضاحه . والمراد به ابن صوريا الذي وضع يده على آية الرجم فقال له ابن سلام :
ارفع يدك يا أعور . . . وذلك يفسر ما يأتي بمد في العبارة .
(۳) ولم يؤثر : لم ينقل . (۴) في ۱ : من كتابه .
(۵) ولا سقيما : محرfa لفظه أو مؤولا معناه .
(۶) سورة المائدة ، آية ۱۵ ، ۱۶ . ويعفو عن كثير : لحله وستره عليهم ، رجاء
هدايتهم بتوفيق الله . (۷) مريية : شبهة وشك .
(۸) قضايا : جمع قضية ، وهي الحادثة الواقعة في حكم قضاء الله تعالى وقدره .
(۹) سورة البقرة ، آية ۹۴ ، قال لهم ذلك لما ادعوا دعاوى باطلة ؛ كقولهم : لن يدخل
الجنة إلا من كان هودا أو نصارى . . . (۱۰) خالصة : خاصة بكم .

فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ^(۱) . وَأَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبْدًا بِمَا قَدَمَتْ أَيْدِيهِمْ . . . ﴿ . . . ﴾ .
 قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ : فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَكْبَرُ حُجَّةٍ وَأَظْهَرُ دَلَالَةٍ عَلَى صَعَةِ
 الرِّسَالَةِ ؛ لِأَنَّهُ قَالَ : ﴿ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ ﴾ ؛ وَأَعْلَمُهُمْ أَنَّهُمْ لَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبْدًا ، فَلَمْ يَتَمَنَّه
 وَاحِدٌ مِنْهُمْ .

وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَقُولُهَا رَجُلٌ مِنْهُمْ
 إِلَّا غَصَّ بِرَبِيْقِهِ^(۲) . - يَعْنِي يَمُوتُ مَكَانَهُ .
 فَصَرَّفَهُمُ اللَّهُ عَنْ تَمَنِّيهِ وَجَزَعَهُمْ ؛ لِيُظْهِرَ صِدْقَ رَسُولِهِ ، وَصَحَّةَ مَا أُوحِيَ
 إِلَيْهِ ، إِذْ لَمْ يَتَمَنَّه أَحَدٌ مِنْهُمْ ؛ وَكَانُوا عَلَى تَكْذِيبِهِ أَحْرَصَ لَوْ قَدَّرُوا ؛ وَلَكِنَّ اللَّهَ
 يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ ؛ فَظَهَرَتْ بِذَلِكَ مَعْجَزَتُهُ ، وَبَانَ حُجَّتُهُ .

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَصْبَلِيُّ : مِنْ أَعْجَبِ أَمْرِهِمْ أَنَّهُ لَا يَوْجَدُ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ ، وَلَا وَاحِدٌ ،
 مِنْ يَوْمِ أَمَرَ اللَّهُ بِذَلِكَ نَبِيَّهِ - يُقَدِّمُ عَلَيْهِ^(۳) ، وَلَا يُجِيبُ إِلَيْهِ .
 وَهَذَا مَوْجُودٌ مُشَاهِدٌ لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَمَنَّه مِنْهُمْ .

وَكَذَلِكَ آيَةُ الْمُبَاهَلَةِ^(۴) مِنْ هَذَا الْمَعْنَى ، حَيْثُ وَقَدَّ عَلَيْهِ أَسَاقِفَةُ بَجْرَانَ وَأَبَوَا
 الْإِسْلَامِ ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ آيَةَ الْمُبَاهَلَةِ بِقَوْلِهِ^(۵) : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ
 مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ؛
 ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾^(۶) .

(۱) إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي قَوْلِكُمْ : إِنْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّمَا مَخْصُوصَةٌ بِكُمْ ؛ لِأَنَّ مَنْ تَيَقَّنَ
 دَخُولَ الْجَنَّةِ اشْتَقَّ لَهَا ، وَأَحَبَّ التَّخْلُصَ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ الدُّنْيَا وَأَكْدَارَهَا .

(۲) تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ : ۱ - ۱۸۲ ، الْقِصَّةُ : مَا تَقَفَ فِي الْخَلْقِ ، فَتَمَنَّعَ النَّفْسَ حَتَّى تَهْلِكَ .
 وَغَصَّ بِرَبِيْقِهِ : وَقَعَ الْمَوْتَ بِهِ سَرِيْعًا .

(۳) يَقْدَمُ عَلَيْهِ : عَلَى تَمَنِّيِ الْمَوْتَ . وَلَا يُجِيبُ إِلَيْهِ : أَيُّ إِلَى تَمَنِّيهِ ، إِذَا قِيلَ لَهُ : تَمَنَّه .

(۴) الْمُبَاهَلَةُ : الْمَلَاعَنَةُ ، أَيُّ الدَّعَاءِ بِاللَّعْنَةِ عَلَى الظَّالِمِ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ .

(۵) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ، آيَةُ ۶۱ .

(۶) وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ : لِيَدْعَ بَعْضُنَا بَعْضًا ، فَالْإِنْسَانُ لَا يَدْعُو نَفْسَهُ .

فامتنعوا منها^(١) ، ورضوا بأداء الجزية ؛ وذلك أن « العاقب » عظيماً لهم قال لهم : قد علمتم أنه نبي^(٢) ، وأنه ما لآعن قوماً نبي^(٣) قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم . ومثله قوله^(٤) : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ، وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا . . . ﴾ .

وأخبرهم أنهم لا يفعلون ؛ كما كان . وهذه الآية أدخل في باب الإخبار عن الغيب ، ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها .

فصل

ومنها الروعة^(٣) التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه ، والهيبة التي تعتر بهم^(٤) عند تلاوته لقوة^(٥) حاله ، وإنافة خطره^(٦) ؛ وهي^(٧) على المكذبين به أعظم ، حتى كانوا يستشقون سماعه ، ويزيدهم نفوراً ؛ كما قال تعالى^(٨) ؛ وَبَوَّأْنَا لَهُمْ انْقِطَاعَهُ لِإِكْرَاهِهِمْ لَهُ .

(١) منها : من الباهلة .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٣ ، ٢٤ .

(٣) الروعة : المرة من الروع ، وهو الفزع والخوف الذي يطرأ عند سماعه لجلاله وهيئته .

(٤) الهيبة : الخوف . أو الإجلال . تعتر بهم : تطرأ عليهم وتغشاهم .

(٥) لقوة حاله : لما فيه من الحالة القوية باعتبار ما فيه من الواعظ والإنذار .

(٦) وإنافة خطره : علو مرتبته على غيره من الكلام .

(٧) وهي : أي الروعة والهيبة .

(٨) قال تعالى : « وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا » ؛ أي

ولوا معرضين عنه لعدم ذكر آلهتهم فيه .

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: إن القرآن صعبٌ مستصعبٌ (١) على من كرهه؛ وهو الحكم (٢)، وأما المؤمنُ فلا تزالُ روعتهُ به، وهيبتهُ إياه، مع تلاوته - تولى به - انجذاباً (٣)، وتكسبهُ هاشيةٌ (٤)، لميل قلبه إليه، وتصديقه به؛ قال تعالى (٥): ﴿ تَقْشُرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ (٦) ﴾.

وقال (٧): ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .
ويدلُّ على أن هذا (٨) شيءٌ خُصَّ (٩) به - أنه يعترى (١٠) من لا يفهم معانيه، ولا يعلم [٩٦] تفاسيره، كما روى عن نصراني - أنه مرَّ بقارىءٍ - فوقف يبكي؛ فقيل له: مِمَّ بكيت؟ قال: للشجاء والنظم (١١).

(١) صعب: أى لا يقدر أحد على محاكاته، أو شديد. مستصعب: يصرف فهمه وتفسيره بالرأى، ولا يمكن تفسيره وتحريفه، لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولأنه ليس من جنس كلام البشر.

(٢) وهو الحكم: أى الحاكم الفاصل بين الحق والباطل، بما تضمنه من الأحكام.

(٣) فى هامش: نخ: انجذاباً.

(٤) هاشية: مسرة وخفة ولينا لما فيه من البشارة السارة والمآنى التى تجعل المؤمن فى نشاط.

(٥) سورة الزمر، آية ٢٣.

(٦) أى يعرض لجلود أبدانهم قشيرية، أى قيام، من الخوف من هيبته؛ فإذا تأملوه

وتدبروه لانت قلوبهم وجلودهم لأنسهم وسرورهم به. (٧) سورة الحشر، آية ٢١.

(٨) هذا: أى ما يحدث فى القلوب والأسماع من الروعة والمهابة.

(٩) به: أى القرآن دون غيره من الكلام.

(١٠) يعترى: يطراً ويصيب.

(١١) الشجاء: الطرب، أو الحزن. والنظم: المراد بالنظم رونق انتظامه وحسن انسجامه.

فأثر ذلك فى نفسه، وهو لا يفهمه حتى أبكاه.

وهذه الروعة قد اعتبرت جماعة قبل الإسلام وبعده؛ فمنهم من أسلم لها لأول وهلة وآمن به، ومنهم من كفر^(۱).

فحكى في الصحيح^(۲)، عن جبير بن مطعم، قال: سمعتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية^(۳): ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ. أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ. أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمَصِيطِرُونَ﴾ - كاد قلبي أن يطير للإسلام.

وفي رواية: وذلك أول ما وقر^(۴) الإيمان في قلبي.

وعن عتبة بن ربيعة^(۵) أنه كلم النبيَّ صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومهم، فتلا عليهم^(۶): ﴿حَمَّ - تنزيلٌ من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون. بشيرا ونذيرا فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون. وقالوا خلوبنا في أكتنه مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون. قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إلي أنما إليكم إلهٌ واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويلٌ للمشركين. الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون. إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجرٌ غير ممنون. قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسي

(۱) ومنهم من كفر: أي ومنهم من دام واستمر على كفره، لإصراره على عناده.

(۲) رواه الشيخان مسندا.

(۳) سورة الطور، آية ۳۵ - ۳۷. من غير شيء: من غير خالق لهم، أم هم الخالقون

لأنفسهم. والمصيطرون: المدبرون للأشياء كما يريدون. والحديث في صحيح مسلم: ۶-۱۷۵،

وصحيح البخاري: ۶- ۱۷۵، ودلائل النبوة لأبي نعيم: ۱- ۳۰۸

(۴) وقر: ثبت.

(۵) هذا الحديث رواه ابن إسحاق في سيرة ابن هشام: ۱- ۳۱۴

(۶) سورة فصلت، من آية ۱ إلى ۱۳

من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيامٍ سواءً للسائلين . ثم استوى إلى السماء وهي دخانٌ فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا : أتينا طائعين . فقضاهن سبع سمواتٍ في يومين ، وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم . فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقةً مثل صاعقة عادٍ وثمودٍ .

فأمسك عتبةً بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم ، وناشده الرحيم أن يكف^(١) .

وفي رواية^(٢) : فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مضع ملق بيده خلف ظهره ، مُعْتَمِدٌ عليهما ، حتى انتهى إلى السجدة^(٣) ؛ فسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقام عتبة لا يدري بما يراجع^(٤) ، ورجع إلى أهله ، ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه ؛ فاعتذر لهم ، وقال : والله لقد كتمني بكلامٍ والله ما سمعت أذناي بمثله قط ؛ فما دريتُ ما أقولُ له .

وقد حكى عن غير واحدٍ ممن رامَ مُعَارَضَتَهُ^(٥) أنه اعترته روعةٌ وهيبةٌ كفت بها عن ذلك .

فحكى أن ابن المقفع طلب ذلك ورأاه ، وشرع فيه ؛ فمرَّ بصبي يقرأ^(٦) :

(١) أن يكف : أي سأله مقسماً عليه بالقرابة القريبة للمقتضية للرحمة والتلطف عليهم أن يكف عن القراءة ويمتنع عنها .

(٢) وهي لابن إسحاق أيضاً في سيرته عن كعب القرظي .

(٣) السجدة في الآية رقم ٣٧ من سورة فصلت : «لاتسجدوا للشمس وللأقمار واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون» .

(٤) بما يراجع : بأي شيء يكلمه بعد تلاوته ؛ لروعة التي أدهشته بما سمع منه .

(٥) رام : طلب وقصد . معارضته : أن يأتي بكلام يماثله في البلاغة .

(٦) سورة هود ، آية ٤٤

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ - فرجع فمحا ما عمل؛ وقال: أشهد أن هذا لا يعارض، وما هو من كلام البشر؛ وكان من أفصح أهل وقته .

وكان يحيى بن حكيم^(١) الغزال بليغ الأندلس في زمنه؛ فحكى أنه رام شيئاً من هذا، فنظر في سورة الإخلاص ليحذو على مثالها^(٢)، وينسخ - بزعمه - على منوالها - قال: فاعتزنتني خشية ورقة حملتني على التوبة والإنابة^(٣).

فصل

ومن وجوه إعجازه الممدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه؛ فقال^(٤): «إنا نحن نزلنا الذِّكْرَ وإنا له لحافظون» .

وقال^(٥): «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه^(٦)»، تنزيل من حكيم

حميد» .

وسائر معجزات الأنبياء انقضت بانقضاء أوقاتها، فلم يبق إلا خبرها؛ والقرآن العزيز، الباهرة آياته، الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم^(٧) - مدة خمسمائة عام وخمس^(٨) وثلاثين سنة لأول^(٩) نزوله إلى وقتنا هذا - حجته

(١) في الشئبه: ابن حكيم . (٢) ليحذو على مثالها: ليقول مثلها .

(٣) الإنابة: الرجوع عن ذلك . وفي ب: والأوبة .

(٤) سورة الحجر، آية ٩ (٥) سورة فصلت، آية ٤٢

(٦) من بين يديه ولا من خلفه: لا يجد إليه سبيلاً من جهة من الجهات يطله، ولا يكون قبله ولا بعده ما يكذبه أو ينسخه .

(٧) على ما كان عليه اليوم: أي إلى يومنا هذا، والمراد باليوم عصر المؤلف .

(٨) في ب: وسبع . وفي هامشه: والظاهر: وخمس .

(٩) لأول نزوله: أي من ابتداء الوحي ونزول القرآن إلى وقت تأليف المصنف لهذا

قاهرة^(۱)، ومعارضته ممتنعة، والأعصار كلها طافحة^(۲) بأهل البيان، وحملته علم
اللسان، وأئمة البلاغة، وفُرسان الكلام، وجهابذة^(۳) البراعة؛ والمُلحد^(۴)
فيهم كثير، والمُعادي للشرع عتيد^(۵)؛ فما منهم من أتى بشيء يؤثر^(۶) في معارضته،
ولا ألف كلمتين في مناقضته، ولا قدر فيه على مطعن صحيح، ولا قدح المتكافئ
من ذهنه في ذلك إلا بزند شحيح^(۷)؛ بل الماثور عن كل من رام ذلك إقاؤه
في العجز بيديه، والنكوص^(۸) على عقبه.

فصل

وقد عد جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة في إعجازه وجوهاً كثيرة؛ منها أن قارئه لا يملأه،
وسامعه لا يملأه^(۹)؛ بل الإكباب على [۹۷] تلاوته^(۱۰) يزيدُه حلاوةً، وترد يده بوجبه
محبة؛ لا يزال غصاً طرياً^(۱۱)، وغيره من الكلام - ولو بلغ^(۱۲) في الحسن والبلاغة مبلغه -

- (۱) قاهرة : غالبية . وفي ب : ظاهرة .
- (۲) والأعصار : جمع عصر . طافحة : تفيض وتتدفق .
- (۳) جهابذة : جمع جهيد ، والجهيد : للعالم النحرير ، والنقاد البصير ، والشافع الماهر الخبير .
- (۴) الملحد : المائل عن الحق .
- (۵) عتيد : مهياً حاضر باذل جهده في عداوته .
- (۶) يؤثر : يحفظ وينقل .
- (۷) الشحيح : البخيل ؛ أي لم يده قدحه شيئاً غير الخيبة .
- (۸) النكوص : الرجوع عما قاله بالاعتراف بمجزه .
- (۹) لا يملأه : لا يسأم من كثرة قراءته ، ولو أعاده مرارا . لا يملأه : لا يكره تكراره
على مسامحه .
- (۱۰) الإكباب على تلاوته : ملازمة قراءته وتكراره .
- (۱۱) لا يزال : كلما كرر . غصاً : جديداً . طرياً : رطباً ناعماً ، فلا تتغير بهجته ونضارته .
- (۱۲) أي لو فرض ذلك .

يَمَلُّ مع الترديد، وبعادى إذا أعيد؛ وكتابنا^(١) يُستَلَدُّ به في الخلوات، ويونس بتلاوته في الأزمان^(٢)؛ وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك؛ حتى أحدث أصحابها لحونا وطرقا يستجلبون^(٣) بتلك اللحن تنشيطهم على قراءتها.

ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد^(٤)، ولا تنقضى عبره^(٥)، ولا تفتنى عجائبه؛ هو الفصل ليس بالهزل^(٦)، لا يشبع^(٧) منه العلماء، ولا تزيف^(٨) به الأهواء، ولا تلتبس^(٩) به الألسنة^(٩)؛ هو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا^(١٠): ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدي إلى الرشدين﴾.

ومنها جمعة العلوم ومعارف لم تعهد^(١١) العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة، بمعرفتها، ولا القيام بها؛ ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم، ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم؛ فجميع فيه من بيان علم الشرائع،

(١) أى القرآن .

(٢) الأزمان : جمع أزمة ؛ وهى الشدة .

(٣) يستجلبون : يطلبون وجودها ، أو يجلبونها لهم ولمن يسمعون .

(٤) لا يخلق : لا يبلى ولا يتغير حاله بمرور الزمان . والرد : الترديد والتكرار .

(٥) عبره : المراد بها عجائبه ، أو مواعظه التى بها يعتبر .

(٦) هو الفصل : الحد الفاصل بين الحق والباطل . ليس بالهزل : أمره جد كله .

(٧) فى ب : ولا يشبع .

(٨) لا تزيف : لا تميل وتعدل عن منهجه .

(٩) ولا تلتبس به الألسنة : المعنى أنه لا يشبه غيره من الكلام ، فلا يمكن اختلاطه به وإدخاله فيه ؛ لأن أسلوبه ونظمه لا يشبه غيره ؛ فالمراد أنه لا يمكن أن يدس فيه دسيسة .

(١٠) سورة الجن ، آية ١ ، ٢ . يهدي إلى الرشد : يدل على الصواب ، من الإيمان

والتوحيد . والحديث فى صحيح الترمذى ، من طريق على بن أبى طالب : ٥ - ١٧٢ . وفى

هامش ب : وقد خرج هذا الحديث الترمذى من طريق على بن أبى طالب ، وفى سنده الحارث

الأعور . هذا من غير النسخة المنقول عنها . وهى نسخة معتقدة .

(١١) لم تعهد العرب : أى لم تعرفه فى زمانها وعهدها .

والتنبية على طرق الحجج العقلية^(١) ، والرد على فِرَقِ الأُمم ؛ ببراہین قویة ،
وأدلة بينة سهلة الألفاظ ، موجزة المقاصد ، رام المتحذلقون بعدد - أن ينصبوا^(٢)
أدلة مثلها فلم يقدرُوا عليها ؛ كقوله تعالى^(٣) : ﴿أوليس الذي خلق السموات
والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم﴾ .

و^(٤) : ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾ .

و^(٥) : ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا﴾ .

إلى ما حواه من علوم السير ، وأنباء الأمم ، والمواعظ ، والحكم ، وأخبار
الدار الآخرة ، ومحاسن الآداب والشيم^(٦) .

قال الله - جل اسمه^(٧) : ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ .

و^(٨) : ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء﴾ .

و^(٩) : ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ .

(١) والتنبية على طرق الحجج العقلية : أى تنبيه الناس وإرشادهم إلى نصب الأدلة العقلية
وكيفية إلزام الخصم بها . وفي هامش ا : خ : العقلية .
(٢) المتحذلقون : هم أهل الحدق الباحثون عن الأمور (هامش ب) . وقال الشهاب :
المتحذلقون : الذين يدعون الحدق ، وهو سرعة الفهم ؛ أى قصد الدين يدعون الذكاء فى
العلم وإقامة البراهين أن ينصبوا أدلة ؛ أن يقيموا أدلة .

(٣) سورة يس ، آية ٨١ (٤) سورة يس ، آية ٧٩

(٥) سورة الانبياء ، آية ٢٢

(٦) الشيم : جمع شيمة ، وهى الطبيعة ، والخلق .

(٧) سورة الأنعام ، آية ٣٨ ، أى لم ترك شيئا يحتاج إليه إلا بيناه فى القرآن ، على أن

للمراد بالكتاب القرآن لا اللوح المحفوظ .

(٨) سورة النحل ، آية ٨٩ ، تبيان لكل شيء : مبينا لكل شيء يحتاج إليه .

(٩) سورة الروم ، آية ٥٨ ، من كل مثل : أى أتينا لكل أمر مهم بمثال يوضحه .

وقال - صلى الله عليه وسلم ^(۱) : إن الله أنزل هذا القرآن أمراً وزاجراً ^(۲) ،
 وسنة خالية ^(۳) ، ومثلاً مضرّوباً ، فيه نبؤكم ^(۴) ، وخبر ما كان قبلكم ، ونبأ
 ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ^(۵) ، لا يُخلقه طول الردّ ، ولا تنقضي عجائبه ؛ هو
 الحقّ ليس بالهزل ؛ من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خصم به فليج ^(۶) ،
 ومن قسم به أقسط ^(۷) ، ومن عمل به أجر ^(۸) ، ومن تمسك به هدى إلى صراط
 مستقيم ؛ ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ؛ ومن حكم بغيره قصمه ^(۹) الله ؛
 هو الذّكر الحكيم ، والنور المبين ، والصراط المستقيم ، وحبل الله المتين ^(۱۰) ،
 والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لا يعوج فيقوم ^(۱۱) ،
 ولا يزيع فيستعتب ^(۱۲) ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الردّ .

- (۱) في حديث رواه الترمذى : ۵ - ۱۷۲ ، قال أبو عيسى : هذا حديث لا نعرفه إلا من
 هذا الوجه ، وإسناده مجهول ، وفي الحارث مقال . (۲) وزاجراً : مانعاً وناهيماً .
 (۳) وسنة خالية : طريقة متبعة مستقيمة لمن كان قبلكم من الأمم . (۴) النبأ : الخبر .
 (۵) وحكم ما بينكم : أى بيان للأحكام فيما يقع ويحدث بينكم معاشر هذه الأمة المحمدية .
 (۶) من خصم به : من خصم بحجة وأدلة مأخوذة منه . فليج : غلب ، وفاز بالنصر .
 وفي هامش ب : فليج : انتصر .
 (۷) أقسط : عدل . أى من تولى قسمة فقسّمها بما فى كتاب الله كقسمة الموارث والفتنم
 وغيرها عدل . (۸) أجر : نال الأجر والثواب الجزيل .
 (۹) قصمه الله : قتله وأهلكه هلاكاً شديداً .
 (۱۰) حبل الله المتين : عهده وأمانه الذى يؤمن به العذاب ، وكل ما يكره ويشق على النفس ،
 ويتوصل به إلى ما ينجى ويوصل إلى المطالب . والمتين : القوى المحكم .
 (۱۱) لا يعوج : ليس فيه خلل لفظاً ولا معنى . فيقوم : فيحتاج إلى تقويم يزيل عوجه ؛
 فليس كغيره من الكلام المحتاج للإصلاح .
 (۱۲) لا يزيع : لا يميل عن الحق والصواب . فيستعتب : لا يستحق العتاب واللوم لعدم خروجه
 عن الاستقامة .

ونحوه عن ابن مسعود (۱) وقال فيه : ولا يَخْتَلِفُ ، ولا يُتَشَانَا (۲) ،
فيه نبأ الأولين والآخرين .

وفي الحديث (۳) : قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم : إني منزلٌ عليك
توراة (۴) حديثه ، تفتحُ بها أعينا عمياً ، وآذانا صمًا ، وقلوباً غُلْفًا (۵) ، فيها ينابيعُ
العلم (۶) ، وفهمُ الحكمة ، وربيعُ القلوب (۷) .

وعن كعب : عليكم بالقرآن ، فإنه فهمُ العقول (۸) ، ونورُ الحكمة .
وقال الله تعالى (۹) : ﴿ إن هذا القرآن يقصُّ على بني إسرائيلَ أكثرَ الذي هم
فيه يَخْتَلِفُونَ ﴾ .

وقال (۱۰) : ﴿ هذا بيانٌ للناسِ وهدىٌ وموعظةٌ للمتقين ﴾ .

(۱) قال السيوطي : رواه الحاكم من ابن مسعود .

(۲) لا يَخْتَلِفُ : لا يقع فيه ما يخالف بعضه بعضاً مع طوله . وفي ۱ : لا يَخْتَلِقُ - بالقاف .
يَتَشَانَا : المراد خلوه من تنافر الكلمات وعدم تناسبها ؛ فهو لا يكره ولا يمل . وفي هامش ۱ :
حوايه : ولا يتشان - بالتشديد ؛ أي لا يخلق على الرد ، مأخوذ من الشن ، وهو الجلد اليابس
البالي ؛ أي لا تذهب طلاوته ، ولا تبلى طراوته حين تسكّر تلاوته ، لما أودع فيه من بدائع
الكمال ، وروائع الجمال .

(۳) قال الشهاب : رواه ابن الضريس في فضائل القرآن عن كعب الأحبار . وهو حديث
قدس . (۴) توراة حديثه : أي كتاباً سماوياً شبيهاً بالتوراة .

(۵) غلفاً : لا يصل إليها ما يهديها إلى السعادة ، كأنها في غلاف وغشاء مانع عن وصول
الحق إليها .

(۶) فيها ينابيع العلم : فيها : في التوراة الحديثه - يعني القرآن . ينابيع . جمع ينبوع ،
وهو العين التي ينبع منها الماء الجاري ؛ فشبّه العلم بالماء الذي تحيا به النفوس .

(۷) ربيع القلوب : الربيع يكون بمعنى الخصب والمطر ؛ أي فيها ما يحيي به القلوب ، وتنمو
وتخصب ، وتمرح وتسرح ، وتفرح . (۸) فهم العقول : أي مفهم للعقول ما يخلق عليها .

(۹) سورة النمل ، آية ۷۶ (۱۰) سورة آل عمران آية ۱۳۸

فَجُمِعَ [۹۸] فِيهِ مَعَ وَجَازَةِ الْفَاطِمَةِ، وَجَوَامِعَ كَلِمِهِ ^(۱) أَضْعَافٌ مَا فِي الْكُتُبِ قَبْلَهُ
الَّتِي أَفَاطَهَا عَلَى الضَّعْفِ مِنْهُ مَرَاتٍ .

وَمِنْهَا ^(۲) جَمْعُهُ فِيهِ بَيْنَ الدَّلِيلِ وَمَدُّوْلِهِ ^(۳)؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ احْتَجَّ بِنِظْمِ الْقُرْآنِ،
وَحُسْنِ رِصْفِهِ ^(۴) وَإِيجَازِهِ وَبِلَاغَتِهِ؛ وَأَثْنَاءَ هَذِهِ ^(۵) الْبِلَاغَةِ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ، وَوَعْدُهُ
وَوَعِيدُهُ؛ فَالْتَّأَلَى ^(۶) لَهُ بِفَهْمٍ مَوْضِعَ الْحُجَّةِ وَالتَّكْلِيفِ مَعَ مِنْ كَلَامٍ وَاحِدٍ،
وَسُورَةٍ مَنفُودَةٍ .

وَمِنْهَا ^(۷) أَنْ جَعَلَهُ فِي حَيْزِ الْمَنْظُومِ الَّذِي لَمْ يُمْهَدْ ^(۸)، وَلَمْ يَكُنْ فِي حَيْزِ الْمَنْشُورِ؛
لِأَنَّ الْمَنْظُومَ أَسْهَلُ عَلَى النُّفُوسِ، وَأَوْعَى لِلْقُلُوبِ، وَأَسْمَحٌ ^(۹) فِي الْآذَانِ، وَأَحْلَى عَلَى
الْأَفْهَامِ، فَالنَّاسُ إِلَى أَمِيلٍ، وَالْأَهْوَاءُ إِلَيْهِ أَسْرَعُ .
وَمِنْهَا تَيْسِيرُهُ تَعَالَى حِفْظَهُ لِمُتَعَلِّمِيهِ، وَتَقْرِيْبُهُ عَلَى مَتَحَفِّظِيهِ ^(۱۰)؛ قَالَ اللهُ
تَعَالَى ^(۱۱): ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ .

-
- (۱) جُمِعَ فِيهِ: فِي الْقُرْآنِ . مَعَ وَجَازَةِ لَفْظِهِ : اخْتِصَارِهَا وَقَلَّتْهَا مَعَ كَثْرَةِ مَعَانِيهِ . وَجَوَامِعَ
كَلِمِهِ : الْجَمَاعَ لِلْمَعَانِي الْجَمَّةِ فِي الْفَاطِمَةِ قَلِيلَةٌ وَاضِحَةٌ .
(۲) وَمِنْهَا : مِنْ وَجُوهِ الْإِعْجَازِ الَّتِي ذَكَرَوهَا .
(۳) الدَّلِيلُ : هُوَ الدَّالُّ الْمُرْشِدُ؛ أَي يَكُنُّ التَّوَصُّلَ بِالنَّظَرِ فِيهِ إِلَى مَطْلُوبٍ خَبْرِيٍّ .
وَالْمَدُّوْلُ : هُوَ الْمَطْلُوبُ بِالدَّلِيلِ هُنَا . (۴) حَسَنَ رِصْفِهِ : الْمُرَادُ حَسَنَ نِظْمِهِ وَتَأْلِيْفِهِ .
(۵) وَأَثْنَاءَ هَذِهِ الْبِلَاغَةِ : فِي خِلَالِهَا . (۶) التَّأَلَى لَهُ : الْقَارِئُ لَهُ بِفَهْمٍ وَتَدَبُّرٍ لِمَعَانِيهِ .
(۷) وَمِنْهَا : وَمِنْ وَجُوهِ إِعْجَازِهِ . (۸) لَمْ يُمْهَدْ : لَا يُشَابِهُ شَيْئًا مِنْ كَلَامِهِمُ الْمَنْظُومِ .
(۹) وَأَسْمَحٌ : مِنْ السَّيْحِ، أَي أَسْهَلُ قَبُولًا، وَأَقْرَبُ وَصُولًا .
(۱۰) عَلَى مَتَحَفِّظِيهِ : أَي تَسْهِيلِ حِفْظِهِ لِمَنْ يَرِيدُ .

(۱۱) سُورَةُ الْقَمَرِ، آيَةُ ۱۷

وَفِي الْكَشَافِ (۲ - ۴۲۱) : مَعْنَى الْآيَةِ : سَهِّلْنَا لِلذِّكْرِ وَالِاتِّعَازِ، بِأَنَّ شَحْنَاهُ
بِالْمَوَاعِظِ الشَّافِيَةِ، وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ . وَقِيلَ : سَهِّلْنَا لِلْحِفْظِ، وَأَعْنَا عَلَيْهِ
مَنْ أَرَادَ حِفْظَهُ .

وسائرُ الأمم لا يحفظُ كتبها الواحدُ منهم ، فكيف الجماعة ^(١) على مرور
السنين عليهم . والقرآنُ ميسرٌ حفظه للعلمان في أقرب مدّة .

ومنها مُشاكلةُ بعضِ أجزاءه بعضاً ^(٢) ، وحُسنُ ائتلافِ أنواعها ، والتمثامُ
أقسامها ^(٣) ؛ وحُسنُ التخلُّص من قصّةٍ إلى أخرى ، والخروج من بابٍ إلى غيره على
اختلافِ معانيه ، وانقسامِ السورة الواحدة إلى أمرٍ ونهي ، وخبرٍ واستخبار ^(٤) ،
ووعيدٍ ووعد ، وإثباتِ نبوّةٍ ، وتوحيدٍ وتفريد ^(٥) ، وترغيبٍ وترهيب ^(٦) ، إلى غير
ذلك من فوائده ، دونَ خَلالٍ يتخلَّلُ فصوله ^(٧) .

والكلامُ الفصيحُ إذا اعتوره مثلُ هذا ضعفت قوّته ، ولانت جزالته ، وقلَّ
رونقه ^(٨) ، وتقلّقت أفاضه .

فتأملُ أولَ «ص» ، وما جُمعَ فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقرُّبهم بإهلاكِ
القرون من قبلهم ، وما ذُكر من تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وتعجبهم
بما أتى به ، والخبر عن اجتماع ملأهم ^(٩) على الكفر ، وما ظهر من الحسد في كلامهم ،
وتعجيزهم وتوهينهم ^(١٠) ، ووعدهم بخزي الدنيا والآخرة ، وتكذيبِ الأمم قبلهم ،

(١) الجماعة : الكثير . وفي ب : الجم ، وهو بمعنى .

(٢) مشاكلة بعض أجزاءه بعضاً : مشابهة بعضه لبعض .

(٣) التمثام أقسامها : توافقها ، وانضمام كل قسم إلى مشاكلة .

(٤) استخبار : استفهام . (٥) في ا : وتقرير .

(٦) ترهيب : تخويف .

(٧) دون خلل : أي أمر يخل به وينقصه يكون في أثناء كلامه .

(٨) اعتوره : ورد وطراً عليه . مثل هذا : يريد إذا تضمن أنواعاً من المقاصد . جزالته :

صلايته وقوته . رونقه : صفاؤه .

(٩) الملأ : جماعة الأشراف والرؤساء .

(١٠) توهينهم : إظهار ضعفهم .

وإِهْلَاكِ اللَّهِ لَهُمْ ، وَوَعِيدِ هَوْلَاءِ مِثْلِ مُصَابِهِمْ ^(١) ، وَتَصْبِيرِ النَّبِيِّ عَلَى أَذَاهُمْ ، وَتَسْلِيَتِهِ
بِكُلِّ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ؛ ثُمَّ أَخَذَ فِي ذِكْرِ دَاوُدَ وَقِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ ؛ كَلَّ هَذَا فِي أَوْجَزِ
كَلَامٍ وَأَحْسَنِ نِظَامٍ .

وَمِنْهُ ^(٢) الْجُمْلَةُ الْكَثِيرَةُ ^(٣) الَّتِي انْطَوَتْ عَلَيْهَا الْكَلِمَاتُ الْقَلِيلَةُ ؛ وَهَذَا كُلُّهُ
وَكَثِيرٌ مِمَّا ذَكَرْنَا أَنَّهُ ذُكِرَ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، إِلَى وَجْهِ كَثِيرَةٍ ذَكَرَهَا الْأُمَّةُ
لَمْ نَذْكَرْهَا ؛ إِذَا كَثُرَ دَاخِلٌ فِي بَابٍ بِبَلَاغَتِهِ ؛ فَلَا يَجِبُ ^(٤) أَنْ يُعَدَّ فَنَاءً مُنْفَرِدًا
فِي إِعْجَازِهِ ؛ إِلَّا فِي بَابِ تَفْصِيلِ فَنُونِ الْبَلَاغَةِ ؛ وَكَذَلِكَ كَثِيرٌ مِمَّا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ عَنْهُمْ
يُعَدُّ فِي خَوَاصِّهِ وَفَضَائِلِهِ ، لَا إِعْجَازِهِ .

وَحَقِيقَةُ الْإِعْجَازِ الْوَجْهُ الْأَرْبَعَةُ الَّتِي ذَكَرْنَا ؛ فَلْيَعْتَمِدْ عَلَيْهَا ، وَمَا بَعْدَهَا مِنْ
خَوَاصِّ الْقُرْآنِ وَعَجَائِبِهِ الَّتِي لَا تَنْقِضِي . وَاللَّهُ وَلِيُّ ^(٥) التَّوْفِيقِ .

فصل

فِي انْشِقَاقِ الْقَمَرِ وَحَبْسِ الشَّمْسِ ^(٦)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٧) : ﴿ اقْرَبْتِ السَّاعَةَ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ . وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا
وَيَقُولُوا : سِحْرٌ ^(٨) مُسْتَمِرٌّ ﴾ .

- (١) بِقَوْلِهِ تَعَالَى : وَمَا يَنْظُرُ هَوْلَاءُ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَالَهَا مِنْ فَوَاقٍ .
- (٢) مِنْ وَجْهِ إِعْجَازِهِ . (٣) الْكَثِيرَةُ - يَرِيدُ الْكَثِيرَةَ الْمَعَانِي .
- (٤) فِي ١ : فَلَا يَجِبُ . (٥) فِي ١ : وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ .
- (٦) هَذَا الْفَصْلُ فِي ذِكْرِ مَعْجَزَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِقِّ الْقَمَرِ لَهُ ، وَجَعَلِهِ فَلَقَتَيْنِ . وَفِي
مَنْعِ الشَّمْسِ عَنْ مَسِيرِهَا لِلْعُرُوبِ ، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ .
- (٧) سُورَةُ الْقَمَرِ ، آيَةٌ ١ .
- اقْتَرَبَتْ : صَارَتْ قَرِيبَةً مِنْ بَيْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ كَمَا فِي وَرْدِ فِي الْحَدِيثِ : بَعَثْتُ أَنَا
وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ - وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ الْوَسْطَى وَالسَّبَابَةَ .
- (٨) سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ : دَائِمٌ ، أَوْ مُحْكَمٌ .

أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي ، وإعراض الكفرة عن آياته^(١)؛ وأجمع
المفسرون وأهل السنة على وقوعه^(٢) :

أخبرنا الحسين بن محمد [٩٩] الحافظ من كتابه ، حدثنا القاضي سراج
ابن عبد الله ، حدثنا الأصيلي ، حدثنا المروزي ، حدثنا الفريزي ، حدثنا البخاري ،
حدثنا مسدد ، حدثنا يحيى ، عن شعبة ، وسفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن
أبي معمر ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ؛ قال : انشق القمر على عهد^(٣) رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرقتين^(٤) : فرقة فوق الجبل ، وفرقة دونه^(٥) ؛ فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا^(٦) .

وفي رواية مجاهد^(٧) : ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي بعض طرق الأعمش^(٨) : ونحن بمي .

(١) آياته : المراد معجزاته التي لا يمكن للبشر الإتيان بمثها .

(٢) قال في نسيم الرياض (٣ - ٣) : قال السبكي : إنه متواتر لا يجوز إنكاره ، وردوا
قول الماوردي : إن الجمهور على خلافه ، وتأويل ينشق بمعنى سينشق ، فإنه لو وقع لم يبق أحد
إلا رآه .

ولم يعتد المصنف بهذه المقالة ، وهي لا تخرق إجماع السلف من أهل السنة ؛ ومثله ليس من
أهل التفسير ، بل من أهل التأويل عنده .

(٣) على عهد رسول الله : في زمانه وحياته . (٤) فرقتين : المراد نصفين .

(٥) الجبل : هو حراء ، أو أبو قبيس . ودونه : أي في مقابلته .

(٦) وذلك بمكة قبل الهجرة - رواه ابن الجوزي في «الوفا» عن ابن عباس . واشهدوا :

أي اشهدوا على معجزتي ونبوتي . ووقوع ما طلبوه ، لأنهم أهل بهتان وجحد .

(٧) سنن الترمذي : ٤ - ٤٧٧

(٨) رويت أحاديث انشقاق القمر في الصحيحين : صحيح البخاري : ٤ - ٢٥١ ،

٦ - ١٧٨ ، وصحيح مسلم : ٢١٥٨ ، ومسنند الإمام أحمد : ٣ - ١٦٥

ورواه أيضا - عن ابن مسعود - الأسود، وقال: حتى رأيتُ الجبلَ بين
فُرْجَتِي الْقَمَرِ (١).

ورواه عنه مسروق - أنه كان بمكة - وزاد: فقال كفارُ قريش: سحرَكم
ابنُ أبي كبشة (٢)!

فقال رجلٌ منهم: إنَّ محمدا إن كان سحرَ القمر فإنه لا يبلغُ من سحرِهِ أن
يسحرَ الأرضَ كلها، فاسألوا (٣) من يأتيكم من بلادٍ آخر: هل رأوا هذا؟ فأتوا،
فسألوهم فأخبروهم أنهم رأوا مثلَ ذلك.

وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوَه، وقال: فقال أبو جهل: هذا سحرٌ؛
فابعثوا إلى أهل الآفاق (٤) حتى تنظروا: أراؤا ذلك أم لا؟

فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه مُنشَقًا؛ فقالوا - يعني الكفار: هذا سحرٌ مستمرٌ.
ورواه أيضا - عن ابن مسعود - علقمة؛ فهؤلاء أربعةٌ عن عبد الله (٥).

وقد رواه غيرُ ابن مسعود، كما رواه ابن مسعود؛ منهم أنس، وابن عباس،
وابن عمر، وحذيفة، وعلي، وجبير بن مطعم؛ فقال علي - من رواية أبي حذيفة
الأزجبي (٦): انشقَّ القمرُ وفتحَ مع النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) فرجتي القمر: أي فلقتيه وقطعتيه؛ لبعدهما بينهما.

(٢) ابن أبي كبشة: يعنون النبي صلى الله عليه وسلم. وأبو كبشة: اسم رجل تأله قديما،
وفارق دين الجاهلية، وعبد الشمرى، فشبّه المشركون النبي - صلى الله عليه وسلم - به. وقيل:
بل كانت للنبي صلى الله عليه وسلم أخت من الرضاعة تسمى «كبشة»؛ وكان أبوه من الرضاعة
يكفي بها. وقيل: بل كان في أجداده لأمه من يكفي بذلك (شرح القارى: ١ - ٥٨٦)

(٣) في ١: فسألوا.

(٤) الآفاق: جمع أفق، ومعناه هنا الناحية.

(٥) عن عبد الله بن مسعود. وفي هامش ب: الأربعة.

(٦) في ب: الأزجبي.

وعن أنس : سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يرِيهم آية ، فأرأهم انشقاق القمر فرقتين ^(۱) حتى رأوا حِراءَ بينهما .
رواه عن أنس قتادة .

وفي رواية معمر وغيره، عن قتادة ، عنه : أرأهم القمر مرتين انشقاقه، فنزلت :
{ اقتربت الساعة وانشق القمر } .

ورواه ^(۲) عن جبير بن مطعم ابنه محمد ، وابن ابنه جبير بن محمد .
ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله ^(۳) بن عتبة .
ورواه عن ابن عمر مجاهد ، ورواه عن حذيفة أبو عبد الرحمن السلمي ومسلم
ابن أبي عمران الأزدي .

وأكثر طرق هذه الأحاديث صحيحة ؛ والآية مُصرَّحةٌ ، ولا يلتفت إلى
اعتراض مخدول ^(۴) ، بأنه لو كان هذا لم يخف على أهل الأرض ؛ إذ هو شئ ظاهرٌ
لجميعهم ؛ إذ لم يُنقل لنا عن أهل الأرض أنهم رصدوه ^(۵) تلك الليلة فلم يروه
انشق ؛ ولو نقل إلينا عن لا يجوز تماؤؤهم - لكأثرهم - على الكذب ^(۶) ، أما كانت

(۱) في ۱ : مرتين .

(۲) في نسيم الرياض (۳ - ۶) : وهذه الروايات كلها في الكتب الستة وغيرها مخرجة ؛
فرواية أنس وابن عباس في الصحيحين ، ورواية ابن عمر في صحيح مسلم والترمذي ، ورواية
حذيفة بن اليمان في الدلائل وغيرها ، ورواية ابن مطعم في مسند أحمد والبيهقي .

(۳) في ب : بن عبيد الله بن عتبة .

(۴) مخدول : المراد من لم يكن على الحق وطريق الهداية ، ومن أنكر هذا بقصد
الظن في المعجزة .

(۵) رصدوه : ترقبوه ، ونظروا إلى مطلقه .

(۶) ولو نقل إلينا : أنهم رصدوه فلم يروه انشق . تماؤؤهم على الكذب : اجتماعهم على
الكذب في خبرهم .

علينا به حجة؛ إذ ليس القمر في حدّ واحدٍ لجميع أهل الأرض؛ فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين؛ وقد يكون من قوم بضدّ ما هو من متابليهم من من أقطار الأرض، أو يحول بين قوم وبينه سحب أو جبال؛ ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض، وفي بعضها جزئية، وفي بعضها كلية، وفي بعضها لا يعرفها إلا المدعوون لعلمها؛ ذلك تقدير العزيز العليم.

وآية القمر كانت ليلاً، والعادة من الناس بالليل الهدوء والسكون وإيجاف^(١) الأبواب، وقطع التصرف، ولا يكاد يعرف من أمور [١٠٠] السماء شيئاً، إلا من رصد ذلك، واهتبل^(٢) به.

ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيراً في البلاد، وأكثرهم لا يعلم به حتى يخبر، وكثيراً ما يحدث الثقات بمجائب يشاهدونها من أنوار ونجوم طوال عظام تظهر في الأحيان بالليل في السماء، ولا علم عند أحد منها.

وخرج الطحاوي - في مشكل الحديث^(٣)، عن أسماء بنت عميس من طريقين - أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى إليه، ورأسه في حجر علي، فلم يصل العصر حتى غربت الشمس؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أصليت يا علي؟ قال: لا. فقال: اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس^(٤).

- (١) إيجاف الأبواب: إغلاقها. (٢) اهتبل به: بذل جهده واعتنى به غاية الاعتناء. (٣) مشكل الحديث كتاب للطحاوي. وهذا الحديث، في رد الشمس أو حبسها، رواه الطبراني بأسانيد مختلفة. والطحاوي: مصري من أكابر علماء الحنفية، توفي سنة ٣٢١ هـ. وفي نسيم الرياض (٣ - ١١): قال ابن الجوزي: هذا الحديث موضوع بلا شك، ورواياته مضطربة، وفي روايته رجال متهمون بالكذب والوضع. وقال القاري (١ - ٥٩٠): وتبعه ابن القيم، وشيخه ابن تيمية، وذكروا تضعيف رجال الطحاوي ونسبوا بعضهم إلى الوضع. (٤) اردد عليه الشمس: أعدها لمكانها الذي غربت منه ليصلي الصلاة في وقتها. وفي هامش ب: فاردد عليه الشمس مشرقها. وفي هامش ا: فاردد عليه الشمس شرقها. ومشرقها: في محل شروقها.

قالت أسماء : فرأيتها غربت ، ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ، ووقفت على الجبال والأرض ، وذلك بالصهباء^(١) في خيبر .

قال : وهذان الحديثان ثابتان ورؤايتهما ثقات^(٢) .

وحكى الطحاوي أن أحمد بن صالح كان يقول : لا ينبغي لمن [يكون]^(٣) سبيله العلم المتخلف عن حفظ حديث أسماء ؛ لأنه من علامات النبوة^(٤) .

وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي في روايته عن ابن إسحاق : لما أُسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير^(٥) قالوا : متى تجي ؟ قال : يوم الأربعاء ؛ فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجي ؛ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزيد له في النهار ساعة ، وحُبست عليه الشمس^(٦) .

(١) الصهباء : قلعة بخير . وخير : أرض بقرب المدينة ، فيها قلاع وفري ، كان بها مساكن اليهود ، ثم خربت .

(٢) قال في نسيم الرياض (٣ - ١٢) : اعترض عليه بعض الشراح ؛ وقال : إنه حديث موضوع ، ورجاله مطعون فيهم كذابون ووضاعون .

ثم قال : وهذا الحديث صحيحه المصنف ، وأشار إلى أن تعدد طرقه شاهد صدق على صحته .

وقد صححه قبله كثير من الأئمة كالطحاوي . وأخرجه ابن شاهين ، وابن منده ، وابن مردويه ، والطبراني في معجمه ؛ وقال : حسن . وحكاه العراقي في التقريب . وارجع في هذا الحديث إلى

بحث قيم في نسيم الرياض (٣ - ١٢ ، ١٣) إن أردت . (٣) من ب .

(٤) أي من الآيات الدالة على النبوة . وهذا - في رأيه - مؤيد لصحته .

(٥) الرفقة : جمع رفيق ؛ أي أخبرهم بقافاتهم ومن فيها من الجماعة المترافقين ؛ والعلامة :

هي قوله صلى الله عليه وسلم إنه يقدمها جمل أورك .

(٦) قال في نسيم الرياض (٣ - ١٤) : الذي ذكر هنا من حبس الشمس ، وأن العير

قدمت بعد العصر قبيل الغروب ينافية ماورد من أنها قدمت صباحا ، وعليه اقتصر المفسرون ؛ =

فصل

في نَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ وَتَكَثِيرِهِ بِبِرْكَةِ (١)

[قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ] (٢) :

أَمَّا الْأَحَادِيثُ فِي هَذَا فَكَثِيرَةٌ جِدًّا (٣) .

رَوَى حَدِيثَ نَبْعِ الْمَاءِ مِنْ أَصَابِعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ ؛ مِنْهُمْ

أَنْسَ ، وَجَابِرٌ ، وَابْنُ مَسْعُودٍ :

حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ جَعْفَرِ الْفَقِيهِ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ ، حَدَّثَنَا الْقَاضِي عَيْسَى

ابْنَ سَهْلٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ حَاتِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ (٤) بْنُ الْفَخَّارِ ، حَدَّثَنَا

أَبُو عَيْسَى ، حَدَّثَنَا يَحْيَى ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَالْحَةَ ، عَنْ

أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٥) : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَحَانَتْ

صَلَاةُ (٦) الْعَصْرِ ؛ فَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوَضُوءَ (٧) فَلَمْ يَجِدُوهُ ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِائَةٍ مِنْ الْمَاءِ فَغَسَّ بِهَا يَدَيْهِ ، وَرَأَى النَّاسَ يَتَوَضَّأُونَ . وَقَالَ الْقَارِي (١-٥٩١) : وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ :

حَدِيثُ رَدِّ الشَّمْسِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بِصَحِيحٍ . وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ : الْمَجْبُوبُ مِنَ الْقَاضِي

مَعَ جَلَالَةِ قَدْرِهِ وَعِلْوِ خَطَرِهِ فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ كَيْفَ سَكَتَ عَنْهُ مُوَهَّمَا صِحَّتِهِ ، وَنَاقِلَا ثَبُوتِهِ ،

مَوْتَقَارِجَالِهِ .

(١) فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٣ - ١٥) : وَقَدْ كَانَ هَذَا مَرَاتٍ كَثِيرَةً ، وَرُوِيَ بِطَرِيقٍ مُتَمَدِّدَةٍ

فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا . (٢) مِنْ ب . (٣) قَالَ النَّوَوِيُّ : إِنَّهَا بَلَنْتَ مَرْتِبَةَ التَّوَاتُرِ .

(٤) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٣ - ١٦) : فِي كَلَامِ الْمَصْنُفِ رَحِمَهُ اللَّهُ سَهْوٌ مِنْ وَجْهِينَ :

إِذْ لَمَّا هُوَ أَبُو عُمَرَ ، وَهُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ . وَفِي قَوْلِهِ : حَدَّثَنَا أَبُو عَيْسَى ، حَدَّثَنَا يَحْيَى ؛ إِذْ اسْتَقَطَّ

رَاوِيَا بَيْنَ أَبِي عَيْسَى وَيَحْيَى ، وَهُوَ عَبِيدُ اللَّهِ أَبُو مَرْوَانَ .

(٥) الْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : ٤ - ٢٣٣ ، وَصَحِيحِ مُسْلِمٍ : ١٧٨٣ ، وَسَنَنِ التِّرْمِذِيِّ :

٥ - ٥٩٦ ، وَقَالَ : حَدِيثُ أَنْسِ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

(٦) حَانَتْ : قَرَبَتْ ، أَوْ دَخَلَ وَقْتُهَا .

(٧) التَّمَسَ النَّاسُ : طَلَبُوا . وَالْوَضُوءُ - بَفَتْحِ الْوَاءِ : الْمَاءُ الَّذِي يَتَوَضَّأُ بِهِ .

عليه وسلم بوضوء، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء ^(١) يده، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه.

قال: فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضئوا من عند آخرهم ^(٢).

ورواه أيضا - عن أنس - قتادة ^(٣)، وقال: بإناء فيه ماء يغمر ^(٤) أصابعه أولا يكاد يغمر.

قال: كم كنتم؟ قال: كنا زهاء ^(٥) ثلاثمائة.

وفي رواية عنه: وهم بالزوراء ^(٦) عند السوق.

ورواه أيضا حميد، وثابت، والحسن، عن أنس.

وفي رواية حميد: قلت: كم كانوا؟ قال: ثمانين.

ونحوه عن ثابت عنه.

وعنه أيضا: وهم نحو من سبعين رجلا.

وأما ابن مسعود ففي الصحيح من رواية علقمة: بينما نحن مع رسول الله صلى

الله عليه وسلم، وإيس معنا ماء، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) في ١: في ذلك يده. والثبت في صحيح مسلم أيضا، وصحيح البخاري: ٤ - ٢٣٣.

(٢) من عند آخرهم: جميعهم. قال النووي: «من» هنا بمعنى «إلى»، وهي لغة.

قال في نسيم الرياض: قالوا: إنه يحتمل أن الماء خرج من أصابعه صلى الله عليه وسلم حقيقة، وهو الظاهر. ويحتمل إنه كثر من غير نبع منها؛ وإنما وضع يده فيه سترًا عن الناس حتى لا يروه فيفتتن بعضهم به، وتآدبا مع الله الذي لا يوجد للمعدوم سواه.

(٣) كما في صحيح مسلم: ١٧٨٣، وصحيح البخاري: ٤ - ٢٣٣.

(٤) يغمر أصابعه: يسترها. (٥) زهاء: مقدار.

(٦) في صحيح مسلم ١٧٦٣، وقال: والزوراء بالمدينة عند السوق والمسجد فيها هناك.

اطلبوا من معه فضل^(١) ماء؛ فأتي بماء فصبة في إناء، ثم وضع كفه فيه، فجعل الماء [١٠١] ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي الصحيح^(٢)، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر رضي الله عنه: عطش الناس يوم الخديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة^(٣)، فتوضأ منها، وأقبل الناس نحوها؛ وقالوا: ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتك؛ فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة؛ فجعل الماء يغور^(٤) من بين أصابعه كأمثال العيون. وفيه: فقلت: كم كنتم؟ قالوا: لو كنا مائة ألف لكفانا؛ كنا خمس عشرة مائة.

وروي مثله عن أنس، عن جابر؛ وفيه أنه كان بالخديبية. وفي رواية الوليد بن عباد بن الصامت عنه، في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط^(٥) قال^(٦):

قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا جابر، ناد، الوضوء^(٧)... وذكر الحديث بطوله، وأنه لم يجذ إلا قطرة في عزلاء شجب^(٨)؛ فأتي به النبي صلى

(١) فضل ماء: بقية من ماء. أو زيادة منه على حاجته.

(٢) في صحيح البخاري: ٤ - ٢٣٤

(٣) ركوة: إناء للماء من جلد. (٤) في صحيح البخاري: يشور بين أصابعه.

(٥) هي ثاني غزواته. وبواط: اسم لجبال جهينة على أبراد من المدينة.

(٦) الحديث في صحيح مسلم: ٢٣٠٣

(٧) ناد، الوضوء؛ ناد الناس وقل لهم: أعطوا، أو ناولوا الوضوء؛ وهو الماء الذي يتوضأ به، وفيه حث لهم عليه. وفي صحيح مسلم: ناد بوضوء.

(٨) قطرة: يسيرا. عزلاء: فم الراوية ومصب الماء منها. شجب - بفتح الشين المعجمة وقيل بكسرهما، وسكون الجيم، وباء موحدة: التقديم من القرب، أو أعواد تعلق عليها القرب ونحوها.

وفي هامش ١: الشجب: القرية البالية، وسميت بذلك لأنها جلد قد شجب؛ أي عطب.

اللهُ عليه وسلم ، فغمزه وتكلم بشيء لا أدري ما هو ، وقال : نادِ بِجَنَّةِ الرَّكْبِ ، فأتيتُ بها ، فوضعتها بين يديه ، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة^(١) ، وفرق أصابعه ، وصبَّ جابرٌ عليه ، وقال : بسم الله [كما أمره صلى الله عليه وسلم]^(٢) ؛ قال : فرأيتُ الماءَ يفورُ من بين أصابعه ، ثم فارت الجفنةُ واستدارت^(٣) حتى امتلأت ، وأمر الناسَ بالاستقاء ، فاستقوا حتى رَوُوا .

قلت : هل بقيَ أحدهُ حاجةً ؟ فرجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي مَلَأَى .

وعن الشعبي : أتى النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره بِإِدَاوَةٍ^(٤) ماءً ، وقيل : ما معناها رسولُ الله ماءً غيرُها ، فسكبها في ركوةٍ ، ووضع إصبعه وسطها ، وغمسها في الماء ، وجعل الناسُ يجيئون ويتوضئون ثم يقومون .

قال الترمذي : وفي الباب ، عن عمران بن حصين .

ومثلُ هذا في هذه المواطن الحفلة^(٥) والجموع الكثيرة لا تنطرقُ التهمةُ إلى المحدثِ به ؛ لأنهم كانوا أسرعَ شيء إلى تكذيبه ، إما جُبِلت عليه النفوسُ من ذلك ؛ ولأنهم كانوا ممن لا يسكتُ على باطل ؛ فهؤلاء قد رَوُوا هذا ، وأشاعوه ، ونسبوا حضورَ الجماء الغفير^(٦) له ، ولم يُنكرْ أحدٌ من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوا^(٧) وشاهدوه ، فصار كتصديق جميعهم له .

(١) الجفنة : القصعة التي تشبع عشرة فأكثر . والركب : جمع راكب ، والمراد الناس .

(٢) من ب . (٣) في صحيح مسلم : ودارت .

(٤) الإداوة - بكسر الهمزة : إناء صغير من جلد يتخذ للماء ، ويسمى المطهر .

(شرح القارى : ١ - ٥٩٦) .

(٥) الحفلة : المتألفة المجتمعمة الغزيرة . وفي ب : الحفيلة ، وهي بمعنى الحفلة .

(٦) الجماء الغفير : الجمع الكثير . (٧) في هامش ب : فعلوه .

فصل

ومما يُشبهه هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته ، وانبعائه ^(١) بمسه ودعوته فيما روى ^(٢) مالك في الموطأ ^(٣) عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك ، وأنهم وردوا العين وهي تبيض بشيء من ماء مثل الشراك ^(٤) ، ففرقوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في شيء ، ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه ، وأعادها فيها ؛ فجرت بآء كثير ، فاستقى الناس ^(٥) .

قال - في حديث ابن إسحاق : فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق .
ثم قال : يوشك يا معاذ ؛ إن طالت بك حياة أن ترى ها هنا قد ملئ جنانا ^(٥) .

وفي حديث البراء ^(٦) ، وسلمة بن الأكوع - وحديثه أتم - في قصة الحديبية ، وهم أربع عشرة مائة ، وبئرهما لا تروى خمسين شاة ، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة ، ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها ^(٧) .

قال البراء : وأتني بدكوي منها ، فبصق [١٠٢] فدعا .
وقال سلمة : فإما دعاء ، وإما بصق فيها ، فجاشت ^(٨) ؛ فأرووا أنفسهم

وركابهم ^(٩) .

(١) انبعائه : ثورانه وجريانه . (٢) في ١ : مما روى . (٣) الموطأ : ١٤٤

(٤) تبيض : تسيل . والشراك : سير النعل ، ومعناه : ماء قليل جدا .

وفي هامش ب : تبيض - بالضاد للمعجمة ، والصاد المهملة : تقطر .

(٥) الحديث في صحيح مسلم أيضا : ١٧٨٤

(٦) صحيح البخاري : ٤ - ٢٣٤

(٧) جباها : الجبا : ماحول البئر (النهاية) . وفي هامش ب : جبا البئر : جانبها .

(٨) جاشت ؛ أي فارت البئر . (٩) ركبهم : دوابهم .

وفي غير هذه ^(١) الروایتين - في هذه القصة - من طريق ابن شهاب [في المَدَائِدِ] ^(٢) : فأخرج سَهْمَا من كِنَانَتِهِ ، فوضع في قَعْرِ قَلِيبٍ ليس فيه ماء؟ فَرَوَى النَّاسُ حَتَّى ضَرَبُوا بِعَطْنٍ ^(٣) .

وعن أَبِي قَتَادَةَ ^(٤) - وَذَكَرَ أَنَّ النَّاسَ شَكَّوْا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَطَشَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، فَدَعَا بِالْمِيضَاءِ ^(٥) ، فَجَعَلَهَا فِي ضَبْنِهِ ^(٦) ، ثُمَّ التَّمَّمَ فَمَهَا ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ - نَفَثَ ^(٧) فِيهَا أَمْ لَا ؛ فَشَرِبَ النَّاسُ حَتَّى رَوُّوا وَمَلَّثُوا كُلَّ إِنَاءٍ مَعَهُمْ ؛ فَخَبِّلَ إِلَى أَنَّهَا كَمَا أَخَذَهَا مِنِّي ، وَكَانُوا اثْنَيْ وَسَبْعِينَ رَجُلًا .
وَرَوَى مِثْلَهُ عِمْرَانُ بْنُ حَصِينٍ .

وَذَكَرَ الطَّبْرِيُّ حَدِيثَ أَبِي قَتَادَةَ عَلَى غَيْرِ مَا ذَكَرَهُ أَهْلُ الصَّحِيحِ - وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مَعَهُمْ مُمِدًّا لِأَهْلِ مَوْئِةَ ^(٨) عِنْدَ مَا بَلَغَهُ قَتْلُ الْأَمْرَاءِ ^(٩) : وَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا فِيهِ مَعْجِزَاتُ وَأَيَاتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَفِيهِ إِعْلَامُهُمْ أَنَّهُمْ يَنْقِدُونَ الْمَاءَ فِي غَدِي .

وَذَكَرَ حَدِيثَ الْمِيضَاءِ ^(١٠) ؛ قَالَ : وَالْقَوْمُ زُهَاءُ ^(١١) ثَلَاثِمِائَةَ .

(١) هذا في ١ ، ب . (٢) ليس في ١ .

(٣) العطن : منزل الإبل حول الماء لتبرك فيه إذا شربت لتعاد إلى الشرب مرة أخرى .

والمراد : حتى رَوَّوا ورويت إياهم .

(٤) قال القاري (١ - ٥٩٨) : رواه البيهقي عنه .

(٥) الميضأة : مطهرة كبيرة يتوضأ منها .

(٦) ضبنه : حضنه بين كشطه وإبطه . (٧) نفث : نفخ .

(٨) ممدا : معينا . ومؤئة : قرية بين تبوك وحوران من الشام .

(٩) الأمراء : هم زيد بن حارثة مولاه ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة .

(١٠) في هامش ١ : الميضأة : مطهرة يتوضأ منها ، مفعلة من الوضوء . وقد تقدم تفسيرها .

(١١) ضبطت الهمزة في « زهاء » بالفتحة في ب ، وبالضمة في ١ . وقال القاري (١ - ٥٩٩) :

زهاء : قدر ، تخمينًا . قال الزبي : الوجه نصب « زهاء » ، ولكن أهل الحديث يرفعونه .

وفي كتاب مسلم^(١) أنه قال لأبي قتادة : احفظ علي^(٢) مريضاً لك ، فإنه سيكون لها نبأ^(٣) . . . وذكر نحوه^(٤) .

ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عطش في بعض أسفارهم ؛ فوجه رجلين^(٥) من أصحابه ، وأعلمهما أنهما يجدان امرأة بمكان كذا معها بعيداً عليه مَزَادَتَانِ^(٦) . . . الحديث ؛ فوجداها وأتيا بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فجعل في إناء من مَزَادَتَيْهَا^(٦) ، وقال فيه ما شاء الله أن يقول ؛ ثم أعاد الماء في المَزَادَتَيْنِ ، ثم فتحت عَزَالَيْهِمَا^(٧) ؛ وأمر الناس فمَلُّوا أسْقِيَتَهُمْ^(٨) حتى لم يدعوا شيئاً إلا ملثوه .

قال عمران : وَتَخَيَّلَ إِلَى أَنَّهُمَا لَمْ تَزِدَا إِلا اِمْتَلَاءً ، ثم أمر فجمع للمرأة من الأَزْوَادِ^(٩) حتى ملأ ثوبها . وقال : اذهبي ؛ فإننا لم نأخذ^(١٠) من مائك شيئاً ؛ ولكن الله سقانا . . . الحديث بطوله .

وعن سلمة بن الأكوع^(١١) : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : هل من وضوء؟

(١) صحيح مسلم : ٤٧٣ (٢) في صحيح مسلم : احفظ علينا .

(٣) نبأ : خبر عظيم .

(٤) وذكر ، أي الطبري نحوه ؛ أي نحو ما سبق مما ذكر غيره .

(٥) قال القاري (١ - ٥٩٩) : هما علي بن أبي طالب ، وعمران بن حصين .

(٦) المَزَادَةُ : ظرف من جلد يحمل فيه الماء ، أكبر من القرية .

(٧) في ب : عزاليها ، وعزاليها - معا - وعزاليها - بفتح العين للمهمل والزاي : تثنية عزلاء ،

وهو فيها الأسفل .

(٨) أسْقِيَتَهُمْ : جمع سقاء ، وهو إناء من جلد يتخذ للماء .

(٩) الأَزْوَادُ : جمع زود ؛ أي من جملتها .

(١٠) في أ : لم يرزأ ، وفي هامشه : نأخذ .

(١١) صحيح مسلم : ١٣٥٤

فجاء رجلٌ يَدَاوِةٌ فِيهَا نُظْفَةٌ ^(١) فَأَفْرَغَهَا فِي قَدَحٍ ، فَمَوْضَانَا كُلُّنَا نُدَغِفُّهُ ^(٢) دَغْفَقَةً
أربع عشرة مائة . . . [الحديث بطوله] ^(٣) .

وفي حديثٍ عُمر - فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ ^(٤) : وَذَكَرَ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْعَطَشِ ، حَتَّى
إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْحَرُ بَعِيرَهُ ، فَيَعْمُرُ فَرَثَهُ ^(٥) فَيُشْرَبُ بِهِ ؛ فَرِغِبَ ^(٦) أَبُو بَكْرٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّعَاءِ ^(٧) ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يَرْتَجِعْهُمَا حَتَّى قَالَتْ ^(٨) السَّمَاءُ فَانْسَكَبَتْ ؛
فَلَدُّوا مَا مَعَهُمْ مِنْ آيَةٍ ، وَلَمْ تَجَاوِزِ الْعَسْكَرَ ^(٩) .

وَعَنْ عُمَرُو بْنِ شُعَيْبٍ - أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ رَدِيفُهُ
بَدَى الْمَجَازِ ^(١٠) : عَطِشْتُ وَلَيْسَ عِنْدِي مَاءٌ ؛ فَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

(١) نُظْفَةٌ : قَلِيلٌ مِنَ الْمَاءِ .

(٢) فِي هَامِشِ أ : الدَّغْفَقَةُ : الصَّبُّ الشَّدِيدُ ، وَيُقَالُ : فُلَانٌ فِي نَعِيمٍ دَغْفَقَ ، أَيْ وَاسِعٌ .

(٣) لَيْسَ فِي ب .

(٤) جَيْشِ الْعُسْرَةِ ؛ أَيْ الضِّيقِ وَالشَّدَةِ ، وَهِيَ غَزْوَةُ تَبُوكَ سَنَةَ تِسْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ ، وَكَانَتْ

فِي نَهَارِ حَرِّ ، وَقَلَّةِ الثَّمَارِ . . .

(٥) فَرَثُهُ : مَا فِي كَرْسِيِّهِ . (٦) فَرِغِبَ أَبُو بَكْرٍ : الرَّغْبَةُ : طَلِبَ مَا يَجِبُهُ .

(٧) فِي الدُّعَاءِ : فِي دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَوَجَّهَ لِرَبِّهِ لِيُرِيْلَ مَا بِالنَّاسِ مِنَ الْبَأْسِ الَّذِي

عَلِمَهُ مِنْهُمْ .

(٨) قَالَتْ السَّمَاءُ : غَيِمَتْ وَظَهَرَ فِيهَا سَحَابٌ . وَفِي هَامِشِ ب : الْعَرَبُ تَجْعَلُ الْقَوْلَ عِبَارَةً

عَنْ جَمِيعِ الْأَفْعَالِ ، وَتَطْلُقُهُ عَلَى غَيْرِ الْكَلَامِ ، فَتَقُولُ : قَالَ بِيَدِهِ ؛ أَيْ أَخَذَ ؛ وَقَالَ بِرِجْلِهِ ؛ أَيْ

مَشَى ، وَقَالَ بِالْمَاءِ عَلَى يَدَيْهِ ؛ أَيْ قَلْبِهِ ؛ وَقَالَ بِثُوبِهِ ، أَيْ رَفَعَهُ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ :

* وَقَالَتْ الْمَيْنَانُ سَمًّا وَطَاعَةً *

أَي أَوْمَاتٌ ، وَكُلُّ ذَلِكَ عَلَى الْمَجَازِ وَالِاتِّسَاعِ . وَارْجِعْ فِي ذَلِكَ إِلَى النِّهَايَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ .

(٩) فَانْسَكَبَتْ : انْسَكَبَ مَاؤُهَا . وَلَمْ تَجَاوِزِ الْعَسْكَرَ : أَيْ لَمْ تَجَاوِزِ السَّمَاءَ ، أَوْ السَّحَابَ

أَوْ الْمَطَرَ - الْمَعْلُومُ مِنَ السِّيَاقِ - الْعَسْكَرَ .

(١٠) رَدِيفُهُ : رَاكِبٌ خَلْفَهُ . ذُو الْمَجَارِ : اِسْمُ سَوْقٍ بِقُرْبِ عَرْفَةِ ، كَانُوا يَجْتَمِعُونَ فِيهِ

فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، كَمَا كَانُوا يَجْتَمِعُونَ بِسُكَاظَ . وَهَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ الْأَزْرَقِ .

وَضْرَبَ بِقَدَمِهِ الْأَرْضَ ، فَخَرَجَ الْمَاءُ ، فَقَالَ : اشْرَبْ .
والحديثُ في هذا الباب كثيرٌ ؛ ومنه الإجابةُ بدعاء الاستسقاء وما جَانَسَهُ (١) .

فصل

ومن معجزاته تكثرُ الطعام ببركته ودُعائه :

حدثنا القاضي الشهيدُ أبو عليٍّ رحمه الله ؛ حدثنا العُدزِيُّ ، حدثنا الرازِيُّ ، حدثنا
أَبُو لُؤْدِيٍّ ، حدثنا ابن سفيان ، حدثنا مسلم بن الحجاج ، حدثنا سَلَمَةُ بن شبيب ، حدثنا
الحسن بن أعين ، حدثنا مَعْقِلٌ ، عن أَبِي الزُّبَيْرِ ، عن جَابِرٍ - أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ
صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١٠٣] يَسْتَطْعِمُهُ (٢) ، فَأَطْعَمَهُ (٣) شَطْرَ وَسْقِ شَعِيرٍ (٤) ؛ فَمَا زَالَ
يَأْكُلُ مِنْهُ وَامْرَأَتُهُ وَضَيْفُهُ حَتَّى كَالَهُ (٥) ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ ،
فَقَالَ : لَوْ لَمْ تَكِلْهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ وَلِقَامُكُمْ بِكُمْ (٦) .

ومن ذلك حديثُ (٧) أَبِي طَلْحَةَ الْمَشْهُورِ ، وَإِطْعَامُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَانِينَ
أَوْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ أَقْرَاصٍ مِنْ شَعِيرٍ جَاءَ بِهَا أَنَسٌ تَحْتِ يَدِهِ ؛ أَيِ إِبْطِهِ ؛ فَأَمَرَ بِهَا
فُقُتَتْ ، وَقَالَ فِيهَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ .

(١) وما جَانَسَهُ : وما شابه الاستسقاء .

(٢) يستطعمه : يطلب منه طعاما له ولأهله ، لشدة احتياجه .

(٣) فأطعمه : أي أعطاه الطعام الذي يطلبه .

(٤) شطر وسق شعير : الشطر : النصف ، أو البعض . والوسق - بفتح الواو وكسرهما :

الحمل ، أو مقدار ستين صاعا .

(٥) حتى كاله : أي استمر أكلهم منه من غير نقص شيء منه إلى أن كاله ، فظهر نقصه بعد

الكيل مما يأخذه منه ، فكانت البركة في ترك كياله حتى لو لم يكله لم ينفد .

(٦) لأكلتم منه : لاستمر أكلكم منه إلى غير النهاية . ولقام بكم : لسكفكم مدة حياتكم ،

وكان فيه قوام لكم من غير نقص . والحديث في صحيح مسلم : ١٧٨٤

(٧) هذه القصة في صحيح البخاري : ٤ - ٢٣٤

وحدیثُ جابر^(١) فی إطعامِہ صلی اللہ علیہ وسلم یوم الخندق ألف رجلٍ من صاعِ شعیر وعناقٍ^(٢) .

وقال جابر : فأقسمُ بالله لا أكلوا حتى ترکوه وانحرفوا^(٣) ، وإن برمتنا لتغطُّ كما هی^(٤) ، وإن عجیننا لیخبز^(٥) .

وكان رسولُ اللہ صلی اللہ علیہ وسلم بصقَ فی العجین والبرمة ، وبارک^(٦) . رواه^(٧) عن جابر سعید بن میناء^(٨) ، وأیمن .

[وعن ثابتٍ مثله ، عن رجلٍ من الأنصار وأمرأته ، ولم یسمِّهما ؛ قال : وجیء بمثل الكف^(٩) ، فجعل رسولُ اللہ صلی اللہ علیہ وسلم یبسُّطها فی الإناء ویقولُ ما شاء اللہ ، فأكل منه مَنْ فی البيت والحجرة والدار ؛ وكان^(١٠) ذلك قد امتلأ بمن قدم معه صلی اللہ علیہ وسلم لذلك ؛ وبقي بعد ماشبعوا مثل ما كان فی الإناء]^(١١) .

(١) فی صحیح البخاری : ٥ - ١٣٨ ، وسنن الترمذی : ٥ - ٥٩٥

(٢) عناق : العناق : الأنثی من أولاد المعز ، لم یتم لها سنة . وقیل : هی التي قاربت الحمل ولم تحمل . (٣) وانحرفوا : أي أكلوا حتى شبعوا وقاموا وانصرفوا . وفی البخاری : ترکوه . (٤) البرمة - بضم الباء الموحدة وسكون الراء : القدر مطلقا ؛ أو من حجارة . وتلفظ : تغلی غلیانا شديدا یسمع لها صوت . وفی ب : تلفظ : تفور . كما هی : لم ینقص منها شیء مع كثرة من أكل منها .

(٥) وإن عجیننا لیخبز : أي إنهم استمروا علی خبز العجین وإیصاله شیئا فشیئا لمن يأكل منه ، ولم ینقص بركة النبي صلی اللہ علیہ وسلم . وفی ب : بعجینتنا . والمثبت فی صحیح البخاری أيضا .

(٦) وبارک : دعا فیها بالبركة ، والزیادة والتمو . (٧) رواه : روى هذا الحدیث .

(٨) فی ١ : ابن میناء - مقصور . والمثبت فی تهذیب التهذیب : ٤ - ٩١ ، وقال القاری

(١ - ٦٠٣) : میناء - بكسر الميم ، ممدودا ویقصر . (٩) بمثل الكف من العجينة .

(١٠) وكان ذلك : الإشارة إلى ما ذکر من الثلاثة ، وهی البيت والحجرة والدار .

(١١) ما بین القوسین ساقط فی ١ . والحدیث فی طبقات ابن سعد : ١ - ١١٧

وحدثُ أبي أيوب (١) أنه صنع لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر من الطعام زُهَاءً (٢) ما يكفيهما ؛ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ادعُ ثلاثين من أشراف الأنصار ؛ فدعاهم فأكلوا حتى تركوا (٣) ؛ ثم قال ؛ ادعُ ستين ؛ فكان مثلُ ذلك (٤) ؛ ثم قال ؛ ادعُ سبعين فأكلوا حتى تركوا ، وما خرج منهم أحدٌ حتى أسلم (٥) وبإيعاب .

قال أبو أيوب : فأكلَ مِنْ طعامي مائةٌ وثمانون رجلاً .

وعن سُمرة بن جندب : أتى النبي صلى الله عليه وسلم بقصعةٍ فيها لحمٌ ، فتعاقبوها (٦) من غدوة حتى الليل ؛ يقومُ قومٌ ويقعدُ آخرون .

ومن ذلك (٧) حديثُ عبد الرحمن بن أبي بكر : كُنَّا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة ؛ وذكر في الحديث أنه عُجِنَ صاعٌ من طعام ، وصُنعت (٨) شاةٌ ، فشوى سوادُ بطنها (٩) ؛ قال : وإيم (١٠) الله ؛ ما من الثلاثين ومائةٍ إلا وقد حَزَّ له حَزَّةٌ (١١) من سوادِ بطنها ؛ ثم جعل منها قَصْعَتَيْنِ ، فأكلنا [منها] (١٢) أجمعون ، وفضلُ في القَصْعَتَيْنِ ، فحملتهُ على البعير .

(١) رواه عنه الطبراني ، والبيهقي .

(٢) زهأء : مقدار .

(٣) حتى تركوا : أي شعوا وتركوا الطعام ، أو الأكل منه .

(٤) اللام في « مثل » ضبطت في بالفتحة ، وفي ب بالضم .

(٥) أسلموا وبإيعاب لما رأوا من تلك المعجزة ، ولطفه بهم .

(٦) فتعاقبوها : دخل جماعة من الصحابة بعد جماعة .

(٧) هذا الحديث رواه الشيخان في صحيحيهما : صحيح مسلم : ١٦٢٧ ، وصحيح البخاري :

٢٣٦ - ٤ (٨) صنعت شاة : طبخت .

(٩) سواد بطنها : المراد به الكبد خاصة ، أو حشوها مطلقاً ، والأول أظهر .

(١٠) وإيم الله : قسم .

(١١) حَزَّ له حَزَّةٌ : الحز : القطع بالسكين . والحزرة - بفتح الحاء ، وتضم : القطعة من اللحم . وفي صحيح مسلم : إلا حَزَّ له رسول الله حَزَّةٌ

(١٢) من صحيح مسلم .

وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثٌ ^(١) عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي هَمْرَةَ الْأَنْصَارِيَّ ، عَنْ أَبِيهِ ، وَمِثْلُهُ لِسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فَذَكَرُوا مَخْمَصَةً ^(٢) أَصَابَتِ النَّاسَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ ، فَدَعَا بِيَقِيَّةَ الْأَزْوَادِ ^(٣) ، فَجَاءَ الرَّجُلُ بِالْحَشِيَّةِ ^(٤) مِنَ الطَّعَامِ ، وَفَوْقَ ذَلِكَ ؛ وَأَعْلَاهُمْ الَّذِي أَتَى بِالصَّاعِ مِنَ التَّمْرِ ؛ فَجَمَعَهُ عَلَى نِطْعٍ ^(٥) .

قَالَ سَلَمَةُ : فَحَزَرْتُهُ كَرَبِضَةٍ ^(٦) الْعَنْزِ ؛ ثُمَّ دَعَا النَّاسَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ ، فَمَا بَقِيَ فِي الْجَيْشِ وَعِوَاءٍ إِلَّا مَلْئُوهُ وَبَقِيَ مِنْهُ ^(٧) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ^(٨) : أَمَرَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَدْعُوَ لَهُ أَهْلَ الصَّنْفَةِ ^(٩) ، فَتَتَّبِعُهُمْ حَتَّى جَمَعْتُهُمْ ، فَوَضَعْتُ بَيْنَ أَيْدِيْنَا صَحْفَةً ^(١٠) ، فَأَكَلْنَا مَا شِئْنَا ، وَفَرَّغْنَا وَهِيَ مِثْلُهَا حِينَ وَضِعَتْ إِلَّا أَنَّ فِيهَا أَثَرَ الْأَصَابِعِ .

(١) رواه ابن سعد ، والبيهقي ، وصححه . طبقات ابن سعد : ١ - ١١٩

(٢) مخمصة : المخمصة : الجوع ، والمجاعة .

(٣) ييقية الأزواد : أي طلب من كل رجل منهم أن يأتي بما بقي عنده من زاده .

(٤) الحشية : ما يملأ اليدين معا .

(٥) على نطع : النطع : بساط من جلد . وقد ضبطت النون في كلمة « نطع » بالفتحة

والكسرة ، وعليها « معا » في ب .

(٦) فحزرته كربضة العنز : حزرته : قدرته بطريق الحدس والتخمين . كربضة العنز :

مقدار جثة عنز باركة على الأرض .

(٧) في هامش ب : ح : قدر ماجعل وأكثر ، ولو ورده أهل الأرض لكانهم .

(٨) في حديث رواه ابن أبي شيبة والطبراني بسند جيد .

(٩) الصفة : محل مرتفع في الدار والمسجد وغيره مفرز عن غيره للجلوس فيه ؛ وكان في

مسجده صلى الله عليه وسلم محل لذلك ، فيه المنقطعون عنده صلى الله عليه وسلم من فقراء

الصحابة الأعراب وغيرهم ؛ كسلمان ، وأبي ذر .

(١٠) صحفة : إناء بين الصغير والكبير يعد للطعام .

وعن علي بن أبي طالب^(١) ، رضى الله عنه : جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بنى عبد المطلب ، وكانوا أربعين ، منهم قومٌ يأكلون الجذعة ، ويشربون الفرق^(٢) ؛
فصنع لهم مِداً من طعام ، فأكلوا حتى شبعوا ، وبقي كما هو ؛ ثم دعا بعس^(٣) ،
فشربوا حتى رَووا ، وبقي كأنه لم يشرب منه .

وقال أنس^(٤) : إن النبي صلى الله عليه وسلم حين ابنتى بزَيْنَبِ أمره^(٥)
أن يدعوا له قوماً سماهم ، وكل من لقيت ، حتى امتلأ البيت والحجرة ، وقدم إليهم
تورا^(٦) ، فيه قدر [٤ ١] مِداً من تمرٍ جعل حَيْساً^(٧) ، فوضعه قدّامه ، وغمس ثلاث
أصابعه ، وجعل القوم يتغدّون ويخرجون ، وبقي التورُ نحواً مما كان^(٨) ، وكان
التوم أحداً ، أو اثنين وسبعين .

[وفي رواية أخرى في هذه القصة أو مثلها : إن القوم كانوا زهاء ثلاثمائة^(٩) ،
وأنهم أكلوا حتى شبعوا . وقال لى : ارفع ، فلا أذرى حين وضعتُ كانت أكثر
أم حين^(١٠) رفعتُ .

(١) في حديث رواه أحمد ، والبيهقي بسند جيد .

(٢) الجذعة من البفر واللغم : ماتم له سنة . والفرق - بفتح الراء ، وشكونها : مكيال .
وفي هامش ب : الفرق : اثنا عشر مداً . وقال أبو الهيثم : هو إناء يأخذ ستة عشر رطلاً ،
وتلك ثلاثة أصع .

(٣) ثم دعا بعس : العس : قدح من خشب يروى الثلاثة والأربعة . وفي هامش ب : العس :
الإناء الصغير ، والمراد بعس من لبن طلبه من أهله لهم .

(٤) في حديث رواه الشيخان ؛ واللفظ لمسلم ؛ وقريب منه الحديث الآتى عن أنس ،
وهو في سنن الترمذى : ٥ - ٣٥٧ (٥) ابنتى بزَيْنَبِ : تزوج بها . أمره : أمر أنسا .

(٦) وقدم إليهم تورا : التور : إناء من صفر أو حجارة ، كالإجانة ، أو القدح الذى
يشرب منه . (٧) جعل حَيْساً : الحيس : تمر خلط بسمن وأقط ودقيق .

(٨) نحواً مما كان : لم ينقص نقصاً كثيراً . (٩) زهاء ثلاثمائة : مقدار .

(١٠) هذا حديث طويل في مسلم اختصره المصنف اقتصاراً على محل الشاهد منه .

وفي حديث جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي رضي الله عنه ^(١) - أن فاطمة طبخت قدرا لعدائها ووجهت عليا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغذى معها ، فأمرها ففرقت منها لجميع نساءه صَفْحَةً صَفْحَةً ^(٢) ، ثم له صلى الله عليه وسلم ولعلي ، ثم لها ، ثم رفعت القدر ، وإنما لتفويض ^(٣) ؛ قالت : فأكأنا منها ما شاء الله ^(٤) . وأمر ^(٥) عمر بن الخطاب أن يزود أربعمائة راكب من أحسن ^(٦) ؛ فقال : يا رسول الله ، ما هي إلا أضوع ^(٧) . قال : اذهب ؛ فذهب فوزودهم منه ، وكان قدر الفصيل الرابض ^(٨) ، من التمر ، وبقي بحاله . ^(٩) من رواية دكين الأحمسي ، ومن رواية جرير . ومثله ^(١٠) من رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه ، إلا أنه قال ^(١٠) : أربعمائة راكب من مزية .

(١) رواه ابن سعد (الطبقات : ١ - ١٢٤) .

(٢) الصفحة : إناء صغير للطعام .

(٣) وإنما لتفويض : المراد بعد ما عرف من القدر بقيت مملوءة بطعام كثير يسيل من جوانبها ببركته صلى الله عليه وسلم .

(٤) في هامش ١ : من الأم بخطه ، وليس من الرواية . وفي هامش ب : هذا المعلم عليه من الأم بخطه ، وليس من الرواية .

(٥) في ب : وأمر - وضبط بالبناء للمعلوم ، وبالبناء للمجهول ، وكتب عليه « معا » .

(٦) بزودهم : يعطيهم من الزاد ما يكفيهم . أحسن : اسم قوم من العرب ، وهم بطن من ضبيعة يقال لهم بنو أحسن .

(٧) أضوع : جمع صاع : إناء يشرب فيه ، ومكيال . أي قال عمر : ليس التمر الذي عندي يكفي ، فإنه أضوع قليلة .

(٨) وكان قدر الفصيل : وكان التمر قدر ولد الناقة الصغير المبارك الرابض على الأرض .

(٩) من رواية : أي هذا الحديث من رواية . . . وقد رواه أبو داود في الأدب .

(١٠) أخرجه أحمد ، والبيهقي .

ومن ذلك حديثُ جابر^(١) في دَيْنِ أَبِيهِ بعدَ مَوْتِهِ ، وقد كان بذَلْ لُغْرَمَاءِ أَبِيهِ أَصْلَ مَالِهِ^(٢) ، فلم يَقْبَلُوهُ ، ولم يكن في تَمْرِهَا^(٣) سنينَ كَفَافٍ^(٤) دَيْنِهِمْ ؛ فجاهدَهُ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَدَّانِ أَمْرَهُ بِجَدِّهَا^(٥) ، وجَعَلَهَا بِيَادِرَ فِي أَصُولِهَا^(٦) ، فمَشَى فِيهَا ، ودَعَا ، فَأَوْفَى مِنْهُ جَابِرٌ لُغْرَمَاءِ أَبِيهِ ، وَفَضَلَ مِثْلَ مَا كَانُوا يَجِدُونَ^(٧) كُلَّ سَنَةٍ .

وفي روايةٍ مِثْلُ مَا أُعْطَاهُمْ ؛ قَالَ : وَكَانَ الْغُرَمَاءُ يَهُودًا ؛ فَعَجَبُوا مِنْ ذَلِكَ . وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ^(٨) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَصَابَ النَّاسَ نَخْمَةٌ^(٩) ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ مِنْ شَيْءٍ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ؛ شَيْءٌ مِنَ التَّمْرِ فِي الْمِزْوَدِ^(١٠) . قَالَ : فَأَتَيْتَنِي بِهِ . فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَأَخْرَجَ قَبْضَةً ، فَبَسَطَهَا وَدَعَا بِالْبَرَكَاتِ ؛ ثُمَّ قَالَ : ادْعُ عَشْرَةَ . فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ، ثُمَّ عَشْرَةَ كَذَلِكَ ، حَتَّى أَطْعَمَ الْجَيْشَ كُلَّهُمْ وَشَبِعَهُمْ . قَالَ : خُذْ مَا جِئْتَ بِهِ ، وَأَدْخُلْ بِدَلِّكَ ، وَاقْبِضْ مِنْهُ وَلَا تَكْتَبْ . فَقَبِضْتُ عَلَى أَكْثَرِ مِمَّا جِئْتُ بِهِ ؛ فَأَكَلْتُ مِنْهُ وَأَطْعَمْتُ حَيَاةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرَ ، إِلَى أَنْ قُتِلَ عُثْمَانُ ، فَانْتَهَبَ مِنِّي^(١١) ، فَذَهَبَ .

- (١) هذا الحديث رواه البخاري : صحيح البخاري : ٤ - ٢٣٥ ، ٥ - ١٢٣ .
 (٢) قال في نسيم الرياض (٣ - ٤٠) : أراد بأصل ماله : بستانا ونخلًا له كان يتقوت منه .
 (٣) في تمرها : أي في تمر النخيل .
 (٤) كفاف : ما يفي به ويكفيه .
 (٥) بجدها : بقطع الثمار وجمعها .
 (٦) بيادر : جمع بيدر ، وهو الموضع الذي يوضع فيه التمر لينشف ، والبر ونحوه ليخلص من تبته ، والكوم من الطعام والخنطة . والبيدر : الجرن . في أصولها : أي جعلها كوما كوما في أصول الثمار ، وهي النخل ، والمراد أنه كومه في حديقة نخله . وفي ١ : جعلها - فعل ماض .
 (٧) ما كانوا يجدون : ما كانوا يقطعون من ثمارها . (٨) في حديث رواه البيهقي مسنداً .
 (٩) نخمة : جوع ، أو مجاعة .
 (١٠) في المزود : المزود : وعاء الزاد .
 (١١) انتهب مني : أي نهبه الناس ، وأغاروا عليه في زمن الفتنة ، وسلبوه .

وفي رواية^(١): فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق^(٢) في سبيل الله .
وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك ، وأن التمر كان يوضع
عشرة تمر .

ومنه أيضا حديث أبي هريرة^(٣) حين أصابه الجوع ، فاستتبعه^(٤) النبي صلى الله
عليه وسلم ، فوجد لبنا في قدح قد أهدى إليه ، وأمره أن يدعو أهل الصفة .
قال : قلت : ما هذا اللبن فيهم^(٥) ؟ كنت أحمق أن أصيب منه شربة أتقوى
بها . فدعوتهم .

وذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم له أن يسقيهم ، فجعلت أعطى الرجل فيشرب
حتى يروى ، ثم يأخذه الآخر حتى يروى جميعهم .
قال : فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح ، وقال : بقيت أنا وأنت ، أقعد
فاشرب فشربت ، ثم قال : اشرب ، وما زال يقولها وأشرب حتى قلت : لا ،
والذي بعثك بالحق ، ما أجده^(٦) مسكاً [١٠٥] ؛ فأخذ القدح فحمد الله وسمى
وشرب الفضلة .

(١) رواها الترمذي في سننه وخصنها ، عن أبي هريرة : سنن الترمذي ٥ - ٦٨٥

(٢) الوسق : حمل بعير . في سبيل الله : أي في أسفار غازيا .

(٣) رواه البخاري صحيح البخاري : ٦ - ١٢٠

(٤) فاستتبعه : طلب منه أن يتبعه .

(٥) ما هذا اللبن فيهم : ما مقداره القليل كاف لهم .

(٦) لا أجده مسكاً : أي لم يبق في جوفى محلا خاليا يدخله .

وفي ب : ما أجده . وفي هامشه : لا أجده .

وفي حديث^(١) خالد بن عبد العزيز أنه أجزر^(٢) النبي صلى الله عليه وسلم شاةً ، وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبذ^(٣) عياله عظاماً عظماً^(٤) ؛ وإن النبي صلى الله عليه وسلم أكل من هذه الشاة وجعل فضلها في دلو خالد^(٥) ، ودعا له بالبركة ، فنثر ذلك لعياله ، فأكلوا وأفضلوا^(٦) . ذكر خبره الدؤلابي .

وفي حديث الأجرى في إنكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلی فاطمة - أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بلالاً بقصعة^(٧) من أربعة أمدادٍ أو خمسة ، ويذبح جزوراً^(٨) لو ليمتها^(٩) . قال : فأنته بذلك فطعن في رأسها ، ثم أدخل الناس روفة روفة^(١٠) يأكلون منها حتى فرغوا ، وبقيت منها فضلة ؛ فبرك فيها ، وأمر بحملها إلى أزواجه ؛ وقال : كلن وأطعمن من غشيسكن^(١١) .

وفي حديث أنس^(١٢) : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصنعت أمتي

(١) رواه البيهقي مسنداً عنه ، ولم يذكره أصحاب الكتب السنة .

(٢) أجزره : أعطاه جزرة ، وهي شاة أو نعجة أو كبش أو عنز ، تعطى لتجزر ؛

أي تذبح .

(٣) لا تبذ عياله : يعني أن الشاة إذا فرقت عليهم لا تكفيهم . وفي هامش ١ : أبرد الطعام ،

إذا أعطى كل واحد نصيبه على حدة .

(٤) عظماً عظماً : أي إذا فرقت عليهم قطعة قطعة وعظمة بعد عظمة لا تكفيهم لكثرتهم .

(٥) دلو خالد : الدلو : وعاء من آدم يستقى به الماء .

(٦) وأفضلوا : أي أبقوا بقية زادت على كفايتهم .

(٧) بقصة : أن يأتي بقصة .

(٨) الجزور : رأس من الإبل ناقة أو جملا .

(٩) الوليمة : الدعوة لطعام يصنع في النكاح خاصة .

(١٠) روفة روفة : جماعة بعد جماعة .

(١١) من غشيسكن : أي كل من يأتي إليكن من غير أهل البيت .

(١٢) سنن الترمذي : ٥ - ٣٥٧

أُمُّ سُلَيْمٍ حَيْسًا ، فُجِعَلَتَهُ فِي تَوْرٍ ^(١) ، فَذَهَبَتْ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛
فَقَالَ : ضَعُهُ ، وَادْعُ لِي فَلَانًا وَفَلَانًا ، وَمَنْ لَقَيْتَ .

فَدَعَوْتُهُمْ ، وَلَمْ أَدْعُ أَحَدًا ^(٢) لِقَيْتُهُ إِلَّا دَعْوَتَهُ ؛ وَذَكَرَ أَنَّهُمْ كَانُوا زُهَاءً ^(٣)
ثَلَاثِمِائَةَ حَتَّى مَلَأُوا الصَّفَةَ وَالْحِجْرَةَ ^(٤) ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَحَلَّقُوا
عَشْرَةَ عَشْرَةَ ^(٥) ، وَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى الطَّامَامِ ، فَدَعَا فِيهِ ، وَقَالَ
مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ؛ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِبُوا كُلُّهُمْ ، فَقَالَ لِي : ارْفَعْ ، فَمَا أُدْرَى حِينَ
وُضِعَتْ ^(٦) كَانَتْ ^(٧) أَكْثَرَ أُمَّ حِينَ رُفِعَتْ .

وَأَكْثَرُ أَحَادِيثِ هَذِهِ الْفُصُولِ الثَّلَاثَةِ فِي الصَّحِيحِ ^(٨) . وَقَدْ اجْتَمَعَ عَلَى مَعْنَى
حَدِيثِ هَذَا الْفَصْلِ بَضْعَةٌ عَشْرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ ، رَوَاهُ عَنْهُمْ أَعْضَاءُ قَوْمِهِمْ مِنَ التَّابِعِينَ ، ثُمَّ
مَنْ لَا يَنْبَغُ بَعْدَهُمْ .

وَأَكْثَرُهَا فِي قِصَصِ مَشْهُورَةٍ ، وَتَجَامِعَ مَشْهُودَةٍ ؛ وَلَا يُمْكِنُ التَّحَدُّثُ عَنْهَا
إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا يَسْكُتُ الْحَاضِرُ لَهَا عَلَى مَا أَنْكَرَ مِنْهَا .

(١) الجيس : طعام من لبن وأقط وتمر وسمن يحاس ؛ أى يخلط بعضه ببعض .

والدور : إناء من صفر أو حجارة واسع رحراح كالصينية القرية القمر .

(٢) ولم أدع أحدا : لم أترك أحدا .

(٣) زهاء : مقدار .

(٤) الصفة : موضع مظل قدام البيت ، أو دكة عليّة فيه . والحجرة : البيت الصغير

المفرز من اللدار

(٥) تحلقوا : استديروا حول الطامام كالحلقة ، طائفة بعد طائفة من غير ازدحام .

وفي الترمذي : ليتحلق عشرة عشرة .

(٦) هذا الضبط في ا ، وفي ب ضبط بفتح الواو وضم التاء .

(٧) في ب : كان .

(٨) الفصول الثلاثة : أى نبع الماء من بين أصابعه ، وانفجاره بدعوته ، وتكثير الطامام

ببركته . في الصحيح : من الأحاديث وكتبها المتعمدة .

فصل

في كلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته

حدثنا (١) أحمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما أجازنيه عن أبي عمر الطلمنكي (٢) ، عن أبي بكر بن المهندس ، عن أبي القاسم البغوي ، حدثنا أحمد ابن عمران الأخذسي ، حدثنا أبو حيان التميمي - وكان صدوقاً - عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره ، فدنا منه أعرابي ، فقال : يا أعرابي ، أين تريد ؟ قال : إلى أهلي . قال : هل لك إلى خير ؟ قال : وما هو ؟ قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . قال : من يشهد لك على ما تقول ؟ قال : هذه الشجرة السمرة (٣) ، وهي بشاطئ الوادي (٤) ، وادعها فإنها تجيبك (٥) .

فأقبلت تحذُّ الأرض (٦) حتى قامت بين يديه ، فاستشهدها (٧) ثلاثاً ، فشهدت أنه كما قال ، ثم رجعت إلى مكانها .

وعن بريدة (٨) : سأل أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية ، فقال له : قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك .

(١) رواه البيهقي ، والبزار ، والدارمي مسنداً عن ابن عمر .
(٢) هذا الضبط في شرح الشهاب : ٣ - ٤٧ ، ولب اللباب : ١٦٩ ، قال السيوطي : بفتحات وسكون النون ، نسبة إلى طلمنكة : مدينة بالأندلس . وقال القاري (١ - ٦١٥) : للطلمنكي : بتشديد لام مفتوحة فميم مفتوحة ونون ساكنة .

(٣) السمرة : شجرة عظيمة ذات شوك .
(٤) شاطئ الوادي : جانبه وطره . والوادي : الأرض الواسعة المستوية .
(٥) هذا في ب ؛ وفي أ : فادعها فإنها تجيب .
(٦) تحذُّ الأرض : تشقها .
(٧) استشهدها ثلاثاً : طلب منها أن تشهد ثلاث مرات .
(٨) في حديث رواه البزار مسنداً .

قال: فالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها، فتقطعت عروقها، ثم جاءت [١٠٦] تحذ الأرض تجر عروقها مغبرة^(١) حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالت: السلام عليك يا رسول الله .
قال الأعرابي: مرها فلترجع إلى منبتها، فرجعت، فالت عروقها فاستوت^(٢).
فقال الأعرابي: ائذن لي أسجد لك .

قال: لو أمرت أحدا أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها .

قال: فأذن لي أن أقبل يديك ورجليك؛ فأذن له .

وفي الصحيح - في حديث جابر بن عبد الله الطويل^(٣): ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته، فلم ير شيئا يستتر به، فإذا بشجرتين في شاطئ الوادي، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداها، فأخذ بفصن من أغصانها، فقال: انقادي علي^(٤) ياذن الله؛ فانقادت معه كالبعير الخشوش^(٥) الذي يصانع قائده^(٦).

وذكر أنه فعل بالأخرى مثل ذلك، حتى إذا كان بالمنصف^(٧) بينهما قال: التثما علي^(٨) ياذن الله؛ فالتثمتا^(٨).

(١) بتشديد الراء . وفي ب : بتشديد الباء .

(٢) دلت عروقها : أدخلتها في الأرض . فاستوت : انتصبت قائمة من غير ميل بها .

(٣) هذا الحديث في صحيح مسلم : ٢٣٠٦ (٤) انقادي علي : طوعيني وميلي علي .

(٥) كالبعير الخشوش : الخشوش : الذي يوضع في أنفه خشاش . والبعير الذي يسر قوده

يخرق أنفه ويوضع فيه شيء يذلل به ؛ فإن كان عودا من خشب فهو خشاش ، وإن كان مفتولا

من وبر ونحوه فهو خزام ، وإن كان من نحاس ونحوه فهو برة .

(٦) يصانع قائده : المراد به الملاينة وسهولة الانقياد .

(٧) بالمنصف : أي في وسط المكان ، أي نصف المسافة . والضبط في ب ، وصحيح مسلم .

(٨) التثما : انضما واجتما .

وضبط في ا بضم اليم .

وفي روايةٍ أخرى : فقال : يا جابرُ ؛ قُلْ لهذه الشجرةِ : يقول لك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اَلْحَقِي بِصَاحِبَتِكَ ^(١) حتى أَجْلِسَ خَلْفَكَ . ففعلتُ ، فرجعتُ حتى لَحِقْتُ بِصَاحِبَتِهَا فجلَسَ خَلْفَهُمَا ، فخرجتُ أَحْضِرُ ^(٢) ؛ وجلستُ أُحَدِّثُ نَفْسِي ، فالتفتُ فإذا برسولِ الله صلى الله عليه وسلم مُقْبِلًا والشجرتان قد افتترقتا ، فقامت كلُّ واحدةٍ منهما على ساقٍ ، فوقفَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وَوَقْفَةً ، فقال برأسه هكذا ^(٣) يَمِينًا وَشِمَالًا .

ورَوَى أُسَامَةُ ^(٤) بن زَيْدٍ نَحْوَهُ ؛ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في بعض مَغَازِيهِ ، هل تَعْنِي ^(٥) مكانًا لِحَاجَةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقلتُ : إن الوادِي ما فيه موضعٌ بالناس ^(٦) . فقال : هل ترى من نَخْلٍ أو حِجَارَةٍ ؟ قلتُ : أرى نَخْلَاتٍ مَتَقَارِبَاتٍ . قال : انطلق وقل لمن : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يأمرُك أن تَأْتِيَنِ لِمَخْرَجِ رسولِ الله ^(٧) صلى الله عليه وسلم ، وقل للحجارةِ مِثْلَ ذَلِكَ .

فقلتُ ذلك لمن ؛ فوالذي بعثه بالحق ، لقد رأيتُ النخلاتِ يتقاربن حتى اجتمعن ، والحجارةُ يتماقدن حتى يصرنَ رُكَامًا ^(٨) خَلْفَهُنَّ .

(١) الحقى بصاحبتك : تحركى واذهبي حتى تكوني مع الشجرة الأخرى .

(٢) أحضر : أسرع في المدو . وفي هامش ب : أحضر : معناه : أسرع في الشيء .

(٣) فقال برأسه : حركة هكذا .

(٤) في حديث أخرجه البيهقي في الدلائل ، وأبو يعلى بسند حسن : (٥) تعني : تقصد .

(٦) ما فيه موضع بالناس : أي ما فيه موضع خال بسبب نزول الناس ؛ فهو مملوء بهم . وقال

القاري : (١ - ٦١٧) : إن انوادى ما فيه موضع بالناس ؛ أي ليس فيه مكان مستقر بهم ؛

بل كله خال عنهم . (٧) لمخرج رسول الله : أي لمكان يخرج إليه الرسول لقضاء حاجته .

(٨) يتماقدن : ينضم بعضها إلى بعض حتى يصرن كالبنيان للمعقود بعضه ببعض . ركاما :

بعضها فوق بعض . خلفهن : خلف النخلات ؛ يعني أن الحجارة اجتمعت مع النخل .

فلما قضى حاجته قال لي : قل لمن يفتقرن ، فوالذي نفسي بيده لرأيتهن
والحجارة - يفتقرن حتى عدن إلى مواضعهن .

وقال يعلى بن سيابة^(١) : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير . . .
وذكر نحواً من هذين الحديثين ، وذكر : فأمر ودَيْتَيْنِ^(٢) فانضمتا . وفي رواية :
أشَاءتَيْنِ^(٣) .

وعن غِيْلَان بن سلامة الثقفي مثله : في شجرتين .

وعن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين .

وعن يعلى بن مرة - وهو ابن سيابة^(١) - أيضاً ، وذكر أشياء رآها من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ؛ فذكر أن طلحة أو سمرة^(٤) جاءت فأطافت^(٥) به ،

(١) في حديث صحيح رواه أحمد (مسند أحمد : ٤ - ١٧٠) ، والبيهقي ، والطبراني .
وقد ضبطت السين في سيابة بالفتحة والكسرة في ا ، وعليها «مما» . وفي الإكمال (٣ - ٢٩٠) :
سيابة - بسين موهلة بعدها ياء مفتوحة ممجمة باثنتين من تحتها وبعد الألف باء ممجمة بواحدة .
وفي الاستيعاب : ٦٩١ ، والإصابة ٢ - ١٠١ ، بكسر أوله والتخفيف ، وبعد الألف موحدة .
وفي التبصير (١٣٤) : بمهولة مكسورة . وكذلك ضبطت السين في المؤلف لعبد الغني بن سعيد
بالكسر . وضبطه في القاموس بفتح أوله .

وبعلى بن سيابة أبوه اسمه مرة ، أما سيابة فهو اسم أمه .

(٢) الودية : من صغار النخل التي تخرج من أصول كبارها ، فتنتقل وتفرس ، وتسمى
فسيلا وفراخا . وفي هامش ا : الودي : صغار النخل ، واحدها ودية ، وكذلك الأشاء ،
واحدها أشاءة .

(٣) أشاءتَيْنِ : مثني أشاءة ؛ وهي من صغار النخل أيضاً ، لسكنها أكبر من الودية
(شرح الشهاب) .

(٤) طلحة ، أو سمرة : نوعان من شجر البرية ذات شوك .

(٥) فأطافت به : دارت حوله ، وأملت به .

ثم رجعت إلى منبئتها^(١) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنها استأذنت
أن تسلم^(٢) عليّ .

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه^(٣) : آذنت^(٤) النبي صلى الله
عليه وسلم بالجن ليلة [١٠٧] استمعوا له - شجرة .

وعن مجاهد ، عن ابن مسعود في هذا الحديث^(٥) : إن الجن قالوا : من يشهد
لك؟ قال : هذه للشجرة . تعالني يا شجرة ؛ فجاءت تجرُّ عروقها لها قعاقع^(٦) . . .
وذكر مثل الحديث الأول أو نحوه .

قال القاضي أبو الفضل^(٧) : فهذا ابن عمر ، وبريدة ، وجابر ، وابن مسعود ،
وبعلي بن ماردة ، وأسامة بن زيد ، وأنس بن مالك ، وعلي بن أبي طالب ،
وابن عباس ، وغيرهم - قد اتفقوا على هذه القصة نفسها أو معناها .
وقد رواها عنهم من التابعين أضعافهم ؛ فصارت في انتشارها من القوة حيث
هي^(٨) .

(١) إلى منبئتها : موضعها الأول الذي نبتت فيه .

(٢) قال في نسيم الرياض : المعنى أنها طلبت من الله تعالى أن يعطيها قدرة كقدرة
العقلاء من المشي إليه والسلام عليه .

(٣) رواه الشيخان مسنداً - صحيح مسلم : ٣٣٣

(٤) آذنت : أعلنت ، والفاعل كلمة شجرة الآتية بعد . بالجن : أي بحضورهم عنده صلى
الله عليه وسلم ، واستماعهم منه القرآن ، في الليلة التي استمعوا قراءته .

(٥) رواه الشيخان - صحيح مسلم : ٣٣٣

(٦) قعاقع : صوت قوى كصوت الرجا ؛ وهو جمع قمعة ؛ وهي حكاية صوت الحركة من
الأجرام الصلية .

(٧) هو المصنف . وفي ب : قال المؤلف رحمه الله .

(٨) حيث هي : صارت في مرتبة قوية لا يشك فيها أحد من العقلاء .

وذكر ابن فورك أنه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف^(١) ليلاً وهو
وسن^(٢)، فاعترضته سدرية، فانفرجت له نصفين حتى جاز^(٣) بينهما، وبقيت على
ساقين إلى وقتنا [هذا]^(٤)؛ وهي هناك معروفة معظمة.

ومن ذلك^(٥) حديث أنس رضي الله عنه - أن جبريل عليه السلام قال للنبي
صلى الله عليه وسلم - وراه حزينا^(٦) : أتُحِبُّ أن أريك آية؟ قال : نعم. فنظر رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى شجرة من وراء الوادي، فقال : ادع تلك الشجرة،
فجاءت^(٧) تمشي حتى قامت بين يديه .

قال : مرها فلترجع، فعادت^(٨) إلى مكانها .

وعن عليٍّ نحو هذا^(٩) ؛ ولم يذكر فيها جبريل ؛ قال : اللهم أرني آية لا أبالي
من كذبتني بعدها، فدعا شجرة . . . وذكر مثله .

(١) الطائف : اسم بلدة قريبة من مكة كثيرة للياه والأشجار ، وهذه الغزوة كانت في
السنة الثامنة من الهجرة .

(٢) وسن : الوسن : قريب من النعاس .

(٣) جاز : مر ، وسار .

(٤) في ب عليها علامة الصحة ، وهي ساقطة في ا .

(٥) ومن ذلك : ومن معجزاته . وحديث أنس رواه الدارمي ، وابن ماجه ، والبيهقي .

والحديث في سنن ابن ماجه : ١٣٣٦

(٦) حزينا : كان حزينا لعدم إطاعة قومه له في أول البعثة ، إذ عرض نفسه على القبائل .

وفي ابن ماجه : وهو جالس حزين قد خضب بالدماء ، قد ضربه بعض أهله مكة ، فقال : مالك؟

قال : نعم بن هؤلاء وفعلوا . . . قال : أتُحِبُّ . . .

(٧) في سنن ابن ماجه : فدعاها فجاءت . . .

(٨) في سنن ابن ماجه : فقال لها فرجمت .

(٩) في نسيم الرياض (٣ - ٥٨) : قال السيوطي : لم أجده عن علي ، وإنما هو عن جابر

رضي الله عنه .

وَحُزْنُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتَكْذِيبِ قَوْمِهِ وَطَلْبِهِ الْآيَةَ لَهُمْ لَأَلَهُ (١) .
 وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ (٢) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَى رُكَّانَةَ مِثْلَ هَذِهِ
 الْآيَةِ فِي شَجَرَةٍ دَعَاها فَأَنْتَ حَتَّى وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ ثُمَّ قَالَ : ارْجِعِي ، فَرَجَعْتُ .
 وَعَنْ الْحَسَنِ (٣) أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَكَا إِلَى رَبِّهِ مِنْ قَوْمِهِ وَأَنَّهُمْ يَخَوِّفُونَهُ (٤) ؛
 وَسَأَلَهُ آيَةَ يَعْلَمُ بِهَا إِلَّا مَخَافَةَ عَلَيْهِ ؛ فَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنْتِ وَاوَدِي كَذَا فِيهِ شَجَرَةٌ ، فَادْعِي
 غُصْنًا مِنْهَا يَا نَتِكَ . فَفَعَلَتْ ؛ فَجَاءَ يَخْطُ الْأَرْضَ خَطًّا (٥) حَتَّى انْتَصَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ (٦) ،
 فَحَبَسَهُ مَا شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : ارْجِعِي كَمَا جِئْتِ ، فَرَجَعَتْ ؛ فَقَالَ : يَا رَبِّ ؛ عَلِمْتُ
 أَنَّ لَا مَخَافَةَ عَلَيَّ .

وَنَحْوُهُ مِنْهُ عَنْ جُمَيْرٍ (٧) ؛ وَقَالَ فِيهِ : أَرَيْتِ آيَةَ لَا أَجَالِي مَنْ كَذَّبَنِي بَعْدَهَا . . .
 وَذَكَرَ نَحْوَهُ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (٨) رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَعْرَابِيٍّ :
 أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ هَذَا الْعِدْقَ (٩) مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ،

(١) لَهُمْ : أَيُّ لِقَوْمِهِ الْمَكْذِبِينَ . لَأَلَهُ : لِأَنَّهُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَمْرِهِ ، وَعَلِمَهُ بِقُدْرَةِ رَبِّهِ .
 وَانظُرِ الْهَامِشَ رَقْمَ ٦ فِي الصَّفْحَةِ السَّابِقَةِ .

(٢) مِمَّا رَوَاهُ فِي السِّيَرَةِ ، وَرَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ ، وَابْنُ بَيْهَقِيٍّ .

(٣) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ ابْنُ بَيْهَقِيٍّ .

(٤) إِنَّمَا شَكَا ذَلِكَ لِأَنَّهُ خَافَ الْقُصُورَ فِي تَبْلِيغِ مَا أُرْسِلَ بِهِ . وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَقَبْلَ

نَزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَاللَّهُ يَعَصَمُكَ مِنَ النَّاسِ » .

(٥) يَخْطُ الْأَرْضَ : يَشَقُّهَا شَقًّا .

(٦) انْتَصَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ : قَامَ مُنْتَصِبًا عِنْدَهُ .

(٧) رَوَاهُ الْبَزَارِيُّ ، وَأَبُو يَعْلَى ، وَابْنُ بَيْهَقِيٍّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ . وَفِي بَعْضِ نَسَائِدِهِمْ . وَفِي : عَنْ عَمْرٍو .

(٨) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ ، وَالدَّارِمِيُّ ، وَابْنُ بَيْهَقِيٍّ مُسْنَدًا .

(٩) الْعِدْقُ : هُوَ الْمَرْجُونُ مِنَ النَّخْلَةِ وَشِمَارِيخِهَا .

فدعاه فجعل يَنْقِزُ^(١) حتى أتاه . فقال : ارجع ؛ فعادَ إلى مكانه .
وخرَّجه الترمذی^(٢) ، وقال : هذا حديثٌ صحيحٌ .

فصل

في قصة حنين الجذع

ويعضد^(٣) هذه الأخبارَ حديثُ أنين^(٤) الجذعِ ، وهو^(٥) في نفسه مشهورٌ
مُنْتَشِرٌ ، والخبرُ به متواترٌ ، قد خرَّجه أهلُ الصحيح^(٦) ، ورواهُ من الصحابةِ
بضعةَ عشرَ ؛ منهم أبي بن كعب ، وجابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، وعبدُ الله
ابن عمر ، وعبدُ الله بن عباس ، وسهلُ بن سعد ، وأبو سعيد الخدري ، وبريدة ،
وأم سلمة ، والمطلب بن أبي وداعة ، كلُّهم يُحدِّثُ بمعنى هذا الحديثِ .

قال الترمذی : وحديثُ أنس^(٧) صحيحٌ .

قال جابر بن عبد الله [١٠٨] : كان المسجدُ^(٨) مسقوفاً على جذوعِ نخْلِ ؛
فكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا خطبَ يقومُ^(٩) إلى جذعِ منها ؛ فلما صُنِعَ له
المِنْبَرُ سمعنا لذلك الجذعِ صوتاً كصوتِ العِشَارِ^(١٠) .

(١) ينقز : يثبُ صعدا . وروى هذا الحديثُ منفصلاً البيهقي ؛ وقال : إن هذا الأعرابي
من بني عامر . (٢) في سنن الترمذی : ٥ - ٥٩٤ (٣) ويعضد : يقوى ويؤيد .
(٤) الأنين : صوت المريض ، والآنين والحنين متقاربان . وقيل : الأنين فيه زيادة
امتداد الصوت . (٥) وهو : أى حديث الجذع . والجذع : أصل الشجرة .
(٦) كالبخاري ، ومسلم : صحيح البخاري : ٤ - ٢٣٧ (٧) سنن الترمذی : ٥ - ٥٩٤
(٨) كان للمسجد : أى مسجد الرسول بالمدينة . والحديث في ابن ماجه : ٤٥٥ ،
وصحيح البخاري : ٤ - ٢٣٧ (٩) يقوم مستنداً .

(١٠) كصوت العِشَارِ : العِشَارُ : الناقة التي أتى على حماتها عشرة أشهر ، وزال عنها اسم
المخاض ، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد وضعها أيضا . والمراد خوارها حين وضعها أو
عقبه بمزاعا لولدها إذا لم تره .

وفي رواية أنس : حتى ارتجَّ المسجدُ بخواره (١) .
 وفي رواية سهل : وكثُرُ بكاءِ الناسِ لِمَا رَأَوْا بِهِ .
 وفي رواية المطلب [وأبي] (٢) : حتى تصدَّع وانشقَّ ، حتى جاء النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم ، فوضع يدهُ عليه فسكتَ .
 زاد غيره : فقال النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم : إن هذا بكى لِمَا فَقَدَ مِنَ الذِّكْرِ (٣) .
 وزاد غيره : والذي نفسى بيده : لو لم أتزَمه (٤) لم يزل هكذا إلى يوم القيامة ؛
 تحزناً على رسولِ اللهِ (٥) صلى اللهُ عليه وسلم ؛ فأمر به صلى اللهُ عليه وسلم فدُفِنَ تحتَ المنبرِ .

كذا في حديث المطلب ، وسهل بن سعد ؛ وإسحاق ؛ عن أنس .
 [وفي بعض الروايات عن سهل : فدُفِنَتْ تحتَ منبره ، أو جعلت في السقف] (٦) .
 وفي حديث أبي : فكان إذا صلى النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم صلى إليه (٧) ؛
 فلما هُدمَ المسجدُ (٨) أخذهُ أبي ، فكان عنده إلى أن أكلته الأرضُ ، وعاد رفاناً (٩) .
 وذكر الإسفرايني (١٠) أن النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم دعاه إلى نفسه ، فجاء يخرقُ الأرضَ (١١) ، فالتزمه (١٢) ، ثم أمره فعادَ إلى مكانه .

(١) الخوار في الأصل يختص بصياح البقر ، ثم توسعوا فيه في أصوات جميع البهائم .
 (٢) ليس في أ .

(٣) من الذكر : المراد بالذكر ذكر الله ، أو الموعدة ، أو القرآن . وفي أ : لجواره ، لخواره ، وكتب عليها فيهما « معا » . والجوار : رفع الصوت بالدعاء والتضرع والاستغاثة .

(٤) التزمه : إذا اعتنقه وضمه . (٥) على رسول الله : على مفارقتة .

(٦) كتب أمام هذه العبارة في هامش أ ، ب : من الام بخطه من غير الرواية .

(٧) صلى إليه : استقبله ، وجعله كالسترة للمصلي من المارين .

(٨) هدم المسجد : هدمه كان في زمن عمر رضي الله عنه .

(٩) وعاد رفاناً : عاد : صار . رفاناً : متسكراً متفرقاً . (١٠) واللباب .

(١١) يخرق الأرض : يشقها بمشيه فيها . (١٢) فالتزمه : اعتنقه وضمه .

وفي حديث بُرَيْدَةَ : فقال - يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ شِئْتَ أَرُدُّكَ إِلَى الْحَائِطِ ^(١) الَّذِي كُنْتَ فِيهِ تَنْبِتُ لَكَ عِرْوَقَكَ ، وَبِكَمَلِ خَلْقِكَ ، وَيُجَدِّدُ لَكَ خَوْصُ وِثْمَةَ ^(٢) ؛ وَإِنْ شِئْتَ أَغْرِسَكَ فِي الْجَنَّةِ ، فَيَأْكُلُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ مِنْ ثَمَرِكَ ؛ ثُمَّ أَصْفَى لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَمْعٍ مَا يَقُولُ .
فَقَالَ : تَغْرِسْنِي فِي الْجَنَّةِ ، فَيَأْكُلُ مِنِّي أَوْلِيَاءُ اللَّهِ ، وَأَكُونُ فِي مَكَانٍ لَا أُبْلَى فِيهِ .

فَسَمِعَهُ مَنْ يَلِيهِ ^(٣) .

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَدْ فَعَلْتُ ؛ ثُمَّ قَالَ : اخْتَارَ دَارَ الْبَقَاءِ عَلَى دَارِ الْفَنَاءِ .

فَمَكَانَ الْحَسَنِ ^(٤) إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا بَيْكِي ، وَقَالَ : يَا عِبَادَ اللَّهِ ؛ الْخَشْبَةُ ^(٥) تَمْحِنُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَوْقًا إِلَيْهِ لِمَكَانِهِ ؛ فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَأَقُوا إِلَى لِقَائِهِ .
رَوَاهُ - عَنْ جَابِرٍ - حَفْصُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَيُقَالُ : عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ حَفْصٍ ، وَأَيْمَنُ ، وَأَبُو نَضْرَةَ ، وَابْنُ الْمُسَيْبِ ، وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي كَرِيبٍ ، وَكَرَيْبُ ، وَأَبُو صَالِحٍ .
وَرَوَاهُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكِ الْحَسَنُ ، وَثَابِتٌ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ .
وَرَاهُ عَنْ ابْنِ عُمرٍ : نَافِعٌ ، وَأَبُو حَيَّةٍ ؛ وَرَوَاهُ أَبُو نَضْرَةَ ، وَأَبُو الْوَدَّاعِ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، وَعَمَّارُ بْنُ أَبِي عَمَّارٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَأَبُو حَازِمٍ ، وَعَبَّاسُ بْنُ سَهْلٍ ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ، وَكَثِيرُ بْنُ زَيْدٍ عَنِ الْمَطَّلِبِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ ، وَالطُّفَيْلُ بْنُ أَبِي عَن أَبِيهِ .

(١) الحائط : البستان الذي فيه الشجر والنخل .

(٢) أى تعود لك خلقتك بتامها ونضارتها .

(٣) من يليه : من يقرب منه . (٤) الحسن : هو الحسن البصرى .

(٥) الخشب : يريد هذا الجذع .

قال القاضي أبو الفضل (١) : فهذا حديثٌ كما تراه خرَّجه أهلُ الصحة ، ورواه من الصحابة مَنْ ذكرنا ، وغيرهم من التابعين ضعفهم ، إلى مَنْ لم نذكره ؛ وبِمَنْ (٢) دونَ هذا الغدرِ يقعُ (٣) العلمُ لِمَنْ اعتنى بهذا البابِ . واللهُ المُنبتُّ على الصوابِ .

فصل

ومِثْلُ هذا في سائرِ الجماداتِ (٤) :

[١٠٩] حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التَّمِيمِي ، حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن المرابط ، حدثنا المهلب ، حدثنا أبو القاسم ، حدثنا أبو الحسن القاسبي ، حدثنا المرؤزي ، حدثنا الأفربري ، حدثنا البخاري ، حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا أبو أحمد الزُّبَيْرِي ، حدثنا إسرائيل ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن ابن مسعود ، قال : لقد كنَّا نسمعُ تسبيحَ الطَّعامِ وهو يؤكل (٥) .

وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود (٦) : كنَّا نأكلُ مع رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم الطَّعامَ ونحن نسمعُ تسبيحَه .
وقال أنس (٧) : أخذ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم كَفًّا من حصي ، فسبَّحَنَ في يده رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم حتى سمعنا التسبيحَ ، ثم صبَّهْنُ في يدِ أبي بكرٍ رضي اللهُ عنه فسبَّحَنَ ، ثم في أيدينا فما سبَّحَنَ .

(١) هو عياض المصنف . وفي ب : قال المؤلف رحمه الله .

(٢) وفي هامش ا : وبدون .

(٣) يقع العلم : بوجود العلم وتنفق صحته . (٤) الجماد : ما لا روح فيه .

(٥) وهو يؤكل : أي في حال أكلنا مع النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلم .

(٦) هي رواية الترمذي (٥٩٧ - ٥) . والأولى رواية البخاري .

(٧) في حديث أخرجه ابن عساکر في تاريخه .

وروى مثله ^(١) أبو ذر ، وذكر أنهم سبَّحْنَ في كَفِّ عُمر و عثمان .
وقال علي ^(٢) كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إلى بعض
نواحيها فما استقبله شجرةٌ ولا جبلٌ إلا قال له : السلامُ عليك يا رسولَ الله .
وعن جابر بن سُمرة ^(٣) عنه صلى الله عليه وسلم : إني لأعرفُ حجراً بمكة كان
يسلمُ عليّ ؛ قيل : إنه الحجرُ الأسود .
وعن عائشة ^(٤) رضي الله عنها : لما استقبلني جبريلُ عابِه السلامَ بالرسالة جعلتُ
لا أمرٌ بحجرٍ ولا شجرٍ إلا قال : السلامُ عليك يا رسولَ الله .
وعن جابر بن ^(٥) عبد الله : لم يكن النبيُّ صلى الله عليه وسلم يمرُّ بحجرٍ
ولا شجرٍ إلا سجد له .
وفي حديث العباس ^(٦) ؛ إذ اشتمل ^(٧) عليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه
بملاءة ، ودعا لهم ^(٨) بالسُّر من النار كسْتَرِهِ إياهم بملاءته ؛ فأمنتُ أسكفةُ الباب ^(٩)
وحوائطُ البيت : آمين آمين .

(١) رواه الطبراني ، والبيهقي ، والبخاري .

(٢) في حديث رواه الدارمي ، والترمذي ، بسند حسن (سنن الترمذي : ٥ - ٥٩٣)

(٣) في حديث صحيح رواه مسلم ، وهو في سنن الترمذي : ٥ - ٥٩٣

(٤) في حديث صحيح رواه البخاري في مسنده . وانظر في ذلك أيضا : طبقات ابن

سعد : ١ - ١٠٢

(٥) في حديث رواه البيهقي . (٦) رواه البيهقي أيضا .

(٧) اشتمل عليه : ضمه . بملاءة : هي الإزار والملحفة . وفي ب : وهي على بنيه . وفي

هامش ب : الملاءة : الملحفة .

(٨) قال : يارب ؛ هذا عمي وصنو أبي ؛ وهؤلاء بنوه ، فاسترهم من النار كسْتَرِي إياهم

بملاءتي هذه .

(٩) أسكفة الباب : عتبة . وفي هامش أ : الأسكفة ، والأسكوفة : العتبة .

وعن جعفر بن محمد^(١)، عن أبيه: مَرَضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ بِطَبَقٍ فِيهِ رُمَّانٌ وَعِنَبٌ، فَأَكَلَ مِنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَبَّحَ.

وعن أنس^(٢): صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، أَحَدًا، فَرَجَفَ^(٣) بِهِمْ؛ فَقَالَ: أَتَيْتُ أَحَدًا؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ. وَمِثْلُهُ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ^(٤) فِي حِرَاءَ^(٥)، وَزَادَ مَعَهُ: عَلِيٌّ وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ؛ وَقَالَ: فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ.

وَالزُّبَيْرُ فِي حِرَاءَ^(٥) أَيْضًا عَنْ عُثْمَانَ؛ قَالَ: وَمَعَهُ عَشْرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنَا فِيهِمْ. وَزَادَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ وَسَعْدًا، قَالَ: وَنَسِيتُ الْاِثْنَيْنِ^(٦).

وَفِي حَدِيثِ^(٧) سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَيْضًا مِثْلُهُ؛ وَزَادَ عَشْرَةً؛ وَزَادَ نَفْسَهُ.

(١) فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٣ - ٧٣)؛ قَالَ السَّيوطِيُّ: لَمْ أَجِدْ هَذَا فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ - يَعْنِي الْمَشْهُورَةِ، فَلَا يُنَاقِي إِطْلَاعَ الْمُصَنِّفِ عَلَيْهَا. وَقَالَ الْقَارِي (١ - ٦٢٩): قَالَ الدَّلْجِيُّ: لَمْ أَدْرَ مَنْ رَوَاهُ. قُلْتُ: يَكْفِي أَنَّهُ رَوَاهُ الْمُصَنِّفُ، وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْمُحَدِّثِينَ، وَلَوْلَا أَنَّ الْحَدِيثَ لَهُ أَصْلٌ لَمْ أَذْكَرْهُ.

(٢) فِي حَدِيثِ رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالْبِخَارِيُّ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَةَ. سَنَّ ابْنُ مَاجَةَ: ٤٨. وَفِيهِ: أَثْبَتَ حِرَاءَ. وَالْحَدِيثُ فِي مَسْنَدِ الطَّيَالِسِيِّ: ٢ - ١٣٩ أَيْضًا، وَسَنَّ التِّرْمِذِيُّ: ٥ - ٦٢٤.

(٣) رَجَفَ بِهِمْ: تَحَرَّكَ حَرَكَةً شَدِيدَةً وَاضْطَرَبَ.

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَهُوَ سَنَّ ابْنُ مَاجَةَ: ٤٨، وَمَسْنَدُ الطَّيَالِسِيِّ: ٢ - ١٣٩، وَسَنَّ التِّرْمِذِيُّ:

٥ - ٦٢٤، ٦٢٥.

(٥) حِرَاءَ: جَبَلٌ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ.

(٦) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ عَنْ عُثْمَانَ.

(٧) أَيُّ تَمَعَةِ الْعَشْرَةِ؛ وَهِيَ: طَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ.

(٨) رَوَاهُ أَبُو دَوَادٍ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَةَ.

وقد روى أنه حين طلبته^(١) قريش قال له كئيب^(٢) : اهبط يا رسول الله ؛
فإني أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبني الله^(٣) .

فقال جرّاء : إلى^(٤) يا رسول الله .

وروى ابن عمر^(٥) رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر :
﴿ وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدرِهِ ﴾^(٦) ؛ ثم قال : يُمَجِّدُ الجِبَارُ نَفْسَهُ^(٧) ؛ أنا الجبار ،
أنا الجبار ، أنا الكبير المتعال ؛ فرجف^(٨) المنبر حتى قلنا : ليخرن عنه^(٩) .

وعن ابن عباس^(١٠) : كان حول البيت ستون وثلاثمائة صنم [١١٠] مُشْبَعَةٌ
الأرجل بالرصاص في الحجارة ؛ فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام
الفتح جعل يُشير بقضيب^(١١) في يده إليها ولا يمسها ، ويقول : جاء الحق وزهق

(١) طلبته قريش لما خرج مهاجراً ، وأرسلوا خلفه من يطلبه منهم .

(٢) كئيب : جبل بالمزدلفة عن يسار الداهب إلى منى . اهبط : انزل من على ظهري ، واذهب
إلى مكان آخر تخفى به عنهم .

(٣) قال في نسيم الرياض (٣ - ٧٥) : إنما خاف العذاب بسبب قتله ، لأنه لو لم يذكر له
ذلك مع علمه بأنه ليس فيه مكان يستره كان غشاً منه يستحق به العذاب ؛ أو لأنه لو قتل على
ظهره غضب الله على المكان الذي يقع فيه مثل هذا الأمر العظيم ؛ كما غضب على أرض نوح .
(٤) إلى : أقبل .

(٥) في حديث رواه مسلم ، والنسائي ، وأحمد في مسنده (مسند أحمد : ٢ - ٧٢ ، ٨٨) .

(٦) ما قدرُوا اللهَ حقَّ قدرِهِ : ما عظموه حق تعظيمه ، وما عرفوه حق معرفته .

(٧) يمجد الجبار نفسه : يعظم وينزه ذاته .

(٨) رجف المنبر : اهتز واضطرب من مهابة مقال النبي .

(٩) ليخرن عنه : ليقع النبي صلى الله عليه وسلم من شدة اضطراب المنبر من فوقه ،
أو لينهد المنبر .

(١٠) في حديث أخرجه الشيخان ، والبخاري ، والطبراني ، وأبو يعلى عن جابر وابن مسعود .

والحديث في مسند الطيالسي : ٢ - ١٠٧ (١١) بقضيب : بعصا .

الباطلُ إنَّ الباطلَ كان زهوقاً^(١)؛ فما أشار إلى وجه صنمٍ إلا وقع لِقْفَاهُ ، ولا لِقْفَاهُ إلا وقع لوجِبِهه ، حتى ما بقي منها صنمٌ .

ومثله في حديث ابن مسعود^(٢) ؛ وقال : تَجْمَلُ بِطَعْمِهَا ويقول : جاء الحقُّ وما يبديُّ الباطلُ وما يُعيدُ^(٣) .

ومن ذلك^(٤) حديثه مع الراهب في ابتداء أمره ؛ إذ خرج تاجراً مع عمه ؛ وكان الراهبُ لا يخرجُ لأحدٍ ؛ فخرج وجعل يتخلَّهم^(٥) ، حتى أخذ بيدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : هذا سيِّدُ العالمين ؛ يبعثه الله رحمةً للعالمين .

فقال له أشياخُ من قُرَيْشٍ : ما علمك ؛ فقال : إنه لم يبقَ شجرٌ ولا حجرٌ إلا خرَّ ساجداً له ، ولا تسجدُ إلا للنبيِّ . . . وذكر القِصَّةَ ، ثم قال : فأقبل صلى الله عليه وسلم وعليه غَمَامَةٌ تُظِلُّهُ ؛ فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه إلى فيء^(٦) الشجرة ؛ فلما جلس مال النبيُّ إليه .

فصل

في الآيات في ضروب الحيوانات

حدثنا سراجُ بن عبد الملك ، [حدثنا]^(٧) أبو الحسين الحافظ ، حدثنا أبي ، حدثنا القاضي يونس ، قال : حدثنا أبو الفضل الصَّعْلِيُّ ، حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت ،

(١) الحق : التوحيد ، والإسلام . والباطل ضده . وزهوقه : زواله واضمحلاله .

(٢) رواه الشيخان ؛ صحيح البخارى : ٥ - ١٨٨

(٣) الحق : الدين الحق ، أو التوحيد ، أو وعد الله بفتح مكة . الإبداء : الإيجاد ابتداء من غير سبقٍ لإيجاد آخر . والإعادة : الإيجاد مرة بعد مرة أخرى ؛ أى إن الشرك هلك واضمحلت .

(٤) من ذلك : مما ذكر من أمر الجمادات . والحديث رواه الترمذى والبيهقى . والراهب

هو بجيرا . متن الترمذى : ٥ - ٥٩٠ ، وطبقات ابن سعد : ١ - ٩٩

(٥) يتخلَّهم : يدخل في خللهم ، ويدور بينهم ينظرهم واحداً واحداً .

(٦) الفيء : الظل . والغمامة : السحابة . (٧) ليس في ب :

من أبيه وجدّه ؛ قالوا : حدثنا أبو العلاء أحمد بن عمران ، حدثنا محمد بن فضيل ،
حدثنا يونس بن عمرو ، حدثنا مجاهد ، عن عائشة رضي الله عنها ؛ قالت : كان
عندنا داجن^(١) ، فإذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر^(٢) وثبت
مكانه ؛ فلم يجئ ولم يذهب ؛ وإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب .
وروى عن عمر^(٣) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل^(٤) من أصحابه
إذ جاء أعرابي قد صاد ضباً^(٥) ؛ فقال : ما هذا^(٦) ؟ قالوا : نبي الله . فقال :
واللات والعزى^(٧) ، لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب ؛ وطرحه بين يدي
النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا ضب ؛ فأجابه بلسان
مبين يسمعه القوم جميعاً : لبيك وسعديك^(٨) يا زين من وافي القيامة^(٩) .

(١) داجن : شاة تألف البيوت وتعلق فيها ، وتطلق على غيرها من الحيوانات التي تربي
في البيوت ، كالناقة ، والحمام . وفي هامش ب : دواجن البيوت : ما ألفها من الطير والشاء
وغیرها . والمراد بقولها « عندنا » منزلها الذي تسكنه .

(٢) قر وثبت مكانه : وقف ، أو ربض في مكانه لا يتحرك .

(٣) في حديث رواه الطبراني ، والبيهقي .

(٤) محفل : مكان يجتمع فيه ناس كثيرون .

(٥) الضب : حيوان بري ، والأعراب تصيده وتأكله .

(٦) هذا في ا ، ب . وفي هامش ا : من هذا .

(٧) اللات والعزى : صنمان عبدا في الجاهلية . واللات : كان بنخلة والطائف لقريش

وثقيف . والعزى : شجرة من السمركانت لنظفان .

(٨) لبيك وسعديك : لبيك : إجابة لك بعد إجابة . وسعديك : مساعدة وطاعة لك

بعد طاعة ، وهما عبارة عن سرعة الإجابة والانقياد والطاعة .

(٩) من وافي القيامة : الموافاة : الحضور والحجى . وإنما جمعه زينا ؛ أي مزينا لاهلها

ومن بها ، لأنه سيدهم وقائدهم ، والشفيع لهم . والعرب تقول : يازين القوم - لأشرفهم وأحسنهم .

قال : مَنْ تَعْبُدُ ؟ قال : الذي في السماء عَرَّشُهُ ، وفي الأرض سُلْطَانُهُ ، وفي البحر سَبِيلُهُ (١) ، وفي الجنة رَحْمَتُهُ ، وفي النار عِقَابُهُ .

قال : فَمَنْ أَنَا ؟ قال : رسولُ ربِّ العالمين ، وخاتمِ (٢) النبيين ، وقد أفلحَ مَنْ صدَّقَكَ ، وخابَ مَنْ كذَّبَكَ .

فَأَسْلَمَ الْأَعْرَابِيَّ (٣) .

ومن ذلك (٤) قصة (٥) كلام الذئب المشهورة عن أبي سعيد الخدري :

بَيْنَا رَاعٍ يَرْعَى غَنَمًا لَهُ عَرَضَ الذَّئْبُ لَشَاةٍ مِنْهَا ، فَأَخَذَهَا الرَّاعِي مِنْهُ ،

فَأَقْعَى (٦) الذَّئْبُ ، وَقَالَ لِلرَّاعِي : أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ ! حُلَّتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رِزْقِي !

قال الرَّاعِي : الْعَجَبُ مِنْ ذِئْبٍ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ الْإِنْسِ ! فَقَالَ الذَّئْبُ : أَلَا

أَخْبَرَكَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ ؟ رَسُولُ اللَّهِ بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ (٧) يُحَدِّثُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ (٨)

مَا قَدْ سَبَقَ .

فَأَتَى الرَّاعِي لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ : قُمْ فَحَدِّثْهُمْ ؛

ثُمَّ قَالَ : صَدَقَ .

والحديث فيه قصة ، وفي بعضه طول .

وروي حديثُ الذئبِ (٥) عن أبي هريرة .

(١) سبيله : طريقه التي جعلها مسلكاً لعباده بتسخير الريح ونحوه مما لا يقدر عليه غيره .

(٢) ضبطت التاء في بالكسرة ، وفي ب : بالفتحة . وهو بالفتح بمعنى ختموا به ،

وبكسرهما بمعنى ختمهم . (٣) هذا الحديث طويل رواه البيهقي .

(٤) من ذلك : من معجزاته في تسخير الحيوانات وإنطاقها .

(٥) رواها أحمد ، والبزار ، والبيهقي ، وصححها . وهي في طبقات ابن سعد : ١-١١٤ .

(٦) فأقعى الذئب : قعد على عقبه ناصباً يديه .

(٧) الحررة : ثنية مرتفعة ذات حجارة سود ، كأنها اسودت من الحر . والحرتان بالمدينة .

(٨) بأنباء ما سبق : الأنباء : الأخبار .

وفي بعض الطُّرُقِ عن أبي هريرة رضى الله عنه ، فقال الذئبُ : أنتَ أعجبُ ا
واقفًا على غنمك ، وتركتَ نبيًّا لم يبعث اللهُ نبيًّا قطُّ أعظمَ منه عنده [١١١]
قدراً^(١) ، قد فتحتَ له أبوابُ الجنَّةِ ، وأشرف^(٢) أهلها على أصحابه ، ينظرون
قتالهم^(٣) ، وما بينك وبينه إلا هذا الشعبُ^(٤) ، فتصبر من جنود الله .

قال الراعى : من لى بغنمى ؟ قال الذئبُ : أنا أرهاها حتى ترجع .

فأسلم الرجلُ إليه غنمه ومضى .
وذَكَرَ قصته وإسلامه ووجوده النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم يُقاتل ؛ فقال له النبيُّ
صلى اللهُ عليه وسلم : عدُ إلى غنمك تجدها بوفرها^(٥) .
فوجدها كذلك ، وذبح للذئب شاةً منها .

وعن أهبان^(٦) بن أوسٍ : وأنه^(٧) كان صاحبَ الفصة ، والمحدثَ بها ، ومكلمَ
الذئبِ .

وعن سلمةَ بن عمرو بن الأكوع : وأنه^(٨) كان صاحبَ [هذه]^(٩) القصة
أيضاً ، وسببَ إسلامه بمثلِ حديثِ أبي سعيد .
وقد روى ابنُ وهبٍ مثلَ هذا أنه جرى^(١٠) لأبي سفيان بن حرب ، وصفوان

(١) قدرا : منزلة .

(٢) الإشراف : النظر من مكان عال .

(٣) ينظرون قتالهم : ينظرون إليهم وهم صفوف واقفون في القتال كصفوف الملائكة .

(٤) الشعب : منفرج بين جبلين ؛ يعنى أنه قريب منك لا عذر لك في التخلف عنه . يريد :

فتخلفك منه هذا أعجب من نطقى الذى تعجبت منه .

(٥) بوفرها : بتامها وكاملها ، لم ينقص منها شيء .

(٦) هذا الحديث رواه للبيهقى والبخارى في تاريخه .

(٧) وأنه ؛ أى أهبان بن أوس . (٨) وأنه ؛ أى سلمة .

(٩) ليس فى ب . (١٠) جرى : وقع واتفق .

ابن أمية ، مع ذئبٍ وجدها أخذ ظمياً ، فدخل الظبي الحرم ؛ فانصرف الذئب ؛
فَعَجِبَا من ذلك ، فقال الذئب : أعجبٌ من ذلك محمدُ بنُ عبد الله بالمدينة يدعوكم
إلى الجنة وتدعونهُ إلى النار (١) .

فقال أبو سفيان : واللّاتِ والعُزى ، لئن ذكرتَ (٢) هذا بمكة لتركناها خلوفاً (٣) .
وقد روى مثلُ هذا الخبرِ ، وأنه جرى لأبي جهل وأصحابه .

وعن عباس بن مرداسٍ لَمَّا تعجّب من كلام ضمار صنمه (٤) ، وإنشاده (٥)

الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا طائرٌ سقط ، فقال : يا عباس ؛
أتعجبُ من كلام ضمار ، ولا تعجب من نفسك ؟ إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم
يَدْعُو إلى الإسلام وأنتَ جالسٌ ؛ فكان سببَ إسلامه (٦) .

(١) يدعونه إلى النار بقولهم له : لم لا توافقنا وتعبد آلهتنا بما هو سبب للخلود في النار .

(٢) لئن ذكرت : أبو سفيان يخاطب صفوان بن أمية .

(٣) خلوفاً : المراد تركها خالية من أهلها بأن يسلموا جميعاً ، ويرتحلوا إلى النبي بالمدينة ،

لأن من سمع مثل هذا لا يتردد في صحة رسالته . أو المراد : يدعها وأهلها متغيرة فاسدة لما

يقع بين أهلها من الفساد والفتن باختلاف الكلمة وفي شرح القاري (١-٦٣٥) : خلوفاً : بلا راع

ولا حام ؛ وكذلك في النهاية . وفي هامش ب : الحى الخلوف : الذي رحل رجاله وبقي نساؤه .

(٤) الصنم : اسمه ضمار . وكان هذا الصنم يعبده مرداس ورهطه . وفي ب : ضمار -

بالدال المهملة . وفي تاج العروس - ضمير : وضمار : صنم عبده العباس بن مرداس السلمي

ورهطه . وفي التبصير (٨٥٧) : وضمار : اسم صنم عباس بن مرداس .

(٥) في نسيم الرياض (٣-٨٥) : هذا الشعر هو :

أودى ضمار وكان يعبد مرة قبل البيان من النبي محمد

وهو الذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتد

قل للقبائل من سليم كلها أودى ضمار وعاش أهل المسجد

وهذا الشعر أيضاً في شرح القاري (١-٦٣٥) . وفيه : كان يعبد مدة .

(٦) قال القاري (١-٦٣٥) : وهذا الحديث كما في الطبراني الكبير بسند لا بأس

به قريب مما هنا .

وعن جابر^(١) بن عبد الله رضي الله عنهما ، عن رجل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر ، وكان في غم يرعاها لهم^(٢) ؛ فقال : يا رسول الله ، كيف بالغم^(٣) ؟ قال : احصب وجوهها^(٤) ؛ فإن الله سيؤدي عنك أمانتك ، ويردّها إلى أهلها .

ف فعل ، فسارت كل شاة حتى دخلت إلى أهلها .

وعن أنس^(٥) رضي الله عنه : دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائط^(٦) أنصاري وأبو بكر وعمر ورجل من الأنصار رضي الله عنهم ، وفي الحائط غم فسجدت له . فقال أبو بكر : نحن أحق بالسجود لك منها . . . الحديث .

وعن أبي هريرة^(٧) رضي الله عنه : دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا ، فجاء بعير فسجد له ، وذكر مثله .

ومثله في الجملة^(٨) - عن ثعلبة بن مالك ، وجابر بن عبد الله^(٩) - وبعلي ابن مرّة^(١٠) ، وعبد الله بن جعفر^(١١) ؛ قال : وكان لا يدخل أحد الحائط إلا شدة

-
- (١) في حديث رواه البيهقي . (٢) لهم : لأهل خيبر .
(٣) كيف بالغم : كيف أفعل بالغم إذا أسلمت ، وهي ملك لغيري ، وأنا أجير .
(٤) احصب وجوهها : ارمها في وجوهها بالحصباء ؛ وهي صغار الحجارة ودقائقها .
(٥) في حديث صحيح مسند ، رواه أحمد ، والبخاري .
(٦) حائط : المراد به بستان .
(٧) في نسيم الرياض (٣ - ٨٧) : هذا الحديث رواه البخاري بسند حسن . وكذلك قال القاري (١ - ٦٣٦) .
(٨) رواه أبو نعيم .
(٩) رواه أحمد ، والدارمي ، والبخاري ، والبيهقي .
(١٠) رواه أحمد ، والحاكم ، والبيهقي .
(١١) رواه مسلم ، وأبو داود - الحديث في مسند الطيالسي : ٢ - ١٣٤

عليه الجَمَل^(١)؛ فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دَعَاَهُ، فوضع مِشْفَرَهُ^(٢)،
على الأرض، وبرك بين يديه، فخطمه^(٣)، وقال: ما بين السماء والأرض شيء
إلا يعلم أنى رسول الله إلا^(٤) عاصي الجن والإنس^(٥).

ومثله^(٦) عن عبد الله بن أبي أوفى.

وفي خبر آخر في حديث الجمَل أن النبي صلى الله عليه وسلم سأهم عن شأنه،
فأخبروه أنهم أرادوا ذبحه.

وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: إنه شككوا كثرة العمل، وقلة العلف
من صِغَرِهِ، فقالوا: نعم.

وقد روى [١١٢] في قصة العَضْبَاءِ^(٧) وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم،
وتعريفها له بنفسها، ومبادرة العُشْبِ إليها في الرِّعْيِ، وتجنب الوحوش عنها^(٨)،
وندائهم^(٩) لها: إنك لحمد، وأنها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حين ماتت.
ذكره الإسفرابني^(١٠).

(١) شد عليه الجمل: أسرع وحمل عليه. يعني أن هذا الجمل كان عقورا هائجا.

(٢) المشفر في الإبل كالشفة للإنسان.

(٣) خطمه: فوضع زمامه الذي يقاد به في رأسه وطي فيه، وقد انتقاد للنبي متذلا بعد

أن كان لا يطاق. (٤) في ١: لا يعلم.

(٥) أي إلا من عصى الله ورسوله وكفر، فإنه ينكر معرفتي.

(٦) رواه أبو نعيم، والبيهقي.

(٧) العضباء: اسم ناقة النبي صلى الله عليه وسلم. ومعناها المشقوقة الأذن.

(٨) أي عدم أذيتها وأكلها لها.

(٩) عليها علامة الصحة في ١، وفي هامشه: وقولهم.

(١٠) في شرح القاري (١-٦٣٧): قال الدلبجى: وأما قصة العضباء فلم أدر من رواها،

ولا حديث حمام مكة.

وروى ابن وهب^(١)، أن حمام مكة أظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها، فدعا لها بالبزكة .

وروى عن أنس^(٢)، وزيد بن أرقم، والمغيرة بن شعبة - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ليلة الغار أمر الله شجرة^(٣)، فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسوته، وأمر حمامتين فوقفتا بقم الغار .

وفي حديث آخر^(٤) : وأن العنكبوت نسجت على بابه ؛ فلما أتى الطالبون له ، ورأوا ذلك قالوا : لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتان بيابه ، والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم ؛ فانصرفوا .

وعن عبد الله بن قرظ^(٥) : قُرِبَ إلى رسول^(٦) الله صلى الله عليه وسلم بدَنَات^(٧) خمس أو ست أو سبع ، لينحَرَها يوم عيد ، فازدَلَفن^(٨) إليه بأيمن يبدَأ .
وعن أم سلمة^(٩) : كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء ، فنادتَه ظَبْيَةٌ ،

(١) في نسيم الرياض (٣-٨٩) : وهذا الحديث لم يخرجوه .

(٢) رواه عنه ابن سعد ، والبزار ، والطبراني ، والبيهقي ، وأبو نعيم .

(٣) الغار هو غار ثور الذي اختفى فيه النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر .

(٤) رواه ابن سعد ، والبزار ، والطبراني ، والبيهقي ، وأبو نعيم .

(٥) هذا الحديث رواه الحاكم ، والطبراني ، وأبو نعيم مسندا .

(٦) في ١ : إلى النبي

(٧) بدَنَات : جمع بدنة ؛ وهي ما يعد للنحر من الإبل خاصة . وقال ابن الأثير : إنها

من الإبل والبقر ؛ وسميت بدنة لعظم بدنها .

(٨) ازدَلَفن إليه : تقدمت كل واحدة منهن إليه رغبة في أن يذبحها ، انقيادا له بإلهام

من الله .

(٩) في حديث رواه الطبراني ، والبيهقي ، وصححه ابن حجر . وقال ابن كثير : إنه لا

أصل له ، لأن في سنده مجاهيل .

يا رسول الله . قال : ما حاجتك ؟ قالت : صادني هذا الأعرابي ، ولى خشفان^(١) في ذلك الجبل ، فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع .

قال : وتفعلين ؟ قالت : نعم . فأطلقها ، فذهبت ورجعت ، فأوثقها^(٢) ، فانتبه الأعرابي وقال : يا رسول الله ؛ ألك حاجة ؟ قال : تطلق هذه الظبية . فأطلقها فخرجت تعدو^(٣) في الصحراء ، وتقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله . ومن هذا الباب^(٤) ما روي^(٥) من تسخير الأسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إذ وجهه إلى معاذ باليمن ، فلقى الأسد فعرّفه أنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه كتابه ، فهمهم^(٦) وتنحى^(٧) عن الطريق ، وذكر في منصرفه مثل ذلك .

وفي رواية^(٨) أخرى عنه - أن سفينة تكسرت به ، فخرج إلى جزيرة فإذا الأسد ؛ فقلت له : أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فعمل يغمزني^(٩) بمنكبه حتى أقامني على الطريق^(١٠) .

(١) الحشف : الظبي الصغير الذي ولدته أمه .

(٢) أوثقها : ربطها كما كانت . (٣) تعدو : تجري .

(٤) من هذا الباب : من باب المعجزات بإطاعة الحيوانات .

(٥) في نسيم الرياض (٣ - ٩٢) : قال السيوطي : لم أقف على هذا الحديث هكذا . وأخرج البيهقي أنه وقع لسفينة حين ضل عن الجيش بأرض الروم ، إلا أن البخاري ذكره في تاريخه ، كما قال المصنف فلا اعتراض عليه .

(٦) المهمة : صوت لا يفهم .

(٧) تنحى عن الطريق : تأخر عنه في ناحية متباعدة عن الطريق إذهابا خوفاً .

(٨) وهذه الرواية هي التي رواها البيهقي والبزار وصححها السيوطي في تخريجه .

(٩) يغمزني : يدفعني دفعا خفيفا . وللمنكب : ما بين الكتف والعنق .

(١٠) أقامني على الطريق : دلى على الطريق .

وأخذ - عليه السلام - بأذنِ شاةٍ لقومٍ من عبد القيس بين إصبعيه ، ثم خلّاهَا^(١) فصار لها ميسما^(٢) ، وبقيَ ذلك الأثرُ فيها وفي نسلها بعدُ^(٣) .
وما روَى عن^(٤) إبراهيم بن حمادٍ بسنده من كلام الحمار الذي أصابه^(٥) بخيبر ، وقال له : اسمي يزيدُ بن شهاب .

فسماه النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم يعفوراً ، وأنه كان يوجَّهُهُ إلى دُور أصحابه ، فيضرب عليهم البابَ برأسه ، ويستدغيهم ؛ وأنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم لما مات تردى^(٦) في بئرٍ جزعاً وحزناً ، فمات .

وحديثُ الناقةِ^(٧) التي شهدت عند النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم لصاحبها أنه ما سرقها ، وأنها ملكة .

وفي العنزِ^(٨) : التي أتت رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم في عسكره ، وقد أصابهم عطشٌ ، ونزلوا على غير ماء ، وهم زهاء^(٩) ثلاثمائة ، فحلبها رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، فأروى الجندَ ، ثم قال لرافع : أملكها وما أراك^(١٠) . فربطها فوجدتها قد انطلقت .

(١) خلّاهَا : نحى إصبعه عنها وتركها .

(٢) ميسما : علامة ؛ أي صار أثر إصبعيه لها علامة .

(٣) قال في نسيم الرياض (٣ - ٩٣) : وهذا الحديث لا يعلم من رواه من المحدثين .

(٤) هذا الحديث رواه ابن حبان ، لكنهم قالوا : إنه ضعيف : وقال ابن الجوزي : إنه

كذب موضوع . (٥) أصابه بخيبر : وجدته بها لما فتحها . أو أصابه : كلن في سهمه .

(٦) تردى : ألقى نفسه وطرحها في بئر .

(٧) رواه الطبراني عن زيد بن ثابت بسند فيه مجاهيل ، والحاكم عن ابن عمر . وقال

الذهبي : إنه موضوع .

(٨) أخرجه ابن سعد ، والبيهقي ، وابن عدي ، عن سعد مولى أبي بكر رضي اللهُ عنه .

(٩) وهم زهاء : أي قريب عددٍ من ذلك .

(١٠) أملكها : أخذها واتخذها ملكاً ، لأنها لا صاحب لها ، إذ وجدت بأرض العدو .

ويحتمل أن يكون معناه : شدها وأوثقها ، واربطها . وما أراك : ما أظنك تملكها وتحفظها .

راوه ابن قانع وغيره^(١) ؛ وفيه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الذي جاء بها هو الذي ذهب بها^(٢) [١١٣] .

وقال لفرسه - عليه السلام - وقد قام إلى الصلاة في بعض أسفاره : لا تبرح^(٣) ،
بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا ، وجعله قبلته ، فما حرك^(٤) عضواً حتى صلى
صلى الله عليه وسلم .

[ويلتحق بهذا ما راوه الواقدي - أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسوله
إلى الملوك ، فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد ، فأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان
القوم الذين بعثه إليهم]^(٥) .

والحديث في هذا الباب كثير ، وقد جئنا منه بالمشهور ، وما وقع في كتب الأئمة .

فصل

في إحياء الموتي وكلامهم ، وكلام الصبيان والمرضع^(٦)

وشهادتهم له بالنبوة صلى الله عليه وسلم

حدثنا أبو الوليد هشام^(٧) بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه ، والقاضي أبو الوليد محمد
ابن رشد ، والقاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي ، وغير واحد سمعوا وإذناً ؛

(١) رواه أيضاً البيهقي ، وابن عدى ، عن جماعة من الصحابة .

(٢) يعني الله ، أو الملك .

(٣) لا تبرح : لا تزل من مكانك الذي أوقفتك فيه ، ولا تفارقه .

(٤) قبلته : جعله في جهة قبلته ساترا وما نعل من يمين يديه .

(٥) في هامش ١ ، ب : من الأم ، من غير الرواية .

(٦) الصبيان : الذين في المهد ، الذين لم يصلوا إلى سن يتكلم فيه مثلهم . والمرضع :

جمع مرضع اسم مفعول ؛ وهو الولد الصغير . وقال القاري (١ - ٦٦٢) : جمع راضع ،

على خلاف للقياس .

(٧) هذا الحديث أورده أبو داود مسنداً عن أبي هريرة .

قالوا : حدثنا أبو علي الحافظ ، [قال : (١) حدثنا أبو عمر (٢) الحافظ ، حدثنا أبو يزيد عبد الرحمن بن يحيى ، حدثنا أحمد بن سعيد ، حدثنا ابن الأعرابي . . . حدثنا أبو داود (٣) ، حدثنا وهب بن بَقِيَّة ، عن خالد - هو الطَّحَّان ، عن محمد ابن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه - أن يهوديةً أهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخَيْرِ شاةٍ مَصْلِيَّةٍ (٤) سَمَّتْهَا ، فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، وأكل القَوْمُ ، فقال : ارفعوا أيديكم ، فإنما أخبرتني أنها مسمومة .

فمات بشر بن البراء .

وقال لليهودية : ما حملك على ما صنعتِ ؟ قالت : إن كنت نبياً لم يضرك الذي صنعتُ ، وإن كنت ملكاً أرحتُ الناس منك .

قال : فأمر بها فقتلت .

وقد روى هذا الحديث أنس ، وفيه : قالت : أردتُ قتلك . فقال : ما كان الله لِيُسَلِّطَكَ (٥) على ذلك . فقالوا : نقتلها ؟ قال : لا .

وكذلك روى عن أبي هريرة - من رواية غير وهب ، قال : فما عرض (٦) لها . ورواه أيضا (٧) جابر بن عبد الله ، وفيه : أخبرتني هذه الذَّرَاعُ - قال : ولم يعاقبها .

(١) من ب . (٢) هو ابن عبد البر .
 (٣) الإمام صاحب السنن . وحديث الشاة المسمومة في سنن أبي داود : ٢ - ١٥٩ ، وصحيح البخاري : ٣ - ٢٠٢ ، وصحيح مسلم : ١٧٢١ ، وطبقات ابن سعد : ١ - ١١٣ .
 (٤) مصلية : مشوية . ستمها : وضعت فيها السم . وفي النهاية : شاة مصلية بفتح الميم : مشوية ، يقال : صليت اللحم - بالتخفيف ؛ أي شويته ، فهو مصلى . وهذا الضبط في ب . وفي الضبط الميم بالضممة .

(٥) ليسلطك : يقدرك ويمكنك . (٦) فما عرض لها : أي إنه تركها .

(٧) كما في سنن أبي داود ، والبيهقي .

[وفي رواية الحسن أَنَّ فَخِذَهَا تَكَلَّمَنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ .
وفي رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن قالت : إني مسمومة] ^(١) .
وكذلك ذكر الخبَر ابنُ إسحاق ، وقال فيه : فتجاوز ^(٢) عنها .
وفي الحديث الآخر ^(٣) ، عن أنس ، قال : فإزلتُ أعرِفُهَا لِي لَهَوَاتٍ ^(٤) رسول
اللهِ صلى الله عليه وسلم .
وفي حديث أبي هريرة ^(٥) - أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال - في وجعِهِ
الذي مات فيه : ما زالتُ أَكَلَّةً ^(٦) خَيْرٌ تُعَادُنِي ^(٧) ؛ فَالآنُ أَوَانُ قَطَعْتُ أَبْهَرِي ^(٨) .
وحكى ابن إسحاق : إن كان المسلمون ليرَوْنَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم
مات شهيدا ^(٩) مع ما أكرمهُ اللهُ به من النبوة .
وقال ابنُ سَعْنُون : أجمعُ أهلُ الحديثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم
قتلَ اليهوديةَ التي سَمَّتُهَا .

-
- (١) في هامش ١ ، ب : من أصله بخطه من غير الرواية .
(٢) في سيرته . وتجاوز عنها : عفا عنها ولم يقتلها في أول الأمر . ثم لما مات بشر بن البراء
قتلها به . وفي شروح البخاري اختلاف في هذا .
(٣) رواه الشيخان .
(٤) لهوات : جمع لهاة ، وهي لحمة في أقصى سقف الفم تنطبق على آخر اللسان ، وأول
الحلق . وكأنه يريد بها الفم ؛ أي كان لها أثر ظاهر في فمه . وقيل المراد بها أنها أثرت في صوته
تأثيرا قليلا يظهر لمن تأمله . والحديث في البخاري كما تقدم .
(٥) رواه عنه ابن سعد بسند صحيح . (٦) أكلة : ما يؤكل .
(٧) تعادني : تعود إلى مرة بعد مرة في أوقات معلومة . أو تعادني .
(٨) الأهر : عرق كبير متصل بالقلب . وفي هامش ب : الأهر : العرق الذي في وسط
الظهر إذا انقطع لا يتصور معه حياة . وفي شرح القاري (١ - ٦٤٤) : الأهر : عرق
يكتنف الصلب والقلب إذا قطع لم تبق معه حياة .
(٩) مات شهيدا : أي بسم الشاة .

وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن أبي هريرة، وأنس، وجابر .
 [وفي رواية ابن عباس ^(١) رضى الله عنهما - أنه دفعها لأولياء بشر بن البراء
 فقتلواها .

وكذلك قد اختلف في قتله للذى سحره ^(٢) ؛ قال الواقدي : وعفوه عنه أثبت
 عندنا .

وروى عنه أنه قتله ^(٣) .

وروى الحديث ^(٤) البزار ، عن أبي سعيد ، فذكر مثله ، إلا أنه قال في آخره :
 فبسط يده وقال : كلوا بسم الله ، فأكلنا ، وذكر اسم الله ؛ فلم تضر منا أحدا ^(٥) .
 قال القاضي أبو الفضل ^(٦) : وقد خرج حديث الشاة المسمومة أهل الصحيح ،
 وخرجه الأئمة ، وهو حديث مشهور ^(٧) .

واختلف أئمة النظر في هذا الباب ؛ فمن قائل يقول : هو كلامٌ يخلقه الله تعالى
 في الشاة [١١٤] الميئة ^(٨) ، والحجر ، أو الشجر ، وحروف وأصوات يُحدثها الله
 فيها ، ويُسمعها منها دون تغيير أشكالها ، ونقلها عن هيئتها .

(١) رواها ابن سعد .

(٢) الذى سحره يهودى من بنى زريق يقال له لبيد بن الأعصم .

(٣) فى هامش ١ : من الام ، من غير الرواية .

(٤) أى حديث الشاة المسمومة السابق .

(٥) فى نسيم الرياض (٣ - ١٠٣) : قال السيوطى ؛ نقلا عن الشيخ ابن حجر : إن
 هذا الحديث منكر . وقال القارى (١ - ٦٤٥) : ولعل وجه الإنكار عموم نفي الإضرار ،
 مع أنه ثبت فى الصحيح موت البراء منه ، كما سبق به التصريح ؛ وكذلك تقدم أنه - صلى الله
 عليه وسلم تضرر منها حتى إنها كانت لتعاوده .

(٦) هو مصنف الكتاب . (٧) تقدم تخريجه .

(٨) فى ١ : فى الشاة والميئة . والمثبت فى ب .

وهو مذهبُ الشيخ أبي الحسن^(١)، والقاضي أبي بكر^(٢) رَحِمَهُمَا اللهُ .

وآخرون ذهبوا إلى إيجاد الحياة بها، ثم الكلام بعده .

وحكي هذا أيضا عن شيخنا أبي الحسن^(١)؛ وكلُّ محتَمَل، والله أعلم؛

إذ لم يجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والأصوات؛ إذ لا يستحيل وجودها مع

عدم الحياة بمجردِها . فأما إذا كانت عبارة عن الكلام النفسى فلا بُدَّ من شرط

الحياة لها؛ إذ لا يوجد كلامُ النفس إلا من حَيٍّ، خلافا للجَبَّائى^(٣) من بين سائر

متكلمى الفرق في إحالة^(٤) وجود الكلام اللفظى والحروف والأصوات إلا من

حَيٍّ مركَّب على تركيبٍ من يَصِحُّ منه النطق بالحروف والأصوات .

والتزم ذلك في الحصى، والجذع، والذراع؛ وقال: إنَّ الله خالق فيها حياةً،

وخرق لها فمًّا - ولسانا، وآلةً أمكنها بها من الكلام .

وهذا لو كان لكان نقله^(٥) والتهمم^(٦) به آكد من التهمم بنقل تسميته

أو حنينه، ولم ينقل أحدٌ من أهل السير والرواية شيئا من ذلك؛ فدلَّ على سقوط

دَعْوَاهُ، مع أنه لا ضرورةَ إليه في النظر؛ والموفق اللهُ .

وروى وكيعٌ - رَفَعَهُ عن فَهْدٍ^(٧) بن عطية - أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتى

بصبيٍّ قد شبَّ^(٨) لم يتكلم قطُّ؛ فقال: مَنْ أَنَا؟ فقال: رسولُ اللهِ .

(١) هو الأشعري . (٢) هو الباقلاني . (٣) شيخ المعتزلة توفى سنة ثلاث وثلاثمائة .

(٤) إحالة: عده محالا عقلا وعادة . (٥) لكان نقله: لوجد نقله وسمع .

(٦) التهمم به: الاهتمام والاعتناء به .

(٧) هذا في ١، ب . وفي هامش ب: فهر . وقال القارى (١ - ٦٤٧) : فهد - بالدال

في آخره، وفي نسخة بالراء، وكلاهما لا يعرف، غلى ما ذكره الدجى . وفي اللواهب: عن مهد -

بالميم والدال، ولعله تصحيف؛ وإنما روى البيهقى عن سمر بن عطية - بكسر السين المهمة

وسكون الميم، في آخره راء، عن بعض أشياخه .

(٨) شب: كبر، وصار شابا .

وروى عن معرّض^(١) بن معيقب : رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم عَجَبًا ؛
جِيُّ بَصْبِيَّ يَوْمَ وُلِدَ . . . فذكر مثله .

وهو حديث مُبَارَكُ الْيَمَامَةِ ، ويُعرف بحديث شاصونة : اسم رَاوِيهِ ، وفيه :
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : صدقت ، بَارَكَ اللهُ فِيكَ^(٢) .

ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب ، فكان يسمى مُبَارَكُ الْيَمَامَةِ .
وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع .

وعن الحسن : أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر أنه طرح^(٣) بُنْيَةَ له
في وادي كذا ، فانطلق معه إلى الوادي ، وناداه باسمها : يافلانة ، أَجِيبِي بِإِذْنِ اللهِ ؛
فخرجت وهي تقول : كَبِيكُ وَسَعْدَيْكَ^(٤) ! فقال لها : إِنَّ أَبَوَيْكَ قَدْ أَسْلَمَا ؛ فَإِنْ
أَحْبَبْتَ أَنْ أُرَدِّكَ عَلَيْهِمَا ؟ قالت : لا حاجة لي فيهما ؛ وَجَدْتُ اللهُ خَيْرًا مِنْهُمَا^(٥) .

وعن أنس^(٦) أن شابًا من الأنصار توفى ولا أمٌ يُعْجِزُ عَمِيَاءَ ، فسَجَّينَاهُ^(٧) ،

(١) في ب : ضبطت الراء المشددة بالفتحة والكسرة ، وكتب عليها « معا » . وقال
القاري (١ - ٦٤٧) : وروى معرّض - بكسر أوله ، كأنه آله .

(٢) في نسيم الرياض (٣ - ١٠٦) : قال السيوطي : قد وقعت روايته من طرق ؛ فهو
حديث حسن . وقد وقع في حجة الوداع ، وكانت سنة ست عشرة من الهجرة ، مع كثرة
الناس ؛ فكان حقه أن يشتهر .

(٣) طرح بنية له : رماها فماتت . وقيل : إنه وأدها على عادة الجاهلية .

(٤) كبيك وسعديك : إجابة لك بعد إجابة ، وإسعادًا لك بعد إسعاد . ومعناه سرعة

الإجابة والانتقياد .

(٥) قال في شرح القاري (١ - ٦٤٩) : والحديث عن الحسن لم يعلم من رواه .

(٦) في حديث رواه البيهقي ، وابن عدي ، مسندًا ورواه أيضا ابن أبي الدنيا ، وأبو نعيم .

(٧) سججناه : غطيناه .

وعزّ بناها، فقالت : مات ابني ؟ قلنا : نعم . قالت : اللهم إن كنت تعلم أني هاجرتُ
إليك وإلى نبيك رجاء أن تُعيّني على كل شدةٍ فلا تُحمِلنَّ عليّ هذه المصيبة .
فما برحنا أن كشفَ الثوبَ عن وجهه ، فطعمَ وطعمنا (١) .

وروى (٢) عن عبد الله بن عبيد الله الأنصاري : كنتُ فيمن دفن ثابت بن قيس
ابن شماس ، وكان قتل باليمامة (٣) ؛ فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول : محمد رسول
الله ، أبو بكر الصديق ، عمر الشهيد ، عثمان البر (٤) الرحيم ؛ فنظرنا فإذا هو ميت .
وذكر (٥) عن النعمان بن بشير أن زيد بن خارجة خرّ ميتاً (٦) في بعض أزقة
المدينة (٧) ؛ فرُفِعَ وسجى (٨) إذ سمعوه بين العشاءين (٩) والنساء يصرُخن حوله يقول :
أُنصتوا ، أنصتوا ؛ فحسر عن (١٠) وجهه ؛ فقال : محمد [١١٥] رسول الله ، النبي
الأمي ، وخاتم النبيين ؛ كان ذلك في الكتاب الأول ؛ ثم قال : صدق ، صدق (١١) ؛
وذكر أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ؛ ثم قال : السلام عليك يا رسول الله ، ورحمة الله
وبركاته ؛ ثم عاد ميتا كما كان (١٢) .

(١) قال في شرح القاري (١ - ٦٤٩) : هذا ليس فيه صريح دلالة على إحيائه بعد
إماتة ، لاحتمال إنغمائه ، لكن زال النعم بدعاء الأم .

(٢) الراوي له هو البيهقي .

(٣) كانت وقعة اليمامة سنة ١٢ في خلافة الصديق أبي بكر .

(٤) البار لقومه عامة . وفي ١ : وعثمان

(٥) وهذا مما رواه الطبراني ، وأبو نعيم ، وابن منده ؛ ورواه ابن أبي الدنيا عن أنس أيضا .

(٦) خر ميتا : سقط ميتا .

(٧) أزقة : جمع زقاق ؛ وهو الطريق . (٨) سجى : غطى .

(٩) العشاءين : المغرب والعشاء . (١٠) حسر عن وجهه : كشف غطاءه .

(١١) هذا الضبط في ١ .

(١٢) ذكر صاحب الاستيعاب (٥٤٧) أن زيد بن خارجة بن زيد هو الذي تكلم بعد

الموت ، لا يختلفون في ذلك . وقال في أسد الغابة (٢ - ٢٣٧) : وهو الذي تكلم بعد الموت

في أكثر الروايات . وهو الصحيح .

فصل

في إبراء المَرَضَى وذَوَى العَاهَات (١)

أخبرنا أبو الحسن علي بن مُشَرَّف فيما أجازنيه وقرأته على غيره ؛ قال : حدثنا أبو إسحاق الحَبَّال ، [قال] (٢) : حدثنا أبو محمد بن النجاس ، حدثنا ابن الورْد ، عن البرقي ، عن ابن هشام ، عن زيادِ البَكَّائي ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنا ابن شهاب ، وعاصمُ بنُ عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقضية أحد (٣) بطولها ؛ قال : وقالوا (٤) : قال سعد بن أبي وقاص : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم آيئناواني السهم لا نصل (٥) له ، فيقول : ازم به ؛ وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت (٦) ، وأصيب يومئذ عين قتادة - يعني ابن النعمان - حتى وقعت على وجنته (٧) ، فردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فكانت أحسن عينيه .

وروى قصة قتادة عاصم بنُ عمر بن قتادة ، ويزيد بن عياض بن (٨) عمر ابن قتادة .

ورواها أبو سعيد الخدري (٩) عن قتادة .

(١) إبراء المَرَضَى : زوال مرضهم ، وحصول الشفاء لهم . والعاهات : جمع عاهة ، وهي الآفة . (٢) من ا (٣) يريد غزوة أحد .

(٤) في ب : قالوا . وهذا الخبر في سيرة ابن هشام : ٣ - ٣٠ .

(٥) النصل : حديدة في طرف السهم والرمح .

(٦) عن قوسه : بقوسه . اندقت : انكسرت .

(٧) الوجنة : أعلى الخد ، وما يلي العين من الوجه ، ويطلق على الخد كله .

(٨) هذا في ا ، ب . وقال القاري (١ - ٦٥٢) : لم يعرف في رواية الحديث ، بل ولا

في حملة العلم أحد يقال له يزيد بن عياض بن عمر بن قتادة . وقال الحلبي : الصواب يزيد ابن عياض ، عن ابن عمر بن قتادة .

(٩) روى ذلك البيهقي ؛ وهي في الاستيعاب : ١٢٧٦ ، والإصابة : ٥ - ٤١٧

وَبَصَقَ^(١) عَلَى أَثَرِ سَهْمٍ فِي وَجْهِ أَبِي قَتَادَةَ فِي يَوْمِ ذِي قَرْدٍ^(٢)؛ قَالَ : فَمَا ضَرَبَ
عَلَى وَلَا قَاحَ^(٣) .

وَرَوَى النَّسَائِيُّ^(٤) ، عَنْ عُمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ - أَنَّ أَعْمَى قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ ادْعُ
اللَّهَ أَنْ يَكْشِفَ لِي عَنْ بَصْرِي .

قَالَ : فَاذْطَلِقْ فِتْرًا وَضًا : ثُمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ ؛ ثُمَّ قُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ
إِلَيْكَ بِنَبِيِّ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ؛ يَا مُحَمَّدُ ؛ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ أَنْ يَكْشِفَ عَنِّي
بَصْرِي ، اللَّهُمَّ شَفِّعْنِي فِي^(٥) .

قَالَ : فَرَجَعَ وَقَدْ كَشَفَ اللَّهُ عَنْ بَصْرِهِ .

وَرَوَى^(٦) أَنَّ ابْنَ مَلَّاحِ الْأَسْنَةِ أَصَابَهُ اسْتِسْقَاءٌ^(٧) ، فَبَعَثَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٨) ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ حَثْوَةً^(٩) مِنَ الْأَرْضِ ، فَتَقَلَّ عَلَيْهَا ؛ ثُمَّ أَعْطَاهَا رَسُولَهُ ،

(١) على أثر سهم : أي جعل ريقه على جراحة في وجه أبي قتادة .

(٢) ذي قرد : اسم ماء بينه وبين المدينة مسافة يوم وليلتين من جهة خيبر .

(٣) ما ضرب على : ما آلمني ، ولا أوجعني . ولا قاح : ماسال منه قبيح ومدة . والقبيح :

الصديد ، وهو شيء كالماء أصفر يخالطه قليل دم .

قال في نسيم الرياض (٣ - ١١٣) : وهو حديث حسن صحيح ، رواه الترمذي والبيهقي .

(٤) الترمذي ، والحاكم ، والبيهقي ، وصححه .

(٥) اللهم شفِّعني في : أي اقبل شفاعته في .

(٦) الراوي هو الواقدي ، وأبو نعيم عن عروة . وملاحب الأسنه : هو عامر بن مالك .

والخبر في الواقدي : ١ - ٣٥٠ .

(٧) في نسيم الرياض (٣ - ١١٥) : هو اسم مرض ، وهو أن يقع الماء الأصفر في بطنه .

(٨) أي أرسل إليه من يلتمس له الدعاء ليشفيه الله ببركته .

(٩) حثوة : ملء يده أو يديه من التراب . وقد ضبطت بالضم في ١ ، وفي ب ضبطت

بالضمة والفتحة ، وعابها « معا » . وفي الواقدي : حبوبة .

فأخذها متمجّبا؛ يرى أن قد هزى به؛ فأتاه بها، وهو على شفاً^(١)، فشرّبها، فشفاه الله.

وذكر العقيلي^(٢)، عن حبيب بن فدّيك؛ ويقال فرّيك^(٣) - أن أباه ابيضت عيناه؛ فكان لا يبصر بهما شيئا، فنفت^(٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه، فأبصر، فرأيتُه يدخل الخيط في الإبرة؛ وهو ابن ثمانين.

ورمى كلثوم بن الحصين يوم أحد في نحره^(٥)؛ فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه، فبرأ^(٦).

وتفل^(٧) على شجرة^(٨) عبد الله بن أنيس فلم تمده^(٩).

وتفل في عيني علي^(١٠) يوم خيبر، وكان رمداً، فأصبح بارثا.

ونفت علي^(١١) ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبرثت؛ وفي رجل زيد بن معاذ حين أصابها السيف إلى الكعب، حين قتل ابن الأشرف، فبرثت. وعلى ساق علي^(١٢) بن الحكم يوم الخندق إذ انكسرت، فبرى مكانه، وما نزل عن فرسه.

(١) وهو على شفا: أى قريب من الموت.

(٢) أخرج هذا الحديث البيهقي، والطبراني، وابن أبي شيبة، في مسنده.

(٣) في ب: فويك.

(٤) نفت: تفل ريقه. وفي هامش أ: نفت بالفم: شبيه بالنفخ، وأما التفل فلا يكون

إلا ومعه شيء من الريق.

(٥) في نحره: في مقدم عنقه.

(٦) في شرح القارى (١ - ٦٥٤): قال الدلجى: لا أدرى من رواه.

(٧) رواه الطبراني.

(٨) الشجرة: جراحة ضربة في الوجه أو الرأس.

(٩) لم تمده: أى لم يكن فيها مدة وقیح.

(١٠) في حديث رواه الشيخان: صحيح مسلم: ١٤٤١، وصحيح البخارى: ٥ - ١٧١

(١١) في صحيح البخارى: ٥ - ١٧٠، ومسند الطيالسى: ٢ - ١٢٤

(١٢) هذا الحديث أخرجه البغوى في معجمه، كما قال السيوطى (نسيم الرياض: ٣ - ١١٨).

واشتكى علي^(١) بن أبي طالب ، فجعل يدعو ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
اشفه ، أو عافه ؛ ثم ضرب برجله ، فما اشتكى ذلك الوجع بعد .

وقطع أبو جهل يوم بدر يد معاوية بن عفراء [١١٦] ، فجاء يحمل يده ، فبصق
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وألصقها فلصقت . رواه ابن وهب .

ومن روايته^(٢) أيضا أن خبيب بن يساف أصيب يوم بدر مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه^(٣) حتى مال شقه ؛ فردّه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ونفت عليه حتى صح .

وأنته^(٤) امرأة من خثعم ، معها صبي به بلاء لا يتكلم ؛ فأتى بماء فمضمض
فاه ، وغسل يديه ، ثم أعطاها^(٥) إياه ، وأمرها بسقيه ومسّه به ، فبرأ الغلام ، وعقل
عقلا ينزل عقول الناس .

وعن^(٦) ابن عباس : جاءت امرأة بابن لها به جنون ؛ فمسح صدره ، فثع^(٧)
ثعة نخرج من جوفه مثل الجرو^(٨) الأسود ؛ فشفي^(٩) .
وانكفات^(١٠) القدر علي ذراع محمد بن حاطب وهو طفل ، فمسح عليه ودعا له ،
وتفل فيه فبرأ لحينه^(١١) .

(١) رواه البيهقي في الدلائل .

(٢) أي رواية ابن وهب التي رواها ابن إسحاق ، والبيهقي عنه ، كما نقله السيوطي .

(٣) عاتقة : كتفه . (٤) رواه ابن أبي شيبة .

(٥) أي أعطى المرأة ذلك الماء الذي رده في إنائه بعد المضمضة وغسل اليدين منه .

(٦) وهذا الحديث رواه أحمد في مسنده بسند متصل بابن عباس (السند : ١ - ٢٥٤) .

وكذلك رواه البيهقي ، وابن أبي شيبة . (٧) ثعثة : أي قاء مرة واحدة . وقيل ثع : سعل .

قال في نسيم الرياض (٣ - ١٢١) : وروى هذا الحديث من طرق متعددة .

(٨) الجرو : ولد الكلب والسبع . (٩) في ١ : فسمى .

(١٠) في حديث رواه البيهقي ، والنسائي ، والطيالسي ، مسندا مصححا فيه .

(١١) لحينه : من غير بطاء .

وكانت في كفة شُرْحَيْبِيل الجعفي سلعة^(١) تمنه القبض على السيف وعنان الدابة^(٢)؛ فشكاهما للنبي صلى الله وسلم، فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها^(٣)، ولم يبق لها أثر.

وسأله^(٤) جارية طعاماً، وهو يأكل، فناولها من بين يديه^(٥)، وكانت قليلة الحياء؛ فقالت: إنما أريد من الذي في فيك؛ فناولها ما في فيه؛ ولم يكن يسأل شيئاً فيمنعه.

فلما استقرت في جوفها ألقى عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها.

فصل

في إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم

وهذا باب واسع جداً؛ وإجابة دعوة^(٦) النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعاهم وعليهم متواتر على الجملة، معلوم ضرورة.

وقد جاء في حديث حذيفة^(٧) رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لرجل أدركت^(٨) الدعوة ولده وولد ولده.

(١) سلعة: زيادة بين الجلد واللحم كالغدة. وتفتح سينه؛ وتحرك لامه. وفي هامش
ا: السلعة: الشجة - بفتح السين واللام.

(٢) عنان الدابة: ما تقاد به.

(٣) يطحنها: يدير كفه عليها بقوة كما تدور الرحا. حتى رفعها: حتى أزالها من كفه.

(٤) في حديث رواه الطبراني.

(٥) من بين يديه: أي من طعامه الذي كان بين يديه.

(٦) أي دعائه للناس وعليهم.

(٧) رواه أحمد بن حنبل.

(٨) أدركت: وصلت وأثرت.

حدثنا ^(١) أبو محمد العتّابي بقراءتي عليه ، حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ، حدثنا أبو الحسن القاسبي ، حدثنا أبو زيد المرّوزي ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن ^(٢) إسماعيل ، حدثنا عبدُ الله بن أبي الأسود ، حدثنا حرّمي ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أنس رضي الله عنه ؛ قال : قالت أمي : يا رسول الله ، خادمك أنس ؛ ادعُ الله له . قال : اللهم أكثر ماله وولده ، وبارك له فيما آتيتَه ^(٣) .

ومِنْ رواية ^(٤) عكرمة : قال أنس : فوالله ، إن مالي لكثير ؛ وإن ولدي وولدَ ولدي ليعادون ^(٥) اليومَ على نحو المائة .

وفي رواية ^(٦) : وما أعلمُ أحداً أصاب من رِخاء العيش ما أصبتُ ، ولقد دفنتُ بيديَّ هاتين مائةً من ولدي ، لا أقولُ سِقْطاً ^(٧) ولا ولدَ ولدٍ .

ومنه دعاؤه ^(٨) لعبد الرحمن بن عوف بالبركة ؛ قال عبد الرحمن : فلو رفعتُ حجراً لرجوتُ أن أُصيبَ تحته ذهباً ، وفتح اللهُ عليه ، ومات فحفرَ الذهبُ من تركته بالفتوس ^(٩) حتى مجّلت ^(١٠) فيه الأيدي ، وأخذت كلُّ زوجةٍ ثمانين ألفاً وكنَّ أربعاً .

(١) من حديث في الصحيحين عن أنس . صحيح مسلم : ١٩٢٨

(٢) هو البخاري .

(٣) فيما آتيتَه : فيما أعطيتَه من المال والولد . والحديث في الترمذي أيضا : ٦٨٢ - ٥

(٤) أخرجه مسلم (صحيح مسلم : ١٩٢٩) .

(٥) يعادون : يزيدون .

(٦) في نسيم الرياض (٣ - ١٢٤) : قالوا : هذه الرواية لا يعرف من رواها .

(٧) سقطا : ماسقط من بطن أمه قبل مدة تمام حمله ، وأوان ولادته .

(٨) رواه البيهقي .

(٩) كان عنده من الذهب قطع كثيرة لما أريد قسمتها كسرت .

(١٠) مجلت : المجل : تغير يكون في اليد من كثرة العمل . فيه : في الحفر ؛ أي حتى خرج

في أيديهم نقاط وجراحات من كثرة عملهم . وقد ضبطت الجيم بالفتحة والكسرة في أ .

وقيل مائة ألف . وقيل : بل صولحت إحداهن ؛ لأنه طلقها في مرضه على نيف^(١) وثمانين ألفاً ، وأوصى بخمسين ألفاً بعد صدقائه الفاشية^(٢) في حياته ، وعوارفه^(٣) العظيمة : أعتق يوماً ثلاثين عبداً ، وتصدق مرةً بغير فيها سبعمائة بغير^(٤) ، وردت عليه تحمّل من كل شيء [١١٧] ، فتصدق بها وبما عليها ، وبأقتابها وأحلاسها^(٥) . ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد ، فنال الخلافة . ولسعدي بن أبي وقاص رضي الله عنه أن يجيب الله دعوته ، فما دعا على أحدٍ إلا استجيب له . ودعا^(٦) بعز الإسلام بعمر رضي الله عنه ، أو بأبي جهل ، فاستجيب له في عمر .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : مازلنا أعزّة منذ أسلم عمر . وأصاب الناس^(٧) في بعض مغازبه عطش ، فسأله عمر الدعاء ؛ فدعا ؛ فجاءت سحابة ، فسقّاهم حاجتهم ، ثم أقلمت^(٨) . ودعا^(٩) في الاستسقاء ، فسقوا ، ثم شكروا إليه المطر ؛ فدعا ، فصحووا^(١٠) .

-
- (١) النيف : ما زاد على العقد إلى أن يبلغ ما فوقه من العقود .
(٢) الفاشية : الظاهرة المشهورة .
(٣) عوارفه : جمع عارفة ؛ وهي ما يعتاد الإنسان من الإحسان والمطايا .
(٤) العير : الجمال التي تحمل الميرة ، يعني قافلة .
(٥) الأقتاب : جمع قتب ؛ وهو إكاف صغير يوضع على سنام البعير ليقيه من الأذى والأحلاس : جمع حلس ؛ وهو كساء يوضع تحت الإكاف على ظهر البعير .
(٦) في حديث رواه الترمذي عن ابن عمر (سنن الترمذي : ٥ - ٦١٧) .
(٧) رواه البيهقي ، والحاكم ، وصححه عن عمر .
(٨) أقامت : انجلت وكفت عن المطر بعد قضاء حاجتهم من الماء الذي يزيل عطشهم .
(٩) في حديث رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه . وأحاديث الاستسقاء في صحيح مسلم : ٦١٢ - ٦١٥ ، وصحيح البخاري : ٢ - ٣٣ .
(١٠) فصحووا : أي صحت السماء وانكشف غيمها .

[وقال لأبي قتادة : أفلح وجهك ^(١) ، اللهم بارك له في شعره وبشره ^(٢) ،
فمات وهو ابن سبعين سنة ، وكان ابن خمس عشرة ^(٣) سنة ^(٤) .
وقال للنابغة ^(٥) : لا يفيض الله فاك ^(٦) ؛ فما سقطت له سن .
وفي رواية : فكان أحسن الناس نفرا ^(٧) ؛ إذا سقطت له سن نبتت له أخرى ،
وعاش عشرين ومائة سنة ؛ وقيل : أكثر من هذا .
ودعا لابن عباس ^(٨) : اللهم فقهه ^(٩) في الدين ، وعلّمه التأويل ^(١٠) . فسمى
بعد الخبر وترجمان القرآن ^(١١) .
ودعا لعبد الله ^(١٢) بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه ^(١٣) ، فما اشترى شيئا
إلا ربح فيه . ودعا ^(١٤) للمقداد بالبركة ؛ فكانت عنده غرائر المال ^(١٥) .

(١) للفلاح : الظفر وإدراك البنية .

(٢) البشر : ظاهر الجلد والبدن ، وكفى بذلك عن جملة ، وجميع بدنه ؛ فدعاه صلى
الله عليه وسلم بأن يبقى معمرا على أحسن تقويم ، كاملا جميع أعضائه .

(٣) رواه البيهقي .

(٤) في هامش ١ : من الأم بخطه ، من غير الرواية . وفي هامش ٢ : المعلم عليه من
الأم بخطه .

(٥) للنابغة الجمدي .
(٦) لا يفيض الله فاك : تقول العرب في الدعاء عليه : فض الله فاه . وفي الدعاء له :
لا يفيض الله فاه .

(٧) الثغر : ماتقدم من الأسنان ، ويطلق الثغر على الفم أيضا .

(٨) في حديث صحيح رواه الشيخان : صحيح مسلم : ١٩٢٧ ، صحيح البخاري : ٥-٣٤

(٩) فقهه في الدين : فهمه وعلمه .

(١٠) التأويل : التفسير .

(١١) الخبر - بكسر الحاء وفتحها : العالم المتقن الذي تبقى آثاره بعده .

والترجمان : من يفسر لسانا بلسان ، ويطلق الترجمان على من يبلغ الكلام .

(١٢) في حديث رواه البيهقي . (١٣) صفقة يمينه : في بيعه وشراؤه ومعاملته .

(١٤) في حديث رواه البيهقي في الدلائل ، وأبو نعيم .

(١٥) غرائر : جمع غرارة .

ودعا بمثله^(١) لعروة بن أبي الجعد ؛ فقال : فلقد كنت أقوم بالكناسة^(٢) ،
فما أُرْجِعُ حتى أُرْبِحَ أربعين ألفا .

وقال البخاري في حديثه : فكان لو اشترى التراب ربح فيه .

وروي مثل هذا لفرقة أيضا .

وندت له ناقة^(٣) ، فدعا فجاءه بها إعصار^(٤) ريح ، حتى ردها عليه .

ودعا^(٥) لأم أبي هريرة فأسلمت .

ودعا^(٦) لعلی أن یكفی الحرَّ والقرَّ^(٧) ؛ فكان یلبسُ فی الشتاء ثيابَ الصيفِ ،

وفی الصيفِ ثيابَ الشتاء ، ولا یصیبه حرٌّ ولا برْد .

ودعا^(٨) لفاطمة ابنته الله ألا یُجیعها ؛ قالت : فما جُعتُ بعد .

وسأله^(٩) الطَّمیل بن عمرو آية لقومه ؛ فقال : اللهم نور له ؛ فسطع نورٌ بین

عَینَیْهِ ؛ فقال : أخاف أن یقولوا : مُثَلَّةٌ^(١٠) ؛ فتحوَّل^(١١) إلى طرفِ سوطِه ؛ فكان

یضیء فی اللیلة المظلمة ؛ فسمیَ ذا النور .

(١) فی حدیث رواه البخاری ، والدارقطنی ، وأحمد فی مسنده .

(٢) الكناسة : القمامة ، ثم صارت علما لسوق مشهور بالكوفة . وقيل : يجوز أن يراد به حقيقته ؛ أي أقوم بمقام حقير يستبعد الكسب في مثله ، فما أعود

(٣) ندت : نفرت وشردت حتى غابت عن نظره فلا يراها . له : للنبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) الإعصار : ريح شديدة تثير غبارا يرتفع إلى السماء كأنها عمود .

قال فی نسیم الریاض : وهذا الحدیث لم یخرجوه .

(٥) فی حدیث رواه مسلم : صحیح مسلم : ١٩٣٨ ، وهو حدیث طویل .

(٦) فی حدیث رواه البيهقي ، وابن ماجه ، بسند صحیح : سنن ابن ماجه : ٤٣

(٧) القر : البرد . (٨) فی حدیث رواه البيهقي ، عن عمران بن حصين .

(٩) فی حدیث رواه ابن إسحاق بلا سند ، والبيهقي عنه ، وابن جرير من طريق الكلبي .

(١٠) المثلة : التنكيل والمعقوبة ؛ أي خشي أن يعدوه عارا لتوهم أنه برص ونحوه .

(١١) فتحوَّل ذلك النور .

ودعا^(١) على مُضَرٍ فَأُقْحِطُوا^(٢) ، حتى استعطفته قريش ، فدعا لهم فسقوا^(٣) .
ودعا^(٤) على كِسْرَى حين مزق كتابه أن يمزق الله مُدَكَه ؛ فلم تَبْق له باقية ،
ولا بَقِيَتْ لفارس رِيَاسَةٌ في أقطار الدنيا .

ودعا^(٥) على صبيّ قطع عليه الصلاة أن يقطع الله أثره ، فأقعد .
وقال^(٦) لرجل رآه يأكل بِشِمَالِه : كُلْ بِمِخْنِكَ . فقال : لا أستطيعُ . فقال :
لا استطعتُ . فلم يرفعها إلى رِيفِه^(٧) .

وقال^(٨) لُعْتَبَةَ بن أبي لُهب : اللهم سلطْ عليهِ كَلْبًا^(٩) من كلابِك ؛ فأكله الأسد .
[وقال لامرأةٍ : أأكلكِ الأسد . فأكلها]^(١٠) .

وحديثه المشهور^(١١) ، من رواية عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضى الله عنه ، في دعائه

-
- (١) في حديث صحيح رواه الشيخان والنسائي ، عن ابن عباس ، والبيهقي عن ابن مسعود .
(٢) أقحطوا : أصابهم القحط لاحتباس المطر عنهم حتى كادوا يهلكون وتهلك دوابهم .
(٣) فسقوا : سقاهم الله تعالى وأمطر أرضهم ، فزال عنهم القحط بدعائه .
(٤) في حديث رواه الشيخان عن ابن عباس . ونص الكتاب في نسيم الرياض (٣-١٣٦) .

وصحيح البخاري : ٦ - ١٠

(٥) في حديث رواه أبو داود ، والبيهقي . وقال الذهبي : أظنه موضوعا ؛ لأنه أشكل
عليه بأن الصغير غير مكلف فكيف يدعو عليه صلى الله عليه وسلم مع رأفته به ؟ وقطع عليه
صلاته : بمروره بين يديه . فأقعد : صار مقعدا لا يمكنه للشيء .

(٦) في حديث رواه مسلم عن سلمة بن الأكوع . صحيح مسلم : ١٥٩٩

(٧) لأنها شلت وبطل عمله بها .

(٨) في حديث رواه الحاكم ، والبيهقي ، وابن إسحاق من طرق صحيحة مسندة .
وكان عتبة هذا عنده ابنة للنبي صلى الله عليه وسلم فطلقها فأذاه فدعا عليه فافترسه الأسد
بالزرقاء من أرض الشام .

(٩) الأسد يسمى كلبا ؛ لأنه يشبهه في بعض أحواله .

(١٠) في هامش ١ : من الأم بخطه ، من غير الرواية .

(١١) الذي رواه مسلم ، والبخاري : صحيح البخاري : ٤ - ٥٣

على قريش حين وضَعُوا السَّلَا (١) على رقبته وهو ساجدٌ مع الفرث (٢) والدم ، وسماهم .
قال : فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر .

ودعا (٣) على الحكم بن أبي العاص ، وكان يَحْتَاجُ بوجهه ، ويفغز (٤) عند
النبي صلى الله عليه وسلم ؛ أى لا ؛ فرآه ؛ فقال : كذلك كُنْ (٥) ، فلم يزل يَحْتَاجُ
إلى أن مات .

ودعا على مُحَلِّم (٦) بن جثامة فمات لسبع ، فلفظته الأرض (٧) ؛ ثم ووري فلفظته
مرات ، فالتقوه بين صدنين (٨) ، ورضعوا (٩) عليه بالحجارة .

والصد : جانب الوادى [١١٨] .

وججده (١٠) رجلٌ بيع فرس - وهى التى شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه
وسلم ؛ فردّ الفرس بعد (١١) النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل ، وقال : اللهم إن
كان كاذبا فلا تبارك له فيها . فأصبحت شاصيةً برجلها ؛ أى رافعة .
وهذا الباب أكثر من أن يحاط به .

(١) السلا : جلد رقيق يخرج مع الولد من بطن أمه ملفوفا فيه .

(٢) الفرث : السرجين مادام فى السكرش .

(٣) فى حديث رواه البيهقى مسندا من طرق صحيحة .

(٤) يحتاج بوجهه : يحرك وجهه . ويفغز : يحرك عينيه مشيرا بهما وهو جالس .

(٥) دعا عليه بأن لا يزال وجهه يحتاج .

(٦) فى حديث رواه البيهقى ، وابن جرير .

(٧) لفظته الأرض : قذفته وطرحته وأخرجته من بطنها لعدم قبولها له .

(٨) صدنين : مثنى صد ؛ وهو ناحية الوادى ، أو الشعب ، أو الجبل .

(٩) رضعوا : الرضم : وضع الصخور بعضها فوق بعض كالبناء ، أى كوموا عليه .

(١٠) ججده رجل بيع فرس : أنسكروه : وكان النبي اشتراها منه .

(١١) بعد : بعد ججده .

فصل

في كراماته وبركاته وانقلاب الأعيان له فيما لمسه أو باشره

أخبرنا أحمد بن محمد ، حدثنا أبو ذرّ الهروي ، إجازة ؛ حدثنا القاضي أبو عليّ سماعا ، والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما ؛ قالوا : حدثنا أبو الوليد القاضي ، حدثنا أبو ذرّ ، حدثنا أبو إسحاق ، وأبو الهيثم ؛ قالوا : حدثنا الفربري ، حدثنا البخاري ، حدثنا يزيد بن زريع ^(١) ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ابن مالك رضي الله عنه - أن أهل المدينة فرّعوا ^(٢) مرة ، فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة كان يقطف ، أو به فطاف ^(٣) . وقال غيره : يبّطأ ^(٤) ؛ فلما رجع قال : وجدنا فرسك بحراً ^(٥) ؛ فكان بعد لا يجاري ^(٦) . ونخس ^(٧) جمل جابر ، وكان قد أعيا ^(٨) ، فنسب حتى كان ما يملك ^(٩) زمامه .

(١) في نسيم الرياض (٣ - ١٤٤) : كذا في النسخ هنا ؛ وصوابه : حدثنا البخاري ، حدثنا عبد الأعلى بن حماد ، حدثنا يزيد بن زريع ، وهكذا هو في صحيح البخاري ؛ فسقط منه راو من قلم المصنف . وفي هامش ا : سقط بين البخاري ويزيد بن زريع رجل ؛ وهو عبد الأعلى بن حماد النسي ، قاله يحيى بن علي القرشي ، عفا الله عنه .

(٢) فرّعوا : وقع بهم فزع . والفزع : أشد الخوف .

(٣) يقطف : يبّطأ . أو هو الضيق المشي ؛ وهو عيب في الخيل .

(٤) قال في نسيم الرياض (٣ - ١٤٥) : الظاهر أن المراد به هنا أنه كان يوصف بالبطء

وينسب إليه ذلك .

(٥) بحرا : كالبحر في شدة جريه وعدوه بسهولة .

(٦) لا يجاري : لا يسبق . وهذا الحديث رواه البخاري : صحيح البخاري : ٤ - ٣٧

(٧) رواه الشيخان . والنخس : أن يطعمه في جنبه بمود أو نحوه . والحديث في صحيح

مسلم : ١٢٢٣ ، وصحيح البخاري : ٧ - ٢٦

(٨) أعيا : لمب وقلت حرّكته .

(٩) معناه أنه لا يقدر على ضبطه وحبسه لأنه لشدة نشاطه يجذبه من يده وينازعه .

وصنع (١) مثل ذلك بفرس الجعيل الأشجعي؛ خفقها بمخفقة (٢) معه ،
وبرك (٣) عليها ، فلم يملك رأسها نشاطاً (٤) ؛ وباع من بطنها بائني عشر ألفاً .
[وركب (٥) حماراً قطوفا لسعد بن عبادة فردّه هملاجاً (٦) لا يسائر (٧) .
وكانت (٨) شعرات من شعره في قلنسوة خالد بن الوليد ، فلم يشهد بها قتالاً
إلا رزق النصر .

وفي الصحيح (٩) - عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها - أنها أخرجت جبة (١٠)
طيالسة ، وقالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها ، فنحن نفسلها
للمرضى يستشفى بها (١١) .

وحدثنا القاضي أبو علي ، عن شيخه أبي القاسم بن المأمون : قال : وكانت عندنا
قصة من قصاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فكنا نجعل فيها الماء للمرضى ،
فيستشفون بها .

(١) وهذا الحديث رواه عنه عبد الله بن أبي الجعد . والخبر في الاستيعاب : ٢٤٦

(٢) خفقها : ضربها . والمخفقة : الدرة ، أو المصا . وهذا رواه النسائي .

(٣) برك عليها : دعا مرارا بالبركة فيها .

(٤) أي لم يقدر على ضبط رأسها بلجامها لقوة سيرها ومجاذبتها له .

(٥) في حديث رواه ابن سعد .

(٦) قطوفا : قليل السير متقارب الخطا . والهملاج من البراذين : ما يسرع في مشيه ويكثر

نقله على هيئة مخصوصة ، والعامّة يسمونه « الرهوان » .

(٧) في هامش ١ : ما بين القوسين من الأم من غير الرواية . (٨) رواه البيهقي .

(٩) هذا الحديث رواه مسلم ، والنسائي ، وابن ماجه : صحيح مسلم : ١٦٤١

(١٠) الجبة : ثوب محيط . طيالسة : جمع طيلسان . والطيالسة : نوع من الأكسية ، قيل :

إنها ذات أعلام خضر . وقيل : الطيلسان : كساء أخضر . وقيل : رداء صوف تستعمله المعجم .

(١١) بها : بئانها ، بأن يشرب منه ويمسح به الأبدان تيمنا بآثاره صلى الله عليه وسلم ،

فيرزقهم الله الشفاء ببركته .

وأخذ جَهْجَاهُ الْغِفَارِي الْقَضِيبَ ^(١) من يد عثمان رضي الله عنه ليكسره علي ركبته؛ فصاح الناسُ به ، فأخذتهُ فيها الآكلةُ فقطعها ^(٢) ، ومات قبل ^(٣) الحوُل .

وسكب ^(٤) من فضل وضوئه في بئر قباء فما نزلت ^(٥) بعد .

وبزق ^(٦) في بئر كانت في دار أنس ، فلم يكن بالمدينة أعذب منها .

ومرّ على ماء ، فسأل عنه ؛ فقيل له : اسمه بيسان ^(٧) ، وماؤه ملح ، فقال : بل هو

نعمان ^(٨) وماؤه طيب . فطاب .

وأبى ^(٩) بدلو من ماء زمزم ، فمَج فيه ، فصارت أطيّب من المسك .

وأعطى ^(١٠) الحسنَ والحسينَ لسانَه فمصّاه ، وكانا يبكيان عطشا ، فسكتا .

وكان لأم ^(١١) مالك عسكة ^(١٢) تُهدى فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سَمْنًا ؛ فأمرها

النبي صلى الله عليه وسلم ألا تعصرها ^(١٣) ؛ ثم دفعها إليها ، فإذا هي مملوءة سَمْنًا ؛ فبأتيها

(١) القضيب : عصا قصيرة . وقال القماري (١ - ٦٦٨) : القضيب : عصا النبي التي كان

الخلفاء يتداولونها .

(٢) الآكلة : داء يصيب بعض الأجزاء فيتآكل ؛ أي يتفتت ويتقطع . فقطعها ؛ أي ركبته .

(٣) هذا الخبر رواه ابن عبد البر في الاستيعاب : ٢٦٩

(٤) رواه البيهقي ، عن أنس بن مالك .

(٥) بئر قباء : قرب المدينة . فما نزلت البئر ؛ أي ما انقطع ماؤها .

(٦) رواه أبو نعيم في دلائله . (٧) بيسان : موضع بالحجاز .

(٨) نعمان : من النعمة - بكسر أولها ، أو بفتحها .

(٩) رواه ابن ماجه ، والبيهقي : سنن ابن ماجه ٢١٦ (١٠) رواه الطبراني .

(١١) في حديث رواه مسلم : صحيح مسلم : ١٦١٢

(١٢) مكة : وعاء من جلد يوضع فيه السمن غالبًا .

(١٣) العصر : الضفط للظرف ليخرج ما فيه مما قل .

بَنُوها يسألونها (١) الأدم ، وليس عندهم شيء ، فتعمد (٢) إليها ، فتجد فيها سمناً ؛ فكانت تُقيم أدمها (٣) حتى عصرتها .

وكان ينزل في (٤) أفواه الصبيان المراضع فيجزئهم ريقه إلى الليل (٥) .
ومن ذلك بركة يده فيما لمسه وغرسه ، ولسلمان رضي الله عنه حين (٦) كاتبه مواليه على ثلاثمائة (٧) ودية يفرسها لهم ، كلها تعلق وتطعم (٨) . وعلى أربعين أوقية من ذهب ؛ فقام صلى الله عليه وسلم وغرسها له بيده إلا واحدة [١١٩] غرسها غيره ؛ فأخذت (٩) كلها إلا تلك الواحدة ، فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم وردّها ، فأخذت .

وفي كتاب الزّار : فأطعم النخيل من عامه إلا الواحدة ، فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فأطعمت من عامها .
وأعطاه (١٠) مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد أن أدارها على لسانه ، فوزن منها لمواليه أربعين أوقية ، وبقي عنده مثل ما أعطاهم .

(١) الأدم : جمع إدام ، وهو ما يؤتدم به مع الخبز ، كالسمن والمسل .

(٢) فتعمد : فتقصد .

(٣) فكانت تقيم أدمها : أي تجمله قائماً ، أي باقياً على حاله ، أي تديم ذلك الإدام .

(٤) في حديث رواه البيهقي .

(٥) فيجزئهم : أي يكفهم عن الرضاعة النهار كله .

(٦) رواه البيهقي . (٧) الودية : صغار النخيل .

(٨) تعلق : تثبت بعد غرسها ، ويتم غراسها . وتطعم : يوجد فيها ما يؤكل ؛ يعني تعطى

الثمره ، أو تدرك .

(٩) فأخذت كلها : أي طلعت وأدركت .

(١٠) وأعطاه : وأعطى سلمان .

وفي حديث حنّس بن عَقِيل^(١) : سقاني رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرْبَةً
من سَوِيق^(٢) شَرِبَ أَوَّأَهَا وَشَرِبْتُ آخِرَهَا ، فَمَا بَرِحْتُ أَجِدُ شِبَعَهَا إِذَا جُعْتُ ، وَرِيهَا
إِذَا عَطِشْتُ ، وَبَرَدَهَا إِذَا ظَمْتُ .

وَأَعْطَى^(٣) قَتَادَةَ بنَ النُّعْمَانَ ، وَصَلَّى مَعَهُ الْعِشَاءَ فِي لَيْلَةِ مُظْلَمَةِ مَطِيرَةٍ - عُرْجُونًا ،
وَقَالَ : انْطَلِقْ بِهِ ؛ فَإِنَّهُ سَيُضِي لَكَ مِنْ بَيْنِ بَدْيِكَ عَشْرًا^(٤) وَمَنْ خَلَفِكَ عَشْرًا ؛
فَإِذَا دَخَلْتَ بَيْتَكَ فَسْتَرِ سَوَادًا^(٥) فَاضْرِبْ بِهِ حَتَّى يُخْرَجَ ، فَإِنَّهُ الشَّيْطَانُ .

فَانْطَلِقْ فَأُضَاءَ لَهُ الْعُرْجُونُ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ ، وَوَجَدَ السَّوَادَ فَضْرِبْ بِهِ حَتَّى خَرَجَ .

وَمِنْهَا^(٦) دَفَعَهُ لِعُكَّاشَةَ جِدْلٍ حَطَبٍ^(٧) ، وَقَالَ : اضْرِبْ بِهِ حِينَ انْكَسَرَ
سَيْفُهُ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَعَادَ فِي يَدِهِ سَيْفًا صَارِمًا^(٨) ، طَوِيلَ الْقَامَةِ ، أَبْيَضَ ، شَدِيدَ الْمَتْنِ ،
فَقَاتَلَ بِهِ ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ يَشْهَدُ بِهِ^(٩) الْمَوَاقِفَ إِلَى أَنْ اسْتُشْهِدَ فِي قِتَالِ أَهْلِ
الرِّدَّةِ^(١٠) .

وَكَانَ هَذَا السَّيْفُ يُسَمَّى « الْعَوْنُ » .

(١) هذا الحديث رواه قاسم بن ثابت في الدلائل . وضبطت العين في عقيل بالفتحة في ا ،
وبالضمة في ب . وقال في شرح القاري (١ - ٦٧١) : ولم أر له أثرًا في كتاب الصحابة لابن
عبد البر ولا خبرًا ، فعلى من رآه أن يرسمه هنا .

(٢) السويق : قمح يقلى ويطحن ثم يجعل في ماء ونحوه من المائعات ويشرب ؛ فهو طعام
وشراب .

(٣) في حديث صحيح رواه أحمد في مسنده (للسند : ٣ - ٦٥) .

(٤) أي مقدار عشرة أذرع في طريقك حتى تبصرها .

(٥) سوادا : المراد جسم أسود . (٦) من كراماته .

(٧) الجذل : عود غليظ ، أو أصل من أصول الشجر . والحطب : ما يبس من أغصان الشجر .

(٨) صارما : قاطما . (٩) المواقف : قتال الكفرة .

(١٠) رواه البيهقي . وهو في الاستيعاب : ١٠٨٠ .

ودفعه^(١) لعبد الله بن جحش يوم أحد، وقد ذهب سيفه - عسيب^(٢) نخل؛
فرجع في يده سيفاً .
ومنه بركته في درور الشياخ الحوائل^(٣) باللبن الكثير؛ كقصة شاة أم معبد،
وأعنز معاوية^(٤) بن ثور، وشاة أنس^(٥)، وغنم حليلة^(٦) مرضعته وشارفها^(٧)،
وشاة^(٨) عبد الله بن مسعود؛ وكانت لم ينز عليها فحل^(٩)؛ وشاة المقداد^(١٠) .
ومن ذلك تزويد أصحابه سقاء ماء بعد أن أوكأه^(١١)، ودعا فيه، فلما حضرتهم
الصلاة نزلوا فخلوه، فإذا به ابن طيب وزبدة في فمه^(١٢) - من رواية حماد بن سلمة .
ومسح على رأس عمير بن سعد، وبرك، فمات وهو ابن ثمانين، فما شاب .
وروي مثل هذه القصص عن غير واحد؛ منهم السائب بن يزيد، ومدلوك .
وكان^(١٣) يوجد لعنتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نساؤه؛ لأن رسول الله صلى
الله عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره .

-
- (١) أي من كراماته دفعه . . . والخبر في الاستيعاب : ٨٧٩
(٢) عسيب نخل : قيل : هي جريدة النخل لاخوص عليها . وقيل : العسيب من السعف
ما فوق الكرب لم ينبت عليه خوص .
(٣) درور الشياخ الحوائل : درت الشاة : سال لبنها من ضرعها بكثرة . والدر : اللبن .
والحوائل : جمع حائل ؛ وهي التي لم تحمل مطلقاً . (٤) وقصته رواها ابن سعد .
(٥) لم يذكرها السيوطي في تخريجه لعدم الوقوف عليها .
(٦) رواها أبو يعلى ، والطبراني ، وغيرها بسند حسن .
(٧) الشارف : الناقة المسنة . (٨) روى قصتها البيهقي ، وابن مسعود .
(٩) نزا الذكر على الأنثى إذا علاها . يريد لم تلقح ، ولم تلد .
(١٠) قصتها رواها مسلم ، والبيهقي .
(١١) أوكأه : شده بالوكاء ، وهو ما يربط به القربة ونحوها . وقد رواه ابن سعد ، عن
سالم بن أبي الجعد . (١٢) في فمه : في فم ذلك السقاء .
(١٣) رواه الطبراني ، والبيهقي . ورواه ابن عبد البر في الاستيعاب : ١٠٢٩

وسلت^(١) الدم عن وجه عائذ بن عمرو، وكان خرج يوم حنين، ودعاه، فكانت له غرة^(٢) كغرة الفرس.

ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامي، ودعاه، فهلك وهو ابن مائة سنة، ورأسه أبيض، وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم ومامرت يده عليه من شعره أسود؛ فكان يدعى الأغر^(٣).

وروى^(٤) مثل هذه الحكاية لعمر بن نعلبة الجهني.

ومسح وجه آخر، فما زال على وجهه نور.

ومسح وجه قتادة بن ملحان، فكان لووجه بريق حتى كان ينظر في وجهه

كما ينظر في المرأة.

ووضع يده على رأس حنظلة بن حذيم^(٥)، وبرك عليه؛ فكان حنظلة يؤتى

بالرجل قد ورم وجهه، والشاة قد ورم ضرعها، فيوضع^(٦) [١٢٠] على موضع

كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم.

ونضح^(٧) في وجه زينب بنت أم سلمة نضحة^(٨) من ماء، فما يعرف كان في وجه

امرأة من الجمال ما بها.

(١) سلت الدم: أي مسح النبي صلى الله عليه وسلم وجهه بيده متكئا عليه حتى أخرج

ما عليه من الدم.

(٢) الغرة: بياض منتشر طولا وعرضا في وجهه.

(٣) يدعى الأغر لما في وجهه من البياض.

(٤) الذي رواه البيهقي. ورواه ابن عبد البر في الاستيعاب: ١١٦٨

(٥) في حديث رواه البيهقي.

(٦) فيوضع: أي محل الورم من الوجه والضرع. وفي ب: فيضع.

(٧) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب: ١٨٥٥

(٨) نضح: رش بالماء ونحوه.

ومسح على رأس صبيّ به عاهة^(١) ، فَبْرَأَ ، واستوى شعره^(٢) ، وعلى غير واحدٍ من الصّبيّان والمرضى والمجانين ، فَبْرَأُوا .
وأناه^(٣) رجل به أدرة^(٤) ، فأمره أن ينضحها^(٥) بماء من عَيْنِ مَجِّ فيها ،
ف فعل ؛ فَبْرَأَ .

وعن طاوس^(٦) : لم يُوْتِ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَحَدٍ بِهِ مَسٌّ ، فَصَكَ^(٧)
في صدره إلا ذهب .
والمَسُّ : الجنونُ .

ومَجِّ في دَلْوٍ من بئر ، ثم صبّ فيها^(٨) ، ففاح منها ريحُ العِسْكِ .
وأخذ^(٩) قَبْضَةً من تُرَابٍ يوم حُنَيْنٍ ، ورَمَى بها في وجوه الكفار ، وقال :
شاهتِ^(١٠) الوجوهُ ، فانصرفوا يمسحون القذى^(١١) عن أعينهم .

(١) عاهة : آفة ومرض ، والمراد أنه كان أقرع .

(٢) استوى شعره : نبت وتم وحسن .

قال في نسيم الرياض (٣ - ١٦٤) : وهذا الحديث لم يخرج السيوطي ولا غيره .

وفي شرح القارى (١ - ٦٧٥) : هذا الحديث لا يعرف من رواه بهذا اللفظ .

(٣) في حديث لم يخرجوه . وفي شرح القارى (١ - ٦٧٥) : قال الدلجى : لا أعلم

من رواه .

(٤) الأدرة : انتفاخ في الخصيتين . (٥) ينضحها : يرشها .

(٦) روى عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، وغيرهما .

(٧) صك في صدره : ضرب صدره بيده المباركة .

(٨) مج : صب من فيه . ثم صب فيها : أى في البئر الذى مج فيه ريقه . وقال القارى :

رواه أحمد عن وائل بن حجر . (مسند أحمد : ٤ - ٣١٥) .

(٩) في حديث مشهور رواه مسلم : صحيح مسلم : ١٤٠٢ .

(١٠) شاهت الوجوه : جملة دعائية معناها قبحت وقبحها الله .

(١١) القذى : ما يقع في العين من التراب .

[وشكا إليه أبو هريرة رضى الله عنه النسيان ، فأمره يَبْسُطِ^(١) ثوبه ، وغرف بيده فيه^(٢) ؛ ثم أمره بضمه ، فتعمل ؛ فما نسي شيئا بعد .
وما يروى عنه في هذا كثير .

وضرب صدر^(٣) جرير بن عبد الله ، ودعاه له ؛ وكان ذكرا له أنه لا يثبت على الخيل ، فصار من أفرس^(٤) العرب وأثبتهم .
ومسح على رأس عبد الرحمن^(٥) بن زيد بن الخطاب وهو صغير ، وكان دَمِيًّا ، ودعاه بالبركة ، ففرغ الرجال^(٦) ، طولاً وتَمَامًا^(٧) .

فصل

ومن ذلك^(٨) ما أُطْلِعَ عليه من الغيوب وما يكون^(٩) . والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره^(١٠) ، ولا ينزف^(١١) غمره .
وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر ، لكثرة رواتبها ، واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب :
حدثنا الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى إجازةً ، وقرأته على غيره : قال

(١) يبسط ثوبه : أى بأن يضعه على الأرض ويفرشه .

(٢) أى فعل فعلا شبيها بمن يغرف من شيء ما يضعه في الآخر . وضمير « فيه » للثوب .

(٣) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب : ٢٣٨

(٤) أفرس العرب : أقواهم . (٥) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب : ٨٣٤

(٦) فرغ الرجال : زاد عليهم في الطول .

(٧) في هامش ا ، ب - أمام ما بين القوسين : من الأم من غير الرواية .

(٨) ومن ذلك : ومن خصائصه وكراماته .

(٩) وما يكون : وما يحصل في المستقبل .

(١٠) لا يدرك قعره : لا يصل أحد إلى نهايته . وقعره : قراره وأرضه .

(١١) لا ينزف : لا ينفى ، ولا ينفد .

أبو بكر : حدثنا أبو علي التُّستري ، حدثنا أبو عمر الهاشمي ، حدثنا اللؤلؤي ،
حدثنا أبو داود ، حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي
وائل ، عن حذيفة ، قال (١) : قام فينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مقاماً (٢) ؛
فأترك شيئاً يكونُ في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا (٣) ، حدثه ؛ حفظه من حفظه ،
ونسية من نسيه ، قد علمه أصحابي هؤلاء ، وإنه ليكونُ منه الشيء (٤) فأعرفه فأذكره
كما يذكر الرجلُ وجهَ الرجل إذا غاب عنه ؛ ثم إذا رآه عرفه .

ثم قال حذيفة : ما أدري ، أنسى أصحابي أم تناسوه (٥) . والله ما ترك رسولُ
الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة
فصاعداً إلا قد سماه لنا باسمه ، واسم أبيه ، وقبيلته (٦) .

وقال أبو ذر (٧) : لقد تركنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وما يحرِّك طائرٌ
جناحيه في السماء (٨) ، إلا ذكرنا منه علماً (٩) .

(١) الحديث في صحيح مسلم : ٢٢١٧ ، وسنن أبي داود : ٢ - ١٣٠ .

(٢) قام فينا مقاما : المراد أنه خطبهم يوماً .

(٣) هذا في أ ، ب . وفي صحيح مسلم : إلا حدث به . والمثبت في سنن أبي داود .

(٤) ليكون منه الشيء : أي يوجد شيء مما حدثنا به في ذلك المقام في الخارج قد نسيته

لطول العهد بحديثه ، فأراه بعيني بعد ما وجد .

(٥) تناسوه : أظهروا نسيانه . وفي سنن أبي داود : أم تناسوا .

(٦) وهذا الحديث روى من طريق آخر ذكره ابن الجوزي وغيره . وفي سنن أبي داود :

واسم قبيلته .

(٧) في حديث رواه أحمد (للسند : ٥ - ١٥٣) ، والطبراني ، وغيرهما ، بسند صحيح .

(٨) كناية عن بيان كل شيء .

(٩) أي تذكرنا وفهمنا من طيرانه علماً يتعلق به ، فكيف بغيره مما يهمنا في الأرض ؛

وهذا تمثيل لبيان كل شيء تفصيلاً تارة وإجمالاً أخرى . وفي المسند : أذكرنا .

وقد خرَّجَ أهلُ الصحيحِ والأئمةُ ما أعلمُ به أصحَّابه صلى اللهُ عليه وسلم ممَّا
وَعَدَمَ بِهِ مِنَ الظُّهُورِ عَلَى أَعْدَائِهِ ، وَفَتْحِ مَكَّةَ ، وَبَيْتِ الْمَقْدَسِ ، وَالْيَمَنِ ، وَالشَّامِ ،
وَالعِرَاقِ ، وَظُهُورِ الْأَمْنِ ، حَتَّى تَظْعَنَ الْمِرْأَةُ مِنَ الْحَيْرَةِ إِلَى مَكَّةَ (١) ، لَا تَخَافُ
إِلَّا اللّٰهَ . وَأَنَّ الْمَدِينَةَ (٢) سَتَغْزَى ، وَتُفْتَحُ خَيْبَرَ عَلَى يَدَيِ عَلِيٍّ فِي غَدٍ بِوَجْهِهِ (٣) ، وَمَا يَفْتَحُ
اللّٰهُ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الدُّنْيَا (٤) ، وَيُؤْتُونَ مِنْ زَهْرَتِهَا ، وَقِسْمَتِهِمْ كَنْزُ كَسْرَى وَقَيْصَرَ ،
وَمَا يَحْدُثُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْفِتُونِ (٥) وَالْإِخْتِلَافِ وَالْأَهْوَاءِ ، وَسُلُوكِ سَبِيلٍ مِنْ قَبْلِهِمْ ،
وَإِفْتِرَاقِهِمْ [١٢١] عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ؛ النَّاجِيَةُ مِنْهَا وَاحِدَةٌ ، وَأَنَّهَا سَتَكُونُ لَهُمْ
أَنْمَاطٌ (٦) ؛ وَيَغْدُو أَحَدُهُمْ فِي حُلَّةٍ ، وَيَرُوحُ فِي أُخْرَى (٧) ، وَتُوضَعُ بَيْنَ يَدَيْهِ

(١) نَظَعْنُ : تَسَافَرُ وَحَدَّهَا وَتَرْحَلُ ؛ وَذَكَرَ الْمِرْأَةُ لِلْمَبَالِغَةِ فِي الْأَمْنِ ؛ لِأَنَّهَا مَعَ ضَعْفِهَا
وَشِدَّةِ خَوْفِهَا إِذَا أَمِنَتْ عِلْمَ أَمْنِ غَيْرِهَا بِالطَّرِيقِ الْأُولَى .

(٢) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى وَقْعَةِ الْحَرَّةِ ؛ فَإِنَّهَا وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ قَتَلَ بِهَا الْمُسْلِمُونَ
حَتَّى تَرَكْتَ الصَّلَاةَ فِي الْحَرَمِ ، وَالْحَرَّةُ : أَرْضٌ بِظَاهِرِ الْمَدِينَةِ ذَاتُ حِجَارَةٍ سَوْدٍ . وَالْحَدِيثُ فِي
صَحِيحِ مُسْلِمٍ (١٠٠٩) . وَفِي شَرْحِ الْقَارِي (١ - ٦٧٨) : سَتَغْزَى مِنَ الْفَتْوَى ، أَيْ سَتَحَارِبُ
وَتَقْتُلُ . وَفِي رِوَايَةٍ بِمُهْمَلَتَيْنِ ؛ قَالَ الْحَافِظُ الْمَزْيِيُّ : الرَّوَايَةُ فِي الْحَدِيثِ بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةُ وَالرَّاءُ ،
يَعْنِي مِنَ الْعَرَبِيِّ ، أَيْ تَصِيرُ عَرَاءً . وَالْمَعْنَى : سَتَخْرَبُ ، أَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ . فَقَدَرُوا الشَّيْخَانِ عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بَلْفَظٍ : يَتْرَكُونَ الْمَدِينَةَ عَلَى خَيْرٍ مَا كَانَتْ لَا يَنْشَأُهَا إِلَّا الْعَوَاقِفُ .
وَهَذَا لَمْ يَقْعُ بَعْدَ كَمَا اخْتَارَهُ النَّوَوِيُّ ، وَتَفْسِيرُهُ : وَإِنَّمَا يَقْعُ قَرَبَ السَّاعَةِ . صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ١٠٠٩

(٣) لِمَا كَانَتْ وَقْعَةُ خَيْبَرَ وَتَمَسَّرَ فَتَحَهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لِأَعْطَيْنِ الرِّيَاةَ غَدَا
رَجُلًا يَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يَفْتَحُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيْهِ ، فِدَاعًا عَلِيًّا . . . وَفَتْحَهَا
اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ : صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ : ١٧١ - ٥

(٥) الْفِتُونُ : جَمْعُ فِتْنَةٍ ؛ تَطْلُقُ عَلَى كُلِّ مَا يَقَعُ بَيْنَ النَّاسِ مِنَ التَّرَاقُوعِ وَالْحُرُوبِ . وَفِي ب :
مِنَ الْفِتَنِ .

(٦) أَنْمَاطٌ جَمْعُ نَمَطٍ ، وَهُوَ الْبَسَاطُ . يَعْنِي أَنَّ أُمَّتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَسَّعُونَ فِي الدُّنْيَا
حَتَّى يَتَّخِذُوا الْفُرُشَ النَّفِيسَةَ لِبَسَاطِ اللَّهِ لَهُمُ الرِّزْقُ بَعْدَ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْفَقْرِ وَضَيْقِ الْمَعِيشَةِ .

(٧) مِنْ حَدِيثِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَلِيٍّ وَحَسَنُهُ : سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ : ٥٢٦ - ٥

صَحْفَةٌ^(١) وَتُرْفَعُ أُخْرَى ، وَيُسْتَرُونَ بِيَوْمِهِمْ كَمَا تُسْتَرُ الْكَعْبَةُ^(٢) .

ثم قال آخر الحديث^(٣) : وَأَنْتُمْ الْيَوْمَ خَيْرَ مَنْكُمْ يَوْمَئِذٍ ، وَأَنْتُمْ إِذَا مَشَوْا
الْمُطَيْطَاءَ^(٤) وَخَدَمْتَهُمْ بَنَاتُ فَارِسَ وَالرُّومَ^(٥) رَدَّ اللَّهُ أَسْمَهُمْ^(٦) بَيْنَهُمْ ، وَسَلَطَ
شِرَارَهُمْ عَلَى خِيَارِهِمْ .

وَقَاتَلَهُمْ^(٧) الْفُرْسَ ، وَالْغُزُرَ^(٨) ، وَالرُّومَ ، وَذَهَابَ كَسْرَى وَفَارِسَ حَتَّى لَا كَسْرَى
وَلَا فَارِسَ بَعْدَهُ ، وَذَهَابَ قَيْصَرَ حَتَّى لَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ^(٩) .
وَذَكَرَ أَنَّ الرُّومَ ذَاتُ قُرُونٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ^(١٠) .

(١) الصحفة : إناء الطعام .

(٢) وهذا كما تفعله الأمرار والعظماء الذين اتسمت دنياهم حتى كسوا الحجارة والجدران .

(٣) الحديث الذي رواه الترمذى وغيره .

(٤) ورد في حديث رواه الترمذى عن ابن عمر ، إلا أن الذهبى قال في ميزانه : إنه لم يصح .

والمطيطاء : مشية فيها مد اليدين ، والمراد به التبخر .

(٥) أى اتخذوا الجوارى والخدم منهم .

(٦) البأس : الخوف الشديد ، والمراد به العداوة ووقوع القتال بينهم ؛ لأن الله كان أعطى

نبيه صلى الله عليه وسلم النصره بإيقاع الرعب في قلوب أعدائه الكفرة ، وبقى من ذلك أثر

فيمن اقتدى به من الخلفاء ؛ فلما اشتغلوا بزخرف الدنيا نزع الخوف من قلوب الأعداء وصار

بعضهم يعادى بعضاً ويقانله لما بينهم من التعاسد والتباعد وطلب كل منهم ما فى يد الآخر .

(٧) وأخبرهم بقتالهم الفرس . وجاء ذلك فى حديث رواه الشيخان .

(٨) قيل المراد بهم الأكراد . وقيل هم من الترك ، أو من المعجم ، أو التتار . وقد ضبطت

الزراى فى الفتححة .

(٩) وهذا مما رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٢٢٣٧ ، وسنن الترمذى : ٥ - ٤٩٧

(١٠) قرون : جمع قرن ، وهو الجماعة فى عصر واحد . أى كلما مضى قرن خلفه قرن

وقوم يملك ملكهم منهم . وقيل القرن : السيد ؛ أى كلما هلك ملك بملك بعده غيره . وقيل :

لإرادتهم قرون شعورهم التى كانوا يطولونها ويعرفون بها .

وبذهاب الأمثل فالأمثل من الناس^(١) ، وتقارب الزمان^(٢) ، وقبض العلم^(٣) ، وظهور الفتن ، والهراج^(٤) .

وقال^(٥) : ويل للعرب من شرٍ قد اقترب .

وأنه زويت^(٦) له الأرض فأرى مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمته ما زوى

له منها .

وكذلك كان^(٧) ؛ امتدت^(٨) في المشرق والمغرب مما بين أرض الهند أقصى

المشرق إلى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه ؛ وذلك ما لم تملكه أمة من الأمم ، ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك .

(١) الأمثل هنا : الأشرف ؛ لأنه أكثر مماثلة ومشابهة لأهل الحق ، والصدر الأول .

(٢) في حديث رواه الترمذي عن أنس : السنن : ٤ - ٥٦٧ ؛ والمراد قصره وقتله . وقيل : المراد أنهم يوسع عليهم من الدنيا فيستلذون معيشتهم ، ويكونون مسرورين ، وما زال الناس يصفون الأيام الهنية بالقصر . أو المراد نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان . وقال البيضاوي : المراد تسارع انقضاء الدول وانقراضها .

قال في نسيم الرياض (٣ - ١٧٥) : وهنا وجه قريب من الأول ؛ وهو أنه لكثرة الظلم والأحزان والاشتغال بأمور الدنيا وكثرة الحرص على تحصيلها ينفلون عن أوقاتهم ولا يشعرون بها .

(٣) قبض العلم : أخذه ونزعه من الناس ، وذلك بموت العلماء حتى لا يبقى إلا أناس جهلة إذا استفتوا أفتوا بغير علم . وحديثه في ابن ماجه : ٨٣ .

(٤) الهراج : القتل . أو اختلاط الناس بعضهم ببعض . وحديثه في مسلم : ٢٢١٥ ، وصحيح

البخاري : ٨ - ٦١ ، وسنن الترمذي : ٥ - ٤٨٩ .

(٥) في حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٢٢٠٧ ، وصحيح البخاري : ٨ - ٦٠ ، ٧٦

(٦) زويت : جمعت وضم بعضها لبعض حتى يطلع على جميعها : صحيح مسلم : ٢٢١٥

(٧) كان : وقع . وفي ١ : فكذلك .

(٨) امتدت ؛ أي مملكتهم ، واتسعت .

وقوله^(١) : لا يزال أهلُ الغَربِ ظاهرين على الحقِّ حتى تقومَ الساعةُ - ذهب ابن المديني إلى أنهم العربُ ؛ لأنهم المختصون بالسقي بالغرب - وهي الدلو . وغيره يذهب إلى أنهم أهلُ المَغربِ ؛ وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه^(٢) .
وفي حديثٍ آخر^(٣) ، مِنْ رواية أبي أمامة : لا تزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحق ، قاهرين لعدوِّهم ، حتى يأتيهم أمرُ الله وهم كذلك .
قيل : يا رسولَ الله ؛ وأين هم ؛ قال : بيت المقدس .
وأخبر بملك بني أمية^(٤) ، وولاية معاوية ؛ ووصاه^(٥) ؛ واتخاذ بني أمية مال الله^(٦) دولا ، وخروج ولدِ العباس بالرايات السود^(٧) ، ومُلكهم أضعاف ما ملكوا ، وخروج^(٨) المهدي ، وما ينال أهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم ؛ وقتل عليّ ، وأن^(٩)

-
- (١) في حديث رواه مسلم : صحيح مسلم ١٣٧
(٢) قال القاري (١ - ٦٨٢) : لكن فيه أنه لا يعلم من رواه .
(٣) رواه الطبراني ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل (المسند : ٥ - ٢٦٩) . ورواه أيضا الترمذي في سننه : ٥ - ٥١٤ (٤) رواه البيهقي .
(٥) ووصاه : وصى معاوية ، إذا تملك ، بالعدل والرفق ، لما قال له : إذا ملكت فانصح .
(٦) في حديث رواه الترمذي ، والحاكم ، والبيهقي .
دولا : يتداولونه ويأخذونه واحدا بعد واحد . والمراد أنهم استأثروا به ومنعوا حقوقه فأسرفوا وبذروا .
(٧) في حديث رواه أحمد ، والبيهقي بسند فيه ضعف وانظر أيضا سنن الترمذي : ٥ - ٥٣١
(٨) خروج المهدي في آخر الزمان ، كما ورد في حديث رواه أصحاب السنن وغيرهم من طرق كثيرة إلا أنه قيل إن أسانيده لا تخلو من ضعف : سنن أبي داود : ٢ - ١٣٥ ، وسنن الترمذي : ٥ - ٥٠٦
(٩) أي مما أخبر به صلى الله عليه وسلم أن أشقاها ؛ أي أشقى الخلائق . أو الدنيا . . .
« هذه » الأولى إشارة إلى لحيته . و« من هذه » إشارة إلى رأسه ؛ أي يضربه على رأسه ضربة يسيل بها دمه حتى يبطل لحيته . والحديث في مسند أحمد : ١ - ٩١

أشقاهما الذي يَنْحُضِبُ هذه من هذه؛ أي لحيتته من رأسه؛ وأنه قسيمُ النار^(١)، يَدْخُلُ أولياؤه النار؛ فكان فيمن عاداه الخوارجُ والناصبية^(٢)؛ وطائفةٌ ممن يُنسَبُ إليه من الروافضِ كفروه^(٣).

وقال: يُقتلُ عثمانُ وهو يقرأ في المصحف؛ وأن الله عسى أن يُلبسه قميصا، وأنهم يُريدون خلعَه، وأنه سيَتَطَرُّ دمه على قوله: «فسيكفيكم الله»^(٤)؛ وأن الفتن لا تظهر ما دامَ عمرُ حيا^(٥).

ومحاربة الزبيرِ لعلي^(٦)؛ وبنجاحِ كلابِ الحوَّابِ على بعض أزواجه^(٧)،

(١) وأنه؛ أي على كرم الله وجهه . قسيم النار : معناه : على ومن معه قسيم لأهل النار ؛ أي مقابل لهم ؛ لأنه من أهل الجنة .

وقال الخفاجي (٣ - ١٨٢) : ظاهر كلامه أن هذا مما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ؛ إلا أنهم قالوا : لم يروه أحد من المحدثين ، إلا أن ابن الأثير قال في النهاية : ألا إن عليا رضى الله عنه قال : أنا قسيم النار - يعني أراد أن الناس فريقان : فريق معي ؛ فهم على هدى ، وفريق على ؛ فهم على ضلال ؛ فنصف معي في الجنة ، ونصف في النار . قلت : ابن الأثير ثقة .

(٢) الخوارج : الذين خرجوا على علي عند التحكيم . والناصبية : قوم تدينوا بيفض على كرم الله وجهه ؛ وهم من الخوارج أيضا .

(٣) الروافض : من الرفض ، وهو الترك ؛ سموا بذلك لتركهم السنة والجماعة . كفروه : نسبوه إلى الكفر .

(٤) وهذا رواه المحب الطبري في كتابه الرياض النضرة ، ورواه الحاكم عن ابن عباس ؛ وقال الذهبي : إنه موضوع ، وتبعه السيوطي .

(٥) روى البيهقي هذا الحديث عن ابن عمر ، والشيخان عن حذيفة .

(٦) في حديث رواه البيهقي في دلائل النبوة ، من طرق ؛ وهو مما أخبر به من الغيبات .

(٧) الحوَّاب : موضع بين البصرة والكوفة ، نزلته عائشة لما توجهت للصالح بين علي ومعاوية

فلم تقدر ، فكانت وقعة الجمل . قال الخفاجي (٣ - ١٨٥) : وهو حديث صحيح رواه البزار عن ابن عباس .

وأنه يُقتل حولها^(١) قتلى كثيرٌ ؛ وتنجُو بعد ما كادت^(٢) ؛ فنبحت على عائشة عند خروجها إلى البصرة . وأنَّ عمَّاراً تنتمه الفئة الباغية ، فقتله أصحاب معاوية^(٣) . وقال لعبد الله بن الزبير^(٤) : ويلٌ للناس منك ، وويلٌ لك من الناس [١٢٢] . وقال في قرمان^(٥) - وقد أُبلى مع المسلمين : إنه من أهل النار ؛ فقتل نفسه^(٦) . وقال^(٧) - في جماعة فيهم أبو هريرة ، وسمرّة بن جندب ، وحذيفة : آخرهم موتاً في النار^(٨) ؛ فكان بعضهم يسأل عن بعض ؛ فكان سمرّة آخرهم موتاً ؛ هَرَمَ وخَرِفَ ، فاصطلى بالنار فاحترق فيها .

[وقال في حَنْظَلَةَ النَّسِيلِ^(٩) : سأوا زوجته عنه ؛ فإني رأيتُ الملائكة تفسله ؛ فسألوها فقالت : إنه خرج جنباً ، وأعجله الحالُ عن الفسل . قال أبو سعيد رضي الله عنه : ووجدنا رأسه يقطر ماءً]^(١٠) .

(١) حولها : حول بعض الأزواج ، وهي عائشة رضي الله عنها .

(٢) بعد ما كادت : بعد ما قاربت عدم النجاة .

(٣) عمَّار بن ياسر الصحابي المشهور . الباغية : من البغي ، وهو الخروج بغير حق على الإمام . والحديث في صحيح مسلم : ٢٢٣٦ . فقتله أصحاب معاوية وهو مع علي بصفيين .

(٤) قال له هذا لما شرب دماً من فضل دمه صلى الله عليه وسلم ؛ وكان النبي قد احتجم ، وأعطاه دمه ، وقال له : أرقه في محل لا يرى ، فلما رجع قال له النبي : لعلك شربته ؟ فقال : نعم ، فقال له ذلك .

(٥) قرمان : مولى لبعض الأنصار ، وكان شجاعاً ، لسكنه منافق ، وكان قاتل قتالا شديداً أعجب الصحابة .

(٦) قال الخفاجي (٣ - ١٨٦) : هذا الحديث متفق على صحته لرواية الشيخين له عن

أبي هريرة . وقد روى ذلك الواقدي في المنازى : ١ - ٢٦٣ (٧) رواه الطبراني ، والبيهقي .

(٨) رجح للسيوطي أن المراد أنه يحترق في الدنيا حريقاً يموت به ، لأنه يدخل نار جهنم .

وقال الشهاب : إن سمرّة احترق من ماء حار كان يستدفئ به ، وميأني .

(٩) في حديث رواه ابن إسحاق (سيرة ابن هشام : ٣ - ٢٠) . وسمى النسيل ، لأن

الملائكة غسلته لما استشهد بأحد . وهو حنظلة بن أبي عامر الأنصاري . ورواه الواقدي أيضاً

في المنازى : ١ - ٢٧٤ (١٠) في هامش ١ ، ب : من الأم بخطه من غير الرواية .

وقال^(١) : الخلافةُ في قُرَيْشٍ .
ولن يزالَ هذا الأمرُ في قُرَيْشٍ ما أقاموا الدينَ^(٢) .
وقال^(٣) : يكونُ في تَقْيِيفِ كَذَّابٍ ومُبِيرٍ ؛ فرأوها : الحجاجُ ، والمختارُ^(٤) .
وأن مسيلةً^(٥) يعترهُ اللهُ .
وإنَ فاطمةَ أولَ أهلِهِ لِحَوْقاً^(٦) به .
وأنذَرَ^(٧) بالردّةِ ، وبأنَ الخلافةَ بعْدَهُ ثلاثونَ^(٨) سنةً ، ثم تكونُ مُلكاً ؛
فكانت كذلكَ بِنَدَةِ الحسَنِ بنِ عليٍّ .
وقال^(٩) : إنَّ هذا الأمرَ بدأ^(١٠) نُبُوَّةً ورحمةً ، ثم يكونُ رحمةً وخلافةً ،

(١) في حديث رواه أحمد ، والترمذي . سنن الترمذي : ٥ - ٥٠٣ .

(٢) في حديث آخر رواه البخاري : صحيح البخاري : ٤ - ٢١٨ .

(٣) في حديث رواه مسلم ، والبيهقي : صحيح مسلم : ١٩٧٢ ، وسنن الترمذي : ٥ - ٤٩٩ .

(٤) مبير : مهلك ، يكثر القتل بغير حق . والحجاج : هو ابن يوسف ، وهو المبير . وأما الكذاب فهو المختار بن أبي عبيد الثقفي بن مسعود ؛ وكان يزعم أن جبريل يأتيه ، وكان يظهر مدح ابن الزبير ، وعهد بن الحنفية ، واستحوذ على الكوفة ، وأظهر التشيع واجتمع عليه ناس كثيرون ، وطلب الأخذ بثأر الحسن ، فقتل كثيراً من قتلته ، وعظم أمره . وكان يتكهن ويزعم أنه يوحى إليه .

(٥) رواه الشيخان عن ابن عباس . وفي النهاية : أنه قال لمسيلة الكذاب ؛ ولئن أدبرت

ليعقرنك الله ؛ أي ليهلككنك . والحديث في صحيح مسلم : ١٧٨٠ .

(٦) أي أول من يموت بعده صلى الله عليه وسلم .

فمات بعده ستة أشهر ، وقيل بثمانية ، وقيل مائة يوم . والحديث في صحيح مسلم : ١٩٠٥ .

(٧) وهو مما رواه الشيخان عن ابن عمر .

(٨) رواه أصحاب الكتب الستة مسنداً .

(٩) في حديث رواه البزار ، والبيهقي .

(١٠) بدأ : ظهر وبرز .

ثم يكون مُلْكًا عَضُوضًا^(١)، ثم يكون عُتُوتًا وَجَبْرُوتًا وَفَسَادًا فِي الْأُمَّةِ^(٢) .
 وَأَخْبَرَ بِشَأْنِ^(٣) أُوَيْسِ الْقَرَنِيِّ ؛ وَبِأَمْرَاءِ بُوَءَخْرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا ،
 وَسَيَكُونُ فِي أُمَّتِهِ ثَلَاثُونَ كَذَابًا فِيهِمْ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ .
 وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ^(٤) : ثَلَاثُونَ دَجَالًا كَذَابًا ، آخِرُهُمُ الدَّجَالُ الْكَذَابُ ، كُلُّهُمْ
 يَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

وَقَالَ^(٥) : يُوْشِكُ أَنْ يَكْتُرَ فِيكُمْ الْعَجَمُ ، يَا كَلُونَ^(٦) فَيْثُكُمْ ، وَيَضْرِبُونَ رِقَابَكُمْ .
 وَلَا^(٧) تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَسُوقَ النَّاسَ بِعَصَاهُ رَجُلٌ مِنْ قَعَطَانَ .
 وَقَالَ : خَيْرُكُمْ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ . ثُمَّ يَأْتِي
 بَعْدَ ذَلِكَ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ^(٨) ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ ، وَيُنذِرُونَ
 وَلَا يُؤْفُونَ ، [وَيُظْهِرُ فِيهِمُ السَّمْنَ]^(٩) .
 وَقَالَ^(١٠) : لَا يَأْتِي زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ .

- (١) عضوضاً : سلطنة خالية عن الرحمة والشفقة على الرعية ؛ فكأنهم يعضون بالنواجذ فيه
 عضاً ، حرصاً على الملك ، ويمض بعضهم بعضاً بسببه .
 (٢) عتوا : العتو : الخروج عن طاعة الله تعالى . والجبرية - بفتح الجيم والموحدة ،
 وتسكن أيضاً ؛ من الجبر ؛ وهو الإكراه والقهر .
 (٣) في حديث رواه مسلم : صحيح مسلم : ١٩٦٨ . وأويس هذا خير التابعين مطلقاً
 بشهادة النبي له . وكان أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره لاشتغاله ببر أمه .
 (٤) رواه الشيخان عن أبي هريرة ، صحيح البخاري : ٧٤-٨ ، وصحيح مسلم : ٢٢٤٠ .
 (٥) في حديث رواه البزار ، والطبراني بسند صحيح .
 (٦) النقيء : أصله الغنيمة من الكفار بغير قتال ، ويطلق على مطلق الغنيمة . والاكل فيه
 مجاز عن الاستيلاء عليه وأخذه قهراً ومنع المستحقين منه بغير وجه .
 (٧) في حديث رواه الشيخان : صحيح البخاري : ٧٣-٨ ، ٤-٢ ، وسنن الترمذي :
 ٥٠١-٥ ، وصحيح مسلم : ٢٢٣٢ . (٨) أي يؤدون الشهادة قبل أن تطالب منهم .
 (٩) ليس في ١ . (١٠) في حديث رواه البخاري : صحيح البخاري : ٨-٦٢ .

وقال : (١) هلاكُ أمتي على يدي أغيلة (٢) من قريش .
قال أبو هريرة راويه (١) : لو شئتُ سَمَيْتُهُمْ لَكُمْ : بنو فلان ، وبنو فلان .
وأخبر (٣) بظهور القدرية والرافضة (٤) ، وسب (٥) آخر هذه الأمة أولها ،
وقلة الأنصارِ حتى يكونوا كالمِلْحِ في الطعام ، فلم يزل أمرهم يتبددُ حتى لم يبقَ لهم
جماعةٌ .
وأنهم سيَلَقُونَ بعده أئمة (٦) .
وأخبر بشأن الخوارج (٧) وصفتهم ، والمخدج الذي فيهم ، وأن سيماهم
التحليق (٨) .

-
- (١) في حديث رواه الشيخان : صحيح البخاري : ٩ - ٦٠ .
(٢) أغيلة : تصغير أغلعة ، وهو جمع قلة ، يجوز فيه التصغير على لفظه ، وهو في حكم
المفرد . وفي القاموس : جمع غلام غلعة وأغلعة وغللمان . والغلام : الشاب قد طر شاربته ، وهو
المراد . قال الشهاب (٣ - ١٩٦) : والمراد بهلاكهم ضياع أمورهم وهلاك بعضهم .
(٣) في حديث رواه الترمذي ، وأبو دواد ، والحاكم .
(٤) القدرية : قال الشهاب (٣ - ١٩٦) : سموا قدرية ، لإبائهم للعبد قدرة ، لا لإنكار
قدرة الله على أعماله . وشبههم بالمجوس ؛ لأنهم أثبتوا خالقين : خالق الخير ، وهو النور .
وخالق الشر ، وهو الظلمة .
والرافضة : التاركون لحب جل الصحابة (شرح القاري : ١ - ٦٩٤) .
(٥) في حديث رواه البغوي .
(٦) أئمة : استبدادا . والحديث في الصحيحين : صحيح البخاري : ٩ - ٥٩ .
(٧) الخوارج : الذي خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . وحديثهم رواه
الشيخان : صحيح مسلم : ٧٥٠ .
(٨) مخدج اليد : ناقص اليد . التحليق : أي يحلقون شعور رؤوسهم ؛ ولم يكن في الصدر
الأول حلق الرؤوس إلا في النسك . وقيل : المراد جلوسهم حلقا حلقا . قال الخفاجي :
وليس بشيء .

وَيُرَى رِعَاءُ الْغَنَمِ رَعَوْسَ النَّاسِ^(١) ، وَالْعِرَاءُ الْخَفَاءُ يُتَبَارَوْنَ فِي الْبُنْيَانِ .
وَأَنَّ تَلَدَ الْأُمَّةُ رَبَّتْهَا^(٢) .

وَأَنَّ قَرِيشًا وَالْأَحْزَابَ لَا يَفْزُونَهُ أَبَدًا ؛ وَأَنَّهُ هُوَ يَفْزُوهُمْ^(٣) .
وَأَخْبَرَ^(٤) بِالْمَوْتَانِ الَّذِي يَكُونُ بَعْدَ فَتْحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ^(٥) .
وَمَا وَعَدَ^(٦) مِنْ سُكْنَى الْبَصْرَةِ ، وَأَنَّهُمْ يَفْزُونَ فِي الْبَحْرِ كَالْمَلُوكِ
عَلَى الْأَسِيرَةِ^(٧)

(١) رَعَوْسَ النَّاسِ : رُؤْسًاوَهُمْ ، وَالْحَدِيثُ فِي الصَّحِيحِينَ بِمَعْنَاهُ وَبَعْضُ الْفَاضِلِ . وَهُوَ
فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : ٣٩٩

(٢) رَبَّتْهَا : سَيَدَتْهَا . وَهُوَ مِنْ حَدِيثٍ مَشْهُورٍ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ (صَحِيحِ مُسْلِمٍ : ٣٩٩)
وغيرهما ؛ وَهُوَ مِنَ الْمَغْيِبَاتِ ، وَأَشْرَاطُ السَّاعَةِ الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَفِي مُسْلِمٍ :
رَبَّتْهَا - بَدَلُ رَبَّتْهَا . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى لَهُ : بِعَاطِهَا .

(٣) رَوَاهُ الشَّيْخَانِ : (صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : ٥ - ١٤١) وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَفْزُوهُمْ بَعْدَ إِخْبَارِهِ
بِذَلِكَ فِي الْأَحْزَابِ ، وَهِيَ غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ ، وَبَعْدَ أَحَدٍ وَالْخَنْدَقُ لَمْ تَغْزِهِ قَرِيشٌ ، وَهُوَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزَاهُمْ حِينَ فَتَحَ مَكَّةَ . قَالَ الْوَاقِدِيُّ : إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ هَذَا لِسَبْعِ
بَقِيَّةٍ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ .

(٤) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ أَيْضًا . وَالْمَوْتَانِ - بَضْمُ الْمِيمِ ، بِوِزْنِ بَطْلَانٍ . وَبِفَتْحِهَا
وَسُكُونِ الْوَاوِ ، وَهُوَ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْمَوْتِ الْكَثِيرِ .

(٥) وَكَانَ ذَلِكَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بَعْمَوَاسٍ : قَرْيَةٌ بَيْنَ الرَّمْلَةِ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ ؛ إِذْ كَانَ أَوَّلُ
طَاعُونَ فِي الْإِسْلَامِ . وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةً سِتِّ عَشْرَةَ مِنَ الْهِجْرَةِ .

(٦) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ . وَالْحَدِيثُ فِي شَرْحِ الْخَفَاجِيِّ أَيْضًا : ٣ - ٢٠١

(٧) الْأَسْرَةُ : جَمْعُ سَرِيرٍ ؛ وَهُوَ مَقْعَدٌ يَمُدُّ لِلْمَلُوكِ يَجْلِسُونَ عَلَيْهِ تَرْفَعًا وَتَعْظَمًا . قَالَ الْخَفَاجِيُّ
(٣ - ٢٠١) : وَمُؤَخَّرُ الْمَرَآكِبِ الْمَعْدَةُ لِلْفَزْوِ الَّذِي يَقْعَدُ عَلَيْهِ رُئِيسُهُمْ يَعْمَلُ عَلَى هَيْئَةِ سَرِيرِ
الْمَلِكِ بِعَيْنِهِ ، كَمَا يَعْرِفُهُ مَنْ شَاهَدَ ذَلِكَ ؛ فَهُوَ مِنَ الْأَعْلَامِ الْعَجِيبَةِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِدِيَارِ
العَرَبِ ، وَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ ؛ فَتَوَصَّيْفُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ كَمَنْ عَرَفَهُ وَجَلَسَ عَلَيْهِ مِمَّا
تَحَارَفِيهِ الْعُقُولُ .

وَأَنَّ الدِّينَ ^(١) لَوْ كَانَ مَنْوُطًا بِالثَّرِيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسٍ .
وَهَاجَتْ ^(٢) رِيحٌ فِي غَزَاةٍ ، فَقَالَ : هَاجَتْ لِمَوْتِ مَنَاقِي ^(٣) ؛ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ
وَجَدُوا ذَلِكَ .

وَقَالَ ^(٤) لَتَوْمٍ مِنْ جِلْسَائِهِ : ضَرَسُ أَحَدِكُمْ فِي النَّارِ أَعْظَمُ مِنْ أَحَدٍ ^(٥) .
قَالَ أَبُو هَرِيرَةَ ^(٦) : فَذَهَبَ الْقَوْمُ - يَعْنِي مَا تُوَا - وَبَقِيَ أَنَا وَرَجُلٌ ، فَكُتِلَ
مَرْتَدًا يَوْمَ الْبِمَامَةِ .

وَأَعْلَمَ ^(٧) بِالَّذِي غَلَّ خَرَزًا مِنْ خَرَزِ يَهُودَ ، فَوُجِدَتْ فِي رَحْلِهِ . وَبِالَّذِي غَلَّ ^(٨)
الشَّمْلَةَ ، وَحَيْثُ هِيَ ^(٩) .

وَنَاقَتُهُ ^(١٠) حِينَ ضَلَّتْ ، وَكَيْفَ تَعَلَّقَتْ [١٢٣] بِالشَّجَرَةِ بِخَطِّهَا ^(١١) .

(١) مِنْ حَدِيثِ رِوَاةِ الشَّيْخَانِ أَيْضًا . مَنْوُطًا : مَعْلَقًا . وَرِوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي سَنَنِهِ : ٣٨٤-٥ ،
وَفِيهِ لَتَاوَلَهُ .

(٢) رِوَاهُ مُسْلِمٌ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : صَحِيحٌ مُسْلِمٌ : ٢١٤٥ .

(٣) أَيْ لِرَجُلٍ مِنَ الْمَنَاقِينِ ؛ وَهُوَ رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ . وَقِيلَ غَيْرَهُ .

(٤) فِي حَدِيثِ رِوَاةِ الطَّبْرَانِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ وَجِلْسَاؤُهُ هُمْ : أَبُو هَرِيرَةَ الدُّوسِيُّ ، وَفِرَاتُ

ابْنِ حَيَّانِ الْمَجْلِيُّ ، وَالرَّحَالُ بْنُ عَنفَوَةَ الْجَمَامِيُّ . وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : أَحَدِكُمْ .

(٥) وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَمُوتُ كَافِرًا ؛ لِحَدِيثِ : ضَرَسَ الْكَافِرُ فِي النَّارِ مِثْلَ أَحَدٍ

(رِوَاهُ مُسْلِمٌ : ٢١٨٩) .

(٦) وَقَدْ كَانَ مِنْ جِلْسَائِهِ كَمَا تَقَدَّمَ ، وَهُوَ أَبُو هَرِيرَةَ الْبُوسِيُّ .

(٧) هَذَا الْحَدِيثُ رِوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَالنَّسَائِيُّ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجَمْفِيِّ . وَغَلَّ : مِنْ

الْفُلُولِ ؛ أَيْ السَّرْقَةُ خَفِيَّةٌ . سَنَنْ أَبِي دَاوُدَ : ١ - ٢٦٩ .

(٨) الشَّمْلَةُ : كِسَاءٌ صَغِيرٌ يَشْتَمَلُ بِهِ الْإِنْسَانُ . وَهَذَا بَعْضُ مَنْ حَدِيثِ رِوَاةِ الشَّيْخَانِ عَنْ

أَبِي هَرِيرَةَ : صَحِيحٌ مُسْلِمٌ : ١٠٨ .

(٩) وَحَيْثُ هِيَ : أَيْ وَبِالْمَكَانِ الَّذِي هِيَ فِيهِ .

(١٠) رِوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ .

(١١) الْخَطَّامُ : الزَّمَامُ .

وبشأن كتاب حاطب إلى أهل مكة^(١) .
وبقضية عمير مع صفوان حين سارّه وشارطه^(٢) على قتل النبي صلى الله عليه وسلم . فلما جاء عمير للنبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله ، وأظلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمر والسرّ أسلم^(٣) .
وأخبر^(٤) بالمال الذي تركه عمه العباس رضي الله عنه عند أم الفضل بعد أن كتمه ؛ فقال : ما علمه غيري وغيرها ، فأسلم .
وأعلم بأنه سيقتل أبي بن خلف^(٥) .
وفي عتبة بن أبي لهب يأكله كلب من كلاب الله^(٦) .
وعن^(٧) مصارع أهل بدر ، فكان كما قال .
وقال^(٨) في الحسن : إن ابني هذا سيّدٌ ، وسيُصلح الله به بين فئتين^(٩) .

(١) هو حاطب بن أبي بلتعجة . وكان حاطب كتب إليهم بمكة يخبرهم بأن النبي توجه إليهم بجيش وأعطى الكتاب امرأة من مزينة ، وجعل لها جملا على أن توصله قريشا .
وخر كتاب حاطب في المغازي (١ - ١٩٧) . (٢) شارطه : جعل له جملا .
(٣) والحديث رواه ابن إسحاق ، والبيهقي ، والطبراني . والخبر في مغازي الواقدي : ١٢٦ ، وروى أيضا في سنن الترمذي : ٥ - ٤١٠ .
(٤) والحديث رواه أحمد ، عن ابن عباس ، والحاكم وصححه ، والبيهقي عن الزهري .
وأم الفضل : هي زوجة عمه العباس .

(٥) رواه البيهقي . وقد جرحه النبي بأحد في عنقه ، فمات بمرف .

(٦) فأكله الأسد ، وهو ذاهب إلى الشام . والأسد يسمى كلبا . وفي ب : عتبية .

(٧) وأصل هذا الحديث في صحيح مسلم : ٢٢٠٣ .

(٨) في حديث صحيح رواه الشيخان وغيرهما . صحيح البخاري : ٩ - ٧١ .

(٩) الفئة : الجماعة . والمراد بالفئتين : من كان معه ومن كان مع معاوية .

ونسعد^(۱) : املك تخلف حتى ينتفح بك أقوام ويستضر بك آخرون .
وأخبر^(۲) بقتل أهل مؤتة^(۳) يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر أو أزيد .
وبموت^(۴) النجاشي يوم مات بأرضه .
وأخبر^(۵) فيروز إذ ورد عليه رسولاً من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم ،
فلما حقق فيروز القصة أسلم .
وأخبر^(۶) أبا ذر رضي الله عنه بتطريده^(۷) كما كان ، ووجده في المسجد نائماً ،
فقال له : كيف بك إذا أخرجت منه ؟ قال : أسكن المسجد^(۸) الحرام . قال :
فإذا أخرجت منه . . . الحديث .
وبعيشه وحده ، وموته وحده .
وأخبر^(۹) أن أسرع أزواجه به لحوفاً أطولهن^(۱۰) ؛ فكانت زينب لطول
يدها بالصدقة .

(۱) في حديث رواه الشيخان (صحيح البخارى : ۵ - ۸۷) وهو سعد بن أبي وقاص .
وتخلف : تبقى بعد هذا الزمان . قال الخفاجي (۳ - ۲۰۹) : فكان كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم ؛ فإنه عاش بعد ذلك نحو خمسين سنة ونفع الله به المسلمين ، لما كان على يديه من
الفتوح ، وهدى الله به أناساً أسلموا على يديه ، وغنموا معه ؛ وضر الله به ناساً من الكفار
جاهدوا وقتل منهم ، وسي .

(۲) في حديث صحيح رواه البخارى ، عن أنس . صحيح البخارى : ۵ - ۱۸۲
(۳) مؤتة : اسم موضع بالشام كانت فيه غزوة مشهورة . وفي هامش ۱ : مؤتة - بالهمز :
أرض بالشام . وموتة - بغير همز : شبه الجنون . وموتة - بفتح الميم : الواحدة من الموت .
(۴) رواه الشيخان ، عن أبي هريرة . (۵) في حديث رواه البيهقي .

(۶) رواه أحمد في مسنده . والحديث في شرح الخفاجي (۳ - ۲۱۲)

(۷) تطريده : نفيه من المدينة . (۸) يعني مكة .

(۹) فيما رواه مسلم . صحيح مسلم : ۱۹۰۷

(۱۰) قال الخفاجي (۳ - ۲۱۳) : وهذا يحتمل أن يكون من الطول : ضد القصر ؛

وأن يكون من الطول - بالفتح ؛ وهو الجود والإنعام .

وأخبر^(۱) بقتل الحسين بالطف^(۲) ، وأخرج بيده تربة ، وقال : فيها مضجعه .
وقال^(۳) في زيد بن صوحان : سبقه عضو منه إلى الجنة ؛ فقطعت يده

في الجهاد .

وقال^(۴) في الذين كانوا معه على حراء^(۵) : اثبت ، فإنما عليك نبي وصديق وشهيد ؛ فقتل علي ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ؛ وطعن سعد .

وقال^(۶) لسراقة : كيف بك إذا ألبت سوارى كسرى ؟ فلما أتى بهما عمرُ ألبسهما إياه ، وقال : الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة .

وقال^(۷) : تبني مدينة بين دجلة ودجيل وقطر بل والصراة ، تجبى إليها خزائن الأرض ؛ يخسف بها - يعني بغداد^(۸) .

وقال^(۹) : سيكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد^(۱۰) ؛ هو شر لهذه الأمة من فرعون لقومه .

(۱) في حديث رواه البيهقي . (۲) الطف : مكان بناحية الكوفة .

(۳) في حديث رواه ابن عدي ، والبيهقي مسندا . والخبر في الاستيعاب : ۵۶۶ ، وقال : أصيبت يد زيد يوم جلولاء ، ثم قتل يوم الجمل مع علي .

(۴) في حديث رواه مسلم : صحيح مسلم : ۱۸۸۰ .

(۵) حراء : اسم جبل معروف بقرب مكة . قال في صحيح مسلم : وعليه النبي ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص .

(۶) في حديث رواه البيهقي . وسراقة : هو سراقة بن مالك . وهو الذي كان قد خرج في طلب النبي صلى الله عليه وسلم فساخت به فرسه . وقد أسلم بعد ، وتوفي سنة أربع وعشرين .

(۷) في حديث رواه أبو نعيم في الدلائل ، والخطيب في تاريخه .

(۸) قال القاري (۷۰۳ - ۱) : لكن قال أحمد بن حنبل : لم يحدث بحديث بغداد ثقة ، ومداره

على عمار بن سيف . وقال الذهبي - في ميزانه (۳ - ۱۶۵) : له حديث منكر جدا ، وذكر حديث بغداد هذا . (۹) في حديث رواه الإمام أحمد ، والبيهقي ، عن سعيد بن المسيب .

(۱۰) يقال : إنه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الجبار الذي كان مفتاح أبواب الفتن على

هذه الأمة ، وكان ماجنا سفهيا (شرح الحفاجي : ۳ - ۲۱۷) .

وقال (١) : لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة (٢) .
 وقال (٣) لعمر في سهيل بن عمرو : عسى أن ينوم مقاماً يسرك يا عمر ! فكان
 كذلك ؛ قام بمكة مقام أبي بكر (٤) يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم ،
 وخطب بنحو خطبته ، وثبتهم وقوى بصائرهم .
 وقال (٥) لخالد بن وجهه لأكيدر : إنك تجده يصيد البقر ؛ فوجدت هذه
 الأمور كلها في حياته وبعد موته كما قال صلى الله عليه وسلم .
 إلى ما أخبر به جلساءه من أسرارهم وبواطنهم ، وأطلع عليه من أسرار
 المنافقين وكفرهم ، وقولهم فيه وفي المؤمنين ، حتى إن كان بعضهم ليقول لصاحبه :
 اسكت ، فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء (٦) .
 وإعلامه بصفة السحر الذي سحره به لبيد (٧) بن الأعصم ، وكونه في مشط
 ومشاقة (٨) ، في [١٢٤] جف (٩) طلع نخلة ذكر ، وأنه ألقى في بئر ذرّوان (١٠) ؛
 فكان كما قال ، ووجد على تلك الصفة .

- (١) في حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٢٢١٤ .
 (٢) قال الخفاجي : وقد وقع هذا في صفين في وقعة علي ومعاوية .
 (٣) في حديث رواه البيهقي ، والحاكم .
 (٤) أي مثل مقام أبي بكر في المدينة ، وخطب خطبة مثل خطبته .
 (٥) رواه ابن إسحاق ، والبيهقي .
 (٦) البطحاء : أرض مستوية يسيل فيها الماء . والمراد بحجارتها ما فيها من الحصباء .
 (٧) لبيد بن الأعصم : يهودي من بني زريق . وقد سبق حديث سحره .
 (٨) هذا في أ ، ب . وفي هامشها : ومشاقة . والصحيح . والمشاقة : الشعر الذي يسقط
 من اللحية عند التسريح . والحديث في صحيح مسلم : ١٧٢٠ ، وفيه أيضاً : ومشط ، ومشاقة .
 (٩) الجف : وعاء الطلع الذي عليه كالنشاء .
 (١٠) بئر بالمدينة . وفي صحيح مسلم : ذي أروان .

وإعلامه^(١) قُرَيْشًا بِأَكْلِ الْأَرْضِ^(٢) مَا فِي صَحِيفَتِهِمُ الَّتِي تَقَاهَرُوا^(٣) بِهَا عَلَى بَنِي هَاشِمٍ ، وَقَطَعُوا بِهَا رَحِمَهُمْ ، وَأَنَّهَا أَبَقَتْ فِيهَا كُلَّ اسْمٍ لِلَّهِ ؛ فَوَجَدُوهَا كَمَا قَالَ .

ووصفه^(٤) لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الإسراء ، ونعته إياه نعت من عرفه .

وأعلمهم بعيرهم^(٥) التي مرَّ عليها في طريقه ؛ وأنذرهم بوقت وصولها ؛ فكان كلُّه كما قال .

إلى ما أخبر به من الحوادث التي تكون ولم يأت بعد^(٦) ؛ منها ما ظهرت مقدّماتها^(٧) ؛ كقوله^(٨) : عُمرانُ بيت المقدس خرابٌ يثرب^(٩) ؛ وخرابٌ يثرب خروجُ الملحمة^(١٠) ، وخروجُ الملحمة فتحُ القسطنطينية^(١١) .

(١) رواه البيهقي ، عن الزهري ، في الدلائل .

(٢) الأرضة: دودة تأكل الورق، ومنها ما تأكل الخشب . (٣) تظاهروا بها : تعاونوا .

(٤) في حديث الإسراء . وقد تقدم . (٥) بعيرهم : بقاقتهم .

(٦) أي لم يقع عقب إخباره ، بل بعده بأزمان متباعدة ، بعضها ظهرت مقدّماتها وبعضها

لما تظهر ؛ فإذا جاء الإبان تجيء ؛ فإن خبره صلى الله عليه وسلم لا يتخلف .

(٧) علاماتها المقدمة عليها .

(٨) في حديث رواه أبو داود في سننه: سنن أبي داود: ٢-١٣٦ (٩) يثرب: اسم المدينة .

(١٠) خروج الملحمة : خروج: ظهور . والملحمة : موضع المعركة والقتال ، وتكون بمعنى

الحرب . وفي الصحاح : الملحمة : الواقعة العظيمة في الفتنة ؛ والمراد الفتن العظيمة ، والهرج الذي يكون في آخر الزمان .

(١١) قال في نسيم الرياض (٣ - ٢٢٣) : والمذكور في هذا الحديث كله يكون إذا قرب

نزول عيسى عليه السلام ، وكذا ما معه من الأشراف .

وبقية الحديث - كما في سنن أبي داود : وفتح القسطنطينية خروج الدجال ، ثم ضرب

بيده على نخذ الذي حدث أو منكبه . ثم قال : إن هذا لحق كما أنك هاهنا ، أو كما أنك

قاعد - يعني معاذ بن جبل .

ومن أشراط^(١) الساعة وآيات حلولها ، وذكرِ النَّشْرِ^(٢) والحَشْرِ ، وأخبارِ الأبرار والنَّجَّار ، والجنَّةِ والنار ، وعَرَصات^(٣) القيامة .
 وبحسَبِ هذا النصل أن يكون ديوانا^(٤) مفردا يشتملُ على أجزاءٍ وحدَه ؛
 وفيما أشرنا إليه من نكت^(٥) الأحاديث التي ذكرنا كفايةً ، وأكثرها في الصحيح ،
 وعند الأئمة .

فصل

في عصمة^(٦) الله تعالى له من الناس وكفايته من آذاه

قال الله تعالى^(٧) : ﴿ وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ .
 وقال تعالى^(٨) : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ .
 وقال^(٩) : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ .

(١) الأشراط : العلامات والمقدمات .

(٢) النشر للميت أن يحيا فيقوم من قبره . والحشر : سوق الناس إلى المحشر للحساب .

(٣) عرصات : جمع عرصة : كل موضع واسع لا بناء فيه ؛ أي مما أخبر به صلى الله عليه

وسلم من المنيات ماورد في الحديث من بيان موافق القيامة وعرصاتها ووصفها بصفاتها .

(٤) ديوانا : كتابا مدونا مستقلا .

(٥) نكت الأحاديث : لطائفها ودقائقها النفيسة .

(٦) العصمة : أصل معناها التمسك ، ثم صار حقيقة في المنع عن ارتكاب المعاصي وفي

الحفظ عن نيل المضرة من الأعداء ؛ والمراد هنا المعنى الأخير .

(٧) سورة المائدة ، آية ٦٧

(٨) سورة الطور ، آية ٤٨ ، أمره بالصبر على أعباء الرسالة ومشقة تبليغ ما أمر بتبليغه ،

ثم صلاه بأنه لا يخاف من أحد ، فإنه محفوظ بعين العناية من الله . وإنك بأعيننا : أي برأى
 مندد ، ومرعى في حفظنا .

(٩) سورة الزمر ، آية ٣٦

وقيل : بكاف محمداً صلى الله عليه وسلم أعداءه المشركين . وقيل غير هذا ^(١) .
وقال ^(٢) : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ .

وقال ^(٣) : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ،
وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ ﴾ .

أخبرنا القاضي الشهيد أبو علي الصدفي بقراءتي عاينه ، والنقيب الحافظ أبو بكر
محمد عبد الله المعافري ^(٤) ؛ قالوا : حدثنا أبو الحسين الصيرفي ؛ قال : حدثنا أبو يعلى
البيفدادي ، حدثنا أبو علي السنجعي ، حدثنا أبو العباس المروزي ، حدثنا أبو عيسى
الحافظ ، حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا الحارث بن عبيد ،
عن سعيد الجريزي ، عن عبد الله بن شقيق ، عن عائشة رضي الله عنها ؛ قالت : كان
النبي صلى الله عليه وسلم إبحر ^(٥) حتى نزلت هذه الآية ^(٦) : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ
النَّاسِ ﴾ - فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة ^(٧) ؛ فقال لهم : يا أيها
الناس ، انصرفوا ؛ فقد عصمني ربي عز وجل .

(١) قيل : المراد أنه تعالى تكفل بارزاق جميع عباده . أو غير هذا : غير القول بقصر
الكفاية على محمد ؛ بل كافيته ، ولا كافي غيره ، فتكون الإضافة للجنس قال القاري (١-٧٠٨) :

ويؤيده قراءة حمزة والكسائي : أليس الله بكاف عباده - بصيغة الجمع .
(٢) سورة الحجر ، آية ٩٥ . والهزؤ : السخرية والتمهك على صيقل التحقير . والمراد نفر
من قريش كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم ويهزءون به ، فأهلكهم الله لما اشتدت أذيتهم ،
ودعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) سورة الأنفال آية ٣٠ . والمكر : الحيلة والخداع ، ولا يوصف به الله سبحانه - إلا
على طريق المشاكلة . وهو إشارة إلى ما كان منهم بدار الندوة .

(٤) هذا في ا ، ب . وانفرد الشهاب بالنص على أنه بغير معجمة ، ولم نثر على ما يؤيده
فيما لدينا من المراجع . والمعافري هذا هو ابن العربي . وقد توفي بفاس سنة ٥٤٣ هـ .

(٥) كان يبحر منه الصحابة . (٦) سورة المائدة ، آية ٦٧

(٧) القبة : كل مرتفع من البناء أو الحيمة والخباء . والمراد هنا : خباء كان فيه النبي صلى =

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل منزلاً اختار له أصحابه شجرةً يقبل^(١) تحتها ، فأتاه أعرابيٌّ فاخترط^(٢) سيفه ثم قال : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ فقال : الله عز وجل ؛ فرُعِدَت^(٣) يدُ الأعرابيِّ ، وسقط سيفه ، وضرب برأسه الشجرة^(٤) حتى سال دماغه ؛ فنزلت الآية^(٥) .

وقد رُوِيَت هذه القصةُ في الصحيح^(٦) ، وأن غُورثَ بن الحارث صاحبُ هذه القصة ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه ؛ فرجع إلى قومه ، وقال : جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ .

وقد حُكِيَت مِثْلُ هَذِهِ الْحِكَايَةِ ، وَأَنَّهَا جَرَتْ لَهُ يَوْمَ بَدْرٍ ؛ وَقَدْ انْفَرَدَ مِنْ أَصْحَابِهِ لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ ، فَتَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ . . . وَذَكَرَ مِثْلَهُ .

= الله عليه وسلم في بعض أسفاره . وقيل : إنه بيت صغير مستدير من الخيام وبيوت العرب . والحديث رواه الترمذي : ٥ - ٢٥١ ، وابن كثير : ٣ - ١٤٤ ، وقال : هذا حديث غريب فيه نكارة ، فإن هذه الآية مدنية ، وهذا الحديث يقتضي أنها مكية . وقال الترمذي في سننه (٥ - ٢٥١) . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب .

(١) يقبل : ينزل وقت القائلة ، وهي الظهيرة وما قاربها للاستراحة ، سواء نام أم لا .

(٢) اخترط سيفه : سله وأخرجه من قرابه ليضربه به .

(٣) أصابته رعدة ، وهي اهتزاز اليد واضطرابها من غير قصد لشدة الخوف . وفي :

فأرعدت .

(٤) إنما فعل ذلك لما اعتراه من ذهاب عقله ، فلم يزل ينطحها .

(٥) قال في نسيم الرياض (٣ - ٢٢٩) : وهذا الحديث بهذا اللفظ قالوا : لم يوجد في

الكتب المعتبرة عند أهل الأثر ، ولم يذكره في أسباب النزول . وقال القاري (١ - ٧١٠) :

وما رواه من الزيادة فغير معروف عند أرباب الدراية .

(٦) وهذا الحديث رواه البخاري : ٥ - ١٤٧ ، ٤ - ٧٤ . ورواه ابن إسحاق في سيرة

ابن هشام : ٣ - ٣١٦

وقد روى^(١) أنه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي أمر^(٢) ، مع رجل اسمه
دُعْمُور بن الحارث ، وأن [١٢٥] الرجل أسلم ؛ فلما رجع إلى قومه الذين أغروه -
وكان سيدهم وأشجعهم - قالوا له : أين ما كنت تقول ، وقد أمكنك^(٣) ؟ فقال :
إني نظرت إلى رجل أبيض طويل دفع في صدري ، فوَقعتُ لظَهري ، وسقط السيف ،
فعرفت أنه ملك ، وأسلمت^(٤) .

وفيه نزلت^(٥) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُروا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ مُّانِسُونَ أَنْ
يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ، فَكفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

وفي رواية الخطابي أن غورث بن الحارث المحاربي أراد أن يفتك^(٦) بالنبي صلى
الله عليه وسلم ، فلم يشعر به إلا وهو قائم على رأسه منتضيا سيفه^(٧) ، فقال : اللهم
اكفنيه بما شئت^(٨) ، فانسكب^(٩) من وجهه من زلخة^(١٠) زلخها بين كتفيه ،
وندر سيفه^(١١) من يده .

- (١) رواه ابن إسحاق في سيرته : سيرة ابن هشام : ٣ - ٢١٦
(٢) ذو أمر : موضع غزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورويت هذه الحادثة في الواقدي
أيضا : ١ - ١٩٥
(٣) أمكنه الأمر : إذا لم يمنعه مانع ، فصار ممكنا له . أو المراد : تمكنت منه لمصادفته له
وحده ، ومعه سيف مسلول في يده .
(٤) أسلم لما شاهده مما يدل على نبوته .
(٥) سورة المائدة ، آية ١١ ، وانظر في ذلك أيضا تفسير ابن كثير : ٢ - ٥٩
(٦) يريد أن يقتله .
(٧) منتضيا سيفه : جرد سيفه وسله ، ليضربه به .
(٨) بما شئت : بالأمر والسبب الذي شئت وأردته ، والمراد تفويض أمر كفايته إلى الله
وتسليم أمره له .
(٩) انكسب : سقط لوجهه : سقط على وجهه .
(١٠) زلخة : وجع في الظهر لا يتحرك الإنسان من شدته (النهاية) . زلخها : أوجدها
الله حين سل السيف .
(١١) ندر سيفه : سقط .

الزَّلْزَلَةَ : وجع الظهر .

وقيل في قصته غيرُ هذا، وذُكر فيه (١) نزلت (٢) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ مُّبْذُورُونَ ﴾ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ، فَكفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ .

وقيل : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يخافُ قريشا ، فلما نزلت هذه الآيةُ استلقى (٣) ، ثم قال : مَنْ شَاءَ فَلْيَخُذْ لِي (٤) .

وذكر عبد بن حميد ، قال : كانت حمالة الحطاب (٥) تضعُ العِضَاءَ (٦) - وهي جَمْرٌ - على طريق رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فكانما يطوؤها كشيئا أهيل (٧) .
وذكر ابنُ إسحاق عنها أنها لما بلغها نزولُ (٨) : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ ، وذِكرُها بما ذَكَرَها اللهُ مع زوجها من الذم - أتت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه أبو بكر ، وفي يدها فِهْرٌ (٩) من الحجارة .

(١) فيه : في غورث .

(٢) سورة المائدة ، آية ١١

(٣) استلقى : نام واضعا ظهره على الأرض ، لأمنه أعداءه واطمئنانه قلبه .

(٤) الخذلان : ترك النصره . يريد أني غني عن اللعين والحرس ، لأن الله حماني وضمن لي ألا يضرني أحد يصل إلي . ولذلك استلقى على ظهره ، وأظهر هيئة الآمن ، والتبري من حوله وقوته اعتمادا على وعد الله .

(٥) حمالة الحطاب : هي أم جميل زوجة أبي لهب .

(٦) المضاء : شجر له شوك إذا أوقد كان شديد الاحتراق .

(٧) كانت تقصد بذلك أن يمسي الرسول عليه فيؤذيه ويؤثر في قدميه ، فكان النبي يضع قدمه على تلك المضاء فيجدها كشيئا - رملا مجتمعا - أهيل : سائلا . أي يجده سهلا لا يؤذيه .

(٨) سورة المسد ، آية ١

(٩) الفهر : حجر ملء الكف .

فلما وقفت عليهما لم ترَ إلا أبا بكر ، وأخذ الله تعالى ببصرها (١) عن نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ فقالت : يا أبا بكر ، أين صاحبك؟ فقد باغنى أنه يهجوني (٢) ، والله لو وجدته لضربت بهذا الفم فاه (٣) .

وعن (٤) الحَكَم بن أبي العاصي : تواعدنا (٥) على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا رأيناه سمعنا صوتنا خلفنا ما ظننا أنه بقي بتهمة أحد (٦) ؛ فوقمنا مغشياً علينا ، فما أفقنا حتى قضى صلاته ورجع إلى أهله .

ثم تواعدنا ليلة أخرى ، فجئنا حتى إذا رأيناه جاءت (٧) الصفا والمروة ، فحالت بيننا وبينه .

وعن عمر رضي الله عنه : تواعدت (٨) أنا وأبو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجئنا منزله ، فسمعنا له ، فافتتح وقرأ (٩) : ﴿ الحاقة . ما الحاقة . . . ﴾ إلى : ﴿ فهل ترى لهم من باقية ﴾ .

فضرب أبو جهم على عضد عمر ، وقال : انج ؛ وفرأ هار بين ؛ فكانت من مندقات إسلام عمر رضي الله عنه .

- (١) أخذ الله ببصرها : قبض وحبس نظرها .
 (٢) يهجوني : يذمني .
 (٣) خصت الفم ، لأنه محل النطق بدمها . وهذا رواه البيهقي ، كما رواه ابن إسحاق .
 وارجع إليه أيضا في تفسير ابن كثير : ٨ - ٥٣٧ .
 (٤) رواه أبو نعيم في الدلائل ، والطبراني ، بسند جيد .
 (٥) أي تواعد هو وبعض الكفرة على قتله والفتك به في بعض الليالي .
 (٦) أي لم يبق بتهمة أحد إلا وقد هلك بتلك الصيحة . أو أراد أن جميع أهل تهامة صاحوا علينا صيحة واحدة وقد لحقونا ليقتلونا . فالعنى أنا تيقنا وجودهم خلفنا .
 (٧) المراد بمجىء الصفا والمروة تحركهما من مكانهما حتى كانا بينهم وبين النبي .
 (٨) في نسيم الرياض (٣ - ٢٣٥) : هذا الحديث لم يوجد بهذا اللفظ إلا في مسند أحمد بما يقرب منه .
 (٩) سورة الحاقة ، الآيات من ١ - ٨

ومنه (١) العبرة المشهورة ، والكفاية التامة (٢) عندما أخافته قريش ، وأجمعت على قتله وبيتوه (٣) ؛ فخرج عليهم من بيته ؛ فقام على رؤوسهم ، وقد ضرب الله تعالى على أبصارهم (٤) ، وذرّ التراب على رؤوسهم ، وخلص (٥) منهم .
وحمايته (٦) عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله له من الآيات ، ومن العنكبوت الذي نسج عليه ، حتى قال أمية بن خلف - حين قالوا : ندخل الغار : ما أربكم (٧) فيه ، وعليه من نسج العنكبوت ما أرى (٨) أنه قبل أن يوآد محمد .
ووقعت حمامتان على فم الغار ، فقالت قريش : لو كان فيه أحد لما كانت هناك الحمام .

وقصته (٩) مع سراقه بن مالك بن جشم حين الهجرة ، وقد [١٢٦] جعلت قريش فيه وفي أبي بكر الجمائل (١٠) ، فأندر به (١١) ، فركب فرسه واتبعه حتى إذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فساخت (١٢) قوائم فرسه ، فخر عنها (١٣) ،

(١) ومنه : مما يشهد لأن الله تعالى عصمه من أعدائه .
(٢) العبرة : الأمر العجيب الذي يعتبر به ويتعظ . والكفاية التامة : أي كون الله تعالى عصمه وصانه صيانة تامة ليست ككفاية غيره . (٣) بيتوه : قصدوا قتله ليلا في خفية .
(٤) ضرب الله على أبصارهم : لم يحسوا به ويروه لاستغراقهم بالنوم وحجب عيونهم عنه ؛ وقد كانوا أحاطوا ببيته ليقتلوه .

(٥) ذر التراب : نثره . خلس منهم : نجما منهم . وفي ب : ذرا . (٦) حمايته : حفظه .
(٧) الأرب : الحاجة المطلوبة ؛ أي ليس لكم مطلوب ولا حاجة .
(٨) ما أرى : ما أظن وأعتقد .

(٩) القصة في الصحيحين : صحيح مسلم : ١٥٩٢ ، وفي سيرة ابن هشام : ٢ - ١٠٢ .
(١٠) الجمائل : الجميل : الأجرة على الشيء فعلا أو قولا (النهاية) .
(١١) أندر به : أعلم سراقه بالنبي .

(١٢) ساخت قوائم فرسه : غاصت في الأرض ودخلت فيها حتى كادت تبتمها وتنخسف من تحتها .
(١٣) خر عنها : سقط من فوق ، ورمى نفسه عنها خوفا من أن تنخسف به الأرض فيمك .

واستقسم^(١) ، بالأزلام ؛ فخرج له ما يكره .
ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو لا يلتفت^(٢) ؛
وأبو بكر رضى الله عنه يلتفت ، فقال^(٣) للنبي صلى الله عليه وسلم : أتينا^(٤) .
فقال : لا تمزّن إن الله معنا . فساخت ثانية^(٥) إلى ركبها ، وخرّ عنها ؛ فزجرها^(٦)
فنهضت ولقوائمها مثل الدخان^(٧) ؛ فناداهم بالأمان^(٨) ؛ فكتب له النبي صلى الله عليه
وسلم أماناً ؛ كتبه ابن فهيرة^(٩) ، وقيل أبو بكر ؛ وأخبرهم بالأخبار^(١٠) ؛ وأمره
النبي صلى الله عليه وسلم ألا يترك أحداً يلحق بهم .
فانصرف يقول للناس : كفيتم ما هاهنا^(١١) ،

(١) الأزلام : جمع زلم : وهى قذاح ، أى سهام لا ريش لها ولا نصل ، كانوا فى الجاهلية يكتبون على بعضها أفل ، وعلى بعضها لا أفل ، ويضعونها فى متاعهم إذا سافروا ، فإذا عرض لهم مهم أخرجوا منها زلماً يتفعلون به فيفعلون أو يتركون . ومعنى الاستقسام : طلب ما قسم وقدر له . (٢) وهو لا يلتفت : والنبي لا يلتفت إليه لعدم مبالاته ولا اعتياده على ربه .

(٣) القائل : هو أبو بكر وفى ا : وقال .

(٤) أتينا : أتانا المدو ، وأدركنا من يطلبنا .

(٥) فساخت ؛ أى قوائم فرس سراقه .

(٦) زجرها : صاح عليها .

(٧) ولقوائمها مثل الدخان : أى غبار مرتفع فى الجو كأنه دخان .

(٨) بالأمان : أى رفع صوته قائلاً لهم : الأمان . الأمان . والمراد تأمينهم منه ، وأنه

لا يلحقهم منه ضرر وخوف بإخباره الأعداء . أو طلب منهم الأمان ؛ أى أن يمطوه أماناً فلا يلحقه ضرر لخوفه منه - صلى الله عليه وسلم ، ومن دعائه عليه .

(٩) ابن فهيرة : عامر بن فهيرة ؛ وكان يرعى غنماً لآبى بكر رضى الله عنه ويحى لهما

كل ليلة فى النار باللبن يتغذيانه .

(١٠) وأخبرهم : أى أخبر سراقه النبي وأبا بكر وابن فهيرة - بالأخبار . أى بأخبار

قريش ، وما جرى منهم بعد خروجهم من مكة وجملهم الجمائل . . .

(١١) كفيتم ما هاهنا : معناه ارجعوا كفيتم الطلب ؛ فإنى لم أجدهم .

وقيل : بل قال لها^(١) : أَرَأَيْتُمْ كَمَا دَعَوْتُمَا عَلِيًّا ، فَادْعُوآ إِلَى .
 فنجا ، ووقع في نفسه ظهورُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢) .
 وفي^(٣) خبر آخر : أَنَّ رَاعِيًا عَرَفَ خَبْرَهُمَا ، فَخَرَجَ يَشْتَدُّ^(٤) ، يُعَلِّمُ قَرِيشًا ؛
 فَلَمَّا وَرَدَ مَكَّةَ ضُرِبَ^(٥) عَلَى قَلْبِهِ ، فَمَا يَدْرِي مَا يَصْنَعُ ؛ وَأَنْسِيَ مَا خَرَجَ لَهُ حَتَّى رَجَعَ
 إِلَى مَوْضِعِهِ .

وجاءه^(٦) - فيما ذكر ابنُ إسحاق وغيره - أبو جهل ، بصخرةٍ وهو ساجدٌ ،
 وقريش ينظرون ، أَيَطْرَحَهَا عَلَيْهِ ، فَلَزِقَتْ بِيَدِهِ ، وَبَدِستُ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ ، وَأَقْبَلَ
 يَرْجِعُ الْقَهْقَرَى إِلَى خَلْفِهِ ؛ ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ ؛ ففعل ؛ فانطلقت يَدَاهُ ؛ وَكَانَ
 قَدْ تَوَاعَدَ مَعَ قُرَيْشٍ بِذَلِكَ ، وَحَلَفَ لَنْ رَأَاهُ لَيْدَمَغْنَةً^(٧) ؛ فَسَأَلُوهُ عَنْ شَأْنِهِ ،
 فَذَكَرَ أَنَّهُ عَرَضَ لِي دُونَهُ فَحُلِّمْتُ^(٨) ، مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ قَطُّ ، هَمَّ بِي أَنْ يَاكُلَنِي .
 فقال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ذَاكَ جِبْرِيْلُ ، لَوْ دَنَّا لَأَخَذَهُ^(٩) .
 وذكر السمرقندي أن رجلا من بني المغيرة أتى النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 لِيَقْتُلَهُ ، فَطَمَسَ اللهُ عَلَى بَصَرِهِ^(١٠) ؛ فلم يرَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَسَمِعَ قَوْلَهُ ،
 فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى نَادَوْهُ .

(١) لهما : للنبي وأبي بكر . (٢) سيرة ابن هشام : ٢ - ٩٩ .

(٣) قيل : إنه لا يعرف من رواه (نسيم الرياض : ٣ - ٢٤١) . وقال القاري (١ - ٧١٥) :

غير معروف عند أهل الأثر .

(٤) يشتد : يسرع في مشيه .

(٥) ضرب على قلبه : منع من الإدراك وذهل عما جاء له .

(٦) وهذا في دلائل أبي نعيم عن ابن عباس .

(٧) ليدمغنه : ليضربنه بصخرة يكسر رأسه ويخرج دماغه ؛ يقال : دمغه ، إذا أصاب

(٨) حُلِّمْتُ : جعل عظيم هاجج .

دماغه فقتله .

(٩) لأخذه : لأهلكه . (١٠) طمس الله على بصره : غطاه وغشاه حتى لم يره .

وذكر أن في هاتين القصتين^(١)، نزلت^(٢) : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا
فِيهَا إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُتَمَجِّحُونَ^(٣) . وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ
سَدًّا ، فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ .
ومن ذلك ما ذكره ابن إسحاق^(٤)، وغيره في قصته ، إذ خرج إلى بني قريظة^(٥) ،
في أصحابه ، فجلس إلى جدار بعض أطامهم^(٦) ، فانبث عمرو^(٧) بن جهاش
أحدهم ليطرح عليه رحي ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف إلى المدينة وأعلمهم
بقصصهم^(٨) .

وقد قيل : إن قواه تعالى^(٩) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُورُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ في هذه القصة نزلت .

(١) القصتين : يريد قصة أبي جهل ، وقصة هذا الرجل . والحجران في تفسير ابن كثير :
(٢) سورة يس ، آية ٨ ، ٩

٥٥٠ - ٦

(٣) الإقحاح : رفع الرأس وغمض البصر .

(٤) ذكره ابن إسحاق في : سيرة ابن هشام : ٢ - ١٩٢

(٥) من يهود خيبر . (٦) الآطام : جمع أطم ، وهو الحصن هنا .

(٧) انبث : توجه ، أو أسرع واندفع ، وعمرو بن جهاش : من بني قريظة .

(٨) أي أخبر بني قريظة في نبد عهدهم .

قال في نسيم الرياض (٣ - ٢٤٣) : وقد اعترض على المصنف بأن هذه القصة ليست مع

بني قريظة كما في السير ، وسيأتي أيضا في هذا الكتاب - وإنما هي مع بني النضير ، وسبب

غزوة بني النضير .

وأما سبب غزوة بني قريظة فهو وقعة الخندق وتظاهرهم مع قريش ونقضهم العهد .

وهو الصواب .

(٩) سورة المائدة ، آية ١١

(٣٢ - الشفا / ١)

وحكى السمرقندي أنه خرج إلى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين^(١)
الذين قتلها عمرو بن أمية^(٢)، فقال له حيي بن أخطب: اجلس يا أبا القاسم
حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا.

فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وتوأم^(٣)
حيي معهم على قتله، فأعلم جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم بذلك؛
فقام كأنه يريد حاجته حتى دخل المدينة^(٤).

وذكر أهل التفسير والحديث^(٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه - أن أبا جهل
وعد قريشاثن رأى محمدا يصلي ليظان^(٦) رقبته.

فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم أعلموه^(٧)؛ فأقبل؛ فلما قرب منه ولى هاربا
ناكصا على [١٢٧] عقبية، متقيا بيديه^(٨)؛ فسئل فقال: لما دنوت منه أشرفت^(٩)
على خندق مملوء نارا كادت أهدوي فيه^(١٠)، وأبصرت هولا عظيما^(١١)، وخفق
أجنحة^(١٢) قد ملأت الأرض.

(١) يستعين: يطلب أن يعينوه في الدية. عقل الكلابيين: ديتهما.

(٢) توأم: تشاور.

(٣) ثم سار إليهم وحاصروهم ست ليال، وهم داخل حصنهم فقطع نخيلهم وحرقتها
تسكيلا لهم.

(٤) رواه مسلم، والنسائي صحيح مسلم: ٢١٥٤. وفي ١: ومعنى الحديث...

(٥) ليظان رقبته: أي يدوس على عنقه الشريف برجله. (٦) أي أعلموا أبا جهل.

(٧) ناكصا: متأخرا راجعا لخلف. والعقب: مؤخر القدم. ونكص على عقبية: ولى

يخاف العاقبة. متقيا بيديه: مادا يديه كمن يدفع أمرا يتقيه.

(٨) أشرفت: اطلمت قريبا مني.

(٩) أهوى: أقم وأسقط. (١٠) هولا عظيما: أمرا مخوفا عظيما لم أر مثله.

(١١) خفق أجنحة: أجنحة تضرب لها أصوات هائلة.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : تلك الملائكة ، لودنا لا تختطفته عضوًا عضوًا (١) .

ثم أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم (٢) : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴾ . أن رآه استغنى . إن إلى ربك الرجعى . رأيت الذى ينهى . عبداً إذا صلى . رأيت إن كان على الهدى . أو أمر بالتقوى . رأيت إن كذب وتولى . ألم يعلم بأن الله يرى . كلا لئن لم ينته لنسفنا بالناصية . ناصية كاذبة خاطئة . فليدع ناديه . سندع الزبانية . كلا لا تطعه واسجد واقترب ﴿ .

وروى (٤) أن شيبه بن عثمان الحجبي أدركه (٥) يوم حنين ، وكان حمزة قد قتل أباه وعمه ، فقال : اليوم أدركت نأرى من محمد .

فلما اختلط الناس أتاه من خلفه ، ورفع سيفه ليصبه عليه (٦) ؛ قال : فلما دنوت منه ارتفع إلى شواظ (٧) من نارٍ أسرع من البرق ، فوليت هاربا ؛ وأحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني ، فوضع يده على صدرى ، وهو أبغض الخلق إلى ؛ فما رفعها إلا وهو أحب الخلق إلى ؛ [وقال لى : ادن (٨) فقاتل ؛ فتقدمت أمامه أضرب بسيفى وأقيه بنفسى (٩) ، ولو لقيت أبى تلك الساعة لأوقعت به (١٠) دونه] (١١) .

(١) عضوا عضوا : أى مزقته وفرقت أعضائه . والأثر فى تفسير ابن كثير : ٨ - ٤٦١ ،

وتفسير الطبرى : ٣٠ - ١٦٥

(٢) سورة العلق من آية ٦ إلى آخر السورة . (٣) ليطفى : طغيانه : تجاوز حده .

(٤) الراوى هو أبو نعيم فى الدلائل . (٥) أدركه : أدرك النبي ولحق به .

(٦) ليصبه عليه : ليضربه ويقتله ويأخذ بثأره ويشفى غليله بمن كان سببا فى قتل

أبيه وعمه . (٧) شواظ : لهب . (٨) ادن : من المدو أو منى .

(٩) أقيه بنفسى : أجعل نفسى وقاية له . (١٠) لأوقعت به سيفى وقتلته .

قال فى نسيم الرياض (٣ - ٢٤٨) : والحديث مفصل فى سيرة ابن سيد الناس بسند صحيح .

(١١) ما بين القوسين كتب أمامه فى هامش ١ : صح ، من الأم ، من غير الرواية .

وعن فضالة بن عمرو^(١) : أردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح ، وهو بطوف بالبيت ؛ فلما دنوت منه قال : أفضالة ؟ قلت : نعم . قال : ما كنت تحدثُ به نفسك ؟ قلت : لا شيء . فضحك واستغفر لي ، ووضع يده على صدرى ، فسكن قلبي ، فوالله ما رفعتها حتى ما خلق الله شيئا أحبَّ إلىَّ منه .

ومن مشهور^(٢) ذلك خبرُ عامر بن الطُّفَيْل ، وأربد بن قيس - حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان عامرُ قال له : أنا أشغلُّ عنك وجه محمد^(٣) فأضربه أنت . فلم يره فعل شيئا ؛ فلما كأمه في ذلك قال له : والله ما هممتُ أن أضربه إلا وجدتك بيني وبينه ؛ فأضربك !

ومن عصمته له تعالى أن كثيرا من اليهود والكهنة أنذروا به^(٤) وعينوه لقريش ، وأخبروهم بسطوته بهم^(٥) ، وحضوهم على قتله ؛ فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه أمره^(٦) .

ومن ذلك نصره بالرعب^(٧) أمامه مسيرة شهر ؛ كما قال صلى الله عليه وسلم^(٨) .

(١) رواه ابن إسحاق ، وابن سيد الناس . وفي سيرة ابن هشام : فضالة بن عمير الليثي .
والخبر في سيرة ابن هشام : ٤ - ٣٧

(٢) رواه ابن إسحاق ، والبيهقي ، وأبو نعيم في الدلائل : سيرة ابن هشام : ٤ - ٢٣٣

(٣) أشغل عنك وجه محمد : ألحيه حتى تبطش به .

(٤) أنذروا به : أخبروا وأعلموا .

(٥) بسطوته بهم : أي إنه يفرزهم ويقتلهم .

(٦) بلغ فيه أمره : حفظه ، ونصره ؛ وأظهر دينه على جميع الأديان .

(٧) بالرعب : بإلقاء الخوف منه في قلوب أعدائه ، وفي قلوب من لم يتبعه .

(٨) هو في الصحيحين ، وفي مسند أحمد : صحيح مسلم : ٣٧١ ، ٣٧٢

فصل

[من معجزاته الباهرة]

ومن معجزاته الباهرة ^(١) ما جمعه الله له من المعارف والعلوم ، وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ، ومعرفته بأُمور شرائعه ^(٢) ، وقوانين دينه ، وسياسة عبادته ، ومصالح أمته ، وما كان في الأمم قبّله ، وقصص الأنبياء والرسل والجبابرة ^(٣) والقرون الماضية من لدن آدم إلى زمنه ، وحفظ شرائعهم وكتبهم ، ووعى ^(٤) سيرهم ، وسرد أنبائهم ، وأيام الله ^(٥) فيهم ، وصفات أعيانهم ^(٦) ، واختلاف آرائهم ، والمعرفة بمدد أعمارهم ، وحكم حكماهم ، ومُحاجة كل أمة من الكفرة ^(٧) ، ومعارضة كل فرقة ^(٨) من الكفّار ببيان بما في كتبهم ، وإعلامهم بأسرارها ومُخبّات علومها ، وإخبارهم بما كتبوا من ذلك وغيره .

إلى الاحتواء ^(٩) على لغات العرب ، وغريب ألفاظ فرقيها ، والإحاطة بضروب فصاحتها ^(١٠) ، والحفظ لأيامها وأمثالها ، وحكمها ومعاني أشعارها ، والتخصيص ^(١١) بجوامع كلماتها .

(١) الباهرة : البالغة الظاهرة على غيرها .

(٢) شرائعه : التي شرعها الله له ولعباده على لسانه .

(٣) الجبابرة : الجبار - في صفة الإنسان : الذي يجبر نفسه بادعاء منزلة من اتعالى

لا يستحقها . ويقال للقاهر لغيره جبار . (٤) الوعى : الحفظ ، والجمع .

(٥) أيام الله فيهم : أي وقائعهم التي قدرها الله لهم . والأيام تطلق على الوقائع والحروب

كأيام العرب . (٦) أعيانهم : كبارهم ورؤساؤهم . وقيل : ذواتهم .

(٧) مُحاجة كل أمة من الكفرة : أي ذكر حججه وبرهانه ، وما حاج به غيره .

(٨) معارضته : مخالفته وردّه .

(٩) الاحتواء : الاشتمال والحفظ . (١٠) هذا في ا ، ب .

(١١) والتخصيص : أي تخصيص الله إياه بنطقه بجوامع كلام العرب ؛ أي بالألفاظ الحسنة

البيّنة الجامعة للمعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة .

إلى المعرفة بضرب الأمثال الصحيحة ، والحكم البيّنة لتقريب التفهيم للغامض ،
والتبيين المشكل ، إلى تمهيد^(١) قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تنازل ،
مع اشتغال شريعته على محاسن الأخلاق ومحامد الآداب [١٢٨] وكلّ شيء مستحسن
مفضل ، لم يُفكر منه ملحد^(٢) ذو عقل سليم شيئاً إلا من جهة الخذلان^(٣) .
بل كلُّ جاحد له وكافر من الجاهلية به إذا سمع ما يدعوه إليه صوابه^(٤) ،
واستحسنه دون طلب إقامة برهان عليه .

ثم ما أحلّ لهم من الطيبات ، وحرم عليهم من الخبائث^(٥) ، وصان به أنفسهم
وأعراضهم وأموالهم من المعاقبات والحدود^(٦) عاجلاً ، والتخويف بالنار آجلاً
[مما لا يعلم علمه ، ولا يقوم به ، إلا من مارس الدرس^(٧) والمكوف على الكتب ،
ومثاقنة^(٨) بعض هذا]^(٩) .

إلى الاحتواء^(١٠) على ضروب العلوم ، وفنون المعارف ؛ كالطب ،
والعبارة^(١١) ، والفرائض^(١٢) ، والحساب ، والنسب ، وغير ذلك من العلوم
مما اتخذ أهل هذه المعارف كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة وأصولاً في عملهم ؛

(١) تمهيد : بسطه والتوطئة له .

(٢) ملحد : مائل عن الحق زنديق .

(٣) أصل الخذلان : عدم النصر ، والمراد به عدم التوفيق .

(٤) صوابه : اعتقد أنه صواب .

(٥) الخبائث : كاللثة والدم ، ولحم الخنزير .

(٦) المعاقبات والحدود ؛ كالحد ، والتميز ، والحبس ، وكحد الزنا والسرقة ، والقذف ،

وشرب الخمر .

(٧) مارس الدرس : لازم دراسة الكتب واجتهد فيها . والمكوف : الإقبال على الشيء

وملازمته . (٨) ومثاقنة : ومتابعة . (٩) ما بين القوسين ساقط في أ .

(١٠) إلى الاحتواء : أى مع اشتغالها أو مضمومها إلى الاشتغال .

(١١) العبارة : أى تعبير الرؤيا .

(١٢) الفرائض : جمع فريضة ؛ وهو النصيب من الميراث .

كقوله صلى الله عليه وسلم^(۱) : الرؤيا لأول عابر^(۲) . وهي^(۳) على رجل طائر^(۴) .
وقوله : الرؤيا ثلاث ؛ رؤيا حق ، ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه ، ورؤيا تخزين
من الشيطان^(۵) .

وقوله^(۶) : إذا تقارب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب .

(۱) في حديث رواه ابن ماجه (سنن ابن ماجه : ۱۲۸۸) .
(۲) الرؤيا : ما يرى من المنام من الأحلام . لأول عابر : أى مصادفة وموافقة لأول
تفسير تفسر به . والعابر : هو الذى يبين الرؤيا ويفسرها .
(۳) رواه أبو داود ، والترمذى ، وصححه (سنن الترمذى : ۴ - ۵۳۶) .
ومسند الطيالسى : ۱ - ۳۴۹ .

(۴) رجل طائر : أى إنها على رجل قدر جار وقضاء ماض من خير أو شر ؛ وإن ذلك
هو الذى قسمه الله لصاحبها . وكل حركة من كلمة أو شيء يجرى لك فهو طائر . والمراد أن
الرؤيا التى يعبرها العبر الأول فكأنها كانت على رجل طائر فسقطت ووقعت حيث عبرت
كما يسقط الذى يكون على رجل الطائر بأذى حركة (النهاية) . وفى هامش ا : قوله عاينه السلام :
على رجل طائر : على رجل قدر جار ، وقضاء ماض من خير أو شر (من الغريبين) . وقال
ابن قتيبة : أرى أنها غير مستقرة . يقال للشيء إذا لم يستقر : هو على رجل طائر . وبين
مخالب طائر ، وعلى قرن ظبي .

(۵) تخزين من الشيطان : بأن يلقى له ما يكره ويخاف بوسوسته .
قال السيوطى : هذا الحديث رواه الشيخان وغيرهما (صحيح مسلم : ۱۷۷۳) .
(۶) فى حديث رواه الشيخان عن أبى هريرة مسندا (صحيح مسلم : ۱۷۷۳) .
تقارب الزمان : قال فى نسيم الرياض (۳ - ۲۵۹) : اختلف فى المراد به هنا ؛ فقيل : المراد
به زمان الربيع وقرب الليل والنهار من التساوى ، وهو زمان تدرك فيه الثمار ، وتفتح الأزهار
ويرق النسيم ، فتعدل الطباع البشرية فيه ، فتقوى على تلقى ما يفاض عليها . ولذا قال أهل
التعبير : أصدق زمان لوقوع الرؤيا زمان الربيع .
وقيل : المراد به آخر الزمان إذا قربت الساعة ، وتقارب قصره ، والقصر إما حقيقة كما
فى الحديث : فى أيامه السنة كشمس ، والشهر كجمعة ، والجمعة كيوم ، واليوم كساعة .
وقيل : إنه لسكرة اشتغال الناس بالدنيا لسعتها عليهم أو لغير ذلك .

وقوله (۱) : أصل كل داء البردة .

وما روى (۲) عنه في حديث أبي هريرة رضي الله عنه من قوله : المعدة حوض البدن ، والعروق إليها واردة . وإن كان هذا حديثاً لا نصححه لضعفه وكونه موضوعاً تكلم (۳) عليه الدارقطني .

وقوله (۴) : خير ما تداويتم به السعوط واللدود ، والحجامة ، والمشى .

وخير الحجامة يوم سبع عشرة ، وتسع عشرة ، وإحدى وعشرين (۵) .

وفي العود الهندي سبعة أشفية (۶) ، [منها ذات الجنب] (۷) .

وقوله (۸) : ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن ، فإن كان لا بد فثلث للطعام ،

وثلث للشراب ، وثلث للنفس .

وقوله (۹) - وقد سئل عن سبأ : أرجل هو أم امرأة ؟ أم أرض ؟ فقال : رجل

وولد عشرة : تيامن (۱۰) منهم ستة ، وتشام أربعة . . . الحديث بطوله .

(۱) في حديث رواه الدارقطني وضعفه .

والبردة : الإكثار من الطعام ، حتى لا تقدر المعدة على هضمه .

والمراد بكونه أصلاً لذلك أنه منشؤه ومبدؤه في الغالب .

(۲) الراوى له الطبراني في الأوسط . (۳) تكلم عليه الدارقطني ؛ أي مضعفاً له .

(۴) في حديث رواه الترمذي . (سنن الترمذي : ۴ - ۳۸۸) .

والسعوط : ما يجمل في الأنف ويستنشق به . واللدود : ما يجمل في أحد شقي الفم ويتفرغ

به لدفع ورم به يعترى الصبيان غالباً والمشى : المسهل .

(۵) وهذا الحديث رواه الحاكم عن ابن عباس وصححه ، وأبو داود عن أبي هريرة

(سنن أبي داود : ۲ - ۹۹) .

(۶) الأشفية : جمع شفاء . والحديث في صحيح البخاري : ۷ - ۱۶۵

(۷) ما بين القوسين ليس في أ ، ب ، وهو في صحيح البخاري .

(۸) رواه الترمذي ، وابن ماجه ، والحاكم : سنن الترمذي ۴ - ۵۹۰

(۹) في حديث رواه الترمذي : ۵ - ۳۶۱ ، وفي اضبطت همزة « سبأ » بالفتحة ممنوعاً ،

وبكسرتين ، وعليها « معا » . (۱۰) تيامن : سكن اليمن . تشام : سكن الشام .

وكذلك (١) جوابه في نسب قضاة ، وغير ذلك مما اضطرت العربُ على شغلها بالنسب إلى سؤاله عما اختلفوا فيه (٢) من ذلك .
وقوله (٣) : حمير رأسُ العرب ونايها (٣) . ومدحج هامتها وغلصمتها (٤) .
والأزد كاهلها وججمتها (٥) ، وهمدان غاربها وذروتها (٦) .
وقوله (٧) : إنَّ الزمانَ قد استدار كهيئته يومَ خلق اللهُ السمواتِ والأرضَ .
وقوله (٨) في الحوض : زواياه سواء .
وقوله (٩) - في حديث الذِّكْر : وإنَّ الحسنةَ بعشرِ أمثالها ؛ فتلك مائةٌ وخمسون على اللسان ، وألفٌ وخمسمائة في الميزان (١٠) .

- (١) في حديث رواه أحمد ، والطبراني .
(٢) أي مشكل أنسابهم ومعرفة ما أشكل عليهم .
(٣) في حديث رواه البزار . رأس العرب : منزلتهم من الشرف في العرب بمنزلة الرأس من الجسد . ونايها : أي هم عمدتهم ، ومن أشدهم .
(٤) هامتها : رأسها . وغلصمتها : الفلصمة : لحة بين الرأس والعنق . أو رأس الحلقوم .
(٥) الكاهل : ما يلي العنق من أعلى الظهر . والجمجمة : المراد بها الرأس .
(٦) الغارب : ما بين السنام والعنق . وذروتها : أعلاها وسنامها .
(٧) في حديث رواه الشيخان . صحيح البخاري : ٦ - ٨٣ . استدار : عاد لما كان عليه .
(٨) في حديث راه الشيخان : صحيح مسلم : ١٧٩٣ .
سواء : متساوية ؛ معناه طوله كعرضه .
(٩) في حديث رواه أبو داود ، وابن ماجه ، سنن ابن ماجه : ٢٩٩ ، وسنن الترمذي :

٤٧٨ - ٥

(١٠) وهو أنه صلى الله عليه وسلم قال : خصاتان لا يحصيها رجل مسلم إلا دخل الجنة ، وهما يسير ، ومن يعمل بهما قليل : تسبيح الله عز وجل دبر كل صلاة عشرا ، وتحمده عشرا ، وتسكبه عشرا ؛ قال : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقدها بيده فذلك خمسون ؛ فهي مائة باللسان ، وألف وخمسمائة في الميزان . فإذا أوى إلى فراشه سبح وحمد ، وكبر مائة ؛ فتلك مائة باللسان وألف في الميزان فأيكُم يعمل في اليوم ألفين وخمسمائة سيئة .

وقوله (١) وهو بموضع : نعم موضع الحمام هذا .

وقوله (٢) : ما بين المشرق والمغرب قبلة .

وقوله (٣) لعيننة ، أو الأقرع : أنا أفرس بالخيل منك .

وقوله لكتابه (٤) : ضع القلم على أذنك ، فإنه أذكر للمملي .

هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ؛ ولكنه أوتي علم كل شيء حتى

قد وردت آثاره بمعرفة حروف الخط وحسن تصويرها :

كقوله : لا تمدوا بسم (٥) الله الرحمن الرحيم ، رواه ابن شعبان من طريق

ابن عباس (٦) .

وقوله في الحديث الآخر الذي يروى عن معاوية أنه كان يكتب بين يديه صلى

الله عليه وسلم ، فقال له : ألق الدواة ، وحرف القلم ، وأقم الباء ، وفرق السين ،

ولا تعور الميم (٧) ، وحسن الله ، ومدد الرحمن ، وجود الرحيم (٨) .

(١) في حديث رواه الطبراني .

(٢) في حديث رواه الترمذي ، وصححه . سنن الترمذي : ٢-١٧١ ، وابن ماجه : ١-٣٢٣

(٣) في حديث ذكره ابن الأثير في النهاية ، ولم يخرج السيوطي لأنه لم يقف عليه .

أفرس بالخيل : أبصر ، وأعرف .

(٤) في حديث رواه الترمذي (سنن الترمذي : ٥-٦٧) وفيه : أذكر للمملي ،

وهما بمعنى . (٥) لا تجعل السين مدة طويلة من غير بيان لأسنانها .

(٦) في نسيم الرياض (٣-٢٦٧) : وضعه ابن حزم . وقال السيوطي : حديث ابن عباس

رضي الله عنه : لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم - لم أجده .

(٧) ضبطت العين في أ بالسكون والواو بالسكسرة من غير تشديد .

(٨) ألق الدواة : اجعل لها ليقة ، وأصلح مدادها . وحرف القلم : اجعل قطه محرفا ،

وطرف شقه الأيمن أزيد من الطرف الآخر قليلا ، فإنه أعون على تصوير السنات . وأقم الباء :

اجعلها مستقيمة ، أو طولها قليلا ، لأنها عوض عن ألف اسم . وفرق السين : اجعل أسنانها

منفصلا بعضها من بعض . ولا تعور الميم : لا تجعل دائرتها مطموسة . وحسن الله : أي كتابته

وصورة لفظه تعظيما لمسماه . وجود الرحيم : حسن كتابته .

وهذا ، وإن لم تصح الرواية أنه صلى الله عليه وسلم كتب فلا يبعد [١٢٩] أن يرزق علم هذا ويمنع القراءة والكتابة .
وأما علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب ، وحفظه معاني أشعارها ، فأمر مشهور ، قد نبهنا على بعضه أول الكتاب .
وكذلك حفظه لكثير من لغات الأمم ؛ كقوله في الحديث (١) : سنه ، سنه .
وهي حسنة بالحبشية .

وقوله (٢) : ويكثر الهرج ، وهو القتل بها (٣) .
وقوله - في حديث أبي هريرة (٤) : أشكنت درد ؛ أي وجع البطن بالفارسية .
إلى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا يبعثه إلا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثاقفة أهلها عمرة (٥) .
وهو رجل كما قال (٦) الله تعالى - أمي ، لم يكتب ولم يقرأ ، ولا عرف بصحبة من هذه صفتة ، ولا نشأ بين قوم لم علم ولا قراءة لشيء من هذه الأمور ، ولا عرف

(١) الحديث رواه البخاري : صحيح البخاري : ٨ - ٨
(٢) في حديث رواه الشيخان : صحيح البخاري : ٨ - ١٧ ، وفيه : قالوا : وما الهرج ؟
قال : القتل . القتل . وهو في الترمذي أيضا : ٤ - ٤٨٩
(٣) بها : أي بلغة الحبشة .

(٤) رواه ابن ماجه . سنن ابن ماجه : ١١٤٤ ، وهو فيه : اشكنت درد . وقال في شرحه : بالفارسية : اشكم ، أي بطن . درد ؛ أي وجع . والتاء للخطاب ، والهمزة همزة وصل .
كذا حققه الدكتور حسين الهمداني . ومعناه : أتشتكي بطنك ؟ ولكن جاء في تكملة مجمع بحار الأنوار صفحة ٧ : اشكنب درم ، وفي رواية بسكون الباء ، وفي ١ : اشكنب دردم - بضم الدالين ، وفي ب : بفتح الدالين .

(٥) العكوف على الكتب : ملازمة مطالعتها ومذاكرتها والنظر فيها .
مثاقفة أهلها : مجالستهم وملازمتهم . وفي ب : مثاقبة . والمثاقبة : المباحثة .
(٦) في قوله تعالى : فأمنوا بالله ورسوله النبي الأمي . . . (سورة الأعراف ، آية ١٥٨) .

هو - قَبْلُ شَيْءٍ مِنْهَا ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (١) : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَارْتَابَ (٢) الْمُبْطَلُونَ ﴾ .

إِنَّمَا كَانَتْ غَايَةً مَعَارِفِ الْعَرَبِ النَّسَبَ وَأَخْبَارَ أَوَائِلِهَا ، وَالشَّعْرَ ، وَالْبَيَانَ ؛ وَإِنَّمَا حَصَلَ ذَلِكَ لَهُمْ بَعْدَ التَّفَرُّغِ لِعِلْمِ ذَلِكَ ، وَالِاشْتِغَالِ بِطَلْبِهِ ، وَمُبَاحَثَةِ أَهْلِهِ عَنْهُ . وَهَذَا الْفَنُ (٣) نُقْطَةُ مَنْ بَحَرَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَلَا سَبِيلَ إِلَى جَعْدِ الْمُلْحَدِ لِشَيْءٍ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ (٤) ، وَلَا وَجَدَ الْكُفْرَةَ حِيلَةً فِي دَفْعِ مَا نَصَّصْنَاهُ (٥) إِلَّا قَوْلَهُمْ : أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ : ﴿ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ (٦) ﴾ . فَرَدَّ اللَّهُ قَوْلَهُمْ بِقَوْلِهِ (٧) : ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (٨) .

ثُمَّ مَا قَالُوهُ مَكَابِرَةَ الْعِيَانِ (٩) ؛ فَإِنَّ الَّذِي نَسَبُوا تَعْلِيمَهُ إِلَيْهِ إِمَّا سَلْمَانَ ، أَوَ الْعَبْدَ الرَّؤْمِيَّ (١٠) ؛ وَسَلْمَانَ إِنَّمَا عَرَفَهُ بَعْدَ الْهِجْرَةِ ؛ وَنَزُولِ الْكَثِيرِ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَظُهُورِ مَا لَا يَنْبَغُ مِنَ الْآيَاتِ .

(١) سورة العنكبوت ، آية ٤٨

(٢) ارتاب المبتلون : شكوا ، وقالوا تعلمه ممن قرأه وكتبه .

(٣) الفن : النوع من العلم الذي كانت العرب تعرفه وتعتنى به .

(٤) أي لا يمكن الكفرة المائلين عن الطريق المستقيم إنكاره .

(٥) نصصناه : حكيناها وبيناه . (٦) أي هي أحاديث مما سطره من قبله وأكاذيب .

(٧) سورة النحل ، آية ١٠٣

(٨) الذي يلحدون إليه : لسان من ادعوا أنه تعلم منه لسان عجمي فكيف يمكن

تعليمه أو التعلم منه؟ ومعنى يلحدون : يميلون عن الحق بمقالتهم هذه .

(٩) المكابرة : الإنكار من غير دليل . والعيان : المعاينة والمشاهدة .

(١٠) سلمان : هو سلمان الفارسي . والعبد الرومي : هو غلام حويطب بن عبد العزى ،

أسلم وكان ذا كتب .

وأما الرومي فكان أسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم^(١)، واختلف في اسمه .

وقيل : بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلسُ عنده عند الرِّوَّة^(٢)، وكلاهما أعجميُّ اللسان ؛ وهم الفصحاء اللدُّ^(٣)، والخطباء اللُّسن^(٤)، قد عجزوا عن معارضة ما أتى به^(٥)، والإتيانِ بمثله ؛ بل عن فهم رصْفِه، وصورة تأليفه ونظامه ؛ فكيف بأعجميِّ ألسن^(٦)!

نعم، وقد كان سلمانُ، أو بلعامُ الروميُّ^(٧)، أو يعيش، أو جبر، أو يسار- على اختلافهم في اسمه - بين أظهرهم^(٨) يكلمونه مدى أعمارهم ؛ فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء به محمدٌ صلى الله عليه وسلم ؟ وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك ؟ وما منع العدوَّ حينئذ على كثرة عدده، ودُوب^(٩) طلبه، وقوة حسده - أن يجلسَ إلى هذا فيأخذ عليه أيضا ما يعارضُ به ويتعلمُ منه ما يحتاجُ به على شغبه^(١٠) ؛ كفعل النضر بن الحارث بما كان يَمْخَرِقُ^(١١) به من أخبار كُتبه .

- (١) أي ويتعلم منه . (٢) أي مع الناس فكيف قالوا إنه تعلم منه وهو لم يجز به ؟
 (٣) اللد : جمع لد ؛ وهو الشديد الحصومة .
 (٤) اللسن : جمع لسن ؛ وهو الفصيح اللسان ، الطلق البيان .
 (٥) معارضة ما أتى به : مقاباته بكلام يحكيه .
 (٦) ألسن : من اللكنة ؛ وهي المعجمة في اللسان ، والمعنى في النطق والبيان .
 (٧) اسم الغلام الأعجمي . وقد سبق أنه مختلف في اسمه ، فهذه هي الأسماء التي قيل إنه يسمى بها .
 (٨) بين أظهرهم : مقبلا بينهم يعرفونه .
 (٩) دُوب طلبه : من الدأب وهو الجِد والتعب .
 (١٠) شغبه : عناده في خصومته . وفي أ : على شيعته .
 (١١) يَمْخَرِقُ : يكذب . والمخرقة : افتعال الكذب يتلهم به . وقال القاري (١-٧٣٢): هي كلمة مولدة، كما ذكره الجوهري ؛ أي يزخرف .

ولا غاب النبي ﷺ عليه وسلم عن قومه ، ولا كثرت اختلافاته^(۱) إلى بلاد
 أهل الكتاب ؛ فيقال : إنه استمد منهم ؛ بل لم يزل بين أظهرهم برعى في سفره
 وشبابه ، على عادة أبنائهم ؛ ثم لم يخرج عن بلادهم إلا في سفرة أو سفرتين^(۲) ،
 لم يطل فيهما مكثه مدة يُحتمل فيها تعليم القليل ، فكيف الكثير !
 بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقه^(۳) عشيرته ، لم يغيب عنهم ،
 ولا خالف^(۴) حاله [۱۳۰] مدة مُتَمَّمه بمكة من تعليم واختلاف^(۵) إلى حبر أو قس^(۶) ،
 أو منجم أو كاهن .
 بل لو كان^(۷) هذا بعد كنهه لكان مجيئه ما أتى به في مُعْجِز القرآن قاطعاً لكل
 عُذر ، ومدحوضاً لكل حجّة ، ومجلياً^(۸) لكل أمر .

-
- (۱) اختلافاته : رواحه ومجيئه مرارا عديدة .
 (۲) سافر مرة إلى بلاد الشام مع عمه أبي طالب ، وردّه من الطريق بإشارة بحير الراهب .
 ثم سافر مرة أخرى في تجارة لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها مع غلامها ميسرة فلم ينفرد
 عن أهل بلده أبدا سفرا وإقامة .
 (۳) رفاقة : مرافقة .
 (۴) ولا خالف حاله : أي حاله التي نشأ عليها وعرف بها .
 (۵) واختلاف : أي مجيء وذهاب .
 (۶) الحبر : العالم من علماء اليهود . والمنجم : العالم بالانجوت وأحكامها . والقس : رئيس
 علماء النصارى . والكاهن من العرب : من يخبر عن المنيبات بواسطة جن ونحوه .
 فاستوفى أقسام من يمكن التعلم منه من أنواع الناس .
 (۷) لو كان هذا : أي لو فرض خلاف ما ذكر من حاله بأن فرضنا أصفارا كثيرة له
 ومكثا مع أهل الكتاب واختلافا للتسيبين والاحبار
 (۸) مدحضا : مزيلا ومبطلا . ومجليا : موضعا وكاشفا .

فصل

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم ، وكراماته ، وباهر آياته أنباؤه^(۱) مع الملائكة والجن ، وإمداد^(۲) الله له بالملائكة ، وطاعة^(۳) الجن له ، ورؤية كثير من أصحابهم لهم ؛ قال الله تعالى^(۴) : ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ .

وقال^(۵) : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ يَنْزِلْ عَلَيْكُمْ مِنْ آيَاتِهِ فَخَذُوا مِنْكُمْ حَقَّهُمْ وَأَبْطَلُوا مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ . وقال^(۶) : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنْى مُسْتَدْعِمٌ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ . وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

وقال^(۷) : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ، فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا : أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ .

-
- (۱) أنباؤه : جمع نبا ، وهو الخبر .
 (۲) إمداد الله : إرسال الله الملائكة مددا له صلى الله عليه وسلم ، وإيادته .
 (۳) طاعة الجن له : بانقيادهم وإسلامهم .
 (۴) سورة التحريم ، آية ۴ . وإن تظاهرا : تعاونا . هو مولاه : ناصره .
 (۵) سورة الأنفال ، آية ۱۲ ، فثبتوا الذين آمنوا بالقتال معهم وتقوية قلوبهم بوعدهم بالنصر وظهورهم على أعدائهم ، وهذا كان يدر .
 (۶) سورة الأنفال ، آية ۹ ، ۱۰ . تستغيثون ربكم : تطالبون غوثه وإيادته . فاستجاب لكم : أجاب دعاءكم وأجز وعده لكم . مردفين : متتابعين .
 (۷) سورة الأحقاف ، آية ۲۹ . صرفنا إليك : أوملناهم وأوصلناهم إليك . والنفر : مادون العشرة . وهؤلاء جن نصيبين ، وهذا كان يطن نخلة في منصرفه صلى الله عليه وسلم من الطائف .

حدثنا سُفيان بن العاص الفقيه بسماعى عليه، حدثنا أبو الليث السمرقندي؛ قال :
حدثنا عبد الغافر الفارسي ، حدثنا أبو أحمد الجلودى ، حدثنا ابنُ سفيان ، حدثنا
مُسلم ، حدثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بن معاذ ، حدثنا أَبِي ، حدثنا شُعْبَةُ ، عن سليمان الشيباني ،
سَمِعَ زِرَّ بن حُبَيْش ، عن عَبْدِ اللَّهِ ؛ قال : لقد رأى من آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى - قال (١) :
رأى جبريلَ عليه السلام في صورته ، له ستمائة جناح .

والتَّخْبِرُ في مجادئِهِ مع جبريل وإسرافيل وغيرهم من الملائكة ، وما شاهده من
كثرتهم وعِظَمِ صُورِ بعضهم ليلة الإسراء مشهورٌ .
وقد رآهم بحضرتِهِ (٢) جماعةٌ من أصحابِهِ في مَواطِنَ مختلفة ؛ [فرأى أصحابُهُ
جبريل عليه السلام في صورةِ رجلٍ يسأله عن الإسلام والإيمان] (٣) .
ورأى ابنُ عباسٍ ، وأسامَةُ بن زيد ، وغيرُهما عنده جبريلَ في صورةِ دِحْيَةَ (٤) .
ورأى سعدٌ (٥) عن يمينه ويساره جبريلَ وميكائيلَ في صورةِ رجلين عليهما
ثيابٌ بيض .

ومِثْلُهُ عن غيرِ واحد .

وسَمِعَ بعضهم زَجْرَ (٦) الملائكة خَيْلَهَا يومَ بَدْرِ .
وبعضهم رأى تَطَايُرَ الرءوس (٧) من الكفار ، ولا يروُن الضارب .

(١) قال : أى مسعود . والحديث في البخارى : ٦ - ١٧٦

(٢) بحضرتِهِ : في مجلسِهِ .

(٣) ما بين التوسين أمامه في ١ : من غير الرواية .

(٤) هو دحية بن خايضة السكبي الصحابي الجليل المشهور .

(٥) في حديث رواه الشيخان : صحيح البخارى : ٥ - ١٢٤

(٦) زجر الملائكة : حسها خيلها على الجرى بصوت .

(٧) تطاير الرءوس : سرعة وقوعها بخفة كطائر طار عن مقره . وهذا رواه البيهقي .

ورأى أبو سفيان بن الحارث يومئذ^(١) رجالاً بيضا على خيلٍ بياق^(٢) بين السماء والأرض ، ما يقوم لها^(٣) شيء .

وقد كانت الملائكة تصفحُ عمران بن الحصين .

وأرى^(٤) النبي صلى الله عليه وسلم لحزة جبريل في الكعبة ، نحر منفضاً عليه .

ورأى^(٥) عبدُ الله بن مسعود الجن ليلة الجن ، وسمع كلامهم ، وشبههم برجال الزُّط^(٦) .

وذكر ابنُ سعيد^(٧) أنَّ مُصعب بن عمير لما قُتل يوم أحد أخذ الراية ملكاً على

صورته ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له : تقدّم يا مُصعب ؛ فقال له الملك : لست بمُصعب ، فعلم أنه ملك .

وقد ذكر غير^(٨) واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه - أنه

قال : بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل شيخٌ بيده عصا ، فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ، فردّ عليه ، وقال^(٩) - صلى الله عليه وسلم : نعمةُ الجن^(١٠) !

(١) يومئذ : يوم بدر .

(٢) خيل بليق : فيها بياض ولون آخر . أو فيها سواد وبياض .

(٣) ما يقوم لها شيء : أي لا يمكن أن يقاوم شدتها وقتالها شيء غيرهم قل أو كثر لما رآه من بطشها وسرعتها .

(٤) في حديث رواه البيهقي عن عمار بن ياسر .

(٥) في حديث رواه البيهقي .

(٦) الزُّط : قوم من السودان طوال . وقيل : إنهم جيل بالهند .

(٧) الطبقات : ٢ - ٢٩

(٨) كالبيهقي ، وابن ما كولا في إكاله .

(٩) في ب : فقال .

(١٠) نعمة الجن : أي هذه نعمة الجن . أو نعمتك نعمة الجن وصوتهم .

مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا هَامَةُ بْنُ الْهَيْمِ بْنِ لَاقِسِ بْنِ إِبْلِيسِ؛ فَذَكَرَ أَنَّهُ لَقِيَ نُوحًا وَمَنْ بَعْدَهُ... فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ^(۱)؛ وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَهُ سُورًا مِنَ الْقُرْآنِ^(۲).

وَذَكَرَ^(۳) الْوَاقِدِيُّ قَتْلَ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعُرَيْيِّ لِلسُّودَانِ الَّتِي خَرَجَتْ لَهُ نَاشِرَةً شَعْرَهَا عُرْيَانَةً، فَجَزَلَهَا^(۴) بِسَيْفِهِ، وَأَعْلَمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَالَ لَهُ: تَلَّكَ الْعُرَيْيُّ.

وَقَالَ^(۵) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ شَيْطَانًا [۱۳۱] تَفَلَّتَ^(۶) الْبَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلَاتِي؛ فَأَمَّا كُنِّيَ اللَّهُ مِنْهُ، فَأَخَذَتْهُ فَأَرَدَتْ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةِ^(۷) مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كَلَّكُمْ؛ فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سَلِيمَانَ^(۸): ﴿رَبِّ رَبِّ

(۱) فِي شَرْحِ الْقَارِي (۱ - ۷۳۷) : قَالَ بِمَعْضَمِ إِنَّهُ مَوْضُوعٌ .

(۲) وَالْحَدِيثُ عَنْ صَمْرٍ .

قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (۳ - ۲۸۷) : وَاعْلَمَ أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي هَذَا الْحَدِيثِ؛ فَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: إِنَّهُ حَدِيثٌ مَوْضُوعٌ لَا أَسْلُ لَه . وَخَالَفَهُ فِيهِ غَيْرُهُ ، وَقَالَ : إِنْ تَعَدَّدَ أَطْرَافُهُ تَدَلُّ عَلَى صِحَّتِهِ . وَابْنُ الْجَوْزِيِّ لَهُ مَجَازِفَةٌ فِي مَوْضُوعَاتِهِ أَكْثَرُهَا مُرَدُّودَةٌ . وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ يَتَمَدَّدُ عَلَيْهِ كَالْبَيْهَقِيِّ ، وَابْنُ عَسَاكِرٍ وَغَيْرُهُمَا .

(۳) وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ ، وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمَا ، وَهُوَ مَذْكَورٌ فِي أَكْثَرِ التَّفَاسِيرِ . وَالْحَبْرِيُّ فِي « الْمَغَازِي » لِلوَاقِدِيِّ : ۸۷۲ ، وَالْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ : ۴ - ۳۱۶ ، وَالطَّبَقَاتُ : ۱۰۵ - ۲ (۴) جَزَلَهَا : جَعَلَهَا جَزَلَيْنِ ؛ أَيِ قَطْعَتَيْنِ .

(۵) فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : صَحِيحٌ الْبُخَارِيُّ : ۶ - ۱۵۶ .

(۶) تَفَلَّتَ : وَثَبَ بِسُرْعَةٍ بِنَفْتَةٍ . (۷) سَارِيَةٌ : عَمُودٌ ، أَوْ أَسْطُوَانَةٌ مِنْ عَمَدِ الْمَسْجِدِ .

(۸) سُورَةُ ص ، آيَةٌ ۳۵ . لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي : لَا يَتَيْسِرُ لِأَحَدٍ غَيْرِي .

قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (۳ - ۲۸۸) : وَلَيْسَ هَذَا حِرْصًا مِنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْمَلِكِ وَسِعَةِ الدُّنْيَا ، وَإِنَّمَا طَلَبَ عِظَمَةَ يَنْفَرِدُ بِهَا لِتَكُونَ خَارِقَةً لِلْعَادَةِ ، دَالَّةً عَلَى نُبُوَّتِهِ ، مُقَدِّمَةً لَهُ عَلَى تَنْفِيذِ أَمْرِ رَبِّهِ وَإِظْهَارِ دِينِهِ .

اغفر لي وهب لي ملكا لا يذنبني لأحد من بعدي ، إنك أنت الوهاب ﴿١﴾ . فردّه
الله خاسئا (١) .

وهذا بابٌ واسعٌ .

فصل

ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته ما ترادفت (٢) به الأخبارُ عن الرهبان
والأخبار (٣) وعلماء أهل الكتاب ، من صفته وصفة أمته ، واسمه وعلاماته (٤) ،
وذكر الخاتم (٥) الذي بين كتفيه ، وما أُجِد من ذلك في أشعار الموحدين المتقدمين ؛
من شعر تبع (٦) ، والأوس بن حارثة ، وكعب بن لوئى ، وسفيان بن مجاشع ، وقس
ابن ساعدة .

- (١) فرد الله ذلك الشيطان بإقدارى عليه ، وتمكنى منه خاسئا : خائبا حقيرا مطرودا .
وفي صحيح البخارى : قال روح : فرده الله خاسئا .
(٢) ترادفت : تتابعت ، فجاء بعضها يتبع بعضه بعضا من غير انفصال .
(٣) الأخبار : جمع خبر : وهو العالم من أهل الكتاب ، واشتهر في علماء اليهود .
(٤) ففي التوراة - عن كعب : محمد رسول الله ، عبدي المختار . . . وأمته الحمادون . وفي
الزبور - عن وهب بن منبه : سيأتى من بعدك نبي يسمى أحمد أو محمدا ، أمته مرحومة ،
أعطيتهم مثل ما أعطيت الأنبياء ، إلى غير ذلك مما نقله الثقات ؛ كقوله في علامته في الإنجيل :
صاحب المدرعة والعمامة والهراوة ، الجعد الرأس ، الصلت الجبني . إلى آخر ما ذكره من حليته فيه .
(٥) الخاتم : يعنى خاتم النبوة .

(٦) تبع : اسم لملك اليمن . ومن الشعر :

شهدت على أحمد إنه
فلو مد عمرى إلى عمره
وجاهدت بالسيف أعداءه
له أمة سميت في الزبور
نبي من الله بارى النسم
لكنت وزيرا له وابن عم
وفرجت عن صدره كل غم
وأمته هي خير الأمم

وما ذُكِرَ عن سَيْفِ بْنِ ذِي يَزَنَ^(١) وغيرهم ، وعَرَفَ به من أَمْرِهِ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو
ابن نُفَيْلٍ ، وَوَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ ، وَعَشْكَالَانَ^(٢) الْحَمَيْرِيَّ ، وَعُلَمَاءَ يَهُودٍ ، وَشَامُولٍ
عَامِلُهُمْ صَاحِبِ تَبَعٍ - مِنْ صِفَتِهِ وَخَبْرِهِ .

وما أُلْفِيَ^(٣) مِنْ ذَلِكَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مَا قَدْ جَمَعَهُ الْعُلَمَاءُ وَيَبْنُوهُ ، وَنَقَلَهُ عَنْهُمَا
ثِقَاتٌ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ ؛ مِثْلُ ابْنِ سَلَامٍ ، وَابْنِ سَعْيَةَ ؛ وَابْنِ^(٤) يَامِينَ ؛ وَنُخَيْرِيقٍ ؛
وَكَسْبٍ ، وَأَشْبَاهَهُمْ مِمَّنْ أَسْلَمَ مِنْ عُلَمَاءِ يَهُودٍ ، وَبَحْرَاءَ ، وَنَصْطُورِ الْحَبَشَةِ^(٥) ، وَصَاحِبِ
بُصْرَى^(٦) ، وَضَغَاطِرِ^(٧) ، وَأَسْقَفِ الشَّامِ ، وَالْجَارُودِ ، وَسَلْمَانَ ، وَالنَّجَاشِيَّ ، وَنَصَارَى
الْحَبَشَةِ ، وَأَسَاقِفِ^(٨) نَجْرَانَ ، وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ أَسْلَمَ مِنْ عُلَمَاءِ النَّصَارَى .

وَقَدْ اعْتَرَفَ بِذَلِكَ^(٩) هِرَقْلٌ ، وَصَاحِبُ رُومَةَ عَالِمَا النَّصَارَى ، وَرُئَيْسَاهُمَا ،
وَمُقَوِّسُ^(١٠) صَاحِبِ مِصْرَ ، وَالشَّيْخُ^(١١) صَاحِبُهُ ، وَابْنُ صُورِيَا^(١٢) ، وَابْنُ أَخْطَبِ ،

(١) سيف بن ذي يزن : من ملوك حمير .

(٢) قصة عشكلان رواها ابن عساكر . وانظر نسيم الرياض : ٣ - ٢٩٦ إن شئت تجدها .

(٣) ما أُلْفِيَ : ما وجد .

(٤) من بني النضير . وفي شرح القاري (١ - ٧٤٤) : وبنيامين .

(٥) نسطور - بالسين والصاد .

(٦) بصرى : بلدة بالشام ؛ وهي بين المدينة والشام ؛ وقيل إنها حوران . وصاحب
بصرى : ملكها الذي أرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم دحية بكتابه .

(٧) ضغاطر : أسقف من كبار الروم أسلم على يد دحية لما أرسله رسول الله صلى الله عليه

وسلم إلى هرقل . (٨) أساقف : جمع أسقف ؛ أي علمائهم ورؤسائهم .

(٩) بذلك : بيمثته ، وأنه بشر به في الكتب القديمة . هرقل : ملك الروم .

(١٠) صاحب مصر : ملكها .

(١١) صاحبه : أي صاحب المقوقس . قال القاري (١ - ٧٤٥) : وهذا لا يعرف اسمه .

(١٢) يهودى لم يكن في زمانه أعلم منه بالتوراة . وفي ١ : صوريا - بمدودا . والمثبت في

وأخوه ، وكعب بن أسد ، والزبير بن باطياً ، وغيرهم من علماء اليهود ، ممن حمله الحسدُ والنَّفَاسَةَ (١) على البقاء على الشقاء (٢) .

والأخبارُ في هذا كثيرة لا تنحصر .

وقد قرع (٣) أسماءَ اليهودِ والنصارى بما ذكر أنه في كتبهم من صفته وصفة أصحابه ، واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم ، وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه ، وليهم (٤) ألسنتهم ببيان أمره ، ودعوتهم إلى الباهلة (٥) على الكاذب ؛ فما منهم إلا من نفر (٦) عن معارضته ، وإبداء ما ألزمهم من كتبهم إظهاره .

ولو وجدوا خلاف قوله لكان إظهاره أهونَ عليهم من بذل النفوس والأموال وتخریب الديار (٧) ونبذ القتال (٨) ، وقد قال لهم (٩) : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوراةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

(١) النفاسة : المنافسة .

(٢) أى إصراره على كفره أو ارتداده عنادا .

(٣) القرع : الضرب والصدم بما يسمع له صوت . ويكون بمعنى التوبيخ والتعير .

(٤) لهم ألسنتهم : صرفها إلى غيرها حسدا وبغيا ، فتركوا بيانه وعدلوا عنه إلى غيره .

ويقال : لوى لسانه بكذا : أى كذب .

(٥) الباهلة : اللاعنة ؛ بأن يقول كل منهما : لعنة الله على الظالم والكاذب منا .

(٦) نفر : أعرض وهرب . وفي ب : فر .

(٧) وتخریب الدار : كما وقع ليهود خيبر وبنى النضير .

(٨) نبذ القتال : تركه .

(٩) سورة آل عمران ، آية ٩٣ ، وقد قال لهم ذلك لما قرع أسماءهم بقوله تعالى : « فبظلم

من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم » ؛ وقوله تعالى : « وعلى الذين هادوا حرمنا

كل ذى ظفر » ؛ فقالوا : لسنا بأول من حرمت عليه ، فقد حرم على إبراهيم ومن معه حق

انتهى الأمر إلينا ، فقال لهم : قل فأتوا بالتوراة . . . ليظهر أنها لم تحرم إلا عليهم لظلمهم

وبغيتهم .

إلى ما أُنذَرَ به الكهان؛ مثلُ شافع بن كليب^(١)، وشِقّ، وسَطِيح^(٢)، وسَوَادِ
ابن قَارِب، وخُنَافِر، وأَفْعَى نَجْرَان^(٣)، وجِذَل بن جِذَل الكِنْدِي^(٤)، وابن خَلْصَةَ
الدَّوْسِي، وسُعْدَى بنت كُرَيْز، وفاطمة بنت النعمان، وَمَنْ لَا يَنْعَدُ كَثْرَةً .
إلى ما ظهر على ألسنة الأصنام من نبوته، وحُلُولِ وقتِ رسالته؛ وَسَمِيعٍ مِنْ
هَوَاتِفِ^(٥) الْجَانِ، وَمِنْ ذَبَائِحِ النَّصْبِ^(٦)، وَأَجْوَافِ الصُّورِ^(٧)؛ وَمَا وُجِدَ مِنْ اسْمِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالشَّهَادَةِ لَهُ بِالرَّسَالَةِ مَكْتُوبًا فِي الْحِجَارَةِ وَالقُبُورِ بِالخَطِّ
الْقَدِيمِ مَا أَكْثَرُهُ مَشْهُورٌ؛ وَإِسْلَامٌ مَنْ أَسْلَمَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مَعْلُومٌ مَذْكُورٌ .

فصل

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ظَهَرَ مِنَ الْآيَاتِ [١٣٢] عِنْدَ مَوْلِدِهِ، وَمَا حَكَّمَتْهُ أُمُّهُ وَمَنْ
حَضَرَهُ مِنَ الْعَجَائِبِ، وَكُونُهُ رَافِعًا رَأْسَهُ عِنْدَ مَا وَضَعَتْهُ شَاخِصًا يَبْصُرُهُ إِلَى
السَّمَاءِ^(٨)؛ وَمَا رَأَتْهُ مِنَ النُّورِ الَّذِي خَرَجَ مَعَهُ عِنْدَ وِلَادَتِهِ^(٩)، وَمَا رَأَتْهُ إِذْ ذَاكَ أُمُّ

- (١) شافع بن كليب : كاهن من كهان العرب ، أخبر تبعاً بخبر النبي صلى الله عليه وسلم ،
وبمهاجرته إلى المدينة .
(٢) شق وسطيح : وسواد بن قارب ، من كهان العرب .
(٣) أفعى نجران : ملك من ملوك نجران . (٤) جذل : ضببطت الجيم في الافتحة .
(٥) الهواتف : جمع هاتف ، من الهتف ؛ وهو الصوت العالي مطلقاً ، ثم خص بصوت
يسمع ممن لا يرى شخصه ؛ ولذا خص بالجن عند العرب .
(٦) ومن ذبائح النصب : ماسمع منها إذا قربت للذبح . والذبائح : جمع ذبيحة ؛ وهي
ما يذبح من بقر ونحوه . والنصب : جمع نصب ؛ وهو ما ينصب من الحجارة والأصنام للعبادة .
وذلك مثل ماسمع عمر رضي الله عنه من عجل قربه رجل ليذبحه قربانا لصنم ؛ فقال : يا آل
ذريح . أمر نجيح . رجل فصيح . يقول : لا إله إلا الله . . .
(٧) أجواف الصور : أي ماسمع من الأصنام التي كانوا يصورونها والمراد أجواف التماثيل .
(٨) شاخصاً يبصره إلى السماء : هذا إشارة إلى تعلقه صلى الله عليه وسلم بالملأ الأعلى
وتوجهه لذلك من أول أمره .
(٩) رواه أحمد ، والبيهقي .

عثمان بن أبي العاص من تدلّي النجوم^(۱)، وظهور النور عند ولادته، حتى ما تنظر^(۲) إلا النور^(۳).

وقول الشفاء أمّ عبد الرحمن بن عوف: لما سقط صلى الله عليه وسلم على يدي واستهل^(۴) سميت قائلاً يقول: رحمتك الله؛ وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى قصور الروم^(۵).

وما تعرفت به حليمة وزوجها ظئراه^(۶) من بركتيه، ودرور كبنها له، وابن شارفها^(۷) وخضب غنمها^(۸)، وسرعة شبابه^(۹)، وحسن نشأته؛ وما جرى من المعجائب ليلة مولده؛ من ارتجاج إيوان كسرى، وسقوط شرفاته^(۱۰)، وغيض بحيرة طبرية^(۱۱)، وخمود نار فارس، وكان لها^(۱۲) ألف عام لم تخمد.

(۱) روى عنها أنها شهدت مولده، ورات مارأته.

(۲) أى لا ترى شيئاً غير النور ورواه أيضاً البيهقى والطبرانى، ودلائل النبوة لأبى نعيم: ۱۶۸

(۳) لما سقط على يدي: لما وضعته أمه فنزل على يديها. واستهل: رفع صوته بأن عطس.

(۴) رواه أبو نعيم فى الدلائل: ۱۶۹، وفيه: حتى نظرت إلى بعض قصور الشام،

وكذلك فى طبقات ابن سعد: ۱ - ۹۶

(۵) الظئر: المرضعة. وقد يطلق على أبى الرضاة أيضاً كما هنا.

(۶) انشارف: الناقة المسنة. وانظر فى ذلك دلائل النبوة لأبى نعيم: ۱ - ۱۹۸

(۷) كناية عن سمها وكثرة لبنها. (۸) سرعة شبابه: سرعة نمو خلقه ونمو قامته.

(۹) شرفات: جمع شرفة: أعاليه. أو هى ما يبنى على أعلى الحائط منفصلاً بعضه من بعض:

دلائل النبوة لأبى نعيم: ۱۷۴

(۱۰) غيض: مصدر غاض: إذا قل وذهب. وطبرية: بالشام معروفة من الأرض المقدسة:

دلائل النبوة: ۱۷۴

وفى نسيم الرياض (۳ - ۳۱۴): قال البرهان: المعروف بالغيض بحيرة ساوة. ثم قال:

أقول ما قاله غير صحيح، والمعجب ممن تابعه على هذا مع ظهوره وساوة: بلدة أخرى بينها

وبين الرى اثنان وعشرون فرسخاً. والجواب الحق أن المراد بحيرة طبرية. وقد روى الحديث

البيهقى، وابن أبى الدنيا، وابن السكن، كما نقله السيوطى وغيره. وكذلك رواه أبو نعيم

فى الدلائل (۱۷۴) وفيه: بحيرة ساوة. (۱۱) وكان لها: لتلك النار: دلائل أبى نعيم: ۱۷۴

وأنه كان^(١) إذا أكل مع عمه أبي طالب وآله وهو صغير شبعوا وروؤوا؛ فإذا غاب فأكلوا في غيبته لم يشبعوا .

وكان سائر ولد أبي طالب يُصبحون شعثاً^(٢) ويصبح صلى الله عليه وسلم صقيلاً دهيناً كحياً^(٣) .

[قالت أم أيمن حاضنته^(٤) : ما رأيتُه صلى الله عليه وسلم شكاً جوعاً قط ولا عطشاً صغيراً ولا كبيراً^(٥) .

ومن ذلك حراسة السماء بالشهب^(٦) ، وقطع رصد الشياطين^(٧) ، ومنعهم استراق السمع^(٨) .

وما نشأ عليه من بغض^(٩) الأصنام ، والعفة عن أمور الجاهلية ؛ وما خصه الله به من ذلك وحاه حتى في ستره^(١٠) في الخبر المشهور عند بناء الكعبة ؛ إذ أخذ

(١) رواه ابن سعد وغيره عن ابن عباس : طبقات ابن سعد : ١ - ١١١

(٢) شعثا : جمع أشعث ، وهو المنبر المتغير لونه .

(٣) صقيلاً : رائق اللون غير متغير البشرة . دهيناً : أى كأن وجهه دهن بما جعل وجهه

يرق . كحياً : مكحل العين . وهذا كله من غير صنع أحد .

(٤) حاضنته : هى التى كانت تربيته طفلاً ، واسمها بركة .

(٥) فى هامش ١ : من غير الرواية .

(٦) الشهب : شعل النار المرثية فى نجوم السماء . جمع شهاب .

(٧) رصد الشياطين : ترصدهم وترقبهم لسماع ما تقولون الملائكة فتحفظه وتلقيه للكهنة .

(٨) استراق السمع : أن يختفى أحد ليسمع كلام من لم يرد سماعه ، فكأنه يسرق الكلام

الذى سمعه .

(٩) بغض : كره .

(١٠) فى ستره : أى ستر بدننه حتى لا يرى أحد منه صلى الله عليه وسلم ما لا ينبغى رؤيته

كالعورة ؛ فكان لا يتعري عند أحد .

إزاره^(١) ليجعله على عاتقه^(٢)، ليحمل عليه الحجارة وتعرى؛ فسقط إلى الأرض حتى ردت إزاره عليه .

فقال له عمه : ما بالك^(٣)؟ فقال : إني قد نهيتُ عن التعرّي .
ومن ذلك إظلالُ الله له بالغمام في سفره^(٤) .

وفي^(٥) رواية أن خديجة ونساءها رأينه لَمَّا قَدِمَ^(٦)، ومَلَكَاَنِ يُظِلَّانِهِ؛ فدكرت ذلك لميسرة؛ فأخبرها أنه رأى ذلك منذ خرج معه في سفره .

[وقد روى^(٧) أن حليلة رأّت غمامة تظله ، وهو عندها .

وروى ذلك عن أخيه من الرضاة^(٨)] .

ومن ذلك أنه نزل في بعض أسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة ، فأعشوشب^(٩) ما حولها وأينعت^(١٠) هي فأشرقته^(١١) وتدلت عليه أغصانها بمحض من رآه^(١٢) .

(١) إزاره : ملحفته التي كان مؤتزرا بها . والحديث في صحيح البخاري : ٥ - ٥١ .

(٢) عاتقه : ما بين للنسكب والعنق الذي يضع عليه الحجارة حتى لا تؤذيه .

(٣) ما بالك : ما شأنك؟ وما حالك الذي عرض لك حتى سقطت؟ وهذا الخبر في

الطبقات : ١ - ٩٣ .

(٤) كما رآه بحيرا لما سافر إلى الشام مع عمه ، ورآه ميسرة غلام خديجة لما سافر معه

إلى الشام . (٥) لابن سعد : في الطبقات : ١ - ٨٣ .

(٦) لما قدم من سفره إلى الشام في تجارة لها .

(٧) الذي رواه الواقدي ، وابن سعد ، وابن عساكر في تاريخه .

(٨) في هامش ١ : من غير الرواية .

(٩) يابسة : ليست مخضرة ، وليس لها ورق . أعشوشب : ظهر به عشب لم يكن قبله .

(١٠) أينعت : ظهرت خضرة ورقها وزهرها ؛ أو ثمرها .

(١١) فأشرقته : نمت وعلت أغصانها .

(١٢) في شرح الفاري (١ - ٧٥٣) : قال الديلمي : لم أدر من رواه .

ومِيلَ فِيهِ (١) الشجرة إليه في الخبر الآخر حتى أظلمته .
وما ذكر من أنه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر ؛ لأنه كان نوراً .
وأن الدُّبابَ كان لا يَقَعُ على جسده ولا ثيابه (٢) .
ومن ذلك تحييبُ الخلوَّةِ (٣) إليه حتى أوحى إليه ؛ ثم إعلامه بموته ودنو (٤)
أجله ، وأن قبره في المدينة وفي بيته ، وأن بين بيته ومنبره (٥) روضةً من رياض
الجنة (٦) ؛ وتخيير الله له عند موته (٧) ؛ وما اشتمل عليه حديثُ الوفاة من كراماته ؛
وتشريفه ، وصلاةُ الملائكةِ على جسده على ما روينا في بعضها (٨) .
واسئذانُ ملكِ الموتِ عليه ، ولم يستأذن على غيره قبله . ونداؤهم (٩) الذي
سموه ألا ينزعوا القميصَ عنه عند غسله .
وما روي من تعزية الخضر والملائكة (١٠) أهل بيته عند موته .
إلى ما ظهر على أصحابه من كرامته وبركته في حياته وموته ، كاستسقاء
عمر بعته (١١) ، وتبركك غير واحد بذريته [١٣٣] .

(١) النوء : الظل .

(٢) في شرح القارى (١ - ٧٩٣) : قال الدلبى : لا علم لى بمن رواه . وفي شرح
الحفاجى : وهذا رواه صاحب الوفا عن ابن عباس .
(٣) الخلوَّة : الوحدة والافتراد عن الناس للعبادة .
(٤) دنو : قرب . وهذا مما رواه الشيخان .
(٥) فى ١ : وأن بين بيته وبين منبره ... (٦) كما رواه أبو نعيم .
(٧) أى لما قرب موته خيره الله بين البقاء فى الدنيا والرحيل للآخرة . وقد رواه البيهقى
فى دلائله .

(٨) فى بعضها : فى بعض طرق حديث الوفاة .

(٩) ونداؤهم : نداء الملائكة لهم . (١٠) رواه البيهقى فى دلائله .

(١١) بعته : أى العباس ؛ أى تقديمه فى دعاء الاستسقاء ، رواه البخارى (صحيح

البخارى : ٢ - ٣٣) .

فصل

قال القاضى أبو الفضل^(١) : قد أتينا فى هذا الباب على نكتٍ من مُعجزاته واضحة ، وُجِّل^(٢) من علامات نبوته مُقنعة ، فى واحدٍ منها الكفاية والغنية^(٣) ، وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا ، واقتصرنا من الأحاديث الطوال على عين الغرض وفص^(٤) المقصد ، ومن كثير الأحاديث وغربها على ما صح واشتهر إلا سيرا من غريبه^(٥) مما ذكره مشاهير الأئمة ، وخذفنا الإسناد فى جمهورها^(٦) ، طلبا للاختصار .

وبحسب هذا الباب لو تُقصى^(٧) أن يكون ديوانا جامعا^(٨) يشتمل على مجلدات عدة .

ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم أظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين : أحدهما — كثرتها ، وأنه لم يُبوت نبيٌ معجزةً إلا وعند نبينا مثلها ، أو ما هو أبلغ^(٩) منها .

وقد نبّه الناس على ذلك ؛ فإن أردتَه فتأمل فصول هذا الباب ، ومعجزات من تقدم من الأنبياء — تفي على ذلك إن شاء الله تعالى .

-
- (١) هو المصنف . وفى ب : قال المؤلف أبو الفضل رحمه الله .
 - (٢) النكت : جمع نكتة ، وهى الأمر الدقيق الذى يحصل بفكر يقارنه . وجمل : جمع جملة ، وهى الأمر المجمل .
 - (٣) الغنية : الاستغناء ، والاكتفاء عن غيره ؛ لأنه يدل دلالة قوية .
 - (٤) فص المقصد : الفص : الأصل ، والمقصد : الأمر المقصود والمراد زبدة المقصود .
 - (٥) وغريبها : مما انفرد روايتها بها . من غريبه : أى ما يعد مستغربا غير معهود ، أو غير مشهور . (٦) جمهورها : فى معظم الأحاديث وأكثرها .
 - (٧) تقصى : استوفى ، واستقصى . (٨) ديوانا جامعا : كتابا مستقلا مدونا .
 - (٩) أبلغ منها : أعظم وأقوى .

وأما كونها كثيرة فهذا القرآن ، وكله مُعْجَزٌ ؛ وأقلُّ ما يقعُ الإعجازُ فيه عند بعض أئمة المحققين سورة : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ ؛ أو آية ^(۱) في قدرها .
 وذهب بعضهم إلى أن كلَّ آية منه كيف ^(۲) كانت معجزةً .
 وزاد آخرون أن كلَّ جملةٍ مُنتظمةٍ ^(۳) منه معجزةٌ ، وإن كانت من كلمة أو كلمتين .

والحقُّ ما ذكرناه أولاً ^(۴) ؛ لقوله تعالى ^(۵) : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ ؛ فهو أقلُّ ما تحدَّاهمُ به ، مع ما ينصُرُ ^(۶) هذا من نظرٍ ^(۷) وتحقيقٍ يطولُ بسطه .
 وإذا كان ^(۸) هذا في القرآن من الكلمات نحو من سبعةٍ وسبعين ألفَ كلمةٍ ونيفٍ ^(۹) على عددٍ بعضهم ، وعددُ كلماتٍ : « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ » - عشرُ كلماتٍ ، فتجزؤُ ^(۱۰) القرآن على نسبة عددٍ « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ » أزيدُ من سبعة آلاف جزء ، كلُّ واحدٍ منها مُعْجَزٌ في نفسه .
 ثم إعجازه - كما تقدّم - بوجهين : طريقِ بلاغته ، وطريقِ نظمه ^(۱۱) ؛ فصار

-
- (۱) آية في قدرها : أي مساوية لها في الحروف والكلمات .
 (۲) كيف كانت : طويلة بمقدار سورة أم لا . (۳) كل جملة منتظمة : مفيدة تامة .
 (۴) ما ذكرناه أولاً : من أن المعجز أقصر سورة أو مقدارها .
 (۵) سورة يونس ، آية ۳۸ . والضمير في « مثله » للقرآن .
 (۶) ينصر هذا : يقويه ويؤيده . (۷) من نظر : أي من فكر وتدبر .
 (۸) وإذا كان هذا : وإذا ثبت أن ما تحداهم به هو هذا المقدار الأقل .
 (۹) ونيف : وزيادة . (۱۰) هذا في ا ، ب .
 (۱۱) طريق بلاغته : أي مافيه من مراعاة الوجوه التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال .
 وطريق نظمه : أي أسلوبه وكونه على نسق لا يشبه غيره من الكلام نظاماً وسجعاً ونثراً ، وتناسب كلماته وجملة ، وإيتاء كل كلمة منه ما يستحقه ، وتنزيلها في محل لا يليق بها غيره ، كما يعرفه من ذاق طعم البلاغة ؛ فقارنه لا يمله وإن كرره كما لا يخفى على من تأمله حق التأمل ، ونظر فيه بنور الإيمان .

في كل جزء من هذا العدد مُعْجَزَاتَان ، فتضاعف العدد من هذا الوجه .
ثم فيه وجوه إعجازٍ أُخْرٍ من الإخبارِ بعلوم الغيب ؛ فقد يكونُ في السورة الواحدة من هذه ^(۱) التجزئة الخبرُ عن أشياء من الغيب ، كلُّ خبرٍ منها بنفسه معجزٌ ؛ فتضاعف العدد كرتةً أُخرى .

ثم وجوه الإعجازِ الأخر التي ذكرناها ^(۲) توجبُ التضعيفَ ، هذا في حق القرآن ، فلا يكادُ يأخذُ العددُ ^(۳) معجزاته ، ولا يحوي الحصرُ برَاهينَهُ .

ثم الأحاديثُ الواردةُ ، والأخبارُ الصادرةُ عنه صلى الله عليه وسلم في هذه الأبواب ^(۴) وعما دلَّ على أمره ^(۵) مما أشرنا إلى إجماله يبلغُ نحواً من هذا .

الوجه الثاني - وضوحُ معجزاته صلى الله عليه وسلم ؛ فإنَّ معجزاتِ الرُّسُلِ كانت بتدريجهم أهل زمانهم ، وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه ^(۶) .

فلما كان زمن موسى غايةً علم أهله السَّحْرَ بُمَث إليهم موسى بمعجزة تُشْبِه ما يدعون قُدْرَتَهُمْ عليه ، فجاءهم منها ما خرق عاداتهم ، ولم يكن في قُدْرَتِهِمْ [۱۳۴] ، وأبطل سِحْرَهُمْ .

وكذلك زمنُ عيسى أغنى ^(۷) ما كان الطبُّ ، وأوفر ما كان أهله ^(۸) ؛ فجاءهم

-
- (۱) من هذه التجزئة : أى الأجزاء المذكورة المضاعفة من جهة الإعجاز .
(۲) التي ذكرناها : وهى ذكر الغيبات . (۳) فى ۱ : العدد .
(۴) فى هذه الأبواب : أى أبواب إعجاز القرآن والتحدى به ، وأبواب معجزاته عليه السلام .
(۵) على أمره : على نبوته وعلو شأنه .
(۶) وبحسب الفن : بمقدار النوع . سما : اشهر . قرنه : عصره . والمراد به أهله .
(۷) أغنى ما كان الطب : أى أوفى وأعظم ما كان فى عصره وعهد رسالته علم الطب .
(۸) وأوفر ما كان : أى أكثر ما كان فى زمانهم .

أمر لا يقدرُون عليه ، وأتاهم ما لم يحتسبوه^(۱) من إحياء الميت ، وإبراء الأكمه^(۲) والأبرص دون معالجة ولا طب .

وهكذا سائر معجزات الأنبياء .

ثم إن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم ، وجملة معارف العرب وعلومها أربعة : البلاغة ، والشعر ، والخبر^(۳) ، والكهانة^(۴) ؛ فأنزل عليه القرآن الخارق لهذه الأربعة فصول^(۵) من الفصاحة ، والإيجاز ، والبلاغة الخارجة عن نمط^(۶) كلامهم ؛ ومن النظم الغريب ، والأسلوب المعجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه ، ولا علموا في أساليب الأوزان منهجه ؛ ومن الأخبار عن الكوائن^(۷) والحوادث والأسرار والمخبآت والضمائر^(۸) ؛ فتوجد على ما كانت ، ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقها ، وإن كان أعدى العدو .

فأبطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرًا ؛ ثم اجتثها^(۹) من أصلها برجم الشهب^(۱۰) ، ورصد النجوم .

(۱) ما لم يحتسبوه : ما لم يخطر ببالهم ، وقدرة حسابهم ، وما لم يترقبوه ، ويظنوه لديه .

(۲) الأكمه : الذي ولد أعمى مطموس العين .

(۳) والخبر : أي الخبر عما ساف ، وما لهم من الوقائع والأيام والأنساب والنازل .

(۴) الكهانة : معاناة علم الغيب بتلقينها عن الجن . وتكسر الكاف ، وتفتح . وفي ۱ ،

ب كتب عليها « معا » .

(۵) الخارق : المخالف . والأربعة فصول : هي المقدمة ، وهي البلاغة ، والشعر ، والخبر ،

والكهانة .

(۶) النمط : الجنس والطريقة ؛ أي لا يعرفون مثل بلاغته لخروجها عن جنس بلاغتهم

وما يهدونه في مخاطباتهم ومحاوراتهم .

(۷) الكوائن : جمع كائن ؛ أي عما سيكون في المستقبل من الغيبات .

(۸) والضمائر : أي ما أضمره في أنفسهم كقصة مسجد الضرار .

(۹) اجتثها : اقتلعها بعد إبطالها ؛ أي أزالها بالكلية .

(۱۰) برجم الشهب : أي برمى الشياطين بشهب تمنعهم من استراق السمع .

وجاء (١) من الأخبار عن القرون السالفة ، وأنباء الأنبياء ، والأمم البائدة (٢) ،
والحوادث الماضية - ما يُعْجِزُ مَنْ تفرَّغَ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها
وبينا المعجزَ فيها .

ثم بقيت هذه المعجزة (٣) الجامعة لهذه الوجوه إلى الفصول الأخر التي ذكرناها
في معجزات القرآن ثابتة إلى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي ، لا تخفى
وجوه ذلك على مَنْ نظر فيه ، وتأمل وجوه إعجازه .

إلى ما أخبر به (٤) من الغيوب على هذه (٥) السبيل ؛ فلا يمرَّ عَصْرٌ ولا زمنٌ
إلا ويظهر فيه صدقه بظهور مُخْبِرِهِ (٦) على ما أخبر ؛ فيتجدد الإيمان ، ويتظاهر (٧)
البرهان ؛ وليس الخبر كالإيمان (٨) كما قيل .

وللمشاهدة زيادة في اليقين ، والنفوس أشدُّ طمأنينة (٩) إلى عين اليقين منها إلى
علم اليقين ؛ وإن كان كلُّ عندا حقا .

وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم ، وعدمت ذواتها (١٠) ؛

(١) وجاء : أى فى القرآن .

(٢) البائدة : الهالكه الفانية فى الزمن السابق .

(٣) هذه المعجزة : أى القرآن . (٤) أى مع ما أخبر به من المنيات .

(٥) فى ا ، ب : هذه . والسبيل يذكر ويؤنث .

(٦) صدقه : أى صدق القرآن ، أو النبى . مخبره : ما أخبر به ، أو خبره .

(٧) ويتظاهر البرهان : ويقوى الدليل ويزيد قوة .

(٨) العيان - بكسر العين : المعاينة والمشاهدة .

(٩) النفس أشد طمأنينة إلى ما تتيقنه بالمعاينة والمشاهدة منها إلى العلم المتيقن بالبرهان

القاطع .

(١٠) انقرضت : انقطعت ، وذهبت معهم بسبب ذهابهم . بعدم ذواتها : أى تلك المعجزات

تعدم فتقرض عند ذهاب الأنبياء من الدنيا .

ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد^(١) ولا تنقطع، وآياته تتجدد ولا تضمحل؛
ولهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله فيما حدثنا القاضي الشهيد أبو علي، حدثنا
القاضي أبو الوليد، حدثنا أبو ذر، حدثنا أبو محمد، وأبو إسحاق، وأبو الهيثم؛
قالوا: حدثنا القيربيري، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا الليث، عن سعيد،
عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال^(٢):
«ما من الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر؛ وإنما كان الذي
أوتيت وحياً أوحاه^(٣) الله إلي؛ فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم القيامة».

هذا معنى الحديث عن بعضهم؛ وهو الظاهر والصحيح إن شاء الله.

وذهب غير واحد من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور معجزة^(٤) نبينا
صلى الله عليه وسلم إلى معنى آخر من ظهورها بكونها وحياً وكلاماً لا يمكن التخيل
فيه، ولا التحيل عليه، ولا التشبيه^(٥)؛ فإن غيرها من معجزات الرسل قد رام^(٦)
المعاندون لها بأشياء طمعوا في التخيل بها على الضعفاء كالقاء السحرة حبالهم
وعصيتهم [١٣٥] وشبهه هذا بما يخيل الساحر، أو يتحيل فيه.

(١) لا تبيد: لا تفتى.

(٢) في حديث رواه البخاري، ومسلم، والنسائي. واللفظ للروى هنا للبخاري:

صحيح البخاري: ٩ - ١١٣

(٣) أي ليس نبي منهم إلا أعطاه الله من المعجزات شيئاً ألبس من شاهده إلى الإيمان به.

(٤) يعني القرآن المعجز.

(٥) التخيل: من الخيال. والتحيل: من الحيلة. أي لا يمكن الوقف عليه أن يقول

إنه تخيل وتعميه لا أصل له، ولا أن يعمل حيلة في الإتيان بمثله، كما فعل سحرة موسى بحبالهم

إذ جعلوها تتحرك كمصاه.

(٦) رام: قصد، وطلب.

والقرآنُ كلامٌ ليس للحيلةِ ولا للسحرِ، ولا التخجيلِ فيه عملٌ^(١)؛ فكان من هذا الوجه عندم^(٢) أظهرَ من غيره من المعجزات^(٣)، كما لا يتمُّ لشاعرٍ ولا لخطيب أن يكون شاعرا أو خطيبا بضربٍ من الخيلِ والتمويه^(٤) .
والتأويلُ الأولُ أخلصُ وأرضى^(٥) .

وفي هذا التأويلِ الثاني ما يفضُّ عليه الجفنُ، ويُغضى^(٦) .

ووجهُ ثالث^(٧) على مذهبِ مَنْ قال بالصرفة^(٨)، وأنَّ المعارضة^(٩) كانت

(١) عملٌ : تأثير . فإن ساحرا لو أتى عاميا لا قدرة له على كلام حسن ، ثم سحره بجميع أنواع سحره ، لا يمكنه أن يقوم في ناد منشدا أو خطيبا ؛ فذلك أمر لا يمكن إيجاده لغير خالق القوى ؛ فنجد الجلف الأعرابي يتكلم بكلام عند أعقل الناس وأظرفهم لا يمكنه أن يأتي بشيء منه . (٢) عندم : عند المفسرين لهذا الحديث .

(٣) وذلك لعدم قبول التخجيل والتمويه .

(٤) التمويه : مأخوذ من قولهم : موه النحاس بذهب أو فضة ليوم من رآه أنه ذهب أو فضة .

(٥) الأول : الذي قال إنه الظاهر الصحيح . وأخلص : أصنى من الكدر ، أى الإشكال .

أو المراد : أجود ، وأكثر سلامة . وأرضى : أكثر رضا وقبولا عند العقول السليمة .

(٦) ما يفضُّ : ضبطت في افتتاح الميم ، وفي ب بفتحها مشددة ، أى بغطى . وينغضى : من

أغضى الجفن ، إذا أطبقه ، أو بمعنى سكت .

(٧) ووجه ثالث : فى إعجاز القرآن ، وأنه أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم . وفى

هامش ا : رابع .

(٨) بالصرفة : أى إن إعجازه بصرف الله قدرتهم وتمكنهم من معارضته ، مع أنهم

بحسب الجبلة قادرون على الإتيان بمثله لولا ما ذكر .

وإلى ذلك ذهب النظام ، وكثير من المعزلة ، والشريف المرتضى من الشيعة .

(٩) المعارضة له : الإتيان بمثله .

فی مقدور البشر ؛ فصرفوا عنها^(۱) ، أو علی أحد مذهبی أهل السنة من أن الإتیانَ بمثله من جنس مقدورهم ؛ ولكن لم یکن ذلك قبل ، ولا یكون بعد ؛ لأن الله تعالی لم یقدرهم ، ولا یقدرهم علیه .

وبین المذهبین فرقٌ بین^(۲) ، وعلیها جمیعاً^(۳) فترك العرب الإتیانَ بما فی مقدورهم ، أو ما هو من جنس مقدورهم^(۴) ، ورضاهم بالبلاء والجلأ ، والسبأ^(۵) والإذلال ، وتغییر الحال ، وسلب النفوس والأموال^(۶) ، والتفريق والتویخ ، والتعجیز والتهدید والوعید أبین آیه للعجز عن الإتیان بمثله ، والنكول^(۷) عن معارضته ؛ وأنهم منعوها عن شیء هو من جنس مقدورهم .

وإلی^(۸) هذا ذهب الإمام أبو العالی الجوبنی^(۹) وغيره ؛ قال : وهذا عندنا

(۱) فصرفوا عنها : إما بسبب قدرتهم ودواعیهم ، أو بسبب علمهم بتألیف كلام مثله وتمکنهم منه .

(۲) هذا الفرق ظاهر لتمکنهم علی الأول من الإتیان بمثله ، لكن صرفوا عنه . ولعدم تمکنهم منه علی الثانی مع أنه من جنس مقدورهم ، ومثله فی الجملة .

(۳) وعلیها جمیعاً : علی هذین القولین ، والمذهبین .

(۴) الإتیان بما فی مقدورهم علی المذهب الأول ؛ وتركهم ما هو من جنس مقدورهم علی

المذهب الثانی . (۵) البلاء : ما ابتلوا به من المحن بسبب عنادهم ، والجلأ :

إخراجهم من دیارهم وأوطانهم . والسبأ : سبی أولادهم وأهالهم واسترقاقهم .

(۶) سلب النفوس : بالقتل والفتك بهم ، وأخذ الأموال فی الفنائم .

(۷) النكول : النكوص ، والرجوع ، والإعراض ، والامتناع .

(۸) وإلی هذا المذهب ؛ وهو أنهم قادرون علی شیء من جنسه عاجزون عن مثله

لا بالصرفة . (۹) الإمام الجوبنی : هو عبد الملك بن عبدالله بن یوسف النیسابوری

الشافعی إمام الحرمین أعلم أئمة الشافعیة ، وهو إمام أهل السنة عرباً وعجماً ، فرد الأمة .

توفی سنة ۴۷۸ هـ .

أبلغ في خرق العادة بالأفعال البدیعة في أنفسها^(۱) ، كقلب المصاحفة ونحوها ، فإنه قد يسبق إلى بال الناظر بداراً^(۲) أن ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة^(۳) في ذلك الفن ، وفضل علم إلى أن برود ذلك صحيح^(۴) النظر .

وأما التحدث للخلائق مئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا ، فلم يبق بعد توفر الدواعي^(۵) على المعارضة ثم عدمها إلا منع الله الخلق^(۶) عنها بمثابة^(۷) ما لو قال نبي : آتني أن يمنع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه ، وارتفاع الزمان^(۸) عنهم ؛ فكان ذلك ؛ وعجزهم الله تعالى عن القيام — لكان ذلك من أبهر^(۹) آية ، وأظهر دلالة . وباللغة التوفيق .

وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر آيات الأنبياء ، حتى احتاج للعدري عن ذلك بدقة أفهام العرب ، وذكاء ألبابها^(۱۰) ، ووفور عقولها ، وأنهم أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم^(۱۱) ، وجاءهم^(۱۲) من ذلك بحسب إدراكهم ، وغيرهم

(۱) البدیعة : البدعة الغربية . في أنفسها : أي في حر ذاتها .

(۲) داراً : أول نظرة .

(۳) صاحب ذلك الأمر الذي ظهر على يديه . بمزية معرفة : بزيادة معرفة امتيازها عن من يقدر عليه .

(۴) صحيح النظر : أي برده بالتأمل والتدبر فيه حتى يعلم إعجازه .

(۵) توفر الدواعي : كثرة ما يدعواهم إلى معارضته ويحثهم عليها ، من الحمية الجاهلية . . .

(۶) منع الله الخلق عنها : بالصرقة ، أو بعدم القدرة على نوعه دون جنسه كما تقدم في

المذهبيين . (۷) بمثابة : بمنزلة .

(۸) ارتفاع الزمان عنهم : ألا يكونوا مقعدين ؛ وهو بيان لقدرتهم على القيام .

(۹) أبهر آية : أقوى وأظهر معجزة .

(۱۰) ألبابها : عقولها . (۱۱) بفطنتهم : قوة ذكائهم .

(۱۲) وجاءهم من ذلك : أي حصل في نفوسهم من معرفة إعجازه وظهوره على غيره ، على

مقدار إدراكهم وقوته .

مِنَ الْقِبْطِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ لَمْ يَكُونُوا بِهَذِهِ السَّبِيلِ ؛ بَلْ كَانُوا مِنَ الْغِبَاوَةِ
 وَقَلَّةِ الْفِطْنَةِ بِمِثِّ جَوْزَ عَلَيْهِمْ فِرْعَوْنُ أَنَّهُ رَبُّهُمْ ، وَجَوْزَ عَلَيْهِمُ السَّامِرِيُّ ^(۱) ذَلِكَ فِي
 الْعِجْلِ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ، وَعَبَدُوا الْمَسِيحَ مَعَ إِجْمَاعِهِمْ عَلَى صَلْبِهِ ؛ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ
 وَلَكِنْ شُبِّهَ ^(۲) لَهُمْ ؛ فِجَاءَتِهِمْ مِنَ الْآيَاتِ الظَّاهِرَةِ الْبَيِّنَةِ لِلْأَبْصَارِ بِقَدْرِ غِلْظِ أَفْهَامِهِمْ
 مَا لَا يَشْكُرُونَ فِيهِ ، وَمَعَ هَذَا ^(۳) فَقَالُوا ^(۴) : « لَنْ ^(۵) نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ^(۶) .
 وَلَمْ يَصْبِرُوا عَلَى الْمَنِّ وَالسَّلْوَى ^(۷) ؛ وَاسْتَبَدَلُوا الَّذِي هُوَ أَدْنَى ^(۸) بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ .
 وَالْعَرَبُ عَلَى جَاهِلِيَّتِهَا أَكْثَرُهَا يَعْتَرِفُ بِالصَّانِعِ ^(۹) ، وَإِنَّمَا كَانَتْ تَتَقَرَّبُ بِالْأَصْنَامِ
 إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ^(۱۰) .

وَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ ^(۱۱) بِاللَّهِ وَخَدَّهَ مِنْ قَبْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [۱۳۶]
 بِدَلِيلِ عَقْلِهِ وَصِفَاءِ لُبِّهِ .

(۱) السامري : رجل من بني إسرائيل . وقد أوهمهم أن العجل ربهم فعبدوه . قال
 القاري (۱ — ۷۶۳) : واسمه موسى بن ظفر .
 (۲) شبه لهم : ألقى شبهه على رجل إسرائيلي ، فظن اليهود أنه عيسى ؛ فصلبوه ؛ أي صلبوا
 من ألقى عليه الشبه .

(۳) ومع هذا : ومع هذا الظهور . (۴) هذا في ا ، ب .

(۵) سورة البقرة ، آية ۵۵

(۶) جهرة : معاينة بأبصارنا ، لشكهم فيما أتاهم به .

(۷) المن : طل كالعسل ينزل على الأشجار فيجمع ويؤكل . والسلوى : طائر كالسماني .

وكانوا لما خرجوا من التيه قالوا لموسى : أخرجتنا من العمران للقفور ، فادع الله أن
 يرزقنا ، فرزقهم المن . ثم سألوه أن يطعمهم من اللحوم ، فأتاهم بالسلوى ، فكانوا يأخذونها
 بأيديهم ؛ ثم قالوا : لن نصبر على طعام واحد .

(۸) الذي هو أدنى : أي طلبوا بدلا أدنى مما عندهم ، وهو الفول والعدس والبصل .

(۹) بالصانع : أي بوجوده تعالى .

(۱۰) زلفى : قرىبي ؛ أي لتتقرب إلى الله .

(۱۱) كزيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعدة ، وأمية بن أبي الصلت .

ولما جاءهم الرسولُ بكتابِ الله ففهموا حِكْمَتَهُ ، وتَبَيَّنُوا بِفَضْلِ إِدْرَاكِهِمْ لِأَوَّلِ
وَهْلَةٍ ^(١) مَعْجَزَتِهِ ؛ فَأَمَّنُوا بِهِ ، وازدادوا كل يوم إيماناً ، ورفضوا الدنيا كلها في
صحبته ^(٢) ، وهجروا ديارهم وأموالهم ، وقتلوا آباءهم وأبناءهم في نصرته ، وآتى ^(٣)
في معنى هذا بما يلوح له رونقٌ ، ويُعجِبُ منه زَبْرَجٌ ^(٤) لو احتجج إليه [وَحَقَّقَ] ^(٥) ؛
لكننا ^(٦) قدّمنا من بيان معجزة ^(٧) نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يُغنى عن
ركوب بطون هذه المسالك وظهورها ^(٨) .
وبالله أستعين . [وهو حَسْبِي ، ونعم الوكيل] ^(٩) .

آخر القسم الأول ، ويليه القسم الثاني

- (١) لأول وهلة : في أول نظرة بالبديهة ؛ يقال : لقيته أول وهلة : أي أول شيء .
- (٢) في صحبته : أي لاختيار صحبته على كل شيء ، أو ببركة متابعتة .
- (٣) وآتى : أي هذا القائل الذي غاب عنه ماتقدم .
- (٤) يلوح : يظهر . رونق : لفظ حسن . والزبرج : الزينة والوشى الذي هو كالطلاء .
وفي هامش ا : الزبرج : الزينة . وهو أيضا الذهب .
- (٥) حقق : بينت حقيقته . وليس ما بين القوسين في ب .
- (٦) في ب : ولكنا .
- (٧) في ب : معجزات .
- (٨) يريد ما يغنى عن ادعاء مثل هذه الأمور .
- (٩) ليس في ا .

